طرائق اختلاق الوجوه
في كتب الوجوه

تأليف الدكتور
عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني
أستاذ اللغة العربية والنحو القرآني

الطبعة الثانية
الموصل
١٤٣٨هـ=٢٠١٨م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

التمهيد

العلاقة بين الوجوه المختلقة وتحريف دلالاتها

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومَن والاه ، وبعد : فإنّ الوجه لا يمكن اختلاقه إلّا بتحريف دلالته ، ولولا ذلك لما تمكّن أصحاب كتب الوجوه من اختلاق وجه واحد ، ولاكتفوا بأوجه اللفظ المشترك التي لا تتجاوز بضعة ألفاظ في كلِّ القرآن

علامات التحريف الدلالي لِلَّفظ القرآني في كتب الوجوه :

أذكر هذه العلامات في غير ما كان من اللفظ المشترك .

العلامة الأولى : الحجّة التي احتج بها أصحاب كتب الوجوه على صحّة وجوههم التي ينسبونها للفظ ، هو جواز أن تقع موقعه ، وتؤدي معناه ، وهذه هي الطريقة العامة التي اتبعوها لإثبات الوجوه لمئات من الألفاظ القرآنية ، وكثيرًا ما تجد الأوجه المنسوبة إلى اللفظ لا يصح أن تقع موقعه ، وتؤدي معناه ، وهذه هي العلامة الأولى على وقوع التحريف الدلالي في كتب الوجوه .

العلامة الثانية : يعمد أصحاب كتب الوجوه إلى تحريف دلالات ألفاظ قرآنية عند جعلها بمعاني ألفاظ أخرى في تراكيب معيَّنة ، إلّا أنَّ التحريف في دلالة هذه الألفاظ يخفى على كثير من الدارسين لجواز أن يقع في هذه التراكيب بعضها موقع بعض ، وهي ليست بمعانيها ، كجواز وقوع اللفظ موقع اللفظ المرادف له ، ووقوع الصفة موقع الموصوف ، والعام موقع الخاص ، وقد أكَّد وقوع هذه الحالة ونبَّه عليها الزجاج وغيره ، وقد نقلنا كلامهم في هذا الباب

العلامة الثالثة : أنَّه ما من لفظ قرآني جعله أصحاب كتب الوجوه بمعنى لفظ آخر ، إلّا وقد فرَّق أهل اللغة بينهما في التعريف

العلامة الرابعة : بما أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فيُعدَّ من التحريف الظاهر جعله بمعنى لفظ آخر ، ولا سيما إذا كان القرآن الكريم قد استعمل اللفظين كليهما ، كلًّا لمعناه وفي موضعه .

وهذه العلامات متوافرة في وجوه كل كتب الوجوه ، وكذلك في الدراسات الدلالية الحديثة القائمة على منهجها ، وإنَّه بإمكان كلّ باحث أن يستند إليها ، ويتخذها طرائق للتعرف إلى هذا التحريف الدلالي والتأكد من وجوده في هذه الكتب .

وقوع الألفاظ بعضها موقع بعض :

الذي أوهم أصحاب كتب الوجوه والباحثين والقارئين على صحة الوجوه المنسوبة إلى مئات الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه جواز وقوع بعضها موقع بعض لكونها مترادفة ، أي : لكونها متقاربة في معانيها ، والمترادفات تفترق عن بعضها في معانيها الخاصَّة وإن اتحدت في المعنى العام ، وهذه المعاني الخاصة هي المقصودة في القرآن الكريم ، وهذه حقيقة تتضح في قوله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ){البقرة : ٥٣} بعد أن عدَّ كثير من أهل اللغة والتفسير الكتاب والفرقان هنا بمعنى واحد ؛ لأنَّ كليهما يعني التوراة واجهوا مشكلة عطف الشيء على نفسه ، فراحوا من أجل حلِّ هذا الإشكال يُؤوِّلون الآية بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان ، قال الفرّاء : ((وقوله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ففيه وجهان :

أحدهما أن يكون أراد : وآتينا موسى الكتاب ، ومحمدًا الفرقان .

والوجه الآخر : أنَّ العرب لتجمع بين الحرفين ، وإنَّهما لواحد ، إذا اختلف لفظاهما ، قال عَدِيٌّ بن زيد :

وقدَّمَتِ الأديمَ لراهِشَيهِ وألفى قولها كَذِبًا ومَيْنا

وقولهم : بُعْدًا وسُحْقًا ، والبُعْدُ والسُّحْقُ واحد ، فهذا وجه آخر ، وقال بعض المفسرين : الكتاب التوراة ، والفرقان انفراق البحر لبني إسرائيل ، وقال بعضهم : الحلال والحرام الذي في التوراة))[١] والقول الأخير أصحّ الأقوال ، وقال الزجاج : ((والفرقان عطف عليه ، ويجوز أن يكون الفرقان الكتاب بعينه إلّا أنَّه أعيد ذكره))[٢] وقال النحاس : (((وَالْفُرْقَانَ) عطف على الكتاب ، قال الفراء وقطرب : يكون (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) أي : التوراة ، ومحمدًا صلى الله عليه وسلم الفرقان ، وهذا خطأ ... قال أبو إسحاق (الزجاج) : يكون الفرقان هذا الكتاب أعيد ذكره ، وهذا أيضًا بعيد ، إنَّما يجيء في الشعر كما قال : وألفى قولها كَذِبًا ومَيْنا)) [٣]

وقد أدخل ابن هشام عطف الكذب على المين في البيت المذكور في باب عطف الشيء على مرادفه[٤] ومصطلح الترادف الذي استعمله أهل اللغة يوقع الباحث في إشكال ؛ لأنَّ كثيرًا منهم استعمل هذا المصطلح بمعنى التطابق ، ومنهم من نبَّه على أنَّ المراد منه تقارب المعاني لا تطابقها ، فإذا أريد منه تقارب المعاني فهذا لا إشكال من وجوده في كلام الله ، وإذا أريد منه تطابقها فهو عيب لغوي ودلالي ، إن وجد في كلام البشر فلا وجود له في كلام الله ؛ لأنَّ البشر لا يهمهم الوقوع في هذا العيب ، بل قد يتعمدونه في الشعر لتوحيد القافية ، أو لإكمال تفعيلاته ، كما جاء في قول أحدهم : وألفى قولها كَذِبًا ومَيْنا ، أمَّا قوله بأنَّ البعد والسحق بمعنى واحد فخطأ ؛ لأنَّ

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٦-٢٠٦ ونزهة الأعين ١١٣-١١٤ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٥

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٢٢/١

(٣) إعراب القرآن ص ٤١-٤٢

(٤) ينظر : مغني اللبيب ٣٥٧/٢ والأشباه والنظائر للسيوطي ٩٩/٢

الفرق بينهما ظاهر ، فأين السحق من البعد ؟! ومعاجم اللغة نفسها لم تذكر أنَّ السحق يعني البعد ، بل جعلوه أحد معنييه قال الخليل : ((السَّحْق دون الدَّق ... وقالوا للثوب البالي : سحقه البِلى ودعكه اللُّبْسُ ، قال (من الوافر) :

وليس عليك إلّا طَيْلَسانٌ نَصيبيٌّ وإلّا سَحْقُ نِيمِ

وقال (الرجز) : سَحْقُ البِلى جدَّتَه فانسحقا

وهو يسحقُه سَحْقًا ، ويقال : سَحَقَه وسَحَجَه : إذا طرده طردًا شديدًا ، قال (من المنسرح) :

كانت لنا جارة فأزعجها قاذورة تسحق النَّوى قُدُما

والسُّحْقُ : البعد ، ولغة أهل الحجاز : بُعْدٌ له وسُحْقٌ ، يجعلونه اسمًا ، والنصب على الدعاء عليه ، أي : أبعده اللهُ وأسحقه ، وأتان سَحوق ، وحمار سحوق ، وهي طوال المَسانّ ، ويجمع على سُحُق ، قال (الوافر) :

يُمَنِّيني النسيبُ قُبيلَ شهر وقد أعيتنيَ السُحُق الطِّوالُ

والعين تسحق الدَّمع سحقًا ، ودمع منسحق ، ودموع مساحيق ، كما تقول : منكسر ومكاسير...ومكان سحيق ، أي : بعيد ، والسَّوحَق : الطويل)) [١]

وقد جعل ابن فارس للسحق أصلين ((أحدهما البعد ، والآخر إنهاك الشيء حتى يبلغ به إلى حال البلى ، فالأول السحق ، وهو البعد ، قال الله جل ثناؤه : (فَسُحْقًا لاصْحَابِ السَّعِيرِ){الملك : ١١} ...والأصل الثاني : سحقتُ الشيء أسحقه سحقًا ، والسحق : الثوب البالي ، ويقال : سحقه البلى فانسحق))[٢] والصحيح أنَّ السحق لا يعني البعد ، بل هو كما قال : ((إنهاك الشيء حتى يبلغ به إلى حال البلى)) وهذا هو المعنى الذي جعله الراغب

---

(١) العين ص ٤١٣

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٣١

للسحق ، ومن دون أن يشير إلى أنَّ السحق قد يرد بمعنى البعد ، فقد قال : ((السَّحْقُ تفتيت الشيء ، ويستعمَل في الدواء إذا فُتِّتَ ، يقال : سحقته فانسحق ، وفي الثوب إذا أخلق ، يقال : أسحق ، والسَّحْقُ : الثوب البالي ، ومنه قيل : أسحق الضرع ، أي : صار سَحْفًا لذهاب لبنه ... وقيل : أبعده الله وأسحقه ، أي : جعله سحيقًا ، وقيل : سحقه ، أي : جعله باليًا ، قال تعالى : (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {١٠} فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لاصْحَابِ السَّعِيرِ){الملك :١٠- ١١} وقال تعالى : (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ){الحج : ٣١}))[١]وقال الفيروزآبادي : ((وسَحَقَتِ الرياحُ الأرضَ قشرتها بشدة هبوبها ، وسحقه البلاءُ ومحقه فانسحق ، ولعن الله السَّحاقات ، وقد سحقتْها وساحقتْها ، وهما تتساحقان ، وسحقت العينُ الدَّمعَ صبَّته))[٢]

فهذا هو معنى السَّحْق ، والبعد خلاف القرب[٣] أمَّا جعل السحق بمعنى البعد فهو من باب التعبير عن شدته ، فالمكان البعيد جدًّا يُسمَّى سحيقًا ؛ لأنَّه لشدة بعده ينسحق الشيء فيه ، ولم يرد السحق في القرآن الكريم إلّا في الموضعين المذكورين ، فقوله تعالى : (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) ليس معناه : في مكان بعيد ؛ لأنَّه لو أراد معنى البعد لاستعمل لفظه ، أو قال : في مكان عميق ؛ كما قال تعالى : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ){الحج : ٢٧} فعبَّر عن شدة بعد أوطان الزائرين عن بيت الله الحرام الذي جاؤوا لزيارته والحج فيه بالعمق ؛ لأنَّ الشيء البعيد جدًّا عنك يكون في عمق وأسفل منك ؛ لكون الأرض

---

(١) المفردات ص ٢٣٤ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٠١/٣

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢٠١/٣

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ١٠٠والمفردات ص ٥٨

كروية ، وهذا من أعجاز القرآن الكريم في هذا المجال ، فقوله تعالى إذن (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) ليس معناه : كما ذكرتُ : في مكان بعيد ، بل قد يكون البعيد خيرًا من المكان القريب ، بل المعنى : في مكان ينسحق فيه الشيء ، وهو ملائم لعقوبة مَن يشرك بالله ؛ لأنَّه لا ذنب أعظم منه ، قال تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا){النساء : ٤٨} وقال تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا بَعِيدًا){النساء : ١١٦} وقال تعالى : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ){لقمان : ١٣}

وقد ورد البعد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، ووردت بصيغة (بُعْدًا) في ستة مواضع منها قوله تعالى : (وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ){هود : ٤٤} والمراد الدعاء عليهم بالهلاك والبعد من رحمة الله ونحوه[١] وكذلك قوله تعالى (فَسُحْقًا لاصْحَابِ السَّعِيرِ) يراد منه الدعاء عليهم بالهلاك والبعد من رحمة الله[٢]

فلا معنى إذن من جعل السحق في قوله تعالى (فَسُحْقًا لاصْحَابِ السَّعِيرِ) بمعنى البعد ؛ لأنَّ (سُحْقًا) و(بُعْدًا) أريد من كليهما الدعاء على الظالمين بالبعد من رحمة الله ، وبما أنَّ البعد يعني خلاف القرب ، والسحق يعني التفتيت يكون الدعاء بالسحق أشد من الدعاء بالبعد ؛ لذلك استعمل الأول من دون الثاني في قوله تعالى : (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لاصْحَابِ

---

(١) ينظر : الوسيط للواحدي ٥٧٥/٢ والكشاف ٣٨٣/٢ وزاد المسير ٨٧/٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٣/٩ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٣٦/٣ ومدارك التنزيل ص ٤٩٨ وتفسير ابن كثير ٢٢٧/٤

(٢) ينظر : الوسيط للواحدي ٣٢٨/٤ والمحرر الوجيز ٣٤٠/٥ وأنوار التنزيل ٢٢٩/٥ ومدارك التنزيل ص ١٢٦٣

السَّعِيرِ) لأنَّه كان دعاء عليهم ، وهم في النار ، جاء في تفسير هذه الآية ((قال سعيد بن جبير ، وأبو صالح : السحق : واد في جهنم ، يقال له سُحْق)) [١] وجاء في الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم [٢] وفي حديث آخر : لا يدخل أحد النار إلّا وهو يعلم أنَّ النار أولى به من الجنة))[٣]

فقد صحَّ عطف الفرقان على الكتاب في قوله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) لأنَّ معنى الفرقان غير معنى الكتاب ، وإن كان المراد من كليهما التوراة[٤] وهذا ((العطف من قبيل عطف الصفات للإشارة إلى استقلال كلٍّ منها ، فإنَّ التوراة لها صفتان كونها كتابًا ، وكونها فرقانًا تفرّق بين الحق والباطل))[٥] أي : صحَّ هذا العطف ؛ لأنَّه أراد هذين المعنيين الخاصّين المختلفين في الدلالة ، لا معنى اسم التوراة العام الذي يجمع بينهما في هذه الدلالة العامَّة

ومن أوضح الأمثلة في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾{الأعلى : ١-٤} فقد كرر المعطوف ،

---

(١) زاد المسير ٨٨/٨ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٨/١٨ وفتح القدير للشوكاني ٣٢٣/٥

(٢) صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع

(٣) تفسير ابن كثير ١٤٢/٨

(٤) ينظر : الكشاف للزمخشري ١٤٢/١ وزاد المسير ٧٠/١-٧١ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٨٠/١

(٥) روح المعاني للآلوسي ٢٦٠/١

والمعطوف عليه واحد ، وجاز ذلك ؛ لأنّه أراد عطف الصفات بعضها على بعض لا عطف الموصوف .

ومن ذلك قوله تعالى : (الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ){الحجر : ١} فالقرآن هو الكتاب ((وذكر بالصفتين لما فيهما من الفائدتين)) [١] والكتاب : ما يُكتَب أو المراد به اللوح المحفوظ ، وأراد تسمية القرآن بالكتاب الذي تنطبق عليه هذه التسمية بأنَّه الكتاب المنَزَّل ، والكامل بتشريعاته وأحكامه وعقائده ، أي : كأنَّه أراد جميع القرآن ، وأراد بالقرآن صفة من صفاته ، وهو كونه يفرِّق بين الحق والباطل ، وبين الحلال والحرام ((وفي جمع وصفي الكتابية والقرآنية من تفخيم شأن القرآن ما فيه حيث أشير بالأول إلى اشتماله على صفات كمال جنس الكتاب الإلهية فكأنَّه كلّها ، وبالثاني إلى كونه ممتازًا عن غيره ، نسيج وحده ، بديعًا في بابه ، خارجًا عن دائرة البيان ، قرآنًا غير ذي عوج)) [٢]

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ){النمل : ١} وهذا العطف في فاتحة سورة النمل هو كالذي في فاتحة سورة الحجر ، إلّا أنَّه أخَّر ههنا الوصف بالكتابية عن الوصف بالقرآنية [٣] ((والمراد نفس القرآن فيكون من عطف بعض الصفات على بعض ، والمدلول واحد)) [٤] وهو المدلول العام لا المدلول الخاص ((وقوله تعالى (وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) عطف على (الْقُرْآنِ) والمراد به القرآن مع اتحاده معه في

---

(١) الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي ص ١١١

(٢) روح المعاني للآلوسي ٢٥٠/٧

(٣) ينظر : روح المعاني للآلوسي ٢٥٠/٧

(٤) الدر المصون ٥٦٩/٨

الصدق ، كعطف إحدى الصفتين على الأخرى ، كما في قولهم : هذا فعل السخي والجواد الكريم))[1]

فقد جاز عطف الفرقان على الكتاب في قوله : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) وإن كان المراد منهما التوراة ؛ لأنَّه أريد من الفرقان الفرقان بعينه ، ومن الكتاب الكتاب بعينه ، أي : أريد من كلٍّ منهما معناه الخاص به ، وكذلك جاز عطف القرآن على الكتاب ، وعطف الكتاب على القرآن ، في قوله تعالى : (الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ) وقوله تعالى : (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) وإن كان المراد منهما القرآن الكريم ؛ لأنَّه أريد من القرآن القرآن بعينه ، ومن الكتاب الكتاب بعينه ، أي : أريد من كلٍّ منهما معناه الخاص به ؛ فقد جاز هذا العطف وذاك ؛ لأنَّ المعاني الخاصة هي المقصودة في القرآن الكريم .

والوجوه المنسوبة إلى مئات الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه جاز أن يقع بعضها موقع بعض لكونها مترادفة ، لا لكونها متطابقة ، والمترادفات تفترق عن بعضها في معانيها الخاصَّة وإن اتحدت في المعنى العام ، وهذه حقيقة صرَّح بها ابن قتيبة وغيره ، فقد ذكر أنَّ أصل الهدى الرشاد ، وقال بعد أن عدد أوجه الهدى : ((وبعض هذا قريب من بعض))[2] وقال الفيروزابادي : ((قال ابن عطية : الهداية في اللغة : الإرشاد ، لكنها تتصرَّف على وجوه يعبِّر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد ، وكلها إذا تُؤمِّلتْ رجعت إلى الإرشاد ، انتهى كلامه ، وهو صحيح ...والأصل عدم الاشتراك)) [3] وهذه الحقيقة صرَّح بها أيضًا أبو هلال العسكري نفسه الذي

---

(١) روح المعاني ١٥٢/١٠ وقد فرّق العسكري بين السخاء والجود . الفروق ص ١٩٦

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٨ .

(٣) بصائر ذوي التمييز ٣١٢/٥ ، وينظر : المحرر الوجيز تفسير ابن عطية ٧٢/١ .

صنَّف كتابًا في الوجوه وكتابًا في الفروق اللغوية ، فقد جعل مثلًا الاستغفار في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : التوبة ، والصلاة ، وطلب المغفرة ، فجعل الاستغفار بمعنى التوبة في كتابه الوجوه والنظائر[١]إلّا أنَّه فرَّق بينهما في كتابه الفروق اللغوية فذكر نفسه أنَّ هناك فرقًا في الدلالة بين الاستغفار والتوبة ، وهو أنَّ الأول يعني طلب المغفرة باللسان والدعاء ، والثاني يكون بالطاعة والإحساس بالندم[٢]

وجعل ((السلام : في القرآن على ستة أوجه ...السادس : التحية ...قال : (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ){النور : ٤٤}))[٣] فقد جعل السلام بمعنى التحية في كتابه : الوجوه والنظائر ، إلّا أنَّه فرَّق بينهما في كتابه : الفروق اللغوية ، فقال : ((إنَّ التحية أعمُّ من السلام ، قال المبرد : يدخل في التحية : حياك الله ، ولك البشرى ، ولقيت الخير ، وقال أبو هلال أيده الله ، ولا يقال لذلك سلام ، إنَّما السلام قولك : سلام عليك))[٤]

وقال في كتابه : الوجوه والنظائر ((الظن في العربية على وجهين : الشك واليقين ، وقد جاء في القرآن كذلك))[٥] وقال في كتابه الفروق اللغوية : ((الفرق بين الظن والشك أنَّ الشك استواء طرفي التجويز ، والظن رجحان أحد طرفي التجويز ... ويجوز أن يقال : الظن : قوة المعنى في

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٣٦-٣٨

(٢) ينظر : االفروق اللغوية ص ٢٦٤ .

(٣) الوجوه والنظائر ١٨٥ .

(٤) الفروق اللغوية ص ٧١ .

(٥) الوجوه والنظائر ص ٢٣٥.

النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة ، وليس كذلك الشك الذي هو وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر))[١]

فالذي مكَّن إذن مقاتل ومقلديه من اختلاق الأوجه لمئات من الألفاظ القرآنية جواز وقوع بعضها موقع بعض لترادفها وتقارب معانيها وهذا ما صرح به العسكري نفسه بقوله : ((والمشي في القرآن على أربعة أوجه : الأول : مجيئه بمعنى المشي ... الثاني بمعنى المرور ... الثالث : السير ... وهذه المعاني كلّها متقاربة ، يجوز أن يقع بعضها مقام بعض . الرابع : النماء)) [٢] وبقوله : ((التقى : وهو في القرآن على خمسة أوجه : الأول : بمعنى الخشية ... الثاني : بمعنى العبادة ... الثالث : الإيمان ... والرابع : الإخلاص ... والخامس : الانتهاء إلى المأمور به ، وترك تجاوزه ... وكل هذه الوجوه متقاربة ، يجوز قيام بعضها مقام بعض))[٣]

وأهل اللغة عندما ذكروا أنَّ هذه الأوجه أو تلك متقاربة في معانيها ، يعني أنَّ بينها فروقًا معنوية خاصَّة ، والقرآن الكريم مااستعمل لفظًا من دون مرادفاته إلّا لأنَّه أراد معناه الخاصَ ، فجعله ضمن المعنى العام تحريف لدلالته ، وكتاب الفروق اللغوية للعسكري مبنيٌّ في كلِّ أبوابه على بيان الفروق الدلالية بين الألفاظ المترادفة المتقاربة في معانيها

---

(١) الفروق اللغوية ص ١١٣ .

(٢) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٠٧ وينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٠٤-١٠٥وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ٣١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٤١٤-٤١٥.

(٣) الوجوه والنظائر ص ١٠٢-١٠٣ وينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٦٥-١٦٦وباسم الوجوه والنظائر ص ٥٧-٥٨ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٠٥-١٠٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٧-٨٨ .

معنى اللفظ بين كتب الوجوه وبين كتب اللغة والتفسير :

هناك فروق بين المعنى الذي يُنسَب إلى اللفظ الذي يقال به في كتب الوجوه ، وبين المعنى نفسه الذي يُعرَّف ويُفسَّر به اللفظ نفسه في كتب اللغة والتفسير ، ويمكن إجمال هذه الفروق بما يأتي :

الأول : أنَّ المعنى الذي يُنسَب إلى اللفظ في باب الوجوه يقال به على أنَّه يعني اللفظ بعينه ، أمَّا المعنى الذي يُعرَّف ويُفسَّر به اللفظ في باب اللغة والتفسير يقال به على أنَّه المعنى القريب منه لا على أنَّه يعنيه بعينه

الثاني : أنَّ المعنى الذي يُنسَب إلى اللفظ في باب الوجوه يقال به على سبيل القطع والتعيين ، أمَّا في باب اللغة والتفسير فيقال به لإيضاح معناه وفهم المراد منه

الثالث : لمَّا كان الغرض في باب اللغة والتفسير إيضاح المعنى وفهم المراد من اللفظ بالمعنى القريب منه ، جاز تعريفه وتفسيره بالمعاني الأخرى التي هي أيضًا قريبة من معناه ؛ لذلك لا يكون هناك لمعنى اللفظ قول واحد كما هو الحال في باب الوجوه ، بل جاز أن تتعدد فيه الأقوال

الرابع : لمَّا كان اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فجعله بمعنى لفظ آخر على أنَّه يعنيه بعينه يعني إفراغه من محتواه ، وهذا يُعدُّ هدمًا للمفردة القرآنية ، ويُعَدُّ أيضًا تحريفًا لدلالتها في باب الوجوه ، ولا يُعدُّ هدمًا ولا تحريفًا في باب اللغة والتفسير ؛ لأنَّ أهل اللغة والتفسير غايتهم من جعل اللفظ بمعنى لفظ آخر إيضاح معنى اللفظ بأيِّ معنى كان من المعاني القريبة منه ، لا على أنَّه يعنيه بعينه .

فلا بأس في أن نُعرِّف اللفظ باللفظ المرادف له ، أي : أن نُعرِّفه بالمعنى القريب منه ، بل هذا مما لا مناص منه ، عندما تكون غايتنا هي التعليم عن طريق إيضاح معنى اللفظ بالمعاني القريبة منه ، لكن البأس كل البأس أن ندَّعي أنَّ اللفظ المُفسِّر هو اللفظ المفسَّر بعينه ، وهذا هو

التضمين الذي يعني الادعاء بتطابق معاني الوجوه بمعنى اللفظ ، وهو المنهج الذي قامت على أساسه كتب الوجوه والنظائر ، أمَّا كتب اللغة والتفسير فمنهجها غير قائم على تعريف اللفظ بما يطابقه بل بما يرادفه ويوضِّح معناه

المقدمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ، وخاتَمِ النَّبيين ، وعَلَى آلِهِ وأصْحابِهِ أجْمَعِين ، من الأنصارِ والمهاجرين ، والذين اتبعوهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين

وبعد ، فهذا كتابي : طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه ، أسأل الله ، جلَّ شأنه ، أن ينفع به الباحثين والدارسين ، وأسأله سبحانه ، أن يتقبَّله منِّي عملًا خالصًا لوجهه الكريم ، اللهمَّ آمين .

وبعد ، فقد تضمَّن كتابي : لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر ، دراسة وجوه الألفاظ جميعها التي اشتمل عليها كتاب : الأشباه والنظائر ، لمقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ} والألفاظ التي أضافها هرون بن موسى (ت : ١٧٠} في كتابه : الوجوه والنظائر ، وقد بلغت في الكتابين ٢١١ لفظًا ، وأردت أن تكون هذه الدراسة في كتاب واحد ؛ لذلك أوجزت الكلام في كثير منه ، ومن أجل أن لا أعود إلى الألفاظ التي اشتمل عليها الكتابان المذكوران ، فقد تضمَّن كتابي : طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه ، ألفاظًا أخرى غير التي ذكرها مقاتل وهرون[١] اخترتها من كتب الوجوه التي صُنِّفت بعدهما .

---

(١) ما عدا أربعة ألفاظ : الآخرة ، والإسلام ، والجدال ، والصفّ ، عدتُ إليها ؛ لأني وجدتُ حاجة في دراستها لغرض آخر .

أمثلة على الوجوه الحقيقية : سأذكر فيما يأتي ألفاظًا كانت الأوجه المنسوبة إليها أوجهًا حقيقية ، تُعرِّف إليها من خلال السياق ؛ لندرك من ذلك علامات هذه الأوجه ؛ ولنميز بينها وبين الأوجه المختلقة .

١-الاستحياء (المنسوب إلى الإنسان) : ذكر أصحاب كتب الوجوه أن الاستحياء جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : الاستخدام ، والترك ، والحياء :

الوجه الأول : الاستحياء يعني الاستخدام ، أو الاستبقاء للخدمة ، كقوله تعالى : (وَيَسْتَحْيونَ نِساءَكُمْ){البقرة : ٤٩}

والوجه الثاني : يستحي : يترك ، قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلًا ما){البقرة : ٢٦} أي : لا يترك أن يضرب مثلًا

والوجه الثالث : يستحي من الحياء ، قوله تعالى : (إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ){البقرة : ٥٣}[١]

قال ابن فارس : ((الحاء والياء والحرف المعتل أصلان أحدهما : خلاف الموت ، والآخر : الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة٠٠٠فأمّا حياء الناقة ، وهو فرجها ، فيمكن أن يكون من هذا ، كأنّه محمول على أنّه لو كان ممن يستحيي لكان يستحيي من ظهوره وتكشفه)) [٢]

وهذان الأصلان يمثلان وجهي الاستحياء في القرآن الكريم : الأول من الحياة ، ومعنى يستحيون نساءكم ((يتركون بناتكم أحياء ، وإنّما فعلوا ذلك للخدمة ؛ لأنّ الكهنة أنذروا فرعون بأنّه يولد مولود يزول ملكه

([١]) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٧ ونزهة الأعين ص ٢٠-٢١ وبصائر ذوي التمييز ١٥٥/٢.

([٢]) مقاييس اللغة ص ٢٣٣

بسببه))[1] أي : يبقونهنّ أحياء فلا يقتلونهنّ كما يقتلون الأبناء ، وهذا ما كان يفعله فرعون ببني إسرائيل .

وهذان الوجهان ، كما ترى ، معنيان مختلفان متباينان ، لا تربط بينهما صلة ترادف ، ومعنيان حقيقيان ، لا تربط بينهما صلة مجاز ؛ لذلك لم يُختَلَف بينهما ، ولا تربط بينهما صلة اسم الجنس أو وصف ، أي : لا تربط بينهما صلة الشيء بأنواعه ، وليس للاستحياء معنى مستقل يتميز به ، حتى إذا سمعت أو قرأت لفظ الاستحياء تبادر إلى ذهنك هذان الوجهان ، ولا تستطيع أن تميز بينهما إلّا من خلال السياق ، والسياق ، كما قلتُ غير مرة ، لا يخلق للفظ أية دلالة كانت ، وإنّما دوره مقتصر على تعيين دلالة من دون غيرها ، موجودة ومعروفة أصلًا في اللفظ قبل دخوله في التركيب ، وهذان لا يكون إلّا في اللفظ المشترك .

فيكون للاستحياء وجهان : الأول ما كان من الحياة ، والثاني : ما كان من الحياء ، أمّا وجه الترك فهو وجه مختلق بطريقة التأويل سنبسط القول فيه في موضعه : طريقة التأويل .

٢-**الحميم** : تضمن كتابي السابق : لا وجوه ولا نظائر ، دراسة وجوه الألفاظ التي اشتمل عليها كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل ، وما أضافه هرون بن موسى إلى أشباه مقاتل في كتابه : الوجوه والنظائر ، وقد بلغت في الكتابين ٢١١ لفظًا ، ولم أجد من بين هذه الألفاظ التي صحَّت نسبة الأوجه إليها إلّا سبعة ألفاظ ، منها لفظ الحميم ، وفيما يأتي نص ما جاء فيه : ((قال مقاتل : ((تفسير الحميم على وجهين ، فوجه منهما الحميم ، يعني القريب ذا الرحم ، فذلك قوله في سأل سائل : ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾{المعارج : ١٠} يعني قريبًا ، وقال في الشعراء : ﴿وَلا صَدِيقٍ

([1]) مدارك التنزيل ص ٥١

حَمِيمٍ)}الشعراء : ١٠١} يعني قريب ، وقال : (كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)}فصلت : ٣٤} يعني القرابة ، والوجه الثاني : حميم الحار ، فذلك قوله في المفصل : (وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ)}محمد : ١٥} يعني حارًّا ، وقال : (يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ)}الحج : ١٩} يعني الحار من الماء ، ونظيرها في الدخان ، وقال أيضًا في الصافات : (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ)}الصافات : ٦٧} يعني الحار ، وقال في الرحمن : (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ)}الرحمن : ٤٤} يعني حارًّا قد انتهى حره)) [١]

وما قاله مقاتل قاله هرون بن موسى [٢]، والدامغاني [٣]، وابن الجوزي [٤] مستشهدين بالآيات نفسها .

هذا هو اللفظ الخامس والسبعون بعد المئة الذي يُعد بحق من الألفاظ المشتركة ، فهذان الوجهان للفظ الحميم لا شك فيهما ولا اختلاف ، وهما يعدان ، كما ترى ، معنيين حقيقيين متباينين ، لا تربط بينهما صلة ترادف ولا مجاز ولا وصف ، وأي صلة أخرى غير صلة اللفظ المشترك ، وليس لكل منهما لفظ آخر يعبر عنه غير اللفظ المشترك ، حتى إذا فُسِّر ، فُسِّر بأقرب المعاني إليه ، فيقال عن الأول : هو القريب ذو الرحم ، ويقال عن الثاني : هو الماء الحار وكذلك اللفظ المشترك (الحميم) ، ليس له معنى مستقل عن هذين المعنيين)) حتى إذا سمعتَ أو قرأتَ لفظ الحميم تبادر إلى ذهنك هذان الوجهان ، ولا تستطيع أن تميز بينهما إلّا من خلال السياق ، والسياق ، كما قلتُ ، لا يخلق لِلَّفظ أية دلالة كانت ، وإنّما دوره مقتصر على تعيين دلالة من دون غيرها موجودة ومعروفة أصلًا في اللفظ

([١]) الأشباه والنظائر ص٣٢٠ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٣

([٢]) ينظر : الوجوه والنظائر ص٢٢٦

([٣]) ينظر : الوجوه والنظائر ص١٦٧-١٦٨

([٤]) ينظر : نزهة الأعين ص ٩٤-٩٥ ومنتخب قرة العيون ص ٩١ .

قبل دخوله في التركيب ، وهذا لا يكون إلّا في اللفظ المشترك ، كما هو الحال في الحميم .

ومن علامات الأوجه الحقيقية أنّه لا يمكن أن تستبدل شواهد بعضها ببعض ، فوجه القريب أو القرابة الذي جُعِل الوجه الأول في قوله تعالى : (وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا){المعارج : ١٠} وقوله تعالى : (وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ){الشعراء : ١٠١} وقوله تعالى : (كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ){فصلت : ٣٤} لا يمكن أن تجعله بمعنى الماء الحارّ ، وكذلك معنى الماء الحارّ الذي جُعِلَ الوجه الثاني في قوله تعالى : (وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ){محمد : ١٥} وقوله تعالى : (يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ){الحج : ١٩} وقوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ){الصافات : ٦٧} وقوله تعالى : (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ){الرحمن : ٤٤} لا يمكن أن تجعله بمعنى القريب ؛ ولأنّ اللفظ المشترك (الحميم) ليس له معنى مستقل يميزه من معنيي وجهيه ، لا يكون هناك اختلاف في المعنى بينه وبينهما ، أي : أنّ معنى اللفظ المشترك يكون مطابقًا لمعنى الوجه الأول في كلِّ شواهده ، كما يكون بالقدر نفسه مطابقًا لمعنى الوجه الثاني في كلِّ شواهده ، وأنتَ ترى أنّه لم يُختَلَف في هذين الوجهين وشواهدهما

٣-**الحُسبان** : يُعدّ هذا اللفظ من الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم ، وقد جعله الحيري على وجهين :

الأول : الحساب ، أي : حساب الأوقات كقوله تعالى : (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا){الأنعام : ٩٦} وقوله تعالى : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ){الرحمن : ٥}

الثاني : الصاعقة أو العذاب ، وجاء في موضع واحد هو قوله تعالى : (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء){الكهف : ٤٠}[١]

([١]) ينظر : وجوه القرآن ص ١٨٥-١٨٦

وهذان الوجهان كوجهي الحميم معنيان متباينان ، لا تربط بينهما صلة ترادف ، ومعنيان حقيقيان ، لا تربط بينهما صلة مجاز ؛ لذلك لم يُختَلَف فيهما ، ولا تربط بينهما صلة اسم جنس ، أو وصف ، أي : لا تربط بينهما صلة الشيء بأنواعه ، وكذلك لا يمكن أن تستبدل شواهد بعضها ببعض ، فوجه حساب الأوقات في قوله تعالى : (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا) وقوله تعالى : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) لا يمكن أن تجعله بمعنى الصاعقة والعذاب ، ووجه الصاعقة والعذاب في قوله تعالى : (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء) لا يمكن تجعله بمعنى حساب الأوقات ؛ لأنّهما وجهان لا تربط بينهما أية صلة كانت غير صلة اللفظ المشترك

٤-**العصر** : ذكر الدامغاني والفيروزآبادي للعصر أربعة أوجه :

الوجه الأول : العصر : الدهر ، كقوله تعالى : (وَالْعَصْرِ {١} إِنَّ الأنسَانَ لَفِي خُسْرٍ){العصر : ١-٢}

والوجه الثاني : العصر من التعصير ، كقوله تعالى : (عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ){يوسف : ٤٩} هذا شاهد الدامغاني ، وشاهد الفيروزآبادي ، قوله تعالى : (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا){يوسف : ٣٦}

والوجه الثالث : العصر : الشدة ، كقوله تعالى : (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ){البقرة : ٢٦٦} يعني : ريحًا شديدة باردة ، أو حارَّة ، وقوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا){النبأ : ١٤}

والوجه الرابع : النجاة من القحط ، كقوله تعالى : (عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ){يوسف : ٤٩} [١]

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٤١ وبصائر ذوي التمييز ٧١/٤

قال ابن فارس : ((العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة : فالأوَّل : العَصْرُ ، وهو الدهر ، قال الله : (وَالْعَصْرِ {١} إِنَّ الأنسَانَ لَفِي خُسْرٍ){العصر : ١-٢} وربَّما قالوا عُصُر ، قال امرؤ القيس :

ألا أنعِمْ صباحًا أيُّها الطلل البالي وهل يَنْعَمَنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي

قال الخليل : والعصران : الليل وانهار ٠٠٠قالوا : وبه سُمِّيتْ صلاة العصر؛ لأنَّها تُعصَر ، أي : تُؤخَّر عن صلاة الظهر ، والغداة والعشي يسميان العصرين٠٠٠وروي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : حافظْ على العصرينِ ، قال الرجل : وما كانت من لغتنا ، فقلتُ : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها ، فأمَّا الجارية المُعْصِر فقد قاسه ناس هذا القياس ، وليس الذي قالوه ببعيد ، قال الخليل وغيره : الجارية إذا رأت في نفسها زيادة الشباب فقد أعْصَرَتْ ، وهي مُعْصِر بلغتْ عصر شبابها ، وإدراكها ، قال أبو ليلى : إذا بلغت الجارية وقَرُبتْ من حيضها فهي مُعْصِر ٠٠٠قال قوم : سُمِّيتْ مُعْصِرًا ؛ لأنَّها تغيَّرتْ عن عصرها .

والأصل الثاني : العُصارة : ما تحلَّب من شيء ، وهو العصير٠٠٠وقال ابن السكيت : تقول العرب : لا أفعله ما دام الزيت يُعْصَر٠٠٠ومن الباب : المُعْصِرات : سحائب تجيء بمطر ، قال الله سبحانه : (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا){النبأ : ١٤} وأُعْصِرَ القوم : إذا أتاهم المطر ، وقرئت : (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُعْصَرُونَ){يوسف : ٤٩} أي : يأتيهم المطر ، وذلك مشتق من عصر العنب وغيره ، فأمَّا الرياح وتسميتهم إيَّاها المُعْصِرات فليس يبعُد أن يُحمل على هذا الباب من جهة المجاورة ؛ لأنَّها لمَّا أثارت السحاب المعصرات ، سُمِّيت معصِرات وإعصارًا٠٠٠والإعصار : الغبار الذي يسطع مستديرًا ، والجمع : الأعاصير قال :

بينما المرء في الأحياء مغتبطًا إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير ويقال في غبار العجاجة أيضًا : إعصار ، قال الله تعالى : (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ){البقرة : ٢٦٦} ويقال للغَلَّة عُصارة ، وفسِّر قوله تعالى : (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ){يوسف : ٤٩} قال يستغلون بأَرَضيهم ، وهذا من القياس ؛ لأنَّه شيء كأنَّه اعتُصِر، كما يُعتَصَر العنب وغيره .

والأصل الثالث : العَصَر : الملجأ ، يقال : اعتصر بالمكان : إذا التجأ إليه))[1] وقال الراغب : ((العَصْرُ : مصدر عصرتُ٠٠٠(وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا){النبأ : ١٤} أي : السحائب التي تعتصر بالمطر ، أي : تصبُّ ، وقيل : التي تأتي بالإعصار ، والإعصار : ريح تثير الغبار ، قال تعالى : (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ){البقرة : ٢٦٦} والاعتصار أن يُغَصَّ فيُعْتَصَر بالماء ، ومنه العَصْرُ ، والعَصَرُ : الملجأ ، والعَصْرُ والعِصْرُ : الدهر ، والجميع : العصور ، قال تعالى : (وَالْعَصْرِ {١} إِنَّ الأنسَانَ لَفِي خُسْرٍ){العصر : ١-٢}))[2] وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ){النبأ : ١٤} هي السحائب ؛ لأنَّها تعتصر المطر ، أي : تَغَصُّ به٠٠٠وقيل : هي الرياح ؛ لأنَّها تعصر السحاب ، فينزل منها المطر ، وهو مروي عن ابن عباس٠٠٠قوله تعالى : (وَفِيهِ يُعْصَرُونَ){يوسف : ٤٩} أي : يعصرون الزيت من الزيتون ، وقيل : معناه : ينجون من الجدب ، ويعتصمون بالخصب٠٠٠والعصر : الزمان٠٠٠والعصر : أيضًا وقت هذه الصلاة المعروفة بخصوصها ؛ لأنَّها فُعِلتْ في وقت ، واللغة ليست بقياس ، وتسمى كل صلاة عصرًا ، والعصران : الليل والنهار ، وقيل : الغداة والعشي)) [3]

([1]) مقاييس اللغة ص ٦٨٠-٦٨٢

([2]) المفردات ص ٣٤٩

([3]) عمدة الحفاظ ٣/٨٢-٨٣

جعل الدامغاني العصر في الوجه الثالث بمعنى الشدة ، في قوله تعالى : (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) وقوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا) وقد تقدم أنَّ الإعصار ، والمعصرات ، سميا كذلك ؛ لأنَّها تعتصر السحائب فينزل منها المطر ، فيرجعان كلاهما إلى معنى التعصير ، والمعنى أنَّ الرياح الشديدة سُمِّيتْ إعصارًا ؛ لأنَّها عصرتْ لشدتها ما يُنعَمون به من نِعَم فتركتها خاوية على عروشها ، فيكون هذا الوجه بمعنى الوجه الثاني .

وجعل الفيرزآبادي العصر في الوجه الرابع بمعنى : النجاة من القحط ، في قوله تعالى : (عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (يَعْصِرُونَ) بالياء ، وقرأ حمزة والكسائي (تَعْصِرُونَ) بالتاء ، واحتملت هاتان القراءتان أمرين :

الأول : وهو الأكثر والأشهر أن تكون من التعصير (بفتح العين وسكون الصاد) أي : يعصرون ما من شأنه أن يُعْصَر من العنب ، والقصب ، والزيتون ، والسمسم ، ونحوها من الفواكه لكثرتها ، وفسَّر بعضهم يعصرون بمعنى يحلبون ، وكأنَّه مأخوذ من العصر المعروف ؛ لأنَّ في الحلب عصر الضرع ؛ ليدرّ ما فيه

الثاني : أن تكون من العَصَر (بفتح العين والصاد) أو من العُصْر (بضم العين وسكون الصاد) أو من العُصْرَة ، وهو الملجأ والمنجاة ، والمعنى : وفيه ينجون من البلاء والجدب ، ويعتصمون بالخصب[1]

([1]) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٢١ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢١٨ وجامع البيان للطبري ٢٧٦/١٢-٢٧٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩٣/٣والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٣٠٣/٣ وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه الأصبهاني ص ١٨٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٨/٩ وفتح القدير للشوكاني ٣٩/٣ وروح المعاني للآلوسي ٤٤٥/٦-٤٤٦

والصحيح أنَّ المراد من العصر في الوجه الرابع في قوله تعالى : (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) العصر المعروف الذي هو من التعصير ، فيكون هذا الوجه أيضًا بمعنى الوجه الثاني ، ولو صحَّ أنَّه بمعنى النجاة من الجدب والاعتصام بالخصب فهو وجه مأخوذ من صيغة تختلف عن العَصْر بالحركة ، والوجوه الحقيقية هي ما عادت إلى الصيغة نفسها بأحرفها وحركاتها

وقد جعلوا العصر في الوجه الأول بمعنى الدهر ، وقد نوَّهت من قبل أنَّ الوجه ينبغي أن يُشرَح معناه من دون تضمينه معنى لفظ آخر ، وإن اتحد معه في المعنى العام ؛ لأنّه لا تضمين في كتاب الله ؛ ولأنَّ في التضمين تحريفًا لدلالة اللفظ ، فقد جعلوا العصر بمعنى الدهر ، والعصر غير الدهر ، فقد عرَّف العسكري الدهر بأنَّه ((جمع أوقات متوالية ، مختلفة كانت أو غير مختلفة)) [١] وقال في ((الفرق بين الدهر والعصر أنَّ الدهر ما ذكرناه ، والعصر لكلٍّ مختلفين معناهما واحد ، مثل : الشتاء والصيف ، والليلة واليوم ، والغداة والسحر ، يقال لذلك كلِّه عصر)) [٢] فالدهر ما دلَّ على زمان ممتد غير محدد ، والعصر ما دلَّ على زمان معيَّن له حدود تفصله عمَّا قبله وعمَّا بعده ، طال هذا الزمان أم قصر ، لذلك صحَّ أن يسمَّى كلًّا من الليل ، والنهار ، والغداة ، والسحر ، عصرًا ، ولذلك يقال : العصر الجاهلي ، والعصر الإسلامي ، والعصر الأموي ، والعصر العباسي ، ولا يقال : الدهر الجاهلي ، أو الدهر الإسلامي ، أو الدهر الأموي ، أو الدهر العباسي ، ويقال : عصر الصحابة ، وعصر التابعين ، ولا يقال دهر الصحابة ، أو دهر التابعين ، فبين العصر والدهر فرق ظاهر فجعله

([١]) الفروق اللغوية ص ٣٠١

([٢]) الفروق اللغوية ص ٣٠٣

بمعناه تحريف ظاهر ، لذلك وجب التعبير عن معنى الوجه من غير تضمين .

فلفظ العصر يُعدَّ بحق من الألفاظ المشتركة ، وله وجهان :

الأول : ما دلَّ على زمن معيَّن محدود .

والثاني : الضغط على الشيء لاستخراج ما فيه .

وهذان الوجهان كوجهي الحميم والحسبان لا تربط بينهما أية صلة كانت غير صلة اللفظ المشترك

٥-**المنُّ** : ذكر الحيري والدامغاني للمنِّ سبعة أوجه

الوجه الأول : استصغار الفقير ، كقوله تعالى : (ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى)[البقرة : ٢٦٢] وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى)[البقرة : ٢٦٤] هذا كلام الحيري ، وجعله الدامغاني بمعنى العجب والأذى ، وهو أن يمنَّ على الله بصدقته

الوجه الثاني : التفضيل والإنعام ، كقوله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ)[آل عمران : ١٦٤]

الوجه الثالث : المنُّ والعلو بحسن ، كقوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى)[البقرة : ٥٧] هذا كلام الحيري ، أمَّا الدامغاني فقد جعله بمعنى التَّرَنْجِبِين

الوجه الرابع : الإعطاء ، كقوله تعالى : (وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ)[المدثر : ٦]

الوجه الخامس : المنَّة بعينها ، كقوله تعالى : (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلأيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[الحجرات : ١٧]

الوجه السادس : الإطلاق من الأسر ، كقوله تعالى : (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)[محمد : ٤]

الوجه السابع : الممنون: المقطوع ، كقوله تعالى : ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾{فصلت : ٨} [١]

قال الخليل : ((المنُّ : كان يسقط على بني إسرائيل من السماء ؛ إذ هم في التيه ، وكان كالعسل الحامس حلاوة٠٠٠والمنُّ : قطع الخير ، وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾{فصلت : ٨} أي : غير مقطوع ، والمنُّ : الإحسان الذي تمنُّ على من لا يستثيبه ، والمِنَّة : الاسم ، والله المنَان علينا بالإيمان والإحسان في الأمور كلِّها الحنَّان بنا)) [٢] ذكر الخليل للمنِّ ثلاثة معان أساسية مختلفة :

الأول : ما كان كطعم العسل الحامس حلاوة ، أي : الشديد حلاوة .

الثاني : قطع الخير .

الثالث : الإحسان .

وهذه هي في الحقيقة أوجه المنِّ الثلاثة ، وقال ابن فارس : ((الميم والنون أصلان ، أحدهما يدلُّ على قطع وانقطاع ، والآخر على اصطناع خير ، فالأول : المنُّ : القطع ، ومنه يقال : مننتُ الحبلَ : قطعته ، قال الله تعالى : ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾{التين : ٦} والمَنون : المَنيَّة ؛ لأنَّها تنقص العدد وتقطع المدد، والمنُّ : الإعياء ؛ وذلك أنَّ المُعْيِيَ ينقطع عن السير ، والأصل الآخر : المنُّ : تقول : منَّ يمنُّ منًّا : إذا صنع صنعًا جميلاً٠٠٠وربَّما قالوا : مَنَّ بِيَدٍ أسداها ، وهذا يدلُ على أنَّه قطع الإحسان ، فهو من الأوَّل)) [٣] وسها ، أو أهمل ذكر الأصل الثالث الذي هو ما كان كطعم العسل ، يسقط على بني إسرائيل من السماء ؛ إذ هم في التيه

([١]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص٣٨٦-٣٨٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٣٣

([٢]) العين ص ٩٢٦

([٣]) مقاييس اللغة ص ٨٤١

وقال الراغب : ((والمِنَّة : النعمة الثقيلة ، ويقال ذلك على وجهين : أحدهما : أن يكون ذلك بالفعل ، فيقال : منَّ فلان على فلان : إذا أثقله بالنعمة ، وعلى ذلك قوله : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ)[آل عمران : ١٦٤}٠٠٠وذلك على الحقيقة لا يكون إلّا لله ، والثاني : أن يكون ذلك بالقول ، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلاَّ عند كفران النّعمة ، ولقبح ذلك قيل : المِنَّة تهدم الصَّنيعة ، ولحسن ذكرها عند الكفران ، قيل : إذا كُفِرَتِ النِّعمة حَسُنَتِ المِنَّة ، وقوله تعالى : (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم)[الحجرات : ١٧} فالمِنَّة منهم بالقول ، ومِنَّة الله عليهم بالفعل ، وهو هدايته إيَّاهم كما ذكر ، وقوله تعالى : (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)[محمد : ٤} فالمنُّ إشارة إلى الإطلاق بلا عوض٠٠٠وقوله تعالى : (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)[فصلت : ٨} وقيل : غير معدود ، كما قال تعالى : (وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)[البقرة : ٢١٢} وقيل : غير مقطوع ولا منفوص٠٠٠وقيل : إنَّ المِنَّة بالقول هي من هذا لأنَّها تقطع النِّعمة ، وتقتضي قطع الشكر ، وأمَّا المنُّ في قوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى)[البقرة : ٥٧} فقد قيل : المَنُّ : شيء كالطَّلِّ فيه حلاوة ، يسقط على الشجر ، والسَّلْوى : طائر ، وقيل : المَنُّ والسَّلْوى كلاهما شيء واحد ، لكن سمَّاه مَنًّا بحيث إنَّه امتنَّ به عليهم ، وسمَّاه سَلْوى ، من حيث إنَّه كان لهم التَّسلّي)) [١]

جعل الحيري المنّ في الوجه الأول بمعنى استصغار الفقير ، في قوله تعالى : (ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى)[البقرة : ٢٦٢} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى)[البقرة : ٢٦٤} وجعله الدامغاني بمعنى العجب والأذى ، وهو أن يمنَّ على الله بصدقته ،

([١]) المفردات ص ٤٩٥ وعمدة الحفاظ ٤/١١٤- ١١٧ وبصائر ذوي المييز ٤/٥٢٧-٥٢٨

قال الطبري في تفسير المنّ في هاتين الآيتين : ((أمَّا المنّ ففيه قولان : أحدهما : أنَّه المنّ على الفقير ، ومثل أن يقول : قد أحسنتُ إليك ونعشتُك ، وهو قول الجمهور ، والثاني : أنَّه المنّ على الله تعالى بالصدقة ، روي عن ابن عباس : فإن قيل : كيف مدحهم بترك المنّ ، ووصف نفسه بالمنَّان ؟ فالجواب : أنَّه يقال : منَّ فلان على فلان : إذا أنعم عليه ، فهذا الممدوح٠٠٠وأمَّا الوجه المذموم فهو أن يقال : منَّ فلان على فلان : إذا استعظم ما أعطاه ، وافتخر به))[١] وهذا هو الوجه الأول للمنِّ .

وجعل الحيري المنّ في الوجه الثاني بمعنى التفضيل والإنعام ، في قوله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ) وهذا تابع للوجه الأول ، بل هو من ضمنه

وجعل المنّ في الوجه الثالث بمعنى المنّ والعلو بحسن ، في قوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) أمَّا الدامغاني فقد جعله بمعنى التَّرَنْجِبِين ، ((وكان كالعسل حلاوة ، وكان يقع على أشجارهم بالأسحار ، والسَّلْوى : طائر : كالسماني ، والواحدة سَلْواة)) [٢] وهذا هو الوجه الثاني للمنِّ

وجعل الحيري والدامغاني المنّ في الوجه الرابع بمعنى الإعطاء ، في قوله تعالى : (وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) قال الطبري : ((وقوله : (وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولا تُعْطِ يا محمد عطية لِتُعطى أكثر منها٠٠٠لا تُعْطِ عطية تلتمس بها أفضل منها٠٠٠لا تعط شيئًا لِتُعطى أكثر منه ٠٠٠لا تعط كيما تزداد ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تمنن عملك تستكثره على ربك٠٠٠لا تمنن تستكثر عملك الصالح٠٠٠لا يكثر عملك في عينك فإنَّه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل ،

---

(١) جامع البيان ٢٦١/١

(٢) الوسيط للواحدي ١٤٢/١ وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ١٤٢/١

وقال آخرون في ذلك : لا تمنن بالنبوة على الناس ، تأخذ عليه منهم أجرًا))[1] وهذا الوجه أيضًا ضمن الوجه الأول ، وتابع له

وجعلا المنّ في الوجه الخامس بمعنى المنَّة بعينها ، في قوله تعالى : (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلأيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) وهذا هو معنى الوجه الأول ، وفي حال كون اللفظ من الألفاظ المشتركة ، وله أوجه حقيقية فإنَّه لا يصح أن يقال بأنَّه جاء بمعناه بعينه ؛ لأنَ كلَّ وجه من أوجهه هو بمعناه بعينه ، وإنَّما يتحدد الوجه المراد من خلال التركيب والسياق

وجعل الدامغاني المنّ في الوجه السادس بمعنى الإطلاق من الأسر ، في قوله تعالى : (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) وهذا الوجه أيضًا تابع للوجه الأول

وجعل الدامغاني المنّ في الوجه السابع بمعنى القطع في قوله تعالى : (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) والمعنى : أجر غير مقطوع وغير منقوص[2] وهذا هو الوجه الثالث للمنّ

فلفظ (المنّ) يُعدَّ بحق من الألفاظ المشتركة ، وله أوجه حقيقية ، لكنَّها لم تكن جميع الأوجه السبعة التي ذكرها الحيري والدامغاني ، بل ما صحّ منها ثلاثة في الحقيقة ، أمَّا ما زاد فهي مختلقة ؛ ذلك بجعل مرادفات الوجه أوجهًا أُخَر ، فقد تبيَّن من تعريف أهل اللغة والتفسير للمنِّ بأنَّه جاء في اللغة والقرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : الإحسان إلى الآخرين بالفعل ، أو القول ، والأول ممدوح ، والثاني مذموم يبطل أجر الأول .

والوجه الثاني : قطع الخير والإحسان .

([1]) جامع البيان ١٧٦/٢٩-١٧٨ وينظر : زاد المسير ١٤٧/٨

([2]) ينظر : جامع البيان ١٠٨/٢٤ والوسيط ٢٦/٤ وزاد المسير ٩١/٧

والوجه الثالث : طعام معيَّن كالعسل حلاوة .

وهذه الأوجه كالأوجه السابقة لا تربط بينها أية صلة كانت غير صلة اللفظ المشترك

علامات الوجوه الحقيقية : تبيّن في كتابي السابق : لا وجوه ولا نظائر ، أنّ كتب الوجوه والنظائر قائمة على حقيقة اللفظ المشترك ، أو المشترك اللفظي ، وتبيّن أنّ من بين علامات الوجوه الحقيقية :

١–أن تكون مختلفة ومتباينة .

٢–أن تكون هذه المعاني المتباينة هي معاني اللفظ المشترك ، لا معاني غيره .

٣–أن تكون حقيقية غير مجازية .

٤–أن لا تكون منقولة كالصلاة المعروفة ؛ فإنَّها منقوله من الصلاة التي بمعنى الدعاء

٥–أن تكون حقائق ثابتة موضوعة لها لغة واستعمالًا وعُرْفًا قبل أن تستنبط معانيها من السياق .

٦–وهذا يقتضي أن لا يُختلَف فيها ، وأن لا تتعدد الأقوال في تفسيرها .

٧–أن لا تكون العلاقة بين اللفظ ووجوهه علاقة الشيء بطرقه وأنواعه ، أو علاقة الشيء بأمثلته .

٨–أن يكون الوجه هو المعنى المراد ،

٩–أن لا يصحُ استبدال شاهد أحد الأوجه بشاهد الوجه الآخر .

١٠–أن لا يكون للفظ المشترك معنى يميّزه من معاني الأوجه المنسوبة إليه ؛ لأنّ معناه يكون مطابقًا لمعنى كلِّ وجه من الأوجه المنسوبة إليه بالقدر نفسه وعلى حدٍّ سواء

١١–ومن أوضع علامات الوجوه الحقيقية للفظ أن لا يصحّ الادعاء بجعل أحدها يعني اللفظ بعينه ؛ لأنّ هذا يعني أنّ الوجوه الباقية جميعها لا تعني اللفظ بعينه ، فيكون للفظ بموجب هذا الادعاء معنًى مستقلٌّ خاصٌّ به ، وهذا من أكبر الأدلة على أنّ اللفظ ليس من الألفاظ المشتركة ، وأنّ الوجوه المنسوبة إليه جميعها وجوه مختلقة ، وكثيرًا ما يبطل أصحاب كتب الوجوه وجوههم وينسفونها نسفًا بهذا الدليل من حيث لم يشعروا [١]

لقد كان الغرض الأساسي من تأليف كتابي الأول : لا وجوه ولا نظائر ، أن أثبت أنَّ الوجوه التي نسبها الوجوهيون إلى الألفاظ في مصنّفاتهم لا يصحَّ أن تُسمَّى وجوهًا ؛ لأنَّها لا تعود إلى ألفاظ مشتركة ، والغرض الأساسي من تأليف كتابي الحالي الثاني : طرائق اختلاق الوجوه ، هو أن أبيِّن أنَّ الوجوه المنسوبة إلى الألفاظ الواردة في كتب الوجوه لا ترتبط بها بصلة الاشتراك اللفظي بل بصلات أخرى ، كصلة اللفظ بمرادفاته ، أو لوازمه ، أو صفاته ، أو الموصوفات به ، أو صيغه ، أو مجازاته ، فكانت هذه الصلات ونحوها بمثابة طرائق اتبعها أصحاب كتب الوجوه لاختلاق الوجوه ،

وأصحاب كتب الوجوه غالبًا ما يتبعون طريقتين أو أكثر لاختلاق الأوجه للفظ الواحد ، لذلك سأعنَى في هذه الحالة بدراسة الأوجه والطرائق المعنية من دون أن أهمل التعليق والتعقيب على الأوجه والطرائق الأخرى ؛ لأبيّن وأؤكّد للقارئ أنّه لم تكن الأوجه المعنيّة بالطريقة مختلقة فحسب ، بل كذلك الأوجه الباقية مختلَقة بطرائق أُخَر .

وفيما يأتي دراسة الألفاظ التي أضافتها أشهر كتب الوجوه إلى كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل ، والوجوه والنظائر لهرون بن موسى ، التي اختلقوها

([١]) ينظر : المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٣٦٩/١ ، والكليات للكفوي ص ٧٢ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢/ ٥٢٦ وينظر كتابي : لا وجوه ولا نظائر .

بطرائق عديدة ومختلفة ؛ ولكثرة الألفاظ التي أضافتها هذه الكتب فسأختار لكل طريقة أمثلة معدودة تكون نماذج لباقي الأمثلة التي اختُلِقتْ وجوهها بالطريقة نفسها ومن الله الهدى والسداد .

الطريقة الأولى ، جعل اللفظ بمعاني مرادفاته

وهي طريقة عامّة شائعة ، فكثير من وجوه الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه اختُلِقت بهذ الطريقة ، والألفاظ المترادفة هي المتحدة في المعنى العام ، لكنها مختلفة بمعانيها الخاصة ، والقرآن الكريم يراعي دائمًا المعاني الخاصّة فتكون هي المقصودة من دون معانيها العامة ، فجعل بعضها بمعنى بعض تغيير لدلالتها وهذا ما نوَّه به التهانوي بقوله : ((الإرداف : عند أهل البيان هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبِّر عنه بلفظه الموضوع له ، ولا بدلالة الإشارة بل بلفظ يرادفه ، كقوله تعالى : (وَقُضِيَ الأَمْرُ)}هود : ٤٤} والأصل : وهلك من قضى الله هلاكه ، ونجى من قضى الله نجاته ، وعدل عن ذلك إلى لفظ الإرداف ؛ لما فيه من الإيجاز ، والتنبيه على أنَّ هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بأمر آمر مطاع ، وقضاء من لا يُردُّ قضاؤه ، يدلُّ على قدرة الآمر وقهره ... ولا يحصل ذلك كلّه باللفظ الخاص ، وكذا قوله تعالى : (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ)}هود ٤٤} وحقيقة ذلك : جلستْ ، فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه ، لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن ، لا زيغ فيه ولا ميل ، وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس ، وكذا : (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ)}الرحمن : ٥٦} والأصل عفيفات ، وعدل عنه للدلالة على أنَّهنَّ مع العفة لا تطمح أعينهنَّ إلى غير أزواجهنَّ ولا يشتهين غيرهم))[1] وقال : ((اعلم أنَّ الترادف عند البلغاء على نوعين ، أحدهما جيد ، وهو أن يؤتى بكلمتين لهما معنى واحد ، ولكن ثمة

([1]) كشاف اصطلاحات الفنون تحقيق أحمد حسن بسج ٢/٢٤٥-٢٤٦

فرق بينهما في الاستعمال ، أو أن يكون للكلمة الثانية معنى ثانٍ خاص ، أو أن توصف بصفة خاصة مثل : أرجو وآمل في العربية ، وهما مترادفتان وجيدتان أيضًا ؛ لأنَّ كلمة آمل ، وإن كانت بمعنى الرجاء إلّا أنَّها مخصوصة بكونها لا تستعمل إلّا في مكان محمود ، والنوع الثاني معيب ، وهو الإتيان بلفظتين لهما معنى واحد دون أن يكون لإحداهما أيّ فرق عن الأخرى ، ويسمي بعضهم هذا النوع الحشو القبيح ، كذا في جامع الصنائع ، ويُعد عند بعضهم من باب الإطالة)) [١]

والوجوه قائمة على أساس اللفظ المشترك التي تكون معانيه مختلفة لا متقاربة أو متحدة ، وقد كتب ابن قتيبة في موضوع اللفظ المشترك ووجوهه تحت عنوان : ((باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة))[٢] ((وقد حدَّه أهل الأصول بأنَّه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر)) [٣] هذه هي حقيقة الوجوه أن تكون معانيها مختلفة ((والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ ؛ لمعان متقاربة ، يجمعها معنى واحد)) [٤]

وقال الدكتور رمضان عبد التواب بناء على ما أجمع عليه أهل اللغة : ((ويطلق العلماء على المفردات الدالة على معنى واحد اسم المترادف ، كما يطلقون على الألفاظ الدالة على المعاني المختلفة اسم المشترك اللفظي ، ويطلقون على ذات المعاني المتضادة من هذه الألفاظ اسم الأضداد ... والمترادفات هي : ألفاظ متحدة المعنى ، وقابلة للتبادل فيما بينها في أيِّ سياق ، والترادف التام (يعني التطابق في المعنى) رغم عدم استحالته نادر

---

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم تحقيق رفيع العجم وآخرين ١/٤٠٨-٤٠٩ وكشاف اصطلاحات الفنون تحقيق أحمد حسن بسج ٢/٢٤٨ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٧ وينظر : نزهة الأعين ص ١٢

(٣) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ١/٣٦٩ .

(٤) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ١/٣٧.

الوقوع إلى درجة كبيرة ، فهو نوع من الكماليات التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر ، فإذا ما وقع هذا الترادف التام ، فالعادة أن ذلك لفترة قصيرة محددة ، حيث إنَّ الظلال المعنوية التي تحيط بهذا المدلول لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه ، وكذلك سرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة)) [1]

فثمة حقائق لغوية أجمع عليها أهل اللغة وعلى المصطلحات التي تعبِّر عنها هي :

١-أنَّ اللفظ الذي يدل على معنيين متضادين على حد سواء يدخل في باب الأضداد .

٢-أنَّ المعاني المختلفة التي يُعبَّر عنها بلفظ واحد ، تدخل في باب الاشتراك اللفظي ، وفي باب الوجوه .

٣-أنَّ المعاني المتقاربة التي يجمعها معنى عام واحد تدخل في باب الترادف .

٤-أنَّ الألفاظ المتطابقة في معانيها نادرة الوقوع في اللغة ، ولا وجود لها في كتاب الله .

وقد ذكرتُ في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، أنَّ كثيرًا من الوجوه لكثير من الألفاظ اختلقوها بطريقة الترادف ، وأعني بالترادف تقارب المعاني لا تطابقها ، والترادف بهذا المعنى موجود في كل لغة ، فلغة كل قوم التي من بينها لغة القرآن الكريم كدار أقامت بناءها لبناتٌ رُصَّت بعضها ببعض ، ومن البديهي أن كل لبنة في هذه الدار تجاورها لبنات وتكون قريبة منها ، ولبنات أخرى تكون بعيدة عنها ، فكذلك اللغة فقد أقامت بناءها ألفاظُها ومفرداتُها ، ومن البديهي أيضًا أن يكون لكل لفظ منها ألفاظ تجاوره ومعانيها

([1]) فصول في فقه العربية ص ٣٠٩.

قريبة من معناه ، وألفاظ أخرى بعيدة معانيها عن معناه ، فكل لفظ إذن في لغة القرآن الكريم لا بد من أن تكون له ألفاظ ترادفه ، إلّا أنَّها لا تكون مطابقة لمعناه ، بل تكون بينها وبينه فروق معنوية خاصة ، وإن اتحدت معه في المعنى العام ، وهذه الألفاظ المرادفة متفاوتة في درجة ترادفها فمنها ما هو القريب من معنى اللفظ ، ومنها ما هو المعنى الأقرب ، ومنها ما يكون معناه قريبًا للفظ في كل تركيب ، ومنها ما يكون قريبًا من معناه في تراكيب معينة من دون تراكيب أخرى ، ومن أمثلة هذه الطريقة ما كان من وجوه الألفاظ الآتية .

١-**الإباء** : قال الحيري : ((باب أبى على وجهين ، أحدهما : الامتناع ، كقوله تعالى : (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ){البقرة : ٣٤}

والثاني : الإنكار : كقوله في التوبة : (يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ){التوبة : ٨}))[١]

الإباء والامتناع : لم يقل المفسرون بهذين الوجهين بل فسروا الإباء كما عرَّفه اللغويون ، وهذا هو ديدنهم ومنهجهم ؛ لذلك قد نستغني عمَّا ما جاء في كتب التفسير بما جاء في كتب اللغة ، فيكون كلام أهل اللغة ، يعني أيضًا كلام أهل التفسير ، قال الخليل : ((وأبى فلان يأبى إباء ، أي : ترك الطاعة ومال إلى المعصية ، قال الله تعالى : (فَكَذَّبَ وَأَبَى){طه : ١٥}))[٢] وقال ابن فارس : ((الهمزة والباء والياء يدل على الامتناع)) [٣] وأبى : امتنع[٤] ((وأبى الشيءَ : كرهه ... والإباء أشد الامتناع)) [١]

---

(١) وجوه القرآن ص٤٥-٤٦

(٢) العين ص ١٥

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٢

(٤) ينظر : الصحاح ص ٢١

وقد ورد لفظ الإباء في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعًا ، وهناك حقيقة طال ما نوهنا بها يجب أن نسلم بها تسليمًا هي : أنَّ اللفظ ولا سيما اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، وهذه حقيقة يعمل بها أصحاب معاجم اللغة ، ذلك بأنَّهم يعرِّفون اللفظ بما يرادف معناه لا بما يطابقه ، وهذا أمر جائز ومقبول ؛ لأنَّ الغرض منه عندهم ليس جعل اللفظ المَعَرِّف يعني اللفظ المُعَرَّف بعينه ، وإنَّما فهم معنى اللفظ وتوضيحه ، أمَّا أصحاب كتب الوجوه فليس الغرض من ذكر اللفظ عندهم فهم معناه بل تعدد أوجهه ، وهذا لا يتأتي إلّا بتضمين اللفظ معاني تلك الأوجه ، والتضمين يعني أن يحلّ لفظ محلّ لفظ آخر من حيث المعنى ، فعندما جعل الحيري مثلًا أبى بمعنى امتنع في قوله تعالى : (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ) فقد قصد أنَّ أبى هو أبى من حيث اللفظ ، وهو امتنع من حيث المعنى ، بمعنى أنَّه جعل (امتنع) مطابقًا لـ(أبى) في المعنى ، وإن لم يطابقه في اللفظ ، فجعل الإباء يعني الامتناع بعينه هو التحريف بعينه ؛ لأنَّ الامتناع لفظ مرادف للإباء لا مطابق له ، وكما جاز تعريف أهل اللغة للإباء بهذا المرادف جاز تعريفه بمرادف آخر ، كتعريفه بعدم الطاعة ، وبالكره ، وقد فعلوا ذلك كما تقدم ؛ لأنَّ مرادفات اللفظ هي واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها لا يمثل اللفظ بعينه بل القريب من معناه ، وقد قال الراغب : ((الإباء : شدة الامتناع ، فكل إباء امتناع ، وليس كل امتناع إباء ، قال تعالى : (وَيَأْبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ){التوبة : ٣٢} وقال تعالى : (وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ){التوبة : ٨} وقال تعالى : (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ){البقرة : ٣٤}))[٢]

([١]) لسان العرب ٤٢/١

([٢]) المفردات ص ١١ وينظر : عمدة الحفاظ ٥٣/١

فالإباء إذن يعني شدة الامتناع أو أشده ، أي : أنَّ الإباء هو غير الامتناع ، حتى قال الراغب : ((فكل إباء امتناع ، وليس كل امتناع إباء)) فجعل أبى إذن بمعنى امتنع كما جاء في الوجه الأول يُعدُّ تحريفًا لدلالته في كل شواهد هذا الوجه .

الإباء والإنكار : وجعلَ أبَى في الوجه الثاني بمعنى أنكر في قوله تعالى : (وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ) قال ابن فارس : ((النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب)) [١] وقال الراغب : ((الإنكار ضد العرفان ، يقال : أنكرتُ كذا ونكرتُ ، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره ، وذلك ضرب من الجهل ، قال تعالى : (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ)[هود : ٧٠} وقال تعالى : (وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ)[يوسف : ٥٨} وقد يستعمل ذلك فيما ينكر باللسان ، وسبب الإنكار باللسان هو الإنكار بالقلب ، لكن ربما ينكر اللسان الشيءَ ، وصورته في القلب حاصلة ، ويكون في ذلك كاذبًا ، وعلى ذلك قوله تعالى : (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا)[النحل : ٨٣}))[٢] فهذا هو معنى الإنكار ، فأين هو من معنى الإباء الذي يعني شدة الامتناع ؟! فجعل الإباء بمعنى الإنكار كما جاء في الوجه الثاني ، يُعدُّ كالوجه الأول تحريفًا لدلالته في كل شاهد من شواهده ، وعند الجمع بين التحريفين في الوجهين يكون الحيري الذي هو من أصحاب كتب الوجوه قد حرَّف لفظ الإباء في ثلاثة عشر موضعًا وهي المواضع التي ورد فيها لفظ الإباء ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ جعل أبى بمعنى امتنع في مواضع ، وبمعنى أنكر في مواضع من دون ذكر دلالته الأصلية يعني تجريده من معناه

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩١٦

(٢) المفردات ص ٥٢٨

الموضوع له في اللغة ، وليس هناك هدم للفظ القرآني أكبر من إفراغه من محتواه ، أي : أنَّ جعل اللفظ بمعنى لفظ آخر لا يُعدُّ تحريفًا لدلالته فحسب ، بل يُعدُّ أيضًا تجريده من معناه وإفراغه من محتواه ، وتمهيدًا لإلغائه ؛ لأنَّ القرآن الكريم ما استعمل اللفظ إلّا لدلالته ، فمن ادعى أنَّه استعمل بمعنى لفظ آخر فقد ادعى إلغاءه ، لأنَّه عندئذ يصبح من حق أي قارئ كان أن يقول مثلًا : إذا كان الإباء يعنى الإنكار في قوله تعالى : (وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ) فالأولى والأدق استعمال لفظ الإنكار لا الإباء ؛ لأنَّه هو الأحق منه للتعبير عن معناه .

فالوجهان المذكوران كما رأيت مختلقان بجعل الإباء بمعنى مرادفين من مرادفاته ، وقد تبين الفرق البيِّن بينهما على الرغم من ترادفهما

٢-الإتمام : قال الدامغاني : ((تفسير الإتمام على ثلاثة أوجه : الوفاء ، والإسباغ ، والتمام بعينه الذي هو الكمال ، فوجه منها ، الإتمام : الوفاء ، قوله تعالى في سورة البقرة : (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ){البقرة : ١٢٤} وكقوله تعالى : (فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ){التوبة : ١٢٤}

والوجه الثاني ، الإتمام : الإسباغ ، قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا){المائدة : ٤} يعني : أسبغتُ ، وكقوله تعالى : (كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ){النحل : ٨١} يعني : يسبغ نعمته .

والوجه الثالث ، أتمَّ ، يعني : أكمل ، قوله تعالى : (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ){يوسف : ٦} أي : أكملها ، وكقوله تعالى : (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ){القصص : ٢٧}))[١]

([١]) الوجوه والنظائر ص ٦٤ وينظر : بصائر ذوي التمييز ١٦٠/٢ .

الإتمام والكمال : الأوجه الحقيقية كما تبيَّن من كلام أهل الوجوه أنفسهم أن تكون مختلفة ، أي : أن لا ترتبط باللفظ بصلة الترادف ، والوفاء ، والإسباغ ، والكمال ، قريبة من معنى الإتمام ؛ لذلك صحَّ أن تقع موقعه لتقارب معانيها من معناه ، وهذا هو الذي أوهم الدامغاني والفيروزآبادي على أنَّها جاءت أوجهًا له ؛ أو هو الذي مكّنهم من اختلاقها ، وأرادوا إيهام غيرهم على أنَّها أوجه وهي لا تصحّ أن تكون كذلك ؛ لأنَّها ليست معاني مختلفة متباينة ، بل هي معان مترادفة ، يجمعها مع الإتمام معنى واحد ، وهي وان اتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها بمعانيها الخاصة ، وهي المعاني المقصودة في القرآن الكريم ، فجعلها أوجهًا للإتمام يُعدُّ تحريفًا لدلالاتها ، فالفرق مثلًا واضح وجليٌّ بين الإتمام والكمال على الرغم من أنَّ الدامغاني صرح بأنَّ الكمال هو التمام بعينه ، قال ابن فارس : ((التاء والميم أصل واحد منقاس ، وهو دليل الكمال ، ويقال تمَّ الشيء : إذا كمل ... ومن هذا الباب التميمة ، كأنهم يريدون أنَّها تمام الدواء والشفاء المطلوب))[1] وقال الراغب : ((تمام الشيء انتهاؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه ، والناقص ما يحتاج إلى شيء خارج عنه)) [2]

فالتمام هو الجزء الأخير الذي به يتمُّ الشيء ، فتتم به أجزاؤه فيصبح كاملًا ، وقد جعل الدامغاني الوجه الثاني للتمام بمعنى الإسباغ في قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) قال الواحدي : ((أجمعوا على أنَّ المراد باليوم يوم عرفة ... ومعنى : أكملتُ لكم دينكم أي : بيان الفرائض ... فلم ينزل بعد هذه الآية شيء من الفرائض ... وقوله : (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) يريد أنَّه أنجز لهم ما

([1]) مقاييس اللغة ص ١٢٦ .

([2]) المفردات ص ٤٦٠.

وعدهم ... وكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين مطمئنين))[1] ولو رجعنا إلى معنى التمام والكمال والفرق بينهما يتضح بأنَّ المراد أنَّ الدين كملت فرائضه يوم عرفة الذي حجّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأداء هذه الفريضة تمَّت أركان الدين فأصبح بها كاملًا ، وكان إكمال الدين هو آخر النعم التي أنعم بها الله سبحانه على المسلمين ، وأنَّه بإكمال الدين تمت نعم الله على المسلمين ، فأول نعمة أنعمها الله سبحانه على المسلمين مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن النعم الظاهرة التي تلتها فتح مكة ، وكان آخرها إكمال الدين الذي تمَّت به نعمة الله علينا ؛ لذلك قال سبحانه : (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) وبهذا التفسير فسَّر الزمخشري الآية فقال : ((أتممتُ نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع ، كأنَّه قال : اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ نعمتي عليكم بذلك)) [2]

الإتمام والإسباغ : وكذلك الإسباغ معناه غير معنى الإتمام ، قال الراغب : ((درع سابغ : تام واسع)) [3] ((وشيء سابغ ، أي : كامل واف ، وسبَغ الشيءُ يَسْبُغ سُبوغًا : طال إلى الأرض واتسع ، وكل شيء طال إلى الأرض فهو سابغ ، وقد أسبغ فلان ثوبه ، أي : أوسع ، وسبغت النعمة سُبوغًا : اتسعت ، وإسباغ الوضوء : المبالغة فيه ، وأسبغ الله عليه النعمة : أكملها وأتمَّها ووسَّعها ، وإنَّهم في سبغة من العيش ، أي : سعة ، وسبغَ المطر : دنا إلى الأرض وامتدَّ)) [4]

فلمَّا أراد الله سبحانه وتعالى أن يذكّرنا بنعمه علينا بأنَّها قد أحاطتنا من كل جانب حتى اشتملت علينا كما اشتملت علينا ألبستُنا قال سبحانه :

([1]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/١٥٣-١٥٤ . .

([2]) الكشاف ١/٥٩٣.

([3]) المفردات ص ٢٢٩ .

([4]) لسان العرب ٧/٢١٤-٢١٥.

(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً){لقمان : ٢٠} فلم يستعمل لفظ التمام ولا الكمال بل استعمل لفظ الإسباغ ، لأنَّه يعني التمام والكمال والاتساع فيهما

فما من أحد يشك أو يماري أنَّه لو أبقينا (الإتمام) على معناه الموضوع له ، وكما عرَّفه أهل اللغة في كل شاهد من شواهد الأوجه المنسوبة إليه لما اختلَّ شيء من معناه قدر قطمير ؟ فما الداعي إذن إلى جعله بهذه الأوجه ؟! فهل يشكّ أحد بأنَّه ليس من داع إلى ذلك سوى النيّة المسبقة في اختلاق الوجوه ؟!

والأوجه التي نسبوها إلى الإتمام التي تحمل معانيها الخاصة بها واحدة من جهة ترادفها ، أي : أنَّ كل وجه منها يمثل المعنى القريب من الإتمام لا الإتمام بعينه ، ويبدو أنَّ أقرب المرادفات إليه هو الكمال ، حتى جعلوه بمعنى الإتمام بعينه ، ولكن مع ذلك فليس أحدهما يعني الآخر بعينه ، بل لا بد من أن يكون بينهما فرق في الدلالة ، حتى فرَّق العسكري ((بين الكمال والتمام أنَّ قولنا كمال : اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به ؛ ولهذا قال المتكلمون : العقل : كمال علوم ضروريات يميز بها القبيح من الحسن ، يريدون اجتماع علوم ، ولا يقال : تمام علوم ؛ لأنَّ التمام اسم للجزء والبعض الذي يتم به الموصوف بأنَّه تام ، ولهذه قال أصحاب النَّظْم : القافية تمام البيت ، ولا يقال : كمال البيت ، ويقولون : البيت بكماله ، أي : باجتماعه ، والبيت (الشعري) بتمامه ، أي : بقافيته ، ويقال : هذا تمام حقك للبعض الذي يتم به الحق ، ولا يقال كمال حقك))[1]

والوفاء والكمال والإسباغ لا يصحّ أن تكون أوجهًا للإتمام ؛ لأنَّها معاني مترادفة ، أي : متقاربة ، والأوجه الحقيقية هي التي تكون معانيها مختلفة متباينة ، وقد جاز أن تقع موقع الإتمام لتقارب معانيها من معناه .

([1]) الفروق اللغوية ص ٢٩٤ .

فالتمام والكمال والإسباغ وإن ترادفت إلّا أنَّ لكل منها معناه ، وقد جاز في كلام الناس أن يقع أحدها موقع الآخر ، لكون الناس لا يعنون بالفروق المعنوية الخاصة بينها ، إلّا أنَّ هذا غير جائز في القرآن الكريم ؛ لأنَّ المعاني الخاصة والفروق الدلالية مهما دقَّت بين الألفاظ المترادفة مقصودة في كتاب الله قصدًا .

فقد تبيَّن أنَّ الإتمام والأوجه المنسوبة إليه متقاربة في معانيها ، وقد أجمع أهل اللغة كما تقدم على أنَّ الألفاظ المتقاربة في معانيها تدخل في باب الترادف لا في باب وجوه اللفظ المشترك .

وينبغي أن لا يشك باحث بأنَّ الأوجه المزعومة للإتمام قد اختلقها أصحاب كتب الوجوه ، والدليل على ذلك أنَّهم لو سُئلوا : لِمَ عبَّر القرآن الكريم عن الوفاء ، والكمال ، والإسباغ ، بلفظ الإتمام ولم يعبِّر عنها بألفاظها ؟ لما استطاعوا الإجابة إلّا بأحد أمرين : إمَّا أن يدّعوا بأنَّ القرآن الكريم ألحن فعبَّر عن المعاني المذكورة بغير ألفاظها ، ووضع اللفظ في غير موضعه ، وهذا ما لايستطيع أحد أن يدعيه ، لأنَّه ما من أحد يستطيع أن يثبت هذا الادعاء ، وإمَّا أن يضطروا للقول بالحقيقة فيجيبوا بأنَّ القرآن الكريم عبَّر عن هذه المعاني بلفظ الإتمام ؛ لأنَّه أراد معنى الإتمام ، ولم يعبِّر عنها بألفاظها ؛ لأنَّه لم يرد معانيها ، وهذا هو الحق وما بعد الحق إلّا الضلال .

وفي جعل المترادفات في كتب الوجوه من الوجوه هدم للغة القرآن الكريم من جانبين :

الأول : جَعَلَ الدامغاني والفيروزآبادي الإتمام على ثلاثة أوجه : الوفاء ، والكمال ، والإسباغ ، فخلتْ هذه الأوجه من معنى الإتمام وهو المعنى المراد في جميع شواهدها ، وهذا يعني أنَّهم جردوا الإتمام من معناه ، وليس ثمة هدم للغة أكبر من إفراغ مفرداتها من محتواها .

الثاني : تقدّم أن جعل المرادفات من أوجه الإتمام يعني جعل كل وجه منها مطابقًا لمعناه ، وقد تبيَّن وتأكَّد أنَّ هذه المرادفات مهما بلغت شدة ترادفها تفترق عن بعضها وعمَّا جُعِل لفظًا مشتركًا بمعانيها الخاصة ، فينشأ من جعلها بمعناه تحريف لدلالته في كل شواهد الأوجه المنسوبة إليه ، وهذا هدم آخر للغة ، ويكون بتحريف دلالة مفرداتها وجعلها بمعاني مفردات أخرى ، مما يؤدي إلى خلط معاني الألفاظ بعضها ببعض ، وهذا المأخذ والذي قبله لا يحصلان في باب الوجوه الحقيقية للفظ المشترك ؛ لأنَّه كما تقدم ، ليس له معنى خاص يميزه من معاني الأوجه المنسوبة إليه ، بل ينطبق معناه على معنى كل وجه بالقدر نفسه .

وكل ما ذكرته فيما تقدم عن أوجه لفظ الإتمام ينطبق على كل لفظ اتخذوا من مرادفاته أوجهًا له كوجوه الألفاظ الآتية :

٣-**الإتيان** : قال الدامغاني : ((تفسير الإتيان على ستة عشر وجهًا : الدنو ، والإصابة ، والقلع ، والعذاب ، والسوق ، والجماع ، والعمل ، والإقرار والطاعة ، والخلق ، والمجيء ، والظهور ، والدخول ، والمضي ، والإرسال ، والمفاجأة ، والنزول .

فوجه منها ، الإتيان : الدنو ، قوله تعالى : (أَتَى أَمْرُ اللّهِ){النحل : ١} أي : قرب أمر الله ودنا ، وهي الساعة .

والوجه الثاني ، الإتيان : الإصابة ، قوله تعالى في سورة الأنعام : (قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ){الأنعام : ٤٠} يعني : أصابكم .

والوجه الثالث ، الإتيان : القلع ، قوله عز وجل في سورة النحل : (فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ){النحل : ٢٦} يعني : قلع بنيان ديارهم

والوجه الرابع ، الإتيان : العذاب ، قوله عز وجل في سورة الحشر : (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا){الحشر : ٢} أي : عذبهم الله تعالى

الوجه الخامس ، الإتيان : السوق ، قوله تعالى في سورة النحل : (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ)[النحل : ١١٢} أي : يسوق إليها رزقها من كل مكان

السادس ، الإتيان : الجماع ، قوله عز وجل : (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ)[الشعراء : ١٦٥} وكقوله تعالى : (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ)[العنكبوت : ٢٩}

والوجه السابع ، الإتيان : العمل ، قوله تعالى في سورة العنكبوت (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ)[العنكبوت : ٢٩} أي : تعملون في ناديكم المنكر .

والوجه الثامن ، الإتيان : الإقرار والطاعة ، قوله وتعالى : (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)[مريم : ٩٣} أي : مقر له بالعبودية .

والوجه التاسع ، الإتيان : الخلق ، قوله تعالى في سورة الملائكة : (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا)[النساء : ١٣٣} يعني : إن يشأ يهلككم ويميتكم ، ويخلق خلقًا جديدًا

والوجه العاشر ، الإتيان : المجيء بعينه ، قوله تعالى في سورة مريم : (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ)[مريم : ٢٧} يعني : فجاءت إلى قومها بولدها

الوجه الحادي عشر ، الإتيان : الظهور ، قوله تعالى : (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)[الصف : ٦} يعني : يظهر ويخرج

الوجه الثاني عشر ، الإتيان : الدخول ، قوله عز وجل في سورة البقرة : (وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)[البقرة : ١٨٩} أي : ادخلوها من أبوابها

الوجه الثالث عشر ، الإتيان : المضي قوله عز وجل في سورة الفرقان : (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ)[الفرقان : ٤٠} يعني : ولقد مضوا على القرية

الوجه الرابع عشر ، الإتيان : الإرسال ، قوله تعالى : (بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ){المؤمنون : ٩٠} يعني : أرسلنا جبريل بالقرآن

الوجه الخامس عشر ، الإتيان : المفاجأة ، قوله تعالى في سورة يونس : (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا){يونس : ٢٤}

الوجه السادس عشر ، الإتيان : النزول : قوله عز وجل : (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا){إبراهيم : ١٧})) [١] ومثل هذا قال ابن الجوزي والفيروزآبادي[٢]

الإتيان يعني الإتيان بعينه أينما ورد في كتاب الله ، أما الوجوه المذكورة المنسوبة فمختلَقة بأربع طرائق :

الاولى : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته : فالإصابة ، والسوق ، والمجيء ، والظهور ، والدخول ، والمضي ، والإرسال ، والنزول ، كما جاء في الوجه الثاني ، والخامس ، والعاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر ، والرابع عشر ، والسادس عشر ، قريبة من معنى الإتيان ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، أو هي مما أفاد وخالف المعنى المراد ، والألفاظ المترادفة التي جعلوها من أوجه الإتيان التي تحمل معانيها الخاصة واحدة من جهة ترادفها ، أي : أنَّ كل وجه منها يمثل المعنى القريب من الإتيان لا الإتيان بعينه .

الثانية : جعل اللفظ بمعاني السياق : فقد جعلوا (أتى) في الوجه الأول بمعنى : دنا واقترب ، في قوله تعالى : (أَتَى أَمْرُ اللّهِ) والصحيح جَعْلُه من باب التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي لتحقق وقوعه فكأنَّه قد أتى

([١]) الوجوه والنظائر ص ٤٧-٥٠ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٤١ .

([٢]) ينظر : نزهة الأعين ص ٥٦-٥٧ و بصائر ذوي التمييز ٤٤/٢-٤٦.

ووقع [1] ومثل هذا في القرآن الكريم كثير ، فهو إذن معنى السياق لا معنى أتى

وكذلك جعلهم الإتيان في الوجه الثامن بمعنى : الإقرار والطاعة في قوله وتعالى : (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)[مريم : ٩٣} مفهوم من قوله : (عَبْدًا) أي : هو معنى السياق ، وليس معنى الإتيان ؛ وكذلك جعلهم الإتيان في الوجه الخامس عشر بمعنى : المفاجأة في قوله : (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا)[يونس : ٢٤} جاء من عدم تعيين إيتاء أمره ، فهو أيضًا معنى السياق وليس معنى الإتيان ، وكذلك جعلهم الإتيان في الوجه التاسع بمعنى : الخلق في قوله تعالى : (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا)[النساء : ١٣٣} جاء من أنَّ الآخرين قُصِد بهم الذين لم يُخلقوا ، فهو معنى السياق وليس معنى الإتيان ، بل معنى الخلق متعلق بالمأتيِّ بهم وليس بالإتيان .

الثالثة : تأويل صفات الله : فقد جعلوا الإتيان بمعنى القلع في الوجه الثالث في قوله تعالى : (فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ)[النحل : ٢٦} وبمعنى العذاب في الوجه الرابع في قوله تعالى : (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا)[الحشر : ٢} والإتيان في شواهد هذين الوجهين هو من صفات البارئ عز وجل ، وليس من صفات البشر ، وقد تأوّله أصحاب كتب الوجوه بمعنى القلع ، والعذاب ، وصفات الله سبحانه لا يجوز ولا يصح إقحامها بين وجوه أي لفظ كان ، لأنَّها لا تشبه صفات البشر ، قال الله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير)[الشورى : ١١} فذات الله ليس كمثلها شيء ، وكذلك صفاته ليس كمثلها شيء .

([1]) ينظر : مدارك التنزيل ص ٥٨٩ .

الرابعة : جعل اللفظ بمعاني المجاز والكناية : فجعلهم الإتيان في الوجه السادس بمعنى الجماع يعدُّ من الكنايات وليس من الوجوه في قوله تعالى : (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ){الشعراء : ١٦٥} وكذلك جعلهم الإتيان بمعنى العمل في الوجه السابع في قوله تعالى : (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ){العنكبوت : ٢٩} لأنَّ المراد من المنكر ((المضارطة ، والمجامعة ، والسباب ، والفحش))[١] وهذه من الكنايات وليست من الوجوه فإنَّه ((يُكنى بالإتيان عن الوطء ومنه : أتى امرأته ، وقوله تعالى : (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ){الشعراء : ١٦٥} وقوله تعالى : (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء){النمل : ٥٥} من ذلك ، وهو من أحسن الكنايات)) [٢]

أتى وجاء في القرآن الكريم : تقدَّم أنَّ أقرب معاني الألفاظ المرادفة إلى الإتيان هو المجيء ، حتى قالوا بوحدة معنييهما ، والدليل على ذلك جعلهم إيّاه بعينه في الوجه العاشر ، وكذلك تعريف معاجم اللغة للإتيان بالمجيء ، قال محقق الفروق اللغوية للعسكري : ((نلاحظ في فروق العسكري شيئًا من التعسف والتكلف ومحاولته التماس الفروق حتى وإن كانت ضعيفة أو ليست بثبت ، ويبدو هذا الأمر واضحًا في طائفة من الألفاظ التي لم يستطع التفرقة بينها ... ويفرق العسكري بين أتى وجاء تفريقًا غير لغوي ، نحوي ، ثم يعترف باستعمال أحدهما موضع الآخر ، وفي اللسان ، المجيء : الإتيان ، وفي مكان آخر منه ، الإتيان : المجيء ، وفي إصلاح المنطق ، وقد أتيته : إذا جئته)) [٣]ومن المعلوم أنَّ معاجم اللغة تعرِّف اللفظ بأقرب المعاني إليه ، وبما أنَّ القرآن الكريم قد استعمل اللفظين معًا فلا بدَّ من أنَّ يكون بينهما فرق ما في الدلالة ؛ لأنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه

---

(١) مدارك التنزيل ص ٨٩١ .

(٢) عمدة الحفاظ ٥٦/١ وينظر : تاج العروس ١٩/٣٧ .

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٣ كلام المحقق في مقدمته للكتاب .

إلّا اللفظ نفسه ، بخلاف كلام الناس ؛ فالناس غالبًا ما يرومون من استعمال الألفاظ معانيها العامة من دون النظر إلى معانيها الخاصة ؛ لذلك شاع عندهم كُتَّابًا وشعراء وضعهم الألفاظ بعضها موضع بعض ؛ لتقارب دلالاتها ، وهذا إن كان موجودًا في كتب البشر ، فإنَّه لا وجود له البتة في كتاب الله ، وقد فرَّق بينهما العسكري بـ((أنَّ قولك : جاء فلان ، كلام تام لا يحتاج إلى صلة ، وقولك : أتى فلان ، يقتضي مجيئه بشيء ؛ ولهذا يقال : جاء فلان نفسه ، ولا يقال : أتى فلان نفسه ، ثم كثر ذلك حتى استعمل أحد اللفظين في موضع الآخر)) [١] ففي (جاء) المتعدي بحرف الجر يكون المعنيُّ به الجائي ، أي : الفاعل ، وبالمجيء به ، وفي أتى يكون المعنيُّ به المأتي به من دون الفاعل ، وفرَّق الراغب بينهما أنَّ ((الإتيان مجيء بسهولة ، ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتيٌّ))[٢] وأنَّ ((المجيء كالإتيان ، لكن المجيء أعم ؛ لأنَّ الإتيان مجيء بسهولة))[٣] وقال الزركشي : ((فذكر الله (جاء) في موضع الأعيان في الماضي ، و(أتى) في موضع الأعيان والأزمان)) [٤]

يضاف إلى ما تقدم ذكره أنَّ دلالة (جاء) على معنى المجيء أشد وأصل مما هو في (أتى) وهذا ما أشار إليه الراغب بقوله : ((والإتيان قد يقال باعتبار القصد ، وإن لم يكن منه الحصول ، والمجيء يقال اعتبارًا بالحصول))[٥] والدليل على ذلك أنَّ (أتى) إذا دخلت عليها همزة التعدية تتغير دلالتها إلى معنى (أعطى) بينما تبقى (جاء) على معناها كقوله تعالى : (فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ){مريم : ٢٣} وتاء الفعل (أتى)

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٤٥ .

(٢) المفردات ص ١٢.

(٣) المفردات ص ١٠٩ .

(٤) البرهان ص ٧٥٢-٧٥٣ .

(٥) المفردات ص ١٠٩ .

صوت مهموس ، وينتهي بألف ليس هناك ما يلزم مدَّها ، بل تحذف تلفظًا عند الوصل ، وجيم الفعل (جاء) صوت مجهور، ومدُّ ألفه مقفَل بالهمزة ، فلفظ الأول أخف ، ولفظ الثاني أقوى .

ومن الشواهد القرآنية التي تبدو فيها (أتى) و(جاء) بمعنى واحد ، قوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {٩} إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لاهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى {١٠} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى {١١} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى){طه : ١١} وقوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لاهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {٢٩} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ){القصص : ٢٩-٣٠} وقوله تعالى : (إِذْ قَالَ مُوسَى لاهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {٧} فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ){النمل : ٨}

لخفة (أتى) وانتهائها بحركة مفتوحة ناسب استعمالها من دون جاء في الإتيان المفتوح في سورة طه والقصص ، أو للدلالة على أنَّ فاعله لم يتمكَّن من الوصول إلى الغاية التي أراد أن يأتي إليها ، أو لم يستقر فيها بعد ، أو لأنَّه لم يزل في حال إتيان إلى الموضع المراد ، الذي يشبه حال المرور عليه ، جاء في تفسير الآية التي في سورة طه : ((وقوله : (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : كانت نعلا موسى من جلد حمار ميت ، وهذا قول أكثر المفسرين ، قيل لموسى : لا تدخل الوادي وهما عليك ... ولكن أُمِر بخلعهما ليباشر تراب الأرض المقدسة فتناله ببركتها))[1]

(1) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢٠٢/٣ وزاد المسير ٢٠٣/٥.

((أي : طأ الأرض حافيًا كما تدخل الكعبة حافيًا))[1] وهذا يعني أنَّ موسى عليه السلام حين ناداه الله لم يكن قد وصل بعد موضع النار ، وإنَّما ((اقترب منها)) [2] وكذلك كانت مناداة الله له في سورة القصص .

وبخلاف (أتى) (جاء) فلقوّتها ولكونها مقفلة بالهمزة استعملت من دون أتى في سورة النمل ، للدلالة على وصول الغاية التي أراد موسى عليه السلام أن يجيء إليها ، ذلك ببلوغ موضع النار ، حتى ناداه الله وهو في وسطها ، (فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) جاء في التفسير : فلما أتاها ورأى منظرًا هائلًا عظيمًا حيث انتهى إليها ، والنار تضطرم في شجرة خضراء ، ولا تزداد النار إلّا توقدًا ، ولا تزداد الشجرة إلّا خضرة ونضرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء ، قال ابن عباس : لم تكن نارًا ، وإنَّما كانت نورًا يتوهج ، وقوله تعالى (مَن فِي النَّارِ) أي : موسى عليه السلام ، وقوله تعالى : (وَمَنْ حَوْلَهَا) أي : الملائكة الذين هم حولها ، والمعنى : بورك فيك يا موسى وأنت في وسط هذه النار، وفي الملائكة الذين هم حولها [3]

فبين (جاء) و(أتى) فروق عامة يمكن أخذها في الحسبان هي : أنَّ الأصل في (جاء) الحصول والقصد وما قرب وأن يكون مصاحبًا لما يجيء به ، والأصل في (أتى) خلاف ذلك ، ومن خلال هذه الفروق العامة يمكن أن ندرس وأن نفرِّق بين دلالة كلٍّ منهما في القرآن الكريم ومن الله الهدى والسداد .

١-الحصول وعدم الحصول : من الأمور التي لم ينتبه عليها أهل اللغة والتفسير في أغلب الظن ، وهو يصرحون بوحدة دلالة (جاء) و(أتى)

([1]) الجامع لأحكام القرآن ١٣١/١١.

([2]) تفسير ابن كثير ٢٠٥/٥.

([3]) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢٢/٧ وتفسير ابن كثير ٧٢/٦.

أنَّ القرآن الكريم استعمل من الإتيان الفعل الماضي والمضارع والأمر ، ولم يستعمل من المجيء إلّا الفعل الماضي مما يدل على أنَّ الأصل في المراد من المجيء حصوله ، ومن الإتيان عدم حصوله ، لذلك لم يستعمل الأول إلّا بالصيغة الدالة على الزمن الماضي التي تفيد في أن الفعل قد حصل ووقع ، في حين استعمل الثاني بالصيغ الثلاث الفعل الماضي والمضارع الدال على الحال والاستقبال والأمر الدال على الاستقبال ، وهذا متأتٍّ من أن (جاء) يكون في الأصل فيما حصل ، و(أتى) فيما لم يحصل ؛ لذلك ورد الفعل الماضي من المجيء في القرآن الكريم في ٢٧٧ موضعًا ، وورد الفعل الماضي من الإتيان في ٤٧ موضعًا ، فقد بان السرّ في هذه القضية ولا حاجة بعد ذلك أن نبين الفرق الدلالي بينهما في صيغتى المضارع والأمر ، لذلك سنقصر سعينا في التعرف إلى الفرق الدلالي بينهما في صيغة الفعل الماضي ، كما أنَّ المجيء لم يرد في القرآن الكريم إلّا بهذه الصيغة .

فقد أُسنِد (جاء) إلى تاء المخاطب الواقع فاعلًا في مواضع كثيرة بلغتْ ستة وعشرين موضعًا كانت في جميع المواضع فيما حصل كقوله تعالى : (قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ)[البقرة : ٧١} وقوله تعالى : (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)[الأعراف : ٧٠} وقوله تعالى : (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا)[يونس : ٧٨} وقوله تعالى : (قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ)[يونس : ٨٢} وقوله تعالى (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى)[طه : ٤٠} وقوله تعالى : (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ)[الشعراء : ٣٠} ولم ترد في هذه المواضع فيما لم يحصل إلّا في موضعين في قوله تعالى : (وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلا مُبْطِلُونَ)[الروم : ٥٨} وقوله تعالى : (قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ)[هود : ٥٣} واستعمل (جاء) لأنَّه عدّه مما يمكن حصوله ، لأنَّ المراد المجيء بآية من الآيات أو بينة من البينات ، بينما لم يُسنَد (أتى) إلى

ضمير المخاطب الفاعل إلّا في موضع واحد ، هو قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ)[البقرة : ١٤٥} وقد استعمل (أتى) لأنَّه في حكم غير الحاصل بعد ؛ ولأنَّ المراد معنى الإعمام ؛ والاستغراق فحمله على أنَّه لا يمكن حصوله ؛ ولأنَّ الإتيان بكل آية يتطلب الإتيان بها مما بعد مصدره وقرب .

٢–القوّة والخفّة : الفرق العام بين الإتيان والمجيء أنَّه إذا أريد التعبير عن سهولة حصول الفعل الذي قد لا يحتاج إلى جهد يُذكر استعمل (أتى) وإلّا استعمل (جاء) فيما ثَقُلَ وعَظُمَ شأنه ، لذلك استعمل جاء من دون أتى في قوله تعالى : (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)[الكهف : ٧١} وقوله تعالى : (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا)[الكهف : ٧٤} وقوله تعالى : (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا)[مريم : ٢٧} لأنَّهم اتهموها بأمر ثقيل وبما عَظُمَ قُبْحُ فعله حسب ظنهم ، واستعمل (أتى) من دون (جاء) فيما يناسب خفته وانتهاءه بحركة مفتوحة كاستعماله فيما يستخفُّ من شأنه كقوله تعالى : (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)[طه : ٦٩} في حين استعمل (جاء) عندما أراد تعظيم هذا السحر في قوله تعالى : (قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)[الأعراف : ١١٦} ولأنَّ (أتى) أخف من (جاء) حتى عُرِّف الإتيان بأنَّه مجيء بسهوله وشُبِّه بالمرور السريع ، استعمله من دون (جاء) في قوله تعالى : (فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ)[النحل : ٢٦} فاستعمل (أتى) للتعبير عن سهولة الفعل وسرعته وسرعة مروره مع عِظَم ما حصل في هذا الفعل وهو قلع بنيان الطواغيت وما مكروا من قواعدها ، ومن ذلك قوله تعالى : (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)[الحشر: ٢} وقوله تعالى : (أَتَاهَا أَمْرُنَا

لَيْلاً أَوْ نَهَارًا)}[إبراهيم : ١٧} ولفظ (جاء) أقوى لذلك استعمله من دون (أتى) في قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا)}[هود : ٥٨} للإشارة إلى عظم شأن هذا الأمر .

وقال الله تعالى : (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى {٥٧} فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى {٥٨} قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى {٥٩} فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى)}[طه : ٥٧-٦٠} قال : (أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ) ولم يقل : أتيتنا ؛ لأنَّ المراد مصاحبة موسى عليه السلام للمعجزة التي جاء بها التي عبّروا عنها بالسحر ، وأنَّه جاءهم بها عن قرب ، ولمَّا تحدى كل منهما الآخر راح فرعون يجول ويصول ويغدو ويروح ليجمع كيده وسحرته ويحثهم على المنازلة لليوم الموعود يوم الزينة ، لذلك استعمل (ثُمَّ أَتَى) من دون جاء لخفتها وانتهائها بحركة مفتوحة لتلائم السياق الذي شُحِن بالخفة والسرعة والجولان ، ولذلك استعمل (أتى) من دون (جاء) في قوله تعالى : (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ)}[النمل : ٨٧} وقوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)}[فصلت : ١١} لأنَّه أريد صدور هذا الفعل منهما وعن بعد بخفّة وسرعة .

٣-مما لاحظته في استعمال كلٍّ منهما في القرآن الكريم أنَّ معنى الحضور والمصاحبة في (جاء) أوضح منه في (أتى) ؛ لذلك استعمل (جاء) في قوله تعالى : (لَوْلا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء)}[النور : ١٣} وقوله تعالى : (وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى {٨} وَهُوَ يَخْشَى {٩} فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى)}[عبس : ٨-١٠} وقوله تعالى : (حَتّى إذا جاءنا قال يا ليتَ بَيْني وبينَك بُعْدَ المَشْرِقَينِ فبِئْسَ القرينُ)}[الزخرف : ٣٨} واستعمل (أتى) في قوله تعالى : (يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ {٨٨} إِلّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)}[الشعراء : ٨٩} لأنَّ المراد

سلامة القلب فهو المقصود الذي يمثل سلامة الباطن والعقيدة من دون النظر إلى الفاعل الذي يراد منه الظاهر وعمل الجوارح ، فسلامة القلب هنا الذي يعني باطن العبد كافية ، لتتسع رحمة الله ، فهذه رحمة عامّة لشمولها كلّ أهل التوحيد ، ويكون هذا الأمر أقرب إلى الله وأخصّ من هذا العموم باستعمال (جاء) في قوله تعالى : (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ {٣١} هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ {٣٢} مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ){ق : ٣١-٣٣} وأسمى وأخصّ من هذا الخصوص قوله تعالى : (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لابْرَاهِيمَ {٨٣} إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ){الصافات : ٨٣-٨٤} لأنَّه صرَّح بالمجيء إليه وهو (رَبَّهُ)

٤-استعمال (جاء) فيما قرُبَ وخصّ ، و(أتى) فيما بَعُدَ وعمَّ : فقد كثر استعمال (أتى) لانتهائه بحركة مفتوحة من دون (جاء) فيما بعد ولم يتحدد مبدؤه كقوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا){الإنسان : ١} وقوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى){طه : ٩} وقوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ){ص : ٢١} وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ){الذاريات : ٢٤} وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى){النازعات : ١٥} وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ){البروج : ١٧} وقوله تعالى : (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا){الحشر : ٢} ولم يستعمل (جاء) بعد (هل) في نحو ما تقدم ، وكذلك قوله تعالى : (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ){التوبة : ٩٢} استعمل (أتى) للتعبير عن أنَّهم أتوا من أماكن بعيدة وغير محددة ، وقوله تعالى : (فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ){النساء : ٢٥} فالمعني به الفاحشة ، وليس مصدرها ومكانها ومعرفة الزاني بها ، ومن ذلك

قوله تعالى : (وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)[الأنبياء : ٤٧]

في حين كثر استعمال (جاء) فيما قرُبَ وتحدّد مبدؤه كقوله تعالى : (أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ)[النساء : ٤٣] وكثر استعماله فيما خصّ وقرب كاستعماله في كل رسول أرسِل إلى قومه فهو منهم وإليهم وقريب منهم كقوله تعالى : (أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)[البقرة : ٨٧] وقوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ)[البقرة : ٩٢] وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[النساء : ١٧٠] وقوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)[المائدة : ١٥] ولم يستعمل (أتى) فيما يتعلق برسل الأقوام إلّا فيما بَعُدَ وعمَّ كقوله تعالى : (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)[الذاريات : ٥٢] وقوله تعالى : (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[القصص : ٤٦] وقوله تعالى : (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)[السجدة : ٣] ولم يستعمل (جاء) فيما بعد إلّا فيما عُلِمَ مبدؤه واستعملت (مِن) لتحديده ، كقوله تعالى : (وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)[القصص : ٢٠] وقوله تعالى : (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)[النمل : ٢٢]

ولكون الفعل (أتى) أخف ولانتهائه بحركة مفتوحة استعملِ من دون (جاء) في المعاني العامة ، كإسناده من دونه إلى العذاب عندما يراد منه معناه العام كقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ

أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ){الأنعام ٤٠} وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ){الأنعام : ٤٧} وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ){يونس : ٥٠} ولم يسند العذاب إلى (جاء) إلّا في موضع واحد وبعد أن خُصِّص بـ(ال) العهدية وهو قوله تعالى : (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ){العنكبوت : ٥٣} وكإسناده من دونه إلى اليقين في قوله تعالى : (حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ){المدثر : ٤٧} واليقين معنى عام يوصف به الموت وأجل الإنسان وكل ما هو حق منتظَر ، أي : أنَّ الموت والأجل أخصّ منه ، لذلك أُسندا إلى (جاء) من دون (أتى) في قوله تعالى : (فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ){النحل : ٦١} وقوله تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ){الأعراف : ٣٤} وقوله تعالى : (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ){يونس : ٤٩} وقوله تعالى : (فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا){فاطر : ٤٥} وقوله تعالى : (حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ){الأنعام : ٦١} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ){المؤمنون : ٩٩} وقوله تعالى : (وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ){ق : ١٩} ولم يسنّد الموت إلى (أتى) بصيغة الفعل الماضي ، وإنَّما أسنِد إليه بصيغة الفعل المضارع لتفيد استمراره وتكراره كقوله تعالى : (يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ){إبراهيم : ١٧}

ومن ذلك قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ {٦٠} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ {٦٢} قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ {٦٣} وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ){الحجر : ٦٠-٦٤} استعمل جاء في قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاء

آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ) وفي قوله تعالى : (قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ) لأنَّه أريد من المجي حضور فاعله ومصاحبته له ، ولأنّ المجيء كان في قضية خاصة ، تتعلق بآل لوط ، وبما كانوا فيه يمترون ، واستعمل أتى في قوله تعالى : (وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ) لأنَّ الحق من الأمور العامة ، وكقوله تعالى : (بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ){المؤمنون : ٩٠}

٥–القصد وغير القصد : ولأنَّ (أتى) أخفّ كثر استعمالها من دون (جاء) فيما يشبه معنى المرور على الشيء كقوله تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ){الأعراف : ١٣٨} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)النمل : ١٨} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا){الكهف : ٧٧} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا){الفرقان : ٤٠} وقوله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى){طه : ١١} وقوله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأيْمَنِ){القصص : ٣٠} وقوله تعالى : (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ){الذاريات : ٤٢}

ولأنَّ (جاء) أقوى من (أتى) وأأصل ؛ ولأنَ الأجر الذي يكسبه العبد يكون على عمل يقصده قصدًا ، ويبذل فيه جهدًا ما ، استعمله من دون (أتى) في قوله تعالى : (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ {٨٩} وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ){النمل : ٩٠} وقوله تعالى : (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا

وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(القصص : ٨٤} ولم يرد : من أتى بالحسنة .

وقد أجمع النحاة على أنَّ (إذا) الشرطية تستعمل فيما تحقق وقوعه أو كثر ، و(إن) الشرطية فيما احتمل أو قل ؛ وندر وقوع إحداهما موقع الأخرى ، ولا يكون ذلك إلّا لنكتة بلاغية[1] ولأنَّ لفظ (جاء) أأصل وأدلُّ من (أتى)على معنى المجيء وحصول معناه ووقوعه ، فقد كثر وقوعه من دون (أتى) بعد (إذا) كقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا)(الأنعام : ٣١} وقوله : (حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ)(الأنعام : ٦١} وقوله تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ)(الأعراف : ٣٤} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ)(الأعراف : ٣٧} وقوله تعالى : (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا)(الكهف : ٩٨} وقوله تعالى : (فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى)(النازعات : ٣٤} وقوله تعالى : (فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ)(عبس : ٣٣} فقد وقعت (جاء) في القرآن الكريم بعد (إذا) الشرطية في حدود ٤٥ موضعًا ، بينما لم ترد بعد (إن) الشرطية إلّا في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(الحجرات : ٦} واستعمل (جاء) لدلالتها على الحضور والمصاحبة ، والمعنى إن جاءكم فاسق مصاحبًا النبأ الذي جاء به ، أي : جاء هو والنبأ ، ولو قال : إن أتاكم ، لاحتمل أو لاقتضى أنَّه أشاع النبأ من بعيد من دون أن يحضره ويصاحبه .

([1]) ينظر : كتابي : دراسات في النحو القرآني ، (إذا) في القرآن الكريم/دراسة نحوية .

ولأنَّ (أتى) على شاكلة (إن) الشرطية فقد استعملت بعدها من دون (جاء) في قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(الأنعام ٤٠} وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ)(الأنعام : ٤٧} وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ)(يونس : ٥٠} وقوله تعالى : (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ)(النساء : ٢٥} ولم تُستعمل (أتى) بعد (إذا) إلّا في أربعة مواضع .

ولأنَّ لفظ (جاء) أأصل وأدلُّ من (أتى)على معنى المجيء وحصول معناه ووقوعه ؛ ولأنّ (إذ) الظرفية تستعمل ظرفًا لما مضى ، فهي ظرف لما قد وقع وحصل ، دخلت (إذ) على (جاء) من دون (أتى) في مواضع كثيرة كقوله تعالى : (فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ)(الأنعام : ٤٣} وقوله تعالى : (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلّا أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)(الأعراف : ٥} وقوله تعالى : (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلّا أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولًا)(الإسراء : ٩٤} وقوله تعالى : (فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لاظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا)(الإسراء : ١٠١} وقوله تعالى : (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي)(الفرقان : ٢٩} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)(الأحزاب : ٩} ولم تدخل (إذ) على (أتى) بل دخلت على (آتى) التي هي بمعنى (أعطى)

وللعلة نفسها دخلت (لقد) و(قد) اللتان تفيدان التوكيد والتحقيق دخلتا على (جاء) من دون (أتى) في مواضع كثيرة كقوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ)(البقرة : ٩٢} وقوله تعالى : (قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ)(آل عمران :

١٨٣} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُم)}النساء : ١٧٠} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الأنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ)}القمر : ٤} ولم تدخل (قد) أو (لقد) على (أتى) بل دخلتا على (آتى) التي هي بمعنى (أعطى)

ومما أوهم أهل اللغة بوحدة معنييهما ذكرهما معًا في عدة مواضع ، كقوله تعالى : (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا {٨٩} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا {٩٠} أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا {٩١} وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا {٩٢} إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا {٩٣} لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا {٩٤} وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)}مريم : ٨٩-٩٥} قال : (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) فاستعمل المجيء لأمرين : لما عَظُمَ فيه كفرهم وادعاؤهم أنَّ لله ولدًا ، ولحضورهم هذا الادعاء وملازمتهم إيّاه ، وقال : (إلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) فاستعمل الإتيان للتعبير عن يسر حصول إتيانهم الله بهذين الحالين : الفردية والعبودية ، مع ضرورة التنبيه على أنَّ اسم الفاعل كصيغتي المضارع ، والأمر ، ورد من الإتيان ولم يرد من المجيء .

وكقوله تعالى : (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا)}مريم : ٢٧} قال (فَأَتَتْ بِهِ) لأنَّها كانت في مكان توارت فيه عن أنظار الناس ، و(أتى) تستعمل من دون جاء لهذا الغرض ، وقال (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) فاستعمل المجيء ، لأنَّهم ارادوا اتهامها بشيء ، عَظُمَ أمره ، وتحضره وتصاحبه ، بل تحمله ، وقوله تعالى : (قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا)}الأعراف : ١٢٩} قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية : ((والإتيان والمجيء مترادفان ، فذكر المجيء بعد الإتيان ليس لاختلاف المعنى ، ولكنه للتفنن وكراهية إعادة اللفظ ، والإتيان والمجيء مدلولهما

واحد))[1] وليس الأمر كما قال ، بل لم يفطن هو ومَن قبله إلى ما نوَّهت به بأنَّ القرآن الكريم استعمل من الإتيان الصيغ الثلاث : الماضي ، والمضارع ، والأمر ، ولم يستعمل من المجيء إلّا صيغة الفعل الماضي ، فاستعمل الماضي من المجيء من دون الإتيان في قوله تعالى : (وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) لأنَّه يفيد حصوله ؛ ولأنَّ المراد حصول الأذى في غياب الإتيان ؛ فيكون الإتيان بمثابة فعل غير حاصل ؛ لذلك استعمل المضارع من الإتيان من دون المجيء فقال : (مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا) ولم يقل : من قبل أن تجيئنا ؛ ولمثل هذا الفرق بينهما ونحوه وغيره مما تقدم ذكره لم ترد صيغة الفعل المضارع من المجيء ، ومن ذلك قوله تعالى : (حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ {١٠٥} قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {١٠٦} فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ {١٠٧} وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ){الأعراف : ١٠٥-١٠٨} استعمل لفظ المجيء لا الإتيان فقال : (قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) للاهتمام بالبينة وهي معجزتاه الظاهرتان المذكورتان ، وتأمَل قوله تعالى : (إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا) قال (جِئْتَ) لأنَّه تعبير عن عمل قد حصل ، وللقيام به أول مرة فهو يحتاج إلى قوة في الفعل ، وقال (فَأْتِ) لأنَّه عمل لم يحصل بعد ؛ وللقيام به للمرة الثانية ؛ لأنَّ إعادة فعل الشيء تكون أيسر وأسهل ، لذلك قال : (فَأْتِ بِهَا) ولم يقل : فجئ بها ، ولمثل هذا الفرق بينهما ونحوه وغيره مما تقدم لم ترد صيغة فعل الأمر من المجيء .

فأنت ترى أنَّ ثمة فرقًا بين المجيء والإتيان ، وإن دقَّ وصعب التعرّف إليه ، على الرغم من إجماع أهل اللغة على أنَّ المجيء أقرب

([1]) التحرير والتنوير ٢٤٧/٨ .

الألفاظ المرادفة للإتيان ، بل جعله أصحاب كتب الوجوه وكثير من أهل اللغة والتفسير أحدهما يعني الآخر بعينه .

وصفوة القول أنَّ الوجوه الستة عشر التي نسبها أصحاب كتب الوجوه إلى الإتيان قد اختلقوها بأربع طرائق : بجعله بمعاني مرادفاته أو بذكر ما أفاد وخالف المعنى المراد ، وبجعله بمعاني السياق ، وبإقحام معاني الكناية وما تُوسِّع فيه في باب الوجوه ، وبتأويل صفات الله سبحانه

٤-**الإخراج** : قال الحيري : ((الإخراج على ثلاثة أوجه :

أحدها : بمعنى الإنبات كقوله تعالى : (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ)[البقرة : ٢٢]

والثاني : بمعنى الإظهار ، كقوله تعالى : (وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)[البقرة : ٧٢]

والثالث : الإخراج نفسه ، كقوله تعالى : (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ)[محمد : ١٣]})) [١]

جعلَ الإخراج بمعنى الإنبات في الوجه الأول في قوله تعالى : (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ) والمراد الإخراج بعينه ، ولو قيل : فأنبت به من الثمرات رزقًا لكم ، لأفاد تذكيرنا بمراحل نمو النبات من بدء كونه حبة وبذرة إلى أن صارت شجرة مثمرة ، فلمَّا لم يكن المراد هذا ، وإنَّما تذكيرنا بالمُحَصَّل النهائي الناتج من نعمة المطر استعمل الإخراج لا الإنبات وقال : (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ) وإذا قُصِد تذكير الإنسان بمعنى نمو شيء ومراحل تطوره استعمل الإنبات لا الإخراج كما جاء هذا في قوله تعالى : (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا)[نوح : ١٧] فاستعمل الإنبات

([١]) وجوه القرآن ص ٣٩-٤٠

للحاجة إلى معناه في سياق هذه الآية ، لأنَّه أراد التنبيه على ((أنَّ الإنسان هو من وجه نبات ، من حيث إنَّ بدأه ونشأه من التراب ، وأنَّه ينمو نموه))[١]

وجعلَ الإخراج بمعنى الإظهار في الوجه الثاني في قوله تعالى : (وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) والإظهار نقيض الكتمان ، والإخراج نقيض الإدخال ، والقلب كالوعاء يدخل المرء أسراره فيه ، ثم يكتمها ويسترها بمعنى لا يكشف عنها ويظهرها ، والله سبحانه وتعالى يفعل ما هو أعظم من كشف أسرارهم ، وهو إخراجها من مقرها في القلوب .

والدليل على أنَّ الإخراج ليس من الألفاظ المشتركة جعله في الوجه الثالث يعني الإخراج نفسه ، وهذا يعني أنَّ الوجهين الآخرين لا يعنيان الإخراج نفسه ، فالفرق واضح بين الإخراج والإظهار والإنبات ، فالخروج هو النفاذ عن الشيء ، وإخراجه من مقره وهو نقيض الدخول[٢] والظهور : بروز الشيء وانكشافه[٣]والنبات والإنبات يدل على نماء في مزروع ثم يستعار[٤] فأنت ترى أنَّ أهل اللغة أنفسهم قد بيَّنوا أنَّ لكل لفظ معناه الخاص به ، فجعل الإخراج بمعنى الإنبات في الوجه الأول ، وبمعنى الإظهار في الوجه الثاني تحريف لدلالة الإخراج في شواهد هذين الوجهين

والإنبات ، والإظهار ، والإخراج ، معان متقاربة ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، وهذا هو الذي مكَّن الحيري وغيره من أصحاب كتب الوجوه من اختلاق الأوجه ، ذلك بجعل

---

(١) المفردات ص ٥٠٢

(٢) ينظر : العين للفراهيدي ص ٢٣٦ ومقاييس اللغة ص ٢٥٤ ، والمفردات للراغب ص ١٥١

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٥٥٤ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٨٨٠.

اللفظ بمعاني مرادفاته ، لجواز وقوع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ، والألفاظ المترادفة مهما اشتد ترادفها لا بدَّ من أن تكون بينها فروق معنوية خاصة ، وهي المعاني المقصودة في القرآن الكريم ، فجعل اللفظ بمعاني مرادفاته يُعدُ تحريفًا ظاهرًا لدلالة النص القرآني ، ويُعدُّ هدمًا لظاهرة الترادف في لغة القرآن الكريم ؛ ذلك بتحويل ألفاظه إلى وجوه

٥-الإخلاد : ذكر الدامغاني وابن الجوزي أنَّ أخلدَ في القرآن على معنيين :

أحدهما : بمعنى الميل ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾{الأعراف : ١٧٦}

والثاني : بمعنى التخليد ، ومنه قوله تعالى : ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾{الهمزة : ٣}))[١]

قال الخليل : ((وأخلد فلان إلى كذا ، أي : ركن إليه ورضي به))[٢]

وقال ابن فارس : ((الراء والكاف والنون أصل واحد يدلُّ على قوَّة فركن الشيء جانبه الأقوى)) [٣] وقال : ((الخاء واللام والدال أصل واحد يدلُّ على الثبات والملازمة ، فيقال : خَلَدَ : أقام ، وأخلد ، أيضًا ، ومنه جنة الخلد٠٠٠ويقولون : رجل مُخلَّد ورجل مُخلِد : إذا أبطأ عنه المشيب ، وهو من الباب ؛ لأنَّ الشباب قد لازمه ، ولازم هو الشباب ، ويقال : أخلدَ إلى الأرض : إذا لصق بها ، قال الله تعالى : ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾{الأعراف : ١٧٦} فأمَّا قوله تعالى : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٧٦ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ١٤ ومنتخب قرة العيون ص ٢٧

(٢) العين ص ٢٦١

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٤٩

مُّخَلَّدُونَ)}[الإنسان : ١٧} فهو من الخُلْد ، وهو البقاء ، أي : لا يموتون ، وقال آخرون : من الخِلَد ، والخِلَدُ ، جمع خِلَدَة ، وهي القُرْط فقوله (مُّخَلَّدُونَ) أي : مُقَرَّطون مشنَّفون٠٠٠وهذا قياس صحيح ؛ لأنَّ الخِلَدَة ملازمة للأُذن ، والخَلَد : البال ، وسُمِّي بذلك ؛ لأنَّه مستقر في القلب ثابت))[١]وقال ابن سيده : ((خلّدَ يخلُد خُلْدًا وخُلودًا : بقي وأقام٠٠٠وخَلَدَ بالمكان يخلُد خُلودًا ، وأخلَدَ : أقام٠٠٠وخلَدَ إلى الأرض ، وأخلَدَ : أقام فيها ، ومال إليها ، وفي التنزيل : (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ)}[الأعراف : ١٧٦}٠٠٠وأخلَدَ بصاحبه : لزمه))[٢] وقال الراغب : ((الخلود هو تبرِّي الشيء من اعتراض الفساد ، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها ، وكلّ ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود ، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها٠٠٠ثم استعير للمبقي دائمًا ، والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها٠٠٠وإخلاد الشيء جعله مُبفىً ، والحكم عليه بكونه مُبْقىً ، وعلى هذا قوله تعالى : (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ)}[الأعراف : ١٧٦} أي : ركنَ إليها ظانًّا أنَّه يخلد فيها)) [٣]

جعل الدامغاني وابن الجوزي أخلد في الوجه الثاني يعني الخلود بعينه ، وجعلاه في الوجه الأول بمعنى الميل في قوله تعالى : (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) وقد تقدم أنَّ أهل اللغة جعلوا أخلد في هذا الشاهد بمعنى : ركن إليها ، ولصق بها ، ومال إليها ، وأقام فيها ، ولزمها ، أي : أنَّ أهل اللغة لم يعينوا لـ(أخلد) معنى الميل كما جاء في باب الوجوه ، بل جعلوه أحد

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٦٦

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ١٣٨/٥وينظر : لسان العرب ١٢٤/٥

(٣) المفردات ص ١٦٠ وينظر : عمدة الحفاظ ٥١٩/١–٥٢٠ وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٥٥٩/٢–٥٦٠

معانيها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ معنى الركون واللصوق أقوى وأشد من معنى الميل ، فهما أقرب منه إلى معنى الإخلاد ، وأقرب منها جميعًا معنى الإقامة واللزوم ؛ لأنَّ هذا هو معنى الخلود وماشتق منه ، وأبعدها معنى الميل ، وتأمَّل أنَّ ابن الجوزي نفسه قبل أن يعيِّن وجه الميل في النزهة قال في النزهة نفسها : ((قال أبو الحسين بن فارس اللغوي : يقال : أخلد : إذا أقام٠٠٠وأخلدَ إلى الأرض : لصق بها))[١] ومع ذلك عيَّن لـ(أخلد) معنى الميل ، فلم يأخذ بالمعنى القريب ولا الأقرب بل بالمعنى الأبعد

تقدم ما جاء في كتب اللغة ومثله جاء في كتب التفسير ، قال الطبري : ((عن سعيد بن جبير (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) يعني : ركن إلى الأرض٠٠٠نزع إلى الأرض٠٠٠عن مجاهد : أخلد : سكن٠٠٠عن السُّدِّي٠٠٠فاتبع هواه وركن إليها٠٠٠وأصل الإخلاد في كلام العرب : الإبطاء والإقامة ، يقال منه : أخلد فلان بالمكان إذا أقام به٠٠٠وكان بعض البصريين يقول : معنى قوله : أخلد : لزم وتقاعس وأبطأ))[٢] ((أي : سكن إلى لذاتها ، وأصل الإخلاد اللزوم ، يقال : أخلد فلان بالمكان أقام به ولزمه٠٠٠فكأنَّ المعنى : لزم لذَّات الأرض ، فعبَّر عنها بالأرض ؛ لأنَّ متاع الدنيا على وجه الأرض))[٣] وها هو ابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل أخلدَ بمعنى مالَ في قوله تعالى : (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) أي : ركن إلى الدنيا وسكن٠٠٠وفي معنى الكلام قولان :

أحدهما : أنَّه ركن إلى أهل الدنيا .

---

(١) نزهة الأعين ص ١٤

(٢) جامع البيان ١٥٢/٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٠/٧

والثاني : أنَّه ركن إلى شهوات الدنيا))[1]فالوجه الذي قال به في باب الوجوه لم يقل به في باب التفسير ، والصحيح كما تبيَّن من كتب اللغة والتفسير أنَّ أقرب المعاني إلى أخلدَ في شاهد الوجه الأول هو معنى الإقامة واللزوم ، وهذا يعني أنَّه باق على معناه .

فلا بأس في أن نجعل الإخلاد بمعنى الميل وإن كان أبعد المعاني عنه مادام يقترن بالمعاني الأُخَر ، وما دام الغرض من جعله بهذا المعنى أو ذاك الإيضاح والتعريف كما هو حاصل في كتب اللغة والتفسير ، لكن البأس كلّ البأس ، أن نجعله بمعنى الميل على سبيل الفطع والتعيين ، كما هو حاصل في كتب الوجوه ؛ لأنَّ في ذلك تحريفًا لدلالته

٦-**الإدراك** : قال الدامغاني : ((تفسير الإدراك على أربعة أوجه : ألجمه ، ولحق ، واجتمع ، ورأى .

فوجه منها :، أدركه : ألجمه ، فذلك قوله في سورة يونس : (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ)[يونس : ٩٠} بمعنى : ألجمه

والوجه الثاني ، أدرك : أي : لحق ، فذلك قوله في سورة الشعراء : (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ)[يونس : ٦١} أي : مُلحقون

والوجه الثالث ، ادَّارك ، أي : اجتمع ، فذلك قوله تعالى في سورة النمل : (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الأخِرَةِ)[النمل : ٦٦} أي : اجتمع ، وكقوله تعالى في سورة الأعراف : (حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا)[الأعراف : ٣٨}

والوجه الرابع ، الإدراك : الرؤية ، قوله تعالى في سورة الأنعام : (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ)[الأنعام : ١٠٣} يعني : لا تراه الأبصار ، وهو يرى الأبصار)) [2]

([1]) زاد المسير ٢٢٢/٣

([2]) الوجوه والنظائر ص ٦٥ .

الإلجام ، واللحوق ، والاجتماع ، كما جاء في الأوجه الثلاثة الأولى قريبة من معنى الإدراك ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه .

قال ابن فارس : ((الدال والراء والكاف أصل واحد ، وهو لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه ... ويقال : فرس دَرَكُ الطريدة : إذا كانت لا تفوته طريدة ، ويقال : أدرك الغلام والجارية : إذا بلغا ... أمَّا قوله تعالى : (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الأخِرَةِ){النمل : ٦٦} فهو من هذا ؛ لأنَّ علمهم أدركهم في الآخرة حين لم ينفعهم)) [١]وقال الراغب : ((الدَّرْك كالدَّرْج ، لكن الدَّرْج يقال اعتبارًا بالصعود ، والدَّرك اعتبارًا بالحدور ، ولهذا قيل درجات الجنة ، ودركات النار ... وقال : ((بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الأخِرَةِ){النمل : ٦٦} أي : تدارك فأُدغمت التاء في الدال ، وتُوصِّل إلى السكون بألف الوصل ... وقال الحسن : معناه : جهلوا أمر الآخرة وحقيقته انتهى علمهم في لحوق الآخرة فجهلوها)) [٢]

ولأنَّ الأوجه المبنية على الترادف ليس وجه منها أولى من غيره ؛ لأنَّ جميعها واحدة من جهة ترادفها ، جاز تعدد أوجه الشاهد الواحد ، واستبدال بعضها ببعض ، من ذلك مثلًا أنَّ الفيروزآبادي لم يجعل الإدراك في الوجه الأول بمعنى الإلجام كما فعل الدامغاني بل جعله ((بمعنى : الإلجاء والاضطرار : (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) أي : ألجأه واضطره))[٣]وكذلك لم يعيِّن المفسرون للإدراك هنا معنى من دون غيره ، فقد قال الطبري : (((حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) يقول : حتى إذا أحاط به الغرق)) [٤]وقال

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٨٩.

(٢) المفردات ص ١٧٤-١٧٥.

(٣) بصائر ذوي التمييز ١٣٠/٢.

(٤) جامع البيان ١٨٦/١٢.

القرطبي : (((حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) أي : ناله ووصله))[1] وقال البيضاوي : (((حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) لحقه))[2] وهذا جائز في باب التفسير ، فلا يكون هناك تحريف لدلالة اللفظ القرآني ، لأنَّ التفسير يراد به إيضاح المعنى بأيٍّ مرادف كان يحقق هذا الغرض فلا يتطلب تعيين المعنى ، إلّا أنَّ التحريف يكون في كتب الوجوه ؛ لأنَّ الوجوه يتطلب تعيين معانيها والقطع بها .

الإدراك والرؤية : والدليل على أنَّ أصحاب كتب الوجوه لم يكن يهمّهم من الوجوه التي ينسبونها إلى ما شاؤوا من الألفاظ أن تكون صحيحة أم غير صحيحة ، موافقة للعقيدة أم لا ، لم يكن يعنيهم هذا كلّه سوى اختلاق الوجوه ، وأوضح دليل على ذلك أنَّ الدامغاني والفيروزآبادي جعلا الإدراك في الوجه الرابع بمعنى الرؤية في قوله تعالى : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ)[3] ومن دون أيّ تعليق كان ، في حين أنَّ هذا المعنى مختلف فيه أيّما اختلاف من الناحية العقائدية ، قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) فقال بعضهم : معناه : لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بها ... واعتلَّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : إنَّ الله قال : (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) قالوا : فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنَّه أدرك فرعون ، ولا شك أنَّ الغرق غير موصوف بأنَّه رآه ، ولا هو مما يجوز وصفه بأنَّه يرى شيئًا ، قالوا : فمعنى قوله : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) بمعنى : لا تراه ، بعيد ؛ لأنَّ الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه))[4]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٨/٨.

(2) أنوار التنزيل ١٢٣/٣.

(3) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٦٥ وبصائر ذوي التمييز ١٣٠/٢.

(4) جامع البيان ٣٤٨/٧.

وقال الزجاج : ((وقوله عز وجل : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) أعْلَمَ عز وجل أنَّه يدرك الأبصار ، وفي هذا الإعلام دليل على أنَّ خلقه لا يدركون الأبصار ، أي : لا يعرفون كيف حقيقة البصر ، وما الشيء الذي صار به الإنسان يُبصر بعينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه ، فأعلم أنَّ خلقًا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه ، ولا يحيطون بعلمه فكيف به عز وجل ، فالأبصار لا تحيط به ، فأمَّا ما جاء من الأخبار في الرؤية وصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغير مدفوع ، وليس في هذه الآية دليل على دفعه ؛ لأنَّ معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء ، والإحاطة بحقيقته ، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث))[1]

وقال الواحدي : ((قوله : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) الإدراك : الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته ، وهو غير الرؤية ؛ لأنَّه يصحّ أن يقال : رآه وما أدركه ، فالأبصار ترى الله عز وجل ، ولا تحيط به ، كما أنَّ القلوب تعرفه ولا تحيط به ... وعلى هذا التفسير نقول : إنَّ البارئ سبحانه يُرى ولا يُدرَك ؛ لأنَّ معنى الإدراك : الإحاطة بالمرئي ، وإنَّما يجوز ذلك على من كان محدودًا وله جهات)) [2] فنحن مثلًا نرى القمر ويمكن لأبصارنا أن تحيط به ، فنرى حدوده وجهاته ، وكذلك نرى السماء لكننا لا نرى حدودها وجهاتها فلا تحيط أبصارنا بها .

وجعل الإدراك بمعنى الرؤية أعطى للمعتزلة الحجة على أنَّ الله سبحانه ((متعال أن يكون مُبصَرًا)) [3] وأنَّه لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة

([1]) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٢٥

([2]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/٣٠٦-٣٠٧

([3]) الكشاف ٢/٥٢ .

قال ابن عطية : ((أجمع أهل السنة على أنَ الله تعالى يُرى يوم القيامة ، يراه المؤمنون ... وكان الإمام أبو عبد الله النحوي يقول : مسألة العلم حلقتْ لحى المعتزلة ، ثم ورد الشرع بذلك ، وهو قوله عز وجل : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ){القيامة : ٢٢-٢٣} وتعدية النظر يأتي إنَّما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة ، وذكر هذا المذهب لمالك فقال : فأين هم عن قوله تعالى : (كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ){المطففين : ١٥} ... ومنه قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيما صحَّ عنه وتواتر وكثر نقلُه : إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ونحوه من الأحاديث على اختلاف ترتيب ألفاظها ، وذهبت المعتزلة إلى المنع من جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة ... وتمسكوا بقوله تعالى : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) وانفصل أهل السنة عن تمسكهم بأنَّ الآية مخصوصة في الدنيا ، ورؤية الآخرة ثابتة بأخبارها ، وانفصال آخر وهو أن يُفرَّق بين معنى الإدراك ومعنى الرؤية ، ونقول : إنَّه عز وجل تراه الأبصار ولا تدركه ، وذلك الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته)) [١]

وقال البيضاوي : (((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) أي : لا تحيط به ... واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف ؛ إذ ليس الإدراك مطلق الرؤية)) [٢] وقال النسفي : ((وتشبُّث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب ؛ لأنَّ المنفي هو الإدراك لا الرؤية ، والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده ، وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل إدراكه لا رؤيته)) [٣]

وقال أبو حيان الأندلسي : (((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ)

---

(١) المحرر الوجيز ٢/٣٣٠.

(٢) أنوار التنزيل ٢/١٧٦ .

(٣) مدارك التنزيل ص ٣٣٦.

الإبصار قيل : معناه : الإحاطة بالشيء ، وبذلك فسَّره هنا ابن عباس ، وقتادة ، وعطية العوفي ، وابن المسيب ، والزجاج ... ولا تنافي الرؤية انتفاء الإدراك ... (وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) دلالة على أنَّ الإدراك لا يراد به هنا مجرد الرؤية ؛ إذ لو كان مجرد الرؤية لم يكن له تعالى بذلك اختصاص ولا تمدح ؛ لأنَّا نحن نرى الأبصار ، فدل على أنَّ معنى الإدراك الإحاطة بحقيقة الشيء ، فهو تعالى لا تحيط بحقيقته الأبصار ، وهو محيط بحقيقتها)) [1]

وقال ابن كثير : ((وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية أنَّه لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دلّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ... وعن عكرمة أنَّه قيل له : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) قال : ألست ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : فكلّها ترى ؟!)) [2]

بعد كل ما نقلناه من كلام المفسرين أترى أنَّ أصحاب كتب الوجوه كان يعنيهم تحري الدقة والصحة من التأويل والتفسير بقدر ما كان يعنيهم اختلاق الوجوه ولو كان على حساب الحقيقة والعقيدة .

٧-**الإرسال** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الإرسال في القرآن الكريم على ثمانية أوجه :

الأول : أرسلنا : سلَّطنا ، كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ){مريم : ٨٣} يعني : سلطنا

والثاني : أرسل ، أي : بعث ، كقوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا){النساء : ٧٩} أي : بعثناك للناس رسولًا مبعوثًا .

والثالث : أرسل : فتح ، كقوله تعالى : (وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ){فاطر : ٢} أي : لا فاتح له من بعده .

([1]) البحر المحيط ٢٥٢/٤.

([2]) تفسير القرآن العظيم ٢٢٤/٣.

والرابع : أرسل ، أي : أخرج وأظهر ، كقوله عز وجل : (إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ)[القمر : ٢٧} أي : مخرجو الناقة .

والخامس ، أرسل ، أي : وجَّه ، كقوله عز وجل : (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ)[الشعراء : ٥٣} يعني : وجَّه فرعون

والسادس ، أرسل ، أي : أطلق من العذاب ، كقوله : (أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)[الشعراء : ١٧} أي : أطلقهم من العذاب .

والسابع ، الإرسال : الإنزال من المطر وغيره ، قوله تعالى في سورة نوح : (يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا)[نوح : ١١}

والثامن : الإرسال ، العذاب ، كقوله تعالى : (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا)[الكهف : ٤٠} وقوله تعالى : (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ)[الذاريات : ٣٣}[١]

قال ابن فارس : ((الراء والسين واللام أصل واحد وطرد منقاس ، يدل على الانبعاث والامتداد))[٢] وقال ابن الجوزي : ((الإرسال في المحبوس إطلاقه ، وفي المطلق بعثه))[٣]

جَعْلُ الإرسال في الوجه الثامن بمعنى العذاب في قوله (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا) وقوله تعالى : (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ) فُهِم من الحسبان الذي يعني العذاب كما جاء في الشاهد الأول ، ومن الحجارة المُنزلة من السماء كما جاء في الشاهد الثاني ، فهو إذن معنى السياق وليس معنى الإرسال .

---

(١) وجوه القرآن للحيري ص ٩٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٥٧-٥٨ و نزهة الأعين ص ٤٨ وبصائر ذوي التمييز ٩٨/٢ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٣٤-٣٣٥ .

(٣) نزهة الأعين ص ٤٨.

لقد ظهر لي أنَّ أصحاب كتب الوجوه ينسبون إلى اللفظ ما شاء من الأوجه من دون أن يلحظوا صحتها أو ملاءمتها للسياق والمعنى المراد ، فقد جعلوا مثلًا الإرسال بمعنى الفتح في قوله تعالى : (وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ){فاطر : ٢} فالباحث لا يستطيع أن يجد أيَّ مسوغ كان دلالي أو سياقي ولو من مكان خفي لجعل الإرسال بمعنى الفتح في هذا الشاهد القرآني ، ذلك أنَّ أصحاب كتب الوجوه ذكروه مقطوعًا عمَّا قبله ، فهو وارد ضمن قوله تعالى : ((مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فجعلوا (فَلا مُرْسِلَ لَهُ) بمعنى : لا فاتح له ، ليكون مقابلًا لقوله تعالى : (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ) وهذا مسوغ ارتجالي ، لأنَّه لو أراد معنى الفتح لاستعمل لفظه وقال كما قدَّره الدامغاني ومن تابعه ، كما أنَّ المقام يختلف ، فقد استعمل الإرسال بعد الإمساك ، وقد استعمل الفتح في أول الآية ولم يكن هناك إمساك قبله .

والحقّ أنَّ هذه الوجوه ونحوها يجب إدخالها في باب التفسير ، لجعل الباب مفتوحًا لإيضاح المعنى المراد بما شاء من التعابير، والتحريف يأتي من إدخالها في باب الوجوه وتعيين المعنى وغلْق الباب ، فلم يفسَّر الزمخشري مثلًا الإرسال بمعنى الفتح كما جاء في الوجه الثاني في قوله تعالى : (وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ) بل فسره بقوله : ((وأيّ شيء يمسك اللهُ فلا أحد يقدر على إطلاقه))[1]

وكذلك إن عيَّنوا جعل الإرسال في الوجه الأول بمعنى التسليط في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ){مريم : ٨٣} فالمفسرون لم يعينوا هذا المعنى ، قال الطبري : ((قال ابن زيد في قوله تعالى : (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ) فقرأ : (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ

(1) الكشاف ٥٧٩/٣

الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ){الزخرف : ٣٦}))[١] فجعل أرسلنا بمعنى قيّضنا ، والأخذ بهذا المعنى أولى من معنى التسليط ؛ لأنَّه مستوحى من القرآن الكريم ، والقرآن يُفسِّر بعضه بعضًا ، وقال الزجاج : ((في قوله : (أَرْسَلْنَا) وجهان ، أحدهما : أنَّا خلينا الشياطين وإيّاهم ، فلم نعصمهم من القبول منهم ، والثاني ، وهو المختار : أنَّهم أُرسلوا عليهم ، وقيَّضوا لهم بكفرهم ، كما قال عز وجل : (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) وقد ذكر ابن منظور قوله تعالى : (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ) ثم قال : ((قال أبو العباس : الفرق بين إرسال الله عز وجل أنبياءه ، وإرساله الشياطين على أعدائه تَخْلِيَتَهُ وإيّاهم ... كما تقول : كان لي طائر فأرسلته ، أي : خليته وأطلقته))[٢] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن جعل الإرسال بمعنى التسليط في النزهة[٣] تقليدًا لأصحاب كتب الوجوه ، لم يعيِّنه في تفسيره ، بل تبنى الوجهين اللذين ذكرهما الزجاج[٤]

فأصحاب كتب الوجوه لمّا جعلوا التسليط وجهًا للإنزال ، وهو من مرادفاته لا من أوجهه جاز جعله بمعنى آخر ؛ لكون اللفظ لا بدَّ من أن يكون له عدة مرادفات لا مرادف واحد .

فما من أحد يشك أو يماري أنَّه لو أبقينا (أرسل) على معناه الموضوع له ، وكما عرَّفه أهل اللغة في كل شاهد من شواهد الأوجه المنسوبة إلى الإرسال لما اختلَّ شيء من معناه قدر قطمير ؟ فما الداعي إذن من جعله بهذه الأوجه ؟! فهل يشك أحد بأنَّه ليس من داع إلى ذلك سوى النيّة المسبقة في اختلاق الوجوه ؟!

---

(١) جامع البيان ١٤٥/١٥ .

(٢) ١٥٤/٦ وينظر : تاج العروس ٤٠/٢٩

(٣) نزهة الأعين ص ٤٨ .

(٤) ينظر : زاد المسير ١٩٤/٥.

والأوجه التي نسبوها إلى الإرسال التي تحمل معانيها الخاصة بها واحدة من جهة ترادفها ، أي : أنَّ كل وجه منها يمثل المعنى القريب من الإرسال لا الإرسال بعينه ، ويبدو أنَّ أقرب المرادفات إليه هو البعث ، حتى عرَّف ابن فارس كما تقدم الإرسال بالبعث[١]ولكن مع ذلك فليس أحدهما يعني الآخر بعينه ، بل لا بد من أن يكون بينهما فرق في الدلالة ، فقد فرَّق العسكري ((بين البعث والإرسال ، أنَّه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك ودون المبعوث إليه ، كالصبي تبعثه إلى المكتب ، فتقول : بعثته ، ولا تقول : أرسلته ؛ لأنَ الإرسال لا يكون إلّا برسالة وما يجري مجراها)) [٢]

وأقول ما قلته في أوجه اللفظ السابق بأنَّ التسليط ، والبعث ، والفتح ، والإخراج والظهور، والتوجيه ، والإطلاق ، والإنزال ، لا يصحّ أن تكون أوجهًا للإرسال ؛ لأنَّها جميعها قريبة من معناه ، والأوجه الحقيقية هي التي تكون معانيها مختلفة متباينة ، وقد جاز أن تقع موقع الإرسال لتقارب معانيها من معناه ، أي : يجمعها معنى واحد ، وهذا هو الذي مكّنهم من اختلاقها ، وهي وإن ترادفت وجمعها معنى عام واحد تفترق عن بعضها بمعانيها الخاصة ، وهي المعاني المقصودة في القرآن الكريم ، ومن جعلها بالمعنى العام فقد حرَّف دلالة الإرسال في جميع شواهد الوجوه المنسوبة إليه

٨-**الاستئناس** : قال أبو هلال العسكري : ((الاستئناس : وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الاستئذان ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ){النور : ٢٧} ونسق التلاوة يدل على أنَّه أراد الاستئذان ، وهو قوله

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٤-٣٣٥ .

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٩٩ .

تعالى : (وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ){النور : ٥٩}

الثاني : طلب الأنس بالحديث ، قال الله تعالى : (وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ){الأحزاب : ٥٣}))[١]

الاستئناس والاستئذان : والاستئذان مرادف للاستئناس ، لكن بينهما فرق في الدلالة على الرغم من هذا الترادف ، فالاستئناس من الأنس وهو الطمأنينة ، وزوال الوحشة أو خلافها ، وأذن له أباحه أو سمح له ، والاستئذان : طلب الأذن[٢] والاستئناس غير الاستئذان وإن قيل بأنَّه بمعناه ، قال الفرّاء : ((والاستئناس في كلام العرب : اذهبْ فاستأنس هل ترى أحدًا ، فيكون هذا : انظروا من في الدار)) [٣]وقال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأذنوا ...وقال آخرون ، معنى ذلك : حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخّم وما أشبهه حتى يعلموا أنَّكم تريدون الدخول عليهم))[٤] وهذا هو الصحيح ، بل من الأصح أن يكون المراد : حتى يعلموا أنَّكم تريدون استئذانهم بالدخول ، أي : الاستناس يكون قبل الاستئذان ، وقال الزجاج : ((فمعنى (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) حتى تستعلموا أيريد أهلها أن يُدخَلوا أم لا))[٥] وقال الواحدي : ((حتى تستعلموا وتنظروا وتتعرفوا (وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) هو أن يقول : السلام عليكم ، أدخلُ ؟)[٦] فالاستئناس يكون قبل السلام والاستئذان

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٦٥.

(٢) المفردات للراغب ص ١٩ ، ٧٣ ولسان العرب ١٧٢/١.

(٣) معاني القرآن ١٥١/٢ .

(٤) جامع البيان ١٣١/١٢-١٣٣.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣١/٤ .

(٦) الوسيط ٣١٥/٣ .

يكون بعده ، وقال الزمخشري : (((تَسْتَأْنِسُوا) فيه وجهان ، أحدهما : أنَّه من الاستئذان الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش ... ويجوز أن يكون من الأنس، وهو أن يتعرف هل ثمّةَ إنسان ؟))[1] وقال ابن عطية : (((تَسْتَأْنِسُوا) تستعلموا ، أي : تستعلموا من في البيت وتستبصروا ... واستأنس ، وزنه استفعل فكأنَّ المعنى في (تستأنسون) تطلبون ما يؤنسكم ويؤنس أهل البيت))[2] وقال البيضاوي : ((أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش ، فإنَّ المستأذن مستوحش خائف أن لا يُؤذن له))[3] وقال النسفي : ((والاستئناس في الأصل الاستعلام والاستكشاف ، استفعال من أنس الشيء ، أي : حتى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا ؟ وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح))[4] ((وعن أبي هبيرة قال : كان عبد الله : إذا دخل الدار استأنس وتكلم ورفع صوته ، وقال مجاهد : (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) قال : تنحنحوا وتنخموا ، وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنَّه قال : إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحنح أو يحرك نعليه))[5] ومعنى : إذا دخل بيته : إذا أراد أن يدخل بيته ، كما تقول : إذا أكلتَ فسم باسم الله ، وقولك : إذا سافرتَ فحضِّر متاعك ، أي : إذا أردت أن تأكل ، وإذا أردت أن تسافر ((وقيل : إنَّ معنى (تَسْتَأْنِسُوا) تستعلموا ، أي : تستعلموا من في البيت ، قال مجاهد : بالتنحنح أو بأيِّ وجه أمكن ويتأتَّى قدر ما يُعلَم أنَّه قد شُعِر به

([1]) الكشاف ٣/٢٢٠.

([2]) المحرر الوجيز ٤/١٧٥.

([3]) أنوا ر التنزيل ٤/١٠٣.

([4]) مدارك التنزيل ص ٧٧٦ .

([5]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٣٩٥.

ويدخل إثر ذلك ... قلتُ وهذا نص في أنَّ الاستئناس غير الاستئذان ، كما قال مجاهد ومن وافقه))[1] فالاستئناس ليس هو الاستئذان بل الممهد له

أمَا الوجه الثاني الذي جعله بمعنى : طلب الأنس فهو معنى الصيغة ، وصيغة (استفعل) من معانيها المشهورة الطلب ، فيكون بمعنى الوجه الأول .

فالاستئذان ، وطلب الإنس ، مرادفان للاستئناس ، وليسا وجهين له .

٩-الأسف : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الأسف في القرآن الكريم على وجهين :

أحدهما : الحزن ، ومنه قوله تعالى : (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا){الأعراف : ١٥٠} ومثله قوله تعالى : (وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ){يوسف : ٨٤}

والثاني : الغضب ، ومنه قوله تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ){الزخرف : ٥٥}[2]

قال الخليل : ((الأسف : الحزن في حال ، والغضب في حال ، فإذا جاءك أمر ممن هو دونك فأنت آسف ، أي غضبان ، وإذا جاءك ممن فوقك ، أو من مثلك ، فأنت آسف ، أي : حزين ، فقوله تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا)(الزخرف : ٥٥} أي : أغضبونا))[3] وقال ابن فارس : ((الهمزة والسين والفاء أصل واحد ، يدلّ على الفوت والتلهف وما أشبه٠٠٠والآسِف : الغضبان ، قال الله تعالى : (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ

([1]) الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٢.

([2]) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١١٢ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ١٦ ومنتخب قرة العيون ص٣٠ وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ١٨٥/٢

([3]) العين ص ٢٦-٢٧

أَسِفًا)}الأعراف : ١٥٠{٠٠٠فيقال : هو الغضبان ، ويقال : إنَّ الأسافة الأرض التي لا تنبت ، وهذا هو القياس ؛ لأنَّ النبات قد فاتها))[١]وقال ابن سيده : ((الأسف : المبالغة في الحزن والغضب)) [٢] وقال الراغب : ((الأسف : الحزن والغضب معًا ، وقد يقال لكلٍّ منهما على الانفراد ، وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام ، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضبًا ، ومتى كان على مَن فوقه انقبض فصار حزنًا٠٠٠وقوله تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا)(الزخرف : ٥٥} أي : أغضبونا٠٠٠وقوله تعالى : (غَضْبَانَ أَسِفًا)}الأعراف : ١٥٠} والآسف : الغضبان)) [٣] ((وأسف عليه أسفًا ، أي : غضب ، وآسفه : أغضبه ، وفي التنزيل العزيز : (فَلَمَّا آسَفُونَا)(الزخرف : ٥٥} معنى آسفونا : أغضبونا ، وكذلك قوله عزَّ وجلَّ (غَضْبَانَ أَسِفًا)}الأعراف : ١٥٠} والأسيف والآسف : الغضبان)) [٤]

جعل ، كما رأيت ، أصحاب كتب الوجوه الأسف في الوجه الأول بمعنى الحزن في قوله تعالى : (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) وجعله أهل اللغة في هذا الشاهد نفسه بمعنى الغضب ، وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب في الوجه الأول جعل الأسف بمعنى الحزن في قوله تعالى : (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) وقوله تعالى : (وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) قال في تفسير الشاهد الأول : ((قوله تعالى : (غَضْبَانَ أَسِفًا) في الأسِف ثلاثة أقوال : أحدها : أنَّه الحزين ، قاله ابن عباس ، والحسن ، والسُّدِّي ، والثاني : الجزع ، قاله مجاهد ، والثالث :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤١

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٥٥٧/٨

(٣) المفردات ص ٢١-٢٢وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي٩٠/١

(٤) لسان العرب ١٠٥/١

الشديد الغضب ، قاله ابن قتيبة [١] والزجاج[٢] وقال أبو الدرداء : الأسف : منزلة وراء الغضب أشد منه)) [٣] وقال في تفسير الشاهد الثاني : ((قال ابن عباس : يا طول حزني على يوسف ، قال ابن فتيبة : الأسف أشد الحسرة))[٤] فما عيَّنه في باب الوجوه لم يعيِّنه في باب التفسير ، فأنت ترى أنَّ أهل الوجوه ، وأهل اللغة ، وأهل التفسير ، لم يتفقوا على تحديد دلالة الأسف في شاهدي الوجه الأول ، وقد اتفقوا على أنَّ المراد من الأسف معنى الغضب لا معنى الحزن في شاهد الوجه الثاني : (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) ذلك أنَّه قد ورد في الكتاب والسنة أنَّ الله يغضب ، لكنه لم يرد فيهما أنَّه يحزن

والحقيقة أنَ الأسف لا يعني الحزن ، ولا يعني الغضب ، بل هما قريبان من معناه ، وقد نوَّهتُ غير مرة أنَّ أهل اللغة وأهل التفسير يعرِّفون ويفسّرون المفردة القرآنية بما يرادف معناها لا بما يطابقها ، والأصح والأسلم أن تعرَّف وتفسَّر بأقرب المعاني إليها ، وأقرب المعاني إلى الأسف ليس هو الحزن ولا هو الغضب ، وإنَّما هو معنى التحسّر على ما فات ، وقد تقدم قول ابن فارس : ((الهمزة والسين والفاء أصل واحد ، يدلّ على الفوت والتلهف وما أشبه٠٠٠ويقال : إنَّ الأسافة الأرض التي لا تنبت ، وهذا هو القياس ؛ لأنَّ النبات قد فاتها))[٥] فالأسف يعني التحسر على ما فات[٦] والإنسان يتحسّر على ما فاته ؛ لأنَّه لا يستطيع إدراك وإرجاع ما مضى ،

---

(١) ينظر : تفسير غريب القرآن ص ١٧٣

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٣٠٦/٢

(٣) زاد المسير ٢٠٢/٣

(٤) زاد المسير ٢٠٨/٤

(٥) ينظر : مقاييس اللغة ص ٤١

(٦) مقاييس اللغة ص ٨٢٢

والله سبحانه وتعالى لا يتحسَّر ؛ لأنَّه بيده الماضي والحاضر والمستقبل ، لكن الله سبحانه قال : (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) ولم يقل : فلمَّا أغضبونا ؛ لأنَّه أراد أنَّ الانتقام منهم لم يكن في اليوم الذي عصوه وأغضبوه ، بل كان بعد الحلم وإمهالهم والصبر على معصيتهم وظلمهم حتى إعذارهم .

١٠-**الأفواه** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الأفواه في القرآن الكريم على وجهين :

الوجه الأول : الألسنة ، كقوله تعالى : (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ){آل عمران : ١٦٧} يعني بألسنتهم .

والوجه الثاني : الأفواه بعينها ، كقوله تعالى : (فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ){إبراهيم : ٩} قالوا للرسل : اسكتوا[١]

الأفواه والألسنة : الأفواه والألسنة مترادفان فلا يصح أن يكون أحدهما وجهًا للآخر ، أي : يدخلان في باب الترادف ، والوجوه تدخل في باب اللفظ المشترك ، والمترادفات يصح أن تقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ، وهذا هو الذي مكَّن أصحاب كتب الوجوه من اختلاقها ، إلّا أنَّه مهما اشتد ترادفها فلا بدَّ من أن يكون بينهما فرق في المعنى ، وهذا الفرق المعنوي مهما خفي ودقَّ هو المقصود في القرآن الكريم ، وبين الأفواه والألسنة وإن ترادفا فرق واضح لا يخفى ، قال ابن فارس : ((الفاء والواو والهاء أصل صحيح يدل على تفتح في الشيء ، من ذلك الفوه : سعة الفم ... ويقول أهل العربية : إنَّ أصل الفم فوه)) [٢]وقال : ((اللام والسين والنون أصل صحيح واحد يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو

([١]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٨٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٧٥-٧٦وبصائر ذوي التمييز ١٩١/٢ .

([٢]) مقاييس اللغة ص ٧٢٤.

غيره ، من ذلك اللسان معروف ، وهو مذكر ، والجمع ألسن ، فإذا كثر فهي الألسنة))[1] فالفرق اللغوي بينهما بيِّن .

وقال الراغب في الأفواه : ((أفواه جمع فم ، وأصل فوه فم ، وكل موضع علَّق الله تعالى حكم القول بالفم فإشارة إلى الكذب ، وتنبيه أنَّ الاعتقاد لا يطابقه نحو قوله تعالى : (ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ)(الأحزاب : ٤} وقوله تعالى : (مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لابَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا)(الكهف : ٥} وقوله تعالى : (يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ)(التوبة : ٨} وقوله تعالى : (فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ)(إبراهيم : ٩} وقوله تعالى : (مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ)(المائدة : ٤١} وقوله تعالى : (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)(آل عمران : ١٦٧}))[2] ومن ذلك قوله تعالى : (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)(آل عمران : ١١٤} وقوله تعالى : (ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(التوبة : ٣٠} وقوله تعالى : (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)(التوبة : ٣٢} وقوله تعالى : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)(يس : ٦٥} وقوله تعالى : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)(الصف : ٨}

وقال في اللسان : ((اللسان الجارحة ، ويقال لكل قوم لسان ، أي : لغة قال تعالى : (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا)(مريم : ٩٧} وقال تعالى : (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)(الشعراء ١٩٥} وقال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي

([1]) مقاييس اللغة ص ٨٣٣

([2]) المفردات ص ٤٠٥ .

ذَلِكَ لايَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ){الروم : ٢٢} فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات وإلى اختلاف النغمات ، فإنَّ لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع ، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر)) [١]

ولأنَّ اللسان يُعدُّ جارحة اللغة والنطق فقد جعله القرآن الكريم المترجم الحقيقي لما استقر في القلب من خير أو شر أو حق أو باطل ؛ لذلك قال تعالى : (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً){الأحزاب ١٩} أمَّا الفوه الذي يعنى سعة الفم وجمعه الأفواه فهو العضو الواسع الذي يكون فضفاضًا تجول فيه الكلمات ، فاستعماله للقول يكون ((تنبيهًا على أنَّه صادر عن غير عقد ، ولا ربط بينه ، وإنَّما هو شيء يمر باللسان من غير عقد بالجنان))[٢] قال الله تعالى : (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ){النور : ١٥} قال الزمخشري : ((فإن قلتَ : ما معنى قوله : (بِأَفْوَاهِكُم) والقول لايكون إلّا بالفم ؟ قلتُ : معناه : أنَّ الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان ، وهذا الإفك ليس إلّا قولًا يجري على ألسنتكم ، ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم في القلب كقوله تعالى : (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ){آل عمران : ١٦٧}))[٣] وقال البيضاوي : ((وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم) أي : تقولون كلامًا مختصًّا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب))[٤] فبين الأفواه والألسنة فرق بيِّن في الدلالة والاستعمال ، فجعل أحدهما بمعنى الآخر تحريف بيِّن ، وإذا كان القرآن الكريم استعمل الأفواه في كل موضع للإشارة إلى القول الكذب والنفاق وما خالف الحقيقة والواقع والعقيدة ، واستعمل الألسنة في كل موضع للتعبير عن اللغة ، فما

([١]) المفردات ص ٤٦٩.

([٢]) عمدة الحفاظ في تقسير أشرف الألفاظ ٢٦٠/٣ ..

([٣]) الكشاف : ٢١٤/٣ وينظر : مدارك التنزيل ص ٧٧٣ .

([٤]) أنوار التنزيل ١٠١/٤.

المسوغ إذن لجعل الأفواه بمعنى الألسنة في قوله تعالى : (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)[آل عمران : ١٦٧} ؟! لأنَّ الأفواه في هذا الشاهد لم يخرج عن الغرض الذي اسُتعمَلتْ له الأفواه ، فهل يشك أحد بعد ذلك أنَّ الذي دفعهم إلى جعل الأفواه بمعنى الألسنة هو اختلاق الوجوه لا غير.

١١-**الأكِنَة** : قال ابن فارس : ((الكاف والنون أصل واحد ، يدلّ على ستر أو صون ، يقال : كننتُ الشيء في كِنِّه : إذا جعلته فيه وصنته ، وأكننتُ الشيء : أخفيته ... ومن الباب : الكُنَّة ، كالجناح يخرجه الرجل من حائطه ، وهو كالسُّترة)) [١]

قال الدمغاني : ((تفسير أكنَّة على ثلاثة أوجه : أغطية ، وسرب وكهف ، وإضمار .

فوجه منها ، أكنَّة يعني : أغطية ، قوله تعالى في سورة بني إسرائيل : (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ)[الإسراء : ٤٦} يعني : أغطية

والوجه الثاني ، الأكنة : الكهوف والأسراب ، قوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا)[النحل : ٨١} يعني : الكهوف

والوجه الثالث ، تكنَّ ، أي : تضمر ، قوله تعالى : (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ)[القصص : ٦٩}))[٢]

الأغطية ، والكهوف ، والإضمار لا يصح أن تكون أوجهًا للأكنة ؛ لأنَّها من مرادفاته ، والأوجه الحقيقية أن تكون معانيها مختلفة متباينة ، وهذه الأوجه المزعومة لأنَّها مبنية على الترادف ليس وجه منها أولى من غيره ؛ لأنَّ جميعها تُعدُّ واحدة من جهة ترادفها ؛ لذلك جاز استبدال بعضها ببعض ، فمن المفيد مثلًا أن تجعل الوجه الثاني والثالث كالأول بمعنى التغطية ، فكما جاز وأفاد أن تجعل قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ)

([١]) مقاييس اللغة ص ٧٨٧.

([٢]) الوجوه والنظائر ٦٧-٦٨ وينظر : بصائر ذوي التمييز ١٦١/٢

بمعنى : وجعلنا على قلوبهم أغطية ، جاز وأفاد أن تجعل قوله : (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) بمعنى : جعلنا لكم من الجبال أغطية ، وأن تجعل قوله تعالى : (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) بمعنى : وربك يعلم ما تغطيه صدورهم ، ولو كانت أوجهًا حقيقية لامتنع ذلك .

١٢-**الإلقاء** ذكر الدامغاني وابن الجوزي للإلقاء في القرآن عشرة وجوه :

الوجه الأول : ألقى يعني وسوس ، كقوله تعالى : (إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ)[الحج : ٥٢] يعني : وسوس في قراءته

والوجه الثاني : ألقى يعني خلق ، كقوله تعالى : (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ)[النحل : ١٥]

والوجه الثالث : ألقى يعني وضع ، كقوله تعالى : (فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا)[يوسف : ٩٦] أي : وضعه

والوجه الرابع : ألقى يعني أنزل ، كقوله تعالى : (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء)[غافر : ١٥] يعني ينزل الروح

والوجه الخامس : ألقى يعني أقرع ، كقوله تعالى : (إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ)[آل عمران : ٤٤] يقرعونها : يجرونها في الماء الجاري

والوجه السادس : ألقى يعني كسا ، كقوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي)[طه : ٣٩] أي : كسوتك جمالاً

والوجه السابع : ألقى يعني أدخل ، كقوله تعالى : (أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[فصلت : ٤٠] يعني : أفمن يدخل في النار

والوجه الثامن : ألقى يعني رمى ، كقوله تعالى : (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ)[الأعراف : ١٠٧] أي : رماها من يده

والوجه التاسع : ألقى يعني كلَّم ، كقوله تعالى : (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ){النساء : ١٧١} وجعله ابن الجوزي بمعنى الإعلام ، أي : ((أعلمها بها في قول الملائكة لها : إنَّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم))

والوجه العاشر : ألقى يعني أجلس ، كقوله تعالى : (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ){ص : ٣٤}[١] أي : أجلسنا

قال ابن فارس : ((اللام والقاف والحرف المعتل أصول ثلاثة : أحدها يدلُّ على عوج ، والآخر على توافي شيئين ، والآخر على طرح شيء٠٠٠والأصل الآخر : ألقيته : نبذته إلقاءً ، والشيء الطريح لَقًى ، والأصل أنَّ قومًا من العرب كانوا إذا أتوا البيت للطواف قالوا : لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها ، فيُلقونها ، فيسمَّى ذلك المُلقى لَقًى))[٢] وقال ابن سيده : ((ألقى الشيءَ : طرحه))[٣]وقال الراغب ((والإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه ، أي : تراه ، ثم صار في التعارف اسمًا لكلِّ طرح٠٠٠ويقال : ألقيتُ إليك قولًا وسلامًا وكلامًا ومودةً)) [٤]

ولم يرد الطرح في القرآن الكريم إلّا في قوله تعالى : (اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا){يوسف : ٩} فألقى الشيء يعني طرحه ، وهذه هي دلالته اللغوية ، فيكون الطرح هو أقرب المعاني إلى الإلقاء ، إلاَّ أنَّ الفرق بينهما أنَّ إلقاء الشيء يعني وضعه في المكان المراد ، وطرح الشيء يعني نبذه ؛ لذلك لا يُعنى في مكان نبذه ، فهذا هو معنى ألقى ، فجعله بمعاني وسوس ،

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص١١٣-١١٤ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص٥١

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٣٨

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٥٠٦/٦

(٤) المفردات ص٤٧٢وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٣٨/٤ وبصائر ذوي التميز ٤٤١/٤

وخلق ، ووضع ، وأنزل ، وأقرع ، وكسا ، وأدخل ، ورمى ، وكلَّم ، وأجلس ، كما جاء في كتابين من كتب الوجوه تحريف لدلالة الإلقاء اللغوية

جعل الدامغاني وابن الجوزي ألقى في الوجه الأول بمعنى وسوس في قوله تعالى : (إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) ولا داعي إلى القول بهذا الوجه ؛ لأنَّه مرادف لـ(ألقى) ولأنَّ المراد معنى الإلقاء لا معنى الوسوسة ؛ والمعنى : ألقى الشيطان في نفسه أو في أحاديثه النفسية .

وجعلا ألقى في الوجه الثاني بمعنى خلق ، في قوله تعالى : (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ) لم يقل أهل التفسير بهذا الوجه بل أبقوا ألقى على معناه ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره : ومن نعمه عليكم أيها الناس أن ألقى في الأرض رواسي)[1]حتى ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل ألقى بمعنى خلق في قوله تعالى : (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ) لم يقل بهذا الوجه في تفسيره بل قال : ((قوله تعالى : (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ) أي : نصب فيها جبالاً ثوابت))[2]

وجعل الدامغاني ألقى في الوجه الثالث بمعنى وضع ، في قوله تعالى : (فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا) لم يقل أهل التفسير بهذا الوجه بل أبقوا ألقاه على معناه ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((وقوله تعالى : (أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ) يقول : ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب)) [3]

وجعلا ألقى في الوجه الرابع بمعنى أنزل في قوله تعالى : (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء) وفسَّر مفسرون يلقي هنا بمعنى ينزل ، وهم لا

([1]) جامع البيان ١٠٩/١٤وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥٧/٣ والوسيط للواحدي٥٨/٣

([2]) زاد المسير ٣٣٠/٤

([3]) جامع البيان ٧٨/١٣ وينظر : الوسيط ٦٣٤/٢ وزاد المسير ٢٢١/٤

يريدون بذلك تعيينه وجعله وجهًا ، بل قالوا به على سبيل التفسير[1] لذلك فإنَّ ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل يلقي بمعنى ينزل لم يقل بهذا الوجه في تقسيره بل أبقاه على معناه ، وكذلك ابن عطية فقال : ((وقوله تعالى : (يُلْقِي الرُّوحَ)٠٠٠يحتمل أن يكون إلقاء الروح عامًّا لكل ما ينعم الله به على عباده))[2]والتفسير السليم يكون بإبقاء المفردة القرآنية على معناها ولا سيما إذا كانت مفهومة الدلالة ، أو تفسيرها بأقرب المعاني إليها ، وتقدم أنَّ أقرب المعاني إلى الإلقاء هو الطرح لا الإنزال ، قال ابن عاشور : ((وجملة (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ) خبر ثالث ، أو بدل بعض من جملة٠٠٠والإلقاء حقيقته رمي الشيء من اليد إلى الأرض ، ويستعار للإعطاء إذا كان غير مترقَّب٠٠٠واستعير هنا للوحي ؛ لأنَّه يجيء فجأة على غير ترقب كإلقاء الشيء إلى الأرض))[3] ففي جعل قوله تعالى (يُلْقِي الرُّوحَ) بمعنى ينزل الروح في باب الوجوه تحريف لدلالته وإلغاء للمعنى المراد

وجعل الدامغاني ألقى في الوجه الخامس بمعنى أقرع ، في قوله تعالى : (إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) والمعنى عنده : يقرعونها : يجرونها في الماء الجاري ، قال ابن قتيبة : (((يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ) أي : قداحهم ، يقترعون على مريم))[4]وقال الواحدي : ((قال ابن عباس في رواية عطاء : هؤلاء جماعة كانوا من الأنبياء اختصموا في مريم كل واحد يقول : أنا أولى بها ، فقال زكريا : هي بنت عمي ، وخالتها عندي قالوا : فتعالوا نستهم ، فجمعوا سهامهم ثم أتوا بها إلى الماء وقالوا : اللهم من كان أولى بها فليقم

([1]) ينظر : جامع البيان ٥٩/٢٤ والوسيط ٧/٤

([2]) المحرر الوجيز ٥٥٠/٤وينظر : أنوار التنزيل ٥٤/٥ ومدارك التنزيل للنسفي ص ١٠٥٤

([3]) التحرير والتنوير ١٦٦/٢٤-١٦٧

([4]) تفسير غريب القرآن ص١٠٥

سهمه وليغرق البقية ، وألقوا سهامهم فارتز (أي : وقف) قلم زكريا وانحدرت أقلام الباقين فقرعهم زكريا))[1]وقال الزمخشري : (((أَقْلاَمَهُمْ) أزلامهم ، وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين)) [2]

فجعلُ قوله تعالى (يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ) بمعنى : يقرعون أقلامهم تحريف ظاهر لا يحتاج إلى بيان ؛ لأنَّه لا يقال في اللغة : يقرعون أقلامهم ، بل : يلقون أقلامهم ، أو يطرحونها ، فيكون الإقراع هو معنى التركيب (يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ) لا معنى : يلقون ، بل هو معنى الغرض من هذا التركيب .

وجعل الدامغاني ألقى في الوجه السادس بمعنى كسا في قوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) أي : كسوتك جمالًا ، وهو وجه لا يصح ؛ لأنَّ القول به على أنَّه وجه يقتضي جعل قوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) بتقدير : كسوت عليك ، لا بتقدير : كسوتك ؛ لذلك لم يقل بهذا الوجه أهل التفسير ، قال أبو عبيدة : (((وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) مجازه : جعلتُ لك محبة منِّي في صدور الناس ، ويقول الرجل إذا أحبَّ أخاه : ألقيتُ عليك رحمتي ، أي : محبتي)) [3] وقال الطبري : ((ومعنى قوله تعالى : وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) حببتك إليهم ، يقول الرجل لآخر إذا أحبه ألقيتُ عليك رحمتي ، أي : محبتي))[4]

وجعلا ألقى في الوجه السابع بمعنى أدخل ، في قوله تعالى : (أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يعني : أفمن يدخل في النار ، ولفظ (ألقى) أوضح دلالة على المعنى المراد من لفظ (يُدخل) وأبلغ

([1]) الوسيط ٤٣٦/١-٤٣٧

([2]) الكشاف ٣٥٦/١

([3]) مجاز القرآن ص ١٦٦ وينظر : الوسيط للواحدي ٢٠٦/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٢١١/٥

([4]) جامع البيان ١٨٩/١٦

لأنَّ دخول النار يعني دخولها من بابها ، والمراد طرحهم فيها ؛ لذلك أبقى أهل التفسير ألقى على معناه ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((ثم قال الله : أفهذا الذي يلقى في النار خير ، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله)) [1]

وجعلا ألقى في الوجه الثامن بمعنى رمى في قوله تعالى : (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) والتقدير : فرماها من يده ، وما الداعي إلى جعل ألقى بمعنى رمى ؟!لأنَّه مرادف وقريب جدًا من معناه ، حتى إنَّ ابن الجوزي نفسه الذي قال بهذا الوجه في النزهة لم يقل به في الزاد ، ومع ذلك فثمة فرق بين ألقى ورمى ، فالإلقاء كما تقدم كما يستعمل في الأعيان يستعمل في المعاني فـ((يقال : ألقيتُ إليك قولًا وسلامًا وكلامًا ومودةً)) [2] أمَّا الرمي فيستعمل في الأعيان ، ولا يستعمل في المعاني إلاَّ ((كناية عن الشتم كالقذف نحو قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ)}النور : ٦} وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ)}النور : ٤}))[3] فالرمي لم يستعمل في القرآن الكريم إلاَّ بمعنى الرجم والقذف كما تقدم ، وكقوله تعالى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى)}الأنفال : ١٧} وقوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ)}المرسلات : ٣٢} وقوله تعالى : (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ {٣} تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ)}الفيل :٣-٤} ولم يستعمل الإلقاء بهذا المعنى ، بل بمعنى الطرح ، فقد أريد من الإلقاء الإلقاء بعينه في قوله تعالى : (فَأَلْقَى عَصَاهُ) ولو أريد أن يكون بمعنى الرمي ، لقيل : فألقى بعصاه ؛ ليكون

([1]) جامع البيان ١٤٣/٢٤وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١٨/٥ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٧٢/٥ وفتح القدير للشوكاني ٦٤٨/٤

([2]) المفردات ص٤٧٢وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٣٨/٤ وبصائر ذوي التميز ٤٤١/٤

([3]) المفردات ص ٢١١

بتقدير : فرمى بعصاه ، كما استُعمِل في القرآن الكريم ، لا بتقدير رمى عصاه ، كما قدَّره الدامغاني .

وجعل الدامغاني ألقى في الوجه التاسع بمعنى كلَّم ، في قوله تعالى : (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) وجعله ابن الجوزي بمعنى الإعلام ، أي : ((أعلمها بها في قول الملائكة لها : إنَّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم)) والتكليم والإعلام هو من معنى السياق ، وإلاَّ فأين دلالة ألقى من دلالة كلَّم ، وأعلم ؟! قال الطبري : ((وقوله : (أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) يعني : أعلمها بها وأخبرها بها ، كما يقال : ألقيتُ إليك كلمة حسنة ، بمعنى : أخبرتك بها ، وكلَّمتك بها)) [١] وقد شاع حديثًا أن يقال : ألقى فلان كلمة إلى المجتمعين ، ولا يشك ولا يماري أحد في أنَّ المراد من الإلقاء في هذا القول ونحوه الإلقاء بعينه ، أمَّا معنى كلَّمهم أو أعلمهم ، فهو معنى الكلمة لا معنى ألقى ؛ لأنَّه لا يفيد معنى التكليم والإعلام ، لو قيل : ألقى فلان حجارة إلى المجتمعين ، فالإلقاء في قوله تعالى : (أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) يعني الإلقاء بعينه ، حتى إنَّ ابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل الإلقاء بمعنى الإعلام في قوله تعالى : (أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) وجعل معناه ((أعلمها بها)) [٢] قال في تفسيره : ((إنَّ الروح هاهنا جبريل ، فالمعنى : ألقاها الله إلى مريم ، والذي ألقاها روح منه)) [٣]

وجعلا ألقى في الوجه العاشر بمعنى أجلس في قوله تعالى : (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) ولا داعي لجعل ألقى بمعنى أجلس ؛ لأنَّه مرادف له قريب من معناه ؛ لذلك لم يقل أهل التفسير بهذا الوجه ، حتى ابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل الإلقاء بمعنى

---

(١) جامع البيان ٤٤/٦

(٢) نزهة الأعين ص٥١

(٣) زاد المسير ١٥٦/٢

الإجلاس في قوله تعالى (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ) وجعله بمعنى : ((أجلسنا) [1] لم يقل بهذا الوجه في تفسيره يضاف إلى ذلك أنَّ (ألقى) أبلغ من (أجلس) وأدلُّ على المعنى المراد ، فقد تقدم قول ابن عاشور : ((والإلقاء حقيقته رمي الشيء من اليد إلى الأرض ، ويستعار للإعطاء إذا كان غير مترقَّب٠٠٠واستعير هنا للوحي ؛ لأنَّه يجيء فجأة على غير ترقب كإلقاء الشيء إلى الأرض))[2] فاستعمل (ألقى) من دون (أجلس) لأنَّه أريد أن يفاجأ سليمان عليه السلام بما لم يكن يترقبه ، وهذا هو المعنى المراد من استعمال (ألقى) من دون (وضع) في قوله تعالى : (فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا) كما جاء في الوجه الثالث ، واستعمال (ألقى) من دون (رمى) في قوله تعالى : (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) كما جاء في الوجه الثامن ؛ لأنَّ موسى عليه السلام فاجأ فرعون وملأه بهذه المعجزة ، وهذا هو الغرض أيضًا من استعمال (ألقى) من دون (كلَّم) أو (أعلم) في قوله تعالى : (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) كما جاء في الوجه التاسع

١٣-**البهتان** ذكر الدامغاني وابن الجوزي للبهتان في القرآن الكريم أربعة أوجه :

الوجه الأول : الكذب ، كقوله تعالى : (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ){النور : ١٦}

والوجه الثاني : الزنى ، كقوله تعالى : (وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ){الممتحنة : ١٢}

والوجه الثالث : الحرام ، كقوله تعالى : (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً){النساء : ٢٠}

([1]) ينظر : نزهة الأعين ص ٥١

([2]) التحرير والتنوير ١٦٦/٢٤-١٦٧

الوجه الرابع : الدهش والخسران ، كقوله تعالى : (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)البقرة : ٢٥٨}[١]

قال ابن فارس : ((الباء والهاء والتاء أصل واحد ، وهو كالدهش والحَيرة)) [٢] و((بَهَتَ الرجلُ يَبْهَتُه بَهْتًا ، وباهته : استقبله بأمر يقذفه به ، وهو منه بريئ لا يعلمه ، فيُبْهَتُ منه ، والبهتان والبهيتة : الباطل الذي يُتحَيَّر من بطلانه)) [٣] و((في حديث بيعة النساء : (وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ)}الممتحنة : ١٢} هو الباطل الذي يُتَحَيَّر منه ، وهو من البهت التحيُّر ، والألف والنون زائدتان ، يقال : بَهَتَه يَبْهَتُه ، والمعنى : لا يأتين بولد من غير أزواجهنَّ فينسبنه إليهم ، والبهتُ : الكذب والافتراء ، ومنه حديث الغيبة : وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه ، أي : كذبت وافتريت عليه)) [٤]

وقال الراغب : ((قال الله عزَّ وجلَّ : (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)البقرة : ٢٥٨} إذا دهش وتحيَّر ، وقد بهته ، قال عز وجل : (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)}النور : ١٦} أي : كذب يُبهتُ سامعه ، قال الله تعالى : (وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ)}الممتحنة : ١٢} كناية عن الزنا ، وقيل : بل ذلك كل فعل شنيع يتعاطينه باليد ، والرِّجل من تناول ما لا يجوز

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١١٧ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٧١ ومنتخب قرة العيون ص ٧٢

(٢) ينظر : العين للخليل ص ٩٠ ومقاييس اللغة ص ١١٤ وينظر : العين للخليل ص ٩٠ ولسان العرب ١٦٢/٢-١٦٣

(٣) المخصص لابن سيده ٢٨٢/٤

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٦٧/١ وينظر : العين للخليل ص ٩٠ ومقاييس اللغة لابن فارس ص ١١٤ ولسان العرب ١٦٢/٢-١٦٣

، والمشي إلى ما يُقبَح))[1] وقال الحلبي : ((البَهْتُ : التحيّر ٠٠٠ومن ذلك البهتان ، وهو الباطل الذي يحير الناظر فيه٠٠٠وقوله تعالى : (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ){النور : ١٦} أي : كذب فظيع متبالغ في القبح ، يحيِّر من يسمعه ويُدهشه)) [2] فالبهتان إذن هو كل ما شنع وفظع من الأقوال والأفعال حتى يُدهش ويحيَّر من يسمعه

جعل الدامغاني وابن الجوزي البهتان في الوجه الأول بمعنى الكذب ، في قوله تعالى : (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) وتقدم في كتب اللغة أنَّ البهتان هنا لا يعني الكذب المجرد ، بل يعني ما كان يدهش السامع لفظاعته ، و((يتحيَّر من عظمه)) [3] وتقدم قول الحلبي : ((اوقوله تعالى : (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ){النور : ١٦} أي : كذب فظيع متبالغ في القبح ، يحيِّر من يسمعه ويُدهشه)) ((لكونه قيل في أمِّ المؤمنين رضي الله عنها ، وصدوره مستحيل شرعًا من مثلها)) [4]

وجعلا البهتان في الوجه الثاني بمعنى الزنا في قوله تعالى : (وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) قال الفراء : ((وقوله تعالى : (وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) كانت المرأة تلتقط المولود ، فتقول لزوجها : هذا ولدي منك ، فذلك البهتان المفترى))[5]((وليس المعنى : نهيهنَّ من أن يأتين بولد من الزنا فينسبنه إلى الأزواج ؛ لأنَّ الشرط بنهي الزنا قد

---

(١) المفردات ص ٦٨ وينظر :عمدة الحفاظ ٢٣٦/١

(٢) عمدة الحفاظ ٢٣٦/١

(٣) الوسيط ٣١٢/٣

(٤) فتح القدير للشوكاني ١٦/٤

(٥) معاني القرآن ٥٤/٣ وينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٦٢-٤٦٣

تقدم))[1] و((قال أكثر المفسرين : معناه : أن تنسب إلى زوجها ولدًا ليس هو له ، واللفظ أعمّ من هذا التخصيص)) [2] لأنَّ البهتان يعني كما تقدم : ما شنع وفظع من الأقوال والأفعال ، ويدهش من يسمعه ، وتقدم قول الراغب : ((قال الله تعالى : ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾{الممتحنة : ١٢} كناية عن الزنا ، وقيل : بل ذلك كل فعل شنيع يتعاطينه باليد ، والرِّجل من تناول ما لا يجوز ، والمشي إلى ما يُقبَح)) وقال الحلبي : ((وقيل : بل هو كناية عن كلِّ ما لا ينبغي تعاطيه مما يُفعَل باليد ، أو يُسعى إليه بالرِّجل)) [3] وتقدم قول ابن الأثير الجزري في النهاية و((في حديث بيعة النساء : ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾{الممتحنة : ١٢} هو الباطل الذي يُتَحَيَّر منه ، وهو من البهت التحيُّر ، والألف والنون زائدتان))

وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل البهتان بمعنى الزنا في قوله تعالى : ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ قال في تفسيره : ((وقوله تعالى : ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : لا يلحقنَ بأزواجهنَّ غير أولادهم ، قاله ابن عباس والجمهور .

والثاني : السحر .

والثالث : المشي بالنميمة ، والسعي في الفساد)) [4]

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢٨٧/٤ وينظر : فتح القدير للشوكاني ٢٦٨/٥

(٢) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية ٢٩٩/٥

(٣) عمدة الحفاظ ٢٣٦/١

(٤) زاد المسير ٤٣/٨

فتأمَّل أنَّه ليس من بين الأقوال الثلاثة التي قالها في الزاد الوجه الذي قال به في النزهة والمنتخب ، وهذا يعني أنَّ ما قاله في باب الوجوه أنكره في باب التفسير

وجعلا البهتان في الوجه الثالث بمعنى الحرام في قوله تعالى : (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) قال الطبري في تفسير البهتان في هذه الآية : ((ظلمًا بغير حق)) [١]وقال الزجاج : ((قوله تعالى : (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) والبهتان : الباطل الذي يُتحيَّر من بطلانه ، وبهتان حال موضوعة موضع المصدر ، المعنى : أتأخذونه مباهتين آثمين))[٢] وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل البهتان بمعنى الحرام في قوله تعالى : (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) قال في تفسير البهتان في هذه الآية : ((وفي البهتان قولان : أحدهما : أنَّه الظلم ، قاله ابن عباس وابن قتيبة [٣]والثاني : الباطل ، قاله الزجاج ، ومعنى الكلام : أتأخذونه مباهتين آثمين)) [٤] فتأمَّل مرة أخرى أنَّه ليس من بين القولين اللذين قالهما في الزاد الوجه الذي عيَّنه في النزهة والمنتخب ، مما يعني أنَّ الوجه الذي قاله في باب الوجوه أنكره في باب التفسير

وجعل الدامغاني البهت في الوجه الرابع بمعنى الدهش والخسران ، في قوله تعالى : (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) والمعنى

---

(١) جامع البيان ٣٨٨/٤ وينظر : الوسيط للواحدي ٣٠/٢

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٦/٢

(٣) ينظر :تفسير

(٤) زاد المسير ٢٩/٢

كما جاء في كتب التفسير : فدهش وتحيَّر[1] وهذا هو معنى البهت والبهتان في هذا الموضع وأينما ورد في كتاب الله ، وهو كما عرَّفه أهل اللغة أنَّه يعني ما يدهش ويتحيَّر من يسمعه لعظمه أو لفظاعته

١٤-**التسخير** : قال الدامغاني : ((تفسير التسخير على أربعة أوجه : التذليل ، والتسليط ، والاستهزاء ، والاستخدام .

فوجه منها ، المُسخَّر : المُذلَّل ، قوله تعالى في سورة البقرة : (وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ){البقرة : ١٦٤} يعني : المذلَّل ، وكقوله تعالى في سورة النحل : (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ)}النحل : ١٤} أي : ذلَّل لكم البحر ، مثلها في سورة إبراهيم : (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ {٣٢} وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)إبراهيم : ٣٢-٣٣} ومثلها في سورة الجاثية : (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)}الجاثية : ١٣}

والوجه الثاني ، التسخير : التسليط ، قوله تعالى في سورة الحاقة : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ {٦} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)}٦-٧}

والوجه الثالث ، الساخر : المستهزئ ، قوله تعالى في سورة الزمر : (وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ)}الزمر : ٥٦} يعني : المستهزئين ، مثلها في سورة البقرة : (وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)}البقرة : ٢١٢} ومثلها في سورة الحجرات : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ)}الحجرات : ١١}

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٩١/١ والوسيط للواحدي ٣٧١/١ وزاد المسير ٢٥٤/١ والبحر المحيط ٤٥٨/٢

والوجه الرابع ، سخريًّا : أي : خدمًا وعبيدًا ، قوله تعالى في سورة الزخرف : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ){الزخرف : ٣٢} أي : خدمًا وعبيدًا ، وسخرني ، وسخَّرني ، بمعنى واحد)) [١]

معاني هذه الأوجه الأربعة ، هي كما ترى ، مترادفة ، بل متقاربة جدًّا في معانيها ، حتى إنَّها تجعل الباحث يكاد لا يفرق بينها ، وهذه هي الطريقة الشائعة في اختلاق الوجوه

قال ابن فارس : ((السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم ، يدلُّ على استحقار واستذلال ، من ذلك قولنا : سخَّر الله عز وجل الشيءَ ، وذلك إذا ذلَّل الشيء لأمره وإرادته ، قال الله جل ثناؤه : (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ){الجاثية : ١٣}٠٠٠وسُخْرَة ، إذا كان يُسخَر منه ، فإن كان هو يفعل ذلك ، قلتَ : سُخَرَة ، بفتح السين والخاء٠٠٠ومن الباب : سخرتُ منه ، إذا هزئت به)) [٢] وقال الراغب : ((التسخير : سياقة إلى الغرض المختص قهرًا قال تعالى : (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ {٣٢} وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)إبراهيم : ٣٢-٣٣}٠٠٠فالمُسَخِّر هو المُقَيِّض للفعل ، والسُخْرِيُّ هو الذي يُقهَر فيتسخَّر بإرادته ، قال تعالى : (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا){الزخرف : ٣٢}))[٣] وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ){الجاثية : ١٣} التسخير : التهيئة٠٠٠قوله

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٤٥-١٤٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٣٣

(٣) المفردات ص ٢٣٤

تعالى : (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ){المؤمنون : ١١٠} قرئ بالضم والكسر ، فقيل : هما بمعنى واحد ، والمعنى : أنَّكم تستهزئون بهم ، يدلُّ عليه ما بعده (وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ) وقيل : تستخدمونهم وتستهزئون بهم٠٠٠وقوله تعالى : (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ){الرعد : ٢} أي : قهرهما٠٠٠وقوله تعالى : (إن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ){هود : ٣٨} أي : نستجهلكم كما تستجهلون)) [١] ((وسخِرتُ منه : إذا سخَّرتُه للهزء منه)) [٢]

التسخير والتذليل : جعل الدامغاني التسخير في الوجه الأول بمعنى التذليل ، والتذليل غير التسخير ، فقد تقدم تعريف التسخير عند أهل اللغة ، بأنَّه يعني : تهيئة الله الشيءَ للإنسان ، واستخدامه ، وتقييضه لنا ، أمَّا الذلّ فقد عرَّفه ابن فارس بقوله : ((الذال واللام في التضعيف والمطابقة أصل واحد يدلُّ على الخضوع والاستكانة واللين ، فالذلُّ : ضدُّ العز ، وهذه مقابلة في التضاد صحيحة))[٣] قال الله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ {٧١} وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ){يس : ٧١-٧٢} والمعنى أنَّ الله سبحانه جعل الأنعام ذليلة بين أيدينا ، نتصرَّف فيها كيف نشاء ، كركوبها في الأسفار ، وحمل الأثقال ، وذبحها وأكلها وشرب ألبانها ، والانتقاع بأصوافها ، وأشعارها ، وأوبارها ، ويصح إطلاق التسخير عليها ؛ لأنَّه سبحانه سخَّرها لنا بهذا التذليل ، أي : مكننا من أن نستخدمها لأنفسنا ؛ ولهذا جاء في تفسير قوله تعالى :

---

(١) عمدة الحفاظ ١٨١/٢

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢٠٣/٣

(٣) مقاييس اللغة ص ٣١٦

(((وَذَلَّلْنَاهَا) معناه : سخَّرناها ذليلة))[1] ((فهي ذليلة لهم)) [2] وتذليل الله الشيء لنا لا يكون إلّا فيما ملّكنا الله سبحانه إيّاه بالسيطرة عليه ، أمَّا ما لم يمكنَّا منه بتذليله بين أيدينا ، فقد سخَّره الله لنا ، كتسخير الريح ، والفلك التي تجري في البحر ؛ لأنَّها تجري بفعل الريح ، وكتسخير الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والبحر ، والأنهار ، والليل ، والنهار ، فهذه الأشياء لم يذللها الله ، بل سخّرها لخدمتنا من دون أن نملك السيطره عليها ؛ فلم يمكنَّا مثلًا من استخدام الشمس والقمر والنجوم ، أي : لم يذلِّلها لنا كما ذلَّل لنا الأنعام ، لذلك استعمل في هذه الأجرام لفظ التسخير لا لفظ التذليل ، فقد أصبح الفرق ظاهرًا بين التسخير والتذليل ؛ لذا فجعل الأول بمعنى الثاني على أنَّه يعنيه بعينه ، هو التحريف بعينه

وجعَلَ التسخير في الوجه الثاني بمعنى التسليط ، في قوله تعالى : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ {٦} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) والتسخير هنا هو التسخير نفسه ، وهو على معناه كما جاء في الوجه الأول ، أمَّا التسليط فهو متأتٍّ من (عَلَيْهِمْ) المتعلق به ، و(على) تفيد الاستعلاء على الشيء ، وعكسها في نحو هذه المواضع اللام التي تفيد الملك ؛ لذلك يقال : يوم لك ويوم عليك ، فقوله تعالى : (وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ) يعني : سخَّرها للنعمة ، ولو قيل : وسخَّر عليكم الشمس ، لكان المعنى أنَّه سخَّرها للنقمة ، ولذلك قال تعالى : (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ) فاستعمل (على) في هذا السياق ، لكنَّه استعمل اللام في السياق المضادّ في قوله تعالى : (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ){ص : ٣٦} نسأل الله سبحانه أن يسخِّر لنا الريح فنحيا

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٦٢/٤

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٢٩٢/٦

ونسلم ، ونسأله أن لا يسخِّرها علينا فنهلك ، فالتسليط ليس دلالة (سَخَّرَهَا) بل هو دلالة (عَلَيْهِمْ) وهذا من التحريف الظاهر ، وهو عدم جعل اللفظ بدلالته بل بدلالة ما تعلَّق به

السخرية والاستهزاء : وجعَلَ الساخرَ في الوجه الثالث بمعنى : المستهزئ ، في قوله تعالى : (وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ)[الزمر : ٥٦] وقوله تعالى: (وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)[البقرة : ٢١٢] وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ) والتسخير هنا أيضًا على بابه ، فهو يعني كما عنى في الوجهين السابقين : التهيئة ، والتقييض ، والاستخدام ، واستجهال أفعال من نسخر منه ، يعني الاستخفاف بعقولهم وأفعالهم ، وقد تقدمَّ قول الفيروزآبادي ((وسخِرتُ منه : إذا سخَّرتُه للهزء منه)) [١] والمعنى أنَّك استخدمته للهزء به والضحك عليه ، وقد أوضح العسكري الفرق بينهما ، فقال في ((الفرق بين الاستهزاء والسخرية أنَّ الإنسان يُستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يُستهزَأ به من أجله ، والسخر يدلُّ على فعل يسبق من المسخور منه ، والعبارة من اللفظين تدلُّ عن صحة ما قلناه ، وذلك أنَّك تقول : استهزأتُ به ، فتعدي الفعل منك بالباء ، والباء للإلصاق ، كأنَّك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله ، وتقول : سخرتُ منه ، فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله ، كما تقول : تعجَّبتُ منه ، فيدلُّ ذلك على فعل وقع التعجب من أجله))[٢] وهو كقولك أيضًا : ضحكتُ منه ، فيدلُّ ذلك على فعل وقع الضحك من أجله ، من ذلك مثلًا قوله تعالى : (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢٠٣/٣

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٨٥

كَمَا تَسْخَرُونَ {٣٨} فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ){هود : ٣٧-٣٨} جاء في التفسير : ((قالوا يا نوح صرتَ بعد النبوة نجارًا ، وقال عامَّة المفسرين : إنَّهم رأوه ينجر الخشب ، ويهيِّئ شبه البيت العظيم ، فإذا سألوه عن ذلك قال : أعمل سفينة تجري في الماء ، ولم يكونوا رأوا قبل ذلك السفينة ، ولا ماء هناك ، فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله لها ، فقال نوح : (إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُون) قال ابن الأنباري : إن تسخروا منَّا لما ترون من صنعة الفلك ، فإنَّا نعجب من غفلتكم)) [١] ((والمعنى : إن تسخروا منَّا بسبب عملنا للسفينة اليوم ، فإنَّا نسخر منكم غدًا عند الغرق)) [٢]

فإذا كان السخر يعني الضحك مما يفعله مَن نسخر منه ، فإنَّ الهزء والاستهزاء يعني الضحك على من نستهزئ به ((من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله)) كما قال العسكري ، وهذا واضح في قوله تعالى : (وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ {١٤} اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ){البقرة : ١٤-١٥} وهذا هو استهزاء المنافقين بالمؤمنين أنَّهم إذا لقوا المؤمنين قالوا : نحن مثلكم مؤمنون ، وإذا انصرفوا إلى زعمائهم الكفرة ، قالوا لهم : نحن معكم ، فالاستهزاء يعني نصب المكايد بالمستهزَأ به ، أمَّا السخر فهو احتقار من نسخر منه ، احتقاره لجهله ، أو لسوء أفعاله ، أو أقواله ، أو احتقاره لطاعته لله ولصومه وصلاته ، أو احتقاره لشكله ، أو لعيب في جسده ، كالعرج والعَوَر ، أو لفقره وقلة ماله ، وهذا ما عناه قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء

---

(١) الوسيط للواحدي ٥٧٣/٢

(٢) فتح القدير للشوكاني ٦٣٣/٢-٦٣٤

مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الأيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ){الحجرات : ١١}

وقد تتداخل هاتان الدلالتان ، وهو أنَّ الأمر يبدأ بالاستهزاء ، وهو نصب المكيدة بمن نهزأ به ، فإذا وقع فيها ، وظنَّها حقيقة وعمل بمقتضاها تعقبها السخرية ؛ لأنَّه سيُسخر منه حينئذ كيف صدَّق بهذا الهزء ، وتصرَّف بموجبه

والله سبحانه يعذب الكافرين يوم القيامة باالاستهزاء لا بالسخرية ، قال تعالى : (وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ){الأنعام : ١٠}{الأنبياء : ٤١} واستهزاء الله جل وعلا بالكافرين في الدنيا يكون بـ((استدراجهم من حيث لا يعلمون، وأمَّا في الآخرة بأن يُفتح لأحدهم باب إلى الجنة ، فيقال : هَلُمَّ هَلُمَّ ، فيجيء بكربه وغمِّه ، فإذا جاء أُغلِق دونه ، ثم يُفتح له باب آخر ، فيقال : هَلُمَّ هَلُمَّ ، فيجيء بكربه وغمِّه ، فإذا أتاه أُغلِق دونه ، فما يزال كذلك حتى إنَّ الرجل لَيُفتح له باب ، فيقال : هَلُمَّ هَلُمَّ ، فما يأتيه (من الإياس) وقد روي ذلك بسند جيِّد في المستهزئ بالناس)) [١] ((وذكر ابن المبارك أيضًا : أخبرنا الكلبي عن أبي صالح في قوله تعالى : (اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ){البقرة : ١٥} قال : يقال لأهل النار ، وهم في النار : اخرجوا ، فتفتح لهم أبواب النار ، فإذا رأوها قد فُتحتْ أقبلوا إليها يريدون الخروج ، والمؤمنون ينظرون إليهم وهم على الأرائك ، فإذا انتهوا إلى أبوابها غُلِقتْ دونهم ، فذلك قوله تعالى : (اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ){البقرة : ١٥} ويضحك منهم المؤمنون حين غُلقتْ دونهم)) [٢] فتأمَّل

---

(١) روح المعاني للآلوسي ١٦١/١

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٦/١٩

كيف بدأ الأمر بالاستهزاء بالكافرين من لدن زبانية جهنم ، ثم انتهى الأمر بالسخرية منهم من لدن المؤمنين ، وهم متكئون على سررهم ينظرون إليهم ويضحكون

وجعلَ التسخير في الوجه الرابع ، بمعنى الخدم والعبيد في قوله تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) والسخرية هنا جاءت على بابها ، وهي بمعنى الوجه الأول ؛ لأنَّ السخرية تعني الاستخدام ، أو الاستعمال ، فقوله تعالى : (وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يعنى أنَّه سبحانه استعملهما ، أو استخدمهما لخدمة الناس ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ جعل السخرية بمعنى المملوكين والعبيد وجه مرجوح ، والوجه الثاني الذي يدلّ عليه سياق الآية ، واختاره الطبري وجمهور المفسرين أنَّ المعنى : أن يستخدم الناس بعضهم بعضًا لخدمته ، وقضاء حوائجه حتى يتعايشوا ، هذا بماله ، وهذا بعلمه ، وهذا بعمله ، وهذا بقوته ، وكل بمهنته يخدم الآخر ، ويخدمه الآخر ، حتى إنَّ الغني ليحتاج إلى الفقير ، كما يحتاج الفقير إلى الغني فيحصل بينهم تآلف وتضام [1] وكما قال الشاعر :

الناس للناس من بَدْو ومن حضَر بعض لبعض وإن لم يشعروا خَدَمُ

فهذا هو المعنى المراد من لفظ (سُخْرِيًّا) في الآية ، وقصره على المعنى الأول ، مع عدم الإشارة إلى المعنى الثاني تحريف لدلالته وخيانة علمية في التفسير .

---

(١) ينظر : جامع البيان للطبري ٢٥/٨٠-٨١ وزاد المسير ١٣٤/٧ وأنوار التنزيل ٩٠/٥ ومدارك التنزيل ص ١١٠٠

١٥-التلاوة : ذكر أهل الوجوه أنَّ التلاوة في القرآن الكريم على خمسة أوجه ، هي :

الأول : القراءة كقوله تعالى : (لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ){البقرة : ١١٣}

والثاني : الإقرار ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ){البقرة : ١٢١} وهذا قول الحيري ، أمَّا الدامغاني فقد جعل التلاوة في هذا الشاهد بمعنى الاتباع والتقدير : يتبعونه حق اتباعه ، وجعلها ابن الجوزي بمعنى العمل

والثالث : الإنزال ، كقوله تعالى : (تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ){البقرة : ٢٥٢} وقوله تعالى : (نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ){القصص : ٣}

الرابع : التبع ، كقوله تعالى : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا {١} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا){الشمس : ١-٢}

الخامس : الكتابة ، أو الرواية ، كقوله تعالى : (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ){البقرة : ١٢١}[١]

التلاوة والقراءة : جعل أهل الوجوه التلاوة في الوجه الأول بمعنى القراءة في قوله تعالى : (لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) قال ابن فارس : ((التاء والواو واللام أصل واحد ، وهو الإتباع ، يقال : تلوته : إذا تبعته ، ومنه تلاوة القرآن ؛ لأنَّه يُتبِع آية بعد آية))[٢] وقال : ((وسُمِّي القرآن لجمعه ما فيه من الأحكام

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٣٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٣٩ ونزهة الأعين ص ٨٥-٨٦ ومنتخب قرة العيون ص ٨٥- ٨٦

(٢) مقاييس اللغة ص ١٢٩

والقصص وغير ذلك))[1]((واشتقاقه من قرأ ؛ لأنَّه مجموع من سُوَر ، والسور من آيات ، والآيات من كلمات ، والكلمات من حروف ، وقيل : لأنَّه جمع فيه القصص ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والتنبيه وغير ذلك من أنواع الخطاب))[2] وقرأتُ الشيءَ : جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض ، وقرأتُ القرآنَ : لفظتُ به مجموعًا ، أي : ألقيته ، كما يقال : قرأ فلان على فلان القرآن[3] وقال العسكري في ((الفرق بين القراءة والتلاوة أنَّ التلاوة لا تكون إلّا لكلمتين فصاعدًا ، والقراءة تكون للكلمة الواحدة ، يقال : قرأ فلان اسمه ، ولا يقال : تلا اسمه ، وذلك أنَّ أصل التلاوة إتباع الشيء الشيء ، يقال : تلاه : إذا تبعه ، فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضًا ، ولا تكون في الكلمة الواحدة ؛ إذ لا يصحّ فيها التلو)) [4]

والحقيقة أنَّ ثمة فرقًا ظاهرًا بين التلاوة والقراءة أنَ القرآن الكريم استعمل الأولى إذا أريد تلاوة الآيات آية بعد آية مع تدبرها بتأنٍّ وتأمل وخشوع وخضوع وتعبُّد ، وهذا هو المعنى المراد من التلاوة كما هو واضح في قوله تعالى : (لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)

واستعمل لفظ القراءة إذا كان الغرض منها العلم والتعلم والتعليم والتعرف إلى ما فيه بصفة عامَّة من حكم وأحكام وشرائع ، وأخبار وقصص وعبر ، وإذا أريد القرآن بجملته ، وهذا ما تجده بكل وضوح في كل شواهد

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٧١

(٢) عمدة الحفاظ ٢٨٦/٣

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٢٩١٢/٣ والصحاح للجوهري ص ٨٤٥ ولسان العرب ٥٠/١٢-٥١ وتاج العروس ٢٤٩/١-٢٥٥

(٤) الفروق اللغوية ص ٧٥

القراءة كقوله تعالى : (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ)[الإسراء : ١٠٦} وقوله تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[النحل : ٩٨} وقوله تعالى : (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ {١٩٨} فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ)[الشعراء : ١٩٨-١٩٩} وقوله تعالى : (وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ)[الإسراء : ٩٣} وقوله تعالى : (فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ)[يونس : ٩٤} وقوله تعالى : (فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ)[الإسراء : ٧١} وقوله تعالى : (اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)[الإسراء : ١٤} وقوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ)[الحاقة : ١٩}

فبين تلا وقرأ فرق في الدلالة ، كالفرق االمذكرر ، أو فرق آخر لم نهتد إليه ، والدليل على ذلك أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظيهما ، وهذا يعني أنَّه لا بدَّ من أن يكون بينهما فرق في المعنى ، فمن المحال أن يستعمل القرآن الكريم لفظين لمعنى واحد ، ولو صحّ وجود لفظين متطابقين في المعنى لاستعمل القرآن الكريم أحدهما وترك الآخر .

فالفرق العام بينهما أنَّ المراد من التلاوة أجزاء المتلو أو أبعاضه وتلاوتها بالترتيب شيئًا بعد شيء ، والمراد من القراءة جملة المقروء وما تضمنه من أمور عامَّة ، فالتلاوة غير القراءة ، فجعلها بمعناها تحريف

وجعل الحيري التلاوة في الوجه الثاني بمعنى الإقرار ، في قوله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ)[١] وجعلها الدامغاني بمعنى الاتباع[٢] وجعلها ابن الجوزي بمعنى العمل[٣] والتلاوة هنا تعني التلاوة بعينها

---

(١) ينظر : وجوه القرآن ص ١٣٠

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر ص ١٣٩

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٨٦ ومنتخب قرة العيون ص ٨٦

، أمَّا الإقرار ، والاتباع ، والعمل ، فهي ألفاظ مترادفة ، أي : متقاربة في معانيها ، فهي معاني السياق والتركيب ، وهي متأتية من لفظ (حقّ) لا من لقظ التلاوة ، وجعل اللفظ بما يدل عليه السياق تحريف لدلالته

وجعلوا التلاوة في الوجه الثالث بمعنى الإنزال ، في قوله تعالى : (تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ){البقرة : ٢٥٢} وقوله تعالى : (نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ){القصص : ٣} وكل شيء هو منزل من عند الله ، وقد تقدَّم أنَّ أهل اللغة عرَّفوا التلاوة بالقراءة والتبع ولم يعرَّفوها بالإنزال ، وعرَّفوا الإنزال بمعنى هو غير معنى التلاوة ، فلكلٍّ منهما معناه الخاص به والمستقل عن غيره ، فجعل التلاوة بمعنى الإنزال تحريف ظاهر لدلالتها ، وقد جعل أهل التفسير (نَتْلُوهَا) في الشاهد الأول بمعنى : نقصُّ عليك ، أو نقرأ عليك[١] وجعلوا (نَتْلُوا) في الشاهد الثاني بمعنى : نقرأ عليك ، أو نوحي إليك ، أو نقصُّ ونتابع[٢] فالتلاوة كما جاز جعلها بمعنى الإنزال جاز جعلها بمعنى القراءة ، والقصص ، والإيحاء ، والتتابع ؛ لأنَّ هذه المعاني جميعها واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها لا يمثل التلاوة بعينها بل المعنى القريب منها ، فجعل التلاوة يعنى الإنزال بعينه تحريف لدلالتها .

تلا وتبع : وجعلوا تلا في الوجه الرابع بمعنى تبع في قوله تعالى : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا {١} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا) قال ابن فارس : ((التاء والباء والعين أصل واحد ، لا يشذ عنه من الباب شيء ، وهو التُّلُو والقَفْو ، يقال :

---

(١) ينظر : الوسيط للواحدي ٣٦٢/١ وزاد المسير ٢٤٩/١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٧/١٣

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري ٣٣/٢٠ والوسيط للواحدي ٣٨٩/٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٧٥/٤

تبعتُ فلانًا : إذا تلوته)) [١] وقال الحلبي : ((تلاه : تبعه))[٢] وقال العسكري في : ((الفرق بين التابع والتالي : أنَّ التالي فيما قال علي بن عيسى ثان وإن لم يكن يتدبر بتدبر الأول ، والتابع : إنَّما هو المتدبر بتدبر الأول)) [٣]

وإن عرَّف أهل اللغة تلا بمعنى تبع ، وتبع بمعنى تلا ، حتى إنَّ العسكري لم يستطع أن يوضح الفرق بينهما فإنَّ بينهما فرقًا أساسيًّا ، وهو أنَّ التالي علاقته بالمتلو علاقة زمانية فحسب ، تقول : تلا الشيءَ : إذا جاء بعده ، عن قصد وعلم ، أم عن غير قصد وعلم ، وتبع الشيءَ ، يعني تبع طريقته ومذهبه حقًّا أم باطلًا ، تقول : جاء القوم يتلو بعضهم بعضًا ، والمعنى : يمشي بعضهم خلف بعض ، وإذا قلت : يتبع بعضهم بعضًا ، كان المعنى : يتبع بعضهم طريقة بعضٍ : أي : يقلِّده في مشيه ، وفي حركة يديه ورجليه ، كأنَّه يتبع مذهبه في المشي ، وتقول : تلا عمر أبا بكر ، أي : جاء بعده في تولِّي الخلافة ، والمعنى يختلف إذا فلتَ : تبع عمر أبا بكر ؛ لأنَّ المراد تبع مذهبه وحكمه ، سواء كان ذلك في حياته أم بعد وفاته رضي الله عنهما ، ولهذا صحَّ أن تقول : تلا عمر أبا بكر ، وما صحَّ أن تقول : تلا عثمان أبا بكر ، وصح أن تقول : تبعه ، أي : تبعه في حياته ، أو تبعه في الخلافة الراشدة عندما تولاَّها ، وإن لم يتْلُه ، وتقول : تلا عمر بن العزيز ، سليمان بن عبد الملك ، ولم يتبعه ، بل تبع جدَّه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وقد بدا لي أنَّ بين تلا وتبع ثلاثة فروق

الأول : أنَّ الأصل في التالي أن يكون من جنس المتلو ، ولا يشترط ذلك في التابع .

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٣٣ وينظر : المفردات للراغب ص ٧٧

(٢) عمدة الحفاظ ٢٦٧/١

(٣) الفروق اللغوية ص ٣٤٦

والثاني : أن يكون المراد من التالي أن يعقب المتلو ، يجيء بعده مباشرة ، متصلًا به ، والتابع لا يراد منه ذلك .

والثالث : أن يكون المراد من التابع أن يتبع طريقة متبوعه ومنهجه وفكره ، حقًّا كان أم باطلًا ، أي : أن يكون على منواله ، والتالي لا يراد منه ذلك .

فقوله تعالى : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا {١} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا) يعني أنَّ القمر يعقب الشمس بعد غيابها ، ولو قيل : والقمر إذا تبعها كان المعنى : والقمر إذا تبع الشمس في طريقتها ، وسار على منوالها

ويمكن أن نأخذ بهذه الفروق ، لتحديد دلالة كلٍّ منهما ، في المواضع التي يشتد فيها التباس (تلا) بـ(تبع) ، حتى إنَّهما لتبدوان أنَّهما بمعنى واحد ، كقوله تعالى : (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا)[المجادلة : ٣} قال : متتابعين ؛ لأنَّه أراد معنى تطابقهما في الأحكام لا مجرد أن يتلو الشهر الثاني الأول ، فقد وُضِعتْ لصيام هذين الشهرين شروط لصحة تتابعهما ، وهي ((عائدة إلى جملة الشهرين ، وإلى أبعاضهما)) [١] فالمراد أن يتبع الثاني الأول في الأحكام والشروط ، وكقوله تعالى : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ {٦} تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ)[النازعات : ٥-٦}

قال : تتبعها ؛ لأنَّه ليس المراد أن الرادفة التي هي نفخة البعث ، تعقب الراجفة التي هي نفخة القيامة ، وأنَّها تجيء بعدها من دون مهلة ، فلو كان هذا هو المعنى المراد ، لقيل : تتلوها الرادفة ، فبين النفختين دهر لا يعلمه إلّا الله ، وإنَّما المراد أنَّها تتبعها في طريقة اضطرابها وأنَّها على منوالها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢١٥/٧

وقوله تعالى : (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ)[البقرة : ٢٦٣] لو قيل : يتلوها أذى ، لتعيَّن أن يكون المراد الأذى الذي يباشرها ، وحينئذ لا يشمل الحكم الأذى الذي لا يباشرها ، وعادة وغالبًا ما يأتي الأذى من لدن المتصدِّق فيما بعد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنَّ مثل هذا المتصدِّق لا تكون صدقته للفقراء إلّا على سبيل الاستعلاء عليهم ، فقال يتبعها ؛ لأنَّه أريد الأذى الذي يتبع طريقة الصدقة في هذا الاستعلاء

ويتضح الفرق بينهما في نحو قوله تعالى : (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[البقرة : ٣٨] قال : (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) وما قال : فمن تلا هداي ؛ لأنَّ المعنى المراد والذي يصحّ أن يتبع الناس ما جاء في هدى الله من أوامر ونواه ، لا أن يتلوه ، وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ)[فاطر : ٢٩] وقال : (يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) لأنَّ المراد يتلونه آية بعد آية بتحريك لسانهم وشفاههم وبصوت تسمعه آذانهم مع تدبر وخشوع ، ولو قيل : يتبعون كتاب الله ، لكان المراد اتباع أحكامه وشرائعه ، وقال تعالى : (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ)[الأعراف : ١٨] والمعنى : لَمَن تبعك من بني آدم ، فلو قيل : لَمَن تلاك منهم ، لكان المعنى : لَمَن جاء بعدك من بني آدم ، و(مِن) في (مِنْهُمْ) هنا تبعيضية ، وهذا المعنى لا يصحّ ، لأنَّ جميع بني آدم قد جاؤوا بعد إبليس ، وليس بعضهم ، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنَّ استعمال تلاك لا يفيد اتباع الشيطان في كفره وطغيانه ؛ لذلك لا يستحق كل من تلاه عذاب جهنَّم ، بل الذي يستحقه من تلاه وتبعه ، من دون الذي تلاه ولم يتبعه ، فبين التلاوة والتبع فرق ظاهر ، فجعلها بمعناه تحريف ظاهر

وجعلَ الدامغاني التلاوة في الوجه الخامس بمعنى الكتابة ، في قوله تعالى : (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ){البقرة : ١٢١} وجعلها ابن الجوزي بمعنى الرواية ، وقال ابن قتيبة : ((أي : ما ترويه الشياطين على ملك سليمان ، والتلاوة والرواية شيء واحد))[١] قال ابن فارس : ((الراء والواو والياء أصل واحد ، ثمَّ يُشتق منه ، فالأصل ما كان خلاف العطش ، ثمَّ يُصرَّف الكلام لحامل ما يُروى منه))[٢] فروى فلان الناسَ بالأخبار ، جاءت في الأصل من ، روى فلان الناسَ بالماء ، وقال الواحدي : (((وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ) أي : تقرأ وتُحدِّثُ وتقصُّ))[٣] ((قال عطاء : معناه : تقرأ من التلاوة ، وقال ابن عباس : (تَتْلُواْ) تتبع ، كما تقول : جاء القوم يتلو بعضهم بعضًا))[٤]

فإذا جاز جعل التلاوة في هذه الآية أن تكون بمعنى الكتابة ، أو الرواية ، أو القراءة ، أو التحدث ، أو القصص ، فلا معنى إذن من هذه المعاني جاز تعيينه والقطع به ، فليس أحدها أحق وأولى من غيره أن يكون وجهًا للتلاوة ؛ لأنَّ جميعها واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها لا يمثل التلاوة بعينها ، بل المعنى القريب منها ، فجعل التلاوة بمعنى أحدها بعينه وعلى سبيل القطع والتعيين هو التحريف بعينه ، وهذا هو الحاصل في كتب الوجوه

تبيّن مما مرّ تفصيله أنّ الأوجه الخمسة المنسوبة إلى التلاوة مختلقة بطريقة جعلها بمعاني مرادفاتها ، وتبيّن أنّ بين هذه الأوجه والتلاوة فروق معنوية خاصّة وإن كانت مرادفة لها وقريبة من معناها ، وأنّ هذه المعاني

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٥٩

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٥٨

(٣) الوسيط ١٨٢/١

(٤) المحرر الوجيز ١٨٥/١ وينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٥/٢

الخاصّة هي المقصودة في القرآن الكريم ، فجعل معانيها بمعنى التلاوة تحريف للمعاني الخّاصّة المرادة في كتاب الله .

١٦-**ثقفوا** : قال الدامغاني : ((تفسير ثقفوا على ثلاثة أوجه : فوجه منها ، ثقفوا يعني : وجدوا٠٠٠قوله تعالى في سورة البقرة : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)[البقرة : ١٩١} أي : حيث وجدتموهم

والوجه الثاني ، ثقفوا : غلبوا ، قوله تعالى : (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء)[الممتحنة : ٣}

والوجه الثالث ، ثقف ، أي : أسر ، قوله تعالى في سورة الأنفال : (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)[الأنفال : ٥٧}))[١]

قال ابن فارس : ((الثاء والقاف والفاء ، كلمة إليها يرجع الفروع ، وهو إقامة درء الشيء ، ويقال : ثقَّفتُ القناة : إذا أقمتَ عوجها٠٠٠ويقال : ثقفتُ به : إذا ظفرتُ به ، فإن قيل : فما وجه قرب هذا من الأول ؟ قيل له : أليس إذا ثقفه فقد أمسكه ، وكذلك الظافر بالشيء يمسكه ، فالقياس بأخذهما مأخذًا واحدًا)) [٢] وقال الراغب : ((الثَّقْف : الحِذق في إدراك الشيء وفعله٠٠٠ويقال : ثقفتُ كذا : إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ، ثمَّ يُتجوَّز به فيُستعمَل في الإدراك ، وإن لم تكن معه ثقافة ، قال الله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)[البقرة : ١٩١} وقال عز وجل (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٥٢

(٢) مقاييس اللغة ص ١٤٠

الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ){الأنفال : ٥٧} وقال عز وجل : (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا){الأحزاب : ٦١}))[١]

ثقفوا ووجدوا : جعل الدامغاني ثقفوا في الوجه الأول بمعنى : وجدوا ، في قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) أي : واقتلوهم حيث وجدتموهم ، وكذلك جعله الزجاج بهذا المعنى[٢] قال ابن فارس : ((الواو والجيم والدال ، يدل على أصل واحد ، وهو الشيء يلفيه ، ووجدتُ الضالة وجدانًا))[٣] ((ووجدتُ الشيءَ : أصبته))[٤] فهذه دلالة : وجدتموهم ، وهي غير دلالة : ثقفتموهم ، فجعله بمعناه تحريف لدلالته ، ولِمَ لا نجعل (ثَقِفْتُمُوهُمْ) بمعنى : ثقفتموهم ، أي : نبقيه على معناه ، وكما عرّفه أهل اللغة ؟ وهذا ما جاء في التفسير ، قال الطبري ((يعني تعالى ذكره بذلك : واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبتم مقاتلهم ، وأمكنكم قتلهم ، وذلك هو معنى قوله تعالى : (حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) ومعنى الثقفة بالأمر : الحذق به والبصر ، يقال : إنَّه لثَقِفٌ لَقِفٌ : إذا كان جيد الحذر في القتال ، بصيرًا بمواقع القتل)) [٥] وقال ابن عطية : (((حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) أحكمتم عليهم ، ولقيتموهم قادرين عليهم ، يقال : رجل ثَقِف : إذا كان محكمًا لما يتناوله من

---

(١) المفردات ص ٨٤ وينظر : العين للخليل ص ١١٧وتهذيب اللغة للأزهري ٤٨٩/١ والصحاح للجوهري ص ١٤١والمحكم لابن سيده ٣٥٦/٦-٣٥٧ ولسان العرب ٢٨/٣وعمدة الحفاظ ٢٧٩/١ وبصائر ذوي التمييز ٣٤٧/٢ وتاج العروس ٣٣/٢٣-٣٤

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٢٧/١ وزاد المسير ن١٧١/١

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٤٧

(٤) العين للخليل ص ١٠٣٥

(٥) جامع البيان ٢٢٩/٢

الأمور))[1] فهذا هو معنى قوله تعالى : (حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) عند المفسرين الذين أمعنوا النظر في تفسيره ، حتى الذين فسروه بمعنى : حيث وجدتموهم ، أضاف إلى الوجود ما يقربه من معنى الثقف ، أو استدرك ففرق بينهما في الدلالة ، قال الواحدي : (((وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) أي : حيث وجدتموهم وأخذتموهم ، يقال : ثقفنا فلانًا في موضع كذا ، أي : أخذناه))[2] وقال الزمخشري : (((حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) حيث وجدتموهم ، والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ، ومنه رجل ثَقِف : سريع الأخذ لأقرانه)) [3] فدلالة (ثَقِفْتُمُوهُمْ) غير دلالة : وجدتموهم ، فجعله بمعناه تحريف لدلالته في اللغة والتفسير.

وجعل ثقفوا في الوجه الثاني بمعنى : غلبوا ، في قوله تعالى : (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء) و(يَثْقَفُوكُمْ) غير : يغلبوكم ، وإن كان قريبًا من معناه ؛ حتى إنِي لم أجد المفسرين استعملوا لفظ الغلبة في تفسير الآية ، فلم يفسروا قوله تعالى : (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء) بنحو قولهم : إن يغلبوكم يكونوا لكم أعداءً ، بل فسروه بقولهم : إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم أعداءً[4]

---

(١) المحرر الوجيز ٢٦٢/١ وينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٦٠/٢ والبحر المحيط ٩٩/٢

(٢) الوسيط ٢٩٢/١

(٣) الكشاف ٢٣٣/١ وينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ١٢٨/١ ومدارك التنزيل للنسفي ص ١٠٢ وفتح القدير للشوكاني ٢٣٩/١

(٤) ينظر : الوسيط ٢٨٣/٣ والكشاف ٥٠٠/٤ وزاد المسير ٣٦/٤ والجامع لأحكام القرآن ٤٢/١٨ وأنوار التنزيل ٢٠٤/٥ ومدارك التنزيل ص ١٢٣١ والبحر المحيط ٣٥٤/٨

وجعل ثقفَ في الوجه الثالث بمعنى أسر ، في قوله تعالى في سورة الأنفال : (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) قال مقاتل في تفسير الآية : ((يقول : فإن أدركتهم في الحرب ، يعني القتال فأسرتهم)) [١] وقال ابن قتيبة : (((فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ) أي : تظفر بهم))[٢] وقال الزمخشري : ((فإمَّا تصادفنَّهم وتظفرنَّ بهم))[٣] وقال ابن عطية : ((تَثْقَفَنَّهُمْ) معناه : وتحصلهم في ثقافك بحال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم ، وقيل : ثقف : أخذ بسرعة))[٤] وقال أبو حيان الأندلسي : ((أي : فإن تظفر بهم في الحرب وتتمكَّن منهم فشرِّد بهم مَن خلفهم)) [٥] فقوله تعالى : (تَثْقَفَنَّهُمْ) في الوجه الثالث هو كمعناه في الوجه الأول ، والثاني ؛ فالمراد منه الظفر بهم والتمكن منهم ، أمَّا الأسر فهو من لوازمهما ، فمن ظفر بقوم وتمكَّن منهم فقد أسرهم ، بل ليس المراد من الآية أسر الغادرين والناقضين للعهد ، وإنَّما المراد قتلهم والتنكيل بهم وقت الظفر بهم ، والدليل مجيء (ما) بعد (إن) الشرطية ، فقد كانت من نتائج دراستي لمعاني (ما) في القرآن الكريم في كتابي : (ما) في القرآن الكريم دراسة نحوية ، وهو في الأصل أطروحتي في الدكتوراه ، أنَّ (ما) بعد (إذا) و(إن) الشرطيتين ليست زائدة كما ذهب النحاة ، وإنَّما تجيء بعدهما لتفيد معنى المعية الزمانية ، من ذلك مجيئها بعد (إن) الشرطية في ((قوله تعالى : (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ

---

(١) تفسير مقاتل ٢٤/٢

(٢) تفسير غريب القرآن ص١٧٩ وينظر : زاد المسير ٢٨٣/٣

(٣) الكشاف ٢٢٣/٢ وينظر : أنوار التنزيل ٦٤/٣ ومدارك التنزيل ص ص ٤١٨ وفتح القدير ٤٠٨/٢ وروح المعاني ٢١٨/٥

(٤) المحرر الوجيز ٥٤٣/٢ وينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٥/٨

(٥) البحر المحيط ٦٤٥/٤

لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) [الأنفال:٥٧] فالله سبحانه ، يأمر رسوله الكريم أن ينكل بأعدائه ليعتبر مَن سواهم ، وأن يفعل ذلك وقت الحرب والظفر بهم لا بعده ، لأنهم بعد ذلك يعدّون أسرى لايحلُّ أذاهم)) [١]

فدلالة (ثقفوا) في الأوجه الثلاثة واحدة ، وقد عرَّفه أهل اللغة والتفسير بالإدراك ، والظفر ، والتمكن ، وهذا يعني أنَّ المعنى الحاصل من اجتماع دلالات هذه الألفاظ الثلاثة المترادفة يُعدُّ أقرب المعاني إلى ثقفوا ، فيكون شاهد الوجه الأول في قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) هو بمعنى : واقتلوهم حيث أدركتموهم وظفرتم بهم وتمكنتم منهم ، وليس بمعنى : حيث وجدتموهم ، وشاهد الوجه الثاني في قوله تعالى : (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء) هو بمعنى : إن يدركوكم ويظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم أعداء ، وليس بمعنى : إن يغلبوكم يكونوا لكم أعداء ، وشاهد الوجه الثالث في قوله تعالى : (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) هو بمعنى : فإمَّا تدركنَّهم في الحرب وتظفرَنَّ بهم وتتمكَّن منهم فشرِّد بهم مَن خلفهم ، وليس بمعنى : فإمَّا تأسرَنَّهم في الحرب فشرِّد بهم مَن خلفهم ، هذا هو معنى ثقفوا في كل الشواهد القرآنية ، وليست بالمعاني التي ادعاها الدامغاني

فالقرآن الكريم استعمل لفظ (ثقفَ) في شواهد الأوجه الثلاثة ؛ لأنَّه أراد معناه ، فلو أراد دلالة الغلبة ، كما جاء في الوجه الثاني ، لاستعمل لفظه ، كما جاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ){الأنفال : ٦٥} ولو أراد دلالة الأسر ، لاستعمل لفظه كما جاء في الوجه الثالث في قوله تعالى : (وَأَنزَلَ الَّذِينَ

---

(١) كتابي : (ما) في القرآن الكريم/دراسة نحوية ص ١٩٦

ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا)[الأحزاب : ٢٦}

وفيما يتعلق بالوجه الأول الذي جعل فيه الدامغاني قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)[البقرة : ١٩١} بمعنى : حيث وجدتموهم ، فقد ورد قوله (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) في موضعين ، في هذا الموضع ضمن قوله تعالى : (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ {١٩٠} وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ)البقرة : ١٩١} وفي قوله قوله تعالى : (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا)[النساء : ٩١} وورد قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ) في موضعين أيضًا ، في قوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً {٨٨} وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا)النساء : ٨٩} وفي قوله تعالى : (وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {٣} إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ {٤} فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ

مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)}التوبة : ٣-٥{

تقدم تفسير الطبري لقوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)}البقرة : ١٩١{ ((يعني تعالى ذكره بذلك : واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين)) [١] ((فالمعنى : واقتلوهم حيث ثقفتموهم إن قاتلوكم))[٢] وقوله تعالى : (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا) معناه : ستجدون صنفًا ثانيًا من المنافقين هذه صفتهم فإن لم ((يكفوا أيديهم عن قتالكم (فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ)))[٣] أي : اقتلوا المنافقين حيث ثقفتموهم إن قاتلوكم ، فاستعمل (ثَقِفْتُمُوهُمْ) في هذين الموضعين الدال على معنى الحذر من العدو ، والحذق في إدراكه ، والتمكن منه ؛ لأنَّ هذه الأمور مما يحتاج إليها المسلمون عند قتال من يقاتلونهم من المشركين أو المنافقين

والسياق يختلف في الموضعين اللذين تضمنا قوله تعالى : (حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) فقد جاء في تفسير قوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) إلى قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ) ((ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا نفاقًا ظاهرًا وتفرَّقتم فيهم فرقتين ، وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم ، وذلك أنَّ قومًا من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البدو معتلِّين باجتواء المدينة (كرههم للمدينة ونزوعهم إلى وطنهم) فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين ،

---

(١) جامع البيان ٢٢٩/٢

(٢) التحرير والتنوير ١٩٨/٢

(٣) جامع البيان ٢٣٩/٥ وينظر : زاد المسير ٩٦/٢

فاختلف المسلمون فيهم ، فقال بعضهم : هم كفار ، وقال بعضهم : هم مسلمون))[1] فهؤلاء القوم من المنافقين وقفوا عند حدود ما هم عليه من نفاق ، ولم يحملوا السلاح ويعزموا ويعلنوا مقاتلة المسلمين حتى اختلف فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسلمون تجاه هؤلاء لا يحتاجون ليقتلوهم ما يحتاجون إليه لقتال من يقاتلهم ، بل هم قادرون على قتلهم حيث وجدوهم ، من دون أن يثقفوهم .

وجاء في تفسير الشاهد الثاني : (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) : (((فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ) يقول : فاقتلوهم (حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) يقول : حيث لقيتموهم من الأرض ، في الحرم وغير الحرم ، في الأشهر الحرم ، وغير الأشهر الحرم٠٠٠وامنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام ، ودخول مكة)) [2] كان المسلمون قد أُمروا أول مرة بقتال المشركين إن قاتلوهم ، لذلك قال سبحانه : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) والمعنى كما تقدم : ((واقتلوهم حيث ثقفتموهم إن قاتلوكم))[3] لكن بعد أن قويت شوكة المسلمين ، قال تعالى : (فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) فالمراد منها مقاتلتهم على كل حال ، قاتلوهم أم لم يقاتلوهم ، وفي كل أرض وزمان ؛ فلأنَّه أعمَّ أحوال قتال المشركين ناسب استعمال (وَجَدتُّمُوهُمْ) لعمومها .

فأنت ترى أنَّ دلالة لفظ (ثقف) غير دلالة : وجد ، وأسر ، وغلب ، فجعله بمعانيها تحريف لدلالته ، ومن الهدم للغة القرآن الكريم جعل ألفاظها بغير معانيها ، وثمة هدم أكبر ، وهو أنَّ أهل اللغة والتفسير كما تقدم قد

---

(١) مدارك التنزيل ص ٢٤٣ وينظر : جامع البيان ٢٣٢/٥ والوسيط ٩١/٢

(٢) جامع البيان ٩٠/١٠-٩١ وينظر : الوسيط ٧١/٣ وزاد المسير ٣٠١/٣ والبحر المحيط ١٤/٦

(٣) التحرير والتنوير ١٩٨/٢

بيَّنوا وحددوا دلالة (ثقف) والدامغاني لم يجعل (ثقف) بدلالته ، بل ادعى أنَّه جاء في القرآن الكريم بمعاني الأوجه التي ذكرها ، وليس هناك هدم للفظ القرآني أكبر من هدم إفراغه من محتواه وسلخه عن معناه .

وهدم ثالث ، وهو أنَّ الدامغاني لما ادعى أنَّ قوله تعالى : (حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) هو بمعنى (حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) عطَّل البحث في التعرف إلى الفرق المعنوي بين التركيبين ، ومن ثمَّ هدم الجانب البلاغي في التعبير القرآني ؛ لأنَّ من بلاغة القرآن الكريم وسر إعجازه أنَّه يراعي الفروق بين الألفاظ المترادفة المتقاربة في معانيها ، ويضع كلًا منها في موضعه وسياقه .

فصفوة ما تقدم ذكره أنَّه قد تبيَّن أنَّ : وجدوا ، وأسروا ، وغلبوا ، قريبة من معنى ثقفوا ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ المعاني المتقاربة يجوز أن يقع بعضها موقع بعض ، وهذا ما صرَّح به أهل اللغة والتفسير وأصحاب كتب الوجوه أنفسهم ، فإذا كانت هذه هي الحقيقة فأيّ الأمرين أولى وأحق بالاتباع أن نبقي ثقفوا على دلالته ، أم نجعله بمعاني الأوجه المذكورة ؟

وبين الألفاظ المترادفة فروق معنوية خاصّة ، وإن اتحدت في المعنى العام ، وهي المقصودة في القرآن الكريم ، وهذا ما يقرّ به أهل اللغة في كتب الفروق اللغوية وكتب متشابه القرآن ، فجعل اللفظ بمعاني مرادفاته يُعدُ تحريفًا ظاهرًا لدلالة النص القرآني ، ويُعدُّ كما تقدم هدمًا لظاهرة الترادف في لغة القرآن الكريم ؛ ذلك بتحويل مرادفات اللفظ إلى وجوه له .

وما قلته في أوجه هذا اللفظ يقال الكلام نفسه في أوجه كل لفظ من الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه ، ولا سيما الأوجه المختلقة بطريقة الترادف .

١٧-**الثواب** : ذكر أهل الوجوه للثواب في القرآن الكريم سبعة أوجه :

الأول : الجزاء ، كقوله تعالى : (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[المطففين : ٣٦] وقوله تعالى : (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا)[الكهف : ٤٤]

الثاني : الفتح والغنيمة ، كقوله تعالى : (فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[آل عمران : ١٤٨] وقوله تعالى : (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)[الفتح : ١٨]

الثالث : منفعة الدنيا والآخرة ، كقوله تعالى : (فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[آل عمران : ١٤٨] وقوله تعالى : (مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)[النساء : ١٣٤]

الرابع : الزيادة ، كقوله تعالى : (فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ)[آل عمران : ١٥٣] يعني : فزادكم غمًّا على غم

الخامس : ثواب الآخرة ، كقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّه خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ)[البقرة : ١٠٣] وقوله تعالى : (ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)[آل عمران : ١٩٥]

السادس : العقوبة ، كقوله تعالى : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً)[المائدة : ٦٠]

وأضاف الدامغاني والفيروزآبادي :

السابع : الوعد كقوله تعالى : (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ)[المائدة : ٨٥][1]

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٣٨-١٣٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٤٧-١٤٨ وبصائر ذوي التمييز ٣٣٨/٢

جعل أصحاب كتب الوجوه الثواب في الوجه الأول بمعنى : الجزاء ، في قوله تعالى : (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ){المطففين : ٣٦} وقوله تعالى : (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا){الكهف : ٤٤}

الثواب والجزاء : والجزاء لفظ مرادف للثواب ، وهو قريب جدًّا من معناه ، حتى إنَّه لشدة تقاربهما لم أجد في كتب اللغة من فرَّق بينهما ، ولكن مع ذلك فلا بدّ من أن تكون دلالة الثواب غير دلالة الجزاء ، وأول دليل على ذلك أنَّ أهل اللغة عرفَّوا كلًا منهما بغير ما عرَّفوا به الآخر ، قال ابن فارس : ((الثاء والواو والباء قياس صحيح من أصل واحد ، وهو العود والرجوع ، يقول : ثاب يثوب إذا رجع ، والمثابة : المكان يثوب إليه الناس٠٠٠والثواب من الأجر والجزاء : أمر يثاب عليه)) [١]

وقال العسكري في ((الفرق بين الثواب والأجر أنَّ الأجر يكون قبل الفعل المأجور عليه والشاهد أنَّك تقول : ما أعمل حتى آخذ أجري ، ولا تقول : لا أعمل حتى آخذ ثوابي ؛ لأنَّ الثواب لا يكون إلّا بعد العمل)) [٢]

وقال الراغب : ((أصل الثوب رجوع الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها ، أو إلى الحالة المقدَّرة المقصودة بالفكرة ، وهي الحالة المشار إليها بقولهم : أول الفكرة آخر العمل ، فمن الرجوع إلى الحالة الأولى قولهم : ثاب فلان إلى داره ، وثابت إليَّ نفسي ، ومن الرجوع إلى الحالة المقدرة المقصودة بالفكرة ، الثوب سُمِّيَ بذلك لرجوع الغزل إلى الحالة التي قُدِّرتْ له٠٠٠والثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله ، فيسمَّى الجزاء ثوابًا تصورًا أنَّه هو هو ، ألا ترى كيف جعل الله الجزاء نفس الفعل في قوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٤٤

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٦٦

يَرَهُ)}الزلزلة : ٧–٨} ولم يقل جزاءه ، والثواب يقال في الخير والشر٠٠٠والإثابة تستعمل في المحبوب ، قال تعالى : (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ)}المائدة : ٨٥}))[١] وقال : ((الجزاء : الغناية والكفاية٠٠٠والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر)) [٢]

نخلص مما ذكره أهل اللغة أنَّ الثواب يعني إرجاع عاقبة العمل إلى صاحبه خيرًا كان أم شرًّا ، كما قال تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ومضمون هذه الحقيقة تجده في قوله تعالى : (قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ)}الأنعام : ١٠٤} وقوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَمٍ لِّلْعَبِيدِ)}فصلت : ٤٦} فالعمل الصالح يعود ثوابه إلى صاحبه ، وكذلك العمل السيِّئ ، وقوله تعالى : (فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)}الزمر : ٤١} وقوله تعالى : (مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)}الإسراء : ١٥} وقوله تعالى : (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)}النمل : ٤٠} وقوله تعالى : (وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين)}العنكبوت : ٦} وقوله تعالى : (وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)}فاطر : ١٨} وقوله تعالى : (وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)}البقرة : ١١٠} وقوله تعالى : (وَمَا

---

(١) المفردات ص ٨٨–٨٩ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٩٢/١ ، ٣٢٥ وبصائر ذوي التمييز ٣٣٧/٢، ٣٨٠

(٢) المفردات ص ٩٨

تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ){البقرة : ٢٧٢} وقوله تعالى : (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لانفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا){الإسراء : ٧} فهذه الآيات ونحوها تتضمن أنَّ ما يعمله العبد من خير وشر يعود له أو عليه .

وهذا هو دلالة الثواب يعني أنَّ عاقبة العمل ترجع إلى صاحبه خيرًا كان أم شرًّا ، أمَّا الجزاء فقد قال ابن فارس : ((الجيم والزاء والياء قيام الشيء مقام غيره ، ومكافأته إيّاه ، يقال : جزيتُ فلانًا أجزيه جزاء ، وجازيته مجازاة ، وهذا رجل جازيك من رجل ، أي : حسبك ، ومعناه : أنَّه ينوب مناب كل أحد)) [1] ومما يتضمن هذا المعنى قوله تعالى : (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ){الانفطار : ١٩}

فالجزاء ليس كالثواب يعني إرجاع أجر العمل إلى عامله ، بل يعني مجازاته بما ينوب عنه ، وقيام الشيء مقام غيره ، ومكافأته إيّاه ، أو مجازاته بما هو أسمى وأعظم ؛ لذلك استعمل القرآن الكريم لفظ الجزاء من دون الثواب للتعبير عن هذا المعنى في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ){لقمان : ٣٣} وقوله تعالى : (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ){البقرة : ٤٨} لأنَّ المراد النيابة عن الشيء ، والقيام مقامه

وجعل أصحاب كتب الوجوه الثواب في الوجه الثاني بمعنى : الفتح والغنيمة ، فقوله تعالى : (فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين) وقوله تعالى : (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) جاء في التفسير ((قوله

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٦٦

تعالى : (فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) فيه قولان : أحدهما : أنَّه النصر ، قاله قتادة ، والثاني : الغنيمة ، قاله ابن جريج ، وروي عن ابن عباس أنَّه قال : النصر والغنيمة ، وفي : (وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ) قولان ، أحدهما : الجنة ، والثاني : الأجر ، والمغفرة)) [١] والثواب معنى عام تندرج تحت معناه أنواعه وكل معانيه الخاصة التي من ضمنها الأقوال المذكورة ، فالفرق بينها وبين الثواب هو كالفرق بين الأشياء المعطاة والعطاء ؛ لذلك جمع القرآن بينهما في الشاهد الثاني في قوله تعالى : (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) وفُرِّق بينهما في المعنى في التفسير ، فجعلوا قوله تعالى : (وَأَثَابَهُمْ) بمعنى عوَّضهم أو جزاهم أو وعدهم ، وقوله (فَتْحًا قَرِيبًا) فتح خيبر أو فتح مكة [٢] ومما لا شك فيه أنَّ في جعل المعنى العام بمعنى الخاص أو بمعنى نوع من أنواعه تحريفًا ظاهرًا لدلالته ، وهدمًا للغة القرآن الكريم ؛ لأنَّه يعني الخلط بين المعنى العام وأنواعه

وجعلوا الثواب في الوجه الثالث بمعنى : منفعة الدنيا والآخرة ، في قوله تعالى : (فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وقوله تعالى : (مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)

ما الداعي إلى القول بهذا الوجه ؟! ؛ لأنَّ المنفعة مرادفة للثواب في سياق الآيتين ، فهي معنى قريب منه ، والمعاني المتقاربة ، كما أجمع أهل اللغة ، يجوز أن يقع بعضها موقع بعض ، فإذا كانت هذه هي الحقيقة فأيّ الأمرين أولى وأحق بالاتباع ؟ أن نجعل الثواب بمعنى المنفعة أم نبقيه على معناه ؟! لذلك لم أجد في كتب التفسير التي رجعتُ إليها من استعمل

---

(١) زاد المسير ٣٨٠/١ وينظر : جامع البيان ١٥٥/٤ والوسيط ٥٠٢/١

(٢) ينظر : جامع البيان ١٠٢/٢٦ وزاد المسير ٢٠٨/٧ ومدارك التنزيل ص ١١٤٤

مصطلح المنفعة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد تقدم تعريف الثواب بأنَّه يعني إرجاع أجر العمل إلى صاحبه ، وهذا هو المعنى المراد ، والدليل على ذلك أنَّ ثواب الآخرة لا ينال إلّا بأن يتقدمه عمل لها ، والمعنى أنَّ من عمل للدنيا وأراد ثواب عمله لها نؤته منها ، ومن عمل للآخرة وأراد ثواب عمله لها نؤته منها ، ولا يتحقق هذا المعنى باستعمال لفظ المنفعة ؛ لأنَّ المنفعة هو ما يُنتَفَع به [١] ولا يشترط أن يسبقه عمل

وجعلوا الثواب في الوجه الرابع بمعنى الزيادة في قوله تعالى : (فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ) يعني : فزادكم غمًّا على غم ، قال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (غُمَّاً بِغَمٍّ) في هذه الباء أربعة أقوال ، أحدها : أنَّها بمعنى (مع) والثاني : أنَّها بمعنى (بعد) والثالث : أنَّها بمعنى (على) فعلى هذه الثلاثة يتعلق الغمَّان بالصحابة ، وللمفسرين في المراد بهذين الغمّين خمسة أقوال٠٠٠والقول الرابع : أنَّ الباء بمعنى الجزاء))[٢] والأقوال الخمسة تتعلق بأنَّ أحد الغمين اللذين أصابهم في غزوة أحد كان الأول : فرارهم في هذه الغزوة ، وقتل من قُتِل منهم ، وجرح من جُرِح منهم ، وكان الآخر : يتعلق بما أصابهم حين أشرف عليهم خالد بن الوليد من خلف الجبل بجيشه وخيله ونال منهم ما ناله ، وهذا هو الوجه الأول ، أمَّا الوجه الثاني فهو أنَّ الباء للجزاء ، فيكون الغم الأول للصحابة رضي الله عنهم ، والغم الثاني للرسول صلى الله عليه وسلم ، والمعنى : أثابكم غمّ القتل والهزيمة بسبب غمٍّ أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له ومخالفتكم أمره[٣]

---

(١) ينظر : لسان العرب ٣٢٥/٤

(٢) زاد المسير ٣٨٤/١

(٣) ينظر : تفسير مقاتل ١٩٦/١/١ ومعاني القرآن للفراء ص ١٦٩/١ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١١٤وجامع البيان للطبري ١٧٠/٤ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج

والوجه الأول الذي تضمنته الأقوال الخمسة ، الذي يفيد معاقبة الله للمسلمين عقابًا بعد عقاب ، قد جاء من تضمين الباء معنى (مع) أو(بعد) أو(على) وقد بيَّنتُ من قبل أنَّ التضمين لا وجود له في لغة كتاب الله جل وعلا ، وأنَّه مطية العجزة والمنهزمين ، بل هو مهزلة ، وقد بيَّنتُ مآخذه [١] فهذا الوجه مردود من جهة اللغة ، وهو مردود أيضًا من جهة الواقع والسياق ؛ لأنَّه إن صحَّ ، فلماذا جلَّ شأنه عاقب المسلمين بهذين الغمّين ؟! ولا سيما أنَّهم لم يرتكبوا قبلهما أيّة معصية كانت ؟! لذلك اختار الطبري الوجه الثاني وتبنّاه فقال : ((وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : معنى قوله : (فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ) أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين ، والظفر بهم ، والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم ربكم ، وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم)) [٢] ونقل عن ابن عباس : ((فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلًا فإنَّما أصابكم الذي أصابكم من أجل أنَّكم عصيتموني))[٣]

وجعل الحيري الثواب في الوجه الخامس بمعنى ثواب الآخرة ، في قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّه خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) وقوله تعالى : (ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)

٤٠٢/١ والكشاف للزمخشري ٤١٩/١ والمحرر الوجيز لابن عطية ٥٢٦/١-٥٢٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٨٤/١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٩/٤والتحرير والتنوير ٢٥٤/٣-٢٥٥

(١) ينظر : كتابي : النصب على الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، وكتابي : ظنَّ وأخواتها والتضمين في القرآن الكريم

(٢) جامع البيان ١٧٥/٤

(٣) جامع البيان ١٧٤/٤

وجعلوا الثواب في الوجه السادس بمعنى العقوبة ، في قوله تعالى : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً)

والثواب في هذه الأوجه الثلاثة الأخيرة : الرابع ، والخامس ، والسادس يعني الثواب بعينه ، وكما عرَّفه أهل اللغة ، بأنَّه يكون في الخير والشر ، وفي المحبوب والمكروه

وجعل الدامغاني والفيروزآبادي الثواب في الوجه السابع بمعنى الوعد في قوله تعالى : (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ) والمعنى عندهما : فوعدهم الله ، وأقرب المعاني إلى الثواب هو الجزاء ؛ لذلك فسَّر الطبري قوله تعالى : (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ) بقوله ((يقول تعالى ذكره : فجزاهم الله بقولهم)) [1] وقد تقدم قولي في جعل الثواب بمعنى المنفعة في الوجه الثالث : ((فقد تقدم تعريف الثواب بأنَّه يعني إرجاع أجر العمل إلى صاحبه ، وهذا هو المعنى المراد ، والدليل على ذلك أنَّ ثواب الآخرة لا ينال إلّا بأن يتقدمه عمل لها ، والمعنى أنَّ من عمل للدنيا وأراد ثواب عمله لها نؤته منها ، ومن عمل للآخرة وأراد ثواب عمله لها نؤته منها ، ولا يتحقق هذا المعنى باستعمال لفظ المنفعة ؛ لأنَّ المنفعة هو ما يُنتَفَع به [2] ولا يشترط أن يسبقه عمل)) وقد وجدتُ أبا حيان الأندلسي يقول قبلي في وجه الوعد نحو ما قلتُه في وجه المنفعة ، فقد قال في قوله تعالى : (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ) : ((وقرأ الحسن (فآتاهم) من الإيتاء ، بمعنى الإعطاء لا من الإثابة ، والإثابة أبلغ من الإعطاء ؛ لأنَّه يلزم أن يكون عن عمل بخلاف الإعطاء ، فإنَّه لا يلزم أن يكون ؛ ولذلك

---

(١) جامع البيان ١٢/٧

(٢) ينظر : لسان العرب ٣٢٥/٤

جاء أخيرًا : (وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ) نبَّه على أنَّ تلك الإثابة هي جزاء ، والجزاء لا يكون إلّا عن عمل))[1]

والوعد في الوجه السابع كوجه المنفعة في الوجه الثالث مرادف للثواب ، أي : كما جاز جعل (فَأَثَابَهُمُ) بمعنى : وعدهم ، جاز بالقدر نفسه أن يكون بمعنى : فآتاهم ، كما جاء في قراءة الحسن ، أو بمعنى : فأعطاهم ، أو بمعنى : فأهداهم ، أو بمعنى : فأورثهم ، أو بمعنى : فعوَّضهم ، جازت هذه الألفاظ ونحوها ؛ لأنَّ الألفاظ المرادفة للثواب تعدُّ جميعها واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها لا يمثل الثواب بعينه ، وإنَّما المعني القريب منه ، فجعل أيّ منها بمعناه تحريف لدلالته ؛ لأنَّها وإن تقاربت معانيها واتحدت في المعنى العام بينها فروق معنوية خاصة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم ، حتى الجزاء الذي يُعدُّ أقرب المعاني إلى الثواب فبينهما الفرق الذي بيَّناه في الوجه الأول ، فالقرآن الكريم إذا أراد دلالة إرجاع أجر العمل إلى صاحبه استعمل لفظ الثواب ، وهو سبحانه حين يعيد للعبد أجر ما عمله من خير يعيده إليه بأسمى وأعظم ما يكون وبأحسن حالاته ، وهذا هو من الجزاء ، أي : أنَّ ثواب الله هو ثواب وجزاء ؛ لذلك بدأت الآية بلفظ الأول وانتهت بلفظ الثاني

١٨-**الثواء** : قال أبو هلال العسكري : ((الثواء : الإقامة ، يقال : ثوى بالمكان وأثوى ، لغتان فصيحتان ... ويتصرّف هذا الحرف في القرآن على أوجه :

الأول : (وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ){القصص : ٤٥} أي : لم تكن مقيمًا فيهم .

---

(١) البحر المحيط ١٣/٤

الثاني : المثوى بمعنى المأوى ، قال تعالى : (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ){محمد : ١٩} وقوله تعالى : (فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ){فصلت : ٢٤} وهو قريب من الأول ، بل هو فيه بعينه ؛ لأنَّ المثوى مفعل من ثوى ، وقيل للمنزل والمسكن مثوى ، لأنَّ صاحبه يقيم فيه .

الثالث : المنزلة ، قال : (أَحْسَنَ مَثْوَايَ){يوسف : ٢٣} أي : أعلى منزلتي)) [١]

وقد جعل العسكري أوجه الثواء : الإقامة ، والمأوى ، والمنزلة ، وقد عرَّف الثواء بالإقامة ، واللفظ يُعرَّف بأقرب المعاني إليه ، وقد صرَّح بأنَّ الوجه الثاني الذي جعله بمعنى المأوى قريب من معنى الوجه الأول ، أو هو المعنى بعينه ، وصرَّح أيضًا أنَّه يقال للمنزل والمسكن مثوى ، فهذه الأوجه التي نسبها للثواء أقرَّ بكلام صريح بأنَّها متقاربة في معانيها أو متحدة ، وقد أجمع أهل اللغة كما تقدم على أنَّ الألفاظ المتقاربة أو المتحدة في معانيها تدخل في باب الترادف لا في باب وجوه اللفظ المشترك .

١٩-الجدال[٢]: قال العسكري : ((أصله من الجدل ، وهو الفتل ، يقال : جدلت الحبل جدلًا : إذا فتلته ، وهو مجدول ، وأصل الكلمة من القوة ، ثم سميت الأرض جدالة لقوتها ، وسمي الجدال جدالًا ؛ لأنَّك تقوم به حق القيام ، لتقوي مذهبك ... ويجوز أن يقال : الجدال : هو أن تفتل الخصم عن مذهبه بحجة أو شبهة أو شغب ، ويفتلك عن مذهبك بمثله ، والجدال في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٠٨

(٢) تقدمت دراسة هذا اللفظ في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، برقم ١٦٣ولكن بكلام موجز .

الأول : الخصومة ، قال : (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ){الرعد : ١٣} أي : يخاصمون .

الثاني : السؤال ، قال الله : (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ){هود : ٧٤} أي : تسأل رسلنا ويستثبت أمر ما يعذب به قوم لوط ، وقال أبو علي : جادلهم بما استحقوا عذاب الاستئصال ، وهل ذلك واقع بهم لا محالة ، أم هم إخافة ليقبلوا إلى الطاعة ، وهذا يقوي ما تقدم من أنَّه سؤال .

الثالث : المناظرة على إثبات الحق وإبطال الباطل ، قال تعالى : (قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا){هود : ٣٢} وفي هذا دليل على أنَّ الجدال لإقامة الحجة حسن .

الرابع : المراء ، قال تعالى : (وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ){البقرة : ١٩٧} فنهى عن المراء الواقع بين المترافقين في طريق الحجّ ... ونحوه : (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلّا الَّذِينَ كَفَرُوا){غافر : ٤} أي : لا يماري ، والمراء أن تستخرج ما عند خصمك بالمناظرة ، وأصله من المريء ، وهو استخراج اللبن من الضرع)) [١]

الخامس : الشر في قوله تعالى : (فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ){البقرة : ١٩٧}[٢]

السادس : الدعاء كقوله تعالى : (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ){النحل : ١٢٥}[٣]

قال الخليل : ((رجل جدل مجدال ، أي : خصم مخصام ، والفعل جادل يجادل مجادلة)) [٤] وقال ابن فارس : ((الجيم والدال واللام أصل واحد

([١]) الوجوه والنظائر ص ١١٧-١١٨ .

([٢]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٤٤-١٤٥ .

([٣]) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٩.

([٤]) العين ص ١٣٠.

، وهو من استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ، ومراجعة الكلام)) [١] ((وجادله : أي : خاصمه مجادلة وجدالًا ، والاسم الجدل ، وهو شدة الخصومة))[٢] وقال الراغب : ((والجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جدلتُ الحبل ، أي : أحكمت فتله ... ومنه الجدال ، فكأنَّ المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه))[٣] وقال الحلبي : ((المجادلة : المخاصمة والمفاوضة على سبيل المغالبة ، وهي مذمومة في الأشياء الظاهرة غير المحتملة للجدال ... إنَّ الجدال قد يكون بحق وهو محمود ليظهر الحق))[٤] ((والمجادلة : المناظرة والمخاصمة)) [٥] ((والجدال محمود إذا كان للوقوف على الحق وإلّا فمذموم)) [٦] و((وخاصمه : غلبه بالحجة)) [٧] ((وخاصمته مخاصمة وخصامًا فخصمته وأخصمه : إذا غلبته في الخصومة))[٨] ((والمناظرة : أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معًا كيف تأتيانه))[٩] ((ويقال : ناظرت فلانًا ، أي : صرتَ نظيرًا له في المخاطبة)) [١٠] ((ومَرَت الريح السحاب : إذا أنزلت منه المطر ... وماري فلان فلانًا ، معناه : استخرج ما عنده من الكلام والحجة ، مأخوذ من قولهم : مريتُ الناقة : إذا مسحتَ ضرعها لتدرَّ ... ومريتُ

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٥٨.

(٢) الصحاح ص ١٦٠.

(٣) المفردات ص٩٤ .

(٤) عمدة الحفاظ ٣١٢/١ .

(٥) لسان العرب ٩٩/٣

(٦) المصباح المنير ص ١٧١.

(٧) لسان العرب ٨٣/٤-٨٤ .

(٨) المصباح المنير ص ١٧١.

(٩) العين ص ٩٦٩.

(١٠) لسان العرب ٢٩٣/١٤.

الفرس : إذا استخرجتَ ما عنده من الجري بسوط أو غيره ... والمراء : المماراة والجدل ، والمراء أيضًا من الامتراء والشك ... وأصله في اللغة الجدل ، وأن يستخرج الرجل من مناظره كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها ، من مريتُ الشاة : إذا حلبتَها واستخرجتَ لبنها ... والمراء : الجدال ، والتماري والمماراة : المجادلة على مذهب الشك والريبة ، ويقال للمناظرة مماراة ؛ لأنَّ كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع)) [1]

تبين مما قاله أهل اللغة أنَّ محاججة الآخرين بحق أو بباطل تُسمَّى جدالًا ، وهذا يعني أنَّ الجدال في جميع شواهد الأوجه المذكورة يعني الجدال بعينه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تبيَّن من أقوالهم أيضًا أنَّ معاني الخصومة كما جاء في الوجه الأول ، والمناظرة في الثالث ، والمراء في الرابع ، قريبة من معنى الجدال ، فيكون الذي مكَّن العسكري وغيره من اختلاق هذه الأوجه هو جواز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ، وقد أدخل أهل اللغة المعاني المتقاربة في باب الترادف لا في باب الوجوه والجدير بالذكر أنَّ العسكري نفسه كما تقدم قد نبَّه على هذه القضية ، وكذلك الجدال في الوجه الثاني الذي جعله بمعنى السؤال في قوله تعالى : ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ يعني الجدال بعينه ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول : يخاصمنا ، وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أنَّ معنى ﴿يُجَادِلُنَا﴾ يكلِّمنا ، وقال لأنَّ إبراهيم لا يجادل الله إنَّما يسأله ويطلب منه ، وهذا من الكلام جهل ؛ لأنَّ الله تعالى ذكره أخبرنا في كتابه أنَّه يجادل في قوم لوط ، فقول القائل : إبراهيم لا يجادل موهمًا بذلك أنَّ قول من قال في تأويل قوله ﴿يُجَادِلُنَا﴾ أنَّ إبراهيم كان يخاصم ربه جهل من الكلام ، وإنَّما كان

([1]) لسان العرب ١٤/٦٢-٦٤.

جداله الرسل على وجه المحاجّة لهم ، ومعنى ذلك : وجاءته البشرى يجادل رسلنا ، ولكنه لما عُرِف المراد حذف الرسل ، وكان جداله إياهم ... عن سعيد : قال : لما جاء جبريل ومن معه قالوا لإبراهيم : (إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ){العنكبوت : ٣١} قال لهم إبراهيم : أتهلكون قرية فيها أربع مئة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها ثلاث مئة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها مئتا مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا ؟ قالوا : لا ، قال : أتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنًا ؟ ... عن ابن عباس ، قال : قال الملَك لإبراهيم : إن كان فيها خمسة يصلون رُفِع عنهم العذاب)) [١] ونحو هذا جاء عن قتادة والسُّدي وابن إسحاق ، وذكر مثل هذا الواحدي وقال : ((فهذا معنى جدال إبراهيم في قوم لوط ، وما بعد هذا مفسَّر ، قالت الرسل عند ذلك (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) (إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ) بعذابهم (وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ){هود : ٧٦}))[٢] وقال البيضاوي : ((يجادل رسلنا في شأنهم ، ومجادلته إيّاهم ، قوله : (قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا){العنكبوت : ٣٢} (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ){هود : ٧٥} غير عجول على الانتقام من المسيء إليه ، كثير التأوّه من الذنوب والتأسّف على الناس ، والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة ، وهو رقة قلبه وفرط ترحّمه))[٣] ((وقيل : إنَّ الجواب محذوف ، و(يُجَادِلُنَا) في موضع نصب على الحال ، وتقديره : فلما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى اجترأ على خطابنا حال كونه يجادلنا ، أي : يجادل رسلنا))[٤] وتأمَّل المأخذ الذي سقط فيه العسكري حين جعل الجدال

---

(١) جامع البيان ١٢/٩٤-٩٥ .

(٢) الوسيط ٢/٥٨٢.

(٣) أنوار التنزيل ٣/١٤٢ .

(٤) فتح القدير ٢/٦٥١-٦٥٢ .

بمعنى السؤال من أجل أن يختلق هذا الوجه ، فالله سبحانه أخبرنا أنَّ إبراهيم عليه السلام جادل ، والعسكري يذكر أنَّ إبراهيم عليه السلام لم يجادل ، ولكنه سأل ، فكأنَّه يكذِّب رب العزة من حيث لم يشعر .

وكذلك الجدال في الوجه السادس الذي جعله الدامغاني بمعنى الدعاء في قوله تعالى : (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وكثيرًا ما يذكر أهل الوجوه الشاهد القرآني مقطوعًاعما قبله ، فهو ضمن قوله تعالى : (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ){النحل : ١٢٥} وكيف يصح هذا الوجه ، وكيف استساغه الدامغاني ؛ لأنَّ فيه تكرارًا لمعنى الدعوة في السياق ، فكيف يعقل أن يكون التقدير : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وادعهم بالتي هي أحسن ، وإنَّما المراد من الجدال الجدال بعينه ، وهذا ما جاء في التفسير ، قال الطبري : (((وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول : وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها ... أن تصفح عما نالوا به عرضك ... وعن مجاهد : أعرض عن أذاهم))[١] وقال الزمخشري : ((وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فضاضة وتعنيف)) [٢] ((وهذا ردٌّ على من يأبى المناظرة في الدين)) [٣] وقال الشوكاني (((بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) قيل : وليس للدعوة إلاَّ هاتان الطريقتان ، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألدِّ إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل ، ولهذا قال سبحانه : (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي : بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة))[٤]

---

(١) جامع البيان ٢٣٠/١٤.

(٢) الكشاف ٦١٩/٢

(٣) مدارك التنزيل ص ٦١٤ .

(٤) فتح القدير ٢٥١/٣.

٢٠-**الجُناح (بضم الجيم)** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الجُناح ورد في القرآن الكريم على وجهيين :

الأول : الإثم ، كقوله تعالى : (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء){البقرة : ٢٣٥}

الثاني : الضرر أو الحرج ، كقوله تعالى : (إِلّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا){البقرة : ٢٨٢})) [١]

قال ابن فارس : ((الجُناح (بضم الجيم) الإثم ، وسمي بذلك لميله عن طريق الحق)) [٢] ((والجُناح : ما تُحُمِّل من الهمِّ والأذى ... قال ابن الأثير : وقد تكرر الجُناح في الحديث ، فأين ورد فمعناه الإثم والميل)) [٣] وفُسِّر الجُناح في شاهد الوجه الأول : (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء) بأنَّه : ((الإثم ... بل قيل : هو الأمر الشاق)) [٤] وفُسِّر بأنَّه ((لا تبعة من مهر ، وقيل من وزر)) [٥]

تبيَّن من تعريف الجُناح وتفسيره أنَّ الإثم ، والضرر والحرج ، قريبة من معناه ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه .

٢١-**الجيب** : قال الدامغاني : ((تفسير الجيب على وجهين : الصدر ، والإبط :

---

(١) الوجوه والنظائر للعسكري ص ١١٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٣ وبصائر ذوي التمييز ٢٠٠/٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ١٧٧ .

(٣) لسان العرب ٢١٣/٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣٥/٣ .

(٥) أنوار التنزيل ١٤٦/١.

فوجه منهما ، الجيب بمعنى الصدر ، قوله تعالى في سورة النور : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ){النور : ٣١} يعني : على صدورهنَّ

والوجه الثاني ، الجيب : الإبط ، قوله تعالى في سورة النمل : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ){النمل : ١٢} وسورة القصص : (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ){القصص : ٣٢ أي : في إبطك)) [١]

جعل الدامغاني الجيوب في الوجه الأول بمعنى الصدور في قوله تعالى : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) والتقدير : وليضربن بخمرهن على صدورهنَّ .

جاء في كتب اللغة : خمار المرأة غطاء رأسها ، وجمعه خُمُر ، قال تعالى : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ){النور : ٣١}[٢] وجاء في تعريفهم للجيب : جِبْتُ القميص : قوَّرتُ جيبه ، وجيَّبته : جعلت له جيبًا ، والجيب : جيب القميص ونحوه كالدرع ، وهو طوقه ، أو ما يدخل منه الرأس ، وما يكون من جهة الصدر ، وجمعه جيوب وفي التنزيل : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ){النور : ٣١} وجيب الثوب ما توضع فيه الدراهم ونحوها[٣] فهذه هي دلالة الجيب ، وجمعه الجيوب ، فأين هو من معنى الصدور ؟!

جاء في كتب التفسير : أنَّ الخُمُر جمع خمار ، وهو ما تغطي به المرأة رأسها ، وأنَّ سبب نزول هذه الآية أنَّ النساء كنَّ في ذلك الزمان إذا غطَّين رؤوسهنَّ بالأخمرة سدلنها من وراء الظهر ، فيبقى النحر ، والعنق ،

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٦٠

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٦٩ والمفردات للراغب ص ١٦٥ ولسان العرب ١٤٥/٥

(٣) ينظر : العين ص ١٦٤ ومقاييس اللغة ص ١٨١ولسان العرب ٢٤٩/٣ وتاج العروس ١٢٨/٢

والأذنان لا ستر عليهنَّ ، فأمر الله تعالى بأن يلقين خمرهن على جيوبهنَّ حيث يستر قُرطَهنَّ وجميع ما ذُكِر ؛ لأنَّه ربما تبدو نحورهنَّ من ذلك وبعض صدورهنَ[١] والنحر موضع القلادة من العنق[٢] تبيَّن في اللغة والتفسير أنَّ (جُيُوبِهِنَّ) لا تعني صدورهنَّ ، حتى إنَّه لا يصح أن يكون التقدير : جيوب صدورهنَّ ، لأنَّه ليس للصدور جيوب ، فلا تكون فيها ، بل تكون فيما يُلبَس من الثياب فوقها كالقميص والدرع ، فيكون المقصود من الجيوب ، جيوب ما تلبسه النساء مما كان من جهة العنق ، والنحر ، ومما قد يبدو من الصدر ، فجعل الجيوب بمعنى الصدور يُعدُّ تحريفًا ظاهرًا للعيان للفظ القرآني لغة وتفسيرًا .

وجعلَ الجيب في الوجه الثاني بمعنى الإبط في قوله تعالى : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) وقوله تعالى (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) والمعنى : ادخل يدك في إبطك ، وقد تقدم تعريف الجيب في كتب اللغة ، والجيب هنا يعني أيضًا جيب القميص ونحوه ، كما جاء في التفسير ، قال مقاتل : ((يعني : جيب المِدْرَعَة من قبل صدره))[٣] وقال الطبري : ((وقوله : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) يقول : ادخل يدك في جيب قميصك))[٤] وبمثل هذا فسروا الشاهد الثاني[٥] ولم أجد في كتب اللغة ولا في كتب التفسير من ذكر أنَّ الجيب هنا

---

(١) ينظر : جامع البيان ١٤٤/١٨ والوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣١٦/٣ والمحرر الوجيز ١٧٨/٤ وزاد المسير ٣٧٨/٥ وعمدة الحفاظ ٣٦١/١

(٢) ينظر : لسان العرب ٢٠٨/١٤/١٤

(٣) تفسير مقاتل ٤٧٠/٢ ، ٤٩٦/٢

(٤) جامع البيان ١٥٩/١٩

(٥) جامع البيان ٨٦/٢٠ ، /٥٩/١٩ وينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٧٠/٣ وزاد المسير ٦٢/٦ ومدارك التنزيل ص ٨٣٩ ، ٨٦٩

يعني الإبط ، فلا أدري من أين أتى الدامغاني بهذا الوجه ، إنَّه التعمد في تحريف دلالة اللفظ القرآني ، من أجل اختلاق الوجوه

٢٢-الختم : ذكر الدامغاني وابن الجوزي للختم في القرآن الكريم أربعة أوجه :

الأول : الطبع ، كقوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ){البقرة : ٧}

الثاني : الحفظ والربط ، كقوله تعالى : (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ){الشورى : ٢٤} يعني يربط على قلبك ويحفظه

الثالث : الآخِر ، كقوله تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ){الأحزاب : ٤٠} وقوله تعالى : (يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ {٢٥} خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ){المطففين : ٢٥-٢٦}

الرابع : المنع ، كقوله تعالى : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ){يس : ٦٥}[١]

قال ابن فارس : ((الخاء والتاء والميم أصل واحد ، وهو بلوغ آخِر الشيء ، يقال : ختمتُ العمل ، وختم القارئ السورة ، فأمَّا الختم ، وهو الطبْع على الشيء ، فذلك من الباب ؛ لأنَّ الطبع على الشيء لا يكون إلّا بعد بلوغ آخره في الأحراز ، والخاتَم مشتق منه ؛ لأنَّ به يُختَم٠٠٠والنبي خاتِم الأنبياء ؛ لأنَّه آخرُهم ، وختام كلِّ مشروب آخرُه ، قال الله تعالى : (خِتَامُهُ مِسْكٌ){المطففين : ٢} أي : إنَّ آخر ما يجدونه منه عند شربهم إيّاه رائحة المسك)) [٢] وقال الراغب : ((الختم والطبع يقال على وجهين مصدر

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٦-٢٠٦ ونزهة الأعين ١١٣-١١٤ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٥

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٨٠ وينظر : المفردات للراغب ص ١٤٨-١٤٩ وعمدة الحفاظ للحبي ٤٨٨/١-٤٩٠ وبصائر ذوي التمييز ٥٢٦/٢-٥٢٨

ختَمتُ وطبَعتُ ، وهو تأثير الشيء ، كنقش الخاتَم والطابَع ، والثاني : الأثر الحاصل من النقش ، ويُتَجَوَّز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء ، والمنع اعتبارًا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب))[1]

عرَّف أهل اللغة الختم بالطبعِ ، والآخِر ، والمنعِ ، والطبعُ : مرادف للختم ، والآخر ، والمنع ، من لوازمه ، وقد بيَّنت غير مرة أنَّ أهل اللغة يعرِّفون اللفظ بما يرادفه ، وهي المعاني القريبة منه ، أو بما يلازمه ، وهم لا يعنون أنَّ هذه المرادفات أو اللوازم تعني اللفظ بعينه كما هو الحال عند أصحاب كتب الوجوه ، بل يبتغون من ذلك شرح اللفظ وإيضاح معناه ، ليفهم القارئ دلالته ، وإلّا فإنَّه لا بد من أن تكون هناك فروق معنوية خاصَّة بين هذه المترافات وهي المقصودة في القرآن الكريم ؛ لأنَّ اللفظ ، ولا سيما اللفظ القرآني ، لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، وهذه الحقيقة أكَّدها العسكري حين فرَّق بين الختم والرسم ، فقد قال في الفرق بينهما ((أنَّ الختم ينبئ عن إتمام وقطع فعله وعمله ، تقول : ختمتُ القرآن ، أي : أتممتُ حفظه وقرأته ، وقطعتُ قراءته ، وختمتُ الكير ؛ لأنَّه آخر ما يفعل به لحفظه ، ولا ينبئ الرسم عن ذلك ، وإنَّما الرسم إظهار الأثر بالشيء ؛ ليكون علامة فيه ، وليس يدلُّ على تمامه ، ألا ترى أنَّك تقول : ختمتُ القرآن ، ولا تقول : رسمته ، فإن استعمل الرسم في موضع الختم في بعض المواضع فلقرب معناه من معناه ، والأصل في الختم ختم الكتاب ؛ لأنَّه يقع بعد الفراغ منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾{يس : ٦٥} منع ، وقوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾{البقرة : ٧} ليس بمنع ، ولكنَّه ذم بأنَّها

---

(١) المفردات للراغب ص ١٤٨-١٤٩ وينظر : عمدة الحفاظ للحبي ١/٤٨٨-٤٩٠ وبصائر ذوي التمييز ٢/٥٢٦-٥٢٨

كالممنوعة من قبول الحق ، على أنَّ الرسم فارسي مُعَرَّب ، لا أصل له في العربية ، فيجوز أن يكون بمعنى الختم ، لا فرق بينهما ؛ لأنَّهما لغتان)) [1]

فالعسكري هنا أثبت الحقائق الآتية :

الأولى : أنَّه لا بدَّ من أن يكون بين الألفاظ المترادفة فروق معنوية ، مهما اشتدَّ ترادفها ، وأنَّ هذه الفروق قائمة وإن دقَّت وخفيت ، بل وإن استعملت بعضها في موقع بعض

الثانية : قوله : ((فإن استعمل الرسم في موضع الختم في بعض المواضع)) يعني بكل وضوح أنَّه قد يستعمل اللفظ في موضع اللفظ المرادف له في بعض المواضع ؛ لأنَّهما قد يتقاربان في الفائدة في هذه المواضع ؛ لقرب معناه من معناه .

الثالثة : أنَّ هذا اللفظ الذي استعمل في موضع اللفظ المرادف له ، هو في الحقيقة ليس بمعناه ؛ لأنَّه إن صح أن يقع موقعه في بعض المواضع والتراكيب لا يصح أن يقع موقعه في مواضع وتراكيب أخرى ، أي : إذا صحَّ أن يقع موقعه في مواضع وتراكيب ، فليس لأنَّهما بمعنى واحد ، ولكن لكون هذه المواضع والتراكيب يصحُّ فيها معنيا اللفظين المترادفين ، ولهذا تجد العسكري عندما أراد أن يؤكد هذه الحقيقة ، استشهد بأمثلة يصح استعمال اللفظ فيها ، ولا يصح فيها استعمال مرادفة ، من ذلك قوله : ((أنَّك تقول : ختمتُ القرآن ، ولا تقول : رسمته))

الرابعة : قوله : ((فيجوز أن يكون بمعنى الختم ، لا فرق بينهما ؛ لأنَّهما لغتان)) يعني أنَّ اللفظ قد يرادف اللفظ ، فيكون قريبًا من معناه ، ولكن لا يكون مطابقًا له في الدلالة وهما من لغة واحدة .

---

(١) الفروق اللغوية ص ٨٥

جعل الدامغاني وابن الجوزي الختم في الوجه الأول بمعنى : الطبع ، في قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) واستعمل الختم والطبع للتعبير عمَّا ((تناهى في اعتقاد باطل أو ارتكاب محظور ، ولا يكون منه تَلَفُّتٌ بوجه إلى الحق))[1] فيكون كالشيء الذي خُتِم عليه ، أو طُبِع عليه .

قال ابن عطية : ((قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) مأخوذ من الختم ، وهو الطبع ، والخاتم والطابع ، وذهبت طائفة من المتأولين إلى أنَّ ذلك على الحقيقة ، وأنَّ القلب على هيئة الكفّ ينقبض مع زيادة الضلال ، والإعراض إصبعًا إصبعًا ، وقال آخرون : ذلك على المجاز ، وإنَّ ما اخترع له في قلوبهم من الكفر والضلال ، والإعراض عن الإيمان سمَّاه ختمًا ، وقال آخرون ممن حمله على المجاز : الختم هنا أسند إلى الله لما كفر الكافرون به وأعرضوا عن عبادته وتوحيده ، كما يقال : أهلك المال فلانًا ، وإنَّما أهلكه سوء تصرُّفه)) [2]

وقال الآلوسي في تفسير قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) ((وحملَ الظاهرون الختم والتغشية على حقيقتهما وفوَّضوا الكيفية إلى علم مَن لا كيفية له سبحانه ، وروي عن مجاهد أنَّه قال : إذا أذنب العبد ضمَّ من القلب هكذا ، وضمَّ الخنصر ، ثمَّ إذا أذنب ضمَّ هكذا ، وضمَّ البنصر ، وهكذا إلى الإبهام ، ثمَّ قال : وهذا هو الختم ، والطبْع ، والرَّين ، والذي عندي غير معقول ، والذي ذهب إليه المحققون أنَّ الختم استعير من ضرب الخاتَم على نحو الأواني ؛ لإحداث هيئة في القلب والسمع مانعة من نفوذ الحق إليهما ، كما يمنع نقش الخاتَم تلك الظروف من نفوذ ما هو بصدد الانصباب فيها ، فيكون استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلي ، وهو

---

(١) المفردات ص ١٤٩

(٢) المحرر الوجيز ٨٨/١

الاشتمال على منع القابل عمَّا من شأنه أن يقبله ، ثم اشتق من الختم ختم ، ففيه استعارة تصريحية تبعية٠٠٠ثمَّ إنَّ إسناد الختم إليه عز وجل باعتبار الخلق والذم والتشنيع الذي تشير إليه الآية ، باعتبار كون ذلك مُسَبَّبًا عمَّا كسبه الكفار من المعاصي ، كما يدلُّ عليه قوله تعالى : (بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً){النساء : ١٥٥} وإلاَّ أشكل التشنيع والذم على ما ليس فعلهم ، كذا قال مفسرو أهل السِّنَّة عن آخرهم فيما أعلم))[١]

وقال في تفسير قوله تعالى : (بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) : ((وهذا الطبع بمعنى الخذلان والمنع من التوفيق للتدبُّر في الآيات والتذكُّر بالمواعظ عند الكثير ، وطبع حقيقي عند البعض ، وأيَّد بما أخرجه البزار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قل : الطابع معلَّق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمة وعمل بالمعاصي ، واجترئ على الله تعالى بعث الله تعالى الطابع فطبع على قلبه ، فلا يعقل بعد ذلك شيئًا . وأخرجه البيهقي أيضًا في الشعب ، إلّا أنَّه ضعَّفه))[٢]

وقال ابن عاشور في قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) : ((والختم حقيقته السدُّ على الإناء ، والغلق على الكتاب ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتَم ؛ ليمنع ذلك من فتح المختوم ، فإذا فُتِح علمَ صاحبه أنَّه فُتِح لفساد يظهر في أثر النقش٠٠٠وليس الختم على القلوب ، والأسماع ، ولا الغشاوة على الأبصار هنا حقيقة ، كما توهَّمه بعض المفسرين فيما نقله ابن عطية ، بل ذلك جار على طريقة المجاز بأن جَعَلَ قلوبهم ، أي : عقولهم في عدم نفوذ الإيمان والحق والإرشاد إليها ، وجَعَلَ أسماعهم في استكاكها عن سماع الآيات والنذر ، وجَعَلَ أعينهم في عدم

---

(١) روح المعاني ١/١٣٤-١٣٥

(٢) روح المعاني ٣/١٨٥

الانتفاع بما ترى من المعجزات والدلائل الكونية ، كأنَّها مختوم عليها ومغشَّى دونها))[1]

وقال : ((وقوله ((بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) والطبْع إحكام الغلق بجعل طين ونحوه على سدِّ المغلوق بحيث لا ينفذ إليه مستخرج ما فيه إلاَّ بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به ، وقد يسِمون على ذلك الغلق بسمة تترك رسمًا في ذلك المجعول ، وتسمَّى الآلة الواسمة طابَعًا ، بفتح الباء ، فهو يرادف الختم ، ومعنى (بِكُفْرِهِمْ) بسببه ، فالكفر المتزايد يزيد تعاصي القلوب عن تلقِّي الإرشاد)) [2]

ذهب أهل اللغة ، وأهل التفسير بصفة عامَّة إلى أنَّ الختم والطبع بمعنى واحد ، لذلك عرَّفوا أحدهما بمعنى الآخر ، حتى صرَّح الزجاج بوحدة دلالتيهما ، فقد قال : ((وقوله عز وجل (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) معنى خَتَمَ في اللغة وطَبَعَ معنى واحد ، وهو التغطية على الشيء ، والاستيثاق من أن لا يدخله شيء ، كما قال عز وجلَّ : (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا){محمد ٢٤} وقال جلَّ ذكره : (كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ){المطففين : ١٤} معناه غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، وكذلك (بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ){النساء : ١٥٥} وهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون ، ولكنهم لم يستعملوا هذه الحواس استعمالًا يجزي عنهم ، فصاروا كمن لا يسمع ولا يبصر)) [3]

---

(١) التحرير والتنوير ١/٢٥٠-٢٥١

(٢) التحرير والتنوير ٤/٣٠٣

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٧٩-٨٠ وينظر : لسان العرب مادة ختم ٥/١٩ ومادة طبع ٩/٨٧

والحقيقة أنَّ بينهما فرقًا ، قال الخليل : ((والختام : الطين الذي يُختَم به على كتاب ، ويقال هو الختم يعني الطين الذي يُختَم به))[١] ((والخاتَم : ما يوضَع على الطينة ، وهو اسم مثل العالَم ، والخِتام : الطين الذي يُختَم به على الكتاب))[٢] ((والطَّبَّاع : الذي يأخذ فيطبعها ، يقرضها أو يسوِّيها ، فيطبع منها سيفًا ، أو سكِّينًا ونحوه ، طبعتُ السيف طبعًا ، وصَنْعَتُه : الطباعة ، وما جُعِلَ في الإنسان من طباع المأكل والمشرب ، وغيره من الأطبعة التي طُبِع عليها ، والطبيعة الاسم بمنزلة السجية والخليقة ونحوه)[٣]((وطبعه اللهُ على الأمر يطبعه طبْعًا : فطره ، وطبع اللهُ الخلْق على الطبائع التي خلقها فأنشأهم عليها٠٠٠والطَّبْع : ابتداء صَنْعَة الشيء ، تقول : طبعتُ اللَّبِن طبْعًا ، وطبَعَ الدرهم والسيف وغيرهما ، يطبعه طبْعًا : صاغه ، والطبَّاع الذي يأخذ الحديدة المستطيلة فيطبع منها سيفًا ، أو سكينًا ، أو سِنانًا ونحو ذلك ، وصنْعتُه الطباعة ، وطبَعْتُ من الطين جرَّة)) [٤]

وقال الراغب : ((الطبْع أن تُصَوِّر الشيء بصورة ما ، كطبع السِّكَّة[٥] وطبع الدراهم ، وهو أعمّ من الختم ، وأخصَّ من النقش))[٦]

وقال العسكري في : ((الفرق بين الختم والطبع : أنَّ الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه ، فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم ، ولهذا قيل : طبَعَ الدراهم طَبْعًا ، وهو الأثر الذي يؤثره ، فلا يزول عنه ،

---

(١) العين ص ٢٣١

(٢) لسان العرب ١٩/٥

(٣) العين ص ٥٦٠

(٤) لسان العرب ٨٧/٩

(٥) السِّكَّة : حديدة منقوشة تُضرَب عليها النقود ، ينظر : لسان العرب ٢١٩/٧

(٦) المفردات ص ٣١٣

كذلك قيل أيضًا طَبْعُ الإنسان ؛ لأنَّه ثابت غير زائل ، وقيل : طُبِع فلان على هذا الخُلُق : إذا كان لا يزول عنه))[١]

نخلص مما سبق ذكره ، سواء استعمل الختم والطبع في القرآن حقيقة أم مجازًا ، أنَّ الطبْع لا يعني الختم ، بل هو آلته ؛ لأنَّ الختم على الطين أو على الكتاب يكون بما طُبِع ، فالفرق بيِّنٌ بينهما في اللغة ، لذلك فإنَّ الطبع أشدُّ من الختم ، وتبعًا لذلك يكون القرآن الكريم قد استعمل الختم لمن أعرض عن ذكر الله ، واستعمل الطبع لمن كان أشدَّ إعراضًا .

وجعلا الختم في الوجه الثاني بمعنى : الحفظ والربط ، في قوله تعالى : (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ){الشورى : ٢٤} يعني يربط على قلبك ويحفظه ، قال مقاتل : ((يقول الله تعالى : (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ) يقول : يربط على قلبك ، فلا يدخل في قلبك المشقة من قولهم بأنَّ محمدًا كذاب مفتر))[٢] وقال الطبري : ((وقوله (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ) يا محمد يطبع على قلبك فتنسى هذا القرآن الذي أُنزل إليك ، وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل))[٣] وقال : يطبع ؛ لأنَّ الطبع والختم عند المفسرين بمعنى واحد ، وقد بينَّا الفرق بينهما في الوجه الأول ، وقال مفسرون بالقول الذي قاله الطبري ، وجوَّزوا القول الذي قاله مقاتل[٤] ورجح ابن عطية القول الأول الأول قول الطبري ؛ ((لأنَّ المراد الردّ على مقالة الكفار وبيان إبطالها ،

---

(١) الفروق اللغوية ص ٨٥

(٢) تفسير مقاتل ١٧٨/٣

(٣) جامع البيان ٣٥/٢٥

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٢/٤ والكشاف للزمخشري ٢١٦/٤ والجامع والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١/١٦ والبحر المحيط للأندلسي ٦٨٤/٧-٦٨٥ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٨١/٥

وذلك كأنَّه يقول : وكيف يصحُّ أن تكون مفتريًا ، وأنت من الله بمرأى ومسمع ، وهو قادر لو شاء على أن يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق ، ولا يستمرُّ افتراؤك ، فمقصد اللفظ هذا المعنى ، وحذف ما يدلُّ عليه الظاهر اختصارًا واقتصارًا ، وقال مجاهد في كتاب الثعلبي وغيره : المعنى : (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ) بالصبر لأذى الكفار ، ويربط عليه بالجَلَد ، فهذا تأويل لا يتضمن الردّ على مقالتهم)) [١] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الختم بمعنى الربط والحفظ في قوله تعالى : (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ)[٢] قال في تفسيره : (((فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ) فيه قولان :

أحدهما ، يختم على قلبك فينسيك القرآن .

والثاني : يربط على قلبك بالصبر على أذاهم ، فلا يشقّ عليك قولهم : إنَّك مفتر))[٣] فما عيَّنه في باب الوجوه لم يعيِّنه في باب التفسير ، وهذا يعني أنَّه أبطل الوجه الذي قال به في نزهته ومنتخبه .

والصحيح ما قاله الطبري ، وتبعه ابن كثير ، فقال : ((أي : لو افتريت كذبًا ، كما يزعم هؤلاء الجاهلون (يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ) أي : يطبع على قلبك ويسلبك ما كان آتاك من القرآن ، كقوله جلَّ جلاله : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقَاوِيلِ {٤٤} لاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ {٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ {٤٦} فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ){الحاقة : ٤٤-٤٧} أي : لانتقمنا منك أشد الانتقام)) [٤] وهذا هو القول الذي عيَّنه الآلوسي[١] وابن عاشور[٢]

---

(١) المحرر الوجيز ٣٤/٥-٣٥

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ١١٤ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٥

(٣) زاد المسير ١١٧/٧-١١٨

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٥٤/٧

وجعلا الختم في الوجه الثالث بمعنى الآخِر ، في قوله تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) والختم يعني الختم ؛ وبمعناه فسَّره الطبري ، قال في تفسير هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره : ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد٠٠٠ولكن رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة ، فطبع عليها٠٠٠وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل))[٣] وقال ابن عطية : ((و(خاتَم) بفتح التاء بمعنى أنَّهم به خُتموا ، فهو كالخاتَم والطابَع لهم ، و(خاتِم) بكسر التاء بمعنى أنَّه ختمهم ، أي : جاء آخِرهم))[٤] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الختم بمعنى الآخِر في قوله تعالى (وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[٥] لم يعيِّنه في تفسيره ، بل أجاز هذين القولين المذكورين[٦]

وكذلك جعلا الختم في هذا الوجه بمعنى الآخِر في قوله تعالى : (يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ {٢٥} خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) قال الطبري : ((وأمَّا قوله تعالى : (مَّخْتُومٍ {٢٥} خِتَامُهُ مِسْكٌ) فإنَّ أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ممزوج مخلوط ، مزاجه وخلطه مسك٠٠٠وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنَّ آخر شرابهم يُختَم بمسك يُجعَل فيه٠٠٠وقال آخرون : عنى بقوله (مَّخْتُومٍ) مُطَيَّنٌ (خِتَامُهُ

---

(١) ينظر : روح المعاني ٣٤/١٣-٣٥

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٤٩/٢٥

(٣) جامع البيان ٢٣/٢٢

(٤) المحرر الوجيز ٣٨٨/٤

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ١١٤ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٥

(٦) ينظر : زاد المسير ٢١٢/٦

مِسْكٌ) طينه مسك))[1] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل المختوم ، والختام ، بمعنى الآخِر في قوله تعالى : (يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ {٢٥} خِتَامُهُ مِسْكٌ)[2] لم يعيِّنه في تفسيره ، بل قال : ((وفي قوله تعالى : (مَّخْتُومٍ) ثلاثة أقوال ، أحدها : ممزوج ، والثاني : مختوم على إنائه ، والثالث له ختام ، أي : عاقبة ريح ، وتلك العاقبة هي قوله تعالى : (خِتَامُهُ مِسْكٌ) أي : عاقبته ، وللمفسرين في قوله تعالى : (خِتَامُهُ مِسْكٌ) أربعة أقوال ، أحدها : خلطه مسك ، والثاني : أنَّه ختمه الذي يُختَم به الإناء مسك ، والثالث : أنَّ طعمه وريحه مسك ، والرابع : أنَّ آخر طعمه مسك))[3] وابن الجوزي دائمًا ما يبطل في باب التفسير ، الوجه الذي قاله في باب الوجوه ، إمَّا بعدم القول به ، أو بعدم تعيينه ، ذلك بجعله قولًا محتملاً من قولين ، أو من عدة أقوال ، فالآخِر لا يعني الختم ، بل هو معنى ملازم له ، ومن التحريف عدم جعل اللفظ بمعناه ، بل بمعنى ما كان من لوازمه .

وجعلا الختم في الوجه الرابع بمعنى المنع في قوله تعالى : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) قال الطبري : ((يعني تعالى ذكره بقوله : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) اليوم نطبع على أفواه المشركين))[4] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الختم بمعنى المنع في قوله تعالى : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ)[5] قال

---

(١) جامع البيان ١٣٠/٣٠-١٣٢

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ١١٤ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٥

(٣) زاد المسير ٢٢٣/٨

(٤) جامع البيان ٣١/٢٣

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ١١٤ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٥

في زاده : ((قوله تعالى : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) ومعنى (نَخْتِمُ) نطبع عليها ، وقيل : منعها من الكلام هو الختم عليها))[1] فما قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، والمنع كالآخِر لا يعني الختم ، بل هو معنى ملازم له ، ومن التحريف عدم جعل اللفظ بمعناه ، بل بمعنى ما كان من لوازمه .

وقد فسَّر المفسرون الختم في قوله تعالى : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) بمعنى الطبع ؛ لأنَّهم لم يفرقوا بينهما في المعنى ، وقد بينَّا أنَّ الختم غير الطبع ، ولو أريد معنى الطبع ، وقيل : اليوم نطبع على أفواههم ، لكان المراد منعهم من الكلام بعلَّة نطقية خَلْقيَّة ، أو بعلَّة طبيعية خفيَّة ، كما حصل هذا في زكريا عليه السلام في قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا){آل عمران : ٤١} وقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا){مريم : ١٠} لكن استعمل الختم وقال : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) لأنَّه أراد منعهم من الكلام بِكَمٍّ أفواههم ؛ فهو أدلُّ على قهرهم ، وعلى إذلالهم .

٢٣- **الخشوع** : قال ابن فارس : ((الخاء والشين والعين أصل واحد يدل على التطامن ، يقال : خشع : إذا تطامن وطأطأ رأسه ، يخشع خشوعًا ، وهو قريب المعنى من الخضوع ، إلّا أنَّ الخضوع في البدن ، والخشوع في الصوت والبصر))[2]وقال الراغب : ((الخشوع : الضراعة ، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح ، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما

---

(١) زاد المسير ٦/٢٨٨

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٥٦ .

يوجد في القلب ؛ ولذلك قيل فيما رُوي : إذا ضَرَع القلب خشعت الجوارح))[1]
وقال الفيروزآبادي ((والخشوع : السكون والتذلل)) [2]

وقال الدامغاني : ((تفسير الخشوع على أربعة أوجه : التواضع ، والخوف ، والتذلل ، والسكون ، فوجه منها ، الخشوع ، يعني : التواضع ، فذلك قوله تعالى في سورة البقرة : (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ){البقرة : ٤٥} يعني : المتواضعين

والوجه الثاني ، الخشوع ، يعني : الخوف ، قوله تعالى في سورة الأنبياء : (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ){الأنبياء : ٩٠} يعني : خائفين

والوجه الثالث ، الخشوع : سكون الجوارح ، وهو النظر إلى موضع السجود ، قوله تعالى في سورة المؤمنون : (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ){المؤمنون : ٢}

والوجه الرابع ، الخشوع يعنى : التذلل قوله تعالى في سورة طه : (وَخَشَعَت الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ){طه : ١٠٨} يقول : ذلَّت))[3]ومثل هذا قال الحيري[4] وابن الجوزي[5]

التواضع ، والخوف ، والتذلل ، والسكون لا يصح أن تكون أوجهًا للخشوع ؛ لأنَّها من مرادفاته ، والأوجه الحقيقية أن تكون معانيها مختلفة متباينة ، وهذه الأوجه المزعومة لأنَّها مبنية على الترادف ليس وجه منها أولى من غيره ؛ لأنَّ جميعها تُعدُّ واحدة من جهة ترادفها ، أي : كل منها لا يعني الخشوع بعينه ، بل المعنى القريب منه ، فلا يخفى على باحث أنَّها

---

(١) المفردات ص ١٥٤.
(٢) بصائر ذوي التمييز ٥٤١/٢.
(٣) الوجوه والنظائر ص ٢٠٤-٢٠٥
(٤) وجوه القرآن ص ١٩٥-١٩٦ .
(٥) نزهة الأعين ص ١١٥-١١٦

والخشوع معان مترادفة ، حتى ليصح أن تقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ، فشاهد الوجه الرابع : (وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرحْمَنِ) الذي جُعِل بمعنى التذلل ، جاء في تفسيره ((يقول تعالى ذكره : وسكنت أصوات الخلائق ... وعن ابن عباس قوله : (وَخَشَعَت) يقول : سكنت)) [١] وجاء في تفسيره أيضًا : ((سكنت وذلت وخضعت ... والمعنى على هذا التفسير : سكنت الأصوات ، فلا يجهر أحد بكلام إلّا كالسرّ من الإشارة بالشفة ، وتحريك الفم من غير صوت)) [٢]

وشاهد الوجه الثالث : (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ) الذي تعيَّن جعله في باب الوجوه بمعنى السكون ، جاء في تفسيره : ((يقول تعالى ذكره : الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون ، وخشوعهم فيها تذللهم لله بطاعته ، واختلف أهل التأويل في الذي عني به في هذا الموضع من الخشوع ، فقال بعضهم : عني به سكون الأطراف في الصلاة ... وقال آخرون : عني به الخوف في هذا الموضع ... قال : خائفون)) [٣]

وشاهد الوجه الثاني : (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) الذي جُعل في باب الوجوه بمعنى الخوف ، جاء في تفسيره : ((يقول : كانوا لنا متواضعين متذللين)) [٤]

فالمعاني المترادفة لا يصح إقحامها في باب الوجوه لما تقدم ذكره في وجوه الألفاظ السابقة ؛ ولأنَّ الوجوه تتطلب تعيين معانيها والقطع بها وعدم الاختلاف فيها ، وجاز إقحامها في باب التفسير ؛ لأنّه لا يقتضي فيه تعيين المعاني ، فكما جاز مثلًا أن يكون شاهد الوجه الأول بمعنى التواضع

---

(١) جامع البيان تفسير الطبري ٢٤٨/١٦ .

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٢٢/٣ .

(٣) جامع البيان ٥/١٨-٧ .

(٤) جامع البيان ٩٩/١٧.

في قوله تعالى : (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) والتقدير : وإنَّها لكبيرة إلّا على المتواضعين ، جاز بالقدر نفسه أن يكون بمعنى : الخوف ، والتقدير : وإنَّها لكبيرة إلّا على الخائفين ، وأن يكون بمعنى : سكون الجوارح ، والتقدير : وإنَّها لكبيرة إلّا على الذين سكنت جوارحهم في صلاتهم ، وأن يكون بمعنى : التذلل ، والتقدير : وإنَّها لكبيرة إلاَّ على المتذللين ، وهذا ما جاء في التفسير

قال الطبري في تفسير شاهد الوجه الأول الذي تعين جعله بمعنى التواضع في باب الوجوه : ((ويعني بقوله (إلّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) إلّا على الخاضعين لطاعته ، الخائفين سطواته المصدقين بوعده ووعيده ... عن أبي العالية في قوله (إلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) قال : يعني : الخائفين ...عن مجاهد (إلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) قال : المؤمنين حقًّا ...قال ابن زيد : الخشوع : الخوف والخشية لله ... وأصل الخشوع : التواضع والتذلل والاستكانة ... فمعنى الآية : إلّا على المتواضعين لله المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته)) [١] فتأمَّل أنَّ الخشوع في شاهد الوجه الأول فُسِّره الطبري بكل الأوجه التي نُسبت إليه .

وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل الخشوع بمعنى الذل في قوله تعالى : (وَخَشَعَت الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ)[طه : ١٠٨][٢] جعله بمعنى السكون والخفية في تفسيره[٣] وعيَّن في النزهة جعل الخشوع بمعنى سكون الجوارح في قوله تعالى : (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ)[المؤمنون : ٢][٤] إلّا أنَّه لم يُعيِّن له هذا المعنى في تفسيره بل قال : ((وفي المراد بالخشوع

---

(١) جامع البيان ٣٠٠/١

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ١١٥ .

(٣) ينظر : زاد المسير ٢٣٨/٥.

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ١١٥-١١٦ .

في الصلاة أربعة أقوال ، أحدها : أنَّه النظر إلى موضع السجود ، والثاني : أنَّه ترك الالتفات في الصلاة ، والثالث : أنَّه السكون في الصلاة ، والرابع : أنَّه الخوف)) [١] وعيَّن في النزهة جعل الخشوع بمعنى الخوف في قوله تعالى : (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ){الأنبياء : ٩٠}[٢] إلّا أنَّه عيَّن جعله بمعنى التواضع في تفسيره[٣] وعيَّن في النزهة جعل الخشوع بمعنى التواضع في قوله تعالى : (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ){البقرة : ٤٥}[٤] إلّا أنَّه أجاز جعله بمعنى التواضع والسكون في تفسيره[٥]

فهذه هي كتب الوجوه أترى أنَّها تستحق أن تُسمَّى كتبًا ؟! أما ترى أنَّ أصحابها من أجل اختلاق الوجوه راحوا يلصقون المعاني على ألفاظ القرآن الكريم على سبيل القطع والتعيين جزافًا ؟! أترى أنَّ هؤلاء كانوا يؤلّفون ويصنّفون أم كانوا بآيات الله يخوضون ويلعبون ؟!

٢٤-**الخُلَّة والخِلال** : ذكر الحيري والدامغاني للخلة والخلال في القرآن الكريم أربعة أوجه :

الأول : أوسط ، كقوله تعالى : (فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ){الإسراء : ٥} وهذا قول الحيري

الثاني : الصداقة ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ){البقرة : ٢٥٤} وقوله تعالى : (لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ){إبراهيم : ٣١}

---

(١) ينظر : زاد المسير ٣٣٤/٥.

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ١١٦ .

(٣) ينظر : زاد المسير ٢٣٨/٥.

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ١١٦ .

(٥) ينظر : زاد المسير ٦٦/١ .

الثالث : الخليل : المصافي ، كقوله تعالى : (وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)[النساء : ١٢٥] أي : مصافيًا .

الرابع : الإقبال بالوجه ، كقوله تعالى : (اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ)[يوسف : ٩] [١]

قال ابن فارس : ((الخاء واللام أصل واحد يتقارب فروعه ، ومرجع ذلك إمَّا إلى دِقَّة أو فُرْجَة ، والباب في جميعها متقارب ، فالخِلال واحد الأَخلَّة ، ويقال : فلان يأكل خِلَلَه ، وخُلالته ، أي : ما يخرجه الخِلال من أسنانه ، والخَلُّ خَلُّك الكساء على نفسك بالخِلال ، فأمَّا الخليل الذي يُخالُّك ، فمن هذا أيضًا ، كأنَّكما قد تخاللتما ، كالكساء الذي يُخَلُّ)) [٢]

وقال الراغب : ((الخَلَل فُرْجَة بين الشيئين وجمعه خِلال ، كخَلَل الدار والسحاب والرماد وغيرها قال تعالى في صفة السحاب : (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ)[النور : ٤٣] وقال تعالى : (فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ)[الإسراء : ٥]٠٠٠والخَلَّة الاختلال العارض للنفس إمَّا لشهوتها لشيء ، أو لحاجتها لشيء ؛ ولهذا فُسِّر الخَلَّة بالحاجة والخَصْلة ، والخُلَّة المودة إمَّا لأنَّها تتخلل النفس ، أي : تتوسطها ، وإمَّا لأنَّها تَخِلُّ النفسَ ، فتؤثر فيه تأثير السهم في الرمية ، وإمَّا لفرط الحاجة إليها ، يقال منه : خالَلْتُهُ مخالة وخِلالاً فهو خليل ، وقوله تعالى : (وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)[النساء : ١٢٥] قيل سمَّاه بذلك لافتقاره إليه سبحانه في كلِّ حال٠٠٠وقيل من الخُلَّة واستعمالها فيه كاستعمال المحبة٠٠٠وقوله تعالى : (لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٠٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٨

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٤٦

خُلَّةٌ){البقرة : ٢٥٤} أي : لا يمكن في القيامة ابتياع حسنة ولا استجلابها بمودة)) [١]

وقال الحلبي : ((والخُلَّة : المودَّة ، قال تعالى : (لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ){البقرة : ٢٥٤}٠٠٠والخِلال بمعناها ، قال تعالى : (لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ){إبراهيم : ٣١} يقال : خالَلْتُه خِلالاً ومخالة وخُلَّة))[٢]

جعل الحيري الخلال في الوجه الأول بمعنى الأوسط في قوله تعالى : (فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ) والأوسط هنا مرادف للخلال ، بمعنى أنَّه قريب من معناه ، لكنه غير مطابق له ، فجعله بمعناه تحريف لدلالته ، والفرق بينهما واضح في اللغة ، وقد بيَّن أهل اللغة كما تقدم أنَ االخلال جمع الخَلَل ، والخَلَل الفُرجة بين الشيئين ، والوسط ((يدلُّ على العدل والنصف ، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه))[٣] والوسط هو الشيء الذي يفصل بين الشيئين[٤] فالفرق بينهما أساسي ، فالفرجة بين الشيئين يعني المنفذ بينهما الذي يمكن أن يُتخذ طريقًا يُنفذ ويُتسلل منه ، والخلال جمع خَلَل ، فقوله تعالى (فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ) جاء في التفسير أنَّهم طافوا في خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه[٥] وأنَّهم مشوا بين منازلهم ، وقتلوهم بين

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ١٥٩-١٦٠ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٥٢٩/١-٥٣٠ وبصائر ذوي التمييز ٥٥٦/٢-٥٥٨

(٢) عمدة الحفاظ ٥٣٠/١ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٥٥٨/٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٥٥

(٤) ينظر : المفردات للراغب ص ٥٤٦

(٥) معاني القرآن وعرابه للزجاج ١٨٦/٣

بيوتهم[1] فالمعنى أنَّهم دخلوا فيها من منافذها ، وتجوَّلوا بين الفرجات التي بين الأزقة والبيوت ، وهذا هو معنى الخِلال لا معنى الأوسط

وجعل الحيري والدامغاني الخُلَّة في الوجه الثاني بمعنى الصداقة ، في قوله تعالى : (لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ){البقرة : ٢٥٤} وقوله تعالى : (لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ){إبراهيم : ٣١} والصداقة مرادفة للخُلَّة ، قربية من معناها والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ؛ واللفظ المرادف لا يمكن تعيينه ، ومن التحريف الدلالي للفظ قصره على معنى مرادف من دون المرادفات الأُخَر ؛ لأنَّ المرادفات للفظ هي واحدة من حيث إنَّ كلاًّ منها جاز جعله بمعناه بالقدر نفسه ، فإذا كانا مَن هما مِن أصحاب كتب الوجوه قد جعلا الخُلَّة بمعنى الصداقة ، في الشاهدين المذكورين ، فقد جعلها الراغب ومن تبعه بمعنى المودَّة كما تقدم

وجعل الدامغاني الخليل في الوجه الثالث بمعنى المصافي في قوله تعالى (وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) والمصافي أيضًا مرادف للخليل ، ويقال في هذا الوجه ما قلته في الوجه السابق ، قال الزجاج : ((وقوله : (وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) الخليل : المحبَّ الذي ليس في محبته خَلَل ، فجائز أن يكون إبراهيم سُمِّيَ خليل الله بأنَّه الذي أحبَّه الله ، واصطفاه محبَّة تامَّة كاملة ، وقيل أيضًا : الفقير ، فجائز أن يكون فقير الله ، أي : الذي لم يجعل فقره وفاقته إلّا إلى الله مخلِصًا في ذلك))[2] وقال ابن الجوزي : ((فأمَّا الخليل ، فقال ابن عباس : الخليل : الصفي ، وقال غيره : المصافي ، وقال الزجاج : هو المحبُّ الذي ليس في محبته خَلَل ، قال : وقيل : الخليل : الفقير ، فجائز أن يكون إبراهيم سُمِّي خليل الله بأنَّه أحبَّه محبَّة كاملة ، وجائز أن

---

(١) ينظر : زاد المسير ٧/٥

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٩١/٢

يكون لأنَّه لم يجعل فقره وفاقته إلاَّ إليه٠٠٠وقال بعض أهل اللغة : الخليل : المحبُّ ، والمحبُّ الذي ليس في محبته نقص ولا خلل ، والمعنى : أنَّه كان يحب اللهَ ، ويحبه اللهُ محبة لا نقص فيها ولا خلل))[١]

وقال الدامغاني كما جاء في الوجه الرابع ما نصُّه : ((تفسير الخُلَّة والخلال على ثلاثة أوجه : والوجه الثالث : الإقبال بالوجه ، قوله سبحانه في سورة يوسف : (أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ){يوسف : ٩} يقبل عليكم أبوكم بوجهه)) وقد نقلت كلامه نصًّا ؛ لأبيِّن أنَّه لم ينبِّه على أنَّ الشاهد هنا لا يعود إلى الخُلَّة والخلال ، بل هو من جذر آخر ، حتى إنَّ أهل اللغة فصلوا بينهما ، فالخُلَّة والخلال هو من جذر خلَّ يَخُلُّ خلاًّ وخُلولاً[٢] ويخلو من جذر خَلا يَخلو خُلوًّا وخَلاءً [٣] وجعل الراغب ومن تبعه كما تقدم الخُلَّة والخِلال في باب خلَّ ، واستشهدوا له بقوله تعالى : (فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ) وقوله تعالى : (لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ) وقوله تعالى : (لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ) وقوله تعالى : (وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)[٤]وهي الشواهد التي اشتملت عليها الأوجه الثلاثة الأولى ، وجعل ومن تبعه يخلو في باب خَلا ، وأصله خَلُوَ واستشهد له بقوله تعالى (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ){يوسف : ٩}[٥] فلكل من الخُلَّة والخلال ، ويخلو ، جذره ودلالته ، فمن التحريف البيِّن والهدم البيِّن التوحيد والخلط بينهما في الوجه والدلالة

---

(١) زاد المسير ١٢٧/٢

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٤٦ ولسان العرب ١٤٣/٥

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٦٤ ولسان العرب ١٤٨/٥

(٤) ينظر : المفردات في غريب القرآن ص ١٥٩-١٦٠ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٥٢٩/١-٥٣٠ وبصائر ذوي التمييز ٥٥٦/٢-٥٥٨

(٥) ينظر : المفردات في غريب القرآن ص ١٦٤ وعمدة الحفاظ ٥٣١/١-٥٣٢

٢٥-الخليفة : ذكر الحيري والدامغاني للخليفة في القرآن الكريم ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى الخليفة ، كما قال الحيري ، أو بمعنى البدل ، كما قال الدامغاني ، كقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً){البقرة : ٣٠} يعني بدلاً ممن مضى من الجنِّ

الثاني : الذي يخلف ، كما قال الحيري ، أو بمعنى النبي ، كما قال الدامغاني ، كقوله تعالى : (يَا دَاوودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ){ص : ٢٦}

الثالث : السكان ، كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ){الأنعام : ١٦٥} وقوله تعالى : (قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ){الأعراف : ١٢٩}[1]

جعل الحيري الخليفة في الوجه الأول بمعنى الخليفة في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) وهذا يعني أنَّه أبقى اللفظ على معناه ، أي : جعله يعني الخليفة بعينه .

الخليفة والبديل : وجعله الدامغاني بمعنى البدل ، يعني بدلًا ممن مضى من الجنِّ ، والبدل مرادف للخلافة ، قريب من معناها ، قال ابن فارس : ((الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة ، أحدها : أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه ، والثاني : خلاف قُدَّام ، والثالث : التغيُّر ، فالأول : الخَلَفُ ، والخَلَفُ : ما جاء بعد ، ويقولون : هو خَلَفُ صدق من أبيه ، وخَلَفُ سوء من أبيه ، فإذا لم يذكروا صدقًا ولا سوءًا ، قالوا للجيد : خَلَفٌ ، وللرديء خَلْفٌ ، قال الله تعالى : (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ){الأعراف : ١٦٩}{مريم : ٥٩} والخِلِّيفى : الخلافة ، وإنَّما سميت خلافة ؛ لأنَّ الثاني

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٩٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٣-٢٠٤

يجيء بعد الأول قائمًا مقامه ، وتقول : قعدتُ خلاف فلان ، أي : بعده ، والخوالف في قوله تعالى : (رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ){التوبة : ٨٧} لأنَّ الرجال يغيبون في خروجهم ومغاوراتهم وتجاراتهم ، وهنَّ يخلفنهم في البيوت والمنازل)) [١]

وقال الحلبي : ((والخلافة : النيابة عن الغير ، لغيبته ، أو لعجزه ، أو لموته ، أو تشريف ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلاف الله أولياءه في الأرض ، كما قال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ){النور : ٥٥} وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً){البقرة : ٣٠} قيل : هو بمعنى فاعل ؛ لأنَّه خليفة الله تعالى تشريفًا له بذلك ، وقيل : لأنَّه خَلَفَ من كان قبله من جنٍّ إن صحَّ ، فالتاء فيه قياس ، وقيل : بمعنى مفعول ؛ لأنَّ الله تعالى استخلفه في الأرض ، فالتاء فيه ليست بقياس ، وقيل : كالنطيحة ، والذبيحة ، وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ){الأعراف : ١٦٥} جمع خليفة ، نحو ظرائف وظريفة ، وخلفاء الأرض جمع خليفة على معنى التذكير لا على اللفظ ، والظاهر أنَّه جمع خليف ، نحو ظريف وظرفاء ، والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو فعله ، قال تعالى : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ){هود : ٨٨}))[٢]

وقال ابن فارس : (الباء والدال واللام أصل واحد ، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب ، يقال : هذا بدل الشيء وبديله ، ويقولون : بدَّلْتُ الشيء : إذا غيَّرتَه ، وإن لم تأت له ببدل ، قال الله تعالى : (قُلْ مَا يَكُونُ لِي

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٦٧ وينظر : المفردات للراغب ص ١٦١-١٦٣

(٢) عمدة الحفاظ ١/٥٢٣-٥٢٤

أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي)}يونس : ١٥}))[١]وقال الراغب : ((الإبدال ، والتبديل ، والتبدل ، والاستبدال : جعل شيء مكان آخر ، وهو أعمُّ من العوض ، فإنَّ العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول ، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقًا ، وإن لم يأت ببدله)) [٢]

فاالفرق ظاهر بين الخليفة والبدل ، وإن كانا مترادفين ، فالخليفة من يخلف مَن قبله ، ويقوم مقامه لموته ، أو لغيابه ، أو لعجزه ، أو للتشريف ، والبدل من يقوم مقام غيره لا لشيء من ذلك ، بل لتبديل الأفضل بدونه ، والمعنى المذكور للخلافة تجده ماثلاً بوضوح في قوله تعالى : (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ)}الأنعام : ١٣٣} وقوله تعالى : (قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)}الأعراف : ١٢٩} وقال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)}النور : ٥٥} فاستخلاف قوم في الأرض لا يكون إلّا بعد هلاك مَن قبلهم ، وقال تعالى : (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)}هود : ٥٧} والمعنى : ((يهلككم ربي٠٠٠ولا تقدرون له على ضر إذا أراد إهلاككم ، أو أهلككم))[٣] فـ((قوله تعالى : (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ) فيه وعيد لهم بالهلاك))[٤] ذلك أنَّ استخلاف قوم غائبين لا يكون إلّا بإهلاك المخاطَبين الحاضرين

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٩

(٢) المفردات ص ٤٤ وينظر : عمدة الحفاظ ١٦٧/١–١٦٨ وبصائر ذوي التمييز ٢١٦/٢

(٣) جامع البيان ٧٤/١٢

(٤) زاد المسير ٩٢/٤

أمَّا البدل فيُؤتى به ؛ لا ليقوم مقام مَن قبله لموته ، أو لغيابه ، أو لعجزه ، أو لتشريفه ، بل ليكون عوضًا عن غيره ، وليقوم مقامه بصفة أفضل ، كقوله تعالى : (إِلّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ){التوبة : ٣٩} والمعنى كما جاء في التفسير : يستبدل بكم آخرين كأهل اليمن ، وأبناء فارس[١] وقال تعالى : (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ){محمد ٣٨} والمعنى : يستبدل قومًا غيركم من العجم ، عجم فارس ، أو الروم ، أو من أهل اليمن[٢]

وورد لفظ البدل في موضع واحد هو قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لادَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا){الكهف : ٥٠} أي : بئس هذا البدل ، وهو أنَّهم استبدلوا طاعة الشيطان وذريته بطاعة الله[٣] فهذا هو معنى البدل ، فأمَّا قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) فقد قال الطبري في تفسيره : ((والخليفة الفعلية من قولك : خلف فلان فلانًا في هذا الأمر إذا قام مقامه فيه بعده ، كما قال تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ){يونس : ١٤} يعني بذلك : أنَّه أبدلكم في الأرض منهم فجعلكم خلفاء بعدهم ، ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم خليفة ؛ لأنَّه خلف الذي كان قبله ، فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خلفًا٠٠٠فإن قال قائل : فما الذي كان

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ٢٦٣/٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠١/٨ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٨١/٣

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري ٧٨/٢٦-٧٩ وزاد المسير ١٩٧/٧-١٩٨

(٣) ينظر : جامع البيان ٣٠٣/١٥ وزاد المسير ١١٣/٥

في الأرض قبل بني آدم لها عامرًا ، فكان بنو آدم بدلًا منه وفيها منه خلفًا ؟ قيل : قد اختلف أهل التأويل في ذلك٠٠٠عن ابن عباس : قال : أول من سكن الأرض الجنَ ، فأفسدوا فيها ، وقتل بعضهم بعضًا ، قال : فبعث الله إبليس في جند من الملائكة ، فقتلهم إبليس ومن معه ، حتى ألحقهم بجزائر البحور ، وأطراف الجبال ، ثمَّ خلق آدم فأسكنه إيّاها ، فلذلك قال : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) فعلى هذا القول (يكون المعنى) إنِّي جاعل في الأرض خليفة من الجنِّ يخلفونهم فيها ، فيسكنونها ويعمرونها٠٠٠وقال آخرون في تأويل قوله (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) أي : خلفًا يخلف بعضهم بعضًا ، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ، ويخلف كلٌّ قرن منهم القرن الذي سلف قبله)) [1]

استعمل الطبري مع مصطلح الخلافة مصطلح البدل ، ذلك أنَّ البدل يعني التغيير مطلقًا ، فيشمل معنى الخلافة ؛ لأنَّ فيها أيضًا تبديلًا ، وهو تبديل الخلف بالسلف ، لكنَّ هذا التبديل يُسمَّى خلافة لا بدلاً ، لذلك غلَّب استعمال مصطلح الخلافة وكرَّره وأكثر من استعماله ، ولم يستعمل مصطلح البدل إلّا مرة واحدة ؛ لأنَّ الخلافة هو المعنى المراد ، وبهذا المعنى جاء تفسيره عند الطبري ، وعند غيره كابن الجوزي الذي قال في تفسير قوله تعالى : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) : ((والخليفة هو القائم مقام غيره ، يقال : هذا خلف فلان وخليفته ، قال ابن الأنباري : والأصل في الخليفة خليف بغير هاء ، فدخلت الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف ، كما قالوا : علاَّمة ونسَّابة وراوية ، وفي معنى خلافة آدم قولان :

أحدهما : أنَّه خليفة عن الله في إقامة شرعه ، ودلائل توحيده ، والحكم في خلقه ، وهذا قول ابن مسعود ومجاهد .

---

(١) جامع البيان ٢٢٨/١-٢٢٩

والثاني : أنَّه خلف من سلف في الأرض قبله ، وهذا قول ابن عباس والحسن)) [1]

فالخليفة غير البدل في اللغة والتفسير ، فجعل الأول بمعنى الثاني تحريف لدلالته لغة وتفسيرًا

وجعل الحيري الخليفة في الوجه الثاني بمعنى : الذي يخلف ، في قوله تعالى : (يَا دَاوودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) والذي يخلف هو الخليفة بعينه ، وهذا يعني أنَّه أبقى الخليفة على بابه ومعناه ، وجعله الدامغاني بمعنى النبي ، وبين الخلافة والنبوة فرق لغوي ظاهر ، ولم أجد في كتب اللغة من ذكر أنَّ الخلافة قد تجيء بمعنى النبوة ، وهذا الوجه من حيث التفسير لا معنى له ؛ لأنَّ جعل الآية بتقدير : يا داود إنَّا جعلناك نبيًّا ، يقتضي أنَّه لم يكن نبيًّا قبل توجيه هذا الخطاب إليه ، وهذا خلاف الواقع ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير بدءًا بتفسير مقاتل (ت : ١٥٠هـ) وانتهاء بتفسير ابن عاشور (ت : ١٩٥٠م) من ذكر هذا الوجه ، قال الطبري : ((وقوله تعالى : (يَا دَاوودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : وقلنا لداود : يا داود إنَّا استخلفناك في الأرض مِن بعد مَن كان قبلك مِن رسلنا حكمًا بين أهلها)) [2] وقال الزجاج : ((وبهذا جاز أن يقال للخلفاء : خلفاء الله في الأرض))[3] وقال الزمخشري : ((أي : استخلفناك على الملك في الأرض ، كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ، ومنه قولهم : خلفاء الله في أرضه وجعلناك خليفة ممن كان قبلك من

---

(١) زاد المسير ٥٢/١

(٢) جامع البيان ١٧٨/٢٣ وينظر : الوسيط للواحدي ٥٤٩/٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٥٠٢/٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٣/١٥

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٧/٤

الأنبياء القائمين بالحق ، وفيه دليل على أنَّ حاله بعد التوبة بقيتْ على ما كانت عليه لم تتغيَّر))[1] أي : إمَّا أن يكون المعنى يا داود إنَّا ((استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها ، أو جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق٠٠٠والأول أظهر ، والمِنَّة به أعظم ، فهو عليه السلام خليفة الله تعالى))[2] وهو خلافة تشريف ، وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (يَا دَاوُدُ) المعنى : وقلنا له : يا داود (إِنَّا جَعَلْنَاكَ) أي : صيَّرناك (خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) أي : تدبر أمر العباد من قبلنا ، فكأنَّك خليفة عنَّا))[3] وقال ابن كثير : ((قال ابن أبي حاتم٠٠٠حدثني إبراهيم أبو زرعة ، وكان قد قرأ الكتاب أنَّ الوليد بن عبد الملك قال له : أيحاسَب الخليفة ، فإنَّك قد قرأتَ الكتاب وفقهتَ ؟ فقلتُ يا أمير المؤمنين ، أقول ؟ قال : قل في أمان الله ، قلتُ : يا أمير المؤمنين ، أنتَ أكرم على الله أم داود عليه السلام ؟ إنَّ الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ، ثمَّ توعَّده في كتابه فقال : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ){ص : ٢٦}))[4]

فبين الخليفة والنبي فرق ظاهر في اللغة والتفسير ، فجعل الأول بمعنى الثاني تحريف ظاهر لغة وتفسيرًا ، ثمَّ تأمَّل بُعْدَ الوجه الذي قال به الدامغاني عن المعنى المراد من النصِ القرآني ، وسياقه ، وتفسيره

---

(١) الكشاف ٨٦/٤ وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٥٠٢/٤ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٨/٥ وفتح القدير للشوكاني ٥٣٦/٤

(٢) روح المعاني للآلوسي ١٧٨/١٢

(٣) زاد المسير ٢٠/٤

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤٦/٧

وجعلا الخلافة في الوجه الثالث بمعنى السكن في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ) قال الطبري : ((يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمّته : والله (الَّذِي جَعَلَكُمْ) أيها الناس (خَلاَئِفَ الأَرْضِ) بأن أهلك مَن كان قبلكم من القرون والأمم الخالية ، واستخلفكم ، فجعلكم خلائف منهم في الأرض ، تخلفونهم فيها٠٠٠عن السُّدِّي (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ) قال : أمَّا خلائف الأرض : فأهلك القرون ، واستخلفنا فيها بعدهم))[١] وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ) وللمفسرين فيمن خلفوا ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّهم خلفوا الجنّ الذين كانوا سكان الأرض ، قاله ابن عباس

والثاني : أنَّ بعضهم يخلف بعضًا ، قاله ابن قتيبة[٢] .

والثالث : أنَّ أمَّة محمد خلَفتْ سائر الأمم ، ذكره الزجاج[٣]))[٤]

فأين الوجه الذي قال به الحيري والدامغاني من معنى الآية وتفسيرها؟ !

وجعل الدامغاني الخلافة بمعنى السكن في قوله تعالى : (قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) والمراد من الخلافة الخلافة بعينها ، وهذا هو الظاهر من ظاهر الآية ؛ لأنَّ استخلاف قوم يكون بعد هلاك مَن قبلهم ، قال الطبري : (((وَيَسْتَخْلِفَكُمْ) يقول : يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم))[٥] تخلفونهم في أرضهم ، أي : أرض مصر[١] وهو

---

(١) جامع البيان ١٣٥/٨

(٢) ينظر : تفسير غريب القرآن ص ١٦٤

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٣/٢

(٤) زاد المسير ١٢٤/٣-١٢٥

(٥) جامع البيان ٣٦/٩

قول ابن عباس[٢] وقال القرطبي في شرح هذه الآية : ((جدد لهم الوعد وحققه ، وقد استخلفوا في مصر في زمن داود وسليمان عليهما السلام ، وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون ، وروي أنَّهم قالوا ذلك حين خرج بهم موسى وتبعهم فرعون ، فكان وراءهم ، والبحر أمامهم))[٣] فالظاهر أنَّهم في البدء ورثوا أرض فرعون ، ثم بعد ذلك سكنوا الشام ، ولو أراد معنى السكن لاستعمل لفظه ، كما جاء هذا في قوله تعالى : (وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا)[الإسراء : ١٠٤} قال الطبري : (((اسْكُنُواْ الأَرْضَ) أي : أرض الشام))[٤] وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (اسْكُنُواْ الأَرْضَ) وفيها ثلاثة أقوال ، أحدها : فلسطين والأردن ، قاله ابن عباس ، والثاني : أرض ما وراء الصين ، والثالث : أرض مصر والشام))[٥]

فالقرآن الكريم استعمل لفظ الخلافة في سورة الأعراف ؛ لأنَّ المراد من الأرض أرض فرعون ، فوعد بني إسرائيل باستخلافها بعد هلاكه ، ولم يستعمل اللفظ نفسه في سورة الإسراء ؛ لأنَّ المراد من الأرض غير أرض مصر ، بل أرض الشام ، وهي ليست أرض فرعون ليأمرهم باستخلافها ؛ لذلك أمرهم بأن يسكنوا فيها

فالخليفة يعني الخليفة بعينه في كل شاهد من شواهد الأوجه المذكورة ، وجعله بمعاني هذه الأوجه تحريف لدلالته

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز ٢٤٢/٢

(٢) ينظر : ينظر : زاد المسير ١٨٩/٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٨٠/٧

(٤) جامع البيان ٢٠٣/١٥ وينظر : المحرر الوجيز ٤٩٠/٣

(٥) زاد المسير ٦٩/٥-٧٠

٢٦-**الدبر والأدبار** : ذكر الحيري والدامغاني للدابر والدبر والأدبار في القرآن الكريم سبعة أوجه :

الأول : الغابر أو الآخِر ، كقوله تعالى : (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[الأنعام : ٤٥] وقوله تعالى : (وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ)[الأعراف : ٧٢] وقوله تعالى : (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ)[الحجر : ٦٦]

الثاني : الظهر ، أو الظهور كقوله تعالى : (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ)[الأنفال : ١٦]

الثالث : المنهزمون ، كقوله تعالى : (وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ)[آل عمران : ١١١]

وأدخل الدامغاني الشاهدين في هذا الوجه والذي قبله ضمن وجه واحد ، هو الظهور ، وأضاف إليهما شاهدًا ثالثًا هو قوله تعالى : (وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ)[يوسف : ٢٧]

الرابع : الخلف ، كقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُود)[ق : ٤٠] يعني : خلف صلاة المغرب ، ركعتي السنة ، وقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ)[الطور : ٤٩] وهو وقت الصبح ، وأراد به ركعتي الفجر ، وجعل الدامغاني هذا الوجه بمعنى : عقب شيء ، وقال في الشاهد الأول : ((يعني : خَلْف السجود ، بعد صلاة المغرب))

الخامس : أدبر بمعنى ذهب ، كقوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ)[المدثر : ٣٣]

السادس : الأدبار يعني أديان آبائهم السابقة ، كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم)[محمد : ٢٥] يعني دين آبائهم ، وهي اليهودية ، وقوله تعالى : (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا)[الإسراء : ٤٦] يعني : رجعوا إلى أصنامهم وعكفوا على عبادتها

السابع : التدبُّر ، يعني التفكُّر كقوله تعالى : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا){النساء : ٨٢} [١]

قال الخليل : ((دُبُرُ كلِّ شيء خِلاف قُبُله ما خلا قولهم جعل فلان قولي دَبْرُ أُذنه ودُبُرَ أذنه ، ويقال للقوم في الحرب : ولُّوهم الدُبُرَ والإدبار ، والإدبار : التولية نفسها ، وأدبار السجود ، أي : أواخر الصلوات ، وإدبار النجوم عند الصبح في آخر الليل إذا أدبرت مولِّية نحو المغرب ، والدابر : التابع ، ودَبَرَ يَدْبُرُ دَبْرًا ، أي : تبع الأثر ، وقوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذا أَدْبَرَ){ق : ٤٠} أي : ولَّى ليذهب ، ومن قرأ دَبَرَ [٢] أي : تبع النهار ٠٠٠والتدبير : نَظَرٌ في عواقب الأمور ، وفلان يتدبَّر أعجاز أمور قد ولَّت صدورها ، واستدبر من أمره ما لم يكن استقبل ، أي : نظر فيه مستدبرًا فعرف عاقبة ما لم يعرف من صدره)) [٣]

والصحيح : (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ){المدثر : ٣٣} لأنَّها (وَاللَّيْلِ إِذا دَبَرَ){المدثر : ٣٣} قراءتان متواترتان ، أمَّا (وَاللَّيْلِ إِذا أَدْبَرَ) فهو على الأكثر من تصحيف الناشر ؛ لأنَّها قراءة شاذة ، كما أنَّ هذا الآية في سورة المدثر لا في سورة ق

وثمة فرق بين دَبَرَ وأدبَرَ لم ينتبه عليه المحققون ، هو استعمال أدبَرَ فعلًا لازمًا ، واستعمال دَبَرَ تارة فعلًا لازمًا ، وتارة فعلًا متعديًا ، فعند استعماله لازمًا يتحد مع أدْبَرَ في الدلالة ؛ لذلك يقال : دَبَرَ الليلُ وأدْبَرَ : إذا تولَّى ، وعند استعماله متعديًا يكون بمعنى : تبع ؛ لذلك قال الخليل كما تقدم ((وقوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذا أَدْبَرَ){المدثر : ٣٣} أي : ولَّى ليذهب ، ومن قرأ

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢١٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢١١

(٢) يعني في القراءة الثانية : (وَاللَّيْلِ إِذا دَبَرَ)

(٣) العين ص ٢٧٩-٢٨٠

دَبَرَ ، أي : تبع النهار)) من أجل هذا التداخل بين دلالة القراءتين فإنَّ عدم ضبطهما نصًّا وحركةً يربك الباحث ، وقد فات على المحققين ضبطهما لما ذكرتُه سأشير إليه في موضعه .

وقال ابن فارس : ((فمعظم الباب أنَّ الدُّبُر خلاف القُبُل٠٠٠ودَبَرَ النهارُ وأدبَرَ ، وذلك إذا جاء آخرُه ، وهو دُبُرُهُ ، ودَبَرْتُ الحديثَ عن فلان : إذا حدَّثْتُ به عنه ، وهو من الباب ؛ لأنَّ الآخِر المحدِّث يَدبُرُ الأوَّلَ ، يجيء خلفه٠٠٠والدابر : التابع ، يقال : دَبَرَ دُبورًا ، وعلى ذلك يفسَّر قوله تعالى (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ){المدثر : ٣٣} يقول تبع النهارَ))[١] وفي هذه القراءة (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) المثبتة في مقاييس اللغة تصحيف ، والصحيح إثبات القراءة الأخرى (وَاللَّيْلِ إِذا دَبَرَ) .

وقال ابن سيده ((ودبَرَه يَدْبُرُه دُبورًا : تبعه من ورائه٠٠٠ودابرة الإنسان : عُرْقوبُه٠٠٠ودَبَرَهُ يَدْبِرُه ويَدْبُرُه : تلا دُبُرَهُ ، وجاء يدبرهم : أي : يتبعهم))[٢] وقال الراغب : ((ودُبُرُ الشيء خِلاف القُبُل ، وكنى بهما عن العضوين المخصوصين ، ويقال : دُبْرٌ ودُبُرٌ ، وجمعه أدبار٠٠٠وقرئ (وَأَدْبَارَ النُّجُومِ)[٣] (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ){الطور : ٤٩} فـ(إدبار) مصدر مجعول ظرفًا نحو مَقْدَمَ الحاجِّ وخُفوقَ النجمِ ، ومن قرأ أدبار فجمْعٌ ، ويشتق منه تارة باعتبار دَبَرَ الفاعل ، وتارة باعتبار دَبَرَ المفعول ، فمن الأول قولهم : دَبَرَ فلان ، وأمس الدابر ، وباعتبار المفعول قولهم : دَبَرَ السهمُ الهدفَ : سقط خلفه ، ودَبَرَ فلانٌ القومَ : صار خلفهم٠٠٠والدابر يقال للمتأخِّر وللتابع ، إمَّا باعتبار المكان ، أو باعتبار الزمان ، أو باعتبار المرتبة٠٠٠والتدبير :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٠٨

(٢) المحكم ٤/٣١٠-٣١١

(٣) (وَأَدْبَارَ النُّجُومِ) بالفتح قراءة شاذة

التفكير في دُبُر الأمور ، قال تعالى : (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا){النازعات : ٥} يعني ملائكة موكلة بتدبير أمور))[١] ((وأدبرَ : أعرض وولَّى دُبُرَه)) [٢] ((وفي حديث عمر رضي الله عنه : كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يَدبرَنا ، أي : يخلفنا بعد موتنا ، يقال : دبرتُ الرجلَ : إذا بقيت بعده))[٣] ((وفي صفة الغيث : أرض مقبلة ، وأرض مدبرة)) [٤] ((وفي حديث الحج : لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما سقْتُ الهدْي))[٥]((والدَّبَرَان (محركة) نجم٠٠٠سُمِّيَ دَبَرَانًا ؛ لأنَّه يَدْبُرُ الثريا ، أي : يتبعه)) [٦]

الدابر والآخِر : الأوجه المذكورة مختلقة بطريقة الترادف ، فقد جعل الحيري والدامغاني الدابر في الوجه الأول بمعنى الآخِر أو الغابر ، في قوله تعالى : (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، والآخِر والغابر غير الدابر ، وإن كانا مرادفين له قريبين من معناه ، والدليل على ذلك أنَّ أهل اللغة فرَّقوا بينها في التعريف ، فقد قالوا في الدابر ما تقدَّم ذكره ، وقالوا في الآخِر : ((والآخِرُ والآخِرة نقيض المتقدِّم والمتقدِّمة٠٠٠والآخِر : الغائب))[٧]((والآخِر : تالٍ للأول))[١] ((والآخِر : هو الباقي ، والآخِر :

---

(١) المفردات ص ١٧١-١٧٢ وينظر : عمدة الحفاظ ٣/٢-٤ وبصائر ذوي التمييز ٥٨٦/٢-٥٨٧

(٢) عمدة الحفاظ ٤/٢

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٥١/١ والحديث أخرجه البخاري

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤١٠/٢

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤١٢/٢ والحديث أخرجه البخاري

(٦) تاج العروس ١٤١/١١

(٧) العين للخليل ص ٢٠

خلاف الأول ، ونقيض المتقدِّم))[٢] ((وآخِر يُقابَل به الأوَّل ، وآخَر يقابَل به الواحد))[٣] والدليل الثاني على أنَّ الآخِر غير الدابر عدم صحة وقوع الثاني موقع الأول ، ويؤدي معناه في تراكيب كثيرة ، فلا يصح مثلًا أن يقع الدابر موقع الآخر في قوله تعالى : (هُوَ الأوَّلُ وَالأخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){الحديد : ٣} لأنَّ الآخِر هنا هو الله سبحانه ، وكذلك قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ){البقرة : ٨} فالمقصود باليوم الآخِر هنا يوم القيامة ، أو الدار الآخرة ، ولو قيل : وباليوم الدابر ، لتغيَّر المعنى رأسًا على عقب ؛ لأنَّ اليوم الدابر ينطبق على الدنيا لا على الآخرة ، وكذلك لا يصح أن تحلَّ الدابرة محل الآخِرة في نحو قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ){البقرة : ٨٦}

وقالوا في الغابر : ((غَبَرَ : إذا بقي ، قال الله تعالى : (إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ){العنكبوت : ٣٣}))[٤] ((والغابر : الماكث بعد مضيّ ما هو معه قال تعالى : (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ {١٧٠} إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ){الشعراء : ١٧٠-١٧١} يعني : فيمن بقي ولم يسر مع لوط))[٥]

والدابر كما تقدم تعريفه التابع الذي يتبع من قبله ويخلفة في سيرته وعمله ، فالقرآن الكريم استعمل لفظ الدابر في قوله تعالى : (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٠

(٢) لسان العرب ٦٥/١

(٣) المفردات للراغب ص ١٧

(٤) مقاييس اللغة ص ٧٠٤

(٥) المفردات ص ٣٧١

الَّذِينَ ظَلَمُواْ) ونحوه ؛ لأنَّ المراد قطع دابر الذين تبعوا مَن قبلهم ، وخلفوهم في الظلم ، فالدابر يعني التالي والتابع ، وتتمة مَن خلفه في فعله ، وليس كذلك الآخِر ، والغابر ، فجعلُ الدابر بمعنى الآخِر أو الغابر تحريف لدلالته في اللغة والتفسير

الدبر والظهر : وجَعَلا الدبر في الوجه الثاني بمعنى الظهر ، في قوله تعالى : (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) والظهر كالآخِر غير الدبر ، وإن كان مردافًا له قريبًا من معناه ، والدليل على ذلك أيضًا أنَّ أهل اللغة فرَّقوا بينهما في التعريف ، فقد قالوا في الدُبُر ما تقدم ، بأنَّه خلاف القُبُل ، وقالوا ((والظهر من كلِّ شيء خلاف البطن٠٠٠وقلَّب الأمرَ ظهرًا لبطن ، ويقال : ضُرِب زيدٌ الظهرَ والبطنَ٠٠٠ويقال : بصير الظهر والبطن ، قال بعضهم : الظهر لفظ القرآن ، والبطن تأويله٠٠٠والظاهر خلاف الباطن٠٠٠وفي التنزيل العزيز : (هُوَ الأوَّلُ وَالأخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){الحديد : ٣}))[1]

فالقرآن الكريم استعمل الدبر من دون الظهر في قوله تعالى : (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) لأنَّه أراد أن يكون خلاف القبل ، لا خلاف البطن ، وبهذا المعنى جاء في كلام العرب ، فقد ورد قولهم : مُقبِل غير مُدْبِر ، ولم يرد : مقبل غير مُظْهِر ، وقولهم : أقبل الراكب وأدبر ، وقرنوا : أقبَلَ وقَبَلَ بِـ : دَبَرَ وأَدبَر ، وقولهم : قبَّح الله ما قَبَلَ منه وما دَبَرَ [2] ((وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أرأيتَ إن قُتِلتُ في سبيل الله مُقبلاً غير مُدبِر ، أيكفِّر الله عني سيئاتي ؟ قال : نعم ، ثم سكت ساعة ، قال : أين السائل آنفًا ؟ فقال الرجل فها أنا ذا ، قال : ما قلتَ ؟ قال : أرأيتَ

---

(١) لسان العرب ١٩٨/٩-٢٠٠

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء ٩٨/٣ ومعاني القرآن للأخفش ص ٣٠٠

إن قُتِلتُ في سبيل الله مُقبِلاً غير مُدبِر ، أيكفِّر الله عني سيئاتي ؟ قال : نعم إلّا الدين سارَّني به جبريل آنفاً . للنسائي))[1] فالمراد من الدبر في قوله تعالى : (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) الدبر بعينها ، وجعلها بمعنى الظهر تحريف لدلالتها في اللغة والتفسير

وجعَلَ الحيري الأدبار في الوجه الثالث بمعنى المنهزمين ، في قوله تعالى : (وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ) وهو كشاهد الوجه السابق معنى وتركيبًا وتفسيرًا ، قال الطبري في تفسير شاهد هذا الوجه ، الوجه الثالث ، آية آل عمران : ((قوله تعالى : (وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ) يعني بذلك : وإن يقاتلكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يُهزَموا عنكم فيولوكم أدبارهم انهزاما ، فقوله تعالى : (يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ) كناية عن انهزامهم ؛ لأنَّ المنهزم يحوِّل ظهره إلى جهة الطالب هربًا إلى ملجأ ، وموئل يئل إليه منه ، خوفًا على نفسه ، والطالب في أثره ، فدبر المطلوب حينئذ محاذي وجه الطالب الهازمة))[2]

وقال في تفسير شاهد الوجه السابق الوجه الثاني ، آية الأنفال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ {١٥} وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ){الأنفال : ١٥-١٦} ((يقول : فلا تولّوهم ظهوركم فتهزموا عنهم ، ولكن اثبتوا لهم فإنَّ الله معكم عليهم (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) يقول : ومن يولّهم منكم ظهره٠٠٠واختلف أهل العلم في حكم قوله تعالى (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) هل هو خاص في أهل بدر ، أم هو في

---

(١) جمع الفوائد من جامع الأُصول ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ٨/٢ رقم الحديث ٦١٢٠

(٢) جامع البيان ٦٢/٤

المؤمنين جميعًا ، فقال قوم : هو لأهل بدر خاصة٠٠٠وقال آخرون : بل هذه الآية حكمها عام في كلِّ من ولى الدبر عن العدوِّ منهزمًا))[١]

وقال الواحدي في آية آل عمران : (((وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ) أي : ينهزمون فيجعلون مآخيرهم مما يليكم))[٢] وقال في آية الأنفال : ((قال الزجاج : إذا وافقتموهم للقتال فلا تنهزموا وهو قوله تعالى : (فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ) أي : لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) يرى أنَّه منهزم)) [٣]

وقال البيضاوي في آية آل عمران : (((وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ) ينهزموا))[٤] وقال في آية الأنفال (((فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ) بالانهزام٠٠٠أي : إذا لقيتموهم متزاحفين ، يدبّون إليكم . وتدبّون إليهم فلا تنهزموا))[٥]

فشاهد الوجه الثالث كشاهد الوجه الثاني ، تركيبهما وسياقهما واحد ، ومعناهما واحد ، والكناية في كليهما واحدة ، وتفسيرهما واحد ، فإذا صحَّ أن يكون الدبر في شاهد الوجه الثاني (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) بمعنى الظهر وبتقدير : ومن يولّهم يومئذ ظهره ، صحَّ أن يكون في شاهد الوجه الثالث (وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ) بهذا المعنى نفسه وبتقدير : وإن يقاتلوكم يولّوكم الظهور، وإذا صحَّ أن يكون بمعنى المنهزمين في شاهد الوجه الثالث وبتقدير : وإن يقاتلوكم يولّوكم منهزمين ، صحَّ أن يكون بهذا المعنى نفسه في شاهد الوجه الثاني وبتقدير : ومن يولّهم يومئذ منهزمًا ، فكتب الوجوه هذه

---

(١) جامع البيان ٢٣٦/٩-٢٣٩

(٢) الوسيط ٤٨٠/١

(٣) الوسيط ٤٤٨/٢ وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٨/٢

(٤) أنوار التنزيل ٣٣/٢

(٥) أنوار التنزيل ٥٣/٣

، أتراها كما ادعى الزركشي ومحققوها كتب لغة خدمتْ كتاب الله ، أم أنَّها كتب لهو ولَعِب عبثتْ بكتاب الله ؟!

وأدخل الدامغاني الشاهدين في هذا الوجه والذي قبله ضمن وجه واحد ، هو الظهور ، وأضاف إليهما شاهدًا ثالثًا : (وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ)(يوسف : ٢٧} وهذا الشاهد هو ضمن قوله تعالى : (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٢٥} قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ {٢٦} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ)(يوسف : ٢٥-٢٧} فسياق الآية واضح في أنَّه أراد من الدبر الذي هو خلاف القبل ، لا الظهر الذي هو خلاف البطن ؛ لذلك قال : (قُدَّ مِن دُبُرٍ) وقال : (قُدَّ مِن قُبُلٍ)

الأدبار والإدبار والخلف : وجعَلَ الحيري الأدبار ، والإدبار في الوجه الرابع بمعنى خَلْفَ ، في قوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُود) وجعله بتقدير : ((خَلْفَ صلاة المغرب)) وقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) وجعل الدامغاني هذا الوجه بمعنى : عقب شيء ، والعَقِب : مؤخَّر القدم ، وجاء في الحديث نهي المصلي أن يضع أَلْيَتيه على عَقِبيه ، وجئتك في عَقِب الشهر بفتح العين وكسر الباء ، أو سكونها ، أي : لأيام بقيتْ منه عشرة أو أقل ، وجئتك عقب رمضان ، أي : آخره ، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنَّه سافر في عقب رمضان ، أي : في آخره ، وقد بقيت منه بقية ، وفي المزهر : في عقب ذي الحجة ، يقال بالفتح والكسر لما قَرُب من التكملة ، وبضم فسكون لما بعدها[1] وقد تقدم تعريف الدبر ، تقول : أدبر القوم : إذا ولىَّ أمرهم فلم يبق منه بقية ، ودَبَرَ بعد

(١) ينظر : لسان العرب ٢١٤/١٠ وتاج العروس ٢٤٧/٣-٢٤٩

إقبال ، ودَبَرَت له الريح بعدما قَبَلَت[1] فالقرآن الكريم استعمل الإدبار ؛ لأنَّه ما أراد آخر الصلاة بل انقضاءها وتولِّيها ، فأمرنا سبحانه أن نسبحه بعيد الفراغ منها ، لا قبيله ، وهذا المعنى يتعيَّن باستعمال الإدبار والأدبار لا باستعمال العقب والأعقاب ، والدامغاني مع أنَّه جعل هذا الوجه بمعنى عقب ، وجعل من شواهده قوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُود) قال في هذا الشاهد : ((يعني : خَلْف السجود ، بعد صلاة المغرب)) وهذا خلط بين معنى الوجه ، ومعنى شاهده ، ووافق الحيري في معناه وتقديره .

((قال أبو العباس (ثعلب) في قوله عز وجل : (وَأَدْبَارَ السُّجُود) قال : اختار الكسائي في السجود فتح الألف ، على الجمع ؛ لأن لكل سجدة دُبْرًا ، والنجوم لها دُبْرٌ واحد في السحر، فتقول (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) (وَأَدْبَارَ السُّجُود))) [2] وهذا ما قال به بعض أهل اللغة والتفسير ، فقد قال الواحدي : (((وَإِدْبَارَ السُّجُود) بكسر الهمزة ، مصدر أدبَر الشيءُ إدبارًا : إذا ولَّى ، ومن فتح الهمزة ، جعله جمع دُبُر بمعنى خَلْفَ)) [3] وقال ابن سيده : ((وأدبارُ السجود وإدباره : أواخر الصلوات ، وقد قرئ (وَأَدْبَارَ) (وَإِدْبَارَ) فمن قرأ (وَأَدْبَارَ) فمن باب خَلْفَ ووراءَ ، ومن قرأ (وَإِدْبَارَ) فمن باب : خفوق النجم ، قال ثعلب٠٠٠)) [4]

ذكرتُ غير مرة أنّ غرض أهل اللغة ، وأهل التفسير من تعريفهم للفظ وتفسيره إيضاحه وفهم معناه ، لا على أنَّ اللفظ المعرِّف والمفسِّر ، يعني المعرَّف والمفسَّر بعينه ، بخلاف أهل الوجوه ، وإلّا فكيف يصح أن

---

(١) ينظر : تاج العروس ١٤٥/١١

(٢) مجالس ثعلب ٨٣/١ وينظر : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣١٠/٩

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١٧١/٤

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ٣١٠/٩

نجعل الأدبار بمعنى خَلَف ووراء ؟! لأنَّ كلًّا من الإدبار ، والأدبار في الآيتين يدلَّ هنا على الزمان ، وقد أجمع النحاة على أنَّ خَلْفَ : من ظروف المكان المبهمة ، ولم يرد للزمان ، وهو من أسماء الجهات الست ، وهي : فوق ، وتحت ، ويمين ، وشمال ، وأمام أو قُدَّام ، وخلف أو وراء ، وظرف المكان المبهم ما لم يكن له أقطار تحصره ، ونهايات تحيط به ، نحو : جلستُ خلفك ، والمختص ما كان له حدٌّ ونهاية نحو : الدار ، والمسجد ، والجامع ، والسوق[١]

قال القرطبي : ((قرأ نافع وابن كثير وحمزة (وَإِدْبَارَ السُّجُود) بكسر الهمزة على المصدر من أدبر الشيءُ إدبارًا : إذا ولىَّ ، وقرأ الباقون : (وَأَدْبَارَ السُّجُود) بفتحها جمع دُبُر ، وهي قراءة علي وابن عباس ، ومثالها طُنُبٌ وأطناب ، أو دُبْر ، كقُفْل وأقفال ، وقد استعملوه ظرفًا ، نحو : جئتك في دبر الصلاة ، وفي أدبار الصلاة ، ولا خلاف في آخر الطور (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) أنَّه بالكسر مصدر ، وهو ذهاب ضوئها إذا طلع الفجر الثاني))[٢] والمعنى : فسبحه ((وقت إدبارها من آخر الليل ، وقيل صلاة الفجر))[٣] (وَإِدْبَارَ السُّجُود) (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) بالكسر ، (وَأَدْبَارَ السُّجُود) بالفتح ، وهو جمع دُبُر ، كلاهما يدل على الزمان ، ومنصوب على الظرفية الزمانية ،

---

(١) ينظر : المقتصد في شرح رسالة الإيضاح ، لعبد القاهر الجرجاني ٥٧٣/١ وشرح اللمع في النحو ، لأبي الحسن الباقولي ص ١٩٨ وشرح المفصل لابن يعيش ٤٢٦/١ وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام ص ٢١٥ والمحرر في النحو للهرمي ٨٢٤/٢ والمنهل الصافي في شرح الوافي للدماميني ١٦٧/٢ وفرائد النحو الوسيمة شرح الدرَّة اليتيمة ص ٢٥٢ وشرح المكّودي على الآجرومية ص ٤٤٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٥/١٧-٢٦

(٣) فتح القدير ١٢٧/٥

وهو كقولهم : جئتُ مَقْدَمَ الحاج ، أي : وقت مقدم الحاج ، وآتيك خفوق النجم ، وصلاة الفجر ، أي : آتيك وقت خفوق النجم ، ووقت صلاة الفجر ، وسافرتُ طلوع الشمس ، أي : سافرتُ وقت طلوع الشمس ، وكلُّ هذا على حذف وقت ، أي : وقت ذلك ، وحذف المضاف في هذا الباب هو المستعمل في أكثر الكلام ؛ لأنَّه يقولون : جئتك دُبُرَ الشهر ، وفي دُبُرِه ، وجئتك دُبُرَ الصلاة ، أي : عَقِبَ الصلاة ، والجمع أدبار ، ويقال : جئتك أدبار الشهر ، وفي أدباره ، وجئتك أدبار الصلاة ، وفي أدبارها ، أي : في أعقابها ، ونحو هذه الأسماء والمصادر تجعل ظروفًا ، على تقدير إضافة أسماء الزمان إليها ، ويحذف اتساعًا في الغالب ، فقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُود) تقديره : ومن الليل فسبحه ووقت أدبار السجود ، وقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) تقديره : ومن الليل فسبحه ووقت إدبار النجوم ، وفي هاتين الآيتين أمر من الله جل ذكره أن نسبحه بعد الفراغ من الصلاة [1]

فكيف تسنَّى للحيري ، والدامغاني جعل ظرف الزمان بتقدير ظرف المكان ؟! وكيف يصح تقديرهما : ((خَلْفَ صلاة المغرب)) ((وخلف السجود)) ؟! لأنَّ صلاة المغرب والسجود علاقتها بالزمان لا بالمكان ؛ فمن غير المفيد ، بل من الغلط النحوي أن تقول : أزورك خلف صلاة المغرب ،

---

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس ص ١٠٢٦ وص ١٠٤٨ومعاني القراءات لأبي منصور الأزهري ص ٤٦١ والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٣٦٨/٤ ، ٤٨٤ ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ٣٢٩/٢ والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها للقيسي ٢٨٥/٢-٢٨٦ والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ٤١٧/٢ ، ٤٢٤ وشرح المفصل لابن يعيش ٤٣٠/١ وشرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي ٢٤/٢ وفتح القدير للشوكاني ٩٩/٥

أو خلْفَ السجود ، والصحيح أن تقول : أزورك بعد صلاة المغرب ، أو بعد السجود

وفضلًا عن هذا الخطأ النحوي ، ما الداعي وما المسوغ إلى القول بالوجه الذي يقتضي جعل قوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُود) بتقدير : ومن الليل فسبحه وخَلْفَ السجود ، وجعْلَ قوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) بتقدير : ومن الليل فسبحه وخَلْفَ النجوم ؟! فأين كلام الله من هذين التقديرين ؟! لِمَ لا نبقي اللفظ القرآني على بابه ودلالته ، ونكتفي بشرحه وتفسيره كما هو الحال في كتب التفسير من دون إدخاله في باب الوجوه ؟!

والقرآن الكريم استعمل لفظ أدبار السجود ، وإدبار السجود ؛ لأنَّه أراد تسبيحه في أعقابها ، أي : أراد أن يعيَّن معنى تسبيحه بعد الفراغ من الصلاة مباشرة ، ولو استعمل ظرف زمان مبهم على شاكلة ظرف المكان المبهم (خَلْفَ) كـ(بَعْدَ) لم يتعيَّن هذا المعنى ، بل لامتدَّ وقت الأمر بالتسبيح حتى وقت الصلاة التي تليها .

فجعل الإدبار والأدبار بمعنى خَلْفَ تحريف للتركيب القرآني دلالة ولغة ونحوًا ، وتحويله من كلام بليغ إلى كلام ركيك لا تجده إلا في كلام العوام

وجعل كلاهما أدبر في الوجه الخامس بمعنى ذَهَبَ ، في قوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) ((قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو ، وأبو بكر عن عاصم ، والكسائي : إذا دَبَرَ ، بفتح الدال ، وقرأ الباقون : إِذْ أدبَرَ ، بقطع الألف وسكون الذال))[1] وذهب غير أدبر وإن كان مرادفًا له قريبًا

(١) معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ص ٥١٣ وينظر : الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٤٨٤/٤ والكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي ٢٤٧/٢

من معناه ، فيجب إبعاده عن باب الوجوه الذي يقتضي القول بمعنى الوجه على سبيل القطع والتعيين ، وإدخاله في باب التفسير الذي تتعدد فيه الأقوال ، والمرادفات التي يراد منها إيضاح المعنى لا تعيينه ، قال ابن الجوزي ((وهل معنى القراءتين واحد أم لا ؟ فيه قولان :

أحدهما : أنهما لغتان بمعنى واحد٠٠٠هذا قول الفراء ، والأخفش ، وثعلب .

والثاني : أنَّ (دَبَرَ) بمعنى خَلَفَ(بفتح الخاء واللام) وأدبَرَ بمعنى ولَّى يقال : دبرني فلان جاء خلفي ، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيدة وابن قتيبة)) [١]

قال الفراء : ((وقوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) قرأها ابن عباس : (وَاللَّيْلِ إذا دَبَرَ) ومجاهد وبعض أهل المدينة كذلك ، وقرأها كثير من الناس : (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ)٠٠٠ولا أراهما إلّا لغتين ، يقال : دَبَرَ النهارُ والشتاءُ والصيفُ وأدبر ، وكذلك قَبَلَ وأقبلَ ، فإذا قالوا : أقبل الراكب وأدبر ، لم يقولوه إلّا بألف ، وإنَّهما في المعنى عندي لواحد))[٢]

فالقول الأول جعل أدبَرَ ودبّرَ في القراءتين بمعنى واحد ، يقال : دَبَرَ وأدبّرَ : إذا تولَّى أو بمعنى : إذا تولىَّ ذاهبًا[٣]

---

(١) زاد المسير ١٥٢/٨

(٢) معاني القرآن ٩٨/٣

(٣) ينظر : معاني القرآن للأخفش ص ٣٠٠ وجامع البيان للطبري ١٩٣/٢٩ ومعاني القراءات لأبي منصور الأزهري ص ٥١٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٤٧/٢ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٦٢/٥ ومدارك التنزيل للنسفي ص ١٣٠٠ وفتح القدير للشوكاني ٤١١/٥ وروح المعاني للآلوسي ١٤٥/١٥ والتحرير والتنوير ٣٠٠/٢٩

وقال أبو عبيدة : (((وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) إذا أدبر النهار فكان في آخره يقال : دبرني : جاء خلفي ، وإذا أدبر : إذا ولَّى))[١] وفي هذا النص تصحيف يربك الباحث لم ينتبه عليه المحقق ، ولا بدَّ أن يكون في الأصل على النحو الآتي : (((وَاللَّيْلِ إذا دَبَرَ) إذا دَبَرَ النهارَ فكان في آخره يقال : دبرني : جاء خلفي ، وإذا أدبر : إذا ولَّى)) والدليل على ذلك قول الطبري : ((وقال بعض البصريين : (وَاللَّيْلِ إذا دَبَرَ) إذا دَبَرَ النهارَ فكان في آخره قال : يقال : دبرني : جاء خلفي ، وإذا أدبر : إذا ولَّى))[٢] ولا شكَّ أنَّ المقصود ببعض البصريين أبو عبيدة ، وقال ابن قتيبة : (((وَاللَّيْلِ إذا دَبَرَ) أي : جاء بعد النهار ، كما تقول : خَلَفَه ، يقال : دَبَرَني فلان وخَلَفَني : إذا جاء بعدي))[٣] وفي اللسان : (((وَاللَّيْلِ إِذا دَبَرَ){المدثر : ٣٣} أي : تبع النهارَ قبله))[٤]

والحقيقة واستنادًا إلى ما نبَّهتُ عليه أنَّه لا فرق بين دَبَرَ وأدْبَرَ في المعنى عند استعمال كلٍّ منهما فعلًا لازمًا ، نحو : دَبَرَ الليلُ وأدبر ، لكن الفرق بينهما يكون عند استعمال دَبَرَ من دون أدبَرَ فعلًا متعديًا ، وبتقدير : دَبَرَ الليلُ النهارَ ، فصار بهذا التعدي بمعنى : خَلَفَ النهارَ ، وجاء بعده ، ويكون أدْبَرَ بهذا المعنى أيضًا لو استعمل مثله متعديًا وبتقدير : أدبَرَ الليلُ النهارَ ، إلّا أنَّه كما رأيت اقتصرت كتب اللغة على ذكر أمثلة تعدي الفعل

---

(١) مجاز القرآن ص ٢٨١ وهذا هو النص كما هو مثبت في مجاز الفرآن لأبي عبيدة في هذه الصفحة ، بتحقيق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٦هـ=١٤٢٧م

(٢) جامع البيان ١٩٣/٢٩

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٧

(٤) لسان العرب ٢١٠/٥-٢١١

الثلاثي من دون الرباعي ، فقد ورد فيها مثلًا : الدابر بمعنى التابع ، ودَبَرَه يَدْبُرُه : تبع الأثرَ ، أو تلا دُبُرَهُ ، وجاء يَدْبُرُهُم : أي : يتبعهم ، وحتى يَدْبُرَنا ، أي : يخلفنا ، ودَبَرَ فلان القومَ ، أي : صار خلفهم ، ودَبَرَ السهمُ الهدفَ : سقط خلفه ، والدَّبَران نجم يَدْبُرُ الثريا ، فقد وردت هذه الأمثلة في دَبَرَ ، يَدبر (بفتح الياء) ولم يرد نحوها في أدْبَرَ يُدبر (بضم الياء) فلم يرد مثلًا : المُدْبِر بمعنى التابع ، أو أدبره يُدْبره ، أو جاء يُدْبرهم ، أو حتى يُدْبرَنا ، أو أدبر فلان القومَ ، أو أدبر السهمُ الهدفَ ، أو يُدْبُرُ الثريا ، فهذا هو سرُّ قول الفريق الثاني الذي ذهب إلى التفريق بينهما ، بجعل أدبَرَ بمعنى تولَّى ، وجعل دَبَرَ بمعنى خَلَفَ أو تبع .

فقد جعل الحيري والدامغاني أدبر في قوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) بمعنى ذهب ، وجعله أهل التفسير بمعنى تولَّى ، و(ذهب) و(تولَّى) ، لفظان مرادفان لـ(دَبَرَ) و(أدبر) وكلٌ منهما لا يمثل الدبر أو الإدبار بعينه ، بل المعنى القريب منه ، فهما من هذا الجانب كما جاز أن نجعل أدبر بمعنى ذهب ، جاز بالقدر نفسه أن نجعله بمعنى تولَى ، والأولى جعله بمعنى تولَّى ؛ لأنَّه يعدُّ أقرب المعاني إليه ، حتى إنَّه قُرِن به في اللغة وفي التعريف ، جاء في اللسان : ((وولَّى الشيءُ وتولَّى : أدبر ، وتولَّى عنه أعرض عنه ، وقوله :

إذا ما امرؤٌ ولَّى عليَّ بودِّه وأدبر لم يصدر بإدباره وُدِّي

والتولية تكون انصرافًا ، قال الله تعالى : (ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)[التوبة : ٢٥] وكذلك قوله تعالى : (يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ)[آل عمران ١١١]...وقد ولَّى الشيءُ وتولَّى : إذا ذهب هاربًا ومدبرًا))[1] ومع أنَّ تولىَّ يعدُّ أقرب المعاني إلى أدبر فإنَّه لا يعنيه بعينه ، بل يبقى الفرق الدلالي قائمًا بينهما ؛ لأنَّ اللفظ القرآني

---

(١) لسان العرب ١٥/٢٨٤-٢٨٥

لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فبين أدبر وهذه المعاني المرادفة فرق ظاهر ، وهو أنَّ ذهب الشيء ، وتولَّى ، ومضى ، وانقضى ، تعني بصفة عامَّة الابتعاد عن الشيء والإعراض والانصراف عنه ، أمَّا أدبر الشيءُ فيعني أنَّه ولاَّك دبره ، فيكون كناية عن انهزامه منك ، أو تولِّيه عنك ، فجعل أدبر بمعنى ذهب وقصره على هذا المعنى تحريف متعمد لدلالته .

وجعلَ الدامغاني الأدبار في الوجه السادس يعني أديان آبائهم السابقة ، في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم) قال الطبري : ((وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم) يقول الله عز وجلَّ : إنَّ الذين رجعوا القهقري على أعقابهم كفارًا بالله من بعد ما تبيَّن لهم الحق))[1]((أي : رجعوا كفارًا)) [2] فليس المراد إذن من إدبارهم دين آبائهم ، بل الرجوع والتولِّي إليه ، عن دين الله ، وهذا هو الإدبار بعينه

وجعله في هذا الوجه في قوله تعالى : (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) يعني : رجعوا إلى أصنامهم وعكفوا على عبادتها ، وهذا الرجوع هو الإدبار بعينه أيضًا ، بغضِّ النظر عمَّا رجعوا إليه ، ولم أجد في كتب التفسير هذا التقييد بأنَّه كان رجوعًا إلى أصنامهم والعكوف على عبادتها ؛ لأنَّهم هم على هذا الحال قبل أن يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ، ويدعو إلى توحيده ، وينهى عن الشرك به ، وإنَّما

---

(١) جامع البيان ٦٩/٢٦

(٢) زاد المسير ١٩٣/٧

المعنى كما جاء في كتب التفسير : وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده وَلَّوْاْ عَلَى أعقابهم نفورًا ، وهربًا من استماع التوحيد [١]

وجعل التدبر في الوجه السابع يعني التفكُّر في قوله تعالى : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) وقد تقدم أنَّ ((التدبير : نَظَرٌ في عواقب الأمور ، وفلان يتدبَّر أعجاز أمور قد ولَّت صدورها ، واستدبر من أمره ما لم يكن استقبل ، أي : نظر فيه مستدبرًا فعرف عاقبة ما لم يعرف من صدره))[٢] وتقدم أيضًا أنَّ ((التدبير : التفكير في دُبُر الأمور ، قال تعالى : (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا){النازعات : ٥} يعني ملائكة موكلة بتدبير أمور))[٣] قال الزمخشري : (((أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) تَدَبُّرُ الأمر : تأمُّلُه والنظر في أدباره ، وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ، ثم استعمل في كلِّ تأمُّل))[٤]

فالتدبر والتدبير مشتق من الدبر ، فالتدبر سمي تدبرًا ؛ لأنَّه يعني : التفكير في دُبُر الأمور ، فالدبر وما اشتق منه يعني الدبر بعينه ، وجعله بمعاني الأوجه المذكوره تحريف لدلالته

تقدم اختلاف أهل اللغة والتفسير في دلالة القراءتين المتواترتين (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ)(وَاللَّيْلِ إذا دَبَرَ){المدثر : ٣٣} والذي أراه أنَّ الفعل الرباعي : أدبر يُدبر ، فعل لازم ، وقولك : أدبر الليلُ ، معناه : تولَّى الليلُ ، فناسب

---

(١) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٤٥وجامع البيان للطبري ١٠٩/١٥ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٩/٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٥/١٠ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٥٧/٣ وفتح القدير للشوكاني ٢٨٧/٣

(٢) العين ص ٢٧٩-٢٨٠

(٣) المفردات ص ١٧١-١٧٢ وينظر : عمدة الحفاظ ٣/٢-٤ وبصائر ذوي التمييز ٥٨٦/٢-٥٨٧

(٤) الكشاف ٥٢٩/١

دخول (إذ) عليه ؛ لأنها ظرف لما مضى من الزمان ، فتكون قراءة : (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) تعني : والليل إذ ذهبَ ومضى ، أمَّا الفعل الثلاثي : دبر يَدبر ، فهو فعل متعدٍّ ، وفي قولك : دبر الليلُ ، مفعول محذوف ، والتقدير : دَبَرَ الليلُ النهارَ ، والمعنى تبع الليلُ النهار ، أي : خَلَفَه وجاء بعده ، فتكون قراءة : (وَاللَّيْلِ إِذا دَبَرَ) تعني : والليل إذا حلَّ وجاء ، فناسب دخول (إذا) عليه ؛ لأنَّها ظرف لما يستقبل من الزمان ، والحكمة من هاتين القراءتين هو أنَّه سبحانه أراد أن يجمع بين القسم بالليل في حال ذهابه ومجي النهار ، والقسم به في حال مجيئه وذهاب النهار

٢٧-**الدُّولة** : قال الدامغاني : ((تفسير الدُّولة على وجهين :

فوجه منهما : الدُّولة يعني القسمة ، قوله تعالى : (كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِيَاء مِنكُمْ){الحشر : ٧} يعني قسمة بين الأغنياء منكم

والوجه الثاني : الدُّولة بعينها ، قوله تعالى : (وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ){آل عمران : ١٤٠}))[١]

جعل الدامغاني الدُّولة في الوجه الأول بمعنى القسمة في قوله تعالى : (مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) والقسمة غير الدُّولة ، قال ابن فارس : ((الدال والواو واللام أصلان ، أحدهما : يدلُّ على تحويل شيء من مكان إلى مكان ، والآخر : يدلُّ على ضعف واسترخاء ، أمَّا الأول : فقال أهل اللغة : اندال القوم : إذا تحولوا من مكان إلى مكان ، ومن هذا الباب : تداول القومُ الشيءَ بينهم : إذا صار من بعضهم إلى بعض ، والدَّولة والدُّولة لغتان ، ويقال : بل الدُّولة في المال ،

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢١٦

والدَّولة في الحرب ، وإنَّما سمِّيا ذلك من قياس الباب ؛ لأنَّه أمر يتداولونه ، فيتحوَّل من هذا إلى ذاك ، ومن ذاك إلى هذا))[١] وقال : ((لقاف والسين والميم أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على جمال وحسن ، والآخر على تجزئة شيء))[٢]((وقسمة الميراث ، وقسمة الغنيمة تفرقها على أربابها)) [٣]

قال ابن قتيبة : (((كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِيَاء مِنكُمْ) من التداول ، أي : يتداوله الأعنياء بينهم))[٤] وقال الزجاج : ((على معنى : كيلا يكون الفيء دولة : أي : متداولاً)) [٥] وقال الواحدي : (كَيْ لاَ يَكُونَ) الفيء (دُولَةً) وهو اسم للشيء يتداوله القوم بينهم ، لهذا مرة ، ولهذا مرة (بَيْنَ الأغْنِيَاء مِنكُمْ) يعني الرؤساء يعمل فيه كما يعمل في الجاهلية)) [٦] ((لأنَّ أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا أخذ الرئيس ربعها لنفسه ، وهو المِرباع ، ثم يصطفي منها أيضًا بعد المرباع ما شاء ، وفيها قال شاعرهم : لك المِرباع منها والصفايا ، كي لا يعمل كما كان يعمل في الجاهلية)) [٧] ((والمقصود من ذلك إبطال ما كان معتادًا في العرب قبل الإسلام من استئثار قائد الجيش بأمور من الغنائم ، وهي : المرباع ، والصفايا ، وما صالح عليه

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٠٥ وينظر : المفردات للراغب ص ١٨١

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٧٤

(٣) المفردات ص ٤٢٠

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٤٦٠

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١١٧/٥

(٦) الوسيط ٢٧٣/٤وينظر : جامع البيان للطبري ٤٤/٢٨-٤٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٢/٨-٢٣

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٨

عدوه دون قتال ، والنشيطة ، والفضول ، قال عبد الله بن عنمة الضبّيّ يخاطب بِسطام بن قيس سيد بني شيبان ، وقائدهم في أيَّامهم :

لك المِرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

فالمرباع : ربع الغنائم كان يستأثر به قائد الجيش ، والصفايا : النفيس من الغنائم الذي لا نظير له فتتعذر قسمته كان يستأثر به قائد الجيش ، وأمَّا حكمه فهو ما أعطاه العدو من المال إذا نزلوا على حكم أمير الجيش ، والنشيطة : ما يصيبه الجيش في طريقه من مال عدوهم قبل أن يصلوا إلى موضع القتال ، والفضول : ما يبقى بعد قسمة الغنائم مما لا يقبل القسمة على رؤوس الغزاة ، مثل بعير وفرس٠٠٠والدُّولة بضم الدال : ما يتداوله المتداولون ، والتداول : التعاقب في التصرف في شيء))[1] فجعل الفيء قسمة يعني : تجزئته أجزاء ، وتوزيع هذه الأجزاء على مستحقيها ، أمَّا جعل الفيء دولة ، فيعني : تحوَّل الفيء من رئيس إلى رئيس ، أي : انتقاله من غني إلى غني ، فالدُّولة غير القسمة ، والفرق بيِّنٌ بينهما فجعلها بمعناها في فوله تعالى : (كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِيَاء مِنكُمْ) تحريف لدلاتها في اللغة والتفسير ، بل هو خلاف المعنى المراد من النص القرآني ، وخلاف ما أمر الله به ، فيكون معنى هذا الوجه هو بمعنى الوجه الثاني يعني الدولة بعينها

٢٨-**الذات** : قال الدامغاني : ((تفسير الذات على وجهين :

فوجه منهما : الذات يعني المشاجرة والخصومة ، قوله تعالى : (فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ){الأنفال : ١}

والوجه الثاني : ذات يعني الضمير والحال ، قوله تعالى : (وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ){آل عمران : ١٥٤} وقوله تعالى : (ذَوَاتَا

---

(١) التحرير والتنوير ٧٦/٢٨

أَفْنَانٍ)}الرحمن : ٤٨} وقوله تعالى : (ذَاتِ الشَّوْكَةِ)}الأنفال : ٧} وقوله تعالى : (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ)}سبأ : ١٦}))[١]

جعل الدامغاني الذات في الوجه الأول بمعنى المشاجرة والخصومة في قوله تعالى (فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ) ((قال الليث : ذو : اسم ناقص ، وتفسيره : صاحب ذلك ، كقولك : فلان ذو مال ، أي : صاحب مال٠٠٠قال الليث : وتقول في تأنيث (ذو) ذات ، تقول : هي ذات مال٠٠٠وتقول : وهما ذواتا مال ، قال الله تعالى : (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ)}الرحمن : ٤٨}٠٠٠وتقول في جمع (ذو) هم ذوو مال ، وهنَّ ذوات مال٠٠٠وتقول العرب : لقيته ذا صباح ، ولو قيل : ذات صباح ، مثل ذات يوم ، لَحَسُنَ ؛ لأنَّ (ذا) و(ذات) يراد بهما وقت مضاف إلى اليوم والصباح ، أمَّا قوله تعالى : (فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ) فإنَّ أبا العباس أحمد بن يحيى قال : أراد الحالة التي للبين ، وكذلك : أتيتك ذات العشاء ، أراد الساعة التي فيها العشاء ، وقال أبو إسحاق : معنى (ذَاتَ بِيْنِكُمْ) حقيقة وصلكم[٢]٠٠٠وذات الشيء حقيقته وخاصَّته٠٠٠وقال ابن الأنباري في قوله عز وجل : (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)}الأنفال : ٤٣} معناه : بحقيقة القلوب من المضمَرات ، فتأنيث (ذات) لهذا المعنى ، كما قال : (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ)}الأنفال : ٧} فأنَّث على معنى الطائفة ، كما يقال : ذات يوم ، فيؤنثون ؛ لأنَّ مقصدهم : لقيته مرة في يوم ، وقوله تعالى : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٢٣

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٤/٢

ذَاتَ الشِّمَالِ)}الكهف : ١٧} أراد بـ(ذات) الجهة ؛ فلذلك أنَّثها ، أراد : جهة ذات يمين الكهف ، وذات شماله))[١]

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ) ((فإن قلتَ : ما حقيقة (ذَاتَ بِيْنِكُمْ) قلتُ : أحوال بينكم ، يعني ما بينكم من الأحوال ، حتى تكون أحوال إلفة ومحبَّة واتفاق٠٠٠لمَّا كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها : ذات البين))[٢]وقال ابن عطية : ((و(ذات) في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته))[٣] أي : هو عنده بتقدير : وأصلحوا بينكم ذاته ، أي : جوهره وحقيقته ، وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (ذَاتَ بِيْنِكُمْ) قد تقدم الكلام على (ذات) في آل عمران ، وهي هنا صفة لمفعول محذوف تقديره : وأصلحوا أحوالاً ذات افتراقكم وذات وصلكم ، أو ذات المكان المتصل بكم ، فإنَّ (بين) قد قيل إنَّه يراد به هنا الفراق ، أو الوصل ، أو الظرف ، وقال الزجاج وغيره : إنَّ (ذات) هنا بمنزلة حقيقة الشيء ونفسه ، وقد أوضح ذلك ابن عطية)) [٤]

وقال في قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)}آل عمران : ١١٩} ((ومعنى قوله : (بِذَاتِ) أي : بالمضمرات ذوات الصدور ، فـ(ذات) هنا تأنيث (ذي) بمعنى صاحب ، فحذف الموصوف ، وأقيمت صفته مقامه ، أي : عليم بالمضمَرات صاحبة الصدور)) [٥] وقال الآلوسي في قوله

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٢٩٩/٢-١٣٠٠ وينظر : لسان العرب ١٠/٦

(٢) الكشاف ١٨٩/٢

(٣) المحرر الوجيز ٥٠٠/٢

(٤) الدر المصون ٥٥٦/٥-٥٥٧ واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٤٤٧/٩ وصاحب هذا الكتاب دائمًا ما ينقل كلام الحلبي نصًّا من دون أن ينسبه إليه .

(٥) الدر المصون ٣٧٣/٣ واللباب في علوم الكتاب ٤٩٩/٥-٥٠٠

تعالى : (وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ){آل عمران : ١٥٤} ((فـ(ذات) بمعنى صاحبة لا بمعنى ذات الشيء ونفسه))[١] وقال ابن عاشور : ((و(ذات) يجوز أن تكون مؤنث (ذو) الذي هو بمعنى صاحب ، ووقع في كلامهم مضافًا إلى الجهات وإلى الأزمان ، وإلى غيرهما كقوله تعالى : (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ){الكهف : ١٨} على تأويل جهة ، وتقول : لقيته ذات ليلة ، ولقيته ذات صباح ، على تأويل المقدَّر ساعة أو وقت ، وجرت مجرى المثل في ملازمتها هذا الاستعمال ، ويجوز أن تكون (ذات) أصلية الألف ، كما يقال : أنا أعرف ذات فلان ، فالمعنى حقيقة الشيء وماهيته ، كذا فسَّرها الزجاج والزمخشري٠٠فتكون كلمة مقحمة لتحقيق الحقيقة ، جُعِلتْ مقدمة ، وحقها التأخير ؛ لأنَّها للتأكيد مثل المعنى في قولهم : جاءني بذاته))[٢]

تبيَّن مما تقدم ذكره أنَّ جمهور اللغويين والمفسرين ذهبوا إلى أنَّ (ذات) تكون بمعنى صاحب ، وكثيرًا ما تجيء صفة لموصوف محذوف ، فقولك : لقيته ذات صباح ، تقديره : لقيته وقتًا أو ساعة ذات صباح ، ونحو : لقيته ذات يوم ، تقديره : لقيته مرة ذات يوم ، وأتيتك ذات العشاء ، تقديره : أتيتك الساعة ذات العشاء ، وقوله تعالى : (غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ) تقديره : طائفة غير ذات الشوكة ، وقوله تعالى : (ذَاتَ الْيَمِينِ) و(ذَاتَ الشِّمَالِ) تقديره جهة ذات اليمين ، وجهة ذات الشمال ، وقوله تعالى : (وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ) تقديره : وأصلحوا أحوالًا ذات بينكم ، وقوله تعالى : (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) تقديره : عليم بمضمرَات ذات الصدور ، ومنهم من

---

(١) روح المعاني ٣١٠/٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٣/٩

ذهب إلى أنَّ (ذات) في الشاهدين القرآنيين الأخيرين هي بمعنى نفس الشيء وحقيقته وجوهره ، والتقدير : وأصلحوا بينكم ذاته : والله عليم بالصدور ذاتها

فهذا هو معنى الذات في الوجه الأول في قوله تعالى : (وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ) وكما بيَّنه أهل التفسير فأين هو من معنى المشاجرة والخصومة الذي ادعاه الدامغاني ؟! وكذلك معنى الذات في شواهد الوجه الثاني ، فلا شك ولا اختلاف في أنَّها بمعنى صاحب في قوله : (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) وقوله تعالى : (ذَاتِ الشَّوْكَةِ) وقوله تعالى : (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ) أمَّا قوله تعالى : (وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) فقد قيل فيه ما قيل في شاهد الوجه الأول .

٢٩-الذوق : قال الدامغاني تفسير الذوق على خمسة أوجه : الإنالة ، والوجود ، والأكل ، والعذاب ، والمعاينة .

فوجه منها ، الذوق : الإنالة ، قوله تعالى : (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً){يونس : ٢١}

والوجه الثاني ، الذوق : يعني الوجود ، كقوله تعالى : (لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ){المائدة : ٩٥}

والوجه الثالث ، ذاق : يعني أكل ، قوله تعالى : (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا){الأعراف : ٢٢}

والوجه الرابع ، الذوق : العذاب ، قوله تعالى : (فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ){النحل : ١١٢}

والوجه الخامس ، الذوق : المعاينة ، قوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ){آل عمران : ١٨٥}))[١]

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٢١-٢٢٢

قال الخليل : ((وذُقتُ فلانًا ، وذُقتُ ما عنده ، وما نزل بك مكروه فقد ذقتَه ، وقال الله عز وجل : (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)(الدخان : ٤٩} وفي الحديث : إنَّ الله لا يحبُّ الذواقين والذواقات ، أي : كلما تزوجا كرها ومدَّ أعينهما إلى غيرهما))[١] وقال ابن فارس : ((الذال والواو والقاف أصل واحد ، وهو اختبار الشيء من جهة تطَعُّم ، ثم يُشتَق منه مجازًا ، فيقال : ذُقتُ المأكول أذوقه ذوقًا ، وذقتُ ما عند فلان : اختبرته ، وفي كتاب الخليل : كل ما ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه ، ويقال : ذاق القوس : إذا نظر ما مقدار إعطائها ، وكيف قوتها))[٢] وقال الراغب : ((الذوق وجود الطعم بالفم ، وأصله فيما يقلُّ تناوله دون ما يكثر ، فإنَّ ما يكثر منه يقال له الأكل ، واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب ؛ لأنَّ ذلك وإن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير ، فخصَّه بالذكر ليعمَّ الأمرين، وكثر استعماله في العذاب ، نحو : (لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ)(النساء : ٥٦}٠٠٠وقد جاء في الرحمة ، نحو : (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ {٩} وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ)(هود : ٩-١٠} ويعبَّر به عن الاختبار فيقال : أذقته كذا فذاق ، ويقال : فلان ذاق كذا ، وأنا أكلته ، أي : خبرته فوق ما خبر))[٣]

جعل الدامغاني الذوق في الوجه الثالث بمعنى الأكل في قوله تعالى : (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا) يعني : فلما أكلا الشجرة ، والمراد من الذوق الذوق بعينه ، ولو أراد الأكل لاستعمل لفظه ، كما استعمله في قوله تعالى : (فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن

---

(١) العين ص ٣٢٤

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٢٣-٣٢٤

(٣) المفردات ص ١٨٩

وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى){طه : ١٢١} قال الطبري : (((فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) يقول : فلمَّا ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة ، يقول : طعماه)) [١]وقال الزجاج : ((وقوله : (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) يدلُّ على أنَّهما ذاقاها ذوقًا ، ولم يبالغا في الأكل))[٢]وقال الزمخشري : (((فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) وجدا طعمها آخذين في الأكل منها))[٣] وقال الشوكاني : ((قوله : (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) أي : لمَّا طعماها))[٤]

وجاء في التفسير أنَّ قوله تعالى : (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) ((تدلُّ على أنَّهما تناولا البُرَّ قصدًا إلى معرفة طعمه ، ولولا أنَّه تعالى ذكر في آية أخرى أنَّهما أكلا منها لكان مافي هذه الآية لا يدلُّ على الأكل ؛ لأنَّ الذائق يكون ذائقًا من دون أكل))[٥]

والحقيقة أنَّه ما من إنسان يأكل طعامًا إلاَّ ويتذوَّقه ، ويحسُّ بطعمه ، بل هذا التذوُّق والإحساس بطعم المأكول ، هو الذي يدفع الإنسان إلى الأكل ، فالفرق بينهما أنَّ الأكل يعني مضغ الطعام في الفم وبلعه ، والذوق هو الإحساس بطعمه حتى يتعرف الإنسان من خلاله إلى نوعه ، فإذا أريد المعنى الأول استعمل لفظ الأكل ، وإذا أريد الثاني استعمل لفظ الذوق ، والقرآن قد جمع بين هاتين الدلاتين في الموضعين فأصبح مجمل المعنى في السورتين : فلمَّا ذاقا الشجرة وأكلا منها بدت لهما سوآتهما

---

(١) جامع البيان ١٦٨/٨

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٤/٢

(٣) الكشاف ٩٢/٢

(٤) فتح القدير ٢٤٩/٢

(٥) اللباب في علوم الكتاب ٦١/٩

وجعل الذوق في الوجه الخامس بمعنى المعاينة في قوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ) والمراد من الذوق هنا الذوق بعينه ، والمعنى : أنَّ كل نفس : ((واجدة مرارته كما يجد الذائق طعم المذوق))[1]ولم أجد في كتب اللغة ولا في كتب التفسير من عرَّف الذوق وفسَّره بالمعاينة ؛ لأنَّ الذوق هنا لفظ مستعار ، وليس بلفظ حقيقي ليجوز جعله بمعنى لفظ آخر ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ المرء يعاين موت غيره ولا يعاين موت نفسه ، ويذوق موت نفسه ولا يذوق موت غيره .

فالذوق وجود طعم الشيء في الفم ، ثم استعير في المعاني ، كتذوُّق الرحمة كما جاء في الوجه الأول في قوله تعالى : (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً) وتذوُّق الإنسان وبال أمره ، كما جاء في الوجه الثاني في قوله تعالى : (لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ) وتذوُّق الجوع ، والخوف ، كما جاء في الوجه الرابع في قوله تعالى : (فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) لتكون هذه الأوجه بمعنى الإحساس بطعم النعمة ، والنقمة ، كما يحسُّ المرء بطعم ما كان حلوًا وبطعم ما كان مرًّا ، فهذا هو معنى الذوق في كل شواهد الوجوه المنسوبة إليه ، أي : فقد أريد من الذوق فيها الذوق بعينه ، إمَّا حقيقة أو مجازًا ، فجعله بمعاني الأوجه المذكورة تحريف لدلالته .

٣٠-**الرّعد** : ذكر أصحاب كتب الوجوه للرعد وجهين :

الأول : الرعد يعني المَلَك ، كقوله تعالى : (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلآئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ){الرعد : ١٣} يعني : المَلَك واسمه الرعد

الثاني : الرعد بعينه وهو الصوت المسموع من السحاب ، كقوله تعالى : (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ){البقرة : ١٩}[2]

---

(١) مدارك التنزيل ص ٨٩٧

(٢) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٢١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٣٦ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص١٣٢

قال ابن فارس : ((الراء والعين والدال أصل واحد يدلُّ على حركة واضطراب ، وكل شيء اضطرب فقد ارتعد٠٠٠ومن الباب الرعد ، وهو مَصْعُ مَلَكٍ يسوق السحاب ، والمصع : الحركة والذهاب والمجيء ، ويقال : مصعت الدابة بذنبها : إذا حرَّكته ، ثمَّ يُتصرَّف في الرعد، فيقال : رَعَدَتِ السماء وبَرَقَتْ)) [١] وقال الراغب : ((الرعد : صوت السحاب ، وروي أنَّه ملك يسوق السحاب))[٢]

وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الرعد بمعنى اسم الملَك في قوله تعالى : (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) [٣] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) فيه قولان :

أحدهما أنَّه اسم المَلَك الذي يزجر السحاب ، وصوته تسبيحه .

والثاني : أنَّه الصوت المسموع ، وإنَّما خُصَّ الرَّعد بالتسبيح ؛ لأنَّه من أعظم الأصوات ، قال ابن الأنباري : وإخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز)) [٤]

فالوجه الذي قاله في النزهة أبطله ونقضه في الزاد ؛ لأنَّ الوجه لا يصح أنَّ يُسمَّى ويُعدُّ وجهًا إلاَّ إذا تعيَّن معناه وعلى سبيل القطع ، فإذا احتمل معنى آخر خرج من باب الوجوه ودخل في باب التفسير

إذا صحَّ أنَّ الرعد في الوجه الأول يعني اسم مَلَك يسوق السحاب ، فهو عَلَمٌ منقول من الرعد بمعنى الصوت المسموع من السحاب ، والتحريف الحاصل أنَّهم لمَّا جعلوا الرعد بمعنى المَلَك فهذا يعني أنَّهم سمَّوا الأول بالثاني ، بينما الحقيقة على العكس من ذلك ، ففي قوله (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ) سُمِّي

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٤٢

(٢) المفردات ص ٢٠٥

(٣) ينظر : النزهة ص ١٣٢

(٤) زاد المسير ٢٤٠/٤

المَلَك بالرعد ، وجُعِل بمعناه ، فجاء أصحاب كتب الوجوه فسمَّوا الرعد بالملك ، وجعلوه بمعناه ، فحرَّفوا بقلب التسمية ، وقلبوا المعنى المراد ، وهذا هو حال كل عَلَم واسم منقول جعلوه وجهًا .

٣١-الرّكوب : ذكر الدامغاني وابن الجوزي للركوب أربعة أوجه :

الأول : الركوب يعني التحول أو الانتقال من حال إلى حال ، كقوله تعالى : (وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ {١٨} لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ){الانشقاق : ١٧-١٨}

الثاني : الركوب يعني النجاة ، كقوله تعالى : (يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا){هود : ٤٢}

الثالث : الركوب يعني الاستواء في السفينة ، كقوله تعالى : (وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا){هود : ٤١}

الرابع : الركوب يعني الركوب على الدواب ، كقوله تعالى : (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا){النحل : ٨}[١]والركوب على الدواب هو الركوب بعينه

جعل الدامغاني وابن الجوزي الركوب في الوجه الأول بمعنى التحول والانتقال من حال إلى حال ، في قوله تعالى : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ) وهذا ليس معنى الركوب ، قال ابن فارس : ((الراء والكاف والباء أصل واحد مُطَّرد منقاس : وهو علوُّ شيء شيئًا))[٢] وقال الراغب : ((الركوب في الأصل كون الإنسان على ظهر حيوان ، وقد يستعمل في السفينة))[٣] قال أبو منصور الأزهري : (قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لَتَرْكَبَنَّ) بفتح الباء ،

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٣١-٢٣٢ ونزهة الأعين ص ١٣٣

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٥٠

(٣) المفردات ص ٢٠٩

وقر الباقون (لَتَرْكَبُنَّ) بضم الباء ، قال أبو منصور : مَن قرأ (لَتَرْكَبَنَّ) بفتح الباء فمعناه : لتركبَنَّ يا محمد طبقًا عن طبق ، أي " طبقًا من أطباق السماء ، ومَن قرأ (لَتَرْكَبُنَّ) بضم الباء فالخطاب للأمَّة ، يقول لتركبُنَّ حالاً بعد حال ، حتى تصيروا إلى الله))[١] و((قال أبو علي : حجة مَن قرأ (لَتَرْكَبَنَّ) عن ابن عباس ، قال : لتركبَنَّ السماء حالاً بعد حال))[٢]وقال الزجاج : (((لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ) أي : حالاً بعد حال حتى يصير إلى الله ، عز وجل ، وقرئت (لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ) أي : لتركبَنَّ يا محمد طبقًا عن طبق من أطباق السماء)) [٣] وقال الواحدي : (لتركبَنَّ) يا محمد (طبقًا عن طبق) قال الشعبي ومجاهد : سماء بعد سماء ، قال الكلبي : يعني يصعد فيها ، ويجوز أن تزيد درجة بعد درجة ، ورتبة بعد رتبة ، في القربة من الله تعالى ، ورفعة المنزلة))[٤]

وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل الركوب بمعنى الانتقال من حال إلى حال في قوله تعالى : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ) [٥] لم يستعمل في تفسيره هذه العبارة ، بل عبارة : لتركبنَّ حالاً بعد حال ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّه ذكر لقراءة الفتح قولين ، أولهما : ((لتركبَنَّ سماء بعد سماء)) وذكر لقراءة الضم خمسة أقوال ، من بينها : ((أنَّه الشدائد والأهوال ، ثمَّ الموت ، ثمَّ البعث ، ثمَّ العرض)) و(أنَّه كون الإنسان رضيعًا

---

(١) معاني القراءات ص ٥٣٧

(٢) الحجة في علل القراءات السبع ٥٣٢/٤ والحديث أخرجه البخاري

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/٥

(٤) الوسيط ٤٥٥/٤

(٥) ينظر : النزهة ص ١٣٣

، ثمَّ فطيمًا ، ثمَّ غلامًا شابًّا ، ثمَّ شيخًا)) [1] فما قاله في باب الوجوه نقضه وأبطله في باب التفسير

فمعنى القراءتين واحد ؛ لأنَّ المراد من قراءة الضم : حالاً بعد حال ، اقتراب الناس من الله سبحانه ، مرحلة بعد مرحلة ، حتى يصيروا عنده ، فكأنَّهم يركبون هذه الأحوال ، ويصعدون بها إلى مصيرهم ، فيكون الركوب يعني الركوب بعينه ، وجعله بمعنى التحول والانتقال تحريف لدلالته

وجعل الدامغاني الركوب في الوجه الثاني بمعنى النجاة في قوله الثاني : (يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا) ودلالة الركوب هنا واضحة لا إشكال فيها ، فما الداعي وما المسوغ لجعله بمعنى النجاة ، وكيف استساغ القول بهذا الوجه ؟! لأنَّه كيف يستساغ أن يكون تقدير الآية : يا بنيَّ انج معنا؟! لذلك لم أجد في كتب التفسير من استعمل مصطلح النجاة ، بل أبقوا الركوب على معناه [2] وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى : (يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا) ((والمعنى : أنَّ نوحًا دعا ابنه إلى أن يركب معه في السفينة ليسلم من الغرق)) [3] فالركوب يعني الركوب بعينه ، وجعله بمعنى النجاة تحريف لدلالته .

وكذلك جعل الركوب في الوجه الثالث بمعنى الاستواء في السفينة ، في قوله تعالى : (وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا) وكذلك أبقى أهل التفسير الركوب هنا

---

(١) زاد المسير ٢٣٠/٨

(٢) ينظر : جامع البيان ٥٥/١٢ ووزاد المسير ٨٤/٤ وأنوار التنزيل ١٣٥/٣ وفتح القدير ٦٣٦/٢

(٣) الوسيط ٥٧٤/٢

على معناه[1] وقال البيضاوي : ((أي : صيروا فيها ، وجعل ذلك ركوبًا ؛ لأنَّها في الماء كالمركوب في الأرض٠٠٠أي : اركبوا فيها)) [2]

وبين الركوب والاستواء فروق ، من ذلك أنَّ الركوب يتعدى إلى المركوب بـ(في) ويتعدى الاستواء إليه بـ(على) ، وركوب الشيء يكون قبل الاستواء عليه ، فهو المبتدأ به قبله ، قال تعالى : (وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا)(هود : ٤١} وقال تعالى : (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا)(الكهف : ٧١} وقال تعالى : (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ)(العنكبوت : ٦٥} لأنَّ الركوب يعني علوَّ شيء شيئًا ، أمَّا الاستواء عليه فيعني الاستقامة فوقه ، والتمكّن من الاستقرار عليه ، وهذا يأتي بعد اعتلائه ، قال تعالى : (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(المؤمنون : ٢٨} وقال تعالى : (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ {١٢} لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)(الزخرف : ١٣} فالركوب يعني الركوب بعينه ، وجعله بمعنى الاستواء تحريف لدلالته

٣٢-الرّيب : ذكر الدامغاني وابن الجوزي للريب ثلاثة أوجه :

الأول : الريب يعني الشك ، كقوله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)(البقرة : ٢}

الثاني : الريب يعني الحوادث ، أو حوادث الدهر كقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)(الطور : ٣٠}

الثالث : الريبة بكسر الراء ، يعني الحسرة ، كقوله تعالى : (لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ)(التوبة : ١١٠}[1]

---

(١) ينظر : جامع البيان ٥٣/١٢ والوسيط ٥٧٣/٢ وزاد المسير ٨٣/٤ وفتح القدير ٦٣٦/٢

(٢) أنوار التنزيل ١٣٥/٣

جعل الدامغاني وابن الجوزي الريب في الوجه الأول بمعنى الشك في قوله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ) وبين الريب والشك فرق يظهر جليًّا من خلال تعريف أهل اللغة لكل منهما ، قال الخليل : ((الرَّيب : الشكُّ ، والريب : صرف الدهر وعَرَضُهُ وحَدَثُهُ ، والرَّيب : ما رابك من أمر تخوَّفتَ عاقبته٠٠٠ورابني هذا الأمر يُريبني ، أي : أدخل عليَّ شكًّا وخوفًا ، وفي لغة رديئة أرابني ، وأراب الأمرُ ، أي : صار ذا ريب ، وأراب الرجلُ : صار مُريبًا ذا رِيبة ، وارتبت به ، أي : ظننتُ به))[٢]((والرَّيب والرِّيبة : الظنة والتهمة)) [٣] وقال ابن فارس : ((الراء والياء والباء أصيل يدلُّ على شكٍّ ، أو شكّ وخوف٠٠٠والريب : ما رابك من أمر ، تقول : رابني هذا الأمر : إذا أدخل عليك شكًّا وخوفًا٠٠٠وريب الدهر : صروفه ، والقياس واحد ، قال :

أمِنَ المنون وريبه تتوجَّع والدهر ليس بمعتِبٍ مَن يجزعُ

فأمَّا قول القائل :

قضينا من تهامة كلَّ ريب ومكة ثمَّ أجمعنا السيوفا

فيقال : إنَّ الريب : الحاجة ، وهذا ليس ببعيد ؛ لأنَّ طالب الحاجة شاكّ على ما به من خوف الفوت))[٤] وقال الراغب : ((يقال : رابني كذا وأرابني ، فالريب أن تتوهَّم بالشيء أمرًا ما فينكشف عمَّا تتوهمه٠٠٠وقوله : (نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) سمَّاه ريبًا لا أنَّه مشكَّكٌ في كونه ، بل من حيث تشكك في وقت حصوله ، فالإنسان أبدًا في ريب المنون من جهة وقته لا من جهة كونه٠٠٠والارتياب يجري مجرى الإرابة٠٠٠ونفى من المؤمنين الارتياب ،

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٣٤ ونزهة الأعين ص ١٣٤ومنتخب قرة العيون ص ١٢٤

(٢) العين ص ٣٧٩

(٣) المحكم لابن سيده ٣٠٧/١٠

(٤) مقاييس اللغة ص ٣٦٢

قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ){الحجرات : ١٥} وقيل : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، وريب الدهر : صروفه ، وإنَّما قيل ريب لما يُتوهَّم فيه من المكر ، والرِّيبة اسم من الرَّيب ، قال تعالى : (لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ){التوبة : ١١٠} أي : تدلُّ على دغل ، وقلة يقين))[١]

فهذا هو الريب ، وإن كان الخليل بدأ تعريف الريب بالشكّ كما تقدم ، فقد عرَّف الشكّ أنَّه ((نقيض اليقين))[٢] وقال ابن فارس : ((الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض ، وهو يدلُّ على التداخل ، من ذلك قولهم : شككته بالرمح ، وذلك إذا طعنته فداخل السِّنان جسمه٠٠٠ومن هذا الشك الذي هو خلاف اليقين ، إنَّما سُمِّي بذلك ؛ لأنَّ الشاكّ كأنَّه شُكَّ له الأمران في مشكٍّ واحد ، وهو لا يتيقَّن واحدًا منهما))[٣] وقال الراغب : ((والشكُّ اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما ؛ وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين أو لعدم الأمارة فيهما ، والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أو غير موجود ، وربما في جنسه من أيّ جنس هو ، وربما كان في بعض صفاته ، وربما كان في الغرض الذي لأجله أُوجِد ، والشك ضرب من الجهل)) [٤] فهذا هو معنى الشك فأين هو من معنى الريب ، وقال العسكري في ((الفرق بين الشك والارتياب أنَّ الارتياب شك مع تهمة ، والشاهد أنَّك تقول : إنِّي شاكٌّ اليوم في المطر ، ولا يجوز أن تقول : إنِّي

---

(١) المفردات ص ٢١٢-٢١٣ وينظر : عمدة الحفاظ ١٢٨/٢-١٢٩ وبصائر ذوي التمييز ١١٤/٣

(٢) العين ص ٤٨٩

(٣) مقاييس اللغة ص ٤٤٣

(٤) المفردات ص ٢٧٤

مرتاب اليوم بالمطر ، وتقول : إني مرتاب بفلان : إذا شككتَ في أمره واتهمته)) [١]

فالريب في قوله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ) لا يعني الشكّ ، بل ((الشكّ مع تهمة قال :

ليس في الحق يا أميمة رَيب إنَّما الرَّيب ما يقول الكذوب

وحقيقته على ما قاله الزمخشري : قلق النفس واضطرابها ، ومنه الحديث : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، وأنَّه مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بظبْيٍ خائف ، فقال : لا يُرْبه أحدٌ ، ليس قول من قال : الريب : الشك مطلقًا بجيد ، بل هو أخص من الشك)) [٢]((وقال ابن الخطيب : الريب قريب من الشك ، وفيه زيادة ، كأنَّه ظن سوء ، تقول : رابني أمر فلان : إذا ظننتَ به سوءًا))[٣] فالفرق بين الريب والشك ظاهر ، فجعله بمعناه تحريف ظاهر

وجعل الدامغاني وابن الجوزي الريب في الوجه الثاني بمعنى الحوادث ، في قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) وقد تقدم تعريف الريب ، أمَّا المنون فقد عرَّفه الخليل بقوله : ((والمنون : الموت ، وهو مؤنَث٠٠٠وسُمِّيتْ منونًا ؛ لأنَّها تمنُّ الأشياء ، أي : تقطعها)) [٤] وقال ابن فارس : ((الميم والنون أصلان : أحدهما يدلُّ على قطع وانقطاع ، والآخر على اصطناع خير ، الأول : المنُّ : القطع ، ومنه يقال : مننتُ الحبلَ قطعته ، والمنون : المَنِيَّة ؛ لأنَّها تنقص العدد ، وتقطع المدد ،

---

(١) الفروق اللغوية ص ١١٤

(٢) الدر المصون ٨٥/١-٨٦ واللباب في علوم الكتاب ٢٦٧/١ وينظر : الكشاف ٤٣/١ والبحر المحيط ٥٣/١

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٢٦٨/١

(٤) العين ص ٩٢٦

والمنُّ : الإعياء ، وذلك أنَّ المُعيِيَ ينقطع عن السير))[1] وجاء في لسان العرب : ((والمَنون : الموت ؛ لأنَّه يَمُنُّ كلّ شيء يضعفه وينقصه ويقطعه ، وقيل : المَنون : الدهر٠٠٠والمنايا : الأحداث ، والحِمام : الأجل ، والحَتْف : القدر ، والمَنون : الزمان ، قال أبو العباس : والمَنون يُحمَل معناه على المنايا ، فيعبَّر بها عن الجمع ، والمنون : المنية ؛ لأنَّها تقطع المدد وتنقص العدد، قال الفراء : والمنون مؤنثة ، وتكون واحدة وجمعًا ، قال ابن بري : المنون : الدهر ، وهو اسم مفرد ، وعليه قوله تعالى : (نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) أي : حوادث الدهر٠٠٠ويدلّك على أنَّ المنون يراد بها الدهور ، قول الجعدي :

وعشْتِ تعيشين إنَّ المنون كان المعايش فيها خِساسا

قال ابن بري : فسَّر الأصمعي المنون هنا بالزمان ، وأراد به الأزمنة))[2] ((والمنون : الدهر ، والكثير الامتنان ، وإنَّما سُمِّي به الدهر ؛ لأنَّه يقطع قوة الإنسان ، أو من المنِّ، وهو القطع ؛ لأنّ المقصود بها قطع الحاجة ، وقيل : المنون : الموت ، سُمِّي منونًا ؛ لقطع العمر ، وريب المنون : أوجاعه)) [3] وقال ابن قتيبة : (((نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) أي : حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه ، والمنون الدهر ، قال أبو ذؤيب :

أمِنَ المنون وريبه تتوجَّع والدهر ليس بمعتِبٍ مَن يجزعُ

هكذا كان الأصمعي يرويه (وريبِه) ويذهب إلى أنَّه الدهر ، قال : وقوله : والدهر ليس بمعتبٍ ، يدلُّ على ذلك ، كأنَّه قال :

أمن الدهر وريبه تتوجع والدهر لا يُعْتِبُ من يجزع

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٤١

(٢) ١٤/١٣٤-١٣٥ وينظر : تاج العروس ٣٦/٩٨-٩٩

(٣) الكليات للكفوي ص ٧٣٥

قال الكسائي : تقول العرب : لا أكلمه آخر المنون ، أي : آخر الدهر))[١] وقال الطبري (((رَيْبَ الْمَنُونِ) حوادث الدهر٠٠٠فقال بعضهم : هو الموت٠٠٠وقال آخرون : معنى ذلك ريب الدنيا ، وقالوا : المنون : الموت))[٢] وقال الواحدي : (((نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) : صروف الدهر ، وحوادثه ، أي : ننتظر به حدثان الدهر ، وحوادث الدهر ، فيهلك كما هلك من قبله الشعراء و(الْمَنُونِ) يكون بمعنى الدهر ، ويكون بمعنى المنية)) [٣]

جعل الدامغاني وابن الجوزي الريب بمعنى الحوادث ، أو حوادث الدهر ، وقد جاء هذا أيضًا في كلام الخليل وابن سيده ، والحقيقة أنَّ الريب ليس هذا معناه ، بل ما قاله الخليل وابن سيده أنفسهما ، فقد تقدم قول الأول ((والرَّيب : ما رابك من أمر تخوَّفتَ عاقبته٠٠٠وارتبت به ، أي : ظننتُ به))[٤] وقول الثاني ابن سيده : ((والرَّيب والرِّيبة : الظنة والتهمة)) [٥] وقد تقدم أيضًا أنَّ أهل اللغة جعلوا المنون بمعاني الدنيا ، والموت ، والمنية والمنايا ، والدهر والدهور ، وتقدَّم أنَّ المنية سميتْ بالمنون ، لأنَّه بالمنية تنقطع الحياة ، وكذلك نقول إنَّه بالقدر نفسه تُسمَّى حوادث الدهر بالمنون ؛ لأنَّ المراد منها الموت ونوائبها التي تفرق الأحباب ، وتقطع ما بينهم من صلات ، فتكون حوادث الدهر هو معنى المنون لا معنى الريب ، وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الريب بمعنى حوادث الدهر في قوله تعالى : (((نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)[٦] قال في تفسيره :

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٤٢٥-٤٢٦

(٢) جامع البيان ٣٩/٢٧-٤٠

(٣) الوسيط ١٨٩/٤

(٤) العين ص ٣٧٩

(٥) المحكم ٣٠٧/١٠

(٦) ينظر : نزهة الأعين ص ١٣٤ومنتخب قرة العيون ص ١٢٤

((قوله تعالى : (نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) فيه قولان ، أحدهما : أنَّه الموت ، قاله ابن عباس والثاني : حوادث الدهر ، قاله مجاهد)) [١]

فما قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد تبيَّن في القول الأول أنَّ الموت هو معنى المنون لا معنى الريب ، والتقدير : نتربَّص به ريب الموت ، وكذلك حوادث الدهر في القول الثاني أنَّها معنى المنون لا معنى الريب ، والتقدير : نتربَّص به ريب حوادث الدهر ، فتكون حوادث الدهر ، هو معنى المنون لا معنى الريب ، فجعل الريب بمعنى حوادث الدهر تحريف ظاهر للعيان

وجعل الدامغاني الريبة بكسر الراء ، في الوجه الثالث بمعنى الحسرة ، في قوله تعالى : (لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وقد تقدم أنَّ أهل اللغة جعلوا الرَّيب بفتح الراء ، والرِّيبة بكسر الراء بمعنى واحد ، وذكر أهل التفسير للريبة ثلاثة أقوال : الأول : أنَّها بمعنى الشك والنفاق في قلوبهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ، والثاني : أنَّها الحسرة والندامة ، قاله الكلبي ؛ لأنَّهم ندموا على بنيانه ، والثالث : أنَّه الحزازة والغيظ ، قاله السُّدِّي وحبيب والمبرد [٢] والصحيح من هذه الأقوال كما ترى الأول ، هو إبقاء الريبة على معناها الذي عبَّروا عنها بالشكَ ، قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ) ((يقول : لا يزال مسجدهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم ، يعني : شكًّا ونفاقًا في قلوبهم يحسبون أنَّهم كانوا في بنائه محسنين ٠٠٠وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل (إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) إلى أن يموتوا٠٠٠يقول : حتى يموتوا٠٠٠قال ابن زيد : لا يزال ريبة في قلوبهم راضين بما صنعوا ، كما حُبِّب العجل في

---

(١) زاد المسير ٢٦٧/٧

(٢) ينظر : الوسيط للواحدي ٥٢٥/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ٨٦/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٧٩/٣-٣٨٠ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٥/٨

قلوب أصحاب موسى ، قال : لا يزال ذلك في قلوبهم حتى يموتوا ، يعني المنافقين)) [1]((أي : لا يزالون في شك منه إلى أن يموتوا فيستيقنوا ويتبينوا))[2]

والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أحدها أو أضعفها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه لا تدخل في باب التحريف فحسب ، بل تدخل أيضًا في باب الخيانة العلمية في التفسير .

٣٣-الزكاة : ذكر أهل الوجوه للزكاة سبعة عشر وجها :

الأول : الزكاة المفروضة ، أو الزكاة الشرعية ، كقوله تعالى : (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ){البقرة : ٤٣}

والثاني : النماء ، كقوله تعالى : (فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا){الكهف : ٨١}

والثالث : الصلاح والصيانة ، كقوله تعالى : (وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا){مريم : ١٣} وقوله تعالى (وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ){فاطر : ١٨}

والرابع : قول : لا إله إلاَّ الله ، أو بمعنى الإيمان والتوحيد والمعرفة ، كقوله تعالى : (وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا){مريم : ٣١} وقوله تعالى : (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ {٦} الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالأخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ){فصلتْ : ٦-٧}

الخامس : صدقة الفطر ، كقوله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى){الأعلى : ١٤}

---

(١) جامع البيان ١١/٤١-٤٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/١٨٥

السادس : يزكون يعني يبرئون ، كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً){النساء : ٤٩}

السابع : أزكى يعني أحلَّ ، كقوله تعالى : (فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ){الكهف : ١٩}

الثامن : الصدقة ، كقوله تعالى : (وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا){مريم : ١٣}

التاسع : معنى النبوة ، والرسالة ، كقوله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لاهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا){مريم : ١٩} أي : لأهب لكِ رسولا نبيًّا

العاشر : معنى العبادة والدعوة ، كقوله تعالى : (وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا){مريم : ٣١}

الحادي عشر : معنى الاحتراز عن الفواحش ، كقوله تعالى : (وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا){النور : ٢١}

الثاني عشر : معنى الثناء والمدح ، كقوله تعالى : (فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى){النجم : ٣٢}

الثالث عشر : معنى النقاء والطهارة ، كقوله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا){الشمس : ٩}

الرابع عشر : معنى التوبة من دعوى الربوبية ، كقوله تعالى : (فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى){النازعات : ١٨}

الخامس عشر : معنى الأقرب إلى المصلحة ، كقوله تعالى : (هُوَ أَزْكَى لَكُمْ){النور : ٢٨}

السادس عشر : معنى الحسن واللطافة وذات جمال ، كقوله تعالى : (قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً){الكهف : ٧٤}

السابع عشر : معنى الإقبال على الخدمة ، كقوله تعالى : (وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ){فاطر : ١٨}[١]

قال الخليل : ((الزكوات جمع الزكاة ، والزكاة : زكاة المال ، وهو تطهيره٠٠٠والزكاة : الصلاح ، تقول : رجل زكي تقي ، ورجال أزكياء أتقياء ، وزكا الزرع يزكو زكاء : ازداد ونما، وكل شيء ازداد ونما فهو يزكو زكاء))[٢] قال ابن فارس : ((الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدلُّ على نماء وزيادة ، ويقال : الطهارة زكاة المال٠٠٠والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين ، وهما النماء والطهارة)) [٣] وقال الراغب : ((أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى٠٠٠يقال : زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة٠٠٠ومنه الزكاة لِما يُخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء ، وتسميته بذلك لِما يكون فيها من رجاء البركة ، أو لتزكية النفس ، أي : تنميتها بالخيرات والبركات))[٤] ((والزكاة في اللغة : النماء ، ومنه زكاة المال يزكو ، وقيل : الطهارة ، في الشرع : قدر مخصوص من مال مخصوص في زمن مخصوص ، وقيل : هو النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ، ولذلك سُمِّي المُخرَج زكاة ، وإن كان فيما يشاهد نقصًا ، لما ذكروا من أنَّه يبارك فيه ، ومنه قيل : الزكاة بركة المال ، أو لأنَّه تحصنه من الضياع ، ولذلك قيل : الزكاة حرز المال ، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية ، يقال : زكا الزرعُ : إذا حصل منه كثرة٠٠٠وقوله (وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا){مريم : ١٣} أي : بركة وتطهيرًا ، وقوله تعالى : (غُلامًا زَكِيًّا){مريم :

---

(١) وجوه القرآن ص ٢٣٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٤٩-٢٥٠ وبصائر ذوي التمييز ٣/١٣٤-١٣٥

(٢) العين ص ٣٩٣

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٨٦

(٤) المفردات ص ٢٢٠

١٩} أي : مباركًا مطهَّرًا٠٠٠قوله تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ)(المؤمنون : ٤) يجوز أن يريد شقيقة الصلاة أثنى عليهم بإخراجها ، كما أثني عليهم بإقامة شقيقتها ، ويجوز أن يريد الفاعلين ما يزكُون به أنفسهم٠٠٠وقوله : (قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً)(الكهف : ٧٤} وزاكية ، أي : طاهرة بريئة مما لا يوجب قتلها ، وقوله تعالى : (مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا)(النور : ٢١} أي : ما طهر ، وقوله تعالى : (وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)(مريم : ٣١} أي : العمل الصالح ، وقيل : الطهارة ، وقوله تعالى : (ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ)(البقرة : ٢٣٢} أي : أغنى بركة وأزيد)) [١]

عرَّف أهل اللغة ، كما تقدم ، الزكاة بأنَّها تعني : الزيادة ، والنماء ، والبركة ، والصلاح ، والطهارة ، والعمل الصالح ، وقد أرجع ابن فارس أصل كل معانيها إلى معنيي النماء والطهارة ، ولكن هذا لا يعني أنَّ كلًّا منهما أو جميعهما يعني الزكاة بعينها ؛ لأنَّ اللفظ ولا سيما اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلاَّ اللفظ نفسه ، فالنماء مثلًا غير الزكاة ، فنماء الشيء معناه ظاهر كقولك : نما الزرع : إذا كثر وطال ، ونمت الماشية : إذا كثرت بتناسلها ، وقولك : زكا المالُ ، أو زكَّى مالَه ، لا يفيد هذا النمو الظاهري ، بل ذكروا أنَّ المراد من زكاة المال البركة ، وقد تقدم قول الراغب ((يقال : زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة٠٠٠ومنه الزكاة لِما يُخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء ، وتسميته بذلك لِما يكون فيها من رجاء البركة ، أو لتزكية النفس ، أي : تنميتها بالخيرات والبركات))[٢] وكذلك الطهارة فإنَّها غير الزكاة ، والدليل على ذلك عطف الزكاة عليها في قوله تعالى :

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي ١٤٢/٢-١٤٤وينظر : لسان العرب ٤٥/٧-٤٦

(٢) المفردات ص ٢٢٠

(ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ){البقرة : ٢٣٢} والتفريق بينهما في التفسير ، قال الطبري : ((ويعني بقوله (أَزْكَى) أفضل وخير عند الله من فرقتهنَّ أزواجهنَّ ، وقد دللنا فيما مضى على معنى الزكاة ؛ فأغنى ذلك عن إعادته ، وأمَّا قوله (وَأَطْهَرُ) فإنَّه يعني بذلك : أطهر لقلوبكم ولقلوبهنَّ ، وقلوب أزواجهنَّ من الريبة ، وذلك أنَّهما إذا كان في نفس كلٍّ منهما ، أعني الزوج والمرأة ، علاقة حبٍّ ، لم يؤمن أن يتجاوزا ذلك إلى غير ما أحلَّه الله لهما ، ولم يؤمن من أوليائهما أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا منه بريئين)) [١] وقال ابن عطية : (((أَزْكَى) (وَأَطْهَرُ) معناه : أطيب للنفس ، وأطهر للعرض والدين)) [٢] وقوله تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا){التوبة : ١٠٣} ((قال ابن عباس : (تُطَهِّرُهُمْ) من الذنوب (وَتُزَكِّيهِم) : تصلحهم)) [٣] وإذا كان ابن فارس قد جعل الزكاة ترجع إلى معنيي النماء والطهارة ؛ فلأنَّه وجد هذين المعنيين أقرب المعاني إليها

وقد نبَّهتُ غير مرة أنَّ أهل اللغة حين يعرِّفون اللفظ يعرِّفونه بما يرادفه لا بما يطابقه ، وليس هذا راجعًا إلى جهلهم وعدم تعرفهم إلى اللفظ المطابق له في المعنى ، بل لعدم وجوده ؛ لذلك فهم لم يصرِّحوا ولم يؤكدوا أنَّ معاني تعريفاتهم للزكاة تعني الزكاة بعينها ، هذه الحقيقة يجب أن نسلم بها تسليمًا ، وقد جعل أهل الوجوه الزكاة بمعنى : النماء ، والصلاح والصيانة ، والحلال ، والاحتراز عن الفواحش ، والنقاء والطهارة ، كما جاء في الوجه الثاني ، والثالث ، والسابع ، والحادي عشر ، والثالث عشر ، هذه الوجوه جميعها معان مرادفة للزكاة ، أي : أنَها لا تعني الزكاة بعينها ، بل

---

(١) جامع البيان ٢/٥٨٥-٥٨٦

(٢) المحرر الوجيز ١/٣١٠

(٣) زاد المسير ٣/٣٧٥

المعنى القريب منها وجعل اللفظ بمعنى لفظ يرادفه على أنَّه يعنيه بعينه تحريف لدلالته ، لأنَّه لا تطابق بين المترادفات

جُعِلَتْ الزكاة في الوجه الأول بمعنى الزكاة المفروضة ، أو الزكاة الشرعية ، في قوله تعالى : (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ) صحَّ أنَّ المراد من الزكاة هنا الزكاة المفروضة إلاَّ أنَّها اسم منقول من الزكاة التي تعني النماء والطهارة ، وقد صرَّح أهل اللغة أنفسهم بذلك ، والتحريف الحاصل أنَّهم لمَّا جعلوا الزكاة بمعنى الزكاة المفروضة فهذا يعني أنَّهم سمَّوا الأول بالثاني ، أي : سمَّوا الأصل بالمنقول ، بينما الحقيقة على العكس من ذلك ، وهو تسمية المنقول بالأصل ، فحرَّفوا بقلب التسمية ، وقلبوا المعنى المراد ، وهذا هو حال كل اسم منقول جعلوه وجهًا .

وجُعِلَتْ في الوجه الرابع بمعنى : قول : لا إله إلّا الله ، أو بمعنى الإيمان والتوحيد ، في قوله تعالى : (وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) أو بمعنى الدعوة والعبادة ، كما جاء في الوجه العاشر ، وهذا الوجه من مرادفات الزكاة ، ومرادفاتها واحدة من حيث صحة جعل كلٍّ منها وجهًا لها ، لذلك جاز أن تجعل بمعنى مرادف آخر ، وقد تقدم قول الحلبي أنَّ الزكاة هنا بمعنى العمل الصالح أو الطهارة ، وقال الطبري : ((وقوله : (وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) يقول : وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة ، يعني المحافظة على حدودها ، يعني المحافظة على حدود الصلاة ، وإقامتها على ما فرضها عليَّ ، وفي الزكاة معنيان ، أحدهما : زكاة الأموال أن يؤديها ، والآخر : تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه : وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي)) [1] وقال ابن عطية : ((قيل : هما المشروعتان في البدن والمال ، وقيل زكاة الرؤوس في الفطر ، وقيل :

(١) جامع البيان ٩٦/١٦

الصلاة : الدعاء ، والزكاة : التطهير من كل عيب ونقص)) [١] وقال القرطبي : (((وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ) أي : لأؤديهما إذا أدركني التكليف)) [٢]

وجُعِلَتْ أيضًا بهذا المعنى في قوله تعالى : (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ {٦} الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالأخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) قال الطبري في تفسيره هذه الآية : ((اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : : معناه : الذي لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم وتزكي أبدانهم ، ولا يوحدونه٠٠٠وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذين لا يقرون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها ، ولا يعطونها أهلها٠٠٠والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله الذين قالوا : معناه : لا يؤدون زكاة أمواهم ، وذلك أنَّ ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة ، وأنَّ في قوله : (وَهُم بِالأخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) دليلاً على أنَّ ذلك كذلك ؛ لأنَّ الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلاَّ الله ، فلو كان قوله (الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) مرادًا به الذين لا يشهدون أن لا إله إلاَّ الله ، لم يكن لقوله (وَهُم بِالأخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) معنى ؛ لأنَّه معلوم أنَّ مَن لم يشهد أن لا إله إلاَّ الله ، لا يؤمن بالآخرة ، وفي اتباع قوله (وَهُم بِالأخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) قوله (الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ما ينبئ عن أنَّ الزكاة في هذا الموضع معنيٌّ بها زكاة الأموال)) [٣] وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) فيه خمسة أقول :

أحدها : لا يشهدون أن لا إله إلاَّ الله ، والمعنى : لا يطهِّرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد .

والثاني : لا يؤمنون بالزكاة ولا يقرّون بها

---

(١) المحر الوجيز ١٤/٤-١٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨٠/١١-٨١

(٣) جامع البيان ١٠٧/٢٤-١٠٨

والثالث : لا يزكّون أعمالهم

والرابع : لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعات

والخامس لا يعطون زكاة أموالهم)) [١]

فقد صُرِّح بأنَّ المراد من الزكاة في القول الثاني والثالث والخامس الزكاة بعينها ، وكذلك القول الأول ؛ لأنَّه جُعل بمعنى : لا يطهِّرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد ، والقول الرابع الذي : لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعات ؛ لأنَّه بمعنى : لا يُطَهِّرون أنفسهم بالتصدق والإنفاق في الطاعات ، فالمراد إذن من الزكاة في قوله تعالى : (وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ) وقوله تعالى : (الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) الزكاة المفروضة ، أو الزكاة بعينها ، وجعلها بمعنى قول : لا إله إلاَّ الله تحريف لدلالتها

وجُعِلَتْ في الوجه الخامس بمعنى صدقة الفطر ، في قوله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى) وهي الزكاة بعينها ؛ لأنَّها تعني زكاة الفطر ، قال ابن الجوزي : (((مَن تَزَكَّى) فيه خمسة أقوال :

أحدها : من تطهَّر من الشرك بالإيمان

والثاني : من أعطى صدقة الفطر

والثالث : من كان عمله زاكيًا

والرابع : أنَّها زكاة الأموال كلها

والخامس : تكثَّر بتقوى الله ، ومعنى الزاكي : النامي الكثير)) [٢]

فالمراد إذن من الزكاة الزكاة المفروضة ، او الزكاة بعينها التي هي بمعنى النماء والتطهر

وجعلوا الزكاة في الوجه السادس بمعنى التبرئة في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) أي :

---

(١) زاد المسير ٩١/٧

(٢) زاد المسير ٢٤٧/٨

تبرئة النفس من الذنوب ، وهذا هو معنى الزكاة بعينها ، وهذه الآية ((يدخل فيها كل من زكَّى نفسه ، ووصفها بزكاء العمل ، وزيادة الطاعة والتقوى)) [١]

وجعلوا الزكاة في الوجه الثامن بمعنى الصدقة ، في قوله تعالى : (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا {١٢} وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا) والزكاة المنقولة تسمَّى صدقة ، قال الطبري : ((وقوله (وَزَكَاةً) يقول تعالى ذكره : وآتينا يحيى الحكم صبيًّا وزكاة ، وهو الطهارة من الذنوب ، واستعمال بدنه في طاعة ربه ، فالزكاة عطف على الحكم من قوله : (وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ) وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل٠٠٠عن ابن جريج ، قوله (وَزَكَاةً) قال العمل الصالح الزكي٠٠٠عن الضحاك ، يقول : في قوله (وَزَكَاةً) يعني العمل الصالح الزكي٠٠٠عن ابن عباس (وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا) قال : طَهُرَ فلم يعمل بذنب٠٠٠قال ابن زيد في قوله (وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا) أمَّا الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس))[٢] ((والمعنى : فعلنا ذلك رحمة لأبويه ، وتزكية له))[٣] فالمراد من الزكاة الزكاة بعينها ، والمعنى كما هو ظاهر : وآتينا يحيى الحكم صبيًّا وآتيناه من لدنَّا حنانًا وطهارة من الذنوب وكان تقيًّا

وجُعِلَتْ في الوجه التاسع بمعنى النبوة ، والرسالة ، في قوله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لاهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا) أي : لأهب لكِ رسولا نبيًّا ، بل المراد من الزكاة الزكاة بعينها ، وقد تقدم قول الحلبي ((وقوله تعالى : (غُلامًا زَكِيًّا){مريم : ١٩} أي : مباركًا مطهَّرًا)) والمعنى : ((طاهرًا من الذنوب ، أو ناميًا على الخير والبركة)) [٤]

---

(١) مدارك التنزيل ص ٢٣٢

(٢) جامع البيان ٦٨/١٦-٦٩ وينظر : زاد المسير ١٥٨/٥

(٣) زاد المسير ١٥٨/٥

(٤) مدارك التنزيل ص ٦٧٠

وجُعِلَتْ في الوجه الثاني عشر بمعنى الثناء والمدح ، في قوله تعالى : (فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) بل أريد من الزكاة الزكاة بعينها ، ومعنى قوله : (فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ) ((فلا تنسبوها إلى زكاة العمل وزيادة الخير والطاعات ، أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصي)) [١]

وجُعِلَتْ في الوجه الرابع عشر بمعنى التوبة من دعوى الربوبية ، في قوله تعالى : (فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى) بل المراد من الزكاة الزكاة بعينها ، والمعنى : ((هل لك إلى أن تتطهَّر من الشرك والعصيان بالطاعة والإيمان))[٢]

وجُعِلَتْ في الوجه الخامس عشر بمعنى الأقرب إلى المصلحة ، في قوله تعالى : (هُوَ أَزْكَى لَكُمْ) و(أَزْكَى) اسم على وزن أفعل ، وهذه الصيغة تدلُّ على التفضيل ، فجعله بمعنى الأقرب هو معنى الصيغة لا معنى الزكاة ، فالمراد الزكاة بعينها ، وقوله تعالى : (أَزْكَى لَكُمْ) معناه ((الرجوع أطيب ، وأطهر لما فيه من سلامة الصدور، والبعد عن الريبة ، أو أنفع وأنمى خيرًا))[٣]

وجُعِلَتْ في الوجه السادس عشر بمعنى الحسن واللطافة وذات جمال ، في قوله تعالى : (قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً) بل المراد الزكاة بعينها ، ومعنى (((زَكِيَّةً) الطاهرة من الذنوب ، إمَّا لأنَّها عنده لم يرها قد أذنبت ، أو لأنَّها صغيرة لم تبلغ الحنث))[٤]

---

(١) مدارك التنزيل ص ١١٨١

(٢) مدارك التنزيل ص ١٣١٨

(٣) مدارك التنزيل ص ٧٧٦-٧٧٧

(٤) مدارك التنزيل ص ٦٥٩

وجُعِلَتْ في الوجه السابع عشر بمعنى الإقبال على الخدمة ، في قوله تعالى : (وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) بل المراد الزكاة بعينها ، ومعنى قوله (((وَمَن تَزَكَّى) تطهَّر بفعل الخيرات وترك المعاصي)) [١]

٣٤-الزوال : قال الحيري : ((الزوال على وجهين :

أحدهما : الحروب ، كقوله تعالى : (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ){إبراهيم : ٤٦}

الثاني : الميل عن أمكنتها ، كقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا){فاطر : ٤١}))[٢]

جعل الحيري الزوال بمعنى الحروب في قوله تعالى : (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) وهذا الوجه كما ترى يحتاج إلى إيضاح المقصود منه ، والمحقق لم يعلِّق عليه شيئًا .

وقال الدامغاني : ((تفسير الزوال على ستة أوجه : كنتم كذلك ، والسقوط ، والميل ، والخروج ، والانقطاع ، وخرَّ

فوجه منها : فما زلتم ، يعني : طالما كنتم كذلك ، قوله تعالى : (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ){غافر : ٣٤}

والوجه الثاني : الزوال ، هو السقوط ، قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا){فاطر : ٤١} وهو بمعنى الميل عند الحيري كما تقدَّم

والوجه الثالث : الزلل : الميل ، قوله تعالى : (فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يعني فإن ملتم عن شرائع دين محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) مدارك التنزيل ص ٩٧٦

(٢) وجوه القرآن ص ٢٣٧-٢٣٨

والوجه الرابع : الخروج من الطاعة ، قوله تعالى : (فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا){النحل : ٩٤} يعني : فيخرجون عن طاعة الله ، عزَّ وجلَّ ، كما تزلّ القدم عن موضعها

والوجه الخامس : الزوال : الانقطاع ، قوله تعالى : (أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ){إبراهيم ٤٤} انقطاع من الدنيا ولا بعث

الوجه السادس : زال يعني : خرَّ ، قوله تعالى : (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ){إبراهيم : ٤٦} يعني تخرُّ منه الجبال)) [١]

قال ابن فارس : ((الزاء والواو واللام أصل واحد يدلُّ على تنحي الشيء عن مكانه ، يقولون : زال الشيء زوالاً ، وزالت الشمس عن كبد السماء ، ويقال : أزلته عن المكان)) [٢] وقال الراغب : ((زال الشيءُ يزول زوالاً : فارق طريقته جانحًا عنه ، قال تعالى : (أَن تَزُولا){فاطر : ٤١} (وَلَئِن زَالَتَا){فاطر : ٤١} والزوال يقال في شيء قد كان ثابتًا قبلُ ، فإن قيل : قد قالوا زوال الشمس ، ومعلوم أن لا ثبات للشمس بوجه ، قيل : إنَّ ذلك لاعتقادهم في الظهيرة أنَّ لها ثباتًا في كبِد السماء ؛ ولهذا قالوا : قام قائمُ الظهيرة ، وسار النهارُ)) [٣]

جَعَلَ الدامغاني فما زلتم ، في الوجه الأول بمعنى طالما كنتم كذلك ، في قوله تعالى : (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ) وهذا الوجه ليس معنى الزوال بل معنى التركيب المؤلف من ما النافية وفعل الزوال

وجعلَ الزلل في الوجه الثالث بمعنى الميل في قوله تعالى : (فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٥٣-٢٥٤

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٩٣

(٣) المفردات ص ٢٢٥

وجعله في الوجه الرابع بمعنى الخروج عن الطاعة في قوله تعالى : (فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا) وهما وجهان للزلل وليسا للزوال ، فهما وجهان لجذر آخر مختلف ، فالزوال من زال يزول ، والزلل من زلَّ يزلّ ، ومن الهدم في لغة القرآن الكريم التوحيد والخلط بين معاني تراكيبها وجذورها المختلفة

وجعلَ الزوال بمعنى السقوط ، والانقطاع ، والخُرور ، وهذه ألفاظ مرادفة للزوال ، ومرادفاته تكون جميعها واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها لا يعني الزوال بعينه ، بل المعنى القريب منه ؛ ومن حيث جواز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ؛ لذلك جاز بالقدر نفسه أن يكون بمعنى مرادف آخر ، وهذا ما حصل ، فقد جعل الحيري الزوال في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) بمعنى الميل ، وجعله الدامغاني بمعنى السقوط .

والمترادفات وإن اتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها في معانيها الخاصة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم ، فقد جعلَ الزوال في الوجه الثاني بمعنى السقوط في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) وسقوط الشيء يعني وقوعه أو طرحه من مكان عالٍ ، كسقوط الإنسان من السطح ، قال تعالى : (وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاء سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ){الطور : ٤٤}[١]

وجعله في الوجه الخامس بمعنى الانقطاع ، في قوله تعالى : (أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ) ((والقطع يدلُّ على صرم ، وإبانة

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٤١٠ والمفردات ص ٤٢٥

شيء من شيء)) [1]((والقطع : فصل الشيء٠٠٠نحو قوله تعالى : (لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ){الأعراف : ١٢٤}))[2]

وبمعنى الخُرور في الوجه السادس في قوله تعالى : (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) والخرُّ ((هو اضطراب وسقوط مع صوت))[3] ((فمعنى خرَّ سقط سقوطًا يُسمَع منه خرير ، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علوٍّ ، وقوله تعالى : (وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا){يوسف : ١٠٠} فاستعمال الخر تنبيه على اجتماع أمرين : السقوط ، وحصول الصوت منهم بالتسبيح)) [4]

فزوال الشيء غير سقوطه ، وانقطاعه ، وخروره ، كما جاء في الأوجه الثلاثه ، فهو لا يعني وقوع الشيء أو طرحه من مكان عالٍ ، ولا يعني قطع شيء وفصله من شيء ، ولا يعني سقوط شيء من علوٍّ مع صوت ، يُسمَع منه خرير ، بل هو تنحِّي شيء عن مكانه ، فهو غيرها ، فجعل الزوال بمعانيها تحريف لدلالته

٣٥-الزيغ : ذكر الحيري والدامغاني للزيغ ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : الزيغ يعني الميل ، كقوله تعالى : (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا){آل عمران ٨} وقوله تعالى : (مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ){التوبة : ١١٧}

والوجه الثاني : الشخوص ، كقوله تعالى : (وَإِذْ زَاغَتْ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا){الأحزاب : ١٠}

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٧٧٩

(٢) ينظر : المفردات ص ٤٢٥

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٤٤

(٤) المفردات ص ١٥٠

الوجه الثالث : الضلال ، كقوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ){الصف : ٥} يعني : أضلَّ قلوبهم[١]

جعل الحيري والدامغاني الزيغ في الوجه الأول بمعنى الميل في قوله تعالى : (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) وقوله تعالى : (مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ) قال الخليل في الزيغ : ((الزيغ : المَيْلُ))[٢] وقال ابن فارس : ((الزاء والياء والغين أصل يدلُّ على ميل الشيء ، يقال : زاغ يزيغ زيغًا٠٠٠وزاغت الشمسُ ، وذلك إذا مالت وفاء الفيء ، وقال الله جل ثناؤه : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ){الصف : ٥}))[٣]وقال الراغب : ((الزيغ : الميل عن الاستقامة٠٠٠وزاغت الشمس وزاغ البصر ، قال الله تعالى : (وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ){الأحزاب : ١٠} يصحُّ أن يكون إشارة إلى ما يداخلهم من الخوف ، حتى أظلمت أبصارهم ، ويصح أن يكون إشارة إلى ما قال : (يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ){آل عمران : ١٣}٠٠٠وقال تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ){الصف : ٥} لمَّا فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك))[٤]

وقال الخليل في الميل : ((المَيْلُ مصدر مال يميل ، وهو مائل ، والمَيَل : مصدر الأميل ، مال يميل مَيَلاً ، وهو أمْيَل))[٥] وقال ابن فارس : ((الميم والياء واللام ، كلمة صحيحة تدلُّ على انحراف في الشي إلى جانب منه ، مال يميل ميْلاً ، فإن كان خلقة في الشيء فمَيَلٌ ، يقال : يميل

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٣٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ٢٥٣

(٢) العين ص ٤٠٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٩٤

(٤) المفردات ص ٢٢٤-٢٢٥ وينظر : عمدة الحفاظ ١٥٧/٢ وبصائر ذوي التمييز ١٥٤/٣

(٥) العين ص ٩٣١

مَيَلاً))[1] وقال الراغب : ((المَيْلُ : العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين ، ويستعمل في الجور[2] وإذا استعمل في الأجسام فإنَّه يقال فيما كان خلقة مَيَلٌ ، وفيما كان عَرَضًا مَيْلٌ ، يقال : ملتُ إلى فلان : إذا عاونتُه ، وملتُ عليه : تحاملتُ عليه ، والمال سُمِّي بذلك لكونه مائلاً أبدًا وزائلاً ، وعلى هذا دلَّ قول من قال : المال قَحْبَةٌ تكون يومًا في بيت عَطَّار ، ويوما في بيت بِيطار))[3]

والزيغ لا يعني الميل ، وإن قال بذلك أهل اللغة ، لأنَّ الزيغ في الحقيقة لا يعني الميل مجردًا ، بل يعني : الميل عن الحق ، فالميل معنى محايد ، لا يدلُّ بذاته على حق أو ضلال ، فقد تقدم تعريف ابن فارس له بأنَّه : ((كلمة صحيحة تدلُّ على انحراف في الشي إلى جانب منه)) وعرَّفه الراغب بأنَّه يعني : ((العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين)) وبتحديد اتجاه هذا الانحراف والعدول تتحدد دلالة الميل ، فيدلُّ على الضلال إن كان انحرافًا إلى الضلال وعدولاً عن الوسط إليه ، فتتعيَّن له هذه الدلالة بنوع حرف الجر الذي يتعدَّى إليه ونوع مجروره ، كقولك : مال إلى الكفر ، ومال عن الإيمان ، ويدلُّ على الحق إن كان انحرافًا إلى الحق وعدولاً عن الوسط إليه ، فتتعيَّن دلالته هذه أيضًا حسب حرف الجر ومجروره ، كقولك : مال إلى الحق ، ومال عن الالكفر ، وقد جاء في اللغة : ((مال عليه بالظلم ، ومال عن الحق)) [4] ((ومال عليَّ : ظلمني ، ومال إليه أحبَّه ، ومال به غلبه ، ومال النهار أو الليل : دنا من المضي))[5] وتقدم قول الراغب :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٤٩

(٢) لأنَّ الجور يعني ((المَيْل عن الطريق)) مقاييس اللغة ص ١٨٠

(٣) المفردات ص ٤٩٩

(٤) تاج العروس ٢٤٣/٣٠

(٥) تاج العروس ٢٤٦/٣٠

((يقال : ملتُ إلى فلان : إذا عاونتُه ، وملتُ عليه : تحاملتُ عليه))[١]ومن ذلك قوله تعالى : (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً){النساء : ١٠٢} والمعنى : ((فيحملون عليكم وأنتم مشاغيل بصلاتكم))[٢] وإذا جاء فعل الميل لازماً تحدد معناه حسب السياق وحسب الحرف المقدَّر ، كقوله تعالى : (وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا){النساء : ٢٧} قال الطبري : ((معنى ذلك : ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم٠٠٠أن تميلوا ميلاً عظيمًا عن الحق ، وعمَّا أذن الله لكم فيه ، فتجوروا عن طاعته إلى معصيته))[٣] فـ((قوله تعالى : (أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا) أي : عن الحق بالمعصية))[٤] وقوله تعالى : (وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ){النساء : ١٢٩} والمعنى : ((فلا تميلوا إلى التي تحبون في النفقة والقسم))[٥] أي : ((فلا يجوز لهم أن يميلوا عن إحداهنَّ إلى إلى الأخرى كلَّ الميل حتى يذروا الأخرى كالمُعلَّقة التي ليست ذات زوج ولا مطلقة ، تشبيهًا بالشيء الذي هو مُعلَّق غير مستقر على شيء))[٦] ولم يرد الميل في القرآن الكريم إلاَّ في هذه المواضع الثلاثة ، وورد بمعنى الميل عن الحق ، وجاز كما تقدم في اللغة أن يرد بمعنى الميل إلى الحق ، والميل عنه ، والميل إلى الضلال والميل عنه ، فالميل يكون في هذا وهذا ، والزيغ لا يكون إلاَّ ميلاً عن الحق ، قال العسكري في ((الفرق بين الزيغ والميل ، أنَّ

---

(١) المفردات ص ٤٩٩

(٢) جامع البيان ٣٠٢/٥

(٣) جامع البيان ٣٨/٥

(٤) زاد المسير ٣٩/٢

(٥) زاد المسير ١٣٢/٢

(٦) فتح القدير للشوكاني ٦٥٩/١

الزيغ مطلقًا لا يكون إلاَّ الميل عن الحق ، يقال : فلان من أهل الزيغ ، ويقال أيضًا : زاغ عن الحق ، ولا أعرف : زاغ عن الباطل ؛ لأنَّ الزيغ اسم لميل مكروه٠٠٠والميل عامٌّ في المحبوب والمكروه))[١] ولمَّا كان الزيغ اسمًا لميل مكروه فإنَّه يكون بمعنى الظلم وبمعنى الضلال ، وبمعنى الشك والريب ، وليس كذلك الميل ، جاء في التاج : ((والزيغ : الشك ، والجور عن الحق[٢] ومنه قوله تعالى : (فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ){آل عمران : ٧} وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : أخاف إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ ، أي : أجور ، وأعدل عن الحق ، وقال الراغب : الزيغ : الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين ، وزال ، ومال ، وزاغ ، متقاربة لكن زاغ لا يقال إلاَّ فيما كان عن حق إلى باطل))[٣] فالميل عن الحق ليس هو الزيغ بعينه ، بل هو القريب من معناه ، لذلك كما جاز أن يكون قوله تعالى : (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) بمعنى : لا تمل قلوبنا عن الحق[٤] جاز أن يكون بمعنى : لا تفسد قلوبنا[٥] وبمعنى : لا تضلُّها [٦]

من الحقائق التي يُقرُّ بها كلُّ أهل اللغة والتفسير ، وما هو حاصل في الواقع أنَّ اللفظ يُعرَّف ويُفسَّر بالقريب من معناه ، أي : يُعرَّف ويُفسَّر بما يرادفه ، لا بما يطابقه ، وهذا يعني أنَّ مَن عرَّف اللفظ وفسَّره بما يرادفه يكون قد أبقاه على معناه ، من دون أن يدَّعي أنَّه يعنيه بعينه ؛ لأنَّ اللفظ لا يطابق معناه إلاَّ اللفظ نفسه ، فأهل اللغة والتفسير حين يعرِّفون ويفسِّرون

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٣٩

(٢) هذا كلام الفيروزآبادي في قاموسه ، وينظر : بصائر ذوي التمييز ١٥٤/٣

(٣) تاج العروس ٢٦٣/٢٢

(٤) ينظر : جامع البيان للطبري ٢٠٧/٣

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/٤

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ٢٩/٣

الزيغ بمعنى ما يرادفه كالميل والعدول عن الحق ، أو عن القصد ، أو الضلال ، فهذا يعني أنَّهم قد أبقوا الزيغ على معناه من دون أن يدَّعوا أنَّ هذا الميل والعدول ، أو الضلال يعني الزيغ بعينه ، كما هو حاصل في كتب الوجوه ، وقد تبيَّن أنَّ الزيغ غير الميل عن الحق ، فجعله بمعناه على أنَّه يعنيه بعينه تحريف لدلالته

وجعل الحيري الزيغ في الوجه الثاني بمعنى الشخوص في قوله تعالى (وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ) ((شَخَصَ الرجلُ ببصره عند الموت يشخص شخوصًا رفعه فلم يطرِف (أي : فلم يغتمض) وشخوص البصر إرتفاع الأجفان إلى فوق ، وتحديد النظر وانزعاجه)) [١]جاء في تفسير قوله تعالى : (إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ){إبراهيم : ٤٢} وقوله تعالى : (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ){الأنبياء : ٩٧} والمعنى أنَّه يوم القيامة تشخص أبصار الذين كفروا لشدة الأهوال فلا تغتمض[٢]

فهذا هو شخوص البصر في كتب التفسير ، أمَّا زيغها ، فقد قال الواحدي في تفسير قوله تعالى : (وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ) ((مالت عن كلِّ شيء فلم تنظر إلاَّ إلى عدوِّها مقبلاً إليها من كلِّ جانب))[٣] فشخوص البصر يعني ارتفاع الأجفان ، وبقاءها على هذه الحال ، لا ترتد ولا تغتمض ، وهي حالة تصيب الكافرين يوم القيامة من هول ما يرون ، أمَّا زيغ البصر فيعني

---

(١) لسان العرب ٣٦/٨

(٢) ينظر :جامع البيان للطبري ٢٨٣/١٣ ، ٣٧٩ والمحرر الوجيز لابن عطية ١٠٠/٤ وزاد المسير ٢٨٢/٤

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٦١/٣ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٤/١٤وفتح القدير للشوكاني ٣٣١/٤

انحرافه عن القصد ، في حالة من حالات الخوف التي تصيب الناس في الدنيا ، فزيغ البصر غير شخوصه ، فجعله بمعناه تحريف لدلالته ،

وجعل الدامغاني الزيغ في الوجه الثالث بمعنى الضلال في قوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) يعني : أضل قلوبهم ، ووجه الضلال ، كوجه الميل مرادف للزيغ ، أي : كما جاز أن نجعل الزيغ هنا بمعنى الضلال ، والتقدير : أضلَّ الله قلوبهم ، جاز بالقدر نفسه ، جعله بمعنى الميل عن الحق ، والتقدير : أمال الله قلوبهم ، ذلك أنَّ مرادفات الزيغ تكون جميعها واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها لا يعني الزيغ بعينه ، بل المعنى القريب منه ؛ ومن حيث جواز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ؛ لذلك جاز بالقدر نفسه أن يكون بمعنى مرادف آخر

فلما كانت هذه هي الحقيقة يكون الدامغاني (ت : ٤٧٨هـ) قد تعمَّد تحريف دلالة الزيغ عندما جعله في الوجه الأول يعني الميل بعينه ، وعندما جعله في الوجه الثالث يعني الضلال بعينه ، وعلى سبيل القصر والقطع والتعيين ، وقد تقدم القول فيما يتعلق بالوجه الأول ، وأكبر دليل على هذا التعمد فيما يتعلق بالوجه الثالث كلام المفسرين قبله الذين تطرقوا إلى تفسير قوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) قال مقاتل (ت : ١٥٠هـ) : (((فَلَمَّا زَاغُوا) يقول : مالوا عن الحق وعدلوا عنه (أَزَاغَ اللَّهُ) يعني : أمال الله قلوبهم))[١] وقال أبو عبيدة (ت : ٢١١هـ) : (((زَاغُوا) عدلوا))[٢]يعني عدلوا عن الحق ، وقال الطبري (ت : ٣١٠هـ) : ((وقوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) يقول : : فلمَّا عدلوا وجاروا عن قصد السبيل (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) يقول : أمال الله قلوبهم عنه))[٣] وقال الزجاج (ت : ٣١١هـ) :

---

(١) تفسير مقاتل ٣/٣٥٥-٣٥٦

(٢) مجاز القرآن ص ٢٧٣

(٣) جامع البيان ٢٨/٩٨

(((فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أي : عدلوا عن الحق ، وانصرفوا عنه فأضلَّهم الله وصرف قلوبهم))[1] وقال النحاس (ت : ٣٣٨هـ) : (((فَلَمَّا زَاغُوا) أي : مالوا عن الحق (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) مجازاة على فعلهم ، وقيل : أزاغ الله قلوبهم عن الثواب))[2] وقال الواحدي (ت : ٤٦٨هـ) : ((وقوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا) قال مقاتل : عدلوا عن الحق (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أمالها عن الحق ، يعني : أنَّهم تركوا الحق بإيذاء نبيهم ، أمال الله قلوبهم عن الحق جزاء لما ارتكبوا))[3]

فها هم أهل التفسير قبله ، قد أبقوا الزيغ على معناه في قوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) عندما فسَّروه بما يرادفه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّهم لم يفسروه بمعنى الضلال ، بل فسَّروا (زَاغُوا) بمعنى الميل عن الحق والعدول عنه ، والجور عن قصد السبيل ، والانصراف عنه ، وفسَّروا (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) بمعنى : أمال الله قلوبهم عن الحق ، وأزاغ الله قلوبهم عن الثواب ، إلاَّ الزجاج جعله بمعنى : أضلهم الله وصرف قلوبهم عن الحق ، وقد أراد من ذلك كما هو واضح التفسير لا الوجه والتعيين ، أيعقل أنَّ الدامغاني لم يطلع على تفاسير مَن قبله ؟ أكان لا يدري ، لذلك لم يفد منها ، أكان يجهلها ؟ فإذا كان الأمر كذلك فكيف يوثق بكتب تتعلق بتفسير القرآن ، صنَّفها جهلة بالتفسير ؟! أم كان يدري ؟

٣٦-سار : قال الدامغاني : ((تفسير (سار وأسرى) على خمسة أوجه : الحفظ ، والإدلاج ، والسفر ، والمقبل ، والنهر الصغير :

فوجه منها سيَّر ، أي : حفظ ، قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ){يونس : ٢٢}

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٣٠/٥

(٢) إعراب القرآن ص ١١٤٦

(٣) الوسيط ٢٩٢/٤

والوجه الثاني : السير : الإدلاج ، قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى){الإسراء : ١}

والوجه الثالث : سار ، أي : سافر ، كقوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ){النمل : ٦٩} أي : سافروا في الأرض

والوجه الرابع : السير : المقيل والمبيت ، قوله تعالى : (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا){سبأ : ١٨}

والوجه الخامس : سريًّا يعني : النهر الصغير ، قوله تعالى : (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا){مريم : ٢٤}))[١]

قال ابن فارس : ((السين والياء والراء أصل يدلُّ على مضي وجريان ، يقال : سار يسير سيرًا ، وذلك يكون ليلاً ونهارًا ، والسيرة : الطريقة في الشيء والسُّنَّة ؛ لأنَّها تسير وتجري))[٢] وقال الراغب : ((السير : المضيّ في الأرض ، ورجل سائر ، وسيَّار ، والسيَّارة : الجماعة ، يقال : سرتُ ، وسرتُ بفلان ، وسرته أيضًا ، وسيَّرته على التكثير)) [٣]

جَعَلَ الدامغاني السير في الوجه الثاني بمعنى الإدلاج ، أي : بمعنى السير ليلاً في قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى) وجعل (سَرِيًّا) في الوجه الخامس بمعنى النهر الصغير في قوله تعالى : (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) و(أَسْرَى) و(سَرِيًّا) ليسا من جذر السير ، بل هما من جذر آخر مختلف ، فهما من السَّرى ، أو السرو[٤] فيجب إخراجهما من أوجه السير وسار .

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٧٨-٢٧٩

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٢٤

(٣) المفردات ص ٢٥٥

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٤٣٧ ولسان العرب ١٧٧/٧-١٧٩

وجعل سيَّر في الوجه الأول بمعنى حفظ ، في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) والحفظ ليس مرادفًا للسير قريبًا من معناه ، بل هو معنى يختلف عنه ، ومن الحقائق التي لم أكن قد نوَّهتُ بها من قبل ، أو بسطت الكلام فيها أنَّ الوجه المنسوب إلى اللفظ إمَّا أن يكون مرادفًا لمعنى اللفظ أو مخالفًا له ، فإن كان مخالفًا فالتحريف ظاهر إلاَّ إذا كان اللفظ من مشترك الألفاظ ، والسير ليس من الألفاظ المشتركة ؛ وليس الحفظ وجهًا له ، وأكبر دليل على ذلك كتب اللغة ، فإنِّي لم أجد في قديمها ولا حديثها مَن ذكر أنَّ من معاني السير الحفظ ، وكذلك كتب التفسير لم أجد فيها من فسَّر السير بمعنى الحفظ في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) بل أبقوه على بابه ، والفرق ظاهر بين السير والحفظ ، فجعله بمعناه تحريف ظاهر .

والحفظ إذا جاز أن ندخله في تفسير الآية ، فلا يكون معنى للسير ، بل معنى لحالته ، فالفرق كبير بين أن نجعل السير بمعنى الحفظ ، والتقدير : هو الذي يحفظكم في البر والبحر ، وبين أن نجعله بمعنى حالته ، والتقدير : هو الذي يسيركم في الليل والنهار وأنتم آمنون .

وجعل السير في الوجه الثالث بمعنى السفر في قوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ){النمل : ٦٩} أي : سافروا في الأرض ، والسفر غير السير ، وإن كان مرادفًا قريبًا من معناه ، والدليل الأول على ذلك أنَّه لا يصحَّ أن يقع موقعه في كل موضع ، والدليل الثاني أنَّ أهل اللغة فرَّقوا بينهما في التعريف ، فقد تقدم تعريفهم للسير بأنَّه يعني المضي في الأرض والجريان فيها ، أمَّا السفر فقد قال ابن فارس : ((السين والفاء والراء أصل واحد يدل على الانكشاف والجلاء ، من ذلك السَّفَر سُمِّي بذلك ؛ لأنَّ الناس ينكشفون عن أماكنهم))[1] وقال الراغب :

([1]) مقاييس اللغة ص ٤٠٩ .

((وسافر خُصَّ بالمفاعلة اعتبارًا بأنَّ الإنسان قد سفَر عن المكان ، والمكان سفَر عنه))[1] وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا){سبأ : ١٩} الأسفار جمع سفر ، والسفر : الرحيل من مكان إلى مكان ، وأصله الكشف ؛ لأنَّه يُسْفِر عن أخلاق))[2]

والدليل الثالث أنَّي لم أجد في كتب اللغة قديمها وحديثها من ذكر أنَّ من معاني السير السفر .

والدليل الرابع : أنِّي لم أجد في كتب التفسير من فسَّر السير بمعنى السفر في قوله تعالى (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ) وجعله بتقدير : سافروا في الأرض) فالسير غير السفر وجعله بمعناه تحريف لدلالته .

وجعل السير في الوجه الرابع بمعنى المقيل والمبيت ، في قوله تعالى : (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) لم أجد في كتب اللغة من أولها إلى آخرها من ذكر أنَّ السير قد يرد بمعنى المقيل والمبيت ، وكذلك لم أجد في كتب التفسير من فسَّر السير بمعنى المبيت والمقيل في قوله تعالى: (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) ولكن ذكر بعضهم أنَّ سفرهم كان يمتدّ إلى أربعة أشهر ، وأنَّهم خلال سفرهم يبيتون ليلهم في قرية ، ويقيلون ساعة من نهارهم في أخرى ، من القرى التي يمرون بها[3] وهذا أمر بديهي أنَّ الإنسان في كل زمان ينام ويقيل في أثناء سفره وسيره إذا طال ، فإذا جعلنا السير الطويل بمعنى ما يقوم به السائر والمسافر ، لجعلنا السير مثلاً بمعنى الغداء والعشاء ؛ لأنَّه لا يخلو سائر في الأرض من أن يأكل في كل يوم وليلة غداءة في بلد ، وعشاءه في بلد آخر ، قال الطبري : ((وقوله (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا بين قراهم

([1]) المفردات ص ٢٤١ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٠١/٢-٢٠٢ .

([2]) عمدة الحفاظ ٢٠١/٢ .

([3]) ينظر : زاد المسير ٢٤٠/٦-٢٤١ ومدارك التنزيل ص ٩٦٠

والقرى التي باركنا فيها سيرًا مقدَّرًا من منزل إلى منزل ، وقرية إلى قرية ، لا ينزلون إلاَّ في قرية ، ولا يغدون إلاَّ من قرية ، وقوله (سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) يقول : وقلنا لهم سيروا في هذه الأرض ما بين قراكم ، والقرى التي باركنا فيها ليالي وأيَّامًا آمنين ، لا تخافون جوعًا ولا عطشًا ، ولا من أحد ظلمًا ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل))[١]

فالفرق بين السير ، وبين المبيت والمقيل ، ظاهر للعيان لغة وتفسيرًا ، فجعله بمعناهما تحريف ظاهر في اللغة والتفسير .

٣٧-**السربال** : قال الدامغاني : ((تفسير سرابيل على وجهين : الدروع ، والقميص .

فوجه منهما ، سرابيل ، يعني : دروع ، قوله سبحانه في سورة النحل : (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ){النحل : ٨١} يعني : الدروع .

والوجه الثاني ، السرابيل : القمص ، فذلك قوله تعلى في سورة إبراهيم : (سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ){إبراهيم : ٥٠} يعني : قمصهم من قطران ، وهي نار سود)) [٢] ومثل هذا قال ابن الجوزي[٣]

قال ابن فارس : ((والسربال : القميص)) [٤] وقال الراغب : ((السربال : القميص من أي جنس كان))[٥] وقال ابن الجوزي : ((وقال شيخنا علي بن عبيد الله : السربال : اسم للثوب الذي يتغشَّى به اللابس ، كالقميص وما يجري مجراه ، ثم استعير في كل شيء يحيط بالإنسان من

---

(١) جامع البيان ١٠٢/٢٢ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٧٤-٢٧٥ .

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ١٥١ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٤٣٩ .

(٥) المفردات ص ٢٣٧ .

الملابس ، ثم استعير في كل ما يجري مجرى المحيط على البدن من نعمة وعذاب)) [1] والدرع لبوس الحديد ، أي : درع الحديد ، ودرع المرأة قميصها ، وهو أيضًا الثوب الصغير تلبسه الجارية في بيتها ، والقميص : ثوب مخيط يُلبس تحت الثياب ، ولا يكون إلّا من قطن أو كتان ، والسربال : القميص والدرع ، وكل ما لُبِس فهو سربال [2]

فإذا كانت السرابيل والدروع والقُمص ألفاظ مترادفة صح أن تقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها فلِمَ نجعلها على هذين الوجهين ؟ ولأنَّ السربال يعني كل ما لُبِس فرَّق بين السرابيل الأولى والثانية في شاهد الوجه الأول بوصف الأولى بـ(تَقِيكُمُ الْحَرَّ) ووصف الثانية بـ(تَقِيكُم بَأْسَكُمْ) فعُلِم أنَّه أريد من الثانية السرابيل المصنوعة من حديد ، أي : عُلِم ذلك من الصفة لا من الموصوف ،

والظاهر من السربال أنَّه يمثل من الألبسة أوسعها وأطولها ، وهو ظاهر من صيغته المؤلفة من خمسة أحرف والممتدة بالألف ؛ لذلك جُعِل لباس أهل النار في شاهد الوجه الثاني ، فلم يقل : قمصهم من قطران ، أو دروعهم من قطران ، بل قال سبحانه : ((سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ) للتعبير عن أنَّه لباس قد اشتمل عليهم طولًا وعرضًا ، فلو أبقينا السرابيل على معناها في شاهدي الوجهين المذكورين أيختلُّ شيء من معنييهما ؟ بل أليس معناها هو المعنى المراد من دون معنى القمص والدروع ، فإذا كان الأمر كذلك فما المسوغ لجعل السرابيل على الوجهين المذكورين ؟ فهل يشك أحد أنَّه لم يكن ثمة مسوغ وداع إلى ذلك سوى اختلاق الأوجه ؟!

٣٨-**الصغير**: قال الدامغاني : ((تفسير الصغير على ثلاثة أوجه :

([1]) نزهة الأعين ص ١٥١ .

([2]) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٨٨ ، ٧٥١ ولسان العرب ٢٤٦/٥ ، ١٦٢/٧ وتاج العروس ٦٧/١٨ ، ١١٣/٢٩

فوجه منها الصغير يعني الخفيف ، قوله تعالى : (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ){يونس : ٦١} يعني : ولا أخفّ ، مثلها في سورة سبأ ٣

والوجه الثاني : الصغير : القليل ، قوله تعالى : (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا){الكهف : ٤٩} يعني قليلة ولا كثيرة قوله تعالى : (وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا){البقرة : ٢٨٢} يعني : قليلاً أو كثيرًا

والوجه الثالث : الصَّغار : الذلُّ والهوان قوله تعالى : (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ){الأنعام: ١٢٤}))[١]

الصَّغَرُ ضدّ الكِبْر ، وصَغِرَ صَغِرًا ، ومنه الصغير خلاف الكبير ، والصاغر : الراضي بالضيم صُغْرًا وصَغارًا [٢]وصَغُرَ صَغَرًا وصَغارًا في الذلة ، والصاغر : الراضي بالمنزلة الدنيَّة[٣]

والصَّغار في الوجه الثالث ليس وجهًا للصغير ؛ لأنَّه من صَغُرَ صَغَرًا وصَغارًا ، خلاف المتكبِّر ، وليس من صَغِرَ صَغِرًا ومنه الصغير الذي هو خلاف الكبير

فمعنى الصغير ما تقدم ذكره ، والخفيف ضدّ الثقيل[٤]والقليل ضدّ الكثير ، ويستعملان في الأعداد[٥] فإذا كان لكلٍّ من الصغير ، والخفيف ،

---

(١) الوجوه والنظائر ص٣٠٣

(٢) ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس ص ٤٨٦

(٣) ينظر : المفردات للراغب ص ٢٩٢

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٤٦ والمفردات ص ١٥٨

(٥) ينظر : المفردات ص ٤٢٧

والقليل ، معناه الخاصّ به ، فما الداعي وما المسوغ إلى جعل الصغير في الوجه الأول بمعنى الخفيف ، وجعله في الوجه الثاني بمعنى القليل ؟! فعند جعله بمعنى الخفيف في مواضع ، وبمعنى القليل في مواضع أخرى ، فهذا يعني سلخه من معناه ، وإلغاء دلالته ، وليس ثمَّة هدم للمفردة القرآنية أكبر من هدم إفراغها من محتواها

٣٩-العدل : ذكر أهل الوجوه أنَّ العدل في القرآن على عشرة وجوه :

١-المثل أو القيمة ، كقوله تعالى : (أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا){المائدة : ٩٥}

٢-الفدية أو الفداء ، كقوله تعالى : (وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ){البقرة : ٤٨} أي : فدية ، وهو ما يكون بدل الشيء

٣-خلاف الجور ، كقوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ){النحل : ٩٠} هذا قول العسكري وجعله الدامغاني بمعنى شهادة أن لا إله إلّا الله ، وجعله ابن الجوزي بمعنى التوحيد .

٤-الإنصاف ، كقوله تعالى : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ){النساء : ٣}

٥-الإشراك بالله ، كقوله تعالى : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١}

٦-بلا زيادة ولا نقصان ، كقوله تعالى : (وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ){البقرة : ٢٨٢}

٧-الميل ، كقوله تعالى : (فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ){النساء : ١٣٥}

٨-القصد ، كقوله تعالى : (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى){المائدة : ٨}

٩-العدالة ، كقوله تعالى : (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ){المائدة : ٩٥}

١٠-الصدق ، كقوله تعالى : (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ){الأنعام : ١٥٢}[١]

والعدل في الوجه السابع جاء من قولك : عدل عن الحق عدولًا : مال عنه[٢]

قال العسكري نفسه : ((أصل العدل : الاستقامة ، عدلَ الرجل : إذا استقام حكمه ، وقيل العِدلان ؛ لأنَّ كل واحد منهما يستقيم بالآخر ، والعدل : المثل ، كأنَّ المثلين يستقيمان في الشبه والصفة ، والعدل لا يستعمل إلّا في المدح ؛ لأنَّ رجلًا لو سوَّى بين رجلين في الظلم لم يُقل أنَّه عدل ، أو هو عادل ، وإذا قسَّم رئيس القوم السرقة بينهم بالتسوية لم يُقل أنَّه عدل ، وسُمِّي الله عدلًا من أجل أنَّ أفعاله تقع على طريقة مستقيمة ، والعدل : الفدية يرجع إلى ذلك ... قال الله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ){النحل : ٩٠} والإحسان داخل في العدل ، والعدل داخل في الإحسان ، ومع هذا فإنَّ الفرق بينهما معروف ، وقد يُعطَف الشيء على الشيء ، وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف الآخر ، فإذا أريد بالثاني ما أريد بالأول ، فعطف أحدهما على الآخر خطأ ، لا تقل : جاءني زيد وأبو عبد الله ، إذا كان زيد هو أبا عبد الله ، ولكن مثل قوله :

أمرتُك الخير فافعل ما أمرتك به فقد تركتُك ذا مال وذا نَشَبِ

لأنَّ المال إذا لم يفد فإنَّما يعني به الماشية أو الصامت ، والنشب : ما نشب من العقارات ، وكذلك قول الحطيئة :

وهند أتى من دونها النأي والبعد

([١]) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٤٦-٢٤٧ ووجوه القرآن للحيري ص ٣١٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٤٢-٣٤٣ ونزهة الأعين ص ٢٠٣-٢٠٤ .

([٢]) ينظر : المفردات للراغب ص ٣٣٨ والدر المصون ١١٧/٤.

فالنأي : لِما ذهب عنك إلى حيث بلغ ، وأدنى ذلك يقال له نائي ، والبعد تحقيق الخروج والذهاب إلى الموضع السحيق ، والتقدير : إنِّي من دونها النأي الذي هو أول البُعْد ، والبعد الذي هو الغاية)) [1]

فالألفاظ المترادفة وإن اتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها بمعانيها الخاصة ، ومراعاة هذه الفروق الخاصة مهما دقَّت ، هو الذي سوَّغ عطف بعضها على بعض .

وقال ابن فارس : ((العَدل من الناس المرضي المستوي الطريقة ... والعَدل : الحكم بالاستواء ، ويقال لشيء يساوي الشيء : هو عِدله ، وعدلتُ بفلان فلانًا ، وهو يعادله ، والمشرك يعدل بربه ، تعالى عن قولهم علُوًّا كبيرا ، كأنَّه يُسوِّي به غيره ، ومن الباب : العِدلان : حِمْلا الدابة ، سميا بذلك لتساويهما ، والعديل : الذي يعادلك في المَحْمِل ، والعدل : قيمة الشيء وفداؤه ، قال تعالى : (وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ){البقرة : ١٢٣} أي : فدية وكل ذلك من المعادلة ، وهي المساواة ، والعدل : نقيض الجور، تقول : عدَلَ في رعيته)) [2]

وقال الراغب : ((قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ){النحل : ٩٠} فإنَّ العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشرٌّ ، والإحسان أن يقابَل الخير بأكثر منه ، والشرّ بأقل منه ... وقوله تعالى : (أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا){المائدة : ٩٥} أي : ما يعادل من الصيام الطعام ، فيقال للغذاء عَدْل إذا اعتُبِر فيه معنى المساواة ، وقولهم : لا يُقبَل منه صرف ولا عَدْل ، فالعدل قيل هو كناية عن الفريضة وحقيقته ما تقدم ، والصرف : النافلة وهو الزيادة على ذلك ، فهما كالعدل والإحسان ...وقوله تعالى : (بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١} أي : يجعلون له

([1]) الوجوه والنظائر ص ٢٤٦-٢٤٧ .

([2]) مقاييس اللغة ص ٦٤٦ .

عديلًا ، فصار كقوله تعالى : (هُم بِهِ مُشْرِكُونَ){النحل : ١٠٠}))[١] وقال ابن الجوزي : ((العدل : الحق والإنصاف)) [٢]

تبيَّن من كلام أهل اللغة وأهل الوجوه أنفسهم أنَّ المثل أو القيمة ، والفدية أو الفداء ، وما كان خلاف الجور ، والإنصاف ، وبلا زيادة ولا نقصان ، والميل عن الحق ، والفصد ، والعدالة ، والصدق ، والإشراك الذي جاء من جعل غير الله معادلًا لله ، هذه المعاني العشرة التي جُعِلَتْ أوجهًا للعدل جميعها قريبة من معناه ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، وقد اختلقها أهل الوجوه لجواز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ، وهي وإن اتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها في معانيها الخاصة ، حتى جاز أن يُعطَف بعضها على بعض ، كما بيَّن ذلك العسكري نفسه ، وهذه المعاني الخاصة هي المقصودة في القرآن الكريم ، فجعلها بمعنى العدل بعينه في باب الوجوه يُعدُّ تحريفًا لدلالة العدل في كل شاهد من شواهد الأوجه المنسوبة إليه

٤٠-**العرض** : ورد العرض في اللغة على خمس صيغ :

الأولى : العَرْض (بفتح العين وسكون الراء) قال ابن فارس : العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه ، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد ، وهو العرض الذي يخالف الطول)) [٣] وأعرضت المرأة أولادها : ولدتهم عِراضًا ، كما يقال : أطالت في الطول ، ومن الباب : عرض المتاعَ يعرضه عَرضًا ، وهو كأنَّه قد أراه عَرْضَه ، ومن ذلك عَرَضَ الجُندَ : أن تُمِرَّهم عليك ، وذلك كأنَّك نظرتَ إلى العارض من حالهم ، وعرضوهم على السيف عَرْضًا ، كأنَّ السيفَ أخذَ عَرْضَ القوم ، فلم يَفُتْه أحد ، وما عَرَضْتُ لفلان

([١]) المفردات ص ٣٣٧-٣٣٨.

([٢]) نزهة الأعين ص ٢٠٣ .

([٣]) مقاييس اللغة ص ٦٥٤ .

ولا تَعرِض له ، وذلك بأن تجعل عَرْضَك بإزاء عَرْضِه ، وعرضَ الفرسُ في عَدْوِه عَرْضًا ، كأنَّه يُري الناظرَ عَرْضَه ويقال : عَرَض فلان من سلعته : إذا عارض بها ، أعطى واحدة وأخذ أخرى وأعرضتُ عن فلان ، وأعرضتُ عن هذا الأمر ، وأعرض بوجهه ؛ لأنَّه إذا كان كذا ولّاه عرضه ، ويقال : أعرض لك الشيءُ من بعيد ، فهو مُعرِض ، وذلك إذا ظهر لك وبدا ، والمعنى : أنَّك رأيتَ عَرْضَه ... وتقول : عارضتُ فلانًا في السير : إذا سِرْتَ حِياله ، وعارضته مثل ما صنع : إذا أتى إليه مثلَ ما أتى إليك ، ومنه اشتقت المعارضة ، ومن الباب معاريض الكلام ، وذلك أن يخرج في مِعْرَض غير لفظه الظاهر له ، فُيُجعَل هذا المِعْرَض له كمِعْرَض الجارية ، وهو لباسها الذي تُعْرَض فيه ، وذلك مشتق من العَرْض ، ومن الباب العَرْضُ : الجيش العظيم ، وهذا على معنى التشبيه بالعَرْض من السحاب ، وهو ما سدَّ بعرضه الأفق .

والعَرْض الذي هو خلاف الطول أصله أن يقال في الأجسام ثم يُستعمل في غيرها ، كما قال تعالى : (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ)[فصلت : ٥١] قيل معناه : ذو دعاء واسع أو كثير أو طويل والعَرْض خُصَّ بالجانب ، وعرَضَ الشيءُ بدا عَرْضُه ، وعرضتُ الشيء على البيع وعلى فلان ولفلان ، نحو قوله تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ)[البقرة : ٣١] وقوله تعالى : (وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا)[الكهف : ٤٨] وقوله تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الأنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)[الأحزاب : ٧٢] وقوله تعالى : (عَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا)[الكهف : ١٠٠] وتعرَّص فلان لكذا صار عُرْضة وهدفًا له ، وقوله تعالى : (قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا)[الأحقالف : ٢٤] والعارض من كل شيء ما يستقبلك ، كالعارض من السحاب .

الثانية : العِرْض (بكسر العين وسكون الراء) عِرِضَ الإنسان ، قيل قال قوم : هو حَسَبُه ، وقال آخرون : نَفسه ، وقال آخرون جسده ، ومنه الحديث في صفة أهل الجنة : إنَّما هو عَرَق يجري من أعراضهم ، أي : من أجسادهم ، ويقال : فلان نقيُّ العِرْض ، أي : بريء من أن يُشْتَم ويعاب ، والعِرْض : ما يفتخر به الإنسان من حَسَب وشرف ، وبه فُسِّر الحديث : كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعِرْضه ، ويقال : لا تعرض عِرْض فلان : أي : لا تذكره بسوء

الثالثة : العُرْض (بضم العين وسكون الراء) عُرْض الحائط ، وعُرْض المال ، وعُرض النهر ، ويراد به وسطه ، ومن روى عَرْض النهر : أراد سعته ، الذي هو خلاف الطول ، يقال : جرى في عُرْض الحديث ، ودخل في عُرْض الناس ، أي : وسطهم ، وكلما رأيت في الشعر عن عُرْض فاعلم أنَّه عن جانب ؛ لأنَّ العرب تقول : نظرتُ إليه عن عُرْض ، أي : ناحية

الرابعة : العَرَض (بفتح العين والراء) والعَرَض من أحداث الدهر ، كالموت والمرض ونحوه ، سُمّي عَرَضًا ؛ لأنَّه يعترض ، أي : يأخذه فيما عَرَض من جسده ، والعَرَض : حطام الدنيا ، والعَرَض : طمع الدنيا قليلًا كان أو كثيرًا ، وسُمِّي به ؛ لأنَّه يُعرض ، أي : يريك عُرْضه ، ويقال : الدنيا عَرَض حاضر ، يأخذ منه البِرُّ والفاجر ، والعَرَض أن يصيب الشيء على غرة ، ومنه : أصابه سهم عَرَض وحجر عَرَض

الخامسة : عرَّض (بفتح العين وتضعيف الراء) والتعريض كلام له وجهان من صدق وكذب أو ظاهر وباطن قال تعالى : (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء)[البقرة : ٢٣٥] قيل هو أن يقول لها : أنتِ جميلة ومرغوب فيك ونحو ذلك [١]

قال العسكري : ((العرض : أصله الظهور ، ومنه عرضتُ عليه الشيء : إذا أظهرته ، والعرض في القرآن الكريم على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الكثرة ، قال تعالى : (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ)[فصلت : ٥١] أي كثير ، ولم يقل : طويل ، لأنَّ العرض أدل على الطول والتمام .

الثاني : التهيئة ، قال تعالى : (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا)[الكهف : ١٠٠] أي : فهيأناها ، ويجوز أن يكون المراد : إنَّا أظهرناها لهم

الثالث : بمعنى الجمع ، قال الله تعالى : (وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا)[الكهف : ٤٨] أي : جمعوا للحساب بحيث أمر الله ، وقيل معناه : أنَّهم ظاهرون لله يرى أحدهم كما يرى جماعتهم ، وأصل العرض الظهور على ما ذكرنا ، وليس المعنى أنَّهم كانوا مستورين عن الله فظهروا له ، ولكن المعنى أنَّهم ظهروا من قبورهم لأمر الله ، فعبَّر عن هذا المعنى بلفظ العرض عليه لما في ذلك من التفخيم لشأن الحساب ، والوقوف في مواقفه ، وهو من قول الناس : عرض فلان على الأمير .

الرابع ، قوله تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)[الأحزاب : ٧٢] وهو لفظ مجاز والكلام فيه كثير .

الخامس : السعة ، قال تعالى : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ)[الحديد : ٢١] أي : سعتها كسعتها)) [١]

([١]) ينظر : العين ص ٦٢٠-٦٢٣ ومقاييس اللغة ص ٦٥٤-٦٥٨ والمفردات للراغب ص ٣٤٢-٣٤٣ وتاج العروس ١٨/٢٠٨-٢٣١ .

وذكر الدامغاني هذه الأوجه نفسها بشواهدها إلّا أنَّه جعل شاهد الوجه الثاني بمعنى الكشف لا بمعنى التهيئة ، وجعل شاهد الوجه الثالث بمعنى السوق لا بمعنى الجمع ، وجعل شاهد الوجه الرابع بمعنى : أظهرنا وأضاف :

السادس : العَرَض (بفتح العين والراء) بمعنى الغنيمة ، كقوله تعالى : (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا){التوبة : ٤٢} يعني غنيمة قريبة

السابع : العَرَض (بفتح العين والراء) يعني العارض الذي لا يبقى ، كقوله تعالى : (قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا){الأحقالف : ٢٤} وقوله تعالى : (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا){الأنفال : ٦٧}

الثامن ، العُرْضة : العلة ، كقوله تعالى : (وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لأيْمَانِكُمْ){البقرة : ٢٢٤} يعني : علة لأيمانكم[٢] ومن الأوجه التي ذكرها الحيري للعرض

التاسع : ((الكنوز ، كقوله تعالى : (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا){الكهف : ١٠٠}[٣]

ولم يشر أهل التفسير إلى هذا الوجه ، ولم يتبيَّن لي علاقة الكنوز بمعنى العرض في الشاهد القرآني .

صرَّح العسكري أنَّ الوجه الرابع مجاز ، والمجاز يدخل في باب المجاز لا في باب الوجوه ، والتهيئة ، والجمع ، كما جاء في الوجه الثاني والثالث قريبان من معنى العرض ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والألفاظ المرادفة للفظ تكون واحدة من حيث إنَّه ليس أحدها أولى وأحق من غيره في أن يكون هو المعنى المراد ؛

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٣٣٩ .

(٣) وجوه القرآن للحيري ص ٣٠٩

لأنَّها جميعها لا تمثل معنى اللفظ بعينه بل المعنى القريب منه ، وهذا هو حال المعاني المرادفة للفظ فجميعها معان محتملة له وقربها منه واحد ، لذلك وجدنا العسكري الذي جعل شاهد الوجه الثاني بمعنى التهيئة جعله الدامغاني بمعنى الكشف ، وشاهد الوجه الثالث الذي جعله العسكري بمعنى الجمع ، جعله الدامغاني بمعنى السوق ، بل مثل هذا ما حصل في كلام العسكري فقد جعل كما تقدم شاهد الوجه الثاني بمعنى التهيئة في قوله تعالى : (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا)(الكهف : ١٠٠} إلّا أنَّه قال : ((ويجوز أن يكون المراد : إنَّا أظهرناها لهم)) ، وجعل العرض في الوجه الثالث بمعنى الجمع في قوله تعالى : (وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا)(الكهف : ٤٨} إلّا أنَّه قال : ((وقيل معناه : أنَّهم ظاهرون لله يرى أحدهم كما يرى جماعتهم ، وأصل العرض الظهور على ما ذكرنا ، وليس المعنى أنَّهم كانوا مستورين عن الله فظهروا له ، ولكن المعنى أنَّهم ظهروا من قبورهم لأمر الله ، فعبَّر عن هذا المعنى بلفظ العرض عليه لِما في ذلك من التفخيم لشأن الحساب ، والوقوف في مواقفه ، وهو من قول الناس : عرض فلان على الأمير)) يا سبحان الله ، فالعسكري بعد أن عيَّن جعل العرض بمعنى الجمع ؛ لأنَّ هذا ما يوجبه باب الوجوه أجاز أن يكون العرض بمعنى مرادف آخر ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل أكَّد أنَّ هذين المرادفين غير مرادين ، وأنَّه سبحانه ما أراد معنى أحدهما بل أراد معنى العرض بعينه ، وعلل ذلك بقوله المذكور : ((فعبَّر عن هذا المعنى بلفظ العرض عليه لما في ذلك من التفخيم لشأن الحساب ، والوقوف في مواقفه ، وهو من قول الناس : عرض فلان على الأمير))

وجعل العسكري العرض في الوجه الأول بمعنى الكثرة في قوله تعالى : (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ) والكثرة لا تعني العرض بعينه بل المعنى القريب منه ، لذلك جاز أن يكون بمعنى مرادف آخر، ((قيل

معناه : ذو دعاء واسع))[1]والعريض هنا هو العريض بعينه الذي يعني خلاف الطول ، واستُعمل في الآية مجازًا قال ابن قتيبة في تفسير هذه الآية : ((وإن وصفته بالطول أو بالعرض جاز في الكلام)) [2] ذلك أنَّ ((أصله أن يقال في الأجسام ثم يُستعمل في غيرها كما قال تعالى : (فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ))) [3]ف((عريض : مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره ، وهو أبلغ من الطويل ، إذ الطويل أطول الامتدادين ، فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله)) [4] ((وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه ، وهو من صفة الأجرام ، كما استعير الغلظ لشدة العذاب)) [5] فهذا الوجه كالوجه الرابع يدخل في باب المجاز لا في باب الوجوه .

وجعل العرض في الوجه الخامس بمعنى السعة في قوله تعالى : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ) والسعة مرادفة للعرض وليست وجهًا له ، وهو هنا يعني العرض بعينه قال الراغب : ((وقوله تعالى : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ){آل عمران : ١٣٣} فقد قيل هو العرض الذي خلاف الطول ، وتَصوُّر ذلك على أن يكون المراد من عَرْضها في النشأة الآخرة أنَّه كعرض السموات والأرض في النشأة الأولى ، وذلك أنَّه قد قال : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ){إبراهيم : ٤٨} ولا يمتنع أن تكون السموات والأرض في النشأة الآخرة أكبر مما هي الآن ، وروي أنَّ يهوديًّا سأل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال : فأين النار ؟ فقال عمر رضي الله عنه : إذا جاء الليل فأين

([1]) تاج العروس ٢٠٨/١٨ .

([2]) تفسير غريب القرآن ص ٣٩٠ .

([3]) المفردات للراغب ص ٣٤٢.

([4]) أنوار التنزيل ٧٤/٥-٧٥ .

([5]) مدارك التنزيل ص ١٠٧٩.

النهار ؟))[1] ((أي : عرضها كعرضهما ، وإذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول))[2]

وجعل الدامغاني العرض في الوجه السادس بمعنى الغنيمة في قوله تعالى : (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا)[التوبة : ٤٢} وهو من صيغة أخرى بفتح الراء لا بسكونها ، وهو من جهة أخرى لفظ مستعار ، قال الراغب : ((والعَرَض ما لا يكون له ثبات ، ومنه استعار المتكلمون العَرَض لما لاثبات له وقيل الدنيا عَرَض حاضر تنبيهًا على أن لا ثبات لها ، قال تعالى : (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[الأنفال : ٦٧} وقال تعالى : (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ)[الأعراف : ١٦٩} وقال تعالى : (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا)[التوبة : ٤٢} أي : مطلبًا سهلاً)) [3]

وجعل العرض في الوجه السابع بمعنى العارض الذي لا يبقى ، في قوله تعالى : (قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا)[الأحقالف : ٢٤} وهو من العَرْض (بسكون الراء) وقد تقدم أنَّ العارض من كل شيء ما يستقبلك ، كالسحاب . ((والعارض : البادي عَرْضُه فتارة يُخَصُّ بالسحاب نحو قوله تعالى : (هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا))) [4] ((أي : سحاب قد عَرِض في الأفق)) [5] فالعرض إذن إذن في هذا الوجه يعني العرض بعينه

وجعل العرضة في الوجه الثامن بمعنى العلّة ، في قوله تعالى : (وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لايْمَانِكُمْ)[البقرة : ٢٢٤} يعني : علة لأيمانكم ، والعلة

---

(١) المفردات ص ٣٤٣ .

(٢) أنوار التنزيل ١٨٩/٥.

(٣) المفردات ص ٣٤٣.

(٤) المفردات ص ٣٤٢ .

(٥) عمدة الحفاظ ٥٤/٣.

مرادفة للعرضة ؛ لذلك جاز جعلها بمعاني مرادفة أُخَر ، تدخل في باب الشرح والتفسير فقد تقدم : تعرَّص فلان لكذا صار عُرضة وهدفًا له ، قال ابن قتيبة في تفسير هذه الآية : ((يقول : لا تجعلوا الله بالحلف به مانعًا لكم من أن تبروا وتتقوا)) [١] وقال الطبري : ((معنى ذلك : لا تجعلوا الحلف بالله حجة لكم في ترك فعل الخير فيما بينكم وبين الناس... فمعنى قوله تعالى : (وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لايْمَانِكُمْ) أي : لا تجعلوا الله قوة لأيمانكم)) [٢] وقال الراغب : ((والعُرْضَة : ما يُجْعَل مُعَرَّضًا للشيء ، قال تعالى : (وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لايْمَانِكُمْ) وبعير عُرْضَة للسفر ، أي : يُجْعَل مُعَرَّضًا له)) [٣] فالعُرْضَة في هذا الوجه تعني العُرْضَة بعينها .

تبيَّن مما تقدم ذكره أنَّ الأوجه الثمانية المذكورة المنسوبة إلى العرض إمَّا أن يكون العرض لفظًا مستعارًا لها فتدخل في باب المجاز ، وإمَّا أن تكون قريبة من معنى العرض فتدخل في باب الترادف ، وإمَّا أن تكون من صيغة أخرى ، فهي جميعها خارجة عن باب الوجوه ، ذلك أنَّ العرض في كل شاهد من شواهد الأوجه الثمانية المذكورة وأينما ورد في القرآن الكريم يعني العرض بعينه ، والأوجه المذكورة مختلقة بطريقة الترادف .

٤١-**العهد** : قال ابن فارس : ((العين والهاء والدال ... أصله الاحتفاظ بالشيء ... فمن ذلك قولهم : عهد الرجل يعهَد ، وهو من الوصية ، وإنَّما سميت بذلك ؛ لأنَّ العهد مما ينبغي الاحتفاظ به ، ومنه اشتقاق العهد الذي يُكتَب للولاة من الوصية ... وأهل العهد هم المعاهَدون ، والمصدر : المعاهدة ، أي : أنَّهم يعاهَدون على ما عليهم من الجزية ، والقياس واحد ، كأنَّه أَمرٌ يُحتفظ به لهم ، فإذا أسلموا ذهب عنهم اسم المعاهدة ... وربما

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٨٥ .

(٢) جامع البيان ٤٨٢/٢ .

(٣) المفردات ص ٣٤٣ .

سموا الاشتراط استعهادًا ، وإنَّما سُمِّي كذا ؛ لأنَّ الشرط مما ينبغي الاحتفاظ به إذا شُرِط ... وفي كتاب الله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ){يس : ٦٠} معناه ، والله أعلم : ألم أقدم إليكم من الأمر الذي أوجبتُ عليكم الاحتفاظ به)) [١]

وقال الراغب : ((العَهْد : حفظ الشيء ومراعاته حالًا بعد حال ، وسُمِّي الموثق يلزم مراعاته عهدًا ... وعَهِد فلان إلى فلان يَعْهَد ، أي : ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه ، قال تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا){طه : ١١٥} وقال تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ){يس : ٦٠} وقال تعالى : (الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ){آل عمران : ١٨٣} وقال تعالى : (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ){البقرة : ١٢٥} وعهْدُ الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا ، وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وبالسنة ، وتارة بما نلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع كالنذور وما يجري مجراها)) [٢]

وقد ذكر أهل الوجوه أنَّ العهد ورد في القرآن الكريم على الوجوه الآتية :

الوجه الأول : الأمان ، كقوله تعالى : (فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ){التوبة : ٤}

والوجه الثاني : اليمين ، كقوله تعالى : (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ){النحل : ٩١} والشاهد قوله تعالى : (وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا){النحل : ٩١}

([١]) مقاييس اللغة ص ٦١٧-٦١٨ وينظر : العين ص ٦٩١ .

([٢]) المفردات ص ٣٦٤ .

والوجه الثالث : الوصية ، كقوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ){يس : ٦٠} وقوله تعالى : (الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ){آل عمران : ١٨٣}

والوجه الرابع : الميثاق ، كقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام : (قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ){البقرة : ١٢٤}

والوجه الخامس : الإمامة والنبوة ، كقوله تعالى : (قالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ){البقرة : ١٢٤}

والوجه السادس : الضمان : قال الله تعالى : (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ){البقرة : ٤٠} أي : أوفوا بما ضمنتم لي من الإيمان ، أوف لكم بما ضمنت لكم من الثواب

والوجه السابع : الوفاء ، كقوله تعالى : (وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ){الأعراف : ١٠٢}

والوجه الثامن : التوحيد ، كقوله تعالى : (إِلّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا){مريم : ٨٧} أي : وحَّده بقول : لا إله إلّا الله

والوجه التاسع : الوحي ، كقوله تعالى : (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ){البقرة : ١٢٥} أي : أوحينا

والوجه العاشر : الأمر ، كقوله تعالى : (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ){البقرة : ١٢٥}

الوجه الحادي عشر : الفرائض ، كقوله تعالى : (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ){النحل : ٩١}

والوجه الثاني عشر ، الوعد ، كقوله تعالى : (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ){البقرة : ٨٠}

والوجه الثالث عشر : العهد بعينه ، كقوله تعالى : (وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً){النحل : ٩٥}

والوجه الرابع عشر : الجنة ، كقوله تعالى : (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ){البقرة : ٤٠}{البقرة : ٤٠}

والوجه الخامس عشر : الكرامة ، كقوله تعالى : (قالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ){البقرة : ١٢٤}[1]

مما نلحظه في هذه الوجوه أنَّ منها ما تعدد واختلف والشاهد واحد يتكرر ، فالعهد الذي جعلوه في الوجه الرابع بمعنى الميثاق ، وفي الوجه االخامس بمعنى الأمانة والنبوّة ، وفي الوجه الخامس عشر ، بمعنى الكرامة ، جعلوا شاهد هذه الأوجه الثلاثة واحدًا ، وهو قوله تعالى : (قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ){البقرة : ١٢٤}

والعهد الذي جعلوه في الوجه التاسع بمعنى الوحي ، وفي الوجه العاشر بمعنى الأمر ، جعلوا شاهدهما واحدًا ، وهو قوله تعالى : (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ){البقرة : ١٢٥}

والعهد الذي جعلوه في الوجه السادس بمعنى الضمان ، وفي الوجه الربع عشر بمعنى الجنة ، جعلوا أيضًا شاهدهما واحدًا ، وهو قوله تعالى : (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ){البقرة : ٤٠}{البقرة : ٤٠}

وهذا متأتٍّ من أنّ الوجوه التي نسبوها إلى العين ليست وجوهًا حقيقية .

والعهد لا يكون إلّا على أمر من الأمور ، فالأمان ليس هو العهد كما جاء في الوجه الأول في قوله تعالى : (فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ){التوبة : ٤} قال ابن الجوزي في تفسيره : ((وفصل الخطاب في هذا

([1]) ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٤٧-٢٤٨ ووجوه القرآن للحيري ص ٣٠٨-٣٠٩ ونزهة الأعين ص ٢٠٧-٢٠٨

الباب أنَّه قد كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين جميع المشركين عهد عام ، وهو أن لا يُصدَّ أحدٌ عن البيت ، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام ، فجعل الله عهدهم أربعة أشهر ، وكان بينه وبين أقوام منهم عهود إلى أجل مسمَّى ، فأمر بالوفاء لهم ، وإتمام مدتهم إذا لم يخش غدرهم)) [1]

فالأمان لا يعني العهد ، بل هو معنى ما عهده الله إلى رسوله ، صلى الله عليهم ، وصحابته بأن يوفوا إلى من عاهدوهم بالأمان .

وكذلك الإمامة والنبوة في الوجه الخامس ، كان مستندًا أيضًا إلى السياق ، وهو أنَّ الخطاب موجه إلى إبراهيم عليه السلام ، قال تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)[البقرة : ١٢٤} قال الواحدي : ((أي : ما ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة في الدين من كان ظالمًا من ولدك)) [2] وقال الزمخشري : ((أي : من كان ظالمًا من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة ، وإنَّما ينال من كان عادلا بريئًا من الظلم)) [3] فالإمامة والنبوة كالأمان في الوجه الأول لا تعني العهد ، وإنَّما تعني ما عهده الله إلى إبراهيم عليه السلام .

وكذلك التوحيد الذي قيل به في الوجه الثامن في قوله تعالى : (إِلّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)[مريم : ٨٧} لا يعني العهد وإنَّما يعني ما عهده الله إلى كلّ عباده .

وكذلك بقية الأوجه لا تعني العهد بل تعني ما عهده الله إليهم ، فقد عهد إليهم أن يؤدوا الفرائض ، وعهد إليهم أن يدخلهم الجنة ، وعهد إليهم أن

---

(١) زاد المسير ٣٠٠/٣ .

(٢) الوسيط ٢٠٣/١ .

(٣) الكشاف ١٨٣/١ .

يكرمهم ، إن أطاعوه ، كما جاء هذا في الوجه الحادي عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر .

فهذه الأوجه : الأمان ، والإمامة والنبوة ، والتوحيد ، والفرائض ، والجنّة ، والكرامة ، وإن تباينت معانيها واختلفت ، ليست معاني العين ، بل هي معاني السياق

أمّا اليمين ، والوصية ، والميثاق ، والضمان ، والوفاء ، والوحي ، والأمر ، والوعد ، كما جاء في الوجه الثاني ، والثالث ، والرابع ، والسادس ، والسابع ، والتاسع ، والعاشر ، والثاني عشر ، معاني قريبة من معنى العهد ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه .

وجعلهم العهد في الوجه الثالث عشر يعني العهد بعينه ، يعني أنّ الأوجه الأربعة عشر الباقية لا تعني العهد بعينه ، فهي وجوه مختلّقة ، اختلقوها بطريقتين : طريقة جعل اللفظ بمعاني السياق ، وطريقة جعله بمعاني مرادفاته .

٤٢-العورة : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ العورة في القرآن الكريم على وجهين :

الوجه الأول : الخلوة ، أو الخالية من الرجال ، كقوله تعالى : (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا)[الأحزاب : ١٣] وقوله تعالى : (ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ)[النور : ٥٨]

والوجه الثاني : العورة يعني الجماع كما قال الدامغاني ، أو العورة المعروفة من بني آدم التي أُمِر بسترها كما قال ابن الجوزي ، كقوله تعالى : (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء)[النور : ٣١][1]

(1) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص٣١٦-٣١٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٤٨ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٢٠٠

قال الخليل : ((والعورة سوأة الإنسان ، وكلّ أمر يُستحيَ منه))[1]
وقال ابن فارس : ((العين والواو والراء أصلان ، أحدهما : يدلُّ على تداول الشيء ، والآخر : يدلُّ على مرض في إحدى عيني الإنسان وكلّ ذي عينين ، ومعناه الخلو من النظر، ثم يُحمَل عليه ويُشتق منه٠٠٠ومن الباب العورة ، واشتقاقه من الذي قدمنا ، وأنَّه مما حُمِل على الأصل ، كأنَّ العورة شيء ينبغي مراقبته لخلوه ، وعلى ذلك فُسِّر قوله تعالى : (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ){الأحزاب : ١٣} قالوا : كأنَّها ليست بحريزة))[2] وقال الراغب : ((العورة سوأة الإنسان وذلك كناية ، وأصلها من العار ، وذلك لما يلحق في ظهوره من العار ، أي : المذمَّة٠٠٠والعوار والعورة شقٌّ في الشيء كالثوب والبيت ونحوه ، قال تعالى : (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ){الأحزاب : ١٣} أي : متخرِّقة ممكنة لمن أرادها ، ومنه قيل : فلان يحفظ عورته ، أي : خلله٠٠٠وقوله تعالى : (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء){النور : ٣١} أي : لم يبلغوا الحلم))[3] ((والعورة كلّ مكمن للستر))[4]

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ) ((هذه الأوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا إلاَّ بإذن ، ثلاث عورات لكم ؛ لأنَّكم تضعون فيها ثيابكم وتخلون بأهليكم))[5] ((والمعنى : هذه الأوقات ثلاث عورات ؛ لأنَّ الإنسان يضع فيها ثيابه فربما بدت عورته))[6] وقال ابن عطية في تفسير قوله تعالى : (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ)

---

(1) العين ص ٦٩٥
(2) مقاييس اللغة ص ٦٢٣-٦٢٤
(3) المفردات ص ٣٦٧ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٣/١٤٠-١٤١
(4) لسان العرب ١٠/٣٣٣
(5) جامع البيان ١٨/١٩٤
(6) زاد المسير ٥/٣٩٦

((يقال : أعور المنزل : إذا انكشف)) [1] وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) قال ابن قتيبة ، أي : خالية ، فقد أمكن من أراد دخولها ، وأصل العورة : ما ذهب عنه الستر والحفظ ، فكأنَّ الرجال ستر وحفظ للبيوت ، فإذا ذهبوا أعورتِ البيوتُ ، تقول العرب : أعورَ منزلي : إذا ذهب ستره ، أو سقط جداره ، وأعورَ الفارسُ : إذا بان منه موضع خلل للضرب ، والطعن)) [2] وقال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى : (ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ)٠٠٠والعورة في الأصل : الخلل والنقص ، وفيه قيل لمن فقدت عينه أعور ، وعورت عينه ، ومنه عورة الحي ، وهي الجهة غير الحصينة منه بحيث يمكن الدخول منها كالثغر٠٠٠وقال تعالى : (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) ثمَّ أطلقت على ما يكره انكشافه ، كما هنا ، وكما سمي ما لا يحبّ الإنسان كشفه من جسده عورة)) [3]

يُفهم من تعريف أهل اللغة للعورة وتفسيرها في كتب التفسير أنَّ العورة في الأصل سوأة الإنسان ، وهي مما ينبغي حفظها وسترها ، ثمَّ تُوسِّع في معناها فأصبحت تُطلَق على كل ما ينبغي حفظه وستره ، وهذا ما ينطبق على العورة في شواهد الوجهين المذكورين ، وأينما وردت في كتاب الله

٤٣-الكَبْتُ : ذكر الحيري والدامغاني أنَّ الكبت في القرآن الكريم على وجهين :

الوجه الأول : العذاب ، كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)[المجادلة : ٥]

---

(1) المحرر الوجيز ٣٧٤/٤

(2) زاد المسير ١٩٤/٦

(3) التحرير والتنوير ٢٣٥/١٨

والوجه الثاني : الهزيمة ، كقوله تعالى : (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ){آل عمران : ١٢٧}[١]

ما الداعي وما المسوغ اللغوي أو الدلالي أو السياقي لجعل الكبت في الوجه الأول بمعنى العذاب ، وفي الوجه الثاني بمعنى الهزيمة ؛ ولِمَ لا نجعل الأول بمعنى الهزيمة ، والثاني بمعنى العذاب ؛ لأنَّ هذين الوجهين مرادفين للكبت ، والمرادفات هي واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها لا يمثل معنى الكبت بعينه ، بل القريب من معناه ، ولم يرد لفظ الكبت في القرآن الكريم إلّا في هذين الموضعين ، قال الخليل : الكبتُ صرع الشيء لوجهه ، كبتهم اللهُ فانكبتوا ، أي : لم يظفروا بخير ، كبت الله أعداءك ، أي : غاظهم وأذلَّهم))[٢] وقال ابن فارس : ((الكاف والباء والتاء كلمة واحدة ، وهي من الإذلال والصرف عن الشيء ، يقال : كبت اللهُ العدو يكبته ، قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ){المجادلة : ٥}))[٣]وقال أبو منصور الأزهري : ((قال الله عز وجل : (أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ){آل عمران : ١٢٧} وقال في موضع آخر : (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ){المجادلة : ٥} وروى الأثرم عن أبي عبيدة أنَّه قال : كبته الله لوجهه ، أي : صرعه لوجهه ، ونحو ذلك ، قال الليث : الكبت : صرع الرجل لوجهه ، وقال أبو إسحاق الزجاج في قوله تعالى : (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) معنى كبتوا : أُذلوا وأُخذوا بالعذاب بأن غُلبوا كما نزل بمن كان قبلهم ممن حادَّ الله ، سلمة عن الفراء في قوله تعالى (كُبِتوا) أي : غيظوا وأخزنوا يوم الخندق ، كما كُبِت من قاتل الأنبياء قبلهم ، وقال بعض من يحتجُّ لقول الفراء : أصل الكبت : الكَبِد ، فقُلبت الدال تاءً ،

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣٥٨-٣٥٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٩٨

(٢) العين ص ٨٢٨

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٩٨

أُخِذ ذلك من الكَبِد ، وهو موضع الغيظ والحقد ، فكأنَّ الغيظ لمَّا بلغ منهم مبلغ المشقة أصاب أكبادهم ؛ ولذلك يقال للأعداء : سود الأكباد فأحرقها ، وقال الأصمعي فيما روى أبو عبيد عنه : الكبت والوقْم : كسر الرجل وإخزاؤه))[1] وقال الراغب : ((الكبت : الردُّ بعنف وتذليل ، قال تعالى : (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)[المجادلة : ٥} وقال تعالى : (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ)[آل عمران : ١٢٧}))[2]

وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (كُبِتوا)[المجادلة : ٥} ، أي : غيظوا شدة الغيظ ، وقيل : أُذلوا وأخزوا ، وقيل : الأصل فيه كُبِدوا بما لا يقدر عليه من الهموم ، فقلبت الدال تاءً لقرب مخرجهما ، كقولهم : سَبَتَ رأسَه ، أي : حلقها ، وقيل : هو الحزن ، وقيل : أشد الحزن ، وهو الصحيح ، ويدلّ عليه أنَّه من الحزن أنَّه صلى الله عليه وسلم : رأى طلحة حزينًا مكبوتًا ، وقيل : الكبت : الردُّ بعنف ، قوله تعالى : (أَوْ يَكْبِتَهُمْ)[آل عمران : ١٢٧} قال أبو عبيدة : أو يهزمهم ، وقيل : يحزنهم ، والأصل فيه ما قدمته ، وما ذكره المفسرون أسباب لذلك))[3]

فأهل اللغة كما رأيت لم يفرقوا بين معنى الكبت الوارد في سورة آل عمران ، وبين معناه الوارد في سورة المجادلة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى لم يقصروا الكبت على معنى العذاب ، والهزيمة في الموضعين ، بل أجازوا للكبت هذين المعنيين ومعاني : الصرع على الوجه ، وعدم الظفر ، والغيظ ، والإذلال ، والحزن ، والخزي ، هذا ما جاء في كتب اللغة ، ومثل هذا جاء في كتب التفسير ، قال مقاتل في تفسير الكبت في سورة آل عمران

([1]) تهذيب اللغة ٣٠٨٨/٤

([2]) المفردات ص ٤٣٨

([3]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣٦٤/٣

(أَوْ يَكْبِتَهُمْ) ((يعني : يخزيهم))[1]وقال في تفسير الكبت في سورة المجادلة (كُبِتوا) ((يعني : أُخزوا))[2] فجعل الكبت في الموضعين بمعنى واحد ، وقال أبو عبيدة (((أَوْ يَكْبِتَهُمْ) تقول العرب : كبته الله لوجه صرعه ، أي : صرعه الله)) [3] وقال : (((كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ) أُهلكوا كما أهلك)) [4] وقال ابن قتيبة : ((أَوْ يَكْبِتَهُمْ) قال أبو عبيدة : الكبتُ : الإهلاك ، وقال غيره : هو أن يغيضهم ويحزنهم٠٠٠واعتبارها قوله تعالى : (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا){الأحزاب : ٢٥} لأنَّ أهل النظر يرون أنَّ التاء فيه منقلبة عن دال ، كأنَّ الأصل فيه يكبدهم ، أي : يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ وشدة العداوة ، ومنه يقال : فلان قد أحرق الحزن كبده ، وأحرقت العداوة كبِده ، والعرب تقول للعدو : أسْوَدُ الكَبِد ، كأنَّ الأكباد لمَّا احترقت بشدة العداوة اسودَّت ، ومنه يقال للعدو كاشح ؛ لأنَّه يخبأ العداوة في كشحه ، والكشح الخاصرة ، وإنَّما يريدون الكبِد ؛ لأنَّ الكبد هناك٠٠٠والتاء والدال متقاربتا المخرجين ، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى ، وتبدل إحداهما من الأخرى ، كقولك : هَرَتَ الثوبَ وهرده : إذا حرقه ، وكذلك كبتَ العدوَّ وكبده ، ومثله كثير)) [5] وقال : (((كُبِتُوا) قال أبو عبيدة : أُهلكوا ، وقال غيره : غيظوا وأُخزوا ، وقد تقدم هذا في سورة آل عمران)) [6] وقال الواحدي : ((وقوله : (أَوْ يَكْبِتَهُمْ) الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه٠٠٠والمراد : الإخزاء ، والهلاك ،

([1]) تفسير مقاتل ١٩٠/١

([2]) تفسير مقاتل ٣٣٠/٣

([3]) مجاز القرآن ص ٥١

([4]) مجاز القرآن ص ٢٧٢

([5]) تفسير غريب القرآن ص ١١٠-١١١

([6]) تفسير غريب القرآن ص٤٥٧

واللعن ، والهزيمة ، والإذلال ، هذا ماذكره المفسرون في تفسير الكبت))[1]وقال : (((كُبِتوا) أُخزوا وأُهلكوا)) [2] وقال الزمخشري : (((أَوْ يَكْبِتَهُمْ) أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة٠٠٠ويقال : كبته ، بمعنى كبده : إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة)) [3] وقال : (((كُبِتوا) أُخزوا وأهلكوا)) [4]وقال ابن الجوزي : ((وقوله تعالى : (أَوْ يَكْبِتَهُمْ) فيه سبعة أقوال :

أحدها : أنَّ معناه : يهزمهم ، قاله ابن عباس والزجاج

والثاني : يخزيهم ، قاله قتادة ومقاتل .

والثالث : يصرعهم ، قاله أبو عبيد ، واليزيدي ، وقال الخليل هو الصرع على الوجه

والرابع : يهلكهم ، قاله أبو عبيدة .

والخامس : يلعنهم ، قاله السُّدِّي .

والسادس : يُظفِر عليهم ، قاله المبرد

والسابع : يغيظهم ، قاله النضر بن شميل ، واختاره ابن قتيبة ، وقال ابن قتيبة : أهل النظر يرون أنَّ التاء فيه منقلبة عن دال ، كأنَّ الأصل فيه يكبدهم ، أي : يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ٠٠٠)) [5] وقال : ((قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ){المجادلة : ٥} قد ذكرنا معنى المحادَّة في {التوبة : ٦} ومعنى (كُبِتوا) في {آل عمران : ١٢٧}))[6] فجعل تفسير الكبت واحدًا في الموضعين ،

---

(1) الوسيط ٤٩٠/١

(2) الوسيط ٢٦٣/٤

(3) االكشاف ٤٠٤/١

(4) االكشاف ٤٧٧/٤

(5) زاد المسير ٣٦٧/١

(6) االكشاف ٤٧٧/٤

فأنت ترى أنَّ أهل التفسير كأهل اللغة لم يفرقوا بين معنى الكبت الوارد في سورة آل عمران ، وبين معناه الوارد في سورة المجادلة ، كما حصل هذا فيما هما من كتب الوجوه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى لم يقصروا الكبت على معنى العذاب ، والهزيمة في الموضعين ، بل أجازوا للكبت هذين المعنيين ومعاني : الصرع على الوجه ، واللعنة ، والظفر عليهم ، والغيظ ، والإذلال ، والحزن ، والخزي .

فقد أجاز أهل اللغة والتفسير جعل الكبت في الموضعين بهذه المعاني ؛ لأنَّها من مرادفاته ، فجاز عند الفريقين جعله بهذا المرادف أو ذاك من دون قطع وتعيين ، لأنَّها جميعها واحدة من حيث إنَّ كلاً منها لا يعني الكبت بعينه ، بل القريب من معناه ، وقد رأيت أنَّ الأصح جعل الكبت بمعنى الغيظ ، أو هو أقرب المعاني إليه ، لأنَّ المراد إصابة وحرق أكبادهم بالحزن والغيظ ، فإذا كانت هذه هي حقيقة الكبت في سورة آل عمران وسورة المجادلة فما الداعي من جعله بمعنى العذاب في الموضع الأول ، وبمعنى الهزيمة في الموضع الثاني ؟! ولِمَ لا نعكس ، فنجعله في الموضع الأول بمعنى الهزيمة وفي الموضع الثاني بمعنى العذاب ، ولِمَ لا نجعله بمعنى آخر من المعاني التي أجازها أهل اللغة والتفسير ؟!

٤٤-الكرسي : ذكر ابن الجوزي أنَّ الكرسي في القرآن الكريم على وجهين : ((أحدهما : الكرسي الذي يُجلس عليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾{ص : ٣٤}

والثاني : العلم ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾{البقرة : ٢٥٥} أي : علمه)) [١]

---

(١) نزهة الأعين ص ٢٤٢

قال الراغب : ((الكرسي في تعارف العامَّة اسم لِما يُقعد عليه٠٠٠وقوله تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) روي عن ابن عباس أنَّ الكرسي العلم ، وقيل كرسيه ملكه ، وقال بعضهم : هو اسم الفلك المحيط بالأفلاك ، قال : ويشهد لذلك ما روي : ما السماوات السبع في الكرسي إلاَّ كحلقة ملقاة بأرض فلاة))[١] وقال الزجاج : ((وقوله عز وجل : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) قيل فيه غير قول ، قال ابن عباس : كرسيه علمه ، ويروى عن عطاء أنَّه قال : ما السماوات والأرض في الكرسي إلاَّ حلقة في فلاة ، وهذا القول بَيِّنٌ ؛ لأنَّ الذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشيء الذي يُعتَمَد عليه ، ويُجلَس عليه، فهذا يدلَّ أنَّ الكرسي عظيم)) [٢]

كما أنَّ ابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل الكرسي بمعنى العلم في قوله تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) قال في تفسيره : ((وفي المراد بالكرسي ثلاثة أقول : أحدها : أنَّه كرسي فوق السماء دون العرش ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما السماوات السبع في الكرسي إلاَّ كحلقة في أرض فلاة ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ، والثاني : أنَّ المراد بالكرسي علم الله تعالى ، رواه ابن جبير عن ابن عباس ، والثالث : أنَّ الكرسي هو العرش)) [٣] فما قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير .

---

(١) المفـردات ص ٤٤٧ وينظـر : عمـدة الحفـاظ للحلبـي ٣٨٧/٣ وبصـائر ذوي التمييز ٣٤٢/٤

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٨/١

(٣) زاد المسير ٢٥١/١

فوجه العلم الذي قال به ابن الجوزي في قوله تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) هو أوّلاً قول من ثلاثة أقوال ، وهو ثانيًا ليس القول الموافق لمعناه اللغوي ، وثالثًا ليس هو القول الراجح ، كما أنَّ الكرسي بمعناه المتعارف عليه لم يُستعمل بمعنى العلم إلّا في باب التمثيل ، أي : أريد منه الكرسي بعينه حتى عند جعله بمعنى العلم ؛ لأنَّه إذا قيل بهذا الوجه فهو ما قيل به كما روي عن ابن عباس إلّا ((لأنَّ العالم يجلس على كرسي ؛ ليعلِّم الناس ، وقيل : مثل لملك الله تعالى ، كما يقولون : فلان صاحب كرسي العراق ، أي : ملك العراق)) [١]

٤٥-**الكسوة** : قال الدامغاني : ((تفسير الكسوة على وجهين : البسط ، واللباس .

فوجه منهما : الكسوة يعني : البسط ، قوله تعالى : (وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا)[البقرة : ٢٥٩}

والوجه الثاني : الكسوة : اللباس بعينه ، فذلك قوله ، سبحانه وتعالى : (وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[البقرة :٢٣٣}))[٢]

قال الخليل : ((الكِسْوة ، والكُسْوة : اللباس ، كسوته : ألبسته))[٣]ف((الكسوة ما يُكتسى به من الملبوسات على اختلاف أنواعها ، وحسب كل بلدة ، وكانوا في العصر الأول يلبسون الجلود حتى علَّم الله تعالى شيت صنع النسج)) [٤] ثم استعيرت الكسوة لغير ما يُلبَس من الثياب ،

---

(١) التحرير والتنوير ٤٩٧/٢

(٢) الوجوه والنظائر ص٤٠٠

(٣) العين ص ٨٤٣ وينظر : مقاييس اللغة ص ٤٥٠

(٤) عمدة الحفاظ للحلبي ٣٩٩/٣

نحو : ((اكتست الأرض بالنبات : إذا تغطَّت به)) [١] فهذا هو معنى الكسوة في اللغة .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا){البقرة : ٢٥٩} أي : العظام لحمًا٠٠٠ومعنى نكسوها : نلبسها ونواريها ، كما يواري جسد الإنسان كسوته التي يلبسها ، وكذلك تفعل العرب ، تجعل كلَّ شيء غطىَّ شيئًا وواراه لباسًا له وكسوة ، ومنه قول النابغة الجعدي :

فالحمدُ لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

فجعل الإسلام إذ غطَّى الذي كان عليه فواراه وأذهبه كسوة وسربالًا)) [٢] وقال الشوكاني : ((وقوله تعالى : (ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا) أي : نسترها به كما نستر الجسد باللباس ، فاستعار اللباس لذلك ، كما استعاره النابغة للإسلام فقال :

فالحمدُ لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا)) [٣]

فالأصح إذن والأحقُّ والأبلغ أن يعبَّر عن تغطية العظام بالكسوة كما جاء في تفسيرها لا بالبسط كما جاء في كتاب من كتب الوجوه

٤٦-الكنز : قال الدامغاني ((تفسير الكنز على وجهين : المال ، والصحف من العلم :

فوجه منهما : الكنوز يعني : الأموال ، قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ){التوبة : ٣٤}

والوجه الثاني : الكنز : الصحف من الأعمال ، قوله تعالى : (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا){الكهف : ٨٢})) [١]

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٣١٣٩/٤

(٢) جامع البيان ٥٥/٣-٥٦

(٣) فتح القدير ٣٥١/١-٣٥٢ وينظر : روح المعاني ٢٣/٢

قال الخليل : ((يقال : كنز الإنسان مالاً يَكنِزُه ، والكنز اسم للمال الذي يكنزه ، ولما يُحرَز به المال))[٢] أي : ((إذا أُحرِزَ في وعاء ، يقال : كنزتُ البُرَّ في الجراب)) [٣] وقال ابن فارس : ((الكاف والنون والزاء أصيل صحيح يدلُّ على تجمّع في شيء)) [٤] وقال الراغب : ((الكنز جعل المال بعضَه على بعض وحفظه ، وأصله من كنزتُ التمر في الوعاء)) [٥]

جعل الدامغاني الكنوز في الوجه الأول بمعنى الأموال في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) كيف تسنَّى للدامغاني القول بهذا الوجه ؛ لأنَّ الأموال جاز أن تكون وجهًا للذهب والفضة ، لكن كيف يصحُّ أن تكون وجهًا لـ(يكنزون) وكيف يصح تقديره ؟!

وجعل الكنز في الوجه الثاني بمعنى : الصحف من الأعمال في قوله تعالى : (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا) والمراد من الكنز في قوله تعالى : (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا) ((ثلاثة أقوال : أحدها : أنَّه كان ذهبًا وفضة ، رواه أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الحسن ، وعكرمة ، وقتادة : كان مالاً

والثاني : أنَّه كان لوحًا من ذهب فيه مكتوب : عجبًا لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبًا لمن أيقن بالنار كيف يضحك ، عجبًا لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجبًا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب ، عجبًا لمن

---

(١)الوجوه والنظائر ص ٤٠٣-٤٠٤

(٢)العين ص ٨٥٥

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٣١٩٢/٤

(٤) مقاييس اللغة ص ٧٩٤

(٥) المفردات ص ٤٦١

يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجبًا لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يطمئنُّ إليها٠٠٠رواه عطاء عن ابن عباس ، قال ابن الأنباري : فسمِّي كنزًا من جهة الذهب ، وجعل اسمه هو المغلَّب .

والثالث : كنز علم ، رواه العوفي عن ابن عباس٠٠٠قال ابن الأنباري : فيكون المعنى على هذا القول : كان تحته مثل الكنز))[١] فأنت ترى أنَّ أصح الأقوال الأول ، ويأتي بعده الثاني ، وقد استبعد القول الثالث لذلك اختار الطبري القول الأول فقال : ((يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قول صاحب موسى : وأمَّا الحائط الذي أقمته فإنَّه كان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما ، اختلف أهل التأويل في ذلك الكنز ، فقال بعضهم : كان صحفًا فيها علم ومعرفة٠٠٠عن ابن عباس قال : كان تحته كنز علم٠٠٠وقال آخرون : بل كان مالاً مكنوزًا٠٠٠عن عكرمة : قال : كنز مال٠٠٠عن قتادة : قال : مال لهما٠٠٠وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة ؛ لأنَّ المعروف عن كلام العرب أنَّ الكنز اسم لِما يُكنَز من مال ، وأنَّ كلَّ ما كُنِز فقد وقع عليه اسم الكنز ، فإنَّ التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك))[٢] وقال الزجاج : ((وقوله تعالى : (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا) قيل : كان الكنز علمًا ، وقيل : كان الكنز مالاً ، والمعروف في اللغة أنَّ الكنز إذا أُفرِد فمعناه : المال المدفون والمدَّخر ، فإذا لم يكن المال قيل عنده : كنز علم ، وله كنز فهم ، والكنز ها هنا بالمال أشبه ؛ لأنَّ العلم لا يكاد يُتعلَّم إلاَّ بمعلِّم ، والمال لا يحتاج أن ينتفع فيه

---

(١) زاد المسير ١٣٤/٥ وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٥٣٧/٣

(٢) جامع البيان ٩/١٦-١١

بغيره))[1] فالمراد من الكنز : المال المدفون والمدَّخَر ، ولو أراد غير المال لعبَّر عنه وعرَّفه بالإضافة ، وقيل : كان تحته كنزُ علمٍ لهما ، وقال القرطبي : ((وقوله تعالى : (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا) اختلف الناس في الكنز ، فقال عكرمة وقتادة كان مالاً جسيمًا ، وهو الظاهر من اسم الجنس ؛ إذ هو في اللغة المال المجموع ، وقال ابن عباس : كان علمًا في صحف مدفونة))[2] يتبيَّن مما تقدم ذكره أنَّ الدامغاني اختار أضعف الأقوال وأبعدها عن الصواب ثم جعله وجهًا للكنز من أجل اختلاق هذا الوجه

٤٧-**اللسان** : ذكر أصحاب كتب الوجوه لِلِّسان في القرآن الكريم خمسة أوجه :

الوجه الأول : اللسان بعينه ، كقوله تعالى : (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ {٨} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ){البلد : ٩}

والوجه الثاني : الدعاء ، كقوله تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ){المائدة : ٧٨}

والوجه الثالث : اللغة ، كقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ){إبراهيم : ٤} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ){النحل : ١٠٣}

والوجه الرابع : الثناء الحسن ، كقوله تعالى : (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الأخِرِينَ){الشعراء : ٨٤}

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٥١/٣وينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١٦٢/٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٣/١١ وحديث ابن عباس ضعيف كما ذكر المحقق

الوجه الخامس : الكلام ، كقوله تعالى : (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا){القصص : ٣٤}[١]

قال الخليل : ((اللسان : ما ينطق ، يُذكَّر ويؤنَّث)) [٢] وقال ابن فارس : ((اللام والسين والميم أصل صحيح يدلُّ على طول لطيف غير بائن في عضو أو غيره ، من ذلك اللسان ، معروف ، وهو مذكَّر ، والجمع ألسن ، فإذا كثر فهي الألسنة٠٠٠وقد يعبَّر بالرسالة عن اللسان فيؤنَّث حينئذ))[٣] ((واللسان : الجارحة)) [٤] ((جارحة الكلام ، وقد يكنَّى بها الكلمة٠٠٠واللسان : الثناء ، وقوله عزَّ وجلَّ : (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الأخِرِينَ) معناه : اجعل لي ثناء حسنًا باقيًا إلى آخر الدهر)) [٥] ((واللسان بالكسر : المِقْوَل ، أي آلة القول ، يذكَّر ويؤنَّث٠٠٠واللسان : اللغة٠٠٠وصرَّحوا بأنَّه مجاز مشهور فيها من تسمية القول باسم سببه العادي٠٠٠واللسان : المتكلِّم عن القوم ، وهو مجاز٠٠٠واللسان من الميزان عَذَبَتُه ، وهو مجاز ، ويقال : استوى لسان الميزان)) [٦]

جعل أصحاب كتب الوجوه اللسان في الوجه الثاني بمعنى الدعاء ، في قوله تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) جاء في التفسير : ((قال الحسن وقتادة : لُعِن أصحاب السبت

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣٦٨ والوجوه والنظائر للدمغاني ص ٤١٠ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٢٥٥

(٢) العين ص ٨٧٣

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٣٣

(٤) المفردات للراغب ص ٤٦٩

(٥) لسان العرب ١٩٧/١٣

(٦) تاج العروس ٥٧/٣٦

على لسان داود ، فإنَّهم لمَّا اعتدوا ، قال داود : اللهمَّ العنهم ، واجعلهم آية ، فمسخوا قردة ، ولُعن أصحاب المائدة على لسان عيسى ، فإنَّهم لمَّا أكلوا منها ، ولم يؤمنوا : قال عيسى : اللهمَّ العنهم كما لعنتَ أصحاب السبت ، فجُعلوا خنازير)) [1] فمن الواضح أنَّ الدعاء ، هو معنى سياق القول الصادر من اللسان لا معنى اللسان .

وجعلوا اللسان في الوجه الثالث بمعنى اللغة في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) وقوله تعالى : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) وجعلوه في الوجه الرابع بمعنى الثناء الحسن في قوله تعالى : (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الأخِرِينَ) واللسان لا يعني اللغة ولا يعني الثناء الحسن بل هو سببهما واللغة والثناء الحسن مسبّبتان عنه ، ومن التحريف جعل السبب بمعنى مسّبَّبه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ اللسان هنا لفظ مجازي مرسل ، وجعل اللغة ، والثناء الحسن ، وجهًين له يحوِّله إلى حقيقة ، وفي ذلك يقع الخلط بينهما ، والتحريف لدلالة كل منهما .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ اللسان يُستعمل في الكلام الصحيح والمفهوم ، وتستعمَل اللغة لضدّ ذلك ، والدليل على ذلك أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظ اللغة ؛ لأنَّها مشتقة من اللغو ، قال الخليل : ((لغا يلغو لغْوًا يعني : اختلاط الكلام في الباطل)) [2] وقال ابن فارس : ((اللام والغين والحرف المعتل : أصلان صحيحان أحدهما يدل على الشيء لا يُعتدُّ به ، والآخر على اللهج بالشيء ، فالأول اللغو ما لا يعتدَّ به من أولاد الإبل ... يقال منه : لغا يلغو لغوًا ، وذلك في لغو الإيمان ... قال الله

---

(١) زاد المسير ٢/٢٤٣

(٢) العين ص ٨٧٩ .

تعالى : (لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ)[البقرة : ٢٢٥]{المائدة : ٨٩} فيمينه لغو ، لأنَّه لم يتعمد الكذب))[١] وقال العسكري : ((ويقال للفحش لغوًا ؛ لأنَّه ساقط من الكلام مطرح لا يُلتَفَت إليه٠٠٠ وقيل : اللغو في اليمين ؛ لأنَّه لا إثم فيه ، فكأنَّه ساقط لا معنى له))[٢]و((اللغو في الأصل : الكلام الذي لا فائدة فيه)) [٣] فالقرآن الكريم ما استعمل اللغو الذي اشتقت منه اللغة إلاَّ في الكلام الباطل كقوله تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)[القصص : ٥٥} وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)[الفرقان : ٧٢} وقوله تعالى : (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلا سَلامًا)[مريم : ٦٢} وقوله (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ولاَ تَاثِيمًا)[الواقعة : ٢٥} وقوله تعالى : (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ولاَ كِذَّابًا)[النبأ : ٣٥}

وجعل الحيري اللسان في الوجه الخامس بمعنى الكلام في قوله تعالى : (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) إذا صحَّ هذا الوجه فهو مسبَّبٌ عن اللسان ، فيكون اللسان مجازًا مرسلاً ، وينطبق عليه ما قلناه عن اللسان في الوجه الثالث ، والرابع ، وكما يكون اللسان سببًا للكلام ، يكون سببًا للبيان ، وللخطاب ، لذلك جاز جعله بتقدير : أفصح مني بيانًا ، وأفصح مني خطابًا ، والحقيقة أنَّه استعمل لفظ اللسان لأنَّ عدم فصاحته كانت متعلقة بلسانه لا بكلامه ، قال الواحدي : (((هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) أحسن بيانًا ، وكان في لسان موسى عقدة)) [٤] وقال ابن الجوزي : ((أي : أحسن

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٣٦ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٩٦ .

(٣) نزهة الأعين ص ٢٥٣.

(٤) الوسيط٣/٣٩٩

بيانًا ؛ لأنَّ موسى كان في لسانه أثر الجمرة التي تناولها)) [١] وقال ابن كثير : (((هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) وذلك أنَّ موسى عليه السلام كان في لسانه لثغة بسبب ما كان تناول تلك الجمرة حين خُيِّر بينها وبين التمرة أو الدرَّة ، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه ، فحصل شدة في التعبير)) [٢] وقال الشوكاني : (((هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) لأنَّه كان في لسان موسى حبسة)) [٣]

٤٨-**المحراب** : قال الدامغاني : ((تفسير المحراب على وجهين : المسجد ، والمحراب بعينه :

فوجه منهما : المحراب يعني : المسجد ، كقوله تعالى : (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ)(سبأ : ١٣} يعني : المساجد ، وكقوله تعالى : (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ)(ص :٢١} يعني : المسجد ، مثلها قوله تعالى : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ)(مريم : ١١} يعني : من المسجد

والوجه الثاني : المحراب بعينه ، قوله تعالى (فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ)(آل عمران : ٣٩}))[٤]

قال الخليل : ((المحراب عند العامَّة اليوم مقام الإمام في المسجد ، وكانت محاريب بني إسرائيل مساجدهم التي يجتمعون فيها للصلاة)) [٥] وقال ابن فارس : ((الحاء والراء والباء أصول ثلاثة : أحدها : السلب ، والآخر : دويبة ، والثالث : بعض المجالس ، فالأول : الحرب واشتقاقها من الحرب ، وأمَّا الدويبة فالحرباء٠٠٠والثالث : المحراب ، وهو صدر المجلس ، والجمع

---

(١) زاد المسير ١٠٥/٦

(٢) تفسير ابن كثير ١١٥/٦

(٣) فتح القدير ٢١٥/٤

(٤) الوجوه والنظائر ص ٤٢٧ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣٣٨٣

(٥) العين ص ١٨٠

محاريب)) [١]وقال الراغب : ومحراب المسجد قيل : سمي بذلك ؛ لأنَّه موضع محاربة الشيطان والهوى ، وقيل : سمي بذلك لكون حق الإنسان فيه حريبًا من أشغال الدنيا ومن توزّع الخواطر ، وقيل : الأصل فيه أنَّ محراب البيت صدر المجلس ، ثمَّ اتخذت المساجد فسمي صدره به ، وقيل : بل المحراب أصله في المسجد ، وهو اسم خُصَّ به صدر المجلس ، فسمي صدر البيت محرابًا تشبيهًا بمحراب المسجد ، وكأنَّ هذا أصحّ))[٢]وفي الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعث عروة بن مسعود إلى قومه بالطائف فأتاهم ودخل محرابًا له ، فأشرف عليهم عند الفجر ، ثمَّ أذَّن للصلاة ، وهذا يدلَّ على أنَّ المحراب غرفة يُرتقى إليها ، وسمِّي المحراب محرابًا لانفراد الإمام فيه وبعده عن الناس ، والمحراب : صدر البيت وأكرم موضع فيه ، والمحراب : أكرم مجالس الملوك ، والمحراب : الموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعد من الناس ، والمحاريب : صدور المجالس ومنه سمي محراب المسجد ، ومحراب المسجد : صدره وأشرف موضع فيه ، والمحراب : القصر ، والمحراب : الغرفة والمكان العالي[٣] فهذا هو معنى المحراب في اللغة ، أمَّا المسجد فهو ((موضع الصلاة اعتبارًا بالسجود)) [٤] يعني : أنَّ مكانًا يصلَّى فيه صلاة لا سجود فيها لا يسمَّى مسجدًا ، فالفرق واضح بين المحراب والمسجد .

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٠٤

(٢) المفردات ص ١١٧

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٧٧٢/١ والمحكم لابن سيده ٣١٤/٣ ولسان العرب : ٧١/٤ وتاج العروس ١٥٦/٢-١٥٧

(٤) ينظر : المفردات للراغب ص٢٣١

جعل الحيري والدامغاني المحراب في الوجه الأول بمعنى المسجد في قوله تعالى : (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ) وقوله تعالى : (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) وقوله تعالى : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) قال الطبري في تفسير الشاهد الأول : ((يعني تعالى ذكره : يعمل الجنّ لسليمان ما يشاء من محاريب ، وهي جمع محراب ، والمحراب مقدم كلِّ مسجد ، وبيت ، ومصلًّى٠٠٠وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل))[١] وقال الزجاج : ((المحراب : الذي يُصلَّى فيه ، وأشرف موضع في الدار وفي البيت يقال له المحراب))[٢] وقال الواحدي : (((يَعْمَلُونَ لَهُ) لسليمان (مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ) من الأبنية الرفيعة والقصور ، قال المفسرون : فبنوا له الأبنية العجيبة باليمن صرواح ومرواح وقلثون وهندة وهنيدة وقلثوم وعمدان وبيتون ، وهذه حصون باليمن عملتها الشياطين)) [٣]

وقال الطبري في تفسير الشاهد الثاني : ((وقوله : (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) يقول : دخلوا عليه من غير باب المحراب ، والمحراب مقدَّم كل مجلس وبيت وأشرفه)) [٤]وقال الواحدي : ((قوله تعالى : (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) يقال : تسورتُ الحائط والسور إذا علوته٠٠٠والمحراب ها هنا كالغرفة))[٥]وقال ابن الجوزي : (((تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ)٠٠٠والمحراب ها هنا كالغرفة٠٠٠وَ(تَسَوَّرُوا) يدلّ على علوّ))[٦]

---

(١) جامع البيان ٨٤/٢٢

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٨٦/٤

(٣) الوسيط ٤٨٩/٣

(٤) جامع البيان ١٦٦/٢٣

(٥) الوسيط ٥٤٦/٣

(٦) زاد المسير ١٦/٧

وقال الواحدي في تفسير الشاهد الثالث : (((فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) : ((قال ابن زيد : من مصلاّه)) [١] وقال ابن عطية : ((وقوله تعالى : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) المعنى : أنَّ الله تعالى أظهر الآية بأن خرج زكريا من محرابه ، وهو موضع مصلاه و(الْمِحْرَابِ) أرفع المواضع والمباني ، واختلف الناس في اشتقاقه فقالت فرقة : هو مأخوذ من الحَرْب كأنَّ ملازمه يحارب الشيطان والشهوات ، وقالت فرقة : هو مأخوذ من الحَرَب بفتح الراء كأنَّ ملازمه يلقى منه حربًا ونصبًا))[٢]

فقد تبيَّن من كلام أهل اللغة والتفسير أنَّ المحراب غير المسجد في اشتقاقه ودلالته ، وإذا جاء في بعض التفاسير تفسير المحراب في المسجد فهو من باب الإيضاح ، على أنَّ مصلَّيات بني إسرائيل كانت تقابل مساجد المسلمين ، قال الحلبي : ((المحراب لفظ قديم قبل حدوث المساجد ، فإنَّ المساجد ومحاريبها عرف شرعي))[٣] لذلك أطلَق القرآن الكريم لفظ المحراب على معابد بني إسرائيل ، ولم يطلقه على مساجد المسلمين ، ولم يطلق لفظ المساجد على معابدهم إلاَّ المسجد الأقصى

٤٩-المفتاح : قال الدامغاني : ((تفسير المفتاح على وجهين : الخزانة ، والمفتاح بعينه :

فوجه منهما : المفاتيح يعني الخزائن ، قوله تعالى : (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ){القصص : ٧٦} يعني خزائنه

---

(١) الوسيط ١٧٨/٣

(٢) المحرر الوجيز ٧/٤

(٣) عمدة الحفاظ ٣٨٥/١

والوجه الثاني : المفتاح بعينه قوله سبحانه : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ)((الأنعام : ٥٩}))[١]

جعل الدامغاني المفاتح في الوجه الأول بمعنى الخزائن في قوله تعالى : (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) وهذا ما جاء أيضًا في كتب اللغة والتفسير ، إلاَّ أنَّ جعل الخزائن وجهًا للمفاتح يعني تعيين معنى هذا الوجه والقطع به ، أمَّا أهل اللغة والتفسير فلم يعينوه ، بل جعلوا المفاتح تعني المفاتح بعينها ، وأجازوا أن تكون بمعنى الخزائن ، بعد أن فرَّقوا بين مفرد الدلالتين ، فقد عرَّفوا الفتح بأنَّه ((أصل صحيح يدلُّ على خلاف الإغلاق))[٢] ((والمِفْتَح (بكسر الميم) والمفتاح ما يُفْتَح به وجمعه مفاتيح ومفاتح))[٣] ((والخزائن جمع خِزانة ، وهي موضع الخَزْن ، والخزن سِتر الشيء وحفظه))[٤] فأنت ترى أنَّ المفاتيح ضد الخزائن فكيف يصح جعلها بمعناها ؟! قال الخليل : ((والمَفْتَح : الخزانة ، ولكلِّ شيء مَفْتَح ومَفْتِح (بفتح الميم ، وفتح التاء وكسرها))٠٠٠وقوله تعالى : (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ) يعني الكنوز وصنوف أمواله ، فأمَّا المفاتيح فجمع المفتاح الذي يُفتح به المغلاق))[٥] وقال الأزهري : ((وقال الليث : جمع المفتاح الذي يُفتَح به المغلاق : مفاتيح ، وجمع المَفتَح (بفتح الميم) الخزانة : المفاتح ، قلتُ : ويقال للذي يُفتَح به المغلاق : مِفتَح بكسر الميم ، ومفتاح ، وجمعهما : مفاتح ، ومفاتيح ، وهذا

---

(١) الوجوه والنظائر ص٤٢٨

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٢٦

(٣) المفردات ص ٣٨٦ وينظر : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٢٧٦/٣

(٤) عمدة الحفاظ ٥٠٠/١

(٥) العين ص ٧٢٨

قول النحويين)) [١]وقال ابن سيده : ((والمِفتح (بكسر الميم) والمفتاح : ما فُتِح به الشيء٠٠٠والمَفْتَح (بفتح الميم والتاء) : الخزانة ، والمَفْتَح : الكنز ، وقوله تعالى : (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوةِ){القصص : ٧٦} قيل : هي الكنوز))[٢]

وكذلك أجاز أهل التفسير هذين المعنيين استنادًا إلى جواز أن يكون مفرد المفاتح : مِفتَح (بكسر الميم) أو بفتحها ، قال الطبري : ((وقوله تعالى : (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) يقول تعالى ذكره : وآتينا قارون من كنوز الأموال ما إنَّ مفاتحه ، وهي جمع مِفتح ، وهو الذي يُفتَح به الأبواب ، وقال بعضهم عنى بالمفاتح في هذا الموضع الخزائن))[٣] وقال ابن عطية : ((والمفاتح ظاهرها أنَّها التي يُفتَح بها ، ويُحتمَل أن يريد بها الخزائن)) [٤] وقال القرطبي : ((وفي القرآن (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ) وهو جمع مِفْتَح (بكسر الميم) وهو ما يُفتَح به ، ومن قال مفتاح قال مفاتيح ، ومن قال هي الخزائن فواحدها مَفتَح (بفتح الميم)))[٥] وقال الشوكاني : ((قوله (((مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ)٠٠٠والمفاتح جمع مِفْتَح (بكسر الميم) وهو ما يُفتَح به ، وقيل المراد بالمفاتح الخزائن ، فيكون واحدها مَفتَح بفتح الميم)) [٦] وقال الآلوسي : (((مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ) أي : مفاتيح صناديقه٠٠٠وقال

---

(١) تهذيب اللغة٣/٢٧٣٣ وينظر : لسان العرب ١١/١٢١ وتاج العروس ٧/٤

(٢) االمحكم والمحيط الأعظم ٣/٢٧٦-٢٧٨

(٣) جامع البيان ٢٠/١٢٤وينظر : الوسيط للواحدي ٣/٤٠٧ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٢٣٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٦/١١٧ وفتح القدير للشوكاني ٤/٢٣١

(٤) المحرر الوجيز ٤/٢٩٨

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٣٢

(٦) فتح القدير ٤/٢٣١

صناديقه٠٠٠وقال السُّدِّي : خزائنه ، وفي معناه قول الضحاك ، أي : ظروفه وأوعيته ، وروي نحو ذلك عن ابن عباس والحسن ، وقياس واحده على هذا المِفتح (بفتح الميم) لأنَّه اسم مكان))[١]

والأبلغ أن يكون المراد من المفاتح المفاتح بعينها ، قال الحلبي : ((وقوله تعالى : (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ){القصص : ٧٦} أراد الآلة التي يُفتَح بها ، وقيل : الخزائن أنفسها ، والأول أبلغ ؛ لأنَّه إذا كثرت المفاتيح)) [٢] دلَّ على كثرة خزائنه ، وقال ابن عاشور : ((والمفتاح جمع مفتح بكسر الميم٠٠٠وهو آلة الفتح ، ويسمَّى المفتاح أيضًا ، وجمعه مفاتيح٠٠٠والكنوز جمع كنز وهو مختزَن المال من صندوق أوخزانة٠٠٠ولكلِّ صندوق أو خزانة مفتاحه ، وعن أبي رزين لقيط بن عامر العقيلي أحد الصحابة أنَّه قال : يكفي الكوفة مفتاح واحد ، أي : كنز واحد من المال له مفتاح ، فتكون كثرة المفاتيح كناية عن كثرة الخزائن ، وتلك كناية عن وفرة المال)) [٣]

٥٠-**النقص** : قال الحيري : ((باب النقص على وجهين :

أحدهما : النقصان ، كقوله تعالى : (وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ){البقرة : ١٥٥}

والثاني : فتح البلدان ، كقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ){الرعد : ٤١} وفي الرعد والأنبياء)) [٤]

---

(١) روح المعاني ٣١٦/١٠

(٢)عمدة الحفاظ ١٩٥/٣

(٣) التحرير والتنوير ١٠٦/٢٠

(٤) وجوه القرآن ص ٣٩٢

أين دلالة النقص من دلالة فتح البلدان ؟! والمنهج السليم في التفسير أن نبقي اللفظ على دلالته ، وجعل النقص في شاهد الوجه الثاني يعني النقص بعينه إن لم تتضح دلالته اليوم فستتضح غدًا ، قال الخليل : ((النفص : الخسران في الحض)) [١] وقال ابن فارس : ((النون والقاف والصاد كلمة واحدة ، هي النقص : خلاف الزيادة ، ونقصَ الشيءُ ، ونقصتُه أنا وهو منقوص ، والنقيصة : العيب ، يقال : ما به نقيصة ، أي : شيء ينقص ، ومرجع الباب كله إلى هذا)) [٢]

جعل الحيري النقص في الوجه الثاني بمعنى : فتح البلدان في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أو لم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة الذين يسألون محمدًا الآيات أنَّا نأتي الأرض فنفتحها له أرضًا بعد أرض حوالي أرضهم ، أفلا يخافون أن نفتح أرضهم كما فتحنا له غيرها٠٠٠وقال آخرون : بل ننقص من بركتها وثمرتها وأهلها بالموت٠٠٠وقال آخرون : معناه : أنَّا نأتي الأرض ننقصها من أهلها ، فنتطرَّفهم بأخذهم بالموت٠٠٠وقال آخرون : ننقصها من أطرافها بذهاب فقهائنا وخيارها)) [٣] وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) فيه خمسة أقوال :

أحدها : أنَّه ما يفتح الله على نبيِّه من الأرض .

والثاني : أنَّها القرية تخرب حتى تبقى الأبيات في ناحيتها .

والثالث : أنَّه نقص أهلها وبركتها .

والرابع : أنَّه ذهاب فقهائها وخيار أهلها .

---

(١) العين ص ٩٨٢ وينظر : المفردات للراغب ص٥٢٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٩١٤ وينظر : لسان العرب ٣٣٨/١٤

(٣) جامع البيان ٢٠٥/١٣-٢٠٧

والخامس : أنَّه موت أهلها)) [1]

وأُضيفَ إلى هذه الأقوال أقوالٌ أخرى منها : ((أو لم يروا أنَّا نحدث في الدنيا من الاختلافات خرابًا بعد عمارة ، وموتًا بعد حياة ، وذلاً بعد عزٍّ ، ونقصًا بعد كمال٠٠٠وقيل نقصها هلاك من هلك من الأمم قبل قريش))[2] فكيف يصحّ القول بالوجه الذي قال به الحيري وهو قول من أقوال عديدة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ معنى هذه الآية يرتبط بقضية كونية أرضية كان يجهلها أهل التفسير ، ومن الجدير ذكره في هذا الباب أنَّ كل الآيات التي يتعلق تفسيرها بحقائق علمية لم يتعرف إليها العلماء إلاَّ حديثًا ، قد التبس تفسيرها على المفسرين القدامى على وسع علمهم ، ، ليس لجهلهم ، فقد كانوا في وقتهم من أوسع الناس علمًا ودراية ورواية ، ولكن تاهوا في تأويلها واختلفوا ؛ لأنَّ هذه الآيات كان فهمها على الوجه الصحيح منوطًا بمعرفة قضايا علمية لم تكن معروفة في زمانهم ، في كل دول الدنيا وحضاراتها آنذاك ، وقد أدرك الناس تفسيرها فيما بعد ، وقد قال سبحانه : (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ){ص : ٨٨} ، من ذلك مثلاً تفسيرهم لقوله تعالى : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ {١٩}بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ) [الرحمن:١٩-٢٠] وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) [الفرقان:٥٣].

نقل الطبري المتوفى ٣١٠هـ أقوال من سبقوه من مفسري الصحابة والتابعين ، عن ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، قالوا : البرزخ : اليبس والأرض بينهما ، يعنون مثلًا أنَّ المراد بالبحرين ، البحر الأحمر ، والبحر الأبيض المتوسط ، والبرزخ : هو الأرض الفاصلة بينهما ، التي من ضمنها أرض مصر ، أو أنَّ المراد بالبحرين ، بحر العرب ، وبحر الروم ، كما كانا

([1]) زاد المسير ٢٦٠/٤ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤١/٩-٢٤٢

([2]) روح المعاني للآلوسي ١٦٤/٧

يسميان في عهدهم ، والبرزخ : هو الأرض التي بينهما ، التي تشمل اليوم عدة مدن ودول ، وهذا التفسير بعيد جدًّا عن الحقيقة ، لكن تعرَّف علماء البحار حديثًا إلى وجود تيَّار مائي يمتد من الضفة إلى الضفة يمنع من اختلاط البحرين ، وقد اكتشف العلماء أيضًا أنَّ هناك حواجز مائية في عدة مناطق من الكرة الأرضية تفصل ما بين المياه المالحة والمياه العذبة فتمنع أن يختلط بعضهما ببعض .

ومن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى : (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْد خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) [الزمر:٦] أن الظلمات الثلاث هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، إلا أنَّ علم التشريح حديثًا أثبت أنَّ جدار الرحم مركب من ثلاثة أغشية ، وأثبت أنَّ كل غشاء منها برغم دقته ورقته لا ينفذ منه الماء ولا الهواء ولا حتى الحرارة والضوء ، حتى إنَّه لو تقنع إنسان بأحد هذه الأغشية لوجد نفسه في ظلام دامس ، لذلك وصفها الله تعالى بأنَّها ظلمات ثلاث ، وقد تعرف الأطباء إلى هذه الأغشية وميزوا بعضها من بعض

ومن ذلك تفسيرهم مرور الجبال في قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل:٨٨] بسيرها يوم القيامة ، قالوا ذلك لأنَّهم كانوا يعيشون في زمان لم يكن أهله يعلمون ما نعلمه اليوم بعد تقدم الإنسان في مجالات العلم كافة ، فقد تبين اليوم لعلماء الفلك أنَّ الأرض التي نحسبها جامدة ساكنة لا تتحرك ، تتحرك، ومعها الجبال بسرعة ١٦٦٩كم في الساعة حول نفسها ، وبسرعة ٥٣٦٢٤كم في الساعة حول الشمس ، والدليل على أن المقصود بقوله تعالى: (تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) حركة الجبال حاليًّا وليس يوم القيامة : عدم إحساسنا بسيرها.

ومن ذلك قول الله تعالى: (فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء) [الأنعام: ٢٥] فقد فسر الطبري ، وغيره من المفسرين القدامى ، أنَّ هذا مثل ضربه الله ، شبَّه امتناع قلب الكافر من الدخول في هدى الإسلام ، بامتناع الإنسان من الصعود إلى السماء لعجزه عن ذلك ، وهذا عكس المراد من الآية ، لأنَّه مثل ضربه الله للذي يصعد إلى السماء ، لا للذي لا يصعد إليها ، ففي الآية تشبيه الضيق الذي يحس به المرء ، جراء ابتعاده عن هدى الله ، بالضيق الذي يحس به المرء ، وهو يصعد إلى أعالي الجو ، وقد جهل المفسرون القدامى تفسير هذه الآية ، لأنَّ تفسيرها يتعلق بحالة لم يمر بها الناس وقتئذ ، وهي حالة صعود الإنسان ، وما يصيبه من ضيق التنفس إذا استمر في صعوده ، وسبب الضيق متأت من أنَّ نسبة الأوكسجين تقلُّ كلما صعدنا في السماء وارتفعنا عن الأرض ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ كثافة الهواء تقل مما يؤدي إلى حدوث خلل بين الضغط الجوي وضغط الإنسان ، فلهذا السبب وذاك يضيق صدر الإنسان ، ويثقل تنفسه ، ولم يعرف الإنسان هذه الحقيقة إلاَّ حديثًا وبعد أن تقدم في مجال العلم وصنع الطائرات

وهذا هو عين ما حصل في تفسيرهم لقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) فقد تقدمت أقوالهم فيها وجميعها لم تصب كبد الحقيقة والصحيح ما توصَّلت إليه ((البحوث إذ ثبت أنَّ سرعة دوران الأرض حول محورها ، وقوة طردها المركزي يؤديان إلى تقاطع في القطبين ، وهو نقص في طرفي الأرض ، وكذلك عرف أنَّ سرعة انطلاق جزئيات الغاز المغلفة للكرة الأرضية إذا ما جاوزت قوة الجاذبية الأرضية فإنَّها تطلق إلى خارج الكرة الأرضية ، وهذا يحدث بصفة مستمرة ، فتكون الأرض في نقص مستمر لأطرافها .

دلالات علمية لإنقاص الأرض من أطرافها ، ترد لفظة الأرض في القرآن الكريم بمعنى :

١-الكوكب ككل

٢-اليابسة التي نحيا عليها من كتل القارات والجزر البحرية والمحيطية .

٣-التربة التي تغطي صخور اليابسة .

ولإنقاص الأرض من أطرافها في إطار كلٍّ معنى من تلك المعاني عدد من الدلالات نحصي منها ما يلي :

أولاً : في إطار دلالة لفظ الأرض على الكوكب ككل ، نجد ثلاثة معان علمية بارزة :

١-إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى انكماشها على ذاتها وتناقص حجمها باستمرار ، فقد أثبت العلم الحديث أنَّ حجم الأرض الابتدائية كان على الأقل مئة ضعف من حجم الأرض الحالية٠٠٠وأنَّ هذا الكوكب قد أخذ منذ اللحظة الأولى لخلقه في الانكماش على ذاته من كافة أطرافه ، وكان انكماش الأرض على ذاتها سنَّة كونية لازمة للمحافظة على العلاقة النسبية بين كتلي الأرض والشمس ، وهذه العلاقة التي تضبط بعد الأرض عن الشمس ، ذلك البعد الذي يحكم كمية الطاقة الواصلة إلينا ، ولمَّا كانت كمية الطاقة التي تصل من الشمس إلى كل كوكب من كواكب مجموعتنا الشمسية تتناسب تناسبًا عكسيًّا مع بعد الكوكب عن الشمس ، وكذلك تتناسب سرعة جريه في مداره حولها ، بينما يتناسب طول سنة الكوكب تناسبًا طرديًّا مع بعده عنها ، اتضحت لنا الآن الحكمة من استمرارية تناقص الأرض وانكماشها على ذاتها ، أي : تناقصها من أطرافها ، ولو زادت الطاقة التي تصلنا من الشمس عن القدر الذي يصلنا اليوم قليلاً لأحرقتنا ، وأحرقت كلَّ حيٍّ على الأرض ، ولقضي على الحياة الأرضية بالكامل

٢-إنقــاص الأرض مــن أطرافهــا بمعنــى تفلطحهــا فلــيلاً عنــد القطبين ٠٠٠

٣-إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى اندفاع قيعان المحيطات تحت القارات وانصهارها ، وذلك بفعل تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض .

ثانيًا : في إطار دلالة لفظ الأرض على اليابسة التي نحيا عليها ، لها في ذلك معنيان .

١-إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى أخذ عوامل التعرية المختلفة من المرتفعات ، وإلقاء نواتج التعرية في المنخفضات من سطح الأرض حتى تتمَّ تسوية سطحها .

٢-إنقــاص الأرض مــن أطرافهــا بمعنــى طغيــان ميــاه البحــار والمحيطـات علـى اليابسـة ، وإنقاصـها مـن أطرافهـا ، حيـث ثبـت علميًّـا أنَّ الأرض قد بدأت منذ القدم بمحيط غامر ، ثمَّ بتحرك ألواح الغلاف الصخري الابتدائي لـلأرض ، بـدأت جـزر بركانيـة عديـدة فـي التكـوُّن فـي قلـب هـذا المحيط الغامر ، وبتصادم تلك الجزر تكوَّنت القارةُ الأمُّ التي تفتت بعد ذلك إلـى العدد الراهن من القارات ، وتبـادل الأدوار بين اليابسـة والمـاء هو سنَّة أرضية تعرف باسم دورة التبادل بين المحيطات والقارات ، وتحوُّل أجزاء من اليابسة إلى بحار ، والتي من نماذجها المعاصرة ، البحر الأحمر ، وخليج كاليفورنيا .

ثالثا : في إطار دلالة لفظ الأرض على التربة التي تغطي صخور اليابسة ، إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى التصحر ، أي : زحف الصحراء على المناطق الخضراء ، وانحسار التربة الصالحة للزراعة في ظلِّ إفساد الإنسان للبيئة على سطح الأرض ، بدأ زحف الصحارى على مساحات كبيرة من الأرض الخضراء ، وذلك بالرعي الجائر ، واقتلاع الأشجار ، وتحويل الأراضي الزراعية إلى أراضي بناء ، وندرة المياه ، وتملح التربة ، وتعريتها

بمعدلات سريعة ، وكل المعاني السابقة تعطي بعدًا علميًّا لمعنى إنقاص الأرض من أطرافها))[1]

فهذه الدلالات المستوحاة من النقص في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) أوسع مئة مرة من الأقوال التي قالها أهل التفسير ، وأوسع ألف مرة من الوجه الذي قال به الحيري .

الطريقة الثانية ، جعل اللفظ بمعاني ما أفاد وخالف المعنى المراد

والطريقة السابقة الأولى تدخل ضمن هذه الطريقة أيضًا ؛ لأنّ الألفاظ المرادفة للفظ يصحّ أن تقع موقعه لتقارب معانيها من معناه ، ومن أمثلة هذه الطريقة الثانية ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

١-**اتخذ** : قال الدامغاني : ((تفسير (اتخذ) على ثلاثة عشر وجهًا : اختار ، وأكرم ، وصاغ ، وسلك ، وسمَّى ، ونسج ، وعبد ، وجعل ، وبنى ، ورضي ، وعصر ، وأرخى ، واعتقد .

فوجه منها ، اتخذ يعني : اختار فذلك قوله تعالى : (وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً){النساء : ١٢٥} يعني : اختار الله إبراهيم مصافيًا.

والوجه الثاني ، اتخذ : أكرم ، قوله عز وجل : (وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء)آل عمران : ١٤٠} يعني : ويكرم منكم شهداء ، يعني به الشهادة.

والوجه الثالث ، اتخذ يعني : صاغ ، قوله عز وجل : (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ){الأعراف : ١٤٨} يعني : صاغ قوم موسى .

([1]) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ، إعداد الدكتور أحمد مصطفى متولي ص٢٣٦-٢٣٨ وهو ملخص من مقال للدكتور زغلول النجار ، بجريدة الأهرام العدد ٤١٩٧٢ سنة ٢٠٠١م

والوجه الرابع ، اتخذ : سلك ، فذلك قوله عز وجل : (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا)(الكهف : ٦١} وقوله تعالى : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا)(الكهف : ٦٣} يعني : سلك .

والوجه الخامس ، اتخذ ، يعني : سمَّى ، قوله عز وجل : (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ)(التوبة : ٣١} يعني : سموهم أربابًا .

والوجه السادس ، اتخذت ، يعني : نسجت ، فذلك قوله عز وجل : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)(العنكبوت : ٤١} يعني : نسجت بيتًا .

والوجه السابع ، اتخذوا : عبدوا ، كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَولِيَاء)(الشورى : ٦} وقوله تعالى : (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَولِيَاءَ)(العنكبوت : ٤١} وقوله تعالى : (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ)(البقرة : ٥١،٩٢} يعني : عبدوا .

والوجه الثامن ، اتخذ ، أي : جعل ، كقوله عز وجل : (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ)(النحل : ٩٢} أي : تجعلون ، وكقوله عز وجل : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً)(المجادلة : ١٦} أي : جعلوها ، وقوله تعالى : (وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا)(الكهف : ٥٦} أي : جعلوها .

والوجه التاسع ، اتخذ ، يعني : بنى ، فذلك قوله عز وجل : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا)(التوبة : ١٠٧} يعني : بنوا ، وكقوله عز وجل : (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا)(الكهف : ٢١} وقوله عز وجل : (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)(الشعراء : ١٢٩} .

والوجه العاشر ، اتخذ ، يعني : رضي ، فذلك قوله عز وجل : (لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا)(المزمل : ٩}

والوجه الحادي عشر ، يتخذ : يعصر ، كقوله عز وجل : (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا)[النحل : ٦٧] أي : تعصرون منه .

والوجه الثاني عشر ، اتخذت ، يعني : أرخت ، قوله تعالى : (فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا)[مريم : ١٧] يعني : فأرخت

والوجه الثالث عشر ، اتخذ ، يعني : اعتقد ، قوله عز وجل : (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)[مريم : ٨٧] يعني : اعتقد عند الرحمن عهدًا بـ(لا إله إلّا الله))) [١] وجعله ابن الجوزي على عشرة أوجه بعد أن ألغى منها ثلاثة هي : أكرم ، وأرخت ، واعتقد[٢] وذكر الفيروزآبادي الأوجه الثلاثة عشر نفسها مع شواهدها التي ذكرها الدامغاني[٣]

وكان ينبغي لأصحاب كتب الوجوه أن تحدد المعنى الموضوع للاتخاذ ، ما هو ؟ بدلًا من أن تضيِّع دلالته بهذه الوجوه التي –وإن أفادت– لا تمثل المعنى المراد ، قال ابن الجوزي : ((الاتخاذ ، والإعداد ، والاصطناع ، يتقارب ، والاتخاذ يقال في الغالب لما يختار ويرتضى ، تقول : اتخذتُ فلانًا صديقًا))[٤] وهذا دليل على أنَّ كل معاني الألفاظ تتقارب ولا تتطابق ، لكن علينا أن نبحث ونتحرى أقرب المعاني إلى الاتخاذ ما هو ؟ قال الراغب : ((والاتخاذ : افتعال من (أخذ) ويُعدَّى إلى مفعولين ، ويجري مجرى الجعل ، نحو قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء)[المائدة : ٥١] وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء)[الزمر : ٣] وقوله تعالى : (أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٥٠-٥٢ .

(٢) نزهة الأعين ص ٥٢-٥٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٢/٥٨-٥٩.

(٤) نزهة الأعين ص ٥٢.

دُونِ اللّهِ)}المائدة : ١١٦} وقوله تعالى : (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا)}المؤمنون : ١١٠}))[١]

ففي (اتَّخذ) معنى الجعل ، وهي عند النحاة من أفعال التحويل من أخوات : صيَّر ، وجعلَ ، تنصب مفعولين ، نحو : ((صيَّرته ذليلًا ، واتخذته عدوًّا ، وجعلته منسيًّا ... وإن أريد بـ(اتخذتُ) معنى : اكتسبتُ تعدَّت إلى مفعول واحد ، واتخذ بيتًا أو غيره ، بمعنى : اكتسبه))[٢]

ففي هذه الوجوه لفظ واحد مرادف للاتخاذ ، هو الجعل ، والوجوه الباقية جميعها ، لا يمثل أيٌّ وجه منها معنى الاتخاذ ، بل علاقتها به واحدة من حيث إنَّها تعدّ جميعها مما أفاد وخالف المعنى المراد ، والوجوه الحقيقية هي المعبِّرة عن المعنى المراد ، والمعنى المراد للاتخاذ في جميع شواهد الوجوه المنسوبة إليه هو الاتخاذ بعينه ، وإذا أردنا تفسير الاتخاذ في هذه الشواهد فسَّرناه بأقرب المعاني إليه ، وقد اتفقت كتب اللغة والنحو على أنَّ أقرب المعاني إليه معنى الجعل ، والدليل على ذلك جواز إحلال (جعل) محلّ (اتخذ) في كل شواهد الأوجه الثلاثة عشر المذكورة من دون أن يختل المعنى الأساسي العام للشاهد القرآني ، وهذا لا يتأتَّى لغيره من المعاني ، ومع ذلك يجب أن لا ندعي أنَّ معنى الجعل هو معنى الاتخاذ بعينه ؛ لأنَّ اللفظ ولا سيما اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، كما أنَّه جاز أيضًا القول بالوجوه المذكورة ، إذا كانت غايتنا من ذكرها الإيضاح والشرح والتفسير ، أمَّا إذا عينَّاها وجعلناها وجوهًا فقد تعمَّدنا تحريفها وأخطأنا في التفسير ، من ذلك جعلهم الاتخاذ في الوجه الخامس بمعنى التسمية في قوله تعالى : (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ) ولو أراد القرآن الكريم معنى التسمية لاستعمل لفظها وقال كما قدّروا : وسمّوا أحبارهم ورهبانهم

([١]) المفردات ص ١٧ .

([٢]) عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ١/٢٣١-٢٣٤ .

أربابًا ، كما قال تعالى : (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ){الحج : ٧٨} قال الطبري : (أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ) يعني : سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله ، فيحلّون ما أحلّوه لهم مما قد حرمه الله عليهم ، ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحلّه الله لهم ... عن عدي بن حاتم قال : انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة : (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ) فقال : أما إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكن كانوا يحلُّون لهم فيحلُّون (وفي رواية أخرى) قال : قلت يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم فقال : أليس يحرِّمون ما أحل الله فتحرِّمونه ، ويحلّون ما حرّم الله فتحلُّونه ؟ قال : قلتُ : بلى ، قال : فتلك عبادتهم ... قيل لحذيفة : أرأيت قول الله (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ) قال : أما إنَّهم لم يكونوا يصومون لهم ، ولا يصلون لهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئًا استحلّوه ، وإذا حرَّموا عليهم شيئًا أحله الله لهم حرَّموه ، فتلك كانت ربوبيتهم ... فجعل الله طاعتهم عبادتهم ، ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا))[1]

فلم أجد في كتب التاريخ والتفسير والحديث أنَّ اليهود والنصارى سمّوا سادتهم أو علماءهم أربابًا ، بل أجمعت على أنَّهم سمّوهم أحبارًا ورهبانًا ، فجعل الاتخاذ في الآية المذكورة بمعنى التسمية تحريف لتفسيرها

ومن ذلك أيضًا جعلهم الاتخاذ في الوجه السادس بمعنى (النسج) في قوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ){العنكبوت : ٤١} فقد جعلوا (اتَّخَذُوا) بمعنى : عبدوا ، و(اتَّخَذَتْ) بمعنى : نسجتْ ، والسياق يقتضي أن يكون كلا الاتخاذين بمعنى واحد ؛ هو الاتخاذ بعينه ؛

([1]) جامع البيان ١٠/١٣٠-١٣١ .

لأنَّ المراد تشبيه الاتخاذ الأول بالثاني ، فليس (اتَّخَذُوا) بمعنى (عبدوا) وليس (اتَّخَذَتْ) بمعنى (نسجتْ)

((فسّر القدامى بيت العنكبوت بأنَّه الخيوط التي تنسجها التي تبدو دقيقة وواهية جدًّا ، أمَّا علماء علم سلوك الحيوان في العصر الحديث فقد اكتشفوا أنَّ الفولاذ وأيّ معدن آخر من المعادن الصلبة لو جعل خيوطًا دقيقة بدقة خيوط العنكبوت لكانت خيوط العنكبوت أقوى من خيوط هذا المعدن الصلب أربع مرات ، إذن لا يمكن أن يكون المقصود من الوهن الخيوط التي تنسجها العنكبوت ، واكتشفوا أيضًا أنَّ أنثى العنكبوت هي التي تتخذ البيت باستدراج الذكر واستدعائه إليها لذلك قال سبحانه : (كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) ولم يقل سبحانه : كمثل العنكبوت اتخذ بيتًا ، واكتشفوا أيضًا أنَّ أنثى العنكبوت إذا تزوجت الذكر لدغته بعد أن يلقحها فتخدره بهذه اللدغة فتميته مع بقاء الروح والحياة فيه ، فتخدره ولا تقتله من أجل أن يبقى طعامًا طازجًا لا يفسد إلى حين يولد صغارها فيتغذون عليه لحمًا طريًّا ؛ لأنَّهم لا يجدون وقت ولادتهم طعامًا سواه ، وقد تأكل الأنثى صغارها ، أو قد تفترس الذكر بعد التلقيح ، فإذا جاء صغارها أكل بعضهم بعضا

في ضوء هذه الحقائق العلمية الحديثة يتبيّن أنَّ المقصود من البيت في الآية هو بيت الزواج وتكوين الأسرة ، لا بيت الخيوط ؛ والدليل على أن المقصود من الآية ذلك انتهاؤها بقوله تعالى : (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) لأنَّ الناس وقت نزول القران كانوا لا يعلمون هذه الحقائق عن بيت العنكبوت وأحوال أسرتها ، وهذا من معجزات القران الكريم ، فيكون التفسير الحديث الصحيح أنَّ المراد بالوهن في الآية الوهن الاجتماعي ، لا الوهن المادي ، فإن بيتًا تقتل فيه الزوجة زوجها ، أو تفترس أولادها ، والأولاد يأكلون أباهم ، أو يأكل بعضهم بعضًا ، لهو حقًّا أوهن بيت وأسرة من الناحية الاجتماعية ، فالمعنى : أنَّ كل جماعة ، أو أُمَّة تتخذ وليًّا لها من دون الله ؛ وتتخذ لها دينًا غير

دينه وشرعًا غير شرعه ، فإنَّ هذه الجماعة وهذه الأمَّة يكون حالها كحال بيت العنكبوت يأكل بعضهم بعضًا)) [1] فالمراد إذن معنى الاتخاذ وليس معنى النسج ، فقد عرَّف العسكري الاتخاذ بقوله : ((الاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يستمر عليه مثل الدار يتخذها مسكنًا ، والدابّة يتخذها قُعدة))[2]

فأنت ترى أنَّه إذا جاز استعمال لفظ النسج وإرادة معناه في هذه الآية فقد جاز أيضًا استعمال لفظ الاتخاذ وإرادة معناه ، بل هو أولى من ثلاث جهات ، الأولى : أنَّ إرادة معنى النسج ثبت علميًّا خطؤه ، والثانية : أنَّ القرآن عبَّر عن الاتخاذ بلفظه ، فهو أولى وأحقّ من أن يعبِّر عنه بلفظ النسج ، والثالثة : ما نبَّه عليه الزجاج وابن عصفور وغيرهما أنَّه قد يجيء لفظ في القرآن الكريم وقد تقارب في الفائدة مع ألفاظ أُخَر في تراكيب فيظنّ الضعيف العلم باللغة أنَّها بمعناه ، وهي ليست بمعناه بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في تراكيب أخرى[3]

وهذا الذي حصل في وجه النسج ، لا بدّ أن يكون قد حصل نحوه في الأوجه الأخرى ، وفي وجوه هذا اللفظ وغيره ، إلّا أنَّه لم يحصل في الحقيقة لضعف العلم باللغة ، بل لضعف التقوى والإخلاص ، فقد كان أصحاب كتب الوجوه كما وجدتهم حذَّاقًا وماهري صنعتهم في اختلاق الوجوه حتى تكاد تختفي على أهل العلم ، ولم يستطع الباحث أن يتعرَّف إليها إلّا بعد إنعام النظر فيها ، فأصحاب كتب الوجوه قد تعمدوا تحريف دلالة اللفظ القرآني عن علم من أجل اختلاق الوجوه ومن أجل أن يظهروا للآخرين مقدرتهم على تأليف مثل هذه الكتب .

([1]) ينظركتابي : إعجاز القرآن الكريم /الإعجاز العلمي /بيت العنكبوت .

([2]) الفروق اللغوية ص ١٥٧.

([3]) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٥١/١ والجنى الداني ص ٣٨٨ ومغني اللبيب ٧٥/١.

٢-**الحذر** : ذكر الحيري أنَّ الحذر ورد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : المخافة أو الخوف ، كقوله تعالى : (وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ المَصِيرُ)[آل عمران : ٢٨] يعني : يخوفكم بعقابه ، وقوله تعالى (يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ)[البقرة : ١٩] وقوله تعالى : (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ)[التوبة : ٦٤]

الوجه الثاني : حرابكم ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا)[النساء : ٧١] وقوله تعالى : (وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)[النساء : ١٠٢]

الوجه الثالث : الشاكون في السلاح المستعدون للحرب ، كقوله تعالى : (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ)[الشعراء : ٥٦] ومن قرأ بغير الألف فقيل : فزعون [١]

والوجه الأول الذي قال به الحيري قال به أيضًا الدامغاني والفيروزآبادي[٢]

قال ابن فارس : ((الحاء والذال والراء أصل واحد ، وهو من التحرُّز والتيقُّظ ، يقال : حَذِرَ يحذَر حَذَرًا ، ورجل حَذِرٌ وحذور وحِذْرِيان : متيقِّظٌ

---

(١) وجوه القرآن ص ١٥٦

(٢) الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٩١ وبصائر ذوي التمييز ٤٤١/٢

متحرِّزٌ ٠٠٠وقرئت : (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ){الشعراء : ٥٦} قالوا : متأهبون ، و(حَذِرون) خائفون ، والمحذورة : الفزع))[١] ((ورجل حذر : متيقِّظٌ شديد الحذر ، والفزع٠٠٠والحَذَرُ والحِذْرُ : التحرُّز)) [٢] والحَذَر لا يجيء بمعنى الخوف كما قال ابن فارس وغيره ، بل الحذر يعني التحرز مما يخيف ، قال الراغب : ((الحَذَر : احتراز عن مخيف)) [٣] وقال الحلبي : ((وأصله التحذّر من الشيء المخيف المهلك ، ، فهو أخصُّ من الخوف))[٤]

الحذر يعني الحذر بعينه ، والأوجه المنسوبة مختلقة بطريقتين :

الأولى : طريقة جعل اللفظ بمعنى ما أفاد وخالف المعنى المراد ، وهناك تداخل بين هذه الطريقة ، وطريقة الترادف ؛ لأنّ مرادفات اللفظ هي مما صحّ وقوعها موقع اللفظ ؛ لكنّها مخالفة للمعنى المراد ، فقد جعل الحيري الحذر في الوجه الثاني بمعنى الحراب ، في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ) (وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ) قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (خُذُواْ حِذْرَكُمْ) خذوا جُنَّتكم وأسلحتكم التي تتقون بها من عدوكم لغزوهم وحربهم))[٥] وهذا تفسير يراد به إيضاح المعنى ، لا على أن يكون يعني القول المُفَسَّر بعينه ، كما هو الحال لو جعل وجهًا له ؛ لذلك جاز في عباراته تقديم وتأخير ، ومع ذلك فإنَّ الطبري قد فسَّر الحذر بمعنى الاتقاء عندما قال : ((تتقون بها)) والاتقاء يقابل التحرز والحذر ، كأنَّه يريد أن يقول بأنَّ المعنى : خذوا تحرزكم وحذركم من عدوكم بالسلاح ، وإلاَّ فإنَّ قوله

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٠٠

(٢) لسان العرب ٦٤/٤

(٣) المفردات ص ١١٦ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٤٤١/٢

(٤) عمدة الحفاظ ٣٨٣/١

(٥) جامع البيان ١٩٦/٥

تعالى : (خُذُواْ حِذْرَكُمْ) ليس بمعنى : خذوا جُنَّتكم وأسلحتكم ، وإن قال بذلك الطبري ، بل حتى لو أجمع على ذلك المفسرون ، بل أريد من الحذر الحذر بعينه ، وهذا ما جاء في كتب التفسير ، قال الواحدي : ((قوله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ) هذه الآية حث من الله على الجهاد ، والحِذْر ، بمعنى الحَذَر ، كالمِثْل والمَثَل ، وتقول العرب : خذ حِذْرَكَ ، احذرْ ، والمعنى : احذروا عدوَّكم بأخذ العدة والسلاح))[١] وقال الزمخشري : (((خُذُواْ حِذْرَكُمْ) الحِذْرُ والحَذَرُ ، كالإثْرِ والأثَرِ ، يقال : أخذ حذره : إذا تيقَّظ واحترز من المخوف ، كأنَّه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ، ويعصم بها روحه ، والمعنى : احذروا واحترزوا))[٢] وقال ابن عطية : (((خُذُواْ حِذْرَكُمْ) معناه : احزموا واستعدوا بأنواع الاستعداد ، فهذا يدخل أخذ السلاح وغيره))[٣] وقال البيضاوي : (((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ) تيقظوا ، واستعدوا للأعداء ، والحذر ٠٠٠ما يحذر به ، كالحزم والسلاح))[٤] وقال أبو حيان : ((ومعنى : خذ حذرك ، أي : استعد بأنواع ما يستعد به للقاء من تلقاه ، فيدخل فيه أخذ السلاح وغيره ، ويقال : أخذ حذره : إذا احترز من المخوف ، كأنّه جعل الحذر آلته التي يتقي بها ويعتصم ، والمعنى : احترزوا من العدو))[٥]

فهذا هو المراد من قوله تعالى : (خُذُواْ حِذْرَكُمْ) أنَّه يعني التيقظ والتحرز ، كأنَّه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ، ويعصم بها روحه ،

---

(١) الوسيط ٧٩/٢

(٢) الكشاف ٥٢١/١ وينظر : مدارك التنزيل ص ٢٣٧

(٣) المحرر الوجيز ٧٧/٢

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي ٨٣/٢

(٥) البحر المحيط ٤١٣/٣

قال ابن عاشور : ((ولفظ (خُذُواْ) استعارة لمعنى شدة الحذر وملازمته ؛ لأنَّ حقيقة الأخذ تناول الشيء الذي كان بعيدًا عنك ، ولمَّا كان النسيان والغفلة يشبهان البعد والاتقاء كان التذكر والتيقظ يشبهان أخذ الشيء بعد إلقائه ، كقوله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ){الأعراف : ١٩٩} وقولهم : أخذ عليه عهدًا وميثاقًا ، وليس الحذر مجازًا في السلاح كما توهمه كثير ، فإنَّ الله تعالى قال في الآية الأخرى : (وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ){النساء : ١٠٢} فعطف السلاح عليه))[1] مما يدل على أنَّ السلاح غير الحذر ، وعلى أنَّ معنى قوله تعالى : (خُذُواْ حِذْرَكُمْ) هو غير معنى : خذوا أسلحتكم ؛ لأنَّه لا يصح عطف الشيء على نفسه .

وكان بإمكان الحيري وبعض المفسرين أن يدركوا بكل يسر ووضوح أنَّ الحذر أريد به غير السلاح ، لو أنَّهم أمعنوا النظر في الشاهد الثاني الذي ورد في سورة النساء نفسها ، وهو وقوله تعالى : (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)

قال القرطبي : ((قوله تعالى : (وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ) وقال تعالى : (وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) هذا وصاة بالحذر ، وأخذ السلاح ؛ لئلاَّ ينال العدو أمله ، ويدرك فرصته٠٠٠قال ابن عباس (وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ) يعني الطائفة التي وجاه العدو ؛ لأنَّ المصلِّية لا تحارب ، وقال غيره : هي المصلِّية ، أي : وليأخذ الذين صلُّوا أولاً أسلحتهم ، ذكره الزجاج ، قال :

---

(١) التحرير والتنوير ١٨٣/٤

ويحتمل أن تكون الطائفة الذين هم في الصلاة أُمِروا بحمل السلاح ، أي : فلتقم طائفة منهم معك، وليأخذوا أسلحتهم ؛ فإنَّه أرهب للعدو ، النحاس : يجوز أن يكون للجميع ؛ لأنَّه أهيب للعدو ، ويحتمل أن يكون لِلَّتي وجاه العدو خاصة ، قال أبو عمر : أكثر أهل العلم يستحبون للمصلي أخذ سلاحه إذا صلَّى في الخوف ، ويحملون قوله تعالى : (وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ) على الندب ؛ لأنَّه شيء لولا الخوف لم يجب أخذه ، فكان الأمر به ندبًا ، وقال أهل الظاهر : أخذ السلاح في صلاة الخوف واجب ؛ لأمر الله به ، إلّا لمن كان به أذى من مطر ، فإن كان ذلك جاز له وضع سلاحه ، قال ابن العربي : إذا صلوا أخذوا سلاحهم عند الخوف ، وبه قال الشافعي ، وهو نصُّ القرآن ، وقال أبو حنيفة : لا يحملونها ؛ لأنَّه لو وجب عليهم حملها لبطلت الصلاة بتركها ، قلنا : لم يجب حملها لأجل الصلاة ، وإنَّما وجب عليهم قوةً ونظرًا))[1]

وقال الشوكاني : (((وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ) أي : الطائفة التي تصلي معه٠٠٠أي : غير واضع له ، وليس المراد الأخذ باليد ، بل المراد أن يكونوا حاملين لسلاحهم ليتناولوه من قرب إذا احتاجوا ، وليكون ذلك أقطع لرجاء عدوهم من إمكان فرصته فيهم٠٠٠(وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى) وهي القائمة في مقابلة العدو التي لم تصلِّ (فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ) على الصفة التي كانت عليها الطائفة الأولى (وَلْيَأْخُذُواْ) أي : هذه الطائفة الأخرى (حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) زيادة التوصية للطائفة الأخرى بأخذ الحذر مع أخذ السلاح ، قيل : وجهه أنَّ هذه المرَّة مظنَّة لوقوف الكفرة على كون الطائفة مع النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٦٨-٢٦٩

في شغل شاغل ، وأمَّا في المرة الأولى فربما يظنونهم قائمين للحرب ؛ وقيل : لأنَّ العدو لا يؤخر قصده عن هذا الوقت ؛ لأنَّه آخر الصلاة)) [1]

وقال الآلوسي : (((وَلْيَأْخُذُواْ) أي : الطائفة الأخرى (حِذْرَهُمْ) أي : احترازهم ، وشبهه بما يُتحصَّن به من الآلات ؛ ولذا أثبت له الأخذ تخييلاً ، وإلاَّ فهو أمر معنوي ، ولا يضر عطف قوله سبحانه (وَأَسْلِحَتَهُمْ) عليه ؛ للجمع بين الحقيقة والمجاز ٠٠٠كما في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالأيمَانَ){الحشر : ٩}٠٠٠ولعل زيادة الأمر بالحذر ، كما قال شيخ الإسلام ، في هذه المرة ؛ لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل ، وأمَّا قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب٠٠٠(أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ) حيث رخَّص لهم في وضعها إذا ثقل عليهم حملها واستصحابها بسبب مطر، أو مرض ، وأُمروا بعد ذلك بالتيقظ والاحتياط فقال سبحانه (وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ) أي : بعد إلقاء السلاح للعذر ؛ لئلاَّ يهجم عليكم العدوّ غيلة)) [2]

ففي كلّ ما سبق من كلام تأكيد أنَّ الحذر غير السلاح ، وأنَّ قوله تعالى : (وخُذُواْ حِذْرَكُمْ) هو غير : خذوا أسلحتكم ، وأنَّ الفرق بينهما كبير ؛ ذلك أنَّ الحذر أمر معنوي ، والرماح أو السلاح شيء حسّي ، بل الحذر لا يعني السلاح لا حقيقة ولا مجازًا ، كما قال ابن عاشور فيما تقدم ((وليس الحذر مجازًا في السلاح كما توهمه كثير ، فإنَّ الله تعالى قال في الآية الأخرى : (وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ){النساء : ١٠٢} فعطف السلاح عليه))[3]

---

(١) فتح القدير ١/٦٤٢-٦٤٣

(٢) روح المعاني ٣/١٣١

(٣) التحرير والتنوير ٤/١٨٣

ففي الشاهد الثاني في سورة النساء تجد أنَّه تعالى مرة قال (وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ) فأمر بأخذ السلاح من دون الأمر بأخذ الحذر ، ومرة قال تعالى : (وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) فأمر بأخذ الحذر والسلاح ، ومرة قال تعالى : (أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ) فأمر صراحة بأخذ الحذر من دون الأمر بأخذ السلاح ، بل أمر بوضعه ، فاختلفت هذه التراكيب الثلاثة ؛ لاختلاف المقام والمعنى المراد ؛ فقصر الحذر على معنى الرماح كما زعم الحيري عطَّل تمامًا البحث في مدلول قوله تعالى في هذه المواضع الثلاثة ، ولماذا اختلفت تراكيبها ، ومن ثَمَّ ألغى البحث في كشف سر هذا الاختلاف ، ولا أدري كيف تسنَّى للزركشي أن يزعم أنَّ كتب الوجوه تكشف عن بلاغة القرآن ، بل العكس هو الصحيح أنَّها كتب تطمس ما في كتاب الله من بلاغة وإعجاز

وجَعْلُ الحذر بمعنى الرماح كما قال الحيري ، يعدُّ تحريفًا لدلالة اللفظ في التفسير ، بل طال هذا التحريف حتى اللغة ، فقد تقدم تعريف الحذر في اللغة أنَّه يعني التيقظ والتحرز ، ولم تجد في كتب اللغة من ذكر أنَّه يعني الرماح أو السلاح .

ومما يدل على تعمد الحيري لهذا الوجه أنَّه لا يصح تقديره في قوله تعالى : (أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ) لأنَّه كيف يصح أن يكون التقدير أو المعنى : أن تضعوا أسلحتكم وخذوا أسلحتكم ؛ لأنَّ في ذلك تناقضًا بين أخذ السلاح وتركه .

والقول بهذا الوجه لم يقف عن حدِّ التحريف ، بل تعدَّاه إلى تغيير الحكم المراد ، فجعل الحذر بمعنى الرماح أو السلاح في قوله تعالى : (وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ) وبتقدير : وخذوا رماحكم أو أسلحتكم ، يكون المعنيُّون بهذا الخطاب قد عصوا الله سبحانه إذا لم يأخذوا السلاح ؛ لأنَّهم مأمورون بأخذه حسب هذا الوجه وتقديره ، بينما لا يكون هناك عصيان إذا لم يأخذوا السلاح

؛ حسب قوله تعالى : (وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ) لأنَّه لم يأمرهم فيه بأخذه ، بل أمرهم باالحذر ، وهو التيقظ والتحرز ، وهو أهمّ وأولى من حمل السلاح من دونه ؛ لأنَّه ما الفائدة من حمله ، وهم غافلون ؟! لأنَّ غفلة المدججين بالسلاح كثيرًا ما تكون سببًا لقتلهم ، أو أسرهم واغتنام اسلحتهم .

الثانية : طريقة الترادف : **الحذر والخوف** : فقد جعل أصحاب كتب الوجوه الحذر في الوجه الأول بمعنى الخوف ، وهو قريب من معنى الحذر ، قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ) ((يعني تعالى ذكره بذلك : ويخوفكم الله من نفسه أن ترتكبوا معاصيه ، أو توالوا أعداءه ؛ فإنَّ لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ، ويوم حشركم لموقف الحساب ، يعني بذلك : متى صرتم إليه ، وقد خالفتم ما أمركم الله به وأتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، نالكم من عقاب ربكم ما لا قبل لكم به ، يقول : فاتقوه واحذروا أن ينالكم ذلك منه ؛ فإنَّه شديد العقاب)) [1]

لقد نبَّهت من قبل غير مرة أنَّ تفسير الآيات يراد منه في كتب التفسير إيضاح المعنى ، فالمفسرون لا يعنون أن تكون عبارات تفسيرهم تعني الكلام المفسَّر بعينه ، كما هو حال القول بالوجوه في كتب الوجوه ؛ لذلك تجد الطبري فسَّر قوله تعالى (وَيُحَذِّرُكُمُ) في بدء كلامه بدلالة الخوف ؛ لأنَّ غايته كانت إيضاح معنى كلام الله سبحانه للقارئ ؛ لذلك بدأ كلامه بقوله : ((يعني تعالى ذكره بذلك)) لكن بعد أن شعر أنَّ المعنى قد اتضح ، عاد وفسره بأقرب الألفاظ الدالة عليه ؛ لذلك فسره بقوله : ((يقول : فاتقوه واحذروا أن ينالكم ذلك منه ؛ فإنَّه شديد العقاب)) فالحذر يعني الحذر بعينه ؛

---

(١) جامع البيان ٢٦٩/٣

لذلك جعل ابن عاشور انتصاب (نَفْسَهُ) في قوله تعالى : (وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ) كانتصاب الاسم في باب التحذير[١]

فالحذر لا يعني الخوف ، فلكلٍّ لفظ قرآني تعريفه ومعناه واستعماله ، فجعله بمعنى لفظ آخر تحريف لدلالته ، فقد أجمع مثلًا أهل اللغة ، كما تقدم ، على تعريف الحذر بأنَّه يعني التحرز ، ومع ذلك فقد قال العسكري في ((الفرق بين الحذر والاحتراز ، أنَّ الاحتراز هو التحفظ من الشيء الموجود ، والحذر هو التحفظ مما لم يكن ، إذا علم أنَّه يكون ، أو ظنَّ ذلك))[٢] ذلك أنَّ اللفظ ، ولا سيما اللفظ القرآني ، لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، هذه الحقيقة التي يجب أن نسلِّم بها تسليمًا ، تجعل كتب الوجوه كتب تحريف من جهة ، وكتب لامعنى لها من جهة أخرى ؛ لأنَّ معنى كلَّ لفظ هو غير معنى اللفظ الآخر ، وإن جُعِل وجهًا له ، بل وإن عُرِّف في اللغة أحدهما بالآخر ، وجُعِل بمعناه

وجعلَ الحيري الحذر في الوجه الثالث بمعنى : الشاكون في السلاح المستعدون للحرب ، في قوله تعالى : (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) وقال : ومن قرأ بغير الألف فقيل : فزعون

والحاذر ، والحَذِر : مادة واحدة ، فمعناهما واحد ، والاختلاف بينهما يكون في دلالة الصيغة لا في دلالة الجذر ، قال الأزهري : ((قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب (حَذِرُونَ) بغير ألف ، وقرأ الباقون (حَاذِرُونَ) بألف ، والعرب تقول للرجل الذي جُبِلَ حَذَرًا : فلان حَذِرٌ ، وأمَّا الحاذر فهو الذي يَحْذَرُ عند حادث يحدث ، وروى ابن عباس أنَّه قرأ (حَاذِرُونَ) وفسَّره : إنَّا ذوو أداة من السلاح ، كأنَّ المعنى : إنَّا نأخذ حذرنا من عدونا بسلاحنا ،

---

(١) التحرير والتنوير ٣/٧٥

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٧٠

فالحاذر : المستعدُّ ، والحذِر : المتيقِّظ)) [1] جعلَ الحاذر بمعنى المستعد ؛ لأنَّه يعني الحذر الموقت الذي يكون عند الحاجة إليه ؛ لأنَّ الحاذر اسم فاعل فهو قريب من معنى فعله الذي يفيد معنى الحدوث ، وجعل الحَذِر بمعنى المتيقِّظ ؛ لأنَّه أريد به اليقظة الدائمة ، والحَذِر صفة مشبَّهة تفيد الدوام ، فالحذر يعني الحذر بعينه ، أمَّا الاستعداد للعدو بحمل السلاح فهذا من لوازمه ، قال الزمخشري : في تفسير الآية : ((نحن قوم من عادتنا التيقُّظ ، والحَذَر ، واستعمال الحزم في الأمور٠٠٠وقرئ (حَذِرُونَ)٠٠٠فالحَذِر : التيقُّظ ، والحاذر : الذي يجدد حذره ، وقيل : المؤدي في السلاح ؛ وإنَّما يفعل ذلك حَذَرًا واحتياطًا لنفسه)) [2]

٣-الدرجة والدرجات : ذكر الحيري والدامغاني للدرجة في القرآن الكريم خمسة أوجه :

الوجه الأول : الفضل والفضائل كقوله تعالى : (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ)[البقرة : ٢٢٨} أي : فضيلة وقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)[المجادلة : ١١} أي : فضائل في الدرجات

الوجه الثاني : الجنة ، كقوله تعالى : (أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[الأنفال : ٤}

الوجه االثالث السماوات ، كقوله تعالى : (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ)[غافر : ١٥}

---

(١) معاني القراءات ص ٣٤٧ وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٧١/٤ والحجَّة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٨٤/٤ والوسيط للواحدي ٣٥٤/٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٣٢/٤ وزاد المسير ٤٠/٦

(٢) الكشاف ٣٠٥/٣-٣٠٦ وينظر : أنوار التنزيل ١٣٨/٤ ومدارك التنزيل ص ٨٢٠

الوجه الرابع : الدرجات : زيادة المال والولد ، كقوله تعالى : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا){الزخرف : ٣٢} أي : منازل المال والولد

الوجه الخامس : الدرجات : الثواب ، كقوله تعالى : (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا){الأحقاف : ١٩} [١]

الأوجه المذكورة مختلفة بطريقتين :

الأولى : جعل اللفظ بمعاني ما أفاد وخالف المعنى المراد : فقد جعل الحيري الدرجات في الوجه الثاني بمعنى الجنة في قوله تعالى : (لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ) والمراد من الدرجات الدرجات بعينها ، وهذا ما جاء في كتب التفسير ، قال الطبري : ((يعني جل ثناؤه بقوله (لَّهُمْ دَرَجَاتٌ) لهؤلاء المؤمنين الذين وصف الله جل ثناؤه صفتهم درجات ، وهي مراتب رفيعة٠٠٠وعن ابن محيريز : قال : الدرجات سبعون درجة)) [٢] وقال الزجاج : ((قوله تعالى : (لَّهُمْ دَرَجَاتٌ) أي : لهم منازل في الرفعة على قدر منازلهم)) [٣] ((وقال عطاء : يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم))[٤]

فلكلٍّ من الدرجات والجنة دلالتها ، فالفرق بينهما ظاهر ، وأظهر منه أنَّ الدرجات جمع والجنة مفرد ، فالدرجات لا تعني الجنة بل تعني درجاتها ، فجعلها بمعناها تحريف ظاهر لدلالتها في اللغة والتفسير

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٠٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢١٥ .

(٢) جامع البيان ٢١٤/٩ وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١/٤

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٥/٢

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٤٤/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٤٤/٣

وجعل الحيري الدرجات في الوجه االثالث بمعنى السماوات ، في قوله تعالى : (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ) وهذا وجه قيل به أيضًا في التفسير والمراد أنَّه سبحانه جعلها درجات سماء فوق سماء ، ولو صحَّ هذا الوجه طباق ، كقوله تعالى : (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا){الملك : ٣} فالفرق ظاهر بين الصفة والموصوف ، فجعل السماوات بمعنى الدرجات تحريف ظاهر ، وهذه هي الطريقة الخامسة التي اتبعها أصحاب كتب الوجوه ، وهي عدم جعل الموصوف بمعناه بل بمعنى صفة من صفاته[١]

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ جعل الدرجات بمعنى السماوات ، هو قول قيل به ضمن عدة أقوال[٢] قال الواحدي : (((رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) قال عطاء عن ابن عباس : يريد درجاتكم ، والرفيع بمعنى الرافع ، والمعنى : أنَّه يرفع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة))[٣] وقال ابن عطية : ((قوله تعالى (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) صفاته العلى ، وعبَّر بما يقرب لأفهام السامعين ، ويحتمل أن يريد بـ) (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) التي يعطيها للمؤمنين ، ويتفضَّل بها على عباده المخلصين في الجنة)) [٤] وقال القرطبي : ((ومعنى (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) أي : رفيع الصفات٠٠٠وقال يحيى بن سلام : هو رفعة درجة أوليائه في الجنة ، فـ(رفيع) على هذا بمعنى رافع ، فعيل بمعنى فاعل ، وهو على القول الأول من صفات الذات ، ومعناه : الذي لا أرفع قدرًا منه ، وهو المستحق لدرجات المدح والثناء ، وهي أصنافها وأبوابها لا مستحق لها غيره))[٥]

---

(١) ينظر كتابي : طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه / الطريقة الخامسة

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٥/١٥

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٧/٤

(٤) المحرر الوجيز ٥٥٠/٤ وينظر : زاد المسير ٧٢/٧

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٥/١٥

والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أحدها أو أضعفها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه إن لم تدخل في باب التحريف ، فإنَّها تدخل في باب الخيانة العلمية في التفسير .

وجعل الدامغاني الدرجات في الوجه الرابع بمعنى : منازل المال والولد ، في قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) بل المراد الدرجات بعينها ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة ، بل جعلنا هذا غنيًّا ، وهذا فقيرًا ، وهذا ملكًا ، وهذا مملوكًا))[١] أي : جعلنا ((بينهم التفاوت في الرزق وغيره)) [٢] والتفاوت في الحرية والرق[٣] ((ومعنى : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) أنَّه فاضل بينهم فجعل بعضهم أفضل من بعض في الدنيا بالرزق ، والرياسة ، والقوة ، والحرية ، والعقل ، والعلم ، ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض ، فقال (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا))) [٤]

فالمراد إذن من الدرجات الدرجات بعينها ، وبمعناها العام ، وقصرها على درجتي المال والولد تحريف لدلالتها ، وهدم لعمومها .

الثانية : طريقة الترادفف : فقد جعل الحيري والدامغاني الدرجة والدرجات في الوجه الأول بمعنى الفضل والفضائل ، والفضل غير الدرجة ، والدليل على ذلك أمران ، الأول : أنَّ أهل اللغة فرقوا بينهما في التعريف ،

---

(١) جامع البيان ٨٠/٢٥ وينظر : زاد المسير ١٣٤/٧

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ٩٠/٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٠/١٦

(٤) فتح القدير ٦٩١/٤

فقد قال ابن فارس في الدرجة : ((الدال واللام والجيم أصل واحد يدلُّ على مضيٍّ الشيء ، والمضيٍّ في الشيء ، من ذلك قولهم : درج الشيء : إذا مضى لسبيله ، ورجع فلان أدراجه : إذا رجع في الطريق الذي جاء منه))[١] وقال الراغب : ((الدرجة نحو المنزلة ، لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السطح والسلم ، ويُعبَّر بها عن المنزلة الرفيعة ، قال تعالى : (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ){البقرة : ٢٢٨} وقال تعالى : (لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ){الأنفال : ٤} تنبيهًا لرفعة منزل الرجال عليهنَّ في العقل والسياسة ونحو ذلك))[٢]

وقالوا في الفضل إنَّه : ((أصل صحيح يدل على زيادة في شيء من ذلك : الفضل : الإحسان والزيادة ، والإفضال : الإحسان)) [٣] وإنَّ ((الفضل في الأصل : الزيادة ، ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة)) [٤] فالدرجة تعني المنزلة ، والفضل يعني الزيادة ، فقوله تعالى مثلًا : (وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا {٩٥} دَرَجَاتٍ مِّنْهُ){النساء : ٩٥-٩٦} معناه : وزاد الله المجاهدين على القاعدين منازل ودرجات

والأمر الثاني : عدم صحة وقوع الدرجة موقع الفضل ، وتكاد تكون هذه القضية عامَّة ، وليس في تراكيب معينة ، كقوله تعالى : (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ){البقرة : ٤٧} فلا يصح أن يقال : وإنِّي درَّجتكم على العالمين ، وقوله تعالى : (فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ){البقرة : ٦٤} فلا يصح أن يقال : فلولا درجة الله عليكم ، وقوله تعالى : (بَغْياً أَن

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٩١

(٢) المفردات ص ١٧٤

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٣٩ وينظر : المفردات للراغب ص ٣٩٧

(٤) نزهة الأعين ص ٢٢٠ .

يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ){البقرة : ٩٠} وقوله تعالى : (وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ){البقرة : ٢٣٧} وقوله تعالى : (وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ){البقرة : ٣٥١} أيصح أن يقال : ولكنَّ الله ذو درجة على العالمين ؟! وفي قوله تعالى : (وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا){النساء : ١١٣} ولا يقتصر الأمر على عدم صحة وقوع الدرجة موقع الفضل ، بل يتعداه إلى تغيير المعنى ، ففي الآية إثبات فضل الله على رسوله ، ولو حللنا الدرجة محل الفضل ، وقيل : وكانت درجة الله عليك عظيمة ، لانتفى إثبات هذا الفضل

وجعل الدامغاني الدرجات في الوجه الخامس بمعنى الثواب ، فقال ما نصه : ((الدرجات : الثواب ، قوله تعالى : (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا){الأحقاف : ١٩} يعني : للمؤمنين في الجنة منازل وقصوراً ، وللكافرين في النار دركات بما عملوا)) [١]

وقال ابن الجوزي : ((ثم قال (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) أي : منازل ومراتب بحسب ما اكتسبوه من إيمان وكفر ، فيتفاضل أهل الجنة في الكرامة ، وأهل النار في العذاب))[٢] وقال الشوكاني : (((وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا) أي : لكل فريق من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والإنس مراتب عند الله يوم القيامة قال ابن زيد : درجات أهل النار في هذه الآية تذهب سفلاً ، ودرجات أهل الجنة تذهب علوًا)) [٣]

فليس المراد من الدرجات الثواب بل درجاته ، والجدير بالذكر أنَّ الدامغاني نفسه بعد أن أثبت وجه الثواب للدرجات عاد فأبطل هذا الوجه عند

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢١٥

(٢) زاد المسير ١٧٦/٧

(٣) فتح القدير ٢٥/٥

تفسيره للشاهد وقوله المذكور : ((يعني : للمؤمنين في الجنة منازل وقصوراً ، وللكافرين في النار دركات بما عملوا)) فالمراد إذن من الدرجات الدرجات بعينها ، وجعلها بمعنى الثواب تحريف لدلالتها .

٤-**الذهاب** : قال الدامغاني : ((تفسير الذهاب على ستة أوجه : الكلام ، والدعوة ، والهجرة ، والانفراد ، والذهاب بعينه ، والاستيفاء .

فوجه منها : الذهاب : الكلام ، قوله تعالى : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ)[التكوير : ٢٦] يعني : أين تذهبون في اعتقادكم فيه ؟ على مذهب فلان ، ليس يعنون الذهاب بعينه .

والوجه الثاني : الذهاب هي الدعوة ، قال الله تعالى : (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)[طه : ٢٤]

والوجه الثالث : الذهاب : الهجرة ، قوله تعالى : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ)[الصافات : ٩٩] يعني مهاجر إلى ربي حيث يطاع

والوجه الرابع : الذهاب : الانفراد بالشيء ، قوله تعالى : (إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ)[المؤمنون : ٩١]

والوجه الخامس : الذهاب بعينه ، قوله تعالى : (قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)[المائدة : ٢٤]

والوجه السادس : الذهاب : الاستيفاء ، قوله تعالى : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا)[الأحقاف : ٢٠] أي : استوفيتم الطيبات)) [١]

قال ابن فارس : ((الذال والهاء والباء أصيل يدلُّ على حسن ونضارة من ذلك الذهب معروف٠٠٠وبقي أصل آخر ، وهو ذهاب الشيء مُضيّه ،

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٢٣

يقال : ذَهَبَ يَذهَبُ ذَهابًا وذُهوبًا ، وقد ذهب مذهبًا حسنًا))[1] وقال الراغب : ((الذهب معروف٠٠٠والذَّهاب المُضي ، يقال : ذهب بالشيء وأذهبه ، ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني ، قال الله تعالى : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ){الصافات : ٩٩} وقال تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ){هود ٧٤}))[2]((والذهاب : السير والمرور٠٠٠والمذهب : المعتقَد الذي يذهب إليه))[3]

الأوجه المذكورة مختلقة ، وقد اختلقها الدامغاني بطريقتين :

الأولى : جعل اللفظ بمعاني ما أفاد وخالف المعنى : فقد جعل الدامغاني الذهاب في الوجه الأول بمعنى الكلام في قوله تعالى : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) من العلامات التي ذكرتها في المقدمة على التحريف الدلالي للفظ القرآني هو أن تجد الأوجه المنسوبة إليه لا يصح أن تقع موقعه ، وتؤدي معناه ، أو لا تتسق اتساقه في السياق ، فأنت تحس بخلل في فصاحة التركيب لو جعلتَ الذهاب بمعنى الكلام ، وجعلت قوله تعالى : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) بتقدير : فأين تتكلمون ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير من جعل الذهاب بمعنى الكلام ، بل أبقوه على معناه كما عرَّفه أهل اللغة ، قال الطبري : ((وقوله تعالى : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) يقول تعالى ذكره : فأين تذهبون عن هذا القرآن ، وتعدلون عنه ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل))[4]وقال الزجاج : (((فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) معناه : فأي طريق تسلكون أبين

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٢٢-٣٢٣

(٢) المفردات ص ١٨٨

(٣) لسان العرب ٤٨/٦

(٤) جامع البيان ١٠٤/٣٠ وينظر : الكشاف للزمخشري ٧٠٠/٤

من هذه الطريقة التي بيَّنتُ لكم))[1] وقد تقدم أنَّ الدامغاني فسَّر شاهد الوجه الأول بقوله : ((يعني : أين تذهبون في اعتقادكم فيه ؟ على مذهب فلان ، ليس يعنون الذهاب بعينه)) فقد جعل الذهاب بعينه هو الذي يكون في الإعيان ، والذهاب هنا في المعاني ، وقد بيَّن أهل اللغة كما تقدم أنَّ الذهاب يستعمل في الأعيان وفي المعاني ، فهو في كليهما يعني الذهاب بعينه ، وجعله بغير معناه هذا تحريف لدلالته .

وجعل الذهاب في الوجه الثاني يعني الدعوة في قوله تعالى : (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) أين معنى الذهاب من معنى الدعوة ؟! فالفرق بينهما ظاهر ، فجعله بمعناها تحريف ظاهر ؛ وكيف يصحّ أن يكون التقدير : ادع إلى فرعون ؟! ولأنَّ المراد أن يدعوه بعد أن يذهب إليه ، قال الطبري : ((في هذا الموضع وفي الكلام محذوف استغني (عن ذكره) بفهم السامع بما ذكر منه ، وهو قوله تعالى : (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) فادعه إلى توحيد الله وطاعته))[2]والدليل على ذلك أنَّه سبحانه أمر موسى وأخاه بعد ذلك أن يدعواه إلى طاعة الله فقال تعالى : (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {٤٣} فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى){طه : ٤٢-٤٣}

وجعل الذهاب في الوجه الرابع بمعنى الانفراد بالشيء ، في قوله تعالى : (إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) وهذا ما جاء أيضًا في كتب التفسير وهذا الوجه لم يأت من لفظ (لَّذَهَبَ) بل من التركيب الإضافي (كُلُّ إِلَهٍ) وإلاَّ فأين معنى الذهاب بالشيء من معنى الانفراد به ؟! لذلك جاز جعله بمعنى الانفراد وغيره مما يحتمله هذا التركيب ، قال الطبري في تفسير قوله تعالى :

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٧/٥ وينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٣٢/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٢١٢/٨

(٢) جامع البيان ١٨٥/١٦

(إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) ((يقول : إذن لاعتزل كل إله منهم بما خلق من شيء فانفرد به))[1] وقال الزجاج : ((وقوله تعالى : (إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) أي : طلب بعضهم مغالبة بعض))[2] وقال الزمخشري : ((لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبدَّ به))[3] ((وامتاز ملكه عن ملك الآخر))[4] فقد جعل أهل التفسير الذهاب ، بمعنى الانفراد ، والاعتزال ، وطلب المغالبة ، والاستبداد ، والتميز ، وهي جميعها ليست معاني الذهاب ، بل هي معاني ما يحتمله التركيب الإضافي ، ولو جاز أن نجعل الذهاب بمعنى الانفراد ، لجاز أن نجعل هذا الوجه للعلم في قوله تعالى : (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ)[البقرة : ٦٠} والتقدير : قد انفرد كل سبط بمشربهم ، وللتوفية في قوله تعالى : (ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)البقرة : ٢٨١} والتقدير ثم تنفرد كل نفس بما كسبت ، وللوجود في قوله تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ)[آل عمران : ٣٠} والتقدير : يوم تنفرد كل نفس بعملها ، وللإتيان في قوله تعالى : (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا)[النحل : ١١١} والتقدير : يوم تنفرد كل نفس بالمجادلة عن نفسها ، وللهمِّ في قوله تعالى : (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ)[غافر : ٥} والتقدير : وانفردت كل أمَّة بأخذ رسولها ، وللجزاء في قوله تعالى : (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى)[طه : ١٥} وقوله تعالى : (وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)[الجاثية : ٢٢} والتقدير : لتنفرد كل نفس بكسبها وسعيها ، فالانفراد ليس معنى قوله (لَّذَهَبَ) بل هو ما يدل عليه قوله تعالى : (كُلُّ إِلَهٍ) وهذا

---

(١) جامع البيان ٦٢/١٨ وينظر الوسيط للواحدي ٢٩٦/٣

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩/٤

(٣) الكشاف ١٩٥/٣

(٤) فتح القدير للشوكاني ٦١٦/٣

من التحريف الدلالي للفظ القرآني ، وهو عدم جعله بمعناه بل بمعنى السياق ، وهذه هي إحدى الطرائق التي اتبعها أهل الوجوه في اختلاق الوجوه[١]

وجعل الذهاب في الوجه السادس بمعنى الاستيفاء في قوله تعالى : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا) وجعله بتقدير : استوفيتم الطيبات ، معنى الإذهاب هنا واضح لا يحتاج إلى تعريف وتفسير ، ولهذا وجدتُ أكثر المفسرين لم يتطرقوا إلى تعريفه وتفسيره ، بل أبقوه على معناه، ومن تعرَّض لتفسيره فسَّره بقوله : (((أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ) أي : ما كُتِبَ لكم حظٌّ من الطيبات إلاَّ ما قد أصبتموه في دنياكم ، وقد ذهبتم به وأخذتموه ، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها)) [٢]

ولا يُعدُّ من التحريف الدلالي للإذهاب إذا جُعِل بمعنى الاستيفاء مع الإقرار بأنَّه معنى مفيد ، لا مطابق ، ومع الإقرار بجواز جعله بمعان مفيدة أُخَر ؛ لأنَّ الغرض من ذلك أن يوضَّح به معناه لا على أنَّه يعنيه بعينه ، كما هو الحاصل في كتب اللغة والتفسير بصفة عامة ، أمَّا على أنَّه يعنيه بعينه فهو التحريف بعينه ، وهذا هو الحاصل في كتب الوجوه .

والحقيقة أنَّ الاستيفاء غير الإذهاب فـ((ذهب به وأذهبه غيرُه : أزاله)) [٣] واستوفى الشيءَ أخذه بتمامه ولم ينقص منه شيء[٤] كقوله تعالى : (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ {١} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ){المطففين : ١-٢} ومعنى أذهبتم في قوله تعالى : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ) هو كمعنى قوله تعالى : (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء){الأنعام : ١٣٣}

---

(١) ينظر كتابي : طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه /الطريقة العاشرة

(٢) الكشاف للزمخشري ٢٩٧/٤

(٣) لسان العرب ٤٨/٦

(٤) ينظر : لسان العرب ٢٥٢/١٥-٢٥٣

والاستيفاء في الحقيقة مستفاد من قوله تعالى : (وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا) لا من قوله (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ) وهذا هو المراد من ذكر الاستيفاء في قول الزمخشري : (((فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها)) أي : لم يبق لكم بعد استمتاعكم بالطيبات شيء منها ، فاستوفى الشيءَ أخذه كلَّه ، وأذهب الشيءَ : أزاله كلَّه ، فأنت ترى أنَّ الاستيفاء خلاف الإذهاب ، فجعله بمعناه تحريف ظاهر ، بل قلبه إلى الضد

الثانية : طريقة الترادف : **الذهاب والهجرة** : فقد جعل الذهاب في الوجه الثالث بمعنى الهجرة ، في قوله تعالى : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) والهجرة غير الذهاب ، والدليل على ذلك أنَّ أهل اللغة فرقوا بينهما في التعريف ، فقد عرَّفوا الذهاب بما تقدم ذكره ، وعرَفوا الهجرة بأنَّها تعني مفارقة الإنسان غيره ، وترك بلد والاتجاه إلى بلد آخر ، والخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان ، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة[1]والدليل على ذلك أيضًا أنَّه لا يصح أن تقع الهجرة موقع الذهاب وأن تكون بتقديره في أكثر المواضع ، كقوله تعالى : (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) فلا يصح أن يأمر الله موسى بالهجرة إلى فرعون ؛ لأنَّ الهجرة تكون إلى الصالحين لا إلى الطواغيت ، وقوله تعالى : (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ){النساء : ١٣٣} لأنَّ المراد من إذهاب الناس موتهم لا مفارقتهم ، وإذا جاز أن تحلَّ موقعه في بعض التراكيب فلتقاربهما فيها في الفائدة ، فيظنّ الضعيف العلم باللغة أنّهما بمعنى واحد ، كما قال الزجاج وغيره

جعل الدامغاني الذهاب بمعنى الهجرة في قوله تعالى : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) ولم ينبِّه على أنَّه قال في سورة العنكبوت : (إِنِّي

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٩٣٠ والمفردات للراغب ص ٥٦١

مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي){العنكبوت : ٢٦} فوحَّد بينهما في المعنى ، وهذا ما قال به مفسرون قال الطبري : ((وقوله : (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) يقول : إنِّي مهاجر من بلدة قومي إلى الله ، أي : إلى البلدة المقدسة)) [١] والحقيقة أنَّه لا بدَّ من أن يكون بينهما فرق دلالي ، وقد نقل الطبري نفسه المذهب الآخر الذي جعل الذهاب على معناه ، فقال : ((عن قتادة (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) ذاهب بعمله وقلبه ونيته ، وقال آخرون : إنَّما قال إبراهيم (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) حين أرادوا أن يُلقوه في النار ٠٠٠عن أبي إسحاق ، قال : سمعت سليمان بن صُرَد ، يقول : لمَّا أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار (قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) فلمَّا ألقيَ فيها ، قال : حسبي اللهُ عليه توكلتُ ، أو قال : حسبي الله ونعم الوكيل ، قال : فقال الله : (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ){الأنبياء : ٦٩}))[٢] وقال القرطبي : ((وقيل : قال هذا قبل إلقائه في النار ، وفيه على هذا القول تأويلان ، أحدهما : إنِّي ذاهب إلى ما قضاه عليَّ ربي ، والثاني : إنِّي ميِّتٌ ، كما يقال لمن مات : قد ذهب إلى الله تعالى ؛ لأنَّه عليه السلام تصوَّر أنَّه يموت بإلقائه في النار ، على المعهود من حالها في تلف ما يُلقى فيها ، إلى أن قيل لها : (كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا) فحينئذ سلم إبراهيم منها ، وفي قوله (سَيَهْدِينِ) على هذا القول تأويلان : أحدهما : سيهديني إلى الخلاص منها ، والثاني : سيهديني إلى الجنة ، وقال سليمان بن صُرَد ، وهو ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم٠٠٠فلمَّا ذُهِب به ليُطرَح في النار ، قال حسبي الله ونعم الوكيل))[٣]

---

(١) ينظر : جامع البيان ٩٠/٢٣ وينظر : الوسيط للواحدي ٥٢٩/٣ والكشاف ٥٠/٤

(٢) جامع البيان ٩٠/٢٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧٧/١٥

فقال (سَيَهْدِينِ) ليهديه الله سبحانه كيف ينجو من هذه المحنة ، فهداه الله إلى أن يقول ويدعو : حسبي الله ونعم الوكيل ، فنجَّاه منها ، فيكون قول إبراهيم عليه السلام : (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) هو كقول موسى عليه السلام : (فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ {٦١} قَالَ كَلّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ){الشعراء : ٦١-٦٢}

فقد أراد من الذهاب في قوله تعالى : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) الذهاب بعينه ، وأنَّه أراده بعد نجاته من النار لا قبلها ، وأنَّه كان بالمعنى الذي قاله قتادة : ذهاب بالعمل والقلب والنية ، فقوله (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) معناه : ((إنِّي ذاهب إلى ربي بقلبي وعملي ونيتي))[١] ((أي : إنِّي ذاهب بعملي وعبادتي ، وقلبي ونيتي ، فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن))[٢] وقد تقدم أنَّ الذهاب يستعمل في الأعيان والمعاني ، فهذا هو المعنى المراد من الذهاب في سورة الصافات ، وأنَّه كان قبل قوله : (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) والدليل على ذلك أنَّ القول بالذهاب كان بعد النجاة من النار مباشرة حتى إنَّه لم يفصل بينهما شيء ، وحتى ظنَّ مفسرون أنَّه كان حين أُلقي فيها ، قال تعالى : (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ {٩٧} فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ {٩٨} وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ {٩٩} رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ){الصافات : ٩٧-٩٩}

أمَّا إرادة الهجرة ومفارقة قومه والقول بها فقد كان فيما بعد ، بعد أن بيَّن لقومه فساد عبادتهم ، وبعد أن علم بأنَّهم لا يهتدون ، وأنَّ مصيرهم النار لا محالة ، حينئذ أراد الهجرة من أرض قومه إلى أرض الشام ، قال تعالى : (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣١٣/٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٧/١٥

ذَلِكَ لاَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {٢٤} وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ {٢٥} فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٢٦} وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الأخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ){العنكبوت : ٢٦-٢٧} وقد قرن إرادة الذهاب بالهداية ، لأنَّه أراد منها أن يهديه ماذا يفعل ، أيبقى مع قومه أم يفارقهم ؟

والدليل كما قلنا على أنَّ الذهاب ليس من الألفاظ المشتركة جعله إيّاه في الوجه الخامس يعني الذهاب بعينه ؛ لأنَّ هذا يعني أنَّ للذهاب معنى مستقلاً خاصًّا به ، ويعدُّ اعترافًا وإقرارًا منه بأنَّ معاني الأوجه المنسوبة إليه لا تعني الذهاب بعينه ، بل تعني معاني أُخَر ، وهي التي عُبِّر عنها بألفاظها ، فجعل الذهاب بمعاني الأوجه المذكورة لا يُعدُّ تحريفًا ظاهرًا فحسب ، بل يُعدُّ تحريفًا قد أقرَّ به عندما أقرَّ بأنَّ معاني الوجوه المنسوبة إلى الذهاب لا تعني الذهاب .

٥-**الرفع** : قال ابن فارس : ((الراء والفاء والعين أصل واحد يدل على خلاف الوضع ، تقول : رفعتُ الشيء رفعًا وهو خلاف الخفض ... ومن الباب تقريب الشيء قال الله تعالى : (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ){الواقعة : ٣٤} أي : مقربة لهم ، ومن ذلك رفعته للسلطان ، والرفع : إذاعة الشيء وإظهاره ... ورفْعُ الزرع : أن يُحمل بعد الحصاد إلى البيدر))[١]

وقال الراغب : ((الرفع تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها نحو قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّور){البقرة : ٦٣} وقال تعالى : (اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا){الرعد : ٢} وتارة في البناء إذا

(١) مقاييس اللغة ص ٣٤٦-٣٤٧ وينظر : المفردات ص ٢٠٨ .

طوَّلته نحو قوله تعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ)[البقرة : ١٢٧} وتارة في الذكر إذا نوَّهته نحو قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)[الشرح : ٤} وتارة في المنزلة إذا شرَّفتها نحو قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ)[الزخرف : ٣٢} وقوله تعالى : (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ)[غافر : ١٥} وقوله تعالى : (بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)[النساء : ١٥٨} يحتمل رفعه إلى السماء ورفعه من حيث التشريف ... وقوله عز وجل : (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ)[الواقعة : ٣٤} أي : شريفة ، وكذلك قوله عز وجل : (فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ {١٣} مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ)[عبس : ١٣-١٤}))[1] وجعل الرفع بمعنى التشريف في قوله تعالى : (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) على سبيل المجاز هو الصحيح وأصح من جعله بمعنى التقريب كما قال ابن فارس ، فالرفع يعنى ما كان خلاف الوضع والخفض حقيقة أو مجازًا .

وقال الدامغاني : ((تفسير الرفع على ستة أوجه : حبس ، والتشدد ، وأجلس ، وعرج به ، ورتَّب ، وفضَّل ، فوجه منها ، رفع بمعنى : حبس قوله تعالى في سورة النساء : (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ)[النساء : ١٥٤} يعني : قلعنا وحبسنا .

والوجه الثاني ، الرفع : التشدد في الكلام ، قوله تعالى في سورة الحجرات : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)[الحجرات : ٢} يعني : لا تشددوا كلامكم عند كلامه

والوجه الثالث ، رفع ، أي : أجلس قوله تعالى في سورة يوسف : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ)[يوسف : ١٠٠} يعني : أجلسهما على السرير .

([1]) المفردات ص١٠٧-١٠٨.

والوجه الرابع ، رفع يعني : عرج به ، قوله تعالى في سورة النساء لعيسى بن مريم عليه السلام : (بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ){النساء : ١٥٨} أي : عرج بنفسه إلى السماء .

والوجه الخامس ، رفع يعني : رتَّب بعضها على بعض قوله تعالى في سورة حم المؤمن : (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ){غافر : ١٥} يعني : خالق السموات رتَّب بعضها على بعض

والوجه السادس ، رفع يعني : فضَّل كقوله تعالى في سورة الزخرف : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ){الزخرف : ٣٢} يعني : فضَل الأغنياء على الفقراء))[١]

جعل الرفع في الوجه الأول بمعنى قلعنا وحبسنا في قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ) والصحيح أنَّه بمعنى : أعلينا كما قال الراغب ، وقال ابن كثير : ((وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى عليه السلام ، ورفع الله على رؤوسهم جبلًا ثم ألزمهم فالتزموا وسجدوا وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم)) [٢] ولم أجد في كتب التفسير التي رجعتُ إليها من فسَّر الرفع بغير معنى الرفع ، فما الذي اضطر الدامغاني إلى أن يجعله بمعنى الحبس غير النية المسبقة في اختلاق هذا الوجه .

وجعل الرفع في الوجه الثاني بمعنى : التشدد في الكلام ، في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) وهذا الوجه أيضًا بعيد عن دلالة اللفظ وعن التفسير وأسباب النزول ، ففي تفسير الطبري : أنَّه ((لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي ، فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال : ما يبكيك يا ثابت ؟ قال لهذه الآية ، أتخوّف

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٢٤/٢

أن تكون نزلت فيَّ ، وأنا صيِّتٌ رفيع الصوت ... وكان في أذنه صمم)) [1]
وقال الواحدي : ((نزلت في ثابت بن قيس بن شمَّاس كان في أذنه وقْر (أي : صمم) وكان جهوري الصوت ، وكان إذا كلَّم إنسانًا جهر بصوته ، فربما كان يكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته فأنزل الله تعالى هذه الآية ... قال ثابت : بن قيس : أنا الذي كنتُ أرفع صوتي فوق صوت النبي ، أنا من أهل النار ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، فقال : هو من أهل الجنة))[2] والحديث رواه مسلم ، فالقضية متعلقة برفع الصوت لا غير ، فما الذي إذن حمل الدامغاني على جعله بمعنى التشدد في الكلام غير التعمد في اختلاق الوجوه ؟

وجعلَ الرفع في الوجه الثالث بمعنى الجلوس في قوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) والجلوس وإن أفاد ليس هو المعنى المراد ، ، وقد نقل الطبري أقوال المفسرين : السُّدِّي ، والضحاك ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن عباس ، وجميعهم فسروا قوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) بمعنى : ورفع أبويه على السرير ، فاستعملوا لفظ الرفع لا لفظ الجلوس ؛ لأنَّ المراد معنى التشريف ، وهذا يكون بالرفع لا بالإجلاس ، ولو أراد الثاني لاستعمل لفظه .

وجعل الرفع في الوجه الرابع بمعنى العروج في قوله تعالى : (بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ) والعروج أيضًا وإن أفاد ليس هو المعنى المراد ؛ لأنَّ المراد معنى التشريف وقد تقدم قول الراغب : ((يحتمل رفعه إلى السماء ورفعه من حيث التشريف)) ولو أراد العروج لاستعمل لفظه .

وجعلَ الرفع في الوجه الخامس بمعنى الترتيب في قوله تعالى : (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) وماعلاقة الرفع بالترتيب ؟! فهو قد يكون مفهومًا من لفظ

([1]) جامع البيان ١٣٦/٢٦-١٣٨ .

([2]) أسباب النزول للواحدي ص ٢٤٣ .

الدرجات لا من لفظ الرفع ؟ لذلك لم يختلف المفسرون في دلالة الرفع بل اختلفوا في المراد من الدرجات ، فقد قال الواحدي : ((والرفيع بمعنى الرافع والمعنى : أنَّه يرفع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة)) [١]((وحكى الماوردي عن بعض المفسرين قال : معناه : عظيم الصفات)) [٢] ((وقيل : الدرجات : مراتب المخلوقات ، أو مصاعد الملائكة إلى العرش أو السموات أو درجات الثواب))[٣] فأنت ترى أنَّ الترتيب إن صح هو معنى الدرجات لا معنى الرفع وهذه التفسيرات جميعها مقبولة ، لأنَّها مُدرجة ضمن التفسير ، لأنَّه ما أريد منها تعيين المعنى والقطع به كما فعل الدامغاني ، بل الشرح والإيضاح .

وما قلته في هذا الوجه يقال الكلام نفسه في جعل الرفع بمعنى التفضيل في الوجه السادس في قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) فالتفضيل –وإن أفاد –ليس هو المعنى المراد ، بل هو معنى الدرجات لا معنى الرفع .

٦–**سبحان** : قال الدامغاني تفسير (سبحان) على سبعة أوجه : الصلاة ، والعجب ، والذكر ، والتوبة ، والاستثناء ، وبراءة الله من السوء ، والتنزيه .

فوجه منها ، التسبيح بمعنى : الصلاة ، قوله تعالى في سورة الروم : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ){الروم : ١٧} مثلها (سَبَّحَ لِلَّهِ){ الحديد : ١}{الحشر : ١}{الصف : ١} يعني : صلوا لله .

والوجه الثاني ، سبحان ، يعني : العجب ، قوله تعالى في سورة بني إسرائيل : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً){الإسراء : ١} يعني : العجب الذي أسرى بعبده .

---

(١) الوسيط ٧/٤ وينظر : مدارك التنزيل ص ١٠٥٤ .

(٢) زاد المسير ٧٢/٤.

(٣) أنوار التنزيل ٥٣/٥.

والوجه الثالث ، التسبيح : الذكر ، قوله تعالى في سورة الرعد : (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ)(الرعد : ١٣} يعني : ويذكر الرعد ، مثلها في سورة البقرة : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ)(البقرة : ٣٠} أي : نذكرك

والوجه الرابع ، التسبيح : التوبة ، قوله سبحانه في سورة الأعراف : (قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)(الأعراف : ١٤٣}

والوجه الخامس ، التسبيح : الاستثناء ، قوله تعالى في سورة القلم : (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ)(القلم : ٢٨} يقول : هلاَّ تستثنون .

والوجه السادس ، سبحان الله : براءة الله عز وجل من السوء ، قوله تعالى : (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(يس : ٨٣} يعني : براءة الله من السوء

والوجه السابع ، التسبيح : التنزيه ، قوله تعالى في سورة الفتح : (وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)(الفتح : ٩}))[1]

قال ابن فارس : ((السين والباء والحاء أصلان ، أحدهما : جنس من العبادة ، والآخر : جنس من السعي ... ومن الباب التسبيح ، وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء ، والتنزيه : التبعيد ، والعرب تقول : سبحان مِن كذا ، أي : ما أبعده ! قال الأعشى :

أقول لمَّا جاءني فخره سبحان مِن علقمة الفاخرِ

وقال قوم : تأويله عجبًا له إذا يفخر ، وهذا قريب من ذاك ؛ لأنَّه تبعيد له من الفخر ، وفي صفات الله جل وعز سُبُّوح ، واشتقاقه من الذي ذكرناه ، أنَّه تنزَّه من كل شيء لا ينبغي له)) [2] وقال الراغب : ((السَّبْح : المرّ السريع في الماء وفي الهواء ... والتسبيح : تنزيه الله تعالى ، وأصله المرّ

([1]) الوجوه والنظائر ص ٢٧٧ وينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٠٦-١٠٧ ووجوه القرآن للحيري ص ٢٤٢.

([2]) مقاييس اللغة ٤٢٦ .

السريع في عبادة الله تعالى ، وجُعِل ذلك في فعل الخير ، كما جُعل الإبعاد في الشر فقيل : أبعده الله ، وجُعِل التسبيح عامًّا في العبادات قولًا كان أو فعلًا أو نية ، قال الله تعالى : (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ){الصافات : ١٤٣} قيل : من المصلين ، والأَولى أن يُحمَل على ثلاثتها ... وقال تعالى : (لَوْلا تُسَبِّحُونَ){القلم : ٢٨} أي : هلّا تعبدونه وتشكرونه ، وحُمِل ذلك على الاستثناء ، وهو أن يقول : إن شاء الله)) [١]

الذكر ، وبراءة الله من السوء ، والتنزيه ، كما جاء في الوجه الثالث والسادس والسابع قريبة من معنى التسبيح ؛ لأنَّ التسبيح يعني ذكر الله بألفاظ التعظيم والتنزيه ، والألفاظ المتقاربة في معانيها أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه .

وقد جعل الدامغاني التسبيح في الوجه الخامس بمعنى الاستثناء إلّا أنَّه لم يوضح هذا المعنى ، وقد جعله الراغب كما تقدم بمعنى : ((هلّا تعبدونه وتشكرونه ، وحُمِل ذلك على الاستثناء ، وهو أن يقول : إن شاء الله)) [٢]وقال الواحدي : (((لَوْلا تُسَبِّحُونَ) هلّا تستثنون فتقولون : إن شاء الله ؟ أنكر عليهم ترك الاستثناء في قوله تعالى : (أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ {١٧} وَلا يَسْتَثْنُونَ){القلم : ١٧-١٨} وسُمِّي الاستثناء تسبيحًا ؛ لأنَّه تعظيم لله وإقرار بأنَّه لا يقدر أحد أن يفعل شيئًا إلّا بمشيئة الله تعالى))[٣] وجعل الزمخشري التسبيح في هذه الآية بمعنى : ذكر الله وقال : ((وقيل : المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله ؛ لأنَّ الاستثناء تفويض إليه ، والتسبيح تنزيه له ، وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم)) [٤]

([١]) المفردات ص ٢٢٨.

([٢]) المفردات ص ٢٢٨.

([٣]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٣٨/٤ .

([٤]) الكشاف ٥٧٩/٤ وينظر : أنوار التنزيل ٢٣٥/٥ ومدارك التنزيل ص ١٢٦٨ .

والصحيح فيما يبدو أنَّ المراد من قوله تعالى : (وَلا يَسْتَثْنُونَ) لا يثنون عما هموا به من منع المساكين[1] أي : أنَهم نووا وعزموا أن يحرموا كل الناس من خيرات جنتهم ، ولا يستثنوا من ذلك حتى المساكين منهم ، فاستثنيت الشيء من الشيء : حاشيته ، وأصل الاستثناء الثَّنْيُ ، وهو الكفّ والردّ[2] والتسبيح حتى لو كان المراد منه قولهم : إن شاء الله ، فهو يعني التسبيح بعينه كما تبيَّن

وجعل التسبيح في الوجه الرابع بمعنى التوبة في قوله تعالى : (قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) ومن اللغو جعل التسبيح بمعنى التوبة ؛ لأنَّه قد ذكرها بعده بلفظها (تُبْتُ إِلَيْكَ) ؛ لذلك نجد المفسرين يفسرون (سُبْحَانَكَ) بغير معنى التوبة فقد فسرها الطبري بقوله : ((تنزيهًا لك يا رب ، وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش)) [3] حتى فصل الواحدي بينهما في التفسير فقال : (((قَالَ سُبْحَانَكَ) تنزيهًا لك عن السوء (تُبْتُ إِلَيْكَ) عن مسألتي ؛ وذلك أنَّه سألها من غير استئذان من الله ، فلذلك تاب)) [4] فالمراد من التسبيح هنا ((أي : تنزيهًا لك))[5] كما قال ابن عطية ، أو ((تنزيهًا وتعظيمًا وإجلالاً)) [6] كما قال ابن كثير، أو ((أنزهك تنزيهًا)) [7] كما قال

---

(1) ينظر : روح المعاني ٣٤/١٥.

(2) ينظر : لسان العرب ٥٠/٣ وتاج العروس ١٥١/٣٧

(3) جامع البيان ٦٨/٩ .

(4) الوسيط٤٠٨/٢ .

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٥١/٢.

(6) تفسير القرآن العظيم ٣٤١/٣ .

(7) فتح القدير ٣١٠/٢ .

الشوكاني ، أو ((تنزيهًا لك من مشابهة خلقك في شيء)) [1] كما قال الآلوسي ، وكان المراد من هذا التسبيح بعد ما أفاق ((تعظيمًا لَمارأى)) [2]

وجعل التسبيح في الوجه الأول بمعنى الصلاة في قوله تعالى : (فَسُبْحَانَ اللَّـهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) والتقدير : صلوا لله ، وهذا المعنى وإن قيل به أيضًا في بعض كتب التفسير ، إنما أريد منه معناه الموضوع له ، فلو كان المراد منه الصلاة ، لجاء بلفظه ، وقال كما قدّره : صلوا لله ، قال الزمخشري : ((والمراد من التسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة)) [3] والدليل على ذلك أنَّه عطف الحمد على التسبيح قال تعالى : (فَسُبْحَانَ اللَّـهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ {١٧} وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ){الروم : ١٧-١٨} فقوله تعالى (فَسُبْحَانَ اللَّـهِ) إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته ... وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح ؛ لأنَّ آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر ، وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشى العين : إذا نقص نورها ، والظهيرة التي هي وسطه لأن يتجدد فيهما النعم أكثر)) [4]

قال مقاتل : (((سُبْحَانَ) يعني : عجب))[5] ولم يذكر غير هذه الكلمة ، قالها من غير توضيح وتعليق فتلقفها الدامغاني ليجعلها الوجه الثاني للتسبيح في قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) على الرغم

([1]) روح المعاني ٤٥/٥.

([2]) أنوار التنزيل ٣٣/٣.

([3]) الكشاف ٤٥٦/٣ وينظر : مدارك التنزيل ص ٩٠٤.

([4]) أنوار التنزيل ٢٠٣/٤.

([5]) تفسير مقاتل ٢٤٦/٢ .

من أنَّ هذا الوجه لم يقل به أهل المعاني والتفسير ، فقد رجعتُ إلى معاني القرآن للفراء والأخفش والزجاج ومجاز القرآن لأبي عبيدة ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، وتفسير الطبري ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وأبي حيان الأندلسي ، وابن كثير ، والشوكاني ، والآلوسي ، فلم أجد أحدًا منهم قال أو نقل تفسير التسبيح في أول سورة الإسراء بمعنى العجب .

فقد أجمع المفسرون على تفسير التسبيح في قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) بأنَّه يعني : تنزيه الله من السوء ومن كل عيب وقصور ونقص ومن كل شيء لا ينبغي له [1] وهذا هو معناه أينما ورد في القرآن الكريم ، إلّا أنّ أصحاب كتب الوجوه اختلقوا للفظ (سبحان) أوجه الذكر ، وبراءة الله من السوء ، والتنزيه ، بجعله بمعاني مرادفاته ، واختلقوا له أوجه الصلاة ، والاستثناء ، والعجب ، والتوبة ، بجعله بمعاني ما أفاد ، وخالفتْ معناه المراد .

٧-**السِّحْر** : قال ابن فارس : ((السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة ، أحدها : عضو من الأعضاء ، ، والآخر : خَدْع وشبهة ، والثالث : وقت من الأوقات ، فالعضو : السَّحْر(بالفتح) ، وهو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن ... وأمَّا الثاني فالسِّحْر(بالكسر) ، قال قوم : هو إخراج الباطل في صورة الحق ، ويقال : هو الخديعة ، واحتجوا بقول القائل

فإن تسألينا فيم نحن فإنَّنا عصافير من هذا الأنام المُسَحَّرِ

كأنَّه أراد المخدوع الذي خدعته الدنيا وغرته ، ويقال المُسَحَّر الذي جُعِل له سَحْر ، وأمَّا الوقت فالسَّحَر ، والسُّحْرة ، وهو قبل الصبح ، وجمع السَّحَر

([1]) ينظر : جامع البيان ٥/١٥ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨٤/٣ والوسيط للواحدي ٩٣/٣ وملخص إعراب القرآن للتبريزي ص ١٥٧ والكشاف ٦٢١/٢ ومدارك التنزيل ص ٦١٥ والمحرر الوجيز ٤٥٣/٣ وزاد المسير ٣/٥ والجامع لأحكام القرآن ١٤٨/٥وفتح القدير ٢٥٥/٣ .

أسحار))[1] وهذه الأصول الثلاثة التي تمثل ثلاثة معان متباينة تعود إلى ثلاثة صيغ مختلفة الحركة ، فالعضو من السَّحْر(بفتح السين وسكون الحاء) والخديعة من السِّحْر(بكسر السين وسكون الحاء) والوقت من السَّحَر (بفتح السين والحاء) .

وقال الراغب : ((والسِّحْر يقال على معان ، الأول : الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشُعبِذ (المشعوذ) بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد ... والثاني : استجلاب معاونة الشيطان ... والثالث : اسم لفعل يزعمون أنَّه من قوته يغيِّر الصور والطبائع فيجعل الإنسان حمارًا ، ولا حقيقة لذلك عند المحصِّلين))[2] ((وقال بعض أهل العلم : السِّحْر : اسم لما لطف وخفي سببه))[3]

وقال الدامغاني : ((تفسير السِّحْر على خمسة أوجه : العلم ، والكذب ، والأخذ بالعين ، والجنون ، والصرف عن الحق .

فوجه منها السحر : العلم ، قوله تعالى في سورة الزخرف : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ){الزخرف : ٤٩} يعني : العالم .

والوجه الثاني ، السحر : الكذب ، قوله تعالى في سورة الأعراف : (وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ){الأعراف : ١١٦} يعني : بكذب عظيم

والوجه الثالث ، السحر : الأخذ بالعين قوله تعالى في سورة الأعراف : (فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ){الأعراف : ١١٦} يعني : أخذوا أعين الناس

([1]) مقاييس اللغة ص ٤٣٠-٤٣١ وينظر : المفردات ص ٢٣٣ .

([2]) المفردات ص ٢٣٣.

([3]) نزهة الأعين ص ١٥٧ .

والوجه الرابع ، المسحور : المجنون ، قوله تعالى : (وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلًا مَّسْحُورًا)[الفرقان : ٨]

والوجه الخامس ، السحر : الصرف ، قوله تعالى في سورة المؤمنون : (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ)[المؤمنون : ٨٩]))[١] أي : تُصرفون عن الحق

وذكر الفيروزآبادي هذه الأوجه بشواهدها ، وأضاف إليها الوجهين الآتيين : ((السادس ، بمعنى : الإحواج إلى الطعام والشراب : (قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ)[الشعراء : ١٥٣]

والسابع ، بمعنى : آخر الليل ، ومقدمة الصبح : (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ)[القمر : ٣٤] : (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ)[آل عمران : ١٧]))[٢]

والوجه الأول الذي جعلوا فيه السحر بمعنى العلم في قوله تعالى : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) أريد به وصف موسى عليه السلام بأنَّه الساحر ، وهذا خطاب قومه له وقد ((كانوا يسمون العلماء سحرة فنادوه بذلك على سبيل التعظيم ... وكان الساحر فيهم عظيمًا يوقّرونه ، ولم يكن السحر صفة ذم))[٣] فوصفوا العلم بالسحر ، لا السحر بالعلم ، فيدخل هذا الوجه ضمن الدراسة المعكوسة ، والتشبيه والمجاز ، وهذا كله خارج عن باب الوجوه .

وجعلوا السحر في الوجه الثاني بمعنى : الكذب في قوله تعالى : (وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) والكذب –وإن أفاد وجاز وصف السحر به – لم يكن هو المعنى المقصود ؛ لأنَّه قد وُصف بأعمّ وأعظم من ذلك ، قال الطبري :

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٧٠-٢٧١ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٥١-٢٥٢ ونزهة الأعين ص ١٥٨ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢٠٠/٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٩/١٦-٧٠ .

(((بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) بتخييل عظيم كثير من التخييل والخداع))[1] وهذا هو السحر كما عرَّفه أهل اللغة .

وجعلوا السحر في الوجه الثالث بمعنى : الأخذ بالعيون في قوله تعالى : (فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ) وجعله الفيروزآبادي ((بمعنى : ربط العيون))[2] وهذا هو السحر بعينه ؛ لأنَّ أخذ الأعين أو ربطها لا يكون إلّا بفعله ؛ لذلك جعل ابن الجوزي السحر في هذه الآية بمعنى : ((السحر المعروف الذي يأخذ بالعين والقلب))[3]

وجعلَوا السحر في الوجه الرابع بمعنى : المجنون في قوله تعالى : (وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلًا مَّسْحُورًا) وهذا الوجه –وإن أفاد–لم يكن هو المعنى المراد ، ولو أراده لاستعمل لفظه وقال كما قدّروا ، وقد ذهب أبو عبيدة إلى أنَّ المسحور هنا من السَّحْر (بفتح السين وسكون الحاء) أي : الذي له رئة ((وكذلك كل دابة أو طائر أو بشر يأكل فهو مسحور ... لأنَّ أهل السماء لا يأكلون ، فأرادوا أن يكون ملَكًا))[4] وأنكر ابن قتيبة قول أبي عبيدة وقال : ((ولستُ أدري ما اضطره إلى هذا التفسير المستكره ، وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكراه فيه ، قال مجاهد في قوله : (إِلّا رَجُلًا مَّسْحُورًا) أي : مخدوعًا ؛ لأنَّ السِّحْر حيلة وخديعة))[5] ووصف الطبري قول أبي عبيدة بأنَّه ((غير بعيد عن الصواب))[6] وافتصر الواحدي على القول الثاني وقال : (((إلا رَجُلًا مَّسْحُورًا) مخدوعًا ، والمسحور الذي قد

---

(1) جامع البيان ٢٧/٩ وينظر : الوسيط ٣٩٥/٢ والكشاف ٣٦/٢ والجامع لأحكام القرآن ١٧٨/٩.

(2) بصائر ذوي التمييز ٢٠٠/٣ .

(3) نزهة الأعين ص ١٥٨ .

(4) مجاز القرآن ص ١٤٦ .

(5) تفسير غريب القرآن ص ٢٥٦.

(6) جامع البيان ١١٢/١٥ .

سُحِر واختلط عليه أمره)) [1]ونقل الزجاج وغيره القولين ورجحوا القول الثاني ، وفسروا المسحور في الآية بمعنى الخداع أو الذي قد سُحِر[2] وهذا هو السِّحْر المعروف .

وجعلوا السحر في الوجه الخامس بمعنى الصرف في قوله تعالى : (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) وقد جعل الفراء : تُسحرون ، وتُصرفون ، وتُؤفكون بمعنى واحد[3] وقال الطبري : ((فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) إنَّما معناه : فمن أيِّ وجه يُخيَّل إليكم الكذب حقًّا والفاسد صحيحًا)) [4] وهذا هو السحر الذي بمعنى ما تقدم .

وأمَّا الوجه السادس الذي أضافه الفيروزآبادي وهو جعله السحر بمعنى : الإحواج إلى الطعام والشراب في قوله تعالى : (قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) فهو من السَّحْر(بفتح السين وسكون الحاء) بمعنى الرئة لا من السِّحْر(بكسر السين وسكون الحاء) بمعنى الخدعة ، أي : هو من صيغة أخرى ، يضاف إلى ذلك أنَّ هذا المعنى لم يعيِّنه أهل التفسير فقد أجازوا أن يكون (مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) ((مَن له سَحْر، والسَّحْر : الرئة ، أي : إنَّما أنت بشر مثلنا ، وجاز أن يكون من المفعَّلين من (السِّحْر) ، والمعنى : من قد سُحِر مرة بعد مرة)) [5]

---

(1) الوسيط ١١١/٣.

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٩٩/٣والملخص في إعراب القرآن الكريم ص ١٧٢والكشاف ٦٤٥/٢ والمحرر الوجيز ٤٦١/٣ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٣٦٦/٧

(3) ينظر : معاني القرآن ١٤٤/٢ .

(4) جامع البيان ٦١/١٨ وينظر : الوسيط ٢٩٦/٣

(5) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٧٥/٤ وينظر : جامع البيان ١١٩/١٩-١٢٠ والوسيط ٣٦٠/٣ وزاد المسير ٥٠/٦ .

وكذلك الوجه السابع الذي أضافه الفيروزآبادي الذي جعله بمعنى : آخر الليل ، ومقدمة الصبح في قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ) وقوله تعالى : (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) فهو من السَّحَر (بفتح السين والحاء) لا من السِّحْر (بكسر السين وسكون الحاء) فهو من صيغة مختلفة أيضًا ؛ لذلك لا يصح جعل المعنيين السادس والسابع من أوجه السِّحْر ؛ لأنَّهما ليسا من هذه الصيغة من حيث الحركة ، وقد تقدم : ((أنَّ معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة ذُكِرتْ في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة))[1]

مما تقدّم ذكره تبيّن أنّ الأوجه : العلم ، والكذب ، والجنون ، والصرف عن الحقّ ، وإن أفادت معانيها ، لم تكن هي المعنى المقصود ، أمّا الوجهان اللذان أضافهما الفيرزأبادي فهما من صيغتين مختلفتين ، وجَعْلُ السحر في الوجه الثالث يعني السحر بعينه يعني أنّ بقية الأوجه الستة لا تعني السحر بعينه ، فهي إذن أوجه مختلقة ، اختُلقتْ بطريقتين : بطريقة ذكر ما أفاد وخالف المعنى المراد ، وبطريقة اختلاف المعاني لاختلاف الصيغة .

الطريقة الثالثة ، جعل اللفظ بمعاني لوازمه ، أو بمعاني ما يلزم منها معناه

من ذلك ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

١-**أحاط** : قال الدامغاني : ((تفسير (أحاط) على أربعة أوجه ، العلم ، والجمع ، والهلاك ، والاشتمال من جوانب الشيء ، فوجه منها (أحاط) يعني : علم ، قوله تعالى في سورة الجن : (وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا){الجن : ٢٨} أي : علم بما لديهم ، وكقوله تعالى :

([1]) نزهة الأعين النواظر ص ١٢ .

(وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ)}البقرة : ٢٥٥} أي : لا يعلمون بشيء من معلوماته إلّا بما شاء .

والوجه الثاني ، الإحاطة يعني : الجمع ، قوله تعالى في سورة البقرة : (واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ)}البقرة : ١٩} أي : يجمعهم يوم القيامة فتلحقهم العقوبة ، قاله مجاهد .

والوجه الثالث ، الإحاطة : الهلاك ، قوله تعالى في سورة البقرة : (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ)}البقرة : ٨١} يقول : أهلكه شركه ، مثلها في سورة الكهف ، قوله تعالى : (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ)}الكهف : ٤٢} هلكت ثمرته .

والوجه الرابع ، الإحاطة : يعني الاشتمال على الشيء والاحتواء من جوانبه كلها ، قوله تعالى في سورة الكهف : (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا)}الكهف : ٢٩} أي : سرادق النار تحيط بهم ، وكقوله تعالى في سورة العنكبوت : (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)}العنكبوت : ٥٤}))[١] ومثل هذا قال ابن الجوزي[٢] والفيروزآبادي[٣]

قال الراغب : ((الحائط : الجدار الذي يحوط بالمكان)) [٤] وقال ابن الجوزي : ((الإحاطة : الاستدارة بالشيء من جميع جوانبه ، ويقال للبستان : الحائط ؛ لأنَّه يجمع كثيرًا من الثمار)) [٥]

هذا هو معنى (أحاط) وما ذكره أصحاب كتب الوجوه هي ليست أوجه الإحاطة وإنَّما هي معاني لوازمه ، فمن أحاط بالشيء علم بما أحاطه ، وتمكَّن من جمعه ، ومن إهلاكه إذا أراد ، فقد جعلوا (أحاط) بمعنى العلم كما

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٤٥ .

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩ .

(٣) بصائر ذوي التمييز ١٢٦/٢.

(٤) المفردات ص ١٤٢ .

(٥) نزهة الأعين ص ٢٩ .

جاء في الوجه الأول في قوله تعالى : (وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) لأنهم جعلوا الآية بمعنى : وأحاط بما لديهم من علم ، وكذلك جعلوه بمعنى العلم في قوله تعالى : (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ) للتصريح بالمحاط به وهو علمه سبحانه وتعالى .

وجعلوه بمعنى الجمع في الوجه الثاني في قوله تعالى : (واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ) لأنَّه أريد بالمعنى المتعلق بالمحاط بهم وهم الكافرون ، وجعل الإحاطة بالكافرين بمعنى جمعهم يوم القيامة يُعدَّ من لوازمه ؛ لأنَّ من أحاط بقوم فقد جمعهم ؛ أو يدخل في باب المجاز[1] والله سبحانه قال عن نفسه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ){الشورى : ١١} وكذلك صفاته وأفعاله ليست كمثلها صفات وأفعال ، لذلك لا يجوز إقحام صفاته وأفعاله في وجوه أيّ لفظ كان .

أمَّا جعل الإحاطة بمعنى الهلاك في قوله تعالى : (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) فلأنَّ من أحاط بشيء فقد تمكَّن منه ، كما أنَّ في هذه الآية استعارة ، قال الراغب : ((وقوله تعالى : (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) فذلك أبلغ استعارة ، وذاك أنَّ الإنسان إذا ارتكب ذنبًا واستمرّ عليه ، استجرّه إلى معاودة ما هو أعظم منه ، فلا يزال يرتقي حتى يُطبَع على قلبه ، فلا يمكنه أن يخرج من تعاطيه)) [2]

وأمَّا جعل الإحاطة في الوجه الرابع بمعنى : الاشتمال على الشيء والاحتواء من جوانبه كلها ، فهو المعنى الموضوع للإحاطة ، وهذا هو معناه أينما ورد في القرآن الكريم ، وما عداه من الأوجه والمعاني التي تُنسب إليه ، فهي معان مجازية أو معاني لوازمه .

([1]) ينظر : مدارك التنزيل ص ٣٢ .

([2]) المفردات ص ١٤٢.

٢-**أحصى** : قال الدامغاني : ((تفسير (أحصى) على أربعة أوجه : الحفظ ، والكتابة ، والعلم ، والشكر ، فوجه منها : أحصى : حفظ ، قوله تعالى في سورة الكهف : (لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا)(الكهف : ٤٩} أي : حفظها ، وكقوله تعالى في سورة المجادلة : (أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ)(المجادلة : ٦} أي : حفظه الله ونسوه ، وكقوله تعالى : (عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ)(المزمل : ٢٠} أي : تحفظوا مواقيت الصلاة .

والوجه الثاني ، أحصى ، أي : كتب ، قوله تعالى في سورة عم يتساءلون (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا)(عم : ٢٩} أي : كتبناه كتابًا .

والوجه الثالث ، أحصى ، أي : علم ، قوله تعالى في سورة الجن : (وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)(الجن : ٢٨} أي : علم كل شيء عددًا .

والوجه الرابع ، أحصى : شكر ، قوله تعالى في سورة النحل : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا)(النحل : ١٨} أي : لا تشكروها ، مثلها في سورة إبراهيم ، ويقال : لا تُعرَف كميتها))[١]

وذكر ابن الجوزي الوجهين الأول ، والثاني : الحفظ ، والكتابة ، وجعل الوجه الثالث بمعنى : الإطاقة واستشهد له بقوله تعالى : ((عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ)(المزمل : ٢٠} وهو أحد شواهد الحفظ عند الدامغاني ، وجعل الوجه الرابع بمعنى : العدد، واستشهد له بقوله تعالى : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا)(إبراهيم : ٣٤} وهو شاهد الشكر عند الدامغاني ، وقال : ((وقد ألحق قوم قسمًا خامسًا ، وهو العلم ، ومنه قوله تعالى في سورة الجن : (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)(الجن : ٢٨} والظاهر أنَّه من قسم العدد)) [٢]

وكذلك ذكر الفيروزآبادي الوجهين الأول ، والثاني : الحفظ ، والكتابة

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٤٦ .

(٢) نزهة الأعين ص ٣١-٣٢.

، وجعل الوجه الثالث بمعنى : الحصر والإحاطة ، واستشهد له بقوله تعالى : (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا){الجن : ٢٨} وهو من شواهد العلم عند الدامغاني ، وجعل الوجه الرابع بمعنى : الطاقة والقدرة ، واستشهد له بقوله تعالى : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا){النحل : ١٨}(إبراهيم : ٣٤}[١]

وقال ابن فارس : ((أحصيتُ الشيء : إذا أعددته وأطقته)) [٢] وقال الراغب : ((الإحصاء : التحصيل بالعدد ، يقال : أحصيتُ كذا ، وذلك من لفظ الحصا ، واستعمال ذلك فيه من حيث إنَّهم كانوا يعتمدونه بالعد كاعتمادنا فيه على الأصابع قال الله تعالى : (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا){الجن : ٢٨} أي : حصله وأحاطه به ، وروي : استقيموا ولن تُحصوا ، أي : لن تُحصِّلوا ذلك)) [٣] وقال الفيروزآبادي : ((ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وقوله صلى الله عليك في الأسماء الحسنى : من أحصاها دخل الجنة [٤] قيل : أي : من عدَّها وقرأها ، وقيل : من حفظها وضبطها ، وقيل : من عرَفها وعرَف معناها ، وقيل : من تخلّق بها حسب الطاقة البشرية ، وقوله : استقيموا ولن تُحصُوا [٥] أي : لن تحصّلوا ذلك ، ووجه تعذّر إحصاؤه وتحصيله ، هو أنَّ الحق واحد والباطل كثير ، بل الحق بالإضافة إلى الباطل كالنقطة بالإضافة إلى أجزاء الدائرة ، وكالمَرْمَى من الهدف ، وإصابة ذلك صعب عسير)) [٦]

---

(١) ينظر : بصائر ذوي التمييز ١٢٨/٢ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٢١٢ .

(٣) المفردات ص ١٢٧ .

(٤) من حديث أخرجه الشيخان والترمذي .

(٥) الحديث أخرجه أحمد .

(٦) بصائر ذوي التمييز ١٢٨/٢-١٢٩ .

فصفوة ما تقدَّم أنَّ الإحصاء لا يعني عدَّ الشيء فحسب ، بل عدُّه ، وتحصيله ، والإحاطة به ، وهذا هو معنى الإحصاء ، أمَّا الأوجه التي نُسبتْ إليه : الحفظ ، والكتابة ، والعلم ، فهي ليست معاني الإحصاء بل هي معاني لوازمه ، فتحصيل الشيء بعدِّه والإحاطة به يستلزم حفظه ، وكتابته ، والعلم به ، أي : هذه الأمور مما يقتضيه معنى الإحصاء ، أمَّا جعل الإحصاء بمعنى الشكر في قوله تعالى : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا){النحل : ١٨}{إبراهيم : ٣٤} فهو وجه دخيل مُقحَم فيه ، والدليل على ذلك أنَّ المفسرين لم يعيِّنوا هذا المعنى ، والعبد لا يستطيع شكر نعمة واحدة ، فالمراد الإحصاء من دون الشكر ، قال الواحدي : ((أي : لا تأتوا على جميعها بالعدد لكثرتها ، قال الكلبي : لا تحفظوها ، وقال أبو العالية : لا تطيقون عدَّها))[١] وقال التبريزي : ((أي : تروموا عدَّها لا تطيقوا عدَّها لكثرتها))[٢] وقال الزمخشري : ((لا تحصوها : لا تحصروها ، ولا تطيقوا عدَّها وبلوغ آخرها ، هذا إذا أرادوا أن يعدُّوها على الإجمال ، وأمَّا التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلّا الله))[٣] وقال ابن عطية : ((أي : لكثرتها وعظمها في الحواس والقوى والإيجاد بعد العدم والهداية للإيمان وغير ذلك ، وقال طلق بن حبيب : إنَّ حق الله تعالى أثقل من أن يقوم به العباد ونعمه أكثر من أن يحصيها العباد ، وقال أبو الدرداء : من لم ير نعمة الله عليه إلّا في مطعمه ومشربه فقد قلَّ علمه وحضر أجله))[٤] وقال أبو حيان الأندلسي : ((لا تحصوها : أي : لا تطيقوا عدَّها ولا تقوموا بحصرها لكثرتها))[٥] وقال ابن

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٣/٣.

(٢) ملخص إعراب القرآن ص ١٠٤ .

(٣) الكشاف ٥٣٦/٢ .

(٤) المحرر الوجيز ٣٤٠/٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٥/٩.

كثير : ((يخبر تعالى عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلًا عن القيام بشكرها)) [1] .

فكلام المفسرين كما ترى يحوم جميعه حول معنى تحصيل الشيء بعدِّه والإحاطة به ، وهذا هو معنى الإحصاء أينما ورد في القرآن الكريم ، ولا أوجه له فيه غير دلالته على هذا المعنى ، أمَّا الأوجه المنسوبة إليه فهي ليست معاني الإحصاء بل هي من معاني لوازمه .

٣-**الإهلال** : قال الحيري : ((باب الإهلال على وجهين ، أحدهما : رفع الصوت كقوله في البقرة : (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ){البقرة : ١٧٣}

والثاني : الذبح ، نحو قوله تعالى : (أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ){الأنعام : ١٤٥})) [2]

قال ابن فارس : ((الهاء واللام أصل صحيح يدل على رفع صوت ... والأصل قولهم : أهلَّ بالحجّ : رفع صوته بالتلبية ، واستهلَّ الصبي صارخًا : صوَّت عند ولادته ... فالهلال الذي في السماء سُمِّي به لإهلال الناس عند نظرهم إليه مكبِّرين وداعين ، ويسمَّى هلالًا أول ليلة والثانية ، والثالثة ، ثم هو قمر بعد ذلك)) [3] وقال الراغب : ((الإهلال : رفع الصوت عند رؤية الهلال ، ثم استعمل لكل صوت ، وبه شُبِّه إهلال الصبي ، وقوله : (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ){البقرة : ١٧٣} أي : ما ذُكر عليه غير اسم الله ، وهو ما كان يُذبَح لأهل الأصنام)) [4]((وأهلَّ الرجل واستهلَّ : إذا رفع صوته ، وأهلَّ المعتمر : إذا رفع صوته بالتلبية ، وتكرر في الحديث

([1]) تفسير القرآن العظيم ٣٥٦/٤.

([2]) وجوه القرآن ص ٣٩-٤٠

([3]) مقاييس اللغة ص ٩٢٢ وينظر : العين للخليل ص ١٠١٧

([4]) المفردات ص ٥٦٩ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٥٦/٤ وبصائر ذوي التمييز ٣٢٢/٥

ذكر الإهلال ، وهو رفع الصوت بالتلبية ، أهلَّ المحرم بالحج يُهلُّ إهلالًا : إذا لبَّى ورفع صوته))[١]

قال الطبري في تفسيره : ((أمَّا قوله : (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ)) فإنَّه يعني : وما ذُبِح للآلهة والأوثان يُسمَّى عليه بغير اسمه ، أو قُصِد به غيره من الأصنام ، وإنَّما قيل : (وَمَا أُهِلَّ بِهِ) لأنَّهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قرّبوه لآلهتهم سموا اسم آلهتهم التي قرّبوا لها ذلك ، وجهروا بذلك أصواتهم ... فرفعهم أصواتهم بذلك هو الإهلال الذي ذكره الله تعالى فقال : (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ))) [٢] هذا ما قاله في تفسير شاهد الوجه الأول ، وقال في تفسير شاهد الوجه الثاني : ((قوله : (أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ) قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية من وفق لفهمه عن تكراره وإعادته)) [٣] فأنت ترى أنَّ الطبري لم يفسَّر شاهد الوجه الثاني ، وأحال القارئ إلى أن يراجع تفسيره لشاهد الوجه الأول ؛ لأنَّ المعنى واحد في الشاهدين ، فالدليل على اختلاق هذين الوجهين أني لم أجد لغويًّا في كتب اللغة ، ولا مفسِّرًا في كتب التفسير ، فرَّق بين دلالة أهلَّ في شاهد الوجه الأول ، وبين دلالة أهلَّ في شاهد الوجه الثاني ، فكما جاز جعل الإهلال في شاهد الوجه الأول بمعنى رفع الصوت ، جاز بالقدر نفسه جعله بهذا المعنى في شاهد الوجه الثاني ، وكما جاز جعل الإهلال في شاهد الوجه الثاني بمعنى الذبح ، جاز أيضًا بالقدر نفسه جعله بهذا المعنى في شاهد الوجه الأول ، حتى أجمعوا على أنَّ معنى الشاهدين في الوجهين ، هو أنَّ أهل الجاهلية كانوا يرفعون أصواتهم بذكر اسم اللات والعزى عند ذبح

---

(١) لسان العرب ٨٣/١٥

(٢) جامع البيان ١٠٢/٢

(٣) جامع البيان ٨٦/٨ .

الذبائح لآلهتهم وأصنامهم[1] والله سبحانه حرَّم أكل هذه الذبائح ، فالمعنى واحد هنا وهناك .

فالإهلال يعني رفع الصوت ، ولا يعني الذبح ، وإنَّما هو من لوازمه ، وقد اختلقه الحيري بهذه الطريقة .

٤-**الثبات** : قال الدامغاني : ((تفسير الثبات على ستة أوجه : البشارة ، والثبات على شهادة أن لا إله إلّا الله محمد رسول الله ، والتلقين ، والجماعات ، والحبس ، ، والثبات بعينه .

فوجه منها ، الثبات بمعنى : البشارة ، قوله تعالى في سورة الأنفال : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ)[الأنفال : ١٢} بمعنى : بشروهم ، ويقال : انصروهم

والوجه الثاني ، الثبات ، التثبت على شهادة أن لا إله إلّا الله محمد رسول الله ، قوله تعالى في سورة إبراهيم : (يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)[إبراهيم : ٢٧} أي : يلقنهم شهادة أن لا إله إلّا الله محمد رسول الله .

والوجه الثالث ، الثبات بمعنى : التلقين ، قوله تعالى في سورة إبراهيم : (يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ)[إبراهيم : ٢٧} يعني : يلقنهم الشهادة

والوجه الرابع ، الثبات بمعنى : الجماعات قوله تعالى في سورة النساء : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا)[النساء : ٧١} يعني : جماعات

([1]) ينظر : جامع البيان للطبري ١٠٢/٢ ، ٦٨/٨ والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢٥٧/١ ، ٣٣٢/٢ ومدارك التنزيل للنسفي ص ٩٢ ، ٣٤٧ ، وأنوار التنزيل ١٢٩/١-١٣٠ ، ١٨٧/٢

والوجه الخامس ، ليثبتوك : ليحبسوك ، قوله تعالى في سورة الأنفال : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ){الأنفال : ٣٠}

والوجه السادس ، هو الثبات بعينه قوله تعالى في سورة الأنفال : (وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ){الأنفال : ١١}))[١]

لم يلتزم المصنّف أو المحقّق بتحريك لفظ (الثبات) مما يدلّ على عبث هذه الكتب ؛ لأنَّ الثبات في الوجه الرابع الذي جعله بمعنى : الجماعات في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا) هو بضم الثاء ، وهو في الأوجه الباقية بفتح الثاء ، فهو من صيغة تختلف في الحركة ، بل هو من أصل وجذر آخر ، فهو بالفتح من باب (ثبتَ) وبالضم من باب (ثبيَ) وقد جعله الفراهيدي من الجذر الثاني وقال في هذا الباب : ((الثُّبَةُ : العصبة من الفرسان ويجمع ثُبات وثُبين)) [٢] وكذلك جعل ابن فارس (الثُّبات) بالضم في باب : الثاء والباء والياء[٣] وقال في باب : الثاء والباء والتاء ((كلمة واحدة ، وهي دوام الشيء)) [٤] وقال الراغب في باب (ثبت) ((الثَّبات : ضد الزوال)) [٥] وقال في باب (ثبي) : (قال تعالى : (فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ) هي جمع ثُبة ، أي : جماعة منفردة ... والمحذوف منه الياء)) [٦] ((ووزنها في الأصل (فُعَلَة) كـ(حُطَمَة) حُذِفت لامها وعُوِّض عنها تاء التأنيث ... والثُّبَة : الجماعة من الرجال تكون فوق العشرة ، وقيل : الاثنان والثلاثة))[٧]والدامغاني حين جعل الثُبات بمعنى :

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٤٨-١٤٩

(٢) العين ص ١١٢

(٣) مقاييس اللغة ص ١٤٦

(٤) مقاييس اللغة ص ١٤٧

(٥) المفردات ص ٨٣ .

(٦) المفردات ص ٨٣ .

(٧) الدر المصون ٢٨/٤.

الجماعات لم يوضح المعنى ، قال أبو عبيدة : ((واحدها ثُبة ، ومعناها : جماعات في تفرقة ، وتصديق ذلك (أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا) [1] وقال ابن قتيبة : ((واحدته ثُبة ، يريد جماعة بعد جماعة)) [2] والمعنى : احذروا واحترزوا واخرجوا إلى العدو جماعات متفرقة سرّية بعد سرّية ، وإمَّا (جَمِيعًا) أي : مجتمعين كوكبة واحدة [3]

وهناك تداخل لم ينبه عليه المحقق بين الوجه الثاني والوجه الثالث ، فقد جعل أحدهما بمعنى الآخر واستشهد بالشاهد نفسه في الوجهين ، فالتلقين الذي فسَّر به وجه التثبت في الوجه الثاني ، جعله الوجه الثالث والشاهد واحد ، والتلقين ليس وجهًا للثبات ، وإنَّما هو واحد من مسبِّباته ولوازمه ، أي : أنَّ الثبات يحصل بالتلقين وغيره ، والدليل على ذلك ، قوله تعالى : (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) فإذا أمكن فهم حصول تثبيت الله للمؤمنين بالتلقين في قبورهم ، فكيف يمكن فهم ذلك في الحياة الدنيا ؟! لذلك فسَّر الطبري هذه التثبيت بقوله : ((والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله في ذلك ، وهو أنَّ معناه : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، وذلك تثبيته إيّاهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الآخرة بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا ، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم)) [4] فهناك إذن تثبيت من غير تلقين ، وهو التوفيق .

وكذلك جعْلُه الثبات في الوجه الأول بمعنى البشارة في قوله تعالى : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ) والبشارة أيضًا

([1]) مجاز القرآن ص ٦١

([2]) تفسير غريب القرآن ص ١٣٠ .

([3]) ينظر : الكشاف ٥٢١/١ ومدارك التنزيل ص ٢٣٧

([4]) جامع البيان ٢٥٨/١٣ .

ليست وجهًا للثبات ، وإنَّما هي أيضًا واحدة من مسبِّباته ، أي : أنَّ الثبات يحصل بالبشارة وغيرها كالنصر كما صرَّح بذلك ، وفي ذلك قال الطبري : (((فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ) يقول : قوّوا عزمهم ، وصحّحوا نيّاتهم في قتال عدوِّهم من المشركين ، وقد قيل : إنَّ تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم ، وقيل : كان ذلك معونتهم إيّاهم بقتال أعدائهم ، وقيل : كان ذلك بأنَّ الملَك يأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : سمعتُ هؤلاء القوم ، يعني : المشركين يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفنّ ، فيحدِّث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك ، فتقوى أنفسهم ، قالوا : وذلك كان وحي الله إلى ملائكته ، فالتثبيت كان إذن بتقوية عزائمهم

فالبشارة والتلقين وغيرهما ليست معاني الثبات ، بل هي معاني ما يلزم منها الثبات ، فهي ترتبط به بهذه الصلة لا بصلة الاشتراك اللفظي

أمَّا الوجه الخامس الذي جعله بمعنى : الحبس في قوله تعالى : ليثبتوك : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ) فهو من المعاني القريبة من الثبات ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والمعاني المتقاربة هي واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها يمثل المعنى القريب من الثبات لا الثبات بعينه ، لذلك جاز أن يفسَّر بأيٍّ منها من دون تعيين أحدها ، فالطبري مثلًا نقل تفسير المفسرين لقوله تعالى : (لِيُثْبِتُوكَ) فذكر أنَّ منهم من جعله بمعنى : ليقيدوك أو ليوثقوك ، ومنهم من ذكر أنَّه بمعنى : ليحبسوك أو ليسجنوك ، وقال آخرون : بل معناه : ليسحروك[1]

وجعله الثبات في الوجه السادس يعني الثبات بعينه يعني أنّ الأوجه الخمسة الباقية لا تعني الثبات بعينه ، فهي إذن أوجه محتلقة ، وكثيرًا ما

([1]) ينظر : جامع البيان ٩/٢٦٦-٢٦٧ .

يبطل أصحاب كتب الوجوه الأوجه التي يذكرونها بهذا الدليل من حيث لم يشعروا ، والدليل على ذلك أيضًا أن أهل اللغة عرَّفوا الثبات بالتعريف الذي ميّزوه به من غيره ، وقد تقدم ، أنَّه يعني : دوام الشيء وما كان ضد الزوال ، فيكون الثبات قد جاء بهذا المعنى أينما ورد في القرآن الكريم .

٥-**الحضور** : قال ابن فارس : ((الحاء والضاد والراء : إيراد الشيء وورود ومشاهدته)) [١] ((والحضور : ضد الغيبة)) [٢]

وقال الدامغاني : ((تفسير الحضور على سبعة أوجه : مكتوبًا ، ومعذَّبًا ، ومقيمًا ، ومجاورة ، وحالًّا ، وسماعًا ، والحضور بعينه :

فوجه منها ، حاضرًا ، أي : مكتوبًا في الرق قوله تعالى في سورة الكهف : (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)[الكهف : ٤٩} وكقوله تعالى في سورة آل عمران : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا)[آل عمران : ٣٣٠} أي : مكتوبًا

والوجه الثاني ، المحضَرون : المعذَّبون ، قوله تعالى في سورة في سورة الروم : (فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ)[الروم : ١٦} يعني : معذَّبين

والوجه الثالث ، الحاضر : المستوطن ، المقيم ، قوله تعالى في سورة البقرة : (ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[البقرة : ١٩٦} يعني : مقيمين .

والوجه الرابع ، حاضرًا ، يعني : حالًّا منك ، قوله تعالى في سورة البقرة : (إِلّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً)[البقرة : ٢٨٢} يعني حالَّة .

والوجه الخامس ، الحضور : المجاورة ، قوله تعالى في سورة الأعراف : (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ)[الأعراف : ١٦٣} أي : مجاورة له ، وهم أهل أيلة

([١]) مقاييس اللغة ص ٦١٢ .

([٢]) نزهة الأعين ص ١٠٨ .

والوجه السادس ، الحضور ، يعني : السماع ، قوله تعالى : (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا)(الأحقاف : ٢٩} يعني : سمعوه

والوجه السابع : الحضور بعينه ، قوله تعالى في سورة الساعة : (وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاء قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ)(القمر : ٢٨} يعني : الحضور بعينه)) [١]

وذكر ابن الجوزي هذه الأوجه للحضور نفسها وبشواهدها نفسها ، وأضاف إليها وجهًا ثامنًا هو ((الإصابة بالسوء ، ومنه قوله تعالى في المؤمنين : (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ)(المؤمنون : ٩٨} أي : أن يصيبوني بسوء))[٢]

جعل الدامغاني وابن الجوزي الحضور في الوجه الأول بمعنى الكتابة في قوله تعالى : (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) وقوله تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا) أي : مكتوبًا ، والكتابة ليست وجهًا للحضور ، وإنَّما هي إحدى لوازمه ، أي : جاز أن يجعل بغيرها من اللوازم ، والدليل على ذلك أنَّ ابن الجوزي الذي عيَّن جعل الحضور بمعنى اللازم المذكور في هذين الشاهدين في نزهته[٣] لم يعيِّنه في زاده ، فقد قال في تفسير الشاهد الأول : ((وفي كيفية وجود العمل وجهان ، أحدهما : وجوده مكتوبًا في الكتاب ، والثاني : وجود الجزاء عليه)) [٤] وقال في تفسير الشاهد الثاني : ((أي : مكتوبًا مثبتًا في الكتاب ، وقيل : رأوا

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٩٢.

(٢) نزهة الأعين ص ١٠٩.

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ١٠٩.

(٤) زاد المسير ٣٠٣/١ .

جزاءه حاضرًا)) [1] ولِمَ نجعل الحضور بمعنى من معاني لوازمه ولا نجعله بمعناه الذي جاز التعبير عنه بأقرب المعاني إليه ؟ كما فعل الطبري حين فسَّر (مُّحْضَرًا) بمعنى ((مُوفَّرًا))[2] أي : مُهيَّأً مُعدًّا ، فهذا هو المعنى المراد ، فالقرآن الكريم لو أراد الكتابة لجاء بلفظها وقال : ووجدوا ما عملوا مكتوبًا ، إلّا أنَّه ما أراد أن يحدد كيفية الحضور أو هيأته ، فقد يكون مجسَّمًا على نحو العمل الذي يجده العبد في قبره ، فقد جاء في حديث رواه أبو داود وأحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ العبد المؤمن إذا وُضع في قبره ((يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيّب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرّك ، هذا يومك الذي كنتَ توعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الحسن يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح (أمَّا العبد الكافر) فيأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتنّ الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنتَ توعد، فيقول : من أنتَ فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر ؟ فيقول أنا عملك الخبيث)) [3]

فالقرآن الكريم ذكر الحضور وأراد معناه ولو أراد ما يلزمه مكتوبًا أو مجسَّمًا أو مسموعًا لذكره بلفظه ، فجعْلُه بمعنى من معاني لوازمه تحريف لدلالته ، وتحويله من دلالة ثابتة لا يُختلَف فيها إلى ما يُختلَف فيه ، لأنَّ الحضور واحد ولوازمه مختلفة ومتعددة

وجعلا الحضور في الوجه الثاني بمعنى العذاب في قوله تعالى (فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) والعذاب ليس وجهًا للحضور وإنَّما هو أيضًا من لوازمه ، وفي جعله بمعناه خلط بينهما مما قد يترتب عليه ضعف في الأسلوب مما لا يليق بأسلوب القرآن الكريم ؛ لذلك فسَّر الطبري الحضور

([1]) زاد المسير ١١٢/٥ وينظر : أنوار التنزيل ١١٢/٢ .

([2]) جامع البيان ٢٧١/٣.

([3]) الترغيب والترهيب ١١٩٣/٥-١١٩٤ .

بمعنى الحضور ؛ لأنَّ في تفسيره بمعنى العذاب يركُّ المعنى والتعبير ؛ لأنَّه يقتضي بموجبه أن نجعل الآية بتقدير : فأولئك في العذاب معذَّبون ، لذلك أبقى الطبري الحضور على معناه وفسَّره بقوله : ((يقول تعالى ذكره : وأمَّا الذين جحدوا بتوحيد الله وكذّبوا رسله وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة فأولئك في عذاب الله محضّرون ، وقد أحضرهم الله إيّاها فجمعهم فيها)) [١] حتى ابن الجوزي الذي عيَّن في نزهته[٢] جعل الحضور بمعنى العذاب لم يعيِّنه ولم يجزه في زاده ، بل فسَّر الحضور بمعنى الحضور فقال : (((فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) أي : هم حاضرون في العذاب أبدًا لا يُخفَّف عنهم)) [٣] فالوجه الذي قال به ابن الجوزي في باب الوجوه أبطله في باب التفسير .

وجعلا الحضور في الوجه الثالث بمعنى الاستيطان والإقامة في قوله تعالى : (ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) لا يصحّ جعل الاستيطان وجهًا للحضور ؛ لأنَّه معنى قريب منه ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والمرادفات للفظ تكون واحدة ؛ لأنَّه يجمعها معنى عام واحد ، وليس أحدها أولى أو أحق من غيره بأن يُجعل وجهًا للحضور ؛ لأنَّ كلًّا منها يمثل المعنى القريب من الحضور لا الحضور بعينه ؛ لذلك يجب الاقتصار على مرادف واحد ، وهو ما كان أقرب المعاني إليه ، هذا إذا احتاج إلى تعريف معناه أو توضيحه ، وإلّا فالأَولى أن نفسّر الحضور بمعنى الحضور أو بضده ، فقد فسَّر الطبري

---

(١) جامع البيان ٣٥/٢١.

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ١٠٩.

(٣) زاد المسير ١٥٢/٦.

وغيره الحاضر في الشاهد المذكور بغير الغريب[١] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل الحضور بمعنى الاستيطان[٢] فسَّره بمعنى السكنى في الزاد[٣] وفسره آخر بمعنى الإقامة [٤] فأنت ترى أنَّ الوجه الذي قيل به في باب الوجوه أُبطِل في باب التفسير

وكذلك الحلول الذي جُعل الوجه الرابع للحضور في قوله تعالى : (إِلّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً) هو معنى قريب يدخل في باب الترادف لا في باب الوجوه .

وكذلك المجاورة التي جُعلت الوجه الخامس للحضور في قوله تعالى : (واَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ){الأعراف : ١٦٣} ولِمَ لا تكون بمعنى القريبة ؟! كما قال مفسرون[٥] أو بمعنى ((قريبة منه راكبة لشاطئه)) كما قال الزمخشري[٦] ولِمَ لا تكون بمعنى ((مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه)) كما قال الواحدي[٧] ولِمَ لا تكون بمعنى الحضور بعينه ؟! بل بل هو الأَولى والأحقّ والأصوب والأقرب من جميع المرادفات المذكورة وغيرها ؛ لأنَّه يجمع بينها ؛ ولأنَّ الحاضر هو من كان بينه وبين المكان الذي يحضرة ما لا تقصر إليه الصلوات[٨] فيشمل الذي على الشاطئ والقريب منه والمجاور له

---

(١) ينظر : جامع البيان ٣٠٨/٢-٣٠٩ والجامع لأحكام القرآن ٢٩٧/٢ ومدارك التنزيل ص ١٠٤

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ١٠٩.

(٣) ينظر : زاد المسير ١٧٩/١.

(٤) ينظر : أنوار التنزيل ١٣٠/١ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٨/٧ ومدارك التنزيل للنسفي ص ٣٩٢

(٦) الكشاف ١٦٤/٢ .

(٧) الوسيط ٤٢٠/٢.

(٨) ينظر : جامع البيان ٣٠٨/٢-٣٠٩

وقد جعلا الحضور بمعنى السماع في الوجه السادس في قوله تعالى : (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا) والسماع ليس وجهًا للحضور ، وإنَّما هو من لوازمه ، ولو أراد جعله بمعناه لجاء بلفظه وقال : فلمَّا سمعوه ، والدليل على ذلك أنَّ ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الحضور بمعنى السماع لم يشر إلى ذلك في الزاد ، بل نقل عن ابن عباس قوله : ((وإنَّما أتوه وهو بـ(نخلة) (اسم مكان) فسمعوا القرآن))[1] فيكون قوله تعالى (فَلَمَّا حَضَرُوهُ) هو بمعنى : لمَّا أتوه ، لذلك لم أجد في كتب التفسير التي رجعتُ إليها ابتداء من تفسير مقاتل وانتهاء بتفسير ابن عاشور من ذكر أو نقل أنَّ الحضور هنا جاء بمعنى السماع ، بل أجمعوا على أنَّ المعنى : فلما حضروا وصاروا قريبين من القرآن وسمعوه قالوا أنصتوا [2]

والإصابة بالسوء الذي جعله ابن الجوزي الوجه الثامن للحضور في قوله تعالى : (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ) هو أيضًا من لوازم الحضور وليس وجهًا له ، والدليل على ذلك ابن الجوزي نفسه فقد فسَّر الآية بقوله : ((قوله : (أَن يَحْضُرُونِ) أي : أن يشهدون ، والمعنى : أن يصيبوني بسوء ؛ لأنَّ الشيطان لا يحضر ابن آدم إلّا بسوء)) [3] فقد فسَّر الحضور بالشهادة ، ، وهو التعريف الذي عرَّفه به أهل اللغة ، أمَّا الإصابة بالسوء فهو لا يعني الحضور ، بل هو من معاني لوازمه ، وقد أوضح ابن الجوزي هذا اللزوم عندما قال : ((لأنَّ الشيطان لا يحضر ابن آدم إلّا بسوء)) ففسَّر الحضور بمعنى الحضور ، وفسَّر لازمه بمعنى السوء الذي يصيب به الإنسان .

([1]) زاد المسير ١٨٠/٧

([2]) ينظر : الوسيط للواحدي ١١٥/٤ والكشاف للزمخشري ٣٠٣/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ١٨٠/٧-١٨١ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١١٦/٥ ومدارك التنزيل ص ١١٣٠

([3]) زاد المسير ٣٥٥/٥ وينظر : الوسيط للواحدي ٢٩٧/٣

والدليل على أنَّ هذه الأوجه المنسوبة إلى الحضور لا يصح أن تُعد أوجهًا للحضور أنَّ الدامغاني جعل أحد هذه الأوجه بمعنى : ((الحضور بعينه في قوله تعالى : (كُلٌّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ))) [١] وكذلك ابن الجوزي جعله في هذا الشاهد نفسه بمعنى ((الحضور الذي يضادّ الغيبة))[٢] وهذا يعني أنَّ للحضور معنى يميزه من معاني الأوجه المنسوبة إليه ، والدليل على ذلك أيضًا أن أهل اللغة وأهل الوجوه أنفسهم عرَّفوا الحضور بالتعريف الذي ميزوه به من غيره كما تقدم ، أنَّه يعني ((إيراد الشيء وورود ومشاهدته)) [٣] أو ما كان ((ضد الغيبة)) [٤] فيكون الحضور قد جاء بهذا المعنى أينما ورد في القرآن الكريم ، أمّا الأوجه المنسوبة إليه فهي مختلقة بطريقتين : طريقة جعل الحضور بمعاني مرادفاته ، وبطريقة جعله بمعاني لوازمه .

٦-**الخوف** : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الخوف في القرآن الكريم على ثمانية أوجه هي :

الأول : القتل ، وجعلوا من ذلك قوله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ)[البقرة : ١٥٥} .

الثاني : الحرب أو القتال ، كقوله تعالى : (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ)[الأحزاب : ١٩}

الثالث : العلم ، كقوله تعالى : (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا)[البقرة : ١٨٢} وقوله تعالى : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ)[البقرة : ٢٢٩} وقوله تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

([١]) الوجوه والنظائر ص ١٩٢

([٢]) نزهة الأعين ص ١٠٩.

([٣]) مقاييس اللغة ص ٦١٢ .

([٤]) نزهة الأعين ص ١٠٨ .

أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ)}[النساء : ٣} وقوله تعالى : (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا)}[النساء : ١٢٨} وقوله تعالى : (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ)}[الأنعام : ٥١}

الرابع : الظنُّ ، وهذا ما قال به ابن الجوزي ، وجعل من شواهده قوله تعالى : (إِلّا أَن يَخَافَا أَلّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلّا يُقِيمَا حُدُودَ)}[البقرة : ٢٢٩}

الخامس : الخوف بعينه أو الخوف نفسه أو نفس الخوف ، كقوله تعالى : (فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)}[الأعراف : ٣٥} وقوله تعالى : (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا)}[الأعراف : ٥٦} وقوله تعالى : (أَلّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا)}[فصلت : ٣٠}

السادس ، التخوف أو الخوف ، وهو التنقص أو التيقظ ، قال تعالى : (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ)}[النحل : ٤٧} أي : تنقص أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم أو تيقظ .

السابع : النكبة تصيب المسلمين ، وهذا ما قال به ابن الجوزي وجعل من شواهده قوله تعالى : (وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ)}[النساء : ٨٣}[1]

الثامن : ((الخشية ، كقوله في البقرة والمائدة والأعراف ويونس والأحقاف : (فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)}[البقرة : ٣٨} و{المائدة ٦٩} و{الأعراف : ٣٥} و{يونس : ٦٢} و{الأحقاف : ١٣} وقوله : (وَيَخَافُونَ

([1]) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٦-١٤٧ ووجوه القرآن للحيري ص ١٩٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٠-٢٠١ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ١١٧ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٦ وبصائر ذوي التمييز ٥٧٨/٢-٥٧٩ وكشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ص ١٠٨-١٠٩.

سُوءَ الحِسَابِ)}[الرعد : ٢١} وقوله : (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)}[النحل : ٥٠}))[١]

جعلوا الخوف في الوجه الأول بمعنى القتل في قوله تعالى : ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ)}[البقرة : ١٥٥}[٢] إلّا أنَّ العسكري استدرك وأنكر هذا الوجه فقال : ((القتل ، وهو قوله تعالى : ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ)}[البقرة : ١٥٥} يعني : القتل ، وليس بالوجه ؛ لأنَّ قوله : (وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ)}[البقرة : ١٥٥} قد تضمن القتل ، ولكن معناه : الخوف على الأنفس لكثرة الأعداء ، وكذلك كان حال أهل المدينة بعد الهجرة ، وهم مخاطبون بهذه الآية) [٣]

وقد جعلوا الخوف في الوجه الثاني بمعنى : الحرب أو القتال في قوله تعالى : (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) أو النكبة التي تصيب المسلمين كما جاء في الوجه السابع في قوله تعالى : (وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ) والحقيقة أنَّ القتل ، والحرب ، والنكبة ، ليست معاني الخوف وإنَّما هي من مسبِّباته ، أي : هي من معاني ما يلزم منها الخوف ، هذه هي العلاقة بينهما ، وقد بيَّنها العسكري بقوله : ((قال الله : (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) يعني : الحرب ، وسمّاها خوفًا لما فيها من الخوف ، كما تسمى الحرب روعًا لما فيها من الروع ، والروع والخوف سواء))[٤]

وقد جعل أهل الوجوه الخوف في الوجه الثالث بمعنى العلم في قوله تعالى : (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا) وقوله تعالى : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلّا

([١]) وجوه القرآن للحيري ص ١٩٥ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٥٧٩/٢ .

([٢]) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٠ وبصائر ذوي التمييز ٥٧٨/٢ .

([٣]) الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٦ .

([٤]) الوجوه والنظائر ص ١٤٦.

يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ) وقوله تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ) وقوله تعالى : (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا) وقوله تعالى : (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ) والعلم في هذه الآيات ونحوها ليس وجهًا للخوف وإنَّما هو أيضًا أحد مسبِّباته ؛ لأنَّ من علم مثلًا حدود الله وعواقب من يتعداها خاف الوقوع فيها ، فالمراد من الخوف في هذه الآيات ونحوها الخوف بعينه ، وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن جعل الخوف بمعنى العلم في هذه الآيات في كتابيه النزهة والمنتخب[١] لم يعيِّنه في تفسيره ، بل أجاز أن يكون بمعنى الخوف نفسه [٢] فالفرق بيِّن بين الخوف والعلم ولا يصح أن يكون أحدهما وجهًا للآخر وهذا ما صرَّح به العسكري بقوله : ((الخوف : خلاف الأمن ، والأمن : سكون النفس ، والخوف : انزعاجها وقلقها ، وهو معنى غير العلم ؛ لأنَّ العلم يبقى بعد ذهاب الخوف))[٣] وقد أدخل ابن فارس الخشية بمعنى العلم في باب المجاز فقال : ((والمجاز قولهم : خشيتُ بمعنى : علمتُ)) [٤]

وقد قال ابن الجوزي في الوجه الرابع الذي جعلوا فيه الخوف بمعنى الظنّ : ((والخوف والظن يتقاربان في كلام العرب ، وقد ألحق قوم هذا القسم بالذي قبله)) [٥] والألفاظ المتقاربة في معانيها تدخل في باب الترادف لا في باب الوجوه .

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ١١٧ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٦

(٢) ينظر : زاد المسير ١٥٨/١ ، ٧/٢ ، ١٣١/٢ ، ٣٥/٣ .

(٣) الوجوه والنظائر ص ١٤٦.

(٤) مقاييس اللغة ص ٢٥٧

(٥) ينظر : نزهة الأعين لابن الجوزي ص ١١٧ .

وجعلوا التخوُّف في الوجه السادس ، بمعنى التنقّص أو التيقظ في قوله تعالى : (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ){النحل : ٤٧} والتيقّظ لم يقل به غير الدامغاني ، وأمَّا التنقّص فهو أحد وجهين كما جاء في كتب التفسير ، قال مقاتل : ((يقول : يأخذ أهل القرى بالعذاب ، ويترك الأخرى قريبًا منها لكي يخافوا فيعتبروا يخوفهم بمثل ذلك)) [١] وقال الفراء : ((جاء التفسير بأنَّه التنقُّص ، والعرب تقول : تحوَّفته بالحاء : تنقَّصته من حافاته ، فهذا الذي سمعتُ ، وقد أتى التفسير بالخاء))[٢] وقال أبو عبيدة ((على تنقُّص)) [٣] وقال ابن قتيبة : ((أي : على تنقُّص ، ومثله : التخوُّن ، يقال : تخوَّفته الدهور وتخوَّنته : إذ نقَّصته وأخذت من ماله أو جسمه)) [٤] وقال الزجاج : ((أي : يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك فرقة فتخاف التي تليها ، وقيل : على تنقُّص ، ومعنى التنقّص : أن يتنقّصهم في أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم)) [٥] وقال الراغب : ((التخوُّف : ظهور الخوف من الإنسان)) [٦] وقال الزمخشري : ((على تخوُّف : متخوفين ، وهو أن يهلك قومًا فبلهم فيتخوَّفوا)) [٧]

ففي قوله تعالى : (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) ((قولان ، أحدهما : على تنقُّص ، والثاني : أنَّه التخوُّف نفسه)) [٨] وقد مرَّ قول الفراء :

---

(١) تفسير مقاتل ٢٢٤/٢ .

(٢) معاني القرآن ٣٣/٢

(٣) مجاز القرآن ص ١٣٨ .

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٢٤٣ وينظر : جامع البيان للطبري ١٣٥/١٤-١٣٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٦٤/٣.

(٦) المفردات ص ١٦٩ .

(٧) الكشاف ٥٨٤/٢.

(٨) زاد المسير ٣٤٣/٤ .

((والعرب تقول : تحوَّفته بالحاء : تنقَّصته من حافاته)) [1] فالذي يظهر أنَّ المراد من التخوُّف التخوُّف نفسه ؛ لأنَّه لو أراد معنى التنقُّص لاستعمل لفظه أو قال : على تحوُّف بالحاء ، والمعنى : أنَّ هلاكهم فرقة تلو أخرى كان بسبب الخوف ، فهو المؤدي إلى أخذهم شيئًا فشيئًا ، والتنقّص لو صحَّ لا يكون وجهًا للتخوُّف بل يكون من لوازمه .

أمَّا الوجه الثامن ، فقد تقدم أنَّ الحيري والفيروزآبادي جعله بمعنى الخشية ، واستشهد الأول لهذا الوجه بقوله تعالى : (فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ){البقرة : ٣٨} و{المائدة ٦٩} و{الأعراف : ٣٥} و{يونس : ٦٢} و{الأحقاف : ١٣} وقوله : (وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ){الرعد : ٢١} وقوله : (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ){النحل : ٥٠} واستشهد الثاني له بقوله تعالى : (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا){السجدة : ١٦}

والخشية مرادفة للخوف ، وهما مع شدة ترادفهما وتقاربهما يفترقان في المعنى ، وقد تقدم ذكر الفرق البيِّن بينهما في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، وجعلهم الخوف في الوجه الخامس يعني الخوف بعينه ، يعني أنّ الأوجه السبعة الباقية لا تعني الخوف بعينه [2] فهي إذن أوجه مختلقة ، وقد اختُلِق الوجه الأخير بجعل الخوف بمعنى مرادفه ، واختُلِقت الأوجه الأُخَر ، بجعل الخوف بمعاني ما يلزم منها معناه .

٧-**السمع** : قال العسكري : ((أصل السمع سمع الأصوات ، ثم سميت الأذن سمعًا ؛ لأنَّ السمع بها يكون فيما بيننا ، وسمى الإجابة سمعًا ؛ لأنَّها مع السمع تكون في أكثر الأوقات ... والسمع في القرآن على وجهين :

([1]) معاني القرآن ٣٣/٢ وينظر : مقاييس اللغة ص ٢٣٤ ولسان العرب ٢٨٩/٤ .

([2]) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٤٧ ونزهة الأعين ص ١١٧ ومنتخب قرة العيون ص ١٠٦ .

الأول : سمع الصوت قال الله تعالى : (مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ){هود : ٢٠}

الثاني : القبول والإجابة ، قال الله تعالى : (إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء){آل عمران : ٣٨}))[١]

وسمع الصوت في الوجه الأول يعني السمع بعينه ، والإجابة في الوجه الثاني علاقتها بالسمع علاقة لزوم ، وليس علاقة لفظ مشترك ، فهي لا تكون إلّا بعد السماع ؛ وفات العسكري أن يختلق بطريقة اللزوم وجهين ثالثًا ورابعًا : الأذن ، والفهم ، وقد صرَّح بنفسه بالوجه الثالث بقوله المذكور : ((ثم سميت الأذن سمعًا ؛ لأنَّ السمع بها يكون فيما بيننا)) قال الراغب : ((السمع : قوة في الأذن به يدرك الأصوات ... ويُعبَّر تارة عن السمع بالأذن ، نحو قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ){البقرة : ٧}... وتارة عن الفهم)) [٢] كقوله تعالى : (((وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير){البقرة : ٢٨٥} أي : فهمنا وامتثلنا)) [٣]

فالسمع من لوازمه الأذن ، فالإنسان لا يسمع من دون أن تكون له إذن يسمع بها ، وكذلك الفهم من لوازمه السمع ، فلا يفهم أحد كلام أحد إذا لم يسمعه ، فالاستجابة ، والإذن ، والفهم ، علاقتها بالسمع علاقة لزوم لا علاقة لفظ مشترك .

وقال الحيري : ((السمع على تسعة أوجه :

أحدها : القلب ، كقوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ){البقرة : ٧} وقوله تعالى : (وَلَوْ

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٨٢.

(٢) المفردات ص ٢٥٠ .

(٣) عمدة الحفاظ ٢٢١/٢.

شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[البقرة : ٢٠}
وقوله تعالى : (وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ)[الجاشية : ٢٣}

الثاني : سمع الأذن ، كقوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ)[الأنعام : ٢٥}

الثالث : سمع بلا آلة ، كقوله تعالى : (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[البقرة : ١٣٧}

الرابع : القبول ، كقوله تعالى : (وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)[البقرة : ٢٨٥}
وقوله تعالى : (قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)[البقرة : ٩٣}

الخامس : مجيب الدعاء ، كقوله تعالى : (إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء)[آل عمران : ٣٨}

السادس : القوَّالين ، كقوله تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ)[المائدة : ٤١}

السابع : الجواسيس ، كقوله تعالى : (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)[التوبة : ٤٧}

الثامن : الطاعة ، كقوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)[يونس : ٦٧}

التاسع : الشهادة ، كقوله تعالى : (إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ)[يس : ٢٥} أي : فاشهدوا يا أيّها الناس)) [١]

جعل الحيري السمع في الوجه الأول بمعنى القلب في قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) وقوله تعالى : (وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) وقوله تعالى : (وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ)

([١]) وجوه القرآن ص ١٨٢.

والسمع في هذه الآيات أريد به السمع بعينه ، وبهذه الدلالة فسَّره أهل التفسير ، قال ابن الجوزي في تفسير الشاهد الأول : ((قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) الختم : الطبع ، والقلب قطعة من دم جامدة سوداء ، وهو مستكنٌّ في الفؤاد ، وهو بيت النفس ، ومسكن العقل ، وسُمِّي قلبًا لتقلبه ، وقيل : لأنَّه خالص البدن ... وقوله تعالى : (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) يريد : على أسماعهم ، فذكره بلفظ التوحيد ، ومعناه الجمع ، فاكتفى بالواحد عن الجميع))[1]

وقال ابن عاشور : ((وفي تقديم السمع على البصر في مواقعه من القرآن دليل على أنَّه أفضل لصاحبه من البصر ، فإنَّ التقديم مؤذن بأهمية المقدَّم ؛ وذلك لأنَّ السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل ، وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى أفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع ؛ ولأنَّ السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه ، بخلاف البصر فإنَّه يحتاج إلى التوجه بالالتفات إلى الجهات غير المقابلة)) [2]

فجعل السمع بمعنى القلب يعطِّل تفسير كلٍّ منهما ، ويحدث الخلط بين دلالتيهما ، ولو أراد معنى القلب لجاء بلفظه ، وهذا ما هو حاصل في المعطوف ، وكيف تسنَّى لوجوهي أن يجعل السمع بمعنى القلب في قوله تعالى : (وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) لأنَّ القرآن أراد أن يقرن السمع والبصر في حكم واحد ، وجاز وحدة الحكم فيهما ؛ لجواز أن يقال : أخذ الله بسمع الكافرين ، وأن يقال : أخذ الله ببصر الكافرين ، لكنَّه لم نسمع بمثل هذا في القلب ، فالله سبحانه قال : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) وما قال :

([1]) زاد المسير ٢٤/١ .

([2]) التحرير والتنوير ٢٥٤/١.

ذهب الله بقلوبهم ، فجعل السمع بمعنى القلب خلط بينهما في الحكم المسلَّط عليهما .

وكيف تسنَّى له أن يجعل السمع بمعنى القلب في قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ) لأنَّه كيف يصحّ أن يكون المعنى أو التقدير : ختم الله على قلوبهم وعلى قلبهم ، وكيف تسنى له أن يقول مثل هذه مرة أخرى في قوله تعالى : (وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) لأنَّه كيف يصح أيضًا أن يكون المعنى أو التقدير : وختم على قلبه وقلبه ؟! ما هذا ؟! يا سبحان الله ! فلو سُئل الوجوهيون الأولون والآخرون أنَّه لِمَ عبَّر القرآن الكريم عن معنى القلب بلفظه في المعطوف عليه ، وعبَّر عنه بلفظ السمع في المعطوف في قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ) ؟ ولِمَ عبَّر عن القلب بلفظه في المعطوف ، وعبَّر عنه بلفظ السمع في المعطوف عليه في قوله تعالى : (وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) ؟ لما استطاعوا الإجابة ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا إلّا بإحدى إجابتين ، إمَّا أن يدَّعوا بأنَّ القرآن الكريم ألحن فعبَّر عن المعنى بغير لفظه ووضع اللفظ في غير موضعه ، وهذا ما لا أحد يجرؤ ويستطيع أن يدعيه ؛ لأنَّه ما من أحد يستطيع أن يثبت هذا الادعاء ، وإمَّا أن يعترفوا أنَّه استعمل لفظ القلب ؛ لأنَّه أراد معنى القلب ، واستعمل لفظ السمع ولم يستعمل لفظ القلب ؛ لأنَّه أراد معنى السمع لا معنى القلب ، وعندئذ يبطل كل ما قاله أصحاب كتب الوجوه إلّا ما كان من الوجوه الحقيقية لألفاظ مشتركة ، وهي لا تتجاوز بضعة ألفاظ في كل كتب الوجوه ، ومثل هذا السؤال يجب أن يُوجَّه إلى كل الوجوهيين في كل وجه اختلقوه بالطرائق التي أثبتناها في هذا الكتاب .

وسمع الأذن الذي قال به الحيري في الوجه الثاني ، هو كسمع الصوت الذي قال به العسكري في الوجه الأول ، وهو السمع المجرد .

والسمع بلا آلة في الوجه الثالث في قوله تعالى : (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يتعلق بصفة من صفات الله سبحانه ، وصفات الخالق عز وجل لا يصحّ إقحامها بين صفات البشر المخلوق .

وجَعَلَ السمع في الوجه الرابع بمعنى القبول في قوله تعالى : (وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) وبمعنى الإجابة في الوجه الخامس في قوله تعالى : (إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء) وبمعنى الطاعة في الوجه الثامن في قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)

والقبول ، والإجابة ، والطاعة تكون بعد السماع ، فالله مثلًا سبحانه يستجيب لدعاء عبده بعد أن يسمع دعاءه ، فعلاقتها بالسمع علاقة لزوم ، وليس علاقة لفظ مشترك .

وجعل السمع في الوجه السادس بمعنى القوَّالين في قوله تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) وهذا لا يكون إلّا بعد السماع ؛ لأنَّه أراد أنَّهم يقولون بكل ما يسمعون ويشيعونه ويروجونه

وجَعَلَ السمع في الوجه السابع بمعنى : الجواسيس ، في قوله تعالى : (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) والتجسس لشخص يكون بعد أن يسمع ما يقوله ، ويقبل به .

وجعل السمع في الوجه التاسع بمعنى الشهادة في قوله تعالى : (إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ){يس : ٢٥} أي : فاشهدوا يا أيها الناس ، ومثل هذه الشهادة هل تكون إلّا بعد سماع قول من أمر بها ؟

فأنت ترى أن السمع في كلِّ شواهده أريد به السمع بعينه ، فهو ليس من الألفاظ المشتركة ، أمّا الأوجه المنسوبة إليه فهي مختلقة بجعله بمعاني لوازمه .

٨-**الصَّبر** : قال ابن فارس : ((الصبر : وهو الحبس ، يقال : صبرتُ نفسي على ذلك الأمر ، أي : حبستها))[١] ((فالصبر : حبس النفس عن الجزع والسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش)) [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الصبر في القرآن الكريم على ستة أوجه

الوجه الأول : الصوم ، كقوله تعالى : (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ){البقرة : ٤٥} يعني : بالصوم والصلاة .

والوجه الثاني : الجرأة ، كقوله تعالى : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ {١٧٥} يعني : فما أجرأهم على النار

والوجه الثالث ، الصبر يعني : أصروا على الشر ، كقوله تعالى : (أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ){ص : ٦} يعني : أصروا على عبادتها واثبتوا .

والوجه الرابع : الرضا ، كقوله تعالى في : (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ){الطور : ٤٨} يعني : وارض بقضاء ربك .

والوجه الخامس : الصبر بعينه ، كقوله تعالى : (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا){ص : ٤٤} مثلها : (وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ){الحج : ٣٥}

والوجه السادس : الحبس ، كقوله تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ){الكهف : ٢٨}[٣]

جعلوا الصبر في الوجه الأول بمعنى الصوم في قوله تعالى : (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ) والمراد من الصبر هنا الصبر بعينه ولو أراد

---

(١) مقاييس اللغة ص ٥٠١ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٣٧١/٣.

(٣) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٧٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٠١-٣٠٢ ونزهة الأعين ص ١٧٥-١٧٦ ومنتخب قرة العيون ص ١٥٨.

الصوم لجاء بلفظه وقال : واستعينوا بالصوم والصلاة ، قال الطبري : ((يعني بقوله جل ثناؤه : ((وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ) استعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم من طاعتي واتباع أمري وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا إلى ما تكرهونه من التسليم لأمري واتباع رسولي محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر عليه والصلاة ، وقد قيل : إنَّ الصبر في هذا الموضع الصوم ، والصوم بعض معاني الصبر عندنا ، بل تأويل ذلك عندنا : أنَّ الله تعالى ذكره أمرهم بالصبر على ما كرهته نفوسهم من طاعة الله وترك معاصيه ، وأصل الصبر منع النفس محابّها وكفّها عن هواها ، وكذلك قيل للصابر على المعصية صابر ؛ لكفه نفسه عن الجزع ، وقيل لشهر رمضان شهر الصبر لصبر صائمه عن المطاعم والمشارب)) [1]

فالمراد من الصبر إذن في الآية الصبر على طاعة الله في أداء كل ما فرضَ الله وأمرَ ، والصبر عن الوقوع في كل معصية وعمَّا نهى الله عنه ، فجعله بمعنى الصوم تحريف لدلالته ؛ لأنَّه غيَّره من معناه العام إلى معنى خاص ، وابن الجوزي الذي عيَّن في نزهته ومنتخبه جعل الصبر بمعنى الصوم في قوله تعالى : (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ)[2] لم يقل بهذا الوجه في زاده بل قال في تفسيره : ((الأصل في الصبر : الحبس ، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع ، وسمي الصائم صابرًا لحبسه نفسه عن الأكل والشرب والجماع ... وفيما أُمروا به بالصبر عليه ثلاثة أقوال ، أحدها : أنَّه أداء الفرائض ، والثاني : أنَّه ترك المعاصي ، والثالث : عدم الرئاسة))[3]

([1]) جامع البيان ٢٩٨/١ .

([2]) ينظر : نزهة الأعين ص ١٧٦ ومنتخب قرة العيون ص ١٥٨ .

([3]) زاد المسير ٦٤/١.

فذكر في معنى الصبر في تفسيره ثلاثة أقوال ليس من بينها الصوم الذي عينه في كتابيه ، النزهة والمنتخب وهذا دليل على بطلان كتب الوجوه ؛ لأنَّ ما قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير .

واقتران الصلاة بالصبر دليل على عظم مكانة الصلاة عند الله وتعظيم شأنها عنده ، فجعل الصبر بمعنى الصوم يلغي الغرض من هذا الاقتران .

وجعلوا الصبر في الوجه الثاني بمعنى : الجرأة في قوله تعالى : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) والجرأة لا تصح أن تكون وجهًا للصبر؛ لأنَّه غير متعيَّن ومختلف فيه ، قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم : معنى ذلك : فما أجرأهم على الذي يقربهم إلى النار ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما أعملهم بأعمال أهل النار ... واختلفوا في تأويل (ما) فقال بعضهم : هي بمعنى الاستفهام ، وكأنَّه قال : فما الذي صبَّرهم ؟ ... وقال آخرون : هو تعجب ، يعني : فما أشد جراءتهم على النار بعملهم أعمال أهل النار)) [1]

وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الصبر بمعنى الجرأة في قوله تعالى : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) فيه أربعة أقوال ، أحدها : أنَّ معناه : فما أصبرهم على عمل يؤدِّيهم إلى النار ... والثاني : ما أجرأهم على النار ... والثالث : ما أبقاهم في النار ... والرابع : أنَّ المعنى : فأيُّ شيء صبَّرهم على النار ... وفي (ما) قولان ، أحدهما : أنَّها للاستفهام ، تقديرها : ما الذي صبَّرهم ؟ ... والثاني : أنَّها للتعجب ... والله يُعجِّب المخلوقين ، ولا يعجب هو كعجبهم)) [2]

([1]) جامع البيان ١٠٩-١١٠ .

([2]) زاد المسير ١٥٣/١ .

فابن الجوزي الذي قال بوجه الجرأة بتعيينه والقطع به في باب الوجوه أبطله في باب التفسير عندما جعله معنى محتمَلًا ومختلَفًا فيه .

وجعلوا الصبر في الوجه الثالث بمعنى الإصرار في قوله تعالى : (أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) مما يدلُّ على اختلاق هذا الوجه أني وجدتُ المفسرين لم يُعنَوا بتفسير الصبر في هذا الموضع ، بل أبقوه على معناه ، وإذا أرادوا تفسيره فسروه بما شاء مما يلازم الصبر معناه ، فقد فسّر الزمخشري قوله تعالى : (وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) بقوله : ((واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها))[1] وفسّره الواحدي وابن الجوزي والبيضاوي بجعله بمعنى : واثبتوا على عبادة آلهتكم[2] فالإصرار والتمسك والثبات واحدة ليس بعضها أولى وأحق من بعض من حيث إنَّ كلّ معنى منها يُعدَّ الصبر من لوازمه .

ويقال الكلام نفسه في جعلهم الصبر في الوجه الرابع بمعنى الرضا بقضاء الله في قوله تعالى : (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) فمما يدل أيضًا على اختلاق هذا الوجه في هذا الموضع أنَّ المفسرين لم يُعنوا بتفسير الصبر فيه ، بل أبقوه على معناه ، ومنهم من فسَّر الحكم ولم يفسر الصبر ، قال القرطبي : ((قوله تعالى : (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) قيل : لقضاء ربك فيما حملك من رسالته ، وقيل : لبلائه فيما ابتلاك به من قومك)) [3] وإذا أرادوا تفسيره فسروه بما شاء مما يلازم الصبر معناه ، فقد فسر الزمخشري قوله تعالى : (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) بقوله : ((بإمهالهم بما يلحقك فيه من المشقة والكلفة))[4]وفسره البيضاوي بقوله : ((بإمهالهم وإبقائك في عنائهم))[1]

([1]) الكشاف ٤/٧٠.

([2]) ينظر : الوسيط ٣/٥٤٠ وزاد المسير ٨/٧ وأنوار التنزيل ٥/٢٤ .

([3]) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٦٦ .

([4]) الكشاف ٤/٤٠٤ وينظر : مدارك التنزيل ص ١١٧٧ .

وجعلوا الصبر في الوجه السادس بمعنى الحبس وهو معنى مرادف له ، بل ((الأصل في الصبر : الحبس ، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع ، وسمي الصائم صابرًا لحبسه نفسه عن الأكل والشرب والجماع))[٢] فالصوم والجرأة والإصرار والرضا ليست أوجهًا للصبر وإنَّما هي مما يلازمها الصبر ، فهي ترتبط به بهذه الصلة لا بصلة الاشتراك اللفظي .

وجعلهم الصبر في الوجه الخامس يعني الصبر بعينه ، يعني أنّ الأوجه الخمسة الباقية لا تعني الصبر بعينه ، فهي إذن أوجه مختلقة اختُلِقت بطريقتين : بجعل الصبر بمعنى مرادفه ، وبجعله بمعاني ما يلزم منها معناه

٩-**هنيئًا** : قال ابن فارس : ((الهاء والنون والهمزة يدلّ على إصابة خير من دون مشقة ، والهَنء (بفتح الهاء) العطية ، وهو مصدر ، والاسم : الهِنء (بكسر الهاء) ، والهنيء : الأمر : يأتيك من غير مشقة))[٣] وقال الراغب : ((الهنيء : كل ما لا يلحق فيه مشقة)) [٤]

وقال الدامغاني : ((تفسير (هنيئًا) على وجهين : حلال بلا إثم ، وبغير داء ولا موت .

فوجه منهما ، هنيئًا يعني : حلالًا بلا إثم ، قوله سبحانه وتعالى في سورة النساء : (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا){النساء : ٤} يعني : فإن أحللن لكم عن شيء منه بطيبة النفس فكلوه هنيئًا بلا إثم

---

(١) أنوار التنزيل ١٥٦/٥ .

(٢) زاد المسير ٦٤/١.

(٣) وجوه القرآن ص ٢٤٠-٢٤١ .

(٤) المفردات ص ٥٧١ .

والوجه الثاني ، هنيئًا بلا داء ولا موت قوله سبحانه في سورة الحاقة : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأيَّامِ الْخَالِيَةِ){الحاقة : ٢٤} يعني بلا داء ولا موت)) [١]

لا حاجة إلى قوله : بلا موت ، بعد قوله : بلا داء ، ولم أجد من المفسرين من قرن الموت بالداء ، وإذا كان الهنيء كما عرفه أهل اللغة يعني : كل خير لا يلحق فيه مشقة ، فإنَّ الإثم والداء اللذين كانا وجهي الهنيء سيدخلان ونحوهما في لوازم المشقة ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير التي رجعتُ إليها من فرَّق بين معنى الهنيء الوارد في شاهد الوجه الأول وبين معنى الهنيء الوارد في شاهد الوجه الثاني ، فقد فسَّر الطبري شاهد الوجه الأول بأنَّه ((إذا كان غير إضرار ولا خديعة فهو هنيء مريء)) [٢] وفسَّر شاهد الوجه الثاني بأنَّه ((لا تتأذون بما تأكلون ولا بما تشربون)) [٣] وفسَّر القرطبي الهنيء في شاهد الوجه الأول بأنَّه ((كل ما لم يأت بمشقة ولا عناء فهو مريء)) [٤] وفسَّره في شاهد الوجه الثاني بأنَّه ((لا تكدير فيه ولا تنغيص)) [٥] وفسَّر النسفي الهنيء في شاهد الوجه الأول بأنَّه ((لا إثم فيه)) والمريء بأنَّه ((لا داء فيه)) [٦]وفسَّره في شاهد الوجه الثاني بأنَّه ((لا مكروه فيه ولا أذى)) [٧] ومنهم من تطرق إلى تفسير الهنيء في سورة النساء من دون الحاقة ، فقد قال الواحدي في النساء : ((معنى الهنيء : الطيّب المساغ

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٤٦٣ .

(٢) جامع البيان ٣٠٢/٤ .

(٣) جامع البيان ٧٣/٢٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٣/٥ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٠١/١٨.

(٦) مدارك التنزيل ص ٢١٠

(٧) مدارك التنزيل ص ١٢٧٥

الذي لا ينقصه شيء ، والمريء : المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا يؤذي)) [1] وقال الزمخشري : ((الهنيء والمريء صفتان مِن هنؤ الطعام ومرؤ : إذا كان سائغًا لا تتغيص فيه ، وقيل : الهنيء : ما يلذه الأكل ، والمريء : ما يحمد عاقبته ، وقيل : هو ما ينساغ في مجراه ، وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة : المريء لمرور الطعام فيه ، وهو السياغة)) [2] وقال ابن الجوزي : ((وفي الهنيء ثلاثة أقوال ، أحدها : ما تؤمن عاقبته ، والثاني : ما أعقب نفعًا وشفاءً ، والثالث : أنَّه الذي لا ينغصه شيء ، وأمَا المريء فيقال : مرئ الطعام : إذا انهضم وحمدت عاقبته)) [3] هذا ما قاله الواحدي والزمخشري وابن الجوزي في تفسير الهنيء الهنيء في أول النساء ولم يقولوا شيئًا في الحاقة اكتفاء لوحدة معناه هنا وهناك ، وهذا ما صرَّح به أبو حيان الأندلسي ، فقد قال في تفسير الهنيء في شاهد الوجه الأول في قوله تعالى : ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾{النساء : ٤} ((هَنِيئًا مَّرِيئًا) صفتان مِن هنُؤ الطعام ومرُؤ : إذا كان سائغًا لا تنغيص فيه)) [4] وقال في تفسير الهنيء في شاهد الوجه الوجه الثاني في قوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾{الحاقة : ٢٤} ((تقدم الكلام عليه في أول النساء)) [5]

فالهنيء هو كما عرَّفه أهل اللغة : كل خير يصيبه الإنسان من دون مشقة آجلة أو عاجلة ، جسدية أو روحية ، وهذا هو معناه أينما ورد في

---

(1) الوسيط ١١/٢ .

(2) الكشاف ٤٦١/١ .

(3) زاد المسير ٩/٢.

(4) البحر المحيط ٢١٦/٣.

(5) البحر المحيط ٤٥٧/٨ .

القرآن الكريم ولا وجوه له فيه ، أمّا الوجهان المذكوران فهما مختلقان ؛ لأنّهما ليسا معنيي الهنيء ، بل هما معنيا ما يلزم منهما الهنيء .

الطريقة الرابعة ، جعل اللفظ العام بمعاني الموصوف به ، أو بمعاني أنواعه ، وهي طريقة الدراسة المعكوسة :

من المعلوم أنَّ اللفظ الخاص يوصف باللفظ العام ولا يصح العكس ؛ لأنَّ الخاص يندرج تحت العام ، ولا يندرج العام تحت الخاص ، ومن أمثلة هذه الطريقة ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

١-**الأجر** : قال الدامغاني : تفسير (الأجر) على أربعة أوجه : المهر ، والثواب ، والجعل ، ونفقة الرضاع .

فوجه منها ، الأجر بمعنى : المهر ، قوله تعالى تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ)(الأحزاب : ٥٠} يعني : مهورهن ، وكقوله تعالى : (وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)(النساء : ٢٥} ونحوه كثير

والوجه الثاني : ، الأجر : الثواب على الطاعة ، قوله تعالى : (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم)(النحل : ٩٦} يعني ثوابهم ، مثلها : (وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم)(الزمر : ٣٥} يعني : ثوابهم ، ونحوه كثير .

والوجه الثالث ، الأجر : الجعل ، فذلك قوله تعالى : (قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إلا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(سبأ : ٤٧} أي : جُعْلي وثوابي ، وكقوله تعالى : (قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا)(الأنعام : ٩٠}(الشورى : ٢٣} أي : جعلا ، وكقوله تعالى : (لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)(القصص : ٢٥} أي : جعل ما سقيت لنا.

والوجه الرابع ، الأجر : النفقة ، فذلك قوله تعالى : (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)(الطلاق : ٦} يعني : نفقة الرضاع)) [١]

([١]) الوجوه والنظائر ص ٨٣-٨٤ وينظر : بصائر ذوي التمييز ١٣١/٢ .

وذكر ابن الجوزي هذه الأوجه نفسها بشواهدها ، وأضاف إليها وجهين آخرين ، هما : ((الثناء الحسن ، ومنه قوله تعالى : (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا){العنكبوت : ٢٧} والثاني : الجنة ، ومنه قوله تعالى : (وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا){النساء : ٤٠}))[١]

((والأَجر والأُجرة : ما يعود من ثواب العمل دنيويًّا كان أو أخرويًّا ... ويقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد ، ولا يقال إلّا في النفع دون الضر)) [٢]

جعل أصحاب كتب الوجوه للأجر ستة أوجه هي : المهر ، والثواب ، والجعل ، ونفقة الرضاع ، والثناء الحسن ، والجنة ، والمراد بالجعل أنَّه جعل أجر عمله حسبة لله تعالى ، والوجه الثاني الذي جُعِل بمعنى الثواب على الطاعة مرادف للأجر وليس وجهًا له ، وقد فرَّق العسكري بينهما بأنَّ ((الأجر يكون قبل الفعل المأجور عليه ، والشاهد أنَّك تقول : ما أعمل حتى آخذ أجري ، ولا تقول : لا أعمل حتى آخذ ثوابي ؛ لأنَّ الثواب لا يكون إلّا بعد العمل ... وأيضًا فإنَّ الثواب قد شهر في الجزاء على الحسنات ، والأجر يقال في هذا المعنى ، ويقال على معنى الأجرة التي هي من طريق المثامنة بأدنى الأثمان ، وفيها معنى المعاوضة بالانتفاع))[٣]

أمَّا المهر ، والجعل ، ونفقة الرضاع ، والثناء الحسن ، والجنة ، فهي أنواع الأجر وليست أوجهًا له أو معانيه ، والوجوه الحقيقية هي التي لا تكون علاقتها باللفظ علاقة الشيء بأنواعه ، وهي مع ذلك لو صح إرادة هذه الأنواع الخمسة فهي أوجه مختلفة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يسمِّ الأجر بهذه الأنواع كما فعل أصحاب كتب الوجوه ،

([١]) نزهة الأعين ص ٢٩.

([٢]) المفردات للراغب ص ١٥.

([٣]) الفروق اللغوية ص ٢٦٦ .

لتكون أوجهًا له ، بل سمَّى كلًّا منها بالأجر ، فهي جميعًا وجه واحد ؛ لأنَّ جميعها بمعنى الأجر ، وليس الأجر بمعانيها ، فهي إذن مختلفة بطريقة الدراسة المعكوسة .

٢-**الأجل** : قال العسكري : ((وللأجل في القرآن ثمانية مواضع :

الأول : أجل الدنيا ، قال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ){الأنعام : ٢} (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً) أي : أجل الدنيا و (وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ) يعني أجل الآخرة ، وقال الحسن والضحاك وقتادة : هو أجل الحياة إلى الموت ، وأجل الموت إلى البعث

الثاني : أجل العذاب ، قال تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ){الأعراف : ٣٤} إن لم يؤمنوا إليه نزل عليهم العذاب ، ومثله : (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ){نوح : ٤} أي : أجل العذاب ، ومعنى : أجل الله ، أي : الأجل الذي ضربه الله ، ولا يكون الأجل أجلًا إلّا بالإخبار والتوقيت ، وليس وقت كل شيء أجله ؛ إنَّما سُمِّي وقت الشيء أجلًا إذا كان على ما وصفنا .

الثالث : قوله تعالى : (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ){لقمان : ٢٩} قالوا : يعني : أنَّ مطالع الشمس والقمر لها غاية ، ولا يتجاوزاه في شتاء ولا صيف ، ويجوز أن يكون المراد أنَّ لهما أجلًا مسمى ينتهيان إليه وهو الساعة .

الرابع : محلّ الديون ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ){البقرة : ٢٨٢} أي : اكتبوا الأجل ؛ لأن لا يُدَّعى فيه التقديم والتأخير غلطًا أو عمدًا

الخامس : قوله تعالى : (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى){الحج : ٣٣} يقول : إلى أن تُقلَّد فإذا قُلِّدتْ لم تُركَب ولم تُشرَب ألبانها ، يعني : البدن .

السادس : أجل الولادة ، قال الله تعالى : (وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى){الحج : ٥} أي : إلى وقت الولادة .

السابع : انقضاء العدة ، قال الله تعالى : (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ){البقرة : ٢٣٢} والمخاطبة لأولياء النساء ، وبلوغ الأجل انقضاء العدة ، أي : لاتمنعوهن التزويج إذا انقضت عدتهن من مطلقتهن

الثامن : قوله تعالى : (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ){الشورى : ١٤} والكلمة الساعة ، والأجل المسمّى هو الساعة أيضًا ، فكأنَّه قال : فلولا أني جعلتُ موعد الانتقام منكم الساعة لانتقمتُ منكم الآن))[١]

فالأوجه التي ذكرها العسكري هي : أجل الدنيا يعني : أجل الحياة إلى الموت ، يعني وقت الدنيا ، وأجل العذاب ، والمراد به وقت انقضاء هذا الأجل ، وأوقات مطالع الشمس والقمر أو وقت الساعة ، ووقت انقضاء مدة الديون ، ووقت تقليد الأنعام أي : وقت نحرها ، ووقت الولادة ، ووقت انقضاء عدة المطلقات ، ووقت الساعة .

وقال الحيري : ((باب أجل ، على ثمانية أوجه : بمعنى الوقت ، وبمعنى الموت ، وفناء الدنيا ، وبقاء الآخرة ، ووقت الهلاك ، والهلاك ، وأقصى منازل القمر)) [٢] وقال الدامغاني : ((تفسير الأجل على خمسة أوجه

([١]) الوجوه والنظائر ص ٣٩-٤٢.

([٢]) وجوه القرآن ص ٨٠-٨١ .

: المـوت ، والوقـت ، والهـلاك ، والعـدة ، والعـذاب))[1] ومثـل هـذا قـال الفيروزآبادي[2] وهذه الأوجه فيها تحريف في التعبير ، لأنَّه ليس المراد من الأجل : الموت ، والهلاك ، وفناء الدنيا ، بل وقت مجيء هذه الأمور ، وكذلك ليس المراد من الأجل العذاب بل وقت حلوله ، وكذلك العدة فإنَّ المراد منها انقضاء مدتها.

قال ابن فارس : ((فالأجل غاية الوقت في محل الدَّين وغيره ... والاسم الآجل نقيض العاجل ، والأجيل : المُرجأ ، أي : المؤخَّر إلى وقت ، وقولهم : أجل ، في الجواب ، هو من هذا الباب ، كأنَّه يريد انتهى وبلغ الغاية))[3] وقال العسكري : ((أجل الشيء : وقته ، وحد الأجل : هو الوقت المضروب لانقضاء الأمد ... فأجل الإنسان هو وقت انقضاء عمره ، وأجل الدَّين محلّه ، وأجل الموت هو وقت حلوله ، وأجل الآخرة هو الوقت لانقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها)) [4] وقال الراغب : ((الأجل : المدة المضروبة للشيء ... ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل ، فيقال : دنا أجله عبارة عن دنو موته ، وأصله استيفاء الأجل ، أي : مدة الحياة)) [5]

تبيَّن من تعريف أهل اللغة للأجل ، أنَّ الأجل : اسم جنس يتعلق بالوقت أو هو لفظ عام يُطلَق على كل مدة مضروبة لشيء أو على انقضائها ، فتكون هذه المُدد لا حدَّ لها ولا يمكن حصرها ، وقد ذكر أصحاب كتب الوجوه للأجل الأوجه المذكورة ، وهذه الأوجه لو صحت فهي مختلفة ؛ لأنَّهم درسوا العلاقة بينها وبين الأجل دراسة معكوسة ، فالقرآن

([1]) الوجوه والنظائر ص ٥٤

([2]) ينظر : بصائر ذوي التمييز ١٠٨/٢ .

([3]) مقاييس اللغة ص ٢٨ .

([4]) الوجوه والنظائر ص ٣٨-٣٩ .

([5]) المفردات ص ١٥ .

الكريم لم يسمِّ الأجل بهذه الأوجه المزعومة كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل وجه منها بالأجل فهي إذن جميعها وجه واحد ، هذا إن صحَّ كما قلتُ ، ما ادعاه أصحاب كتب الوجوه أنَّ القرآن الكريم أراد من لفظ الأجل الأوجه التي نسبوها إليه ، وإلّا فإنَّ الأجل في الحقيقة أينما ورد في كتاب الله أريد به الأجل بعينه ، وبمعناه العام وجعله بمعاني الأوجه المذكورة الخاصة يعدَّ تحريفًا لدلالته في القرآن الكريم .

٣-**الإحسان** : قال الراغب : ((الحُسْن ، عبارة عن كل مُبْهَج مرغوب فيه ، وذلك ثلاثة أضرب : مستحسن من جهة العقل ، ومستحسن من جهة الهوى ، ومستحسن من جهة الحسّ ، والحسنة يُعبَّر بها عن كل ما يَسُرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادّها ، وهما من الألفاظ المشتركة كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة كالفرس والإنسان وغيرهما))[١]

وقال الفيروزآبادي : ((بصيرة في الإحسان ، إفعال من الحُسْن ، وهو كل مُبْهَج مرغوب فيه عقلًا أو حسًّا أو هوًى ... والحسنة يُعبَّر بها عن كل ما يَسُرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادها ، وهما من الألفاظ المشتركة كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة ... وورد في التنزيل على ثلاثة عشر وجهًا :

الأول : بمعنى الإيمان : (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ){المائدة : ٨٥}

الثاني : بمعنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها){الأنعام : ١٦٠}

([١]) المفردات ص ١٢٤ .

الثالث : بمعنى قيام الليل للتهجد : (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ)(الذاريات : ١٦} أي : متهجدين .

الرابع : بمعنى الإنفاق والتصدق على الفقراء : (وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(البقرة : ١٩٥}

الخامس : بمعنى خدمة الوالدين وبرِّهما : (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)(البقرة : ٨٣}

السادس : بمعنى العفو عن االمجرمين : (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(آل عمران : ١٣٤}

السابع : بمعنى الاجتهاد في الطاعة : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)(العنكبوت : ٦٩}

الثامن : بمعنى أنواع الطاعة : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)(يونس : ٢٦}

التاسع : بمعنى الإخلاص في الدين والإيمان : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)(النحل : ٩٠}

العاشر : بمعنى الإحسسان إلى المسستحقين : (وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)(القصص : ٧٧}

الحادي عشر : بمعنى كلمة النجاة والفوز من النيران : (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لانفُسِكُمْ)(الإسراء : ٧}

الثاني عشر : بمعنى كلمة االشهادة على اللسان مع االإيقان بالجنان .

والثالث عشر : بمعنى نعيم االجنان والرضوان : (هَلْ جَزَاء الإحْسَانِ إِلّا الإِحْسَانُ)(الرحمن : ٦٠}))[1]

([1]) بصائر ذوي التمييز ٦٧/٢-٧٠ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٠٤-١٠٥ .

والقول الذي نقله الفيروزآبادي من الراغب ولم ينسبه إليه : ((والحسنة يُعبَّر بها عن كل ما يَسُرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادها ، وهما من الألفاظ المشتركة كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة)) غير صحيح لأنَّ الحسنة والسيئة هما من الألفاظ العامة أو من أسماء الأجناس كما عرَّفه الراغب والفيروزآبادي أو ((هما من أسماء الأجناس المشتملة على أنواع)) [1] وليسا من الألفاظ االمشتركة كما ادعيا فاسم الجنس لفظ عام ، وأنواعة معان خاصة ، ومن المعلوم أنَّ اللفظ الخاص يوصف باللفظ العام ولا يصح العكس ؛ لأنَّ الخاص يندرج تحت العام ، ولا يندرج العام تحت الخاص ، لذا لا يصح أن نجعل ما يقعان عليه من أنواع الحسن والسيئة وجوهًا لهما ؛ وقد عرَّف الإحسان بأنَّه ((هو كلّ مُبْهَج مرغوب فيه عقلًا أو حسًّا أو هوًى)) وهذه هي دلالته أينما ورد في كتاب الله ، فهو إذن اسم جنس يُطلَق على ((كل مُبْهَج مرغوب فيه عقلًا أو حسًّا أو هوًى)) والأوجه الثلاثة عشر التي ذكرها لو صحت فهي مختلقة ؛ لأنَّه درس العلاقة بينها وبين الإحسان دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يسمِّ ويوصف الإحسان بهذه الأوجه المزعومة كما فعل الفيروزآبادي ؛ لتكون وجوهًا له ، وإنَّما سمَّى ووصف كل وجه منها بالإحسان ؛ لما ذكرناه ، فهي إذن جميعها وجه واحد ؛ هذا إن صحَّ كما قلت ، ما ادعاه بأنَّ القرآن الكريم أراد من لفظ الإحسان الوجوه التي نسبها إليه ، وإلّا فإنَّ الإحسان في الحقيقة أينما ورد في كتاب الله أريد به الإحسان بعينه ، وبمعناه العام وقد حرَّف وأخطأ في التفسير عندما جعله بمعاني الأوجه المذكورة الخاصة ، ولنضرب مثلًا لتأكيد هذه الحقيقة وتوضيحها جعله الإحسان في ((الوجه الثاني : بمعنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها){الأنعام : ١٦٠}))

([1]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ١/٤١٠.

رجعتُ إلى كتب التفسير والمعاني : تفسير مقاتل بن سسليمان ومعاني القرآن للفرّاء ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ، ومعاني القرآن للأخفش ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، وتفسير الطبري ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ، وتفسير الوسيط للواحدي ، والمفردات للراغب ، وتفسير الكشاف للزمخشري ، وتفسير ابن عطية ، وتفسير ابن الجوزي ، وتفسير القرطبي ، وتفسير البيضاوي ، وتفسير النسفي ، وتفسير أبي حيان الأندلسي ، وعمدة الحفاظ للحلبي ، وتفسير ابن كثير ، واللباب في علوم الكتاب ، وتفسير الشوكاني ، وتفسير الآلوسي فلم أجد في هذه الكتب والتفاسير من ذكر أو نقل أن الحسنة تعني الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها) مما يدلّ على أنَّ الفيروزآبادي جعل الحسنة في هذه الآية بالمعنى المذكور اعتباطًا من أجل اختلاق الوجوه .

فلم يعينوا لها المعنى الذي عينه الفيروزآبادي ، وقد قال ابن الجوزي : ((وفي الحسنة والسيئة ها هنا قولان ، أحدهما : أنَّ الحسنة قول : لا إله إلّا الله ، والسيئة : الشرك ، قاله ابن مسعود ومجاهد والنخعي ، والثاني : أنَّه عام في كل حسنة وسيئة ، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر))[1]

والصحيح الثاني : أمَّا القول الأول فلو صح فقد أريد به أنَّ أجر الحسنة بعشر أمثالها إنَّما يصيب أهل التوحيد ، أهل : لا إله إلّا الله ، لأنَّه من لم يكن من أهل هذه الكلمة فلا حظ له في الإسلام لقوله سبحانه : (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا){النساء : ٤٨} والدليل على ذلك أنَّ من المفسرين من قرن

([1]) زاد المسير ١٢٢/٣.

أجر الحسنة بعشر أمثالها بالتوحيد قال مقاتل في تفسير قوله تعالى : (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها) ((من جاء في الآخرة بحسنة بالتوحيد والعمل الصالح فله عشر أمثالها في الأضعاف))[١] وقال القرطبي : ((أي : من جاء بشهادة أن : لا إله إلّا الله ، فله بكل عمل عمله في الدنيا من الخير عشرة أمثاله من الثواب)) [٢]

فمن كان من أهل التوحيد فكل حسنة يأتي بها له بها عند الله سبحانه عشر حسنات ، وجعل الحسنة بعشر أمثالها هو الحد الأدني من الأجر كما تقدم في حديث مسلم ، وقوله : لا إله إلّا الله ، واحدة منها ((فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلتُ يا رسول الله ، أمن الحسنات : لا إله إلّا الله ؟ قال : نعم ، هي أحسن الحسنات))[٣] فليس من المعقول قصر مضاعة الأجر على ما ادعاه الفيروزآبادي ، بل المراد من الحسنة في الآية معناها العام ، الذي يشمل كل قول وعمل صالح يقوم به العبد المسلم كصوم أوصلاة أو صدقة أوتسبيحة أوتهليلة أوتكبيرة أوصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فله بكل حسنة من ذلك ونحوها عشر أمثالها وهذا ما عليه جمهور المفسرين[٤]

أيشك بعد ذلك أحد أنَّ أصحاب كتب الوجوه لم يكن يهمهم أبدًا أن يخطؤوا في التفسير وأن يخلطوا بين المعاني العامة والخاصة ، لم يكن يهمهم تحريف دلالة اللفظ القرآني ما دام هذا التحريف يحقق غرضهم في

---

(١) زاد المسير ١٢٢/٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠٦/٤ .

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي /٣٤٣/٢ والحديث رواه أحمد

(٤) ينظر : جامع البيان ١٢٨/٨ والوسيط ٣٤٢/٢ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٧٢/٣-٢٧٤

اختلاق الوجوه ، مما يدل على أنَّ غايتهم من التأليف هو التأليف بعينه ، إنَّهم لم يتقوا الله في تفسير كتاب الله .

٤-الأذى : قال ابن فارس : ((الهمزة والذال والياء أصل واحد وهو الشيء تتكرهه ولا تَقِرُّ عليه ، تقول آذيتُ فلانًا أوذيه ، ويقال : بعير أذٍ وناقة أذِيَة : إذا كان لا يقِرُ في مكان من غير وجع ، وكأنَّه يأذى بمكانه))[١] وقال الراغب : ((الأذى : ما يصل إلى الحيوان من الضرر إمَّا في نفسه أو جسمه أو تبعاته دنيويًّا كان أو أخرويًّا ... وقوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى){البقرة : ٢٢٢} فسُمِّي ذلك أذى باعتبار الشرع وباعتبار الطب على حسب ما يذكره أصحاب هذه الصناعة)) [٢]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الأذى جاء في القرآن الكريم على اثني عشر وجهًا هي :

الوجه الأول : الأذى بمعنى الحرام ، كقوله عز وجل : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى){البقرة : ٢٢٢} يعني : حرامًا (وهو بمعنى : ما يؤذي الإنسان عند ابن الجوزي)

والوجه الثاني : الأذى ، بمعنى القمل ، كقوله تعالى : (أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ){البقرة : ١٩٦}

والوجه الثالث : الأذى بمعنى الشدة والمحنة كقوله تعالى : (إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ){النساء : ١٠٢} أي : شدة ومحنة من مطر

والوجه الرابع : الأذى ، بمعنى : الشتم والسبّ والتعزير والتعيير كقوله تعالى : (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلّا أَذًى){آل عمران : ١١١} وقوله تعالى : (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا){آل عمران : ١٨٦}

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣ .

(٢) المفردات ص ١٩.

والوجه الخامس : الأذى ، بمعنى البهتان والقذف بالغيب والزور ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا){الأحزاب : ٦٩}

والوجه السادس : الأذى ، بمعنى المعصية كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ){الأحزاب : ٥٧} .

والوجه السابع : الأذى ، بمعنى التخلف عن غزوة تبوك ، قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ){التوبة : ٦١} يعني : يتخلفون

والوجه الثامن : الأذى ، بمعنى شغل القلب ، كقوله تعالى : (إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ){الأحزاب : ٥٣} وكقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ){الأحزاب : ٥٣}

والوجه التاسع : الأذى ، بمعنى المنّ أو الكراهية ، وذلك قوله عز وجل : (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى){البقرة : ٢٦٣}

والوجه العاشر : الأذى ، بمعنى العذاب ، كقوله تعالى : (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ){العنكبوت : ١٠}

الوجه الحادي عشر : غيبة المؤمنين كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا){الأحزاب : ٥٨}

الوجه الثاني عشر ، استحواذ الفقير ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى){البقرة : ٢٦٤} [1]

جعلوا (الأذى) في الوجه الأول بمعنى : الحرام في قوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى) والأذى من لوازم الحرام ، فالله سبحانه وتعالى ما حرَّم علينا شيئًا إلّا ما كان فيه أذى لنا ، فقد أراد من الأذى الأذى بعينه وليس معنى الحرام ؛ بل الحرام ذكره بعد ذكر الأذى قال الله تعالى :

([1]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٧٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٦٠-٦٢ ونزهة الأعين ص ٥٣-٥٤ وبصائر ذوي التمييز ٧٢/٢-٧٣ .

(وَيَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الْمَحِـيضِ قُـلْ هُـوَ أَذًى فَـاعْتَزِلُواْ النِّسَـاء فِـي الْمَحِـيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ){البقرة : ٢٢٢} فتأمَّل أنَّ القرآن الكريم بعد أن ذكر أنَّ المحيض أذى ، تلاه بذكر تحريمه بالاعتزال وعدم التقرب ، وقد تقدم قول الراغب في هذه الآية : ((فسُمِّي ذلك أذى باعتبار الشرع وباعتبار الطب على حسب ما يذكره أصحاب هذه الصناعة)) [١] ولذلك لم يذكر ابن الجوزي وجه الحرام ، بل جعله بمعنى : ما يؤذي الإنسان وقال : ((أي : يؤذي المجامع بنتن ريحه ونجاسته ، وقال أبو سليمان الدمشقي : يورث جماع الحائض علة في فرج الرجل مبلغة في الألم ، قيل : إنَّها تشقيق يلحق الفرج لا يكاد يخلص منه سريعًا)) [٢]

وجعلوا الأذى في الوجه الثاني بمعنى : القمل في قوله تعالى : (أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ) والقمل نوع من الأذى والقرآن الكريم أراد هذا النوع وغيره ، أي : كل ما يؤذي الرأس ، وقصره على القمل تحريف لدلالته وتحويله من معناه العام المراد إلى معنى خاص لم يكن مرادًا وحده ، قال الطبري : ((وأمَّا الأذى الذي يكون إذا كان برأس الإنسان خاصة له حلقه ، فنحو الصداع والشقيقة وما أشبه ذلك ، وأن يكثر صئبان الرأس ، وكل ما كان للرأس مؤذيًا مما في حلقه صلاحه ، ودفع المضرة الحالّة به ، فيكون ذلك بعموم قول الله عز وجل ، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ هذه الآية نزلت عليه بسبب كعب بن عجرة ؛ إذ شكا كثرة أذى برأسه من صئبانه)) [٣] ومن المعلوم أنَّ القرآن الكريم كثيرًا ما يعبّر عن المعاني الخاصة التي تتضمنها أسباب النزول بالمعاني العامة لتكون حكمًا عامًّا يشمل المعنى الخاص وما كان على نحوه إلى قيام الساعة ، وابن الجوزي

---

(١) المفردات ص ١٩.

(٢) نزهة الأعين ص ٥٤ .

(٣) جامع البيان ٢٧٦/٢ .

نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل الأذى بمعنى القمل ، فجعله بهذا المعنى الخاص في قوله تعالى : (أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ) [1] فسَّره بالمعنى العام في الزاد فقال : ((ومعنى الآية : فمن كان منكم ، أي : من المحرمين محصرًا كان أو غير محصر ، مريضًا واحتاج إلى لبس أو شيء يحظره الإحرام ففعله أو به أذى من رأسه فحلق ، ففدية من صيام)) [2]

وجعلوا الأذى في الوجه الثالث بمعنى الشدة والمحنة في قوله تعالى : (إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ) لم أجد في كتب التفسير من فسَّر الأذى بمعنى الشدة أو بمعنى مرادف آخر بل أبقاه على معناه ؛ لأن دلالته معروفة ؛ ولأنَّه أقرب وأنسب من دلالة غيره ؛ لأنَّ ما يلقاه الإنسان من المطر هو الأذى وليس الشدة والمحنة، وإنَّماالشدة والمحنة تكون من القحط والجدب لا من المطر .

وجعلوا الأذى في الوجه الرابع بمعنى السبّ والشتم والتعزير والتعيير في قوله تعالى : (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلّا أَذًى) وقوله تعالى : (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا) والمراد الأذى بمعناه العام من دون تحديد للأنواع المذكورة

وجعلوا الأذى في الوجه الخامس بمعنى البهتان والزور والقذف بالغيب ، في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) قال ابن الجوزي : ((وفي ما آذوا موسى أربعة أقوال : أحدها : أنَّهم قالوا هو آدر (والآدر : عظيم الخصيتين) فذهب يومًا يغتسل ووضع ثوبه على حجَر ، ففرَّ الحجر بثوبه ، فخرج في طلبه ، فرآوه فقالو ما به من بأس ... والثاني : أنَّ موسى صعد الجبل ومعه هرون ، فمات هرون ، فقال بنو إسرائيل : أنتَ قتلتَه فآذوه بذلك ... والثالث : أنَّ قرون استأجر

([1]) ينظر : نزهة الأعين ص ٥٤ .

([2]) زاد المسير ١٧٧/١ .

بَغِيًّا لتقذف موسى بنفسها على ملأ من بني إسرائيل ... والرابع : أنَّهم رموه بالسحر والجنون)) [1] فهذه جميعها من أنواع الأذى ، فالمراد إذن معناه العام ، والدليل على ذلك أنَّ هذه الأنواع من الأذى التي لقيها موسى عليه السلام من قومه لم تكن نفسها التي لقيها رسولنا الكريم من قومه ، فالقرآن الكريم ما أراد أن يعيِّن بعضًا منها من دون غيرها ، بل أراد من الأذى معناه العام من دون تحديد لنوع من أنواعه .

وجعلوا الأذى في الوجه السادس بمعنى المعصية في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ)[الأحزاب : ٥٧} قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((إنَّ الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إيّاه وركوبهم ما حرّم الله ، وقد قيل : إنَّه عنى بذلك أصحاب التصاوير ، وذلك أنَّهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله ... وعن قتادة قال في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ) قال : يا سبحان الله ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم ، وأمَّا أذاهم رسول الله فهو طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حُيَي)) [2] وبيَّن ابن الجوزي نوع الأذية فقال : ((وصفوا الله بالولد وكذَّبوا رسوله وشجّوا وجهه وكسروا رباعيته ، وقالوا : مجنون وشاعر وساحر وكذاب ، ومعنى أذى الله وصفه بما هو منزَّه عنه وعصيانه)) [3]

فهذا هو تفسير الآية ؛ لذلك غلَّب القرآن الكريم الأذى على المعصية ؛ فاستعمل لفظ الأول ، وجعْلُه بمعنى اللفظ الثاني تحريف للتفسير وللمعنى المراد .

([1]) زاد المسير ٢٢٦/٦.

([2]) جامع البيان ٥٤/٢٢.

([3]) زاد المسير ٢٢٣/٦ .

وجعل الدامغاني الأذى في الوجه السابع بمعنى التخلّف عن غزوة تبوك في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ){التوبة : ٦١}[١] وهذا الشاهد هو في قوله تعالى : (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){التوبة : ٦١} فما علاقة هذا السياق بالتخلف عن غزوة تبوك وبالمتخلّفين عنها ؟! يعنون ((من حدَّثه شيئًا سمعه ... يسمع من كل أحد)) [٢]

أمَّا الفيروزآبادي فقد جعل الأذى بمعنى التخلف عن غزوة تبوك في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ){الأحزاب : ٥٧}[٣] وهو الشاهد السابق نفسه الذي جعل فيه الأذى بمعنى المعصية ، وهذا خلط وتداخل كبير لم ينبه عليه المحقق ، وقد تقدم تفسيره وأنَّه لا علاقة له بالمتخلّفين عن هذه الغزوة

وجعلوا الأذى في الوجه الثامن بمعنى شغل القلب في قوله تعالى : (إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ){الأحزاب : ٥٣} وقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ){الأحزاب : ٥٣} وشغل القلب لا يعنى الأذى ، بل هو بعض أنواعه ، والمراد المعنى العام ، أي : أيّ نوع من أنواع الأذى ، وبهذا جاء تفسيره والمعنى : ((ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء)) [٤]

وجعلوا الأذى في الوجه التاسع بمعنى المنّ في قوله تعالى : (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى) والمنّ أيضًا لا يعني الأذى بل هو من أنواعه ، والمراد أيّ أذى كان ، أذى المنّ أم غيره ، ولهذا جاء

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٦١ .

(٢) جامع البيان ١٩١/١٠ وينظر : زاد المسير ٣٤٧/٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٧٣/٢ .

(٤) زاد المسير ٢٢١/٦ وينظر : جامع البيان ٤٧/٢٢.

عطف أحدهما على الآخر في قوله تعالى : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٢٦٢} قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ {٢٦٣} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى){البقرة : ٢٦٢-٢٦٤} واجتماعهما معًا يدل على اختلاف دلالتيهما حتى فُرِّق بينهما في المعنى ، قال الزمخشري : (((مَنًّا) هو أن يعتد على من أحسن إليه ويريه أنَّه اصطنعه وأوجب عليه حقًّا له ، وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها ، (وَلاَ أَذًى) هو أن يتطاول عليه بسبب ما أعطاه))[١] وهذا من باب عطف العام على الخاص ، والمعنى : لا تبطلوا صدقاتكم بأذى المنِّ ولا بأيِّ نوع آخر من أنواع الأذى .

وجعلوا الأذى في الوجه العاشر بمعنى العذاب في قوله تعالى : ((فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ)){العنكبوت : ١٠} وقد تقدم تعريف الأذى بأنَّه ((هو الشيء تتكرهه))[٢] وعرِّف العذاب بأنَّ أصله ((الضرب ... ثم استعير ذلك في كل شدة)) [٣] وبأنَّه ((النكال والعقوبة))[٤] وبأنَّه ((هو الإيجاع الشديد))[٥] فبين االعذاب والأذى فرق بيِّن وإن ترادفا وتقاربا في المعنى ، قال الطبري : ((نزلت في أناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فإذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا إلى الكفر مخافة من يؤذيهم وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله)) [٦] فالأذى أخفّ من العذاب وأهون ؛ لذلك افتتن به

---

(١) الكشاف ٣٠٦/١ وينظر : مدارك التنزيل ص ١٣٧ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٣ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٦٥١.

(٤) لسان العرب ٧٣/١٠ وتاج العروس ٢٠٧/٣ .

(٥) المفردات للراغب ص ٣٣٩ وينظر : عمدة الحفاظ ٤٢/٣-٤٣.

(٦) جامع البيان ١٥٤/٢٠

المنافقون لضعف إيمانهم ، فانقلبوا حين تعرّضوا له على أعقابهم ورجعوا إلى كفرهم .

وجعل الفيروزآبادي الأذى في الوجه الحادي عشر بمعنى غيبة المؤمنين في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا){الأحزاب : ٥٨} [١] والغيبة أيضًا لا تعنى الأذى بل هي من أنواعه ، جاء ((في سبب نزولها أربعة أقوال ، أحدها : أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى جارية متبرجة فضربها وكفَّ ما رأى من زينتها ، فذهبتْ إلى أهلها تشكو ، فخرجوا إليه فآذوه ، فنزلت هذه الآية ، رواه عطاء عن ابن عباس .

والثاني : أنَّها نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهنَّ ، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها ، وإنَّما كانوا يؤذون الإماء ، غير أنَّه لم تكن الأمة تُعرَف من الحرة ، فشكوا ذلك إلى أزواجهنَّ ، فذكروا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية ، قاله السُّدِّي ،

والثالث : أنَّها نزلت فيمن تكلم في عائشة وصفوان بن المعطَّل ، قاله الضحاك

والرابع : أنَّ ناسًا من المنافقين آذوا عليّ بن أبي طالب ، فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل)) [٢] وقد قال مقاتل : ((وأنَّ عمر رضي الله عنه قال في خلافته لأُبَي بن كعب الأنصاري : إنِّي قرأتُ هذه الآية (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ){الأحزاب : ٥٨} إلى آخر الآية فوقعت مني كل موقع ، والله إنِّي لأضربهم وأعاقبهم ، فقال له أُبَي بن كعب رحمه الله : إنَّك لستَ

([١]) بصائر ذوي التمييز ٧٣/٢.

([٢]) زاد المسير ٢٢٣/٦-٢٢٤ وينظر : تفسير مقاتل ٥٤/٣.

منهم ، إنَّك مُؤدِّب مُعلِّم)) [1] فالمراد إذن الأذى بمعناه العام من دون تحديد وتعيين لنوع من أنوعه .

والجدير بالذكر أنَّ الأذى الذي جعله الفيروزآبادي في هذه الآية بمعنى غيبة المؤمنين ، جاء بعيد قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ){الأحزاب : ٥٧} الذي جعل الأذى فيه في الوجه السادس بمعنى الجفاء والمعصية ، وجعل الشاهد نفسه في الوجه السابع بمعنى التخلف عن غزوة تبوك[2] قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا {٥٧} وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا){الأحزاب : ٥٧-٥٨} فالأذى واحد لأنَّه جاء في سياق واحد إلّا أنَّ الفيروزآبادي من أجل اختلاق الوجوه شتته إلى ثلاثة أوجه : المعصيه ، والتخلف ، والغيبة ، فيا أصحاب كتب الوجوه أما كان لكم أن تتقوا الله في تفسير كتاب الله ؟! ومما لا شك فيه أنَّ ما ذكره الدأمغاني يُعدُّ من أنواع الأذى ، والوجوه الحقيقية هي التي لا تكون علاقتها باللفظ علاقة الشيء بأنواعه

وخلاصة ما تقدم تفصيله أنَّ الحرام ، والمعصية ليسا وجهين للأذى ، وإنَّما الأذى من لوازمهما ، والشدة ، والتخلف ، والعذاب ، والكراهية ، واستحواذ الفقير قريبة من معنى الأذى ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والأذى اسم جنس ، وكل نوع من أنواعه يُسمَّى أذى ؛ لأنَّ أنواعه معان خاصة تدخل ضمن معناه العام ، وقد اتخذ أصحاب كتب الوجوه مما جاز تسميته بالأذى وجوهًا للأذى ، وهذه التسمية وإن جازت لم تكن مرادة ، ومع ذلك فلو صحت إرادتها فهي وجوه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يسمِّ الأذى

([1]) تفسير مقاتل ٥٤/٣.

([2]) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٧٣/٢ .

بالقمل ، والشتم ، والبهتان ، وشغل القلب ، والمنِّ ، والغيبة ، كما فعل مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل نوع من هذه الأنواع بالأذى ؛ لأنَّ كلَّ نوع منها تتمثل فيه دلالته ؛ ولأنَّ الخاص يوصف ويُسمَّى بالعام ولا يوصف ويُسمَّى العام بالخاص ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، هذا إن صحَّت هذه التسمية ، وإلاَّ فإنَّ الأذى في الحقيقة أينما ورد في كتاب الله أريد به الأذى بعينه ، وبمعناه العام وجعله بمعاني الأوجه المذكورة الخاصة يعدَّ تحريفًا لدلالته في القرآن الكريم .

٥-**الأسفار** : قال الدامغاني : ((تفسير الأسفار على خمسة أوجه : المنازل ، والكتب ، والإشراق ، والانكشاف ، والسفر بعينه :

فوجه منها ، الأسفار : المنارل والقرى ، قوله تعالى في سورة سبأ : (} فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)}سبأ : ١٩} يعني قرانا ومنازلنا .

والوجه الثاني ، الأسفار : الكتب قوله تعالى في سورة الجمعة : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)}الجمعة : ٥} يعني : كتبًا ، وكقوله تعالى في سورة عبس : (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ)}عبس : ١٥} يعني : كَتَبَة

والوجه الثالث ، الإسفار يعني : الإشراق ، ويقال : الفلاح ، قوله تعالى في سورة عبس : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ)}عبس : ٣٨} أي : مشرقة

والوجه الرابع ، أسفر بمعنى : انكشف ، قوله تعالى في سورة المدثر : (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ)}المدثر : ٣٤} أي : أضاء وانكشف .

والوجه الخامس : السفر بعينه ، قوله تعالى في سورة البقرة : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)}البقرة : ١٨٤}))[1]

([1]) الوجوه والنظائر ص ٧٢-٧٣ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٥٣ .

قال الأزهري : ((قال الله عز وجل : ((بِأَيْدِي سَفَرَةٍ)){عبس : ١٥} قال المفسرون : السفرة : الكتبة ، يعني الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم ... وإنَّما قيل للكتاب سِفْر ، وللكاتب سافر ؛ لأنَّ معناه أن يبين الشيء ويوضحه ... وسُمِّي المسافر مسافرًا لكشفه قناع الكنِّ عن وجهه ومنازل الحضر عن مكانه ... وسُمِّي السفر سفرًا ؛ لأنَّه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم فيظهر ما كان خافيًا منها))[1] وقال ابن فارس : ((السين والفاء والراء أصل واحد يدلّ على الانكشاف والجلاء ، من ذلك السَّفَر سُمِّي بذلك ؛ لأنَّ الناس ينكشفون عن أماكنهم ، وسفرت المرأة عن وجهها : إذا كشفته ، وأسفر الصبح وذلك انكشاف الظلام ، ووجه مُسفر : إذا كان مشرقًا سرورًا ، والسَّفْر : الكتابة ، والسَّفَرَة : الكتبة ، وسُمِّي بذلك ؛ لأنَّ الكتابة تُسفر عمَّا يُحتاج إليه من الشيء المكتوب))[2] وقال الراغب : ((السَّفْرُ : كشف الغطاء ، ويختص ذلك بالأعيان ، نحو : سفر العمامة عن الرأس ، والخمار عن الوجه ، وسَفْر البيت : كنسه بالمِسفر ، أي : المِكنس ، وذلك إزالة السفير عنه ، وهو التراب الذي يُكنَس ، والإسفار يختص باللون نحو : (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ)}{المدثر : ٣٤} أي : أشرق لونه قال تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ)}{عبس : ٣٨} ... وسافر خُصَّ بالمفاعلة اعتبارًا بأنَّ الإنسان قد سفَر عن المكان ، والمكان سفَر عنه ، والسِّفْر : الكتاب الذي يُسفر عن الحقائق ، وجمعه أسفار ، قال تعالى : (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)}{الجمعة : ٥} وخص لفظ الإسفار في هذا المكان تنبيهًا أنَّ التوراة وإن كانت تُحَقِّق ما فيها فالجاهل لا يكاد يستبينها كالحمار الحامل لها ، وقوله تعالى : (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ)}{عبس : ١٥} فَهُمُ الملائكة ... والسفير : الرسول بين القوم يكشف ويزيل ما بينهم من الوحشة ، فهو فعيل في معنى فاعل ... فالرسول

([1]) تهذيب اللغة ٢/١٧٠١-١٧٠٢ .

([2]) مقاييس اللغة ص ٤٠٩ .

والملائكة والكتب مشتركة في كونها سافرة عن القوم ما استبهم عليهم ، والسفير فيما يُكنَس في معنى المفعول)) [1]وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا){سبأ : ١٩} الأسفار جمع سفر ، والسفر : الرحيل من مكان إلى مكان ، وأصله الكشف ؛ لأنَّه يُسْفِر عن أخلاق الرجال ... والإسفار ظهور ضوء النهار ومنه قوله تعالى : (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ){المدثر : ٣٤} وذاك لكشفه الظلمة))[2]

القرى والمنازل في الوجه الأول سُمِّيت أسفارًا ؛ لأنَّ المسافر كان في سفره يتخذها أماكن للقيلولة والاستراحة فيها ؛ لينطلق منها وينكشف عنها إلى قرية بعدها[3] وقد صرَّح أهل اللغة أنَّ الكتب في الوجه الثاني سميت أسفارًا ؛ لأنَّها تكشف عن الحقائق وعما يُحتاج إليه ، وسمِّيت الوجوه المشرقة في الوجه الثالث مسفرة ؛ لأنَّ السرور كشف عنها ظلمة الحزن ، وقد قال الزمخشري : ((ومن المجاز : وجه مسفر : مشرق سرورًا (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ)))[4] وقال تعالى كما جاء في الوجه الرابع : (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ){المدثر : ٣٤} وذاك لكشفه الظلمة .

وأمَّا السفر في الوجه الخامس لا يعنى السفر بعينه كما ادعى الدامغاني ، بل يعني الجلاء والرحيل عن المكان ، فالرحيل من مكان إلى مكان سُمِّي سفرًا ؛ لأنَّه يكشف عن أخلاق الرجال ، أو لأنَّ الناس ينكشفون عن أماكنهم ، هذا ما صرَّح به أيضًا أهل اللغة وتقدم قول الراغب ((فالرسول والملائكة والكتب مشتركة في كونها سافرة عن القوم ما استبهم عليهم)) فالسفر بعينه كما تبيَّن هو انكشاف الشيء عما كان يُغَطَّى به ، أو كشف

([1]) المفردات ص ٢٤١ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٠١/٢-٢٠٢ .

([2]) عمدة الحفاظ ٢٠١/٢ .

([3]) ينظر : مدارك التنزيل ص ٩٦٠ .

([4]) أساس البلاغة ص ٢٩٧ .

الشيء عما كان يغطيه ، فهو اسم جنس أو لفظ عام إلّا أنَّه لم يرد في القرآن الكريم بمعناه العام ، وما ذكره الدامغاني يُعَدُّ من أنواع السفر لا من أوجهه ، وتشترك مع السفر بمعناه العام ، فتكون الأوجه التي ذكرها مختلفة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن لم يسمِّ السفر بهذه الأوجه كما فعل من هو من أصحاب كتب الوجوه وعلى منهجهم سائر ؛ بل سمَّى كلًّا منها بالسفر ؛ لأنَّها معان خاصة والسفر معنى عام ، والخاص يوصف ويُسمَّى بالعام ، ولا يوصف ويُسمَّى العام بالخاص ، فهي جميعها وجه واحد ، لأنَّه يجمعها معنى واحد ، أي هي بمعناه وليس هو بمعانيها

٦-**الإفك** : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنّ الإفك في القرآن الكريم على سبعة أوجه

الوجه الأول : الإفك بمعنى الكذب ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾{الأحقاف : ١١}

الوجه الثاني : الإفك يعني عبادة الأصنام ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾{الصافات ٨٥-٨٦}

الوجه الثالث : الإفك يعني ادعاء الولد لله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾{الصافات : ١٥١-١٥٢}

الوجه الرابع : الإفك يعني قذف المحصنات ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾{النور : ١١} يعني بهتان عائشة

الوجه الخامس : الإفك يعني الصرف ، كقوله تعالى : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾{الأحقاف : ٢٢} أي : لتصرفنا

الوجه السادس : الإفك يعني التقليب ، كقوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾{النجم : ٥٣}

الوجه السابع : الإفك يعني السحر ، كقوله تعالى : ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾{الشعراء : ٤٥} [١]

قال ابن فارس : ((الهمزة والفاء والكاف أصل واحد يدلّ على قلب الشيء وصرفه عن جهته ، وأفك الرجل : إذا كذب ، والإفك : الكذب ، وأفَكْتُ الرجلَ عن الشيء : إذا صرفته عنه ، قال تعالى : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾{الأحقاف : ٢٢}٠٠٠والمؤتفكات : الرياح التي تختلف مهابُّها)) [٢]

قال الفرّاء : ((﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾{الذاريات : ٩} يريد : يُصرَف عن القرآن والإيمان من صُرِف ، كما قال تعالى : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾{الأحقاف : ٢٢} يقول : لتصرفنا عن آلهتنا وتصدّنا)) [٣]

وقال الأصفهاني : ((الإفك : كلّ مصروف عن وجهه الذي يحقّ أن يكون عليه ، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهابّ مؤتفكة٠٠٠وقال تعالى : ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾{النجم : ٥٣}))[٤] وجاء في لسان العرب : ((الإفك : الكذب٠٠٠والإئتفاك عند أهل العربية : الانقلاب ، كقريات قوم لوط التي ائتفكت بأهلها ، أي : انقلبت)) [٥] وجاء في التاج : ((وأَفَكَه عنه يأفِكه أَفْكًا بالفتح فقط : صرفه عن الشيء وقَلَبَه ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾{الأحقاف : ٢٢} وقيل : صَرَفَه بالإفك ، أو قلَب رأيَه٠٠٠وكذلك قوله تعالى : ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾{الذاريات : ٩}))[٦]

([١]) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٠-٨١ ونزهة الأعين ص ٤٢ومنتخب قرة العيون ص٥٤-٥٥ وبصائر ذوي التمييز ١٠١/٢ .

([٢]) مقاييس اللغة ص ٤٦-٤٧

([٣]) معاني القرآن ٣٦٦/٢

([٤]) المفردات ص ٢٤

([٥]) لسان العرب ١٢٣/١

([٦]) تاج العروس ٢٥/٢٧

من تعريف أهل اللغة للإفك وتفسيره يتبيّن أنّ الإفك اسم جنس أو لفظ عام ، فتكون الأوجه التي ذكروها له مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يجعل ويسمِّ الإفك بمعاني الأوجه المذكورة كما فعل أصحاب كتب الوجوه ؛ بل جعل وسمَّى كلًّا منها بالإفك ؛ لأنَّها معان خاصة والإفك معنى عام ، والخاص يوصف ويُسمَّى بالعام ، ولا يوصف ويُسمَّى العام بالخاص ، فهي جميعها وجه واحد ، لأنَّه يجمعها معنى واحد ، أي هي جميعها بمعناه وليس هو بمعانيها .

والحقيقة أنّ الإفك قد أريد منه في كل وجه الإفك بعينه ، وكما عرّفه أهل اللغة ، من ذلك أنّهم قد جعلوا الإفك بمعنى الكذب في حين أنّ هناك فرقًا بيهما في المعنى ، وإن كان أهل اللغة قد عرّفوا الإفك بالكذب وجعلوه بمعناه فهم لا يعنون أنّ الإفك هو الكذب بعينه ، بل ((الإفك : أشدُّ الكذب)) [1] وقد بيّنا غير مرة أنّ أهل اللغة يعرِّفون اللفظ بما يرادفه في المعنى : أي : يعرِّفونه بالمعنى القريب منه للتوضيح ، لا بما يطابقه ؛ لأنّه لا يطابق معنى اللفظ إلّا اللفظ نفسه ؛ والدليل على ذلك أنّه لا يصح أن يحلّ الكذب مثلًا محلّ الإفك في كل تركيب ، فيصح أن يقال كما مثّل ابن فارس : أفَكْتُ الرجلَ عن الشيء ، لكن لا يصحّ أن يقال : أكذبتُ الرجلَ عن الشيء ، حتى إنّ أبا هلال العسكري قال في ((الفرق بين الكذب والإفك٠٠٠إنّ الإفك هو الكذب الفاحش القبح ، مثل الكذب على الله ورسوله أو على القرآن ، ومثل قذف المحصَنَة وغير ذلك مما يفحش قبحه ، قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾{الجاثية : ٧} وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾{النور : ١١} ويقال للرجل إذا أخبر عن كون زيد في الدار ، وزيدٌ في السوق : إنّه كذبَ ، ولا يقال : أفك حتى يكذب كذبة يفحش قبحها على ما ذكرنا ، وأصله في العربية الصرف٠٠٠وتُسمّى الرياح

([1]) عمدة الحفاظ ٩٧/١

المؤتفكات ؛ لأنّها تقلب الأرض فتصرفها عمّا عهدت عليه ، وسُمِّيت ديار قوم لوط المؤتفكات لأنّها فلبت بهم)) [1]

فلكلّ وجه معناه الخاص به ، والقرآن الكريم أراد من الإفك معناه العام ، فجعله بمعاني هذه الأوجه تحريف لدلالته .

٧-**الأمّ** : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنّ الأمّ وردت في القرآن الكريم على سبعة أوجه :

الوجه الأول : الأمّ يعني الأصل كقوله تعالى : ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾{آل عمران : ٧} يعني أصل الكتاب

الوجه الثاني : الأمّ يعني المرجع والمصير والمأوى كقوله تعالى : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾{القارعة : ٩}

الوجه الثالث : الأمّ يعني الوالدة ، كقوله تعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾{طه : ٤٠} يعني إلى والدتك ، وقوله تعالى : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾{القصص : ١٣} يعني : فرددناه إلى والدته

الوجه الرابع : الأمّ يعني الظِّئر أي : المرضعة لغير ولدها ، كقوله تعالى : ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾{النساء : ٢٣} يعني : حرمت عليكم مرضعتكم في الحولين ؛ لأنّ المرضعة تسمى بالرضاعة أُمًّا

الوجه الخامس : الأمّ يعني أمهات المؤمنين ، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، كقوله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾{الأحزاب : ٦}وجعل ابن الجوزي هذا الوجه بمعنى مشابهة الأمّ في الحرمة والتعظيم

الوجه السادس : الأمّ يعني اللوح المحفوظ كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾}الزخرف : ٤}

([1]) الفروق اللغوية ص ٥٧

الوجه السابع : الأم يعنى مكة المكرمة كقوله تعالى : ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾{الشورى : ٧} [١]

قال الخليل : ((اعلم أنّ كلُّ شيء يُضَمُ إليه ما سواه مما يليه فإنّ العرب تسمّي ذلك الشيء أُمًّا ، فمن ذلك أمّ الرأس ، وهو الدِّماغ٠٠٠وأمّ القرى : مكة ، وكلّ مدينة هي أمّ ما حولها من القرى ، وأمّ القرآن : كلّ آية محكمة من آيات الشرائع والفرائض والأحكام ، وفي الحديث : إنّ أمّ الكتاب هي فاتحة الكتاب ، لأنّها هي المتقدمة أمام كل سورة في جميع الصلوات ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾{الزخرف : ٤}أي : في اللوح المحفوظ))[٢]

وقال ابن فارس : ((وأمّا الهمزة والميم فأصل واحد ، يتفرّع منه أربعة أبواب ، وهي : الأصل ، والمرجع ، والجماعة ، والدين ، وهذه الأربعة متقاربة٠٠٠قال الخليل : الأمّ الواحد ، والجمع أمّهات ، وربّما قالوا : أمّ أمّات ، قال شاعر وجمع بين اللغتين

إذا الأمّهات قبَحْنَ الوجوه فرَجْتَ الظلام بأُمّاتكا٠٠٠وأمّ الكتاب : ما في اللوح المحفوظ٠٠٠وأمّ النجوم : السماء٠٠٠عن أبي حنيفة قال : أمّ النجوم : المجرّة ؛ لأنّه ليس من السماء بقعة أكثر عدد كواكب منها)) [٣]

وقال الأصفهاني : ((الأمّ بإزاء الأب وهي الوالدة القريبة التي ولدته ، والبعيدة التي ولدت من ولدته ؛ ولهذا قيل لحوّاء هي أمّنا ، وإن كان بيننا وبينها وسائط ، ويقال لكلّ ما كان أصلًا لوجود شيء أو تربيته ، أو إصلاحه ، أو مبدئه أمّ٠٠٠قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾}الزخرف : ٤}

([١]) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٥٨-٥٩ ونزهة الأعين ص ٤٣ وبصائر ذوي التمييز ١١١/٢-١١٢

([٢]) العين : ص ٣٨-٣٩

([٣]) مقاييس اللغة ص ١٤-١٥

أي : اللوح المحفوظ ؛ وذلك لكون العلوم كلّها منسوبة إليه ومتولدة منه ، وقيل لمكة أمّ القرى ، وذلك لما روي أنّ الدنيا دُحِيتْ من تحتها ٠٠٠وأُمّ النجوم المجرّة٠٠٠وقيل : أُمّ الأضياف وأُمّ المساكين ، كقولهم : أبو الأضياف ، ويقال للرئيس أُمّ الجيش ، وقيل لفاتحة الكتاب أُمّ الكتاب ؛ لكونها مبدأ الكتاب ، وقوله تعالى : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾{القارعة : ٩} أي : مثواه النار فجعلها أُمًّا له٠٠٠والأُمّ قيل : أصله أُمّهة ، لقولهم جمعًا أُمَّهات٠٠٠قال بعضهم : أكثر ما يقال أُمّات في البهائم ونحوها وأُمّهات في الإنسان)) [١]

وقال الحلبي : ((الأمّ : أحد الأبوين٠٠٠ويقال : أُمّهة قال (من الرجز) : أُمّهتي خِنْدَفٌ وإلياس أبي٠٠٠قال تعالى : ﴿وَعِنْدَه أُمُّ الكِتابِ﴾{الرعد : ٣٩} أي : اللوح المحفوظ ؛ لأنّ العلم كلّه منسوب إليه)) [٢]

وقال الكفوي : ((وأُمّ كلّ شيء أصله٠٠٠وقال الأخفش : كلّ شيء انضمّ إليه أشياء فهو أُمٌّ لها ؛ ولهذا سُمِّي رئيس القوم أُمًّا لهم ، وأُمّ الدِّماغ مجتمعه ، وأُمّ النجوم المجرّة ؛ لأنها مجتمع النجوم ، وأُمّ الكتاب أصله ، أو اللوح المحفوظ ، أو سورة الحمد ؛ لأنّه يُبتدأ بها في المصاحف وفي كلّ صلاة أو القرآن جميعه ، وأُمّ القرى علم لمكة شرَفها تعالى ، وهي مأثرة إبراهيم ، ومنشأة إسماعيل ، ومفخر العرب ، وسرة جزيرتها ، وقبلة جماعتها ، ومأمن خائفها ، وملاذ هاربها ، وحرمُ الله في أرضه ، وأُمّ قرى عباده ، وأول بيت وضع للناس ؛ لأنّها توسطت الأرض فيما زعموا ، أو لأنّها قبلة الناس يؤمونها ، أو لأنّها أعظم القرى شأنًا ، أو لتقدمها على سائر القرى))[٣]

([١]) المفردات ص ٢٧

([٢]) عمدة الحفاظ ١٢١/١

([٣]) الكليات ص ١٤٦-١٤٧

جعل أصحاب كتب الوجوه الأُمّ في الوجه الأول : بمعني الأصل في قوله تعالى : ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾{آل عمران : ٧} يعني أصل الكتاب

والأُمّ والأصل معنيان مترادفان فهما يدخلان في باب الترادف لا في باب الأوجه ، حتى إنّ أهل اللغة عرّفوا الأمّ بالأصل ، فقد جعل ابن فارس المعنى الأول للأمّ الأصل ، وتقدّم قول الكفوي : ((وأُمّ كلّ شيء أصله٠٠٠وأُمّ الكتاب أصله))

وجعلوا الأُمّ في الوجه الثاني بمعنى المرجع والمصير والمأوى في قوله تعالى : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾{القارعة : ٩} قال الزمخشري : ((﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة : هَوَتْ أُمُّه ؛ لأنّه إذا هوى ، أي : سقط وهلك ، فقد هوت أُمّه ثكلًا وحزنًا٠٠٠وقيل : ﴿فهَاوِيَةٌ﴾ من أسماء النار٠٠٠أي : فمأواه النار ، وقيل للمأوى أمّ على التتشبيه ؛ لأنّ الأمّ مأوى الولد ومفزعه ، وعن قتادة : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي : فأُمّ رأسه هاوية في قعر جهنّم ؛ لأنّه يُطرَح فيها منكوسًا)) [1]

فهذه ثلاثة أقوال في تفسير الأُمّ هنا ، وقد أرجع الزمخشري الأمّ في القول الأول إلى معنى الأُمّ بعينها ، وأدخلها في القول الثاني في باب التشبيه لا في باب الأوجه ، وقد تقدم قول الأصفهاني : ((وقوله تعالى : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾أي : مثواه النار فجعلها أُمًّا له)) وجعلها في القول الثالث بمعنى أمّ الرأس ، وقد تقدم قول الخليل : ((((اعلم أنّ كلُّ شيء يُضَمُ إليه ما سواه مما يليه فإنّ العرب تسمّي ذلك الشيء أُمًّا ، فمن ذلك أمّ الرأس ، وهو الدِّماغ)) فيكون المراد من الأُمّ في الأقوال الثلاثة الأمّ بعينها

ومثل هذا قال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾٠٠٠وفيه ثلاثة أقوال :

([1]) الكشاف ٧٨٢/٤

أحدها : أمّ رأسه هاوية .

والثاني : أنّها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا هوت أمّه

والثالث : أنّ المعنى : فمسكنه النار ، وإنّما قيل لمسكنه : أُمّه ؛ لأنّ الأصل السكون إلى الأمّهات ، والنار لهذا كالأمّ ؛ إذ لا مأوى له غيرها ٠٠٠ويدلّ على صحة هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه قال : إذا مات العبد تلقى روحُه أرواحَ المؤمنين فتقول له : ما فعل فلان ؟ فإذا قال : مات ، قالوا : ذُهِب به إلى أُمّه الهاوية ، فبئس الأُمّ وبئست المربِّية)) [1]

وقال الشوكاني : ((﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي : فمسكنه جهنّم ، وسمّاها أُمّه ؛ لأنّه يأوي إليها كما يأوي إلى أُمّه)) [2]

وجعلوا الأُمّ في الوجه الثالث بمعنى الوالدة في قوله تعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ فقد جعلوا الأُمّ بمعنى الوالدة ، والمراد جعل الوالدة بمعنى الأُمّ ، فعكسوا المراد القرآني ، وهذا هو المأخذ الأول ، والأُمّ معنى عامّ والوالدة معنى خاصّ فيكون المأخذ الثاني أنّهما سميا ووصفا اللفظ العام بالمعنى الخاصّ ، وهذا لا يصحّ ولا يجوز ، والذي يصحّ ويجوز العكس من ذلك ؛ لأنّ الخاصّ يندرج في باب العام ولا يندرج العامّ في باب الخاص .

الأُمّ والوالدة : جَعْلُ الأُمّ بمعنى الوالدة يلغي البحث عن سرّ استعمال إحداهما من دون الأُخرى في القرآن الكريم ، ويعطّل المقاصد البلاغية القرآنية في هذا الباب ، وهذا هو المأخذ الثالث أنّهم جعلوا الأُمّ بمعنى الوالدة مع أنّ بينهما فرقًا كبيرًا ، فالوالدة هي الأُمّ المباشرة فقط ، فهي

([1]) زاد المسير ٣١٢/٨

([2]) فتح القدير ٦١٤/٥

تُطلَق على المرأة التي تنجب بغضّ النظر عن صفاتها الحسنة أو القبيحة ، بل هي مجرّد إنجاب يشترك فيه الإنسان والبهيمة ، أمّا الأُمّ فتعني الأمّ المباشرة وغير المباشرة ، أي تعني الوالدة ، والجدة ، وما علا حتى حوّاء ، وكذلك تعني المرضعة ، والمربية ونحوهما ، فقد أطلقها القرآن الكريم على الأصل الكريم ، الذي هو رمز التضحية والفداء والنقاء والطهر ، والحبّ والحنان والشفقة ، فلمّا أراد الله سبحانه هذا الجانب من المعاني استعمل الأُمّ من دون الوالدة في قوله تعالى : ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾{المائدة : ٧٥} وقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾{لقمان : ١٤} وقوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾{القصص :٧} وقوله تعالى : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾{القصص : ١٠} وقوله تعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾{طه : ٤٠} ولمّا أراد القرآن قضية إثبات نسبة الولد إلى أُمّه المباشرة التي ولدته ؛ لأنّ المقام يتطلّب ذلك ، استعمل الوالدة من دون الأمّ ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾{المائدة : ١١٠} قال ﴿وَالِدَتِكَ﴾ لأنّه أراد : اذكر نعمتي عليك ، وعلى مريم التي ولدتك ، وقوله تعالى : ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾{البقرة : ٢٣٣} فاستعمل الوالدة من دون الأُمّ ؛ لأنّ القضية تتعلق بالمولود ووالديه ؛ ولأنّ المعنى : أنّه لا يحلُّ للوالدين أن يجعلا مولودهما سببًا للمضارة بينهما ، أي : لا يحلّ أن يتخذا من مولودهما ذريعة لأن يضرّ أحدهما الآخر ، وكذلك قال تعالى ما جاء على لسان عيسى عليه السلام : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾{مريم

: ٣٢} قال : ﴿بِوَالِدَتِي﴾ لأنّه أراد أن يثبت نسبه إلى مريم أنّها هي التي ولدته ، ولو قال : بأُمِّي ، لاحتمل أن تكون مريم أو غيرها .

وجعلوا الأُمّ في الوجه الرابع بمعنى الظِّئر أي : المرضعة لغير ولدها ، في قوله تعالى : ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾{النساء : ٢٣} وقد صرّح بعضهم بأنّ المرضعة تسمى بالرضاعة أُمًّا .

وجعلوا الأُمّ في الوجه الخامس بمعنى أمهات المؤمنين ، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾{الأحزاب : ٦}وجعل ابن الجوزي هذا الوجه بمعنى مشابهة الأمّ في الحرمة والتعظيم ، ففي قوله تعالى ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ تشبيه أزواجه صلى الله عليه وسلم بالأُمّهات في أمرين : أمر تعظيمهنّ واحترامهنّ ، وفي أمر تحريم نكاحهنّ ، فهذا الوجه يدخل في باب التشبيه لا في باب الوجوه

وجعلوا الأُمّ في الوجه السادس بمعنى اللوح المحفوظ في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾}الزخرف : ٤} تقدم قول الأصفهاني : قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾}الزخرف : ٤} أي : اللوح المحفوظ ؛ وذلك لكون العلوم كلّها منسوبة إليه ومتولدة منه)) وقول الحلبي : ((﴿وَعِنْدَه أُمُّ الكِتابِ﴾{الرعد : ٣٩} أي : اللوح المحفوظ ؛ لأنّ العلم كلّه منسوب إليه)) فيكون المراد من الأُمّ الأمّ بعينها

وجعلوا الأمّ في الوجه السابع بمعنى مكة المكرمة في قوله تعالى : ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾{الشورى : ٧} وتقدم قول الخليل : ((وأمّ القرى : مكة ، وكلّ مدينة هي أمّ ما حولها من القرى)) وقول الكفوي : ((وأُمّ القرى علم لمكة شرَفها تعالى ، وهي مأثرة إبراهيم ، ومنشأة إسماعيل ، ومفخر العرب ، وسرة جزيرتها ، وقبلة جماعتها ، ومأمن خائفها ، وملاذ هاربها ، وحرمُ الله في أرضه ، وأُمّ قرى عباده ، وأول بيت وضع للناس ؛ لأنّها توسطت الأرض

فيما زعموا ، أو لأنّها قبلة الناس يؤمونها ، أو لأنّها أعظم القرى شأنًا ، أو لتقدمها على سائر القرى)) فيكون المراد أيضًا من الأُمّ الأُمّ بعينها

تبين من تعريف أهل اللغة أنّ الأُمّ اسم جنس ولفظ عام ، وأنّ الوجوه السبعة كلّها بمعناه ، وليس هو بمعانيها ، أي : هي جميعها وجه واحد ، وقد تبـيّن أنّ أهـل الوجـوه اختلقـوا هـذه الأوجـه السـبعة ؛ لأنّهـم درسـوها دراسـة معكوسة ، فليس المراد تسمية الأُمُ بهذه الأوجه كما فعلوا ، بل المراد تسمية هذه الأوجه بالأُمّ ، وهذا ما صرّح به أهل اللغة ، فقد تقدم قول الأصفهاني : ((ويقال لكلّ ما كان أصلًا لوجود شيء أو تربيته ، أو إصلاحه ، أو مبدئه أمّ)) ((وقول الأخفش : كلّ شيء انضمّ إليه أشياء فهو أُمٌّ لها ؛ ولهذا سُمِّي رئيس القوم أُمًّا لهم)) وكلّهم قد نقلوا تعريف الخليل للأُمّ وتبنّوه ، وهو قوله : ((اعلم أنّ كلُّ شيء يُضَمُ إليه ما سواه مما يليه فإنّ العرب تسمّي ذلك الشيء أُمًّا)) فالمراد إذن تسمية الأوجه المذكورة بالأمّ وليس تسمية الأمّ بالأوجه

٨-**الأُمّي** : ذكر الدامغاني أنّ للأُمّي في القرآن الكريم ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : الأُمّيون يعني العرب ، كقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾{الجمعة : ٢}

الوجه الثاني : الأُمّيون يعني اليهود ، كقوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾{البقرة : ٧٨}

الوجه الثالث : الأُمّي يعني الذي لا يكتب شيئًا ولا يقرأ كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي﴾{الأعراف : ١٥٧} [١]

وقد ذكر الفيروزآبادي هذه الأوجه الثلاثة بنفس ترتيبها وشواهدها إلّا أنّه جعل الوجه الثالث بمعنى النبي صلى الله عليه وسلّم وقال : ((قيل : هو

([١]) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٦٣-٦٤

منسوب إلى الأُمّة الذين لم يكتبوا ؛ لكونه على عادتهم ، كقولك عامّي ؛ لكونه على عادة العامّة ، وقيل : سُمِّي بذلك ؛ لأنّه لم يكن ليكتب ولا يقرأ من كتاب ، وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه ، واعتماده على ضمان الله منه٠٠٠وقيل : سُمِّي لنسبته إلى أمّ القرى ، والله أعلم)) [١]

((قال ابن إسحاق : الأُمّي في اللغة : المنسوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أُمُّه ، أي : لا يكتب ، فهو في أنّه لا يكتب على ما وُلِدَ عليه٠٠٠وقال غيره : قيل للذي لا يكتب أُمّي ؛ لأنّ الكتابة مكتسبة ؛ فكأنّه نُسِبَ إلى ما وُلِدَ عليه ، أي : هو على ما ولدته أُمُّه٠٠٠قال أبو زيد : الأُمّي من الرجال : العَيِيُّ القليل الكلام الجافي الجلف٠٠٠قيل له أمّي ؛ لأنّه على ما ولدته أُمُّه عليه من قلّة الكلام وعُجمة اللسان ، وقيل للنبي محمد صلى الله عليه وسلَّم الأُمّي ؛ لأنّ أُمَّة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، بعثه الله رسولًا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وكانت هذه الخَلّة إحدى آياته المعجزة ؛ لأنّه ، صلى الله عليه وسلَّم ، تلا عليهم كتاب الله منظومًا مع أُمِّيته بآيات مفصلات ، ومواعظ حكيمات)) [٢]

وقال الطبري في تفسير الوجه الثاني : ((وذلك أنّ الأُمّي عند العرب هو الذي لا يكتب ، وأرى أنّه قيل للأُمّي أُمّي نسبة له بأنّه لا يكتب إلى أُمّه ؛ لأنّ الكتاب كان في الرجال دون النساء ، فنُسِبَ من لا يكتب ولا يخطّ من الرجال إلى أُمِّه في جهله بالكتابة دون أبيه ، كما ذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلّم من قوله : إنّا أُمَّة أُمِّيَّة لا نكتب ولا نحسب ، وكما قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ فإذا كان معنى الأُمِّي ما وصفنا ،

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١٥٩/٢

(٢) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ٢٠٤/١-٢٠٥ وينظر لسان العرب ١٦١/١-١٦٢

فالذي أولى بتأويل الآية ما قاله النخعي من أنّ معنى قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ ومنهم مَن لا يحسن أن يكتب)) [١]

تبين من تعريف أهل اللغة أنّ الأُمّي اسم جنس ولفظ عام ، وأنّ الأوجه الثلاثة كلّها بمعناه ، وليس هو بمعانيها ، وقد تبيّن أنّ أهل الوجوه اختلقوا هذه الأوجه الثلاثة ؛ لأنّهم درسوها دراسة معكوسة ، فليس المراد تسمية الأُمُي بهذه الأوجه كما فعلوا ، بل المراد تسمية هذه الأوجه بالأُمّي ، أي : هي جميعها وجه واحد .

٩-أيَّام معدودات : قال الحيري : ((باب أيام معدودات ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : أربعون يومًا ، كقوله تعالى : (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً){البقرة : ٨٠} نظيرها في آل عمران (يعني قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ){آل عمران : ٢٤}

والثاني : ثلاثون يومًا ، كقوله تعالى : (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ){البقرة : ١٨٤}

والثالث : ثلاثة أيام ، كقوله تعالى : (وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ){البقرة : ٢٠٣}))[٢]

قال الخليل : ((عددتُ الشيءَ عدًّا : حسبته وأحصيته ... والعديد : الكثرة)) [٣]وقال الواحدي : ((والمعدودة إذا أُطلقتْ ، كان معناها القليلة))[٤] وقال الراغب : ((يقال شيء معدود ومحصور للقليل ، مقابلة لما لا يحصى

---

(١) جامع البيان ٤٣١/١

(٢) وجوه القرآن ص ٥٨

(٣) العين ص٦٠٧

(٤) الوسيط ١٦٤/١

كثرة ، نحو المشار إليه بقوله تعالى : (بِغَيْرِ حِسَابٍ){البقرة : ٢١٢} وعلى ذلك قوله تعالى : (إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً{البقرة : ٨٠}))[١] وقال الحلبي : ((يُذكر للقليل ؛ لأنَّ القليل يُعدُّ ، والكثير لا يُعَدُّ ، ومنه قوله تعالى : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ){يوسف : ٢٠}))[٢]((وقال الزجاج و(معدودات) يستعمل كثيرًا للشيء القليل))[٣]

فقد أجمع أهل اللغة والتفسير على أنَّ (معدودة) و(معدودات) لا يدلَّان على عدد معيَّن ، لا خاصّ ولا عامّ ، وإنَّما يدلَّان على ما أمكن عدُّه لقلّته ، فجعلهما بمعنى عدد معيَّن ، كما جاء في الأوجه الثلاثة تحريف عام لدلالة كلٍّ منهما ، وثمة تحريف آخر خاصّ وهو أنَّ الأوجه المذكورة لا تعني (المعدودة) أو (المعدودات) كما ادعى الحيري ، وإنَّما هي أعداد موصوفة بهما ، فالأربعون يومًا في الوجه الأول لا يعني الأيام المعدودة ، بل هو الموصوف بالأيام المعدودة ، وكذلك الثلاثون يومًا ، وثلاثة الأيام في الوجه الثاني والثالث لا يعني كل منهما المعدودات ، بل هما الموصوفان بالمعدودات ، وهذه هي الطريقة المعكوسة التي اتبعها الوجوهيون لا ختلاق الوجوه ، وهي عدم جعل اللفظ بمعناه بل بمعنى الموصوف به

ولأنَّ المعدودة والمعدودات لا يدلَّان على موصوف مُعيَّن ، أي : على عدد مُعيَّن ، فقد اختلف أهل التفسير في تحديده في الشاهد القرآني نفسه ، فقد جعل الحيري الأيام المعدودات في الوجه الثاني بمعنى ثلاثين يومًا ، في قوله تعالى : (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) وقد اختلف أهل التأويل في تحديدها في هذا الشاهد على

---

(١) المفردات ص٣٣٦

(٢) عمدة الحفاظ ٣٥/٣

(٣) زاد المسير ١٨٦/١

قولين ، الأول : أنَّ الأيام المعدودات ، هي صوم ثلاثة أيَّام من كل شهر ، وهذا الذي فرضه الله على الناس من الصيام قبل أن يفرض عليهم شهر رمضان ، والثاني : أنها أيام شهر رمضان ، وأيَّامه لا تكون دائمًا إلّا ثلاثين يومًا [١]

وكذلك الأيام المعدودات التي جعلها الحيري في الوجه الثالث بمعنى ثلاثة أيام في قوله تعالى : (وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) فقد اختلفوا في تحديد موصوفها على قولين ، الأول : أنَّها ثلاثة أيام وهي أيَّام التشريق ، والثاني : أنَّها أيَّام العشر [٢]

وقد جَعَلَ الأيَّام المعدودة في الوجه الأول بمعنى أربعين يومًا في قوله تعالى : (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً){البقرة : ٨٠} وقوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ){آل عمران : ٢٤} وأهل التفسير اختلفوا في تأويل المعدودة والمعدودات في هاتين الآيتين على قولين ، الأول : أنَّها تعني أربعين يومًا التي تمثل عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل ، وهذا الذي كان يعتقده أغلب بني إسرائيل ، والثاني : أنَّها سبعة أيام ، ذلك بأنَّهم قالوا : إنَّما الدنيا سبعة آلاف يوم ، وإنَّما نُعذَب مكان كل ألف سنة يومًا ، وهذا ما كان يعتقده فريق منهم [٣]

وقد تطرَّق أصحاب كتب متشابه القرآن إلى سرِّ اختلاف الصيغتين ، أنَّ الله سبحانه قال في سورة البقرة : (إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً) وفي سورة آل

---

(١) ينظر : جامع البيان للطبري ١٥٧/٢-١٥٨ وزاد المسير ١٦٠/١

(٢) ينظر : زاد المسير ١٨٦/١

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٤٣٨/١-٤٤١ ، ٢٥٦/٣-٢٥٧ ومعاني القرآن وإغرابه للزجاج ١٤٤/١ ، ٣٣٠/١ والوسيط للواحدي ١٦٤/١ ، ٤٢٤/٢ والكشاف ١٥٩/١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٢-١٢ والتحرير والتنوير ٥٦١/١

عمران (إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) فذكروا أنَّ (مَعْدُودَاتٍ) أدلُّ على معنى القلّة من (مَعْدُودَةً) لذلك استُعمِلَتْ الصيغة الأولى في قوله تعالى : (وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى){البقرة : ٢٠٣} وقوله تعالى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ){البقرة : ١٩٧} وقوله تعالى : (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ){الحج : ٢٧} واستُعمِلَت الصيغة الثانية للكثرة ، كقوله تعالى : (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ {١٣} وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ {١٤} وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ {١٥} وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ){الغاشية : ١٣-١٦} فجاء قوله تعالى في سورة البقرة : (إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً) تعبيرًا عمّا قال به الأكثرون الذين قالوا بأنَّهم يُعذَبون أربعين يومًا ، وجاء قوله تعالى في سورة آل عمران : (إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) تعبيرًا عمَّا قال به الفريق الآخر الذين قالوا بأنَّهم يُعذَّبون سبعة أيام ، لذلك قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ {٢٣} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ){آل عمران ٢٣-٢٤} أي : أنَّ ذلك قول فريق من بني إسرائيل [١]

أكان الحيري لا يدري بهذه المعلومات التي جاءت في تفسير الشاهدين المذكورين في كتب التفسير وكتب متشابه القرآن ؛ لذلك لم يذكرها ولم يفد منها ، أم كان يدري ؟.

١٠-**البعل** : ذكر أهل الوجوه أنَّ (البعل) ورد في القرآن الكريم على وجهين :

١-الزوج كقوله تعالى : (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا){هود : ٧٢}

---

(١) ينظر : درة التنزيل للخطيب الإسكافي ص ٢٢-٢٣ والبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ص ٣٢ وملاك التأويل للغرناطي ص ٤٦ وكشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة الكناني ص ٣٣

٢-الرب المعبود من دون الله ، أو الصنم ، كقوله تعالى : (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ){الصافات : ١٢٥}[١]

قال الراغب : ((والبعل هو الذكر من الزوجين ، ولما تُصوِّر من الرجل الاستعلاء على المرأة ، فجُعِلَ سائمها والقائم عليها ، سُمِّي باسمه كل مستعل على غيره ، فسمَّى العرب معبودهم الذي يتقربون إليه إلى الله بعلًا ؛ لاعتقادهم ذلك في نحو : (أَتَدْعُونَ بَعْلًا))) [٢] فالعرب لم يسموا البعل بمعبودهم ، وإنَّما سموا معبودهم بالبعل لما ذكره ، وقال الحلبي : ((البعل : الزوج ... والبعل أيضًا : مالك الشيء وسيده ؛ وذلك أنَّهم تصوروا من بعل المرأة لما كان مستوليًا عليها ومستعليًا أنَّه مالكها سموا ربَّ الشيء بعلَه))[٣] وكذلك لم يسم العرب البعل بالزوج ، وإنَّما سموا الزوج بالبعل لما ذكره .

فالزوج والصنم المعبود لا يصح أن يكونا وجهين للبعل ؛ بل هما وجهان مختلقان عن طريق دراستهما دراسة معكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يسم البعل بالصنم المعبود من دون الله في موضع ، وسمى البعل بالزوج في موضع آخر ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كلًّا منهما بالبعل ، فهما إذن وجه واحد

١١-**البقية** : ذكر أهل الوجوه للبقية خمسة أوجه :

الأول : الثواب ، أو بمعنى المال الحلال ، كقوله تعالى : (بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){هود : ٨٦} أي : ثواب الله

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ٩٥-٩٦ ووجوه القرآن للحيري ص ١١٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٦ ونزهة الأعين ص ٦٨ ومنتخب قرة العيون ص ٧١ وبصائر ذوي التمييز ٢٦٠/٢.

(٢) المفردات ص ٥٩ وينظر : عمدة الحفاظ ٢١٠/١ وبصائر ذوي التمييز ٢٦٠/٢ .

(٣) عمدة الحفاظ ٢١٠/١ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٦٠/٢ .

الثاني : القليل أو القلة ، أو قلة القوم والتبع ، كقوله تعالى : (فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ){هود : ١١٦}

الثالث : الصلوات الخمس ، كقوله تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا){الكهف : ٤٦}

الرابع : الدوام ، كقوله تعالى : (مَاعِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ){النحل : ٩٦}

الخامس : الباقي من الذاهب ، أو ما بقي من الذاهب ، أو بمعنى ميراث الأموات ، كقوله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){البقرة : ٢٤٨}[١]

بقي الشيء يبقى بقاء ، والبقاء : ثبات الشيء على حاله الأولى ، وهو ضدّ الفناء [٢]

البقية تعني البقية بعينها أينما وردت في كتاب الله ، أمّا الأوجه المذكورة فمختلقة بطريقتين :

الأولى : طريقة الدراسة المعكوسة : فقد جعل أهل الوجوه البقية في الوجه الأول بمعنى الثواب ، أي : ثواب الله ، أو بمعنى المال الحلال ، كقوله تعالى : (بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) قال المفسرون في تفسير

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٢٥-١٢٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢١-١٢٢ونزهة الأعين ص ٧٥-٧٦ وبصائر ذوي التمييز ٢/٢٢٠-٢٢١.

(٢) ينظر : العين ص ٨٣ ومقاييس اللغة ص ١٠٣ والمفردات للراغب ٦٢

هذه الآية : ((يقول : ما أبقى لكم من الحلال خير لكم))[1] ((أي : ما أبقى الله لكم من حلال الرزق خير من التطفيف))[2] وابن الجوزي نفسه الذي قال بهذا الوجه وجعل البقية بمعنى الثواب في نزهته[3] قال في زاده : ((قوله تعالى : ((بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) فيه ثمانية أقوال :

أحدها : ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير من البخس .

والثاني : رزق الله خير لكم

والثالث : طاعة الله خير لكم

والرابع : حظكم من الله خير لكم

الخامس : رحمة الله خير لكم

السادس : وصية الله خير لكم

السابع : ثواب الله في الآخرة خير لكم

الثامن : مراقبة الله خير لكم)) [4]

فما قاله في النزهة أبطله في الزاد ؛ لأنَّ ما عيَّنه في باب الوجوه لم يعيِّنه في باب التفسير ، والحقيقة أنَّ المعنى : ما أبقاه الله لكم مما أحلَّه ، ورضيه لكم ، فهو الباقي من دون ما لم يحلَّه ولم يرضه لكم ، فالمعنى عام يشمل كل الأقوال التي ذكرها ابن الجوزي وغيرها ، فالحلال هو الباقي من دون الحرام ، ورزق الله هو الباقي من دون رزق غيره ، وطاعة الله هي الباقية ثوابها من

---

(١) معاني القرآن ٣٤٠/١ وينظر : جامع البيان للطبري ١٢٠/١٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥٩/٣ والكشاف للزمخشري ٤٠٢/٢

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٠٨

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٧٦

(٤) زاد المسير ١١٤/٤

دون ثواب طاعة غير الله ، وحظ الله ، ورحمته ، ووصيته ، وثوابه ، ومراقبته ، هي الباقية خيرها من دون سواها

وجعلوا البقية في الوجه الثاني بمعنى القليل أو القلة ، أو قلة القوم والتبع ، في قوله تعالى : (فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ) قال الزجاج في تفسير قوله تعالى : (أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ) : ((معناه : أولو تمييز ، ويجوز أن يكون معناه : أولو طاعة)) [١] أو ((أولو دين))[٢] والصحيح أن يكون المعنى : أولو بقية من تمييز ، أو طاعة ، أو دين ، قال الطبري : ((يقول : ذو بقية من الفهم والعقل)) [٣] وقال الزمخشري : ((أولو فضل وخير ، وسُمِّي الفضل والجودة بقية ؛ لأنَّ الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله ، فصار مثلًا في الجودة والفضل ، ويقال فلان من بقية القوم ، أي : من خيارهم ، ومنه قولهم في الزوايا خبايا ، وفي الرجال بقايا))[٤] وقال ابن عطية : ((و(بقية) هنا يراد بها النظر والعقل والحزم والثبوت في الدين ، وإنَّما قيل (بقية) لأنَّ الشرائع والدول ونحوها قُوَّتها في أوَّلها ، ثم لا تزال تضعف ، فمن ثبتَ في وقت الضعف ، فهو بقية الصدر الأول))[٥] وابن الجوزي نفسه الذي قال بهذا الوجه وجعل البقية بمعنى القليل في نزهته[٦] قال في زاده : ((وفي معنى : (أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ) ثلاثة أقوال ، أحدها : أولو دين٠٠٠والثاني : أولو تمييز ، والثالث : أولو

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٦٧/٣

(٢) الوسيط للواحدي ٥٩٧/٢ وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ١٣١/٤

(٣) جامع البيان ١٦٥/٨

(٤) الكشاف ٤٢٠/٢

(٥) المحرر الوجيز ٢١٤/٣

(٦) ينظر : نزهة الأعين ص ٧٦

طاعة))[1] فما عيَّنه في باب الوجوه لم يقل به في باب التفسير ، والغالب فيما بقي من الشيء أنَّ يكون أفضل وأقل مما لم يبق منه .

وجعلوا البقية في الوجه الثالث بمعنى الصلوات الخمس في قوله تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) الباقيات الصالحات وحدها تعني الصلوات الخمس ؟! والصوم والزكاة والحج وغيرها أليست من الباقيات الصالحات ؟! ومن التحريف في الدلالة ، والهدم في قواعد اللغة جَعْلُ العام بمعنى الخاص ، قال الراغب : ((وقوله تعالى : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ){الكهف : ٤٦} أي : ما يبقى ثوابه للإنسان من الأعمال ، وقد فُسِّر بأنَّها الصلوات الخمس ، وقيل : هي سبحان الله والحمد لله ، والصحيح أنَّها كل عبادة يُقصَدُ بها وجه الله تعالى ، وعلى هذا قوله تعالى : (بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ){هود : ٨٦}))[2] وابن الجوزي نفسه الذي قال بهذا الوجه ، وجعل (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) بمعنى الصلوات الخمس في نزهته[3] فال في زاده : ((قوله تعالى : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) فيها خمسة أقوال :

أحدها : أنَّها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، والله أكبر

والثاني : أنَّها لا إله إلّا الله ، والله أكبر ، ، والحمد لله ، ولا قوة إلّا بالله .

الثالث : أنَّها الصلوات الخمس .

الرابع : الكلام الطيِّب .

---

(١) زاد المسير ١٣١/٤

(٢) المفردات ص ٦٢

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٧٦

الخامس : هي جميع أعمال الحسنات))[1]

فالوجه الذي قاله في النزهة أبطله في الزاد ؛ لأنَّ ما عيَّنه في باب الوجوه لم يعيِّنه في باب التفسير ، والصحيح من الأقوال التي قالها القول الخامس ؛ لأنَّ المراد من الباقيات الصالحات ما يبقى ثوابه للإنسان ، وتشمل جميع الأعمال الصالحة .

والأوجه الثلاثة المذكورة : الثواب أو المال الحال ، والقليل أو القلّة ، والصلوات الخمس ، لا تعني البقية بل هي الموصوفات بالبقية ، أي : ليس المراد جعل البقية بمعاني هذه الأوجه ، بل المراد جعل معاني هذه الأوجه بمعنى البقية ، فهي جميعها وجه واحد ؛ لأنّها جميعها بمعنى البقية ، وليس البقية بمعانيها ، والتحريف الحاصل أنّهم لم يجعلوا البقية بمعناها بل بمعاني الموصوفات بها

الثانية : طريقة الترادف ، **الباقي والدائم** : فقد جعلوا البقية في الوجه الرابع بمعنى الدوام في قوله تعالى : (مَاعِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ) وبين الدوام والبقاء فرق واضح في الدلالة ، وإن كان من مرادفاته وأقرب المعاني إليه ، وهذا ما تلمسه في كتب اللغة نفسها ، فقد قالوا كما تقدم في البقاء : ((وبقي الشيء يبقى بقاء ، وهو ضد الفناء))[2]و((البقاء : ثبات الشيء على حاله الأولى ، وهو يضادُّ الفناء)) [3] ((والبقية : ما يبقى عند زوال ما كانت معه البقية جملة واحدة))[4] ((والبقاء : عدم الفناء)) [5] وقالوا في الدوام :

---

(١) زاد المسير ١١٠/٥

(٢) العين للخليل ص ٨٣.

(٣) المفردات ص ٦٢ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٢٠/٢

(٤) نزهة الأعين ص ٧٦

(٥) عمدة الحفاظ للحلبي ٢١٨/١

((ماء دائم : ساكن ، والدوام مصدر دام يدوم، ودام الماء يدوم دومًا ، وأدمته إدامة : إذا سكَّنته ، وكل شيء سكَّنته فقد أدمته)) [١] و((أصل الدوام السكون ، يقال : دام الماء ، أي : سكن ، ونُهي أن يبول الإنسان في الماء الدائم)) [٢] ((أي : الماء الساكن)) [٣] ((والديمة : مطر يكون مع سكون٠٠٠والديمة من المطر الذي لا رعد فيه ، ولا برق تدوم يومها٠٠٠ومنه قيل للماء يسكن ولا يجري دائم٠٠٠ودام البحر يدوم : سكن٠٠٠ويقال للطائر إذا صفَّ جناحيه في الهواء وسكَّنهما ولم يحركهما ، كما تفعل الحِدَأُ والرّخَمُ : قد دوَّم الطائر تدويمًا ، وسُمِّي تدويمًا لسكونه وتركه الخفقان بجناحيه)) [٤]

فالفرق بيِّن بين البقاء والدوام ، فدوام الشيء سكونه ولزومه على حاله ، فالمراد من البقاء البقاء بعينه في قوله تعالى : (مَاعِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ) لأنَّه جاء ليكون ضدَّ النفاد ، وضد الفناء

وجعلوا البقية قي الوجه الخامس بمعنى : الباقي من الذاهب ، أو ما بقي من الذاهب في قوله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) وهذا هو عين المعنى للبقية

فالباقي والبقية لا تعني الثواب ، أو المال الحلال ، أو القلة ، أو الصلوات الخمس ، أو الدوام ، كما جاء في كتب الوجوه ، أو الجودة ، أو رزق الله ، أو طاعة الله ، أو الحظ من الله ، أو رحمة الله ، أو وصية الله ، أو مراقبة الله ، أو النظر ، أو العقل ، أو الحزم ، أو الثبوت في الدين ، كما

---

(١) العين للخليل ص ٣١٠

(٢) المفردات ص ١٨٢

(٣) عمدة الحفاظ ٣٢/٢

(٤) لسان العرب ٣٢٩/٥-٣٣٠

جاء في كتب التفسير ، وإنَّما تعني ما بقي من الشيء ، فالشيء الباقي ، أو البقية : هو الباقي من دون نظائره ، بمعنى أنَّ نظائرة لم تبق وبقي هو من دونها ، أي : زالت وهو لم يزُل من دونها ، هذه هي دلالة الباقي ومشتقاتها في اللغة وأينما وردت في كتاب الله ، فجعلها بالمعاني المذكورة وغيرها تحريف لدلالتها ، حتى إنَّه لا علاقة للباقي والبقية بالفضائل وأمور الخير التي اقترنت بها في شواهد كتب الوجوه والتفسير ، فقد يكون ما بقي شرًّا كالذي لم يبق ، كقوله تعالى : (فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ {٧} فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ)(الحاقة : ٧-٨}

١٢-**البيت والبيوت** : ذكر أهل الوجوه للبيت واحدًا وعشرين وجهًا :

الأول : الكعبة ، كقوله تعالى : (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)(البقرة : ١٢٥}

الثاني : بيت إبراهيم عليه السلام ، كقوله تعلى : (رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ)(هود : ٧٣}

الثالث : بيت محمد صلى الله عليه وسلم ، كقوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(الأحزاب : ٣٣}

الرابع : سفينة نوح عليه السلام ، كقوله تعالى : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَارًا)(نوح : ٢٨} يعني : سفينتي ، ويقال : ديني

الخامس : بيت عزيز مصر ، كقوله تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ)(يوسف : ٢٣}

السادس : بيت عمران أبي موسى ، كقوله تعالى : (فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)(القصص : ١٢}

السابع : البيت المعمور : كقوله تعالى : (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ)[الطور : ٤]

الثامن : البيوت بمعنى العمران ، كقوله تعالى : (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ)[الشعراء : ١٤٩]

التاسع : البيوت بمعنى المساجد ، كقوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[يونس : ٨٧] وقوله تعالى : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالأصَالِ)[النور : ٣٦]

العاشر : بيوت من مدر ، كقوله تعالى : (وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا)[النحل : ٨٠] وهذا الشاهد هو ضمن قوله تعالى : (وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمَتَاعًا وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا إِلَى حِينٍ)[النحل : ٨٠]

الحادي عشر : الخيام ، والفساطيط ، كقوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا)[النحل : ٨٠]

الثاني عشر : البيوت بمعنى المنازل ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ)[النور : ٢٧] وقوله تعالى : (لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ)[النور : ٢٩] وقوله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الأيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون)[النور : ٦١]

الثالث عشر : البيت يعني المنزل في الجنة ، كقوله تعالى : (إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)[التحريم : ١١} تريد منزلاً في الجنة

الرابع عشر : البيوت يعني الحُجُر ، أو الحجرات كقوله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا {٣٣} وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)[الأحزاب : ٣٣-٣٤}

الخامس عشر : البيوت بمعنى السجون ، كقوله تعالى : (وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً)[النساء : ١٥} يعني : فاحبسوهنَّ في السجون

السادس عشر : البيت بمعنى العش ، كقوله تعالى : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)[النحل : ٦٨} يعني : الأعشاش ، وقوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[العنكبوت : ٤١} أي : نسجتْ عشًّا ، وهذا قول الدامغاني

السابع عشر : البيوت بمعنى الكهوف والغيران ، كقوله تعالى : (وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ)[الحجر : ٨٢} يعني كهوفًا وغيرانًا وهذا قول الدامغاني ، وابن الجوزي ، والفيروزآبادي ، وقد جعل الحيري من قبلهم البيوت بمعنى العمران ، في قوله تعالى : (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ)[الشعراء : ١٤٩} كما جاء في الوجه الثامن

الثامن عشر : البيت يعني البيت بعينه ، كقوله تعالى : (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ)[الطور : ٤}

التاسع عشر : البيت يعني الملك ، كقوله تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ){يوسف : ٢٣} يعني : في ملكها وحرمتها ، هذا قول الدامغاني ، وجعل الحيري قبله هذا الشاهد نفسه بمعنى : بيت عزيز مصر ، كما جاء في الوجه الخامس

العشرون ، البيوت يعني الخانات ، كقوله تعالى : (لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ){النور : ٢٩} يعني الخانات ، هذا قول الدامغاني ، وابن الجوزي ، والفيروزآبادي ، وقد جعل الحيري قبلهم هذا الشاهد نفسه بمعنى المنازل كما جاء في الوجه الثاني عشر

الواحد والعشرون : البيت بمعنى الدار المعروفة ، كقوله تعالى : (وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ){النساء : ١٠٠} [١]

قال الخليل : ((تقول : بتُّ أصنع كذا : إذا كان بالليل ، وبالنهار : ظلتُ)) [٢] وقال ابن فارس : ((الباء والياء والتاء أصل واحد ، وهو المأوى والمآب ، ومنه يقال لبيت الشعر بيت على التشبيه ؛ لأنَّه مجمع الحروف والألفاظ والمعاني ، والبيت عيال الرجل والذين يبيت عندهم ، وبيَّتَ الأمرَ : إذا دبَّره ليلاً ، قال تعالى : (إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ){النساء : ١٠٨} أي : يجتمعون في بيوتهم)) [٣] وقال الراغب : ((وأصل البيت مأوى الإنسان ؛ لأنَّه يقال : بات : أقام بالليل ، كما يقال : ظلَّ بالنهار ، ثم يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه ، وجمعه : أبيات وبيوت ، لكن

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١١٦-١١٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١١٨-١٢٠ ونزهة الأعين ص ٧٧-٧٩ ومنتخب قرة العيون ص ٧٧-٧٩ وبصائر ذوي التمييز ١٩٦/٢-١٩٧

(٢) العين ص ٩٦

(٣) مقاييس اللغة ص ١٢٠

البيوت بالسكن أخص ، والأبيات بالشعر ، ويقع ذلك على المتخذ من حجر ، ومدر ، وصوف ، ووبر ، وبه شُبِّه بيت الشعر))[1] فـ((البيت : مأوى الإنسان ليلاً ، هذا أصله لاشتقاقه من البيتونة ، ثمَّ أُطلِق على كل منزل وإن لم يكن بالليل ، وقيل : أصله مصدر ، يقال : بات يبيت بيتًا، وسواء كان مبنيًّا باللبن ونحوه ، أم من صوف أم من شعر ، إلّا أنَّه غلب في المبني))[2] وقال ابن الجوزي : ((ما يأوي إليه الإنسان ؛ ليقيه الحر والبرد ، وهو في تعارف أهل الأبنية أرض عليها دائر من البناء يظله سقف ، وفي تعارف العرب وأصحاب الوبر دائر من صوف أو غير ذلك ، يظله سقف من جنسه)) [3]

والدليل على أنَّ البيت ليس من الألفاظ المشتركة جعلهم إيّاه في الوجه الثامن عشر ، والواحد والعشرين يعني البيت بعينه ، أو الدار المعروفة ؛ لأنَّ هذا يعني أنَّ للبيت معنى مستقلًّا خاصًّا به ، ويعدُّ اعترافًا وإقرارًا بأنَّ معاني الوجوه المنسوبة إليه لا تعني البيت بعينه ، بل تعني معاني أُخَر ، وهي التي عُبِّر عنها بألفاظها ، فجعل البيت بمعاني الوجوه المذكورة لا يُعدُّ تحريفًا ظاهرًا فحسب ، بل يُعدُّ تحريفًا قد أُقِرَّ به عندما أُقِرَّ بأنَّ معاني الوجوه المنسوبة إلى البيت لا تعني البيت .

فجعلهم البيت في الوجه الثامن عشر ، والواحد والعشرين يعني البيت بعينه ، يعني أنّ الوجوه الباقية لا تعني البيت بعينه ، بل هي وجوه مختلقة بأربع طرائق :

---

(١) المفردات ص ٦٩-٧٠

(٢) عمدة الحفاظ للحلبي ١/١٤٣-٢٤٤

(٣) نزهة الأعين ص ٧٧ ومنتخب قرة العيون ص ٧٧

الأولى : طريقة الدراسة المعكوسة : فقد جعلوا البيت في الوجه الأول بمعنى الكعبة في قوله تعالى : (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)

قال ابن فارس : ((الكاف والعين والباء أصل صحيح يدل على نتوٍّ وارتفاع في الشيء ، من ذلك الكعب ، كعب الرجل ، وهو عظم طرفي الساق عند ملتقى القدم والساق ، والكعبة بيت الله تعالى ، يقال : سُمِّيَ لنتوّه وارتفاعه ، وذو الكَعبات ، بيت لربيعة ، كانوا يطوفون به)) [١] وقال الراغب : ((والكعبة : كل بيت على هيئته في التربيع ، وبها سُمِّيت الكعبة ، وذو الكَعبات : بيت في الجاهلية لبني ربيعة)) [٢] وقال الحلبي : ((وقيل : سميت الكعبة كعبة ؛ لأنَّها على هيئتها في التربيع ، وكل بيت مُرّبَّع فهو كعبة ، وقيل سُمِّيت كعبة لارتفاعها ، وكل ما ارتفع فهو كعبة ، وفلان جالس في كعبته ، أي : في غرفته وبيته ، و(ال) في الكعبة للغلبة ، كهي في المدينة)) [٣] فالقرآن الكريم ما أراد أن يذكر لفظ الكعبة ؛ لأنَّ دلالتها حسية شكلية ، وقد وردت في موضعين في قوله تعالى : (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ)[المائدة : ٩٧} وفي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)[المائدة : ٩٥} فلم ترد الكعبة إلّا في هذين

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨١١

(٢) المفردات ص ٤٥١

(٣) عمدة الحفاظ ٤٠٢/٣

الموضعين ، فالآية الأولى كانت في سياق تعريفها ووصفها بأنَّها البيت الحرام ، ووردت الثانية في سياق قضاء كفارة وعقاب لمن خالف في الحرم أمرًا من أوامر الله ، كما أنَّ في الآية تصريحًا ببلوغ الهدي الكعبة وأغفلت ذكر صاحبه ، فالقرآن الكريم استعمل لفظ البيت ؛ لأنَّه أراد دلالته ، وهو أنَّه جعله الله مأوى لمن أراد أن يبتغي فيه فضل الله ورضوانه ، وتوحيده في عبادته ، ولمن أراد حجًّا ، أو عمرة ، أو طوافًا ، أو اعتكافًا ، أو صلاة ، لذلك لم يستعمل الكعبة بل استعمل البيت لهذه الدلالة ، التي تلمسها في الشاهد المذكور ، وفي كل مواضع وروده في كتاب الله .

فالقرآن الكريم استعمل البيت بلفظه لا بلفظ الكعبة ، لأنَّه أراد أن يكون بمعنى المأوى الذي يأوي إليه المؤمنون ، لا من أجل أن يبيتوا فيه ويسكنوا ، وإنَّما من أجل أن يبتغوا فيه فضل الله ورضوانه ، فجعله بمعنى الكعبة ذات الدلالة الحسية الشكلية تحريف لدلالة النص القرآني ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ القرآن الكريم لم يسمَّ البيت بالكعبة ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى الكعبة بالبيت الحرام ، والدليل على ذلك أنَّه سبحانه قال : (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ) ولم يقل : جَعَلَ اللّهُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْكَعْبَةَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ، فيكون هناك تحريف ثان ، وهو قلب المعنى المراد وعكسه

وجعلوا البيت في الوجه الرابع بمعنى سفينة نوح عليه السلام ، في قوله تعالى : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَارًا)

والبيت معناه معروف ، وكذلك السفينة ، فهما معنيان مختلفان ، فجعل البيت بمعنى السفينة تحريف ظاهر ، وقد يقال : إنَّه ليس المراد جعل البيت بمعنى السفينة ، وإنَّما تشبيه السفينة بالبيت ، وهذا التشبيه يصح ، إلّا أنَّ أصحاب كتب الوجوه لم يشر أحد منهم إلى ذلك ؛ لأنَّهم لمَّا جعلوا البيت

بمعنى السفينة ، يعني أنَّهم شبَّهوا البيت بالسفينة ، ولم يشبِّهوا السفينة بالبيت، أي : سلكوا الطريق المعكوس الذي أشرتُ إليه ، فحرَّفوا معني اللفظ وقلبوه .

قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((وقوله : (وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا) يقول : ولمن دخل مسجدي ومصلاي مصليًا مؤمناً))[١] وقال الزمخشري : (((بَيْتِيَ) منزلي : وقيل : مسجدي ، وقيل : سفينتي))[٢] وقال ابن عطية : ((وبيته : المسجد ، فيما قاله ابن عباس وجمهور المفسرين ، وقال ابن عباس أيضًا : بيته : شريعته ودينه ، استعار لها بيتًا٠٠٠وقيل : أراد سفينته ، وقيل : داره))[٣] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل البيت بمعنى السفينة في قوله تعالى : (وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا)[٤] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ) فيه ثلاثة أقوال ، أحدها : منزله ، قاله ابن عباس ، والثاني : مسجده ، قاله الضحاك ، والثالث : سفينته ، حكاه الثعلبي))[٥] فما قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، وقال القرطبي : (((وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا) أي : مسجدي ومصلاي٠٠٠وهذا قول ابن عباس٠٠٠وعن ابن عباس أيضًا٠٠٠فالبيت بمعنى الدين٠٠٠وعن ابن عباس أيضًا : يعني : صديقي الداخل إلى

---

(١) جامع البيان ١٢٠/٢٩ وينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٨٠/٥ والوسيط للواحدي ٣٦٠/٤

(٢) الكشاف ٦٠٨/٤

(٣) المحرر الوجيز ٣٧٧/٥

(٤) نزهة الأعين ص ٧٨ ومنتخب قرة العيون ص ٧٩

(٥) زاد المسير ١٢٨/٨

منزلي٠٠٠وقيل : أراد داري ، وقيل سفينتي)) [١] وقال البيضاوي : (((وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا) منزلي ، أو مسجدي ، أو سفينتي)) [٢]

فجعل البيت بمعنى السفينة قول من عدة أقوال ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنَّ أصحاب كتب الوجوه لم يكتفوا بذلك بل جعلوا آخر هذه الأقوال وأضعفها وجهًا ، والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال المشهورة التي قالوها فيه ، واختيار أحدها أو أضعفها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه إن لم تدخل في باب التحريف ، فإنَّها تدخل في باب الخيانة العلمية في التفسير .

وجعلوا البيوت في الوجه الثامن بمعنى العمران ، في قوله تعالى : (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ) والعمران لا يعني البيت ، بل يعني ما علا وارتفع من البنيان[٣] فلكل من البيت والعمران دلالته ، فجعل أحدهما بمعنى الآخر تحريف لدلالة كلٍّ منهما

وجعلوا البيوت في الوجه التاسع بمعنى المساجد ، في قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) وقوله تعالى : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالأصَالِ)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٠/١٨

(٢) أنوار التنزيل ٢٥٠/٥ وينظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٨١/٨

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٦٠٧

والمساجد جمع مسجد ، وهو المُصلَّى اعتبارًا بالسجود ، وكل موضع يُتعبَّد فيه الله سبحانه فهو مسجد[١] فهذا هو تعريف المسجد ، وقد تقدم تعريف البيت ، فالفرق بينهما ظاهر في الدلالة ، فجعل البيوت بمعنى المساجد تحريف ظاهر للفظ القرآني ، والقرآن الكريم لمَّا ذكر البيت بلفظه لا بلفظ المسجد ، يعني أنَّه أراد دلالة الأول لا دلالة الثاني ، وهذا واضح من التفسير ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((عن ابن عباس ، قوله (وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : أُمروا أن يتخذوها مساجد٠٠٠وعن ابن عباس في قوله : (وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : كانوا خائفين ، فأُمروا أن يصلوا في بيوتهم٠٠٠وعن مجاهد (وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) كانوا لا يصلون إلّا في البيع ، وكانوا لا يصلون إلّا خائفين ، فأُمروا أن يصلوا في بيوتهم٠٠٠وعن ابن عباس في قوله تعالى : (وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة ، فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم ، وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل الكعبة)) [٢] ((أي : صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف ؛ لأنَّهم آمنوا على خوف من فرعون))[٣]

وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل البيوت بمعنى المساجد في قوله تعالى : (أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً)[٤] قال في تفسيره : ((قوله تعالى (أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) قال المفسرون : لمَّا أُرسِل موسى ، أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخُرِّبتْ كلها

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٤٢٩ والمفردات للراغب ص ٢٣١ ولسان العرب ١٢٥/٧

(٢) جامع البيان ١٧٦/١١-١٧٧

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٦/٣ وينظر : الوسيط للواحدي ٥٥٦/٢

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٧٨ ومنتخب قرة العيون ص ٧٩

، ومنعوا من الصلاة فيها ، وكانوا لا يصلون إلّا في الكنائس ، فأُمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلون فيها خوفًا من فرعون ، وفي المراد بمصر قولان ، أحدهما : أنَّه البلد المعروف بمصر ، والثاني : أنَّه الإسكندرية ، وفي البيوت قولان ، أحدهما : أنَّها المساجد ، والثاني : القصور ، وفي قوله تعالى : (وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) أربعة أقوال :

أحدها : اجعلوها مساجد

والثاني : اجعلوها قبل القبلة

والثالث : اجعلوها يقابل بعضها بعضًا

والرابع : واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة ، فهي قبلة اليهود إلى اليوم)) [١] والصحيح أنَّ المراد من البيوت البيوت بعينها التي اتخذوها للمبيت والسكن والاحتماء بها ، فأُمروا أن يصلوا فيها بدلًا من الصلاة في المساجد ؛ ليأمنوا بطش فرعون بهم ، وأكبر دليل على ذلك أنَّ المساجد قد خرَّبها فرعون ، كما ذكر ابن الجوزي نفسه ، فكيف يصحّ أن يأمرهم الله بأن يسكنوا الخربات ؟! وكيف يصح أن يأمرهم الله سبحانه بأن يسكنوا في المساجد ، وقد توعدهم فرعون من الصلاة فيها ؟!

وجاء في تفسير الشاهد الثاني : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) أنَّه اختلف في تأويل البيوت في هذه الآية على قولين : أحدهما : أنَّها المساجد ، والثاني : أنَّها بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم [٢] وهذا يعني أنَّ البيوت غير المساجد ، وأنَّ لكل منهما دلالته ، فإذا كانت هذه هي الحقيقة كما جاء في التفسير ، فكيف يصح جعل المساجد

---

(١) زاد المسير ٣/٤١-٤٢

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري ١٨/١٧٢ وزاد المسير ٥/٣٨٦

أحد وجوه البيوت ؟! فيكون من التحريف الظاهر جعل إحداهما بمعنى الثانية ، أو وجهًا لها

وجعلوا البيوت في الوجه الحادي عشر بمعنى الخيام ، والفساطيط ، في قوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا) والخيام والفساطيط معناها معروف ، وهي نوع من البيوت ، أو هي من معاني البيوت الخاصة ، والقرآن الكريم عبَّر عنها بلفظ البيوت ، للإشارة إلى أنَّه ينطبق عليها معنى البيوت ؛ والقصد من ذلك تذكير المخاطبين بأنَّها بهذا المعنى العام نعمة يجب عليهم شكرها ، فجعلها بمعنى الخيام والفساطيط يلغي هذا القصد ، وهو نوع من الهدم الذي ينال من مقاصد القرآن الكريم ومن فصاحته ودقة تعبيره ، كما أنَّه يُعدُّ من التحريف الظاهر جَعْلُ العام بمعنى من معانيه الخاصة ، أو بمعنى نوع من أنواعه ، وهذا ما ينطبق على كل وجوه البيت وعلى كل وجه من وجوه الألفاظ المختلقة بطريقة الدراسة المعكوسة

وجعلوا البيوت في الوجه الخامس عشر بمعنى السجون ، في قوله تعالى : (وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً)

قال ابن فارس : ((السين والجيم والنون أصل واحد ، وهو الحبس ، يقال سجنته سَجنًا ، والسِّجن : المكان يُسجَن فيه الإنسان ، قال الله جل ثناؤه في قصة يوسف عليه السلام : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)[يوسف : ٣٣} يُقرأ فتحًا على المصدر ، وكسرًا على الموضع)) [١] أي : اسم مكان ، فهذه دلالة السجن فأين هي من دلالة البيت ؟! فالفرق بينهما ظاهر ، فيكون من التحريف الظاهر جعل أحدهما بمعنى الآخر ، أو وجهًا له ، فلو أريد معنى السجون لاستُعمِل لفظها وقيل : فأمسكوهنَّ في

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٣٠ والمفردات للراغب ص ٣٣٢

السجون ، لكن لمَّا أراد القرآن معنى البيوت استعمل لفظها وقال : (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) وهذا ما أكَّده جمهور المفسرين ، قال الزجاج في تفسير قوله تعالى : (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) ((كُنَّ يُحبَسنَ في بيوت لهنَّ ، إذا أتين بالفاحشة ، حتى أنزل الله تبارك وتعالى : (وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا){النساء : ١٦}))[١]وقال الطبري ((يقول : فاحبسوهنَّ في البيوت))[٢] وقال الواحدي : ((وكان هذا في ابتداء الإسلام ، المرأة إذا زنت حُبست في البيت حتى تموت))[٣]وقال الزمخشري : ((قيل معناه : فخلدوهنَّ محبوسات في بيوتكم ، وكان ذلك عقوبتهنَّ في أول الإسلام ، ثم نُسِخ بقوله تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ){النور : ٢}))[٤] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل البيت بمعنى السجن في قوله تعالى : (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) [٥] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) قال ابن عباس : كانت المرأة إذا زنت حُبِست في البيت حتى تموت ، فجعل الله لهنَّ سبيلاً ، وهو الجلد والرجم))[٦]

فالجاني يُسجَن في السِّجن ، لكن قد نسجن الجاني في ضيعة ، ونجعل الضيعة عليه سجنًا ، أو في واد ونجعل الوادي عليه سجنًا ، أو في مدرسة ونجعل المدرسة عليه سجنًا ، أو في مسجد ونجعل المسجد عليه سجنًا ، وقد يُسجَن الجناة في بيوتهم التي يسكنونها ، أو في بيوت غيرهم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٨١/١ .

(٢) جامع البيان ٣٦٢/٤

(٣) الوسيط ٢٥/٢

(٤) الكشاف ٤٧٧/١

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ٧٨ ومنتخب قرة العيون ص ٧٩

(٦) زاد المسير ٢٣/٢

وتُجعَل هذه البيوت سجنًا عليهم ، كما قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى : (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) : ((فاحبسوهنَّ في البيوت ، واجعلوها سجنًا عليهنَّ))[١] فالزانية كانت في أول الإسلام تُسجن في البيت لا في السجن ؛ لأنَّ السِّجن الذي هو المكان المُعَدُّ والمُخَصَّص لسجن الجناة ، لم يكن قد بُنيَ بعد ، قال القرطبي : ((قوله تعالى : (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) هذه أول عقوبات الزناة ، وكان هذا في ابتداء الإسلام ٠٠٠وهذا الإمساك والحبس في البيوت كان في صدر الإسلام قبل أن يكثر الجناة ، فلمَّا كثروا وخشي قوّتهم اتِّخِذ لهم سجن ، قاله ابن العربي)) [٢]

وجعلوا البيت في الوجه السادس عشر بمعنى العش في قوله تعالى : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) يعني : الأعشاش ، وقوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أي : نسجتْ عشًّا

قال الخليل : ((العُشُّ ما يتخذه الطائر في رؤوس الأشجار للتفريخ ، وشجرة عَشَّة : دقيقة القضبان متفرقتها٠٠٠ورجل عَشٌّ : دقيق عظام اليدين والرجلين))[٣]وقال ابن فارس ((العين والشين أصل واحد صحيح يدل على قلة ودقة٠٠٠ومن هذا الباب العُشُّ للغراب على الشجرة ، وكذلك لغيره من الطير ، والجمع عِشَشَة ، ويقال : اعتشَّ الطائر يعتشُّ ، وعشَّش الطائر : اتخذ

---

(١) أنوار التنزيل ٦٥/٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦٤/٥

(٣) العين ص ٦٣٧

عشًّا٠٠٠وإنَّما قلنا إنَّ هذا قياس الباب ؛ لأنَّ العُشَّ لا يكاد يعتشُّه الطائر إلّا من دقيق الفضبان والأغصان)) [١]

فالعُش هذا تعريفه ، وقد تقدم تعريف البيت ، والقرآن الكريم ذكر البيت بلفظه ؛ لأنَّه أراد دلالة البيت لا دلالة العش ، والفرق ظاهر بينهما فجعله بمعناه تحريف ظاهر للمعنى المراد

وجعلوا البيت في الوجه السابع عشر بمعنى الكهوف والغيران ، في قوله تعالى : (وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ) والكهوف والغيران معناها معروف ، وهي نوع من البيوت ، والقرآن الكريم عبَّر عنها بلفظ البيوت ، للإشارة إلى أنَّه ينطبق عليها معنى البيوت ؛ والقصد من ذلك تذكير المخاطبين بأنَّها بهذا المعنى العام نعمة يجب عليهم شكرها ، فجعلها بمعنى الكهوف والغيران يلغي هذا القصد ، وهو نوع من الهدم الذي ينال من مقاصد القرآن الكريم ومن فصاحته ودقة تعبيره ، كما أنَّه يُعدُّ من التحريف الظاهر جَعْلُ اللفظ العام بمعنى أحد أنواعه

وجعلوا البيوت في الوجه العشرين بمعني الخانات ، في قوله تعالى : (لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) ((والخان : الحانوت ، أو صاحبه ، فارسي مُعَرَّب))[٢] ((والحانوت : فاعول ، من حنت ، وقد غلب على دكان الخمَّار)) [٣] قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) ((ثم اختلفوا في ذلك أيّ البيوت عنى ؟ فقال بعضهم : عنى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون ، وإنَّما بُنيت لمارَّة الطريق والسابلة ؛ ليأووا إليها ويؤووا إليها

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٠٧

(٢) تاج العروس ٢٧٦/٣٤

(٣) تاج العروس ٢٨٣/٤

أمتعتهم٠٠٠وقال آخرون : هي بيوت مكة٠٠٠وقال آخرون : هي البيوت الخربة٠٠٠وقال آخرون : بل عنى بذلك بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس)) [١] فالمراد إذن من البيوت معناها ، أي : البيوت بعينها ، حتى ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل البيوت بمعنى الخانات في قوله تعالى : (بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) [٢] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) فيها خمسة أقوال : أحدها : أنَّها الخانات ، والبيوت المبنية للسابلة ؛ ليأووا إليها ، ويؤووا أمتعتهم

والثاني : أنَّها البيوت الخربة ، والمتاع : قضاء الحاجة فيها من الغائط والبول

والثالث : أنَّها بيوت مكة

والرابع : حوانيت التجار التي في الأسواق

والخامس : أنَّها جميع البيوت التي لا ساكن لها ؛ لأنَّ الاستئذان إنَّما جُعل لأجل الساكن)) [٣] فما قاله ابن الجوزي في باب الوجوه أبطله في باب التفسير .

والقول الخامس الأخير هو القول الصحيح ، وهو المعنى المراد فالخانات نوع من البيوت ، والقرآن الكريم استعمل لفظ البيوت ، ولم يستعمل لفظ الخانات ؛ لأنَّه أراد البيوت بمعناها العام الذي يشمل كل أنواعها ، الخانات وغيرها ، فجعلها بمعنى الخانات وحدها تحريف ظاهر لدلالتها ، وهناك تحريف آخر ، وهو أنَّ أصحاب كتب الوجوه الذين جعلوا البيوت بمعنى الخانات في قوله تعالى : (بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) لم تكن الخانات معنى

---

(١) جامع البيان ١٣٦/١٢

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ٧٨ ومنتخب قرة العيون ص ٧٩

(٣) زاد المسير ٣٧٦/٥

البيوت وحدها ، بل هي معنى التركيب المؤلف من الموصوف (بُيُوتًا) وصفته (غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) فجعل اللفظ بمعنى التركيب تحريف ظاهر للعيان ، والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أحدها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه إن لم تدخل في باب التحريف ، فإنَّها تدخل في باب الخيانة العلمية في التفسير .

فالبيت هو المأوى الذي يأوي إليه الإنسان أو غيره ، المحاط بجدران وله سقف يظله ، فهو اسم جنس ، يُطلَق على كل مأوى يُؤوى إليه للمكوث فيه ، طال المكوث أم قصر ، للمبيت والسكن ، أو لأيّ غرض آخر ، وهذه هي دلالته أينما ورد في كتاب الله ، فالبيت لفظ عام والوجوه التي تقدم ذكرها التي نسبوها إليه في الطريقة الأولى هي أنواعه ومعانيه الخاصة ، وجعل اللفظ العام بمعنى الخاص أو بمعاني أنواعه يُعدُّ تحريفًا ظاهرًا لدلالته من جهة ، وهدمًا لعمومه من جهة أخرى ؛ ذلك بتحويل أنواعه ومعانيه الخاصة إلى وجوه .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أصحاب كتب الوجوه لمَّا جعلوا البيت بمعاني هذه الوجوه ، يعني أنَّهم سموا وشبهوا البيت بها ، بينما المراد ، كما هو واضح ، جعل هذه الوجوه بمعنى البيت ، أي : أنَّ المراد تسمية وتشبيه الوجوه بالبيت ، لا تسمية وتشبيه البيت بالوجوه ، فعكسوا المعنى والتسمية والتشبيه ، والقول بعكس ما يدل عليه التركيب القرآني تحريف ظاهر لدلالته وهدم لتركيبه

الثانية : طريقة الإضافة : فبيت إبراهيم عليه السلام ، وبيت محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيت عزيز مصر ، وبيت عمران أبي موسى ، وبيوت من مدر ، كما جاء في الوجه الثاني ، والثالث ، والخامس ، والسادس

، والعاشر ، وقع البيت في هذه الأوجه مضافًا وقد تكرر بلفظه ومعناه ، فهو البيت بعينه ، أمّا الأوجه المذكورة فهي معاني المضاف إليه لا معاني المضاف ، والتحريف الحاصل باتباع هذه الطريقة أنَّهم لم يجعلوا المضاف بمعناه بل بمعاني المضاف إليه من أجل اختلاق الوجوه

الثالثة : طريقة الترادف : فقد جعلوا البيت في الوجه الثاني عشر بمعنى المنزل ، وفي الوجه الثالث عشر بمعنى المنزل في الجنة ، قال ابن فارس : ((النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه))[١] وقال الراغب : ((النزول في الأصل هو انحطاط من علو ، ونزل في مكان كذا حطَّ رحلَه فيه))[٢] فالمنزل اسم مكان للنزول ، فكل مكان يُنزَل فيه يُسمَّى منزلًا ، سواء كان محاطًا بسياج ومظللًا بسقف أم لا ، أمَّا البيت فهو ما كان مُسَيِّجًا ومسقَّفًا ، وإذا جاء في كتب اللغة والتفسير أنَّ البيت يعنى المنزل ، فإنَّما يقولون ذلك من باب تعريف اللفظ بما يرادفه ، أي : تعريفه بالقريب من معناه ، فلا يقصدون أنَّ المنزل يعني البيت بعينه ، كما هو الحال في كتب الوجوه ؛ لأنَّ وجوه اللفظ لا يصح أن تُسمَّى وجوهًا ، إلّا إذا قُصِد أنَّها تعني اللفظ بعينه ، وعلى سبيل القطع والتعيين ، فالمنزل والمنازل غير البيت والبيوت ، والبيت والبيوت غير المنزل والمنازل ، فجعل أحدهما بمعنى الآخر في باب الوجوه تحريف لدلالة كل منهما

وجعلوا البيوت في الوجه الرابع عشر بمعني الحُجُر ، أو الحُجُرات في قوله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٩٤

(٢) المفردات ص ٥١٠-٥١١

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا {٣٣} وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)

والحُجُر أو الحُجُرات جمع حُجْرة ، قال ابن فارس : ((الحاء والجيم والراء أصل واحد مُطَّرد ، وهو المنع والإحاطة على الشيء))[١]((والحُجْرَة حظيرة الإبل ، ومنه حجرة الدار)) [٢]((والحُجْرَة في البيت : لِما حُوِّط به عليها من الدار ، أو لأنَّها تمنع مَن فيها)) [٣] أي : أنَّ الحجرة تعني : ما أحاط بالشيء ومنعه من الخروج ، فتكون بمعنى الغرفة في البيت ، فهذا هو معنى الحجرة ، فهي غير معنى البيت ، فجعل البيوت بمعنى الحجرات تحريف ظاهر لدلالتها ، يضاف إلى ذلك أنَّه ما الداعي إلى القول بهذا الوجه ؟! ، فليس ثمة مسوغ ، لا لغوي ، ولا دلالي ، ولا سياقي يدعو إلى جعل البيوت بمعنى الحجرات ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير من جعل البيوت بهذا المعنى ، لأنَّه من الواضح جدًّا أنَّه أراد من البيوت البيوت بعينها ، ولم يدفع أصحاب كتب الوجوه إلى القول بهذا الوجه وغيره إلّا الولع في اختلاقها .

والمنزل ، والمنزل في الجنة ، والحجر أو الحجرات قريبة من معنى البيت ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه

الرابعة : عدم تحري الصواب والدقة في التفسير : فقد جعل الدامغاني البيت في الوجه التاسع عشر يعني الملك ، في قوله تعالى :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٣٩

(٢) الصحاح للجوهري ص ٢١٣ وتاج العروس ٢٨٤/١٠ وينظر : تهذيب اللغة ٧٤٩/١

(٣) عمدة الحفاظ ٣٧٦/١

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) والمُلْك : كل ما يُمْلَك ويُتَصرَّف فيه[1] لم أجد في كتب التفسير من ذكر أنَّ (فِي بَيْتِهَا) يعني : في مُلْكها ؛ لأنَّ كل بلاد مصر كانت مُلْك امرأة العزيز ؛ فكيف يصح إرادة هذا المعنى في هذا السياق ؟! وأين ذهب الدامغاني بقوله تعالى (وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) فأيّ أبواب أغلقت ؟! أليس أبواب بيتها ؟! لأنَّه من الواضح جدًّا أنَّها راودته في بيتها المحجوب عن أنظار الناس ، حتى إنَّه لو جاءت الآية بلفظ مُلْكها لفُسِّر أنَّه أراد بيتها.

١٣-**الجنُّ** : قال العسكري : ((الجنُّ أصله الستر ، والجِنَّة : السلاح ؛ لأنَّها تستر عورة صاحبه عن قرنه ... والمجنون : المستور على عقله ...والجنّ في القرآن على وجهين :

الأول : الملائكة ، قال الله تعالى : (وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ){الأنعام : ١٠٠} يعني الملائكة ، وذلك أنَّهم كانوا عبدوها ، وسمَّاهم جِنًّا ؛ لأنَّهم مستورون عن الأبصار ، وذكر بعض المفسرين أنَّهم الجنُّ ، وليسوا بملائكة ، وكانت العرب تعبد الجنَّ .

الثاني : الجن المعروف من غير خلاف ، قال الله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ){الذاريات : ٥٦} ويجوز أن تدخل الملائكة في ذلك)) [2]

فالجنّ في الوجه الثاني هو الجنّ المعروف ، أي : هو الجنّ بعينه ، أمَّا الجنّ في الوجه الأول فإذا صح أنَّه قصد بهم الملائكة ، فهو وجه مختلق عن طريق دراسته دراسة معكوسة ، لأنَّ القرآن الكريم لم يُسمِّ الجن بالملائكة

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٨٧١ ولسان العرب ١٢٦/١٤

(٢) الوجوه والنظائر ص ١١٩-١٢٠ وينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٩ ونزهة الأعين ص ٩٢ .

كما فعل العسكري ، وإنَّما سمى الملائكة بالجن ؛ لأنَّهم مستورون مثلهم ، وهذا ما صرَّح به العسكري نفسه بقوله المذكور : ((يعني الملائكة ، وذلك أنَّهم كانوا عبدوها ، وسمَّاهم جِنًّا ؛ لأنَّهم مستورون عن الأبصار))

١٤-**الجنود** : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الجنود في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الجموع ، كقوله تعالى : (قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ)[البقرة : ٢٤٩]

الثاني : الذرية ذرية إبليس ، كقوله تعالى : (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ)[الشعراء : ٩٥]

الثالث : الخلق أو الملائكة ، كقوله تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ)[المدثر : ٣١]

الرابع : الرسل والمؤمنون ، كقوله تعالى : (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)[الصافات : ١٧٣]

الخامس : الناصر أو الناصرون ، كقوله تعالى : (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا)[مريم : ٧٥] [١]

قال ابن فارس : ((الجيم والنون والدال يدل على التجمع والنصرة ، يقال : هم جنده ، أي : أعوانه وأنصاره))[٢] ((والجند : الأعوان والأنصار ، والجند : العسكر)) [٣] فـ(الجند : العسكر المُعَدُّ للقتال...ويُجمَع على أجناد

---

(١) ينظر : وجوه القرآن ص ١٤٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٠ ونزهة الأعين ص ٩٣

(٢) مقاييس اللغة ص ١٧٧

(٣) لسان العرب ٣/٢١٣-٢١٤

وجنود ، قال تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ){المدثر : ٣١} أي : خلائقه التي إن أراد أن يهلك بها من يشاء أهلكته))[١]

الأوجه المذكورة المنسوبة إلى الجنود مختلقة بطريقتين :

الأولى : طريقة الدراسة المعكوسة : فقد اختلق أصحاب كتب الوجوه الوجه الثاني ، والثالث ، والرابع ، والخامس ، بدراستها دراسة معكوسة ، ذلك بجعل الجنود بمعاني هذه الأوجه ، في حين أنّ المراد جعل هذه الأوجه بمعنى الجنود ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، هذا إن صحت هذه الأوجه ، وإلا فالجنود أينما ورد في كتاب الله يعني الجنود بعينه ، والتحريف الحاصل أنّهم لم يجعلوا الجنود بمعناه بل بمعاني الموصوفات به

فقد جَعَلوا الجنود في الوجه الثاني بمعنى ذرية إبليس في قوله تعالى : (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) أين دلالة الجنود من دلالة الذرية ؟! فجعلها بمعناها تحريف ظاهر لدلالتها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإنَّ الجنود أعم من الذرية ، أي : يمكن إطلاق الجنود على الذرية وغيرهم ، وهذا ما جاء في كتب التفسير ، قال الطبري : ((وقوله : (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) ((وجنود : كل من كان من أتباعه ، من ذريته كان ، أو من ذرية آدم)) [٢] وقال الزمخشري : ((شياطينه ، أو متبعوه من عصاة الجن والإنس)) [٣] وقال ابن عطية : (((وَجُنُودُ إِبْلِيسَ) نسله ، وكل من يتبعه ؛ لأنَّهم جند له وأعوان))[٤] وقال أبو حيان الأندلسي : (((وَجُنُودُ إِبْلِيسَ) قبيله

---

(١) عمدة الحفاظ ٣٤٧/١

(٢) جامع البيان ١٠٣/١٩

(٣) الكشاف ٣١٢/٣

(٤) المحرر الوجيز ٢٣٦/٤

، وكل من يتبعه ، فهو جند له وعون)) [١] حتى ابن الجوزي الذي قال في باب الوجوه في قوله تعالى : (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ) : ((أراد ذريته وهم الشياطين)) [٢] قال في تفسيره : (((وَجُنُودُ إِبْلِيسَ) أتباعه من الإنس والجنّ))[٣] ونُنَبِّه على ما نبَّهنا عليه من قبل أنَّ زاد المسير هو من مؤلفات ابن الجوزي التي صنفها في آخر حياته ، وقد ألفه بعد كتابيه : النزهة والمنتخب ، فليس المراد إذن من جنود إبليس : ذريته فحسب كما قال أصحاب كتب الوجوه ، بل المراد من جنوده ثلاثة أصناف : ذريته وهم الشياطين ، ومتبعوه من عصاة الإنس ، ومتبعوه من عصاة الجن .

وجعل الحيري الجنود في الوجه الثالث بمعنى الخلق في قوله تعالى في قوله تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ) وجعل الدامغاني وابن الجوزي الجنود في هذه الآية بمعنى الملائكة ، قال ابن عاشور في تفسير (جُنُودَ رَبِّكَ) : ((والجنود : جمع جند ، وهو اسم لجماعة الجيش ، واستعير هنا للمخلوقات التي جعلها الله لتنفيذ أمره لمشابهتها الجنود في تنفيذ الأمر))[٤] فالمراد من الجنود هنا الجنود بعينها ؛ لأنَّ كلَّ خلق الله ، وكلَّ ملائكته هم جند الله ، والقرآن الكريم أراد أن يذكرهم في هذه الآية بصفة الجندية ، لا بصفة الخلْقية ، والملائكية .

وجعلوا الجند في الوجه الرابع بمعنى : الرسل والمؤمنون ، في قوله تعالى : (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) والمراد هنا أيضًا صفة الجندية لا صفة الرسالة والإيمان ، قال ابن عطية في تفسير الآية : ((وجند الله هم الغزاة ؛

---

(١) البحر المحيط ٣٥/٧

(٢) نزهة الأعين ص ٩٣

(٣) زاد المسير ٤٥/٦

(٤) التحرير والتنوير ٢٩٧/٢٩

لتكون كلمات الله هي العليا، وقال علي بن أبي طالب : جند الله في السماء الملائكة ، وفي الأرض الغزاة)) [١]

وجعلوه في الوجه الخامس بمعنى : الناصر أو الناصرون ، في قوله تعالى : (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا) قال ابن الجوزي : ((الخامس : الناصرون ، ومنه قوله تعالى : في سورة مريم {الآية : ٧٥} (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا) أراد ناصرًا ، وقيل أمرًا)) [٢]

ما الداعي لجعل (الجند) بمعنى الناصر ، وكلٌّ منهما معناه معروف وظاهر ؟! فها هو ابن الجوزي نفسه الذي جعل (الجند) في النزهة بمعنى الناصر ، أو الأمر ، قال في تفسيره : (((وَأَضْعَفُ جُندًا) جندهم أم جند رسول الله)) [٣] ففسَّر الجند بلفظه ؛ لأنَّ دلالته معروفة ، فجعله بمعنى لفظ آخر تحريف ظاهر لدلالته

الثانية : طريقة الترادف : فقد جعل أصحاب كتب الوجوه الجنود في الوجه الأول بمعنى الجموع في قوله تعالى : (قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ) وقوله تعالى : (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُم بِهَا) تقدَّم تعريف الجنود بأنَّها العسكر المُعَدُّ للقتال ، أمَّا الجموع فقد قال ابن فارس : ((الجيم والميم والعين أصل واحد يدلُّ على تضامّ الشيء))[٤] ((والجمع : المجتمعون ، وجمعه جموع٠٠٠وقد استعملوا ذلك في غير الناس ، حتى قالوا جماعة الشجر ، وجماعة النبات))[٥] فالفرق بيِّن بين الجنود والجموع ، كما أنَّه لا

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٩٠/٤

(٢) نزهة الأعين ص ٩٣

(٣) زاد المسير ١٩٢/٥

(٤) مقاييس اللغة ص ١٧٥

(٥) لسان العرب ١٩٦/٣

داعي للقول بهذا الوجه ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير من قال به أو بغيره في الشاهدين المذكورين ؛ لأنَّ الألفاظ تُعَرَّف في كتب التفسير ؛ لإيضاح معناها ، لا على أنَّها تعني اللفظ بعينه وعلى سبيل القطع والتعيين ، كما هو الحال في كتب الوجوه ، والجنود معناه واضح لا يحتاج إلى إيضاح ، فجعل الجنود بمعنى الجموع في باب الوجوه تحريف لدلالته

والقرآن الكريم لا يذكر لفظًا إلّا لإرادة معناه من دون معنى غيره من الألفاظ ، فلو أراد دلالة الجمع في الوجه الأول في قوله تعالى : (قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِه) لاستعمل لفظه ، كما استعمله في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ)[آل عمران : ١٥٥} وكقوله تعالى : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)[القمر : ٤٥} والمراد ما جمعوا .

ولو أراد دلالة الذرية في الوجه الثاني في قوله تعالى : (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) لاستعمل لفظها ، كما استعمله في قوله تعالى : (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)[الكهف : ٥٠}

ولو أراد معنى الخلق أو الملائكة في الوجه الثالث في قوله تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلّا هُوَ) لاستعمل لفظهما ، كما قال تعالى : (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[الأعراف : ٥٤} وكما قال تعالى : (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ {١٢٤} بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ)[آل عمران : ١٢٥}

ولو أراد معنى : الرسل وأتباعهم في الوجه الرابع في قوله تعالى : (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) لاستعمل لفظهم ، كما قال تعالى : (كَتَبَ اللَّهُ لاغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[المجادلة : ٢١}

ولو أراد معنى : الناصر أو الناصرون في الوجه الخامس في قوله تعالى : (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا) لاستعمل لفظه ، كما استعمله في قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا){الجنّ : ٢٤} وهذه قاعدة مطردة يمكن الردّ بها على كل من ادعى من أصحاب كتب الوجوه بأنَّ لفظ كذا في القرآن الكريم جاء بمعنى لفظ كذا

١٥-الدائرة : قال الحيري : باب الدائرة على ثلاثة أوجه :

أحدها : الشدة ، كقوله تعالى : (يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ){المائدة : ٥٢}

الثاني : المنقلب ، كقوله تعالى : (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ){التوبة : ٩٨}

الثالث : أحد ، كقوله تعالى : (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا){نوح : ٢٦}))[1]

هذه الأوجه الثلاثة إن صحّت فمختلقة بطريقة الدراسة المعكوسة ؛ لأنّه ليس المراد جعل الدائرة بمعانيها كما فعل الحيري ، بل المراد جعلها جميعها بمعنى الدائرة ، فهي إذن جميعها بمعنى واحد ؛ لأنّها جميعها بمعنى الدائرة وليست الدائرة بمعانيها ، أقول هذا إن صحّت هذه الأوجه ، وإلّا فإنّ الدائرة لم ترد إلّا بمعناها أينما وردت في كتاب الله ، وقد وردت بمعناها حقيقة ، أو مجازًا ، أو توسّعًا في الكلام .

قال ابن فارس : ((الدال والواو والراء أصل واحد يدلُّ على إحداق الشيء بالشيء من حواليه ... ويقال : دارت به الدوائر ، أي : الحالات المكروهة أحدقتْ بهم ، والدار أصلها الواو ، والدار القبيلة ، قال رسول الله

---

(١) وجوه القرآن ص ٢٠٨-٢٠٩

صلى الله عليه وسلم : ألا أُنبئكم بخير دور الأنصار ، أراد بذلك القبائل ، ومن ذلك الحديث الآخر ، فلم تبق دار إلّا بُنيَ فيها مسجد ، أي : لم تبق قبيلة))[1]

وقال الراغب : ((الدار المنزل اعتبارًا بدورانها الذي لها بالحائط ، وقيل دارة وجمعها ديار ، ثم تُسمَّى البلدة دارًا ، والصَّقْع دارًا ، والدنيا كما هي دارًا ... والدورة والدائرة في المكروه ، كما يقال دَولة في المحبوب ، وقوله تعالى (يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ)[المائدة : ٥٢} وقوله تعالى : (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ)[التوبة : ٩٨} أي : يحيط بهم السوء إحاطة الدائرة بمن فيها ، فلا سبيل إلى الانفكاك منه بوجه)) [2]

وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (تِلْكَ الدَّارُ الأخِرَةُ)[القصص : ٨٣} هي المنزل ، سُمِّيتْ دارًا لدوران أهلها بها ، أو لدورانها هي بأهلها ، وإحاطتها بهم ... وتُطلَق ، ويراد بها البلد والضِّيع ، والدنيا كلّها ، ومنه قيل : دار الدنيا ، ودار الآخرة ، وتطلق الدار على الجنَّة ، كقوله تعالى : (لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ)[الأنعام : ١٢٧} وعلى النار : قال تعالى : (دَارَ الْبَوَارِ)[إبراهيم : ٢٨} ...قوله تعالى : (لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)[نوح : ٢٦} أي : مَن يدور ويمشي ، وهو فيعال ، وأصله دَيْوار فاعل ، ولا يجوز أن يكون فَعَّالًا ؛ لأنَّه كان يجب أن يقال : دَوَّار ، كقَوَّال ، قوله تعالى : (عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ)[التوبة : ٩٨} أي : جعل السوء عليهم بمنزلة الدائرة المحيطة ، فلا انفكاك لهم منها ، ويُعبِّر بالدائرة عن الحادثة الفادحة ،

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٠٤

(٢) المفردات ص ١٨١

قال تعالى : (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ){التوبة : ٩٨} أي : ينتظر أن تقع بكم المصائب)) [١]

جعل الحيري الدائرة في الوجه الأول بمعنى الشدة في قوله تعالى : (يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ) بيَّن أهل اللغة أنَّ الدائرة تُطلَق على كل مكروه يحدق بالإنسان ، ويحيط به من كلِّ جوانبه ، كما تحيط الدائرة بالشيء ، وهذا هو المراد من استعمالها ، وبهذا المعنى فُسِّرت في كتب التفسير ، قال مقاتل : (((يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ) يعني : دولة اليهود على المسلمين))[٢] وقال ابن قتيبة : (((يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ) أي : يدور علينا الدهر بمكروه ، يعنون الجدب)) [٣] وقال الطبري : ((يعني : عبد الله بن أُبيّ ؛ لقوله : إنِّي أخشى دائرة تصيبني ، وقال آخرون : بل عُنيَ بذلك قوم من المنافقين كانوا يناصحون اليهود ، ويغشُّون المؤمنين ، ويقولون : نخشى أن تكون دائرة لليهود على المؤمنين ... والدائرة : ظهور المشركين عليهم ، والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إنَّ ذلك من الله خبر عن ناس من المنافقين كانوا يوالون اليهود والنصارى ويَغُشُّون المؤمنين ، ويقولون : نخشى أن تدور دوائر ، إمَّا لليهود والنصارى ، وإمَّا لأهل الشرك من عبدة الأوثان أو غيرهم على أهل الإسلام ، أو تنزل بهؤلاء المنافين نازلة ، فيكون بنا إليهم حاجة ... فتأويل الكلام إذن : فترى يا محمد الذين في قلوبهم مرض وشك إيمان بنبوتك ، وتصديق ما جئت به من عند ربك ، يقول هؤلاء المنافقون : إنَّما نسارع فيهم في

---

(١) عمدة الحفاظ ٢/٣٠-٣١

(٢) تفسير مقاتل ١/٣٠١

(٣) تفسير غريب القرآن ص ١٤٤

موالاة هؤلاء اليهود والنصارى خوفًا من دائرة تدور علينا من عدوِّنا ، ويعني بالدائرة الدَّولة ، كما قال الراجز :

تَرُدُّ عنك القدر المقدورا ودائرات الدهر أن تدورا

يعني : أن تدول للدهر دَولة فنحتاج إلى نصرتهم إيانا ، فنحن نواليهم لذلك))[١] وقال الزجاج : ((أي : نخشى ألاَّ يتمَّ الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى (دائرة) أي : يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها))[٢] وقال الواحدي : ((نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب ، أو قحط))[٣] وقال ابن عطية : ((وقوله تعالى : (يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ) و(دائرة) نازلة من الزمان وحادثة من الحوادث تحوجنا إلى موالينا من اليهود ، وتسمَّى هذه الأمور دوائر على قديم الزمان من حيث الليل والنهار في دوران ، فكأنَّ الحادث يدور بدورانها حتى ينزل فيمن نزل ، ومنه قوله تعالى : (دَآئِرَةُ السَّوْءِ)[التوبة : ٩٨] (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ)[التوبة : ٩٨] ومنه قول الشاعر : والدهر بالإنسان دواريّ ، وقول الآخر : ويعلم أنَّ النائبات تدور ، وقول الآخر :

تَرُدُّ عنك القدر المقدورا ودائرات الدهر أن تدورا

ويعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم : إنَّ الزمان قد استدار))[٤] وقال ابن الجوزي : ((وفي المراد بالدائرة قولان : أحدهما : الجدب والمجاعة ، والثاني : انقلاب الدولة لليهود على المسلمين))[٥]

---

(١) جامع البيان ٣٣٢/٦-٣٣٣

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٤٧/٢

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١٩٧/٢

(٤) المحرر الوجيز ٢٠٤/٢-٢٠٥

(٥) زاد المسير ٢٢٤/٢

وجعلَ الدائرة في الوجه الثاني بمعنى : المنقلَب ، في قوله تعالى : (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) قال ابن فارس : ((قلبتُ الشيء قلبًا ، والقَلَبُ انقلاب الشفة ، وهي قلباء ، وصاحبها أقلب ، وقلبتُ الشيءَ كببتُه))[١] ((وقلب الشيءَ : حوَّله ظهرًا لبطن ، وقلبتُ الشيءَ فانقلب ، أي : انكبَّ ... والمنقلَب : مصير العباد إلى الآخرة ... والانقلاب : الرجوع مطلقًا))[٢] فهذا هو معنى المنقلب فأين هو من معنى الدائرة التي تُطلَق على كل مكروه يحدق بالإنسان ، ويحيط به من كلِّ جوانبه ، كما تحيط الدائرة بالشيء ؟! وقد فسَّر أهل التفسير الدائرة في هذا الوجه بما فسروا به الوجه الأول ، قال الطبري : (((وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) يقول : وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الأيام والليالي إلى مكروه ونفي محبوب ، وغلبة عدو لكم ، يقول الله تعالى ذكره : (عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ) جعل الله دائرة السوء عليهم ، ونزول المكروه بهم لا عليكم ... (عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ) بفتح السين بمعنى النعت للدائرة ، وإن كانت الدائرة مضافة إليه))[٣](((عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ) يدور عليهم البلاء والحزن))[٤] وقال ابن عطية ((و(الدَّوَائِرَ) المصائب التي لا مخلص للإنسان منها فهي تحيط به كما تحيط الدائرة ، وقد يحتمل أن تشتق من دور الزمان ، والمعنى : ينتظر بكم ما تأتي به الأيام وتدور به))[٥]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٤٧

(٢) لسان العرب ١٦٩/١٢

(٣) جامع البيان ٨/١١-٩

(٤) الوسيط ٥١٩/٢

(٥) المحرر الوجيز ٧٣/٣

فالمراد إذن من الدائرة في شاهد هذا الوجه والذي قبله الدائرة بعينها على أنَّها تُطلَق على كل مكروه يحدق بالإنسان ، ويحيط به من كلِّ جوانبه ، كما تحيط الدائرة بالشيء ، فجعلها بغير هذا المعنى تحريف لدلالتها

وجَعَلَ (ديَّارًا) في الوجه الثالث بمعنى : (أحدًا) في قوله تعالى : (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) لم ترد (ديَّار) في القرآن الكريم إلّا في هذا الموضع ، ففي (ديَّار) معنى لا تجده في (أحد) فقد تقدم قول الحلبي ((قوله تعالى : (لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا){نوح : ٢٦} أي : مَن يدور ويمشي ، وهو فيعال ، وأصله دَيْوار فاعل ، ولا يجوز أن يكون فَعَّالًا ؛ لأنَّه كان يجب أن يقال : دَوَّار ، كقَوَّال)) [١] وهذا ما بيَّنه أهل المعاني والتفسير ، قال الفراء : ((وقوله تعالى : (دَيَّارًا) وهو من دُرْتُ ، ولكنه فيعال من الدوران ، كما قرأ عمر بن الخطاب : (اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيَّامُ){البقرة : ٢٥٥} وهو من قُمْتُ)) [٢]

وقال الطبري في تفسير هذه الآية : ((ويعني بالدَّيَّار مَن يدور في الأرض ، فيذهب ويجيء فيها ، وهو فيعال من الدوران ديوارًا ، اجتمعت الياء والواو ، فسبقت الياء الواو وهي ساكنة ، وأُدغمت الواو فيها ، وصيرتا ياء مشددة ، كما قيل الحيّ القيّام ، وإنَّما هو قيوام ، والعرب تقول : ما بها ديَّارٌ ولا عريبٌ ، ولا دويٌّ ، ولا صافرٌ ، ولا نافخ ضَرَمَة ، يعني بذلك كله : ما بها أحد)) [٣] ، فـ(أحد) أصله واحد ، وهو ((أصل يدلّ على الانفراد)) [١]

---

(١) عمدة الحفاظ ٢/٣٠-٣١

(٢) معاني القرآن ٣/٨٦ وينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨٨ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/١٨٠ والكشاف للزمخشري ٤/٦٠٨ والمحرر الوجيز لابن عطية ٥/٣٧٧

(٣) جامع البيان ٢٩/١١٩

وقال أبو حاتم الرازي : ((وقلنا : إنَّ الأحد أكمل من الواحد ، ألا ترى أنَّك لو قلتَ : فلان لا يقوم له واحد ، جاز في المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة فما فوقهما ، وإذا قلت : فلان لا يقوم له أحد ، فقد جزمت أنَّه لا يقوم له واحد ولا اثنان فما فوقهما ، وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد ، تقول : ليس في الدار واحد ، فيجوز أن يكون واحدًا من الدواب أو الطير أو الوحش أو الإنس ، فكأنَّ الواحد تعمّ الناس وغير الناس ، وإذا قلت : ليس في الدار أحد ، فهو مخصوص للآدميين دون سائرهم))[٢]

تبيَّن من تعريف (أحد) أنَّه لفظ عام يصح أن يوصف به كلَّ آدمي ، فهو اسم جنس يُطلَق على كلِّ فرد من الناس ، والجنِّ ، والملائكة ، و(ديَّار) عند أهل اللغة ، كما تقدم : مَن يمشي ويدور ، ويذهب ويجيء ؛ لأنَّه مشتق من الدوران ، و(عريب) يعني : عربي ، قال الخليل : ((والأعاريب جماعة الأعراب ، ورجل عربيٌّ ، وما بها عريب ، أي : ما بها عربيٌّ)) [٣] وقال ابن فارس : ((العين والراء والباء أصول ثلاثة ، أحدها : الإنابة ، والإفصاح ، والآخر : النشاط وطيب النفس ، والثالث : فساد في جسم أو عضو ... فالأول ، قولهم : أعرب الرجل عن نفسه : إذا بيَّن وأوضح ... فأمَّا الأمَّة التي تُسمَّى العرب فليس ببعيد أن يكون سُمِّيتْ عربًا من هذا القياس ؛ لأنَّ لسانها أعرب الألسنة ، وبيانها أجود البيان ... ومما يدلُّ على هذا أيضًا قول العرب : ما بها عريب ، أي : ما بها أحد ، كأنَّهم يريدون : ما بها أنيس ، يُعرِب عن نفسه)) [٤] و(الدَوِيُّ) الصوت ، كدويِّ الرعد ، أو الريح ،

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٩ وص ٩٤٨-٩٤٩

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ٣٣/٢

(٣) العين ص ٦١٦

(٤) مقاييس اللغة ص ٦٦٥-٦٦٦

أو النحل ، أو الطير ويقال : ما بالدار دَوِيٌّ [١] و((الصفير للطائر ، وقولهم : ما بها صافر ، من هذا ، كأنَّه يصوِّت)) [٢] ((وما بها صافر ، أي : ما بها أحد ، كما يقال : ما بها ديَّار ، وقيل : ما بها أحد ذو صفير))[٣] ((والضَّرَمَة : الجمرة ، وقيل هي النار نفسها ، وقيل : هي ما دقَّ من الحطب ، وفي حديث علي رضي الله عنه : واللهِ لودَّ معاوية أنَّه ما بقي من بني هاشم نافخ ضَرَمَة ، هي بالتحريك النار ، وهذا يقال عند المبالغة في الهلاك ؛ لأنَّ الكبير والصغير ينفخان النار ، وأضرم النار : إذا أوقدها ، وما بالدار نافخ ضَرَمَة ، أي : ما بها أحد))[٤]

فكما جاز أن يقال : لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارًا ، جاز أن يقال : لا تذر على الأرض من الكافرين عريبًا ، أو : لا تذر على الأرض من الكافرين دَوِّيًّا ، أو : لا تذر على الأرض من الكافرين صافرًا ، أو : لا تذر على الأرض من الكافرين نافخ ضَرَمَة ، بل جاز أن يقال : لا تذر على الأرض من الكافرين إنسانًا ، أو : لا تذر على الأرض من الكافرين بشرًا ، أو: لا تذر على الأرض من الكافرين رجلًا ، أو : لا تذر على الأرض من الكافرين آدميًّا ، لكن هذا لا يعني أنَّ هذه الألفاظ بمعنى واحد ، وإنَّما جاز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ، أو لأنَّ التركيب مما جازت فيه هذه المعاني ، فلكلٍّ منها دلالته ، وإذا جعل مفسِّر (ديَّارًا) بمعنى (أحدًا) فهو لا يريد أنَّه يعنيه بعينه ، وإنَّما يريد إيضاح معناه ، كما تُوَضَّح المفردات الغريبة ، والطبري نفسه قد بيَّن دلالة الدَّيَّار قبل أن

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٣٠٣-٣٠٤ ولسان العرب ٣٣٦/٥

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٤٨٨

(٣) لسان العرب ٢٥١/٨

(٤) لسان العرب ٤٠/٩

يذكر أنَّ الدَّيَّار ، والعَريب ، والدَّويُ ، والصافر ، ونافخ ضَرَمَة بمعنى أحد ، بل هي ليست بمعنى (أحد) بدلالاتها الخاصة ، فقولك : ما بالأرض دَويٌّ ، يعني نفي ما فيها من دَويٍّ ، يصدر من إنس ، أو جنٍّ ، أو ريح ، أو شجر ، أو طير ، فيشمل النفي كلَّ ما فيها من حركة ، وحياة ، وكذلك إذا قلتَ : ما في الأرض صافر ، فيكون هذا النفي أعمُّ من قولك : ما في الأرض أحد ؛ لأنَّ (أحد) تعني العاقلين فحسب ، وقولك : ما في الأرض عريب ، أخصَّ منها ؛ لأنَّ (عريب) يعني العربي الفصيح من الناس من دون غيرهم ، وكذلك قولك : ما في الأرض نافخ ضَرَمَة ؛ وقولك : ما في الأرض ديَّار ، لأنَّه ليس كلُّ إنسان نافخ ضرمة ، أو ممن يمشي ويدور في الأرض ، و(أحد) تعني كل إنسان ، وجنٍّ ، ومَلَك ، فهي إذن بمعنى أحد من حيث المعنى العام ، لكنَّها تفترق عن بعضها في معانيها الخاصة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم ، فجعل (ديَّارًا) بمعنى (أحدًا) على أنَّه يعنيه هو التحريف بعينه

فإذا راعينا المعنى الخاص المراد يكون قوله تعالى : (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) ليس بمعنى : لا تذر عليها منهم أحدًا ، فلو استعمل (أحدًا) لشمل دعاءه بالهلاك كلّ إنسان ، من دون استثناء ، لكن لمَّا استعمل (دَيَّارًا) أصبح المعنى : ((لا تذر عليها منهم مَن يدور ويتحرك)) [1] ويذهب ويجيء ، من دون غيرهم كالشيخ الكبير المسنّ ، والمريض المقعد ، والطفل الرضيع ، فيكون دعاء نوح عنى صنف الديَّار من الناس ؛ لأنَّهم أشدُّ خطرًا ؛ ولأنَّهم هم الذين سَعوا أكثر من غيرهم إلى الكفر ، وقدروا أكثر من غيرهم على أذى نوح عليه السلام

١٦-الدابة : قال الحيري : ((الدواب على ثلاثة أوجه :

---

(١) روح المعاني للآلوسي ٨٨/١٥

أحدها : الخليقة من بني عبد الدار من بني المشركين ، كقوله تعالى : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ){الأنفال : ٢٢}

الثاني : الخليقة ، وهي اليهود ، كقوله تعالى : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ){الأنفال : ٥٥}

الثالث : الدواب بعينها ، كقوله تعالى : (وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ){البقرة : ١٦٤}))[1]

والدواب الذين وصفهم الله بالصمّ والبُكْم في شاهد الوجه الأول هم الكافرون ((ولم يكن بهم صمم ، ولا بُكْم حقيقة ، ولكنهم لمَّا التفتوا عن سماع الحق والنطق به ، كانوا كالصمِّ والبكم ، والعرب تسمي المعرض عن الشيء : أعمى ، والملتفت عن سماعه : أصم))[2] فمن الواضح جدًّا أنَّ الدواب في شاهد الوجه الأول عام ، يعني : كل قوم هذه صفتهم من الكفر والإعراض عن دين الله ، فكيف تسنى للحيري أن يقصره على قوم معيَّنين ؟ أليس في هذا تحريف واضح لكتاب الله ؟!

وكذلك الدواب في شاهد الوجه الثاني عام ، يعني كل الذين كفروا ، على اختلاف مللهم وقومياتهم من خلق آدم حتى قيام الساعة ، فكيف تسنى له مرة أخرى أن يقصره على اليهود ؟! أو ليس هذا أيضًا تحريفًا واضحًا آخر لكتاب الله ؟!

وقال الدمغاني : ((تفسير الدابة على خمسة أوجه : الأرضة ، والتي تخرج آخر الزمان ، وما خلا الإنسان والأنعام ، وما دبَّ على وجه الأرض ، وكل من رزق في السماء والأرض .

فوجه منها الدابة : الأَرَضة قوله تعالى في سورة سبأ : (مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ){سبأ : ١٤} وهي الأرضة

([1]) وجوه القرآن ص ٢٠٧-٢٠٨ .

([2]) زاد المسير ٣٥/١ .

والوجه الثاني ، الدابة : الخلق العظيم ، وهي الآية التي تخرج آخر الزمان قوله تعالى في سورة النمل : (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ){النمل : ٨٢}

والوجه الثالث : الدواب ما خلا الناس والأنعام ، وهو الحشريات ، قوله تعالى في سورة الملائكة : (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ){فاطر : ٢٨}

والوجه الرابع ، الدابة : ما دبَّ على وجه الأرض ، قوله تعالى : (وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ){الشورى : ٢٩}

والوجه الخامس : كل من رزق من الدابة ، قوله سبحانه : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا){هود : ٦}))[1]

الدابّة في قوله تعالى (وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ) تعني الدابة بعينها كما جاء في الوجه الرابع ، وكذلك التي في قوله تعالى : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا) كما جاء في الوجه الخامس ، وكذلك الدابة في قوله (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ) كما جاء في الوجه الثالث تعني الدابة بعينها ، إلّا أنَّ القرآن الكريم خص بها الحشرات من دون الناس والأنعام لأنَّها أدل على الاتصاف بصفة الدب على الأرض من دونهما .

أمَّا الأرضة ، والدابة التي تخرج آخر الزمان سُمِّيت كل منهما دابة ؛ لأنَّهما مشمولتان بصفة ما دبَّ على الأرض ، فهما وجه واحد ؛ لأنَّها من أنواع ما دبَّ ، أي : أنَّ المراد تسمية كل منهما بالدابة وليس العكس .

فلو صحَّ أنَّه قد أريد من الدابة معاني الأوجه المذكورة المنسوبة إليها فهي أوجه مختلقة بطريقة الدراسة المعكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يسمَّ الدابة بهذه الأوجه كما فعل مَن هو أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كلًّا منها بالدابة ، فهي جميعها وجه واحد ؛ لأنَّ جميعها بمعنى الدابة وليست

([1]) الوجوه والنظائر ص ٢١٢ وينظر : نزهة الأعين ص ١٢٢.

الدابة بمعانيها ، هذا لو صح ما ادعوه ، وإلّا فإنَّه قد أريد من الدواب والدابة أينما وردت في كتاب الله معناها العام : الدواب بعينها ، أو ما دبَّ على الأرض .

١٧-**الرّزق** : ذكر أصحاب كتب الوجوه للرزق في القرآن الكريم اثني عشر وجهًا

الأول : العطاء ، كقوله تعالى : (كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[البقرة : ٦٠] وقوله تعالى : (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[البقرة : ٣] وقوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)[الأعراف : ١٦٠]

الثاني : الطعام ، كقوله تعالى : (كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ)[البقرة : ٢٥]

الثالث : رزق الجنة ، كقوله تعالى : (وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)[البقرة : ١١٢] ورزق الجنة يعني الرزق بعينه

الرابع : فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ، كقوله تعالى : (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)[آل عمران : ٣٧]

الخامس : الحوت ، أو الحرث والأنعام ، كقوله تعالى : (وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ)[الأنعام : ١٤٠] وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ)[يونس : ٥٩] والحوت لفظ الحيري وهو تصحيف لم ينبِّه عليه المحقق

والسادس : أماكن ، كقوله تعالى : (وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا)[هود : ٨٨] الحيري

السابع : المطر ، كقوله تعالى : (وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا)(غافر : ١٣} وقوله تعالى : (وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)(الذاريات : ٢٢} وقوله تعالى : (وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)(الجاثية : ٥}

الثامن : الجنة ، كقوله تعالى : (وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)(طه : ١٣١}

التاسع : الثواب ، كقوله تعالى : (قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا)(الطلاق : ١١} الحيري والدمغاني

العاشر : الغداء والعشاء خاصة ، كقوله تعالى : (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)(مريم : ٦٢} يعني : غداءهم وعشاءهم

الحادي عشر : الشكر ، كقوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)(الواقعة : ٨٢} يعني : شكركم

الثاني عشر : النفقة ، كقوله تعالى : (وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ)(البقرة : ٢٣٣}[1] . الرزق يعني الرزق أينما ورد في كتاب الله ، أما الوجوه المنسوبة ليه فهي مختلقة بطريقتين :

الأولى : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته : فالعطاء ، والثواب ، والنفقة ، كما جاء في الوجه الأول ، والتاسع ، والثاني عشر ، لا تعني الرزق بل هي معاني مرادفاته

والثانية : جعل اللفظ بمعاني الموصوف به : وتشمل الأوجه الباقية .

الرزق والعطاء : جعل أصحاب كتب الوجوه الرزق في الوجه الأول بمعنى العطاء ، في قوله تعالى : (كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي

([1]) ينظر : وجوه القرآن ص ٢٢٠-٢٢١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٣٤-٢٣٥ ونزهة الأعين ص ١٤٠-١٤١

الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) وقوله تعالى : (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) وقوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

والرِّزق غير العطاء ، قال ابن فارس في الرزق : ((الراء والزاء والقاف أصيل واحد يدلُّ على عطاء لوقت ، ثمَّ يُحمَل عليه غير الموقوت ، فالرزق عطاء الله جل ثناؤه ، ويقال : رزقه الله ، والاسم : الرِّزق ، والرِّزق بلغة أَزْدِ شُنوءة : الشكر، من قوله جل ثناؤه : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ){الواقعة : ٨٢} وفعلتُ ذلك لمَّا رزقْتَني ، أي : لمَّا شكرْتَني)) [١]

وقال الراغب : ((الرزق يقال للعطاء الجاري تارة دنيويًا كان أو أخرويًّا ، وللنصيب تارة ، ولِما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة ، يقال : أعطى السلطان رزق الجند ، ورُزِقْتُ علمًا ، قال تعالى : (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم){المنافقون : ١٠} أي : من المال ، والجاه ، والعلم...وقوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ){الواقعة : ٨٢} أي : وتجعلون نصيبكم من النعمة تحرِّي الكذب ، وقوله تعالى : (وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ){الذاريات : ٢٢} قيل : عُنِي به المطر ، ، وقيل تنبيه أنَّ الحظوظ بالمقادير)) [٢]

وقال الحلبي : ((والرِّزق في الأصل مصدر...ويُطلَق على المرزوق...ويُطلَق على الشكر ، كقوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ){الواقعة : ٨٢} أي : عكستم القضية ، فجعل مكان الشكر التكذيب ، وقيل : هو على حذف مضافين ، أي : تجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم))[٣] والرزق : ((ما ينتفَع به من مأكول ، وملبوس ، ونحوهما)) [١]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٣

(٢) المفردات ص ٢٠١ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٨٧/٢-٨٨ وبصائر ذوي التمييز ٦٥/٣-٦٧

(٣) عمدة الحفاظ ص ٨٧/٢

وقال ابن فارس في العطاء : ((العين والطاء والحرف المعتلّ أصل واحد يدلُّ على أخذ ومناولة ، لا يخرج الباب عنهما ، فالعطو : التناول باليد...والظبي يعطو : وذلك إذا رفع يديه متطاولًا إلى الشجرة ليتناول الورق ، قال الخليل : ومنه اشتقّ الإعطاء ، والمعاطاة : المناولة))[٢] ((وقوله تعالى : (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى){طه : ٥٠} أي : أمكنه من تناول ما يصلحه)) [٣] ((والعطو : التناول ورفع الرأس واليدين ...والإعطاء : المناولة ، قال تعالى : (فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ){التوبة : ٥٨}))[٤]

((فالرزق هو العطاء الجاري في الحكم على الإدرار ؛ ولهذا يقال : أرزاق الجند ؛ لأنَّها تجري على إدرار...وكل ما خلقه الله في الأرض مما يُملَك فهو رزق على الجملة ، بدلالة قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً){البقرة : ٢٩} وإن كان رزقًا في الجملة فتفصيل قسمته على ما يصح ويجوز من الأملاك ، ولا يكون الحرام رزقًا ؛ لأنَّ الرزق هو العطاء الجاري في الحكم ، وليس الحرام مما حُكم به ، وما يفترسه الأسد رزق له بشرط غلبته عليه ، كما أنَّ غنيمة المشركين بشرط غلبتنا عليهم ، والمشرك يملك ما في يده ، أمَّا إذا غلبناه عليه بطل ملكه له ، وصار رزقًا لنا، ولا يكون الرزق إلّا حلالًا ، فأمَّا قولهم رزق حلال فهو توكيد ، كما يقال : بلاغة حسنة ، ولا تكون البلاغة إلّا حسنة))[٥]يتبيَّن مما تقدم ذكره أنَّ الرزق غير العطاء فجعله بمعناه تحريف لدلالته

---

(١) عمدة الحفاظ ص ٨٨/٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٦٨٥ وينظر : المفردات للراغب ص ٣٥١-٣٥٢

(٣) عمدة الحفاظ ٩٤/٣

(٤) بصائر ذوي التمييز ٧٨/٤

(٥) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٨٨

أمَّا الطعام ، والفاكهة ، والحرث والأنعام ، وأماكن ، والمقصود بها مقام النبوة ، والمطر ، والغداء والعشاء ، كما جاء في الوجه الثاني ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع ، والعاشر ، فهي ليست معاني الرزق بل هي معاني أنواعه ، وهي مختلقة بطريقة الدراسة المعكوسة ، فلو صحت هذه الأوجه لكان المراد تسمية معانيها بالرزق ، لا تسمية الرزق بمعانيها ، ويُعدُّ هذا من التحريف ، وهو قلب المعنى المراد ، فمعاني هذه الأوجه من أنواع الرزق ، والرزق لفظ عام يطلق على هذه الأنواع ونحوها ، ومن الواضح أنَّ المراد من الرزق الرزق بعينه ؛ لأنَّه أريد أن يسمى بمعناه العام لا بمعناه الخاص ؛ أي : بمعنى ما كتبه الله لعباده وقسمه ، الذي لا يكون إلّا من النصيب الحلال ، والدليل على ذلك استعمال لفظه ، ولو أراد الخاص لاستعمل لفظه ، والفرق بين العام والخاص ظاهر ، فجعل الرزق بهذه المعاني الخاصة تحريف ظاهر وخلاف المعنى المراد ، وهذا التحريف عام في أوجه كل لفظ اختلقت بطريقة الدراسة المعكوسة ، وهو عدم جعل اللفظ العام بمعناه بل بمعاني أنواعه

وهذا كما قلتُ لو صحت هذه الأوجه الخمسة ، وإلّا فإنَّ المراد من الرزق الرزق بعينه ، في شواهد هذه الأوجه ، وأينما جاء في كتاب الله ، وهو لفظ عام يُطلَق على كلِّ نعمة من نعم الله علينا ، وهي نِعَمٌ لا تُعدُّ ولا تحصى ، فالرزق يعني كل ما كتبه الله لعباده طوال حياته ، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له فأجملوا في الطلب رواه ابن حبان في صحيحه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) : يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب وان نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها.. خذوا ما حلّ ودعوا ما حرم . رواه ابن ماجه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: ... فلا يستبطئن أحد منكم رزقه فإن جبريل ألقى في روعي أن أحدًا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإنَّ الله لا ينال فضله بمعصيته . رواه الحاكم ((وأرزاق بني آدم مكتوبة مقدَّرة لهم ، وهي واصلة إليهم ، جَدُّوا في طلبها أو قصَّروا))[1]

فهذا هو معنى الرزق أينما ورد في كتاب الله ، من ذلك مثلًا قول الراغب ومن تبعه في الرزق : ((وقوله تعالى : (فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ){الكهف : ١٩} أي : بطعام يُتغذَّى به))[2] وهذا الرزق هو ضمن قوله تعالى : (فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا){الكهف : ١٩} قال أهل الكهف هذا ؛ لأنَّ قومهم كانوا كفارًا إلّا من أخفى إيمانه ، ((فكانوا يذبحون للطواغيت...وكانت أكثر أموالهم غصوبًا ، وقال مجاهد : قالوا لصاحبهم : لا تبتغْ طعامًا فيه ظلم ولا غصب))[3] وقد فرَّق العسكري بين الرزق والطعام الذي يُتغذَّى به ، بأنَّ الرزق لا يكون إلّا حلالًا ، وما يُتغذَّى به الإنسان قد يكون حلالا ، وقد يكون حرامًا ((ألا ترى أنَّه يجوز أن يغتذي بالسرقة ، وليست السرقة رزقًا للسارق))[4] فاستعملوا لفظ الرزق ؛ ليكون قوله (فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ) معناه : فليأتكم بالطعام المكتوب والمقسوم لكم من عند الله ، الذي لا يكون إلّا من النصيب الحلال ، فبدلًا من أن يذكر هذا الكلام كله ، قال (فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ)

---

(1) تهذيب اللغة للأزهري ١٤٠١/٢

(2) المفردات ص ٢٠١ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٨٧/٢ وبصائر ذوي التمييز ٦٦/٣

(3) زاد المسير ٨٩/٥

(4) الفروق اللغوية ص ١٨٨

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : (وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ {٢٢} فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ){الذاريات : ٢٢-٢٣} فقد جعل أهل الوجوه واللغة[١]والتفسير[٢] الرزق هنا بمعنى المطر وذكروا أنَّ هذا هو قول ابن عباس ومجاهد ، والضحاك ، وسعيد ابن جبير[٣] ((وهو قول الجمهور)) [٤] وقد تكرر من قبل قولي : إنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، وجعل الرزق هنا بمعنى المطر يجوز القول به إذا أريد أن يكون تفسيرًا له ، لا على أنَّه يعنيه بعينه ، وعلى سبيل القطع والتعيين ، كما هو الحال في كتب الوجوه ، أي : جاز جعله بتفسير آخر ، كما هو حاصل في كتب التفسير ، فإذا قال مفسرون بأنَّ الرزق هنا يعني المطر فقد قال آخرون بأنَّه يعني القضاء والقدر[٥] وتقدير الرزق وتعيينه[٦] وكيف يصح أن يكون الرزق بمعنى المطر ، ولو أجمعت على ذلك كل كتب أهل اللغة والتفسير ؛ لأنَّه كيف يصحُّ أن يكون التقدير : وفي السماء مطركم وما توعدون ؟! فأين قول الله من هذا التقدير ؟! وكيف يصحُّ قسم الله : (فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) أن يكون على المطر ؟! لأنَّ كلّ الناس يرون المطر ينزل فوقهم من السماء ، فهذه الحقيقة ظاهرة للعيان ، لا تحتاج إلى تأكيد ولا إلى قسم ، وإنَّما القسم كان على تقدير الأرزاق بأنَّ لكلِّ إنسان رزقه ، لا يزيد ولا ينقص ، ولا يموت حتى يستكمله ،

---

(١) ينظر : وجوه القرآن ص ٢٢١ والمفردات للراغب ص ص ٢٠١ ونزهة الأعين ص ١٤١ وعمدة الحفاظ ٨٧/٢ وبصائر ذوي التمييز ٦٦/٣

(٢) ينظر : تفسير مقاتل ٢٧٧/٣ وجامع البيان ٢٤٠/٢٦

(٣) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١٧٦/٤ والكشاف ٣٩٠/٤ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٧٦/٥

(٤) زاد المسير ٢٥٢/٧-٢٥٣

(٥) ينظر : المحرر الوجيز ١٧٦/٥

(٦) ينظر : فتح القدير للشوكاني ١٠٥/٥ وروح المعاني للآلوسي ١١/١٤

ويُوفَّاه جميعه ، وأنَّه لا يأخذ هو من رزق غيره شيئًا ، ولا غيره قادر أن يأخذ من رزقه شيئًا ، هذه هي حقيقة الرزق التي كانوا ينكرونها أو يشكّون فيها ، وما يزال أكثر الناس لا يؤمنون بها الإيمان القاطع ؛ من أجل ذلك أقسم الله أنَّ رزقهم هذا حقيقة لا شك فيها كما لا يشكُّ أحد بنطقه .

فالمطر معروف ، وقد قالوا : ((مطرتِ السماءُ وأمطرتِ بمعنى)) [1] واحد ((ومطرَتْهم السماءُ تَمطرهم ، وأمطرَتْهم : أصابتهم بالمطر)) [2]وقد قرن القرآن الكريم المطر بالأذى في قوله تعالى : (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ){النساء : ١٠٢} وكيف يصح جعل الرزق بمعنى المطر ، والقرآن الكريم لم يستعمل المطر إلّا للعذاب والهلاك ؟![3] كقوله تعالى : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ){الأعراف : ٨٤} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا){الفرقان : ٤٠} وقوله تعالى : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ){الشعراء : ١٧٣}{النمل : ٥٨}

فسياق قوله تعالى : (وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) سياق رحمة وحكمة ، ولو جعلناه بتقدير : وفي السماء مطركم وما توعدون ، لكان سياق عذاب ونقمة ، ولكان المراد من قوله : (وَمَا تُوعَدُونَ) ما يناسب سياق هذا التقدير ، فيكون المعنى : وفي السماء عذابكم وهلاكم وما تُنذرون ، هذا هو ما يقتضيه جعل الرزق بمعنى المطر ، ولهذا أكرر ما قلته مرارًا : إنَّه يجب ثم يجب إبقاء اللفظ على معناه ، ثم نفسر الآية بمقتضاه ، وإنَّه يجب أن

([1]) لسان العرب ٩٠/١٤ وتاج العروس ٧١/١٤-٧٢

([2]) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٦٦/٩

([3]) ينظر : مقاييس اللغة ص ٨٦٤ والمفردات للراغب ص ٤٩٠

نؤمن بأنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، هذا هو المبدأ الواجب اتباعه في تفسير كتاب الله .

وجعل الحيري والدامغاني الرزق في الوجه التاسع بمعنى الثواب ، في قوله تعالى : (قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) والثواب قريب من معنى الرزق ، فجاز أن يقال : (قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) كما قال الله تعالى ، وجاز أن يقال : قد أحسن الله ثوابًا ، أو جزاءً ، أو عاقبة ، أو جنة ، ونحوها من المرادفات ، فهذه الألفاظ جاز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ، إلّا أنَّه لا بدَّ من أن يكون أحدها هو المراد من دون غيرها ، ولا سبيل لتعيينه إلّا باستعمال لفظه ، ولمَّا كان القرآن الكريم استعمل لفظ الرزق فيكون معناه هو المراد ، قال الطبري : (((قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) يقول : قد وسَّع الله له في الجنات رزقًا ، يعني بالرزق ، ما رزقه فيها من المطاعم والمشارب ، وسائر ما أعدَّ الله لأوليائه فيها ، فطيبة لهم))[1] فالمراد من الرزق الرزق بعينه وجعله بمعنى الثواب أو غيره تحريف لدلالته ، وأكبر دليل على ذلك استعمال لفظه .

وجعلوا الرزق في الوجه الثامن بمعنى الجنة في قوله تعالى : (وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) قال الطبري : (((وَرِزْقُ رَبِّكَ) الذي وعدك أن يرزقكه في الآخرة حتى ترضى)))[2] وقال الزمخشري : (((وَرِزْقُ رَبِّكَ) هو ما ادّخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم ، أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة)) [3] وقال ابن عطية : ((أي : رزق الدنيا خير ، ورزق الآخرة أبقى ، وبيَّن أنَّه خير من رزق الدنيا)) [4] وقال البيضاوي : (((وَرِزْقُ

([1]) جامع البيان ١٧١/٢٨

([2]) جامع البيان ٢٧٣/١٦

([3]) الكشاف ٩٥/٣

([4]) المحرر الوجيز ٧١/٤

رَبِّكَ) وما ادَّخر لك في الآخرة ، أو ما رزقك من الهدى والنبوة))[1]((وَرِزْقُ رَبِّكَ) ثوابه وهو الجنة ، أو الحلال الكافي))[2]((أو ما ادَّخر لهم من المواهب في الآخرة))[3]وهذه التفسيرات جميعها ليست معنى الرزق ، بل هي معاني أنواعه ، فالرزق كما تقدم لفظ عام يُطلق على كلِّ نعم الله على الإنسان ، ويشمل نعمه علينا في الدنيا والآخرة ؛ لذلك تجد المفسرين منهم من يجعله بمعنى هذه النعمة ومنهم من يجعله بمعنى تلك ، فالرزق اسم جنس يشمل كل أنواعه ، وقد يُقصَر على نوع منها ، ولكن من دون أن يخرج من معناه ، ويمكن تحديد هذا النوع وتعيينه بطريق الإضافة ، وما تقدم منها : رزق الإسلام ، ورزق النبوة ، ورزق الدنيا ، ورزق الآخرة ، ورزق الهدى ، ورزق الثواب ، ورزق الجنة ، ورزق الحلال ، وهذا ما جاء في تفسير : (وَرِزْقُ رَبِّكَ) ونحوها كرزق العلم ، ورزق الطعام ، ورزق الصحة ، ورزق الأولاد ، فالمراد من الرزق في قوله تعالى : (وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) رزق الحلال في الدنيا ، والرزق الذي ادخره الله سبحانه لعباده المؤمنين في الآخرة ، دلَّ على ذلك إضافته إلى الله سبحانه ، ووصفه بأنَّه (خَيْرٌ وَأَبْقَى) فالمراد الرزق بمعناه العام ، وقصره على الجنة تحريف لدلالته .

وجعل الدامغاني وابن الجوزي الرزق في الوجه الحادي عشر بمعنى الشكر ، في قوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ){الواقعة : ٨٢} وقال ابن الجوزي بعد القول بهذا الوجه ((قال ابن السكيت : الرزق بلغة أَزْد شنوءة : الشكر ، ومنه في هذه الآية ، وتقول : رزقني فلان ، أي : شكرني)[4] وتقدَّم قول ابن فارس : ((والرِّزق بلغة أَزْدِ شُنوءة : الشكر، من

([1]) أنوار التنزيل ٤٣/٤ وينظر : روح المعاني للآلوسي ٥٩١/٨

([2]) مدارك التنزيل للنسفي ص ٧٠٧

([3]) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٥٩/٦ وينظر : فتح القدير للشوكاني ٤٨٨/٣

([4]) نزهة الأعين ص ١٤١

قوله جل ثناؤه : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ){الواقعة : ٨٢} وفعلتُ ذلك لمَّا رزقْتَني ، أي : لمَّا شكرْتَني) [١] وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) فيه أوجه :

أحدها : أنَّه على التهكم ؛ لأنَّهم وضعوا الشيء غير موضعه ، كقولك شتمني حيث أحسنتُ إليه ، أي : عكس قضية الإحسان...أي : شكرَ رزقكم تكذيبَكم .

الثاني : أنَّ ثَمَّ مضافين محذوفين، أي : بدل شكر رزقكم ؛ ليصح المعنى

الثالث : أنَّ الرزق هو الشكر في لغة أزد شنوءة ، ويؤيده قراءة علي ابن طالب ، وتلميذه عبد الله بن عباس رضي الله عنهم : وتجعلون شكركم ، مكان ، رزقَكم)) [٢]

وربط جعل الرزق بمعنى الشكر بلغة أزْدِ شُنوءة (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) وبقراءة : وتجعلون شكركم أنَّكم تكذبون ، مردود بما يأتي :

١-أنَّ هذه القراءة شاذة ، وربط معنى الرزق بها ، وبلغة أزد كان أحد ثلاثة أوجه

٢-لم يثبت أنَّ الرزق في هذه الآية جاء باللغة المذكروة ، وما الداعي وما السرّ أن ينزل بها في هذه الآية وحدها ، وقد ورد الرزق في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ؟!

٣-ذكر الطبري هذه اللغة إلّا أنَّه لم يثبت صحة نسبة الآية إليها ، بل فسَّر قوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) بقوله : ((يقول : وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب ، وذلك كقول القائل الآخر: جعلتَ إحساني إليك إساءة منك إليَّ ، بمعنى : جعلتَ شكرَ إحساني ، أو

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٣

(٢) الدر المصون ١٠/٢٢٧-٢٢٨

ثواب إحساني إليك إساءة منكَ إليَّ...وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل...وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتجعلون حظكم منه التكذيب))[١]

٤-وأكثر من ذلك أنَّ الطبري وغيره ، ذكر القراءة الشاذة ولم يربطها بلغة أزد أو غيرها فقال : ((عن أبي عبد الرحمن عن علي (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : كان يقرؤها : وتجعلون شكركم أنَّكم تكذبون ، يقول : جعلتم رزقَ الله بِنَوء النجم ، وكان رزقهم في أنفسهم بالأنواء ، أنواء المطر ، إذا نزل عليهم المطر ، قالوا : رُزِقنا بِنَوء كذا وكذا ، وإذا أمسك عنهم كذَّبوا ، فذلك تكذيبهم)) [٢]وقال النحاس : ((وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه قرأ : وتجعلون شكركم أنَّكم تكذبون ، وعن ابن عباس : وتجعلون شكركم أنَّكم تكذبون ، قال أبو جعفر (النحاس) : وهاتان القراءتان على التفسير ، ولا يتأوَّل على أحد من الصحابة أنَّه قرأ بخلاف ما في المصحف المُجمَع عليه ، وكذا التفسير، والمعنى على قراءة الجماعة : وتجعلون شكر رزقكم ، ثم حذف ، مثل : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ){يوسف : ٨٢} وقد فسَّر ابن عباس هذا التكذيب كيف كان بهم ، قال : يقولون : مُطِرنا بِنَوء كذا وكذا)) [٣]

وقال ابن جني : ((ومن ذلك : قراءة علي وابن عباس رضي الله عنهما ، ورُويت عن النبي صلى الله عليه وسلم : وتجعلون شكركم أنَّكم تكذبون[٤] قال أبو الفتح (ابن جني) هو على حذف المضاف ، أي : تفعلون بدل شكركم ، ومكان شكركم التكذيب ، ومنه قول العجاج :

ربَّيتُهُ حتى إذا تمَعْدَدَا كان جزائي أن أُجلَدا

---

(١) جامع البيان ٢٤٢/٢٧-٢٤٤

(٢) جامع البيان ٢٤٤/٢٧

(٣) إعراب القرآن ص ١٠٩٨

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير ٤١٦/٧ والحديث ضعيف ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي بتحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر ١٧٧/١٧

أي : كان مكان جزائي الجلد بالعصا)) [١]

وهذا الوجه قيل به أيضًا في كتب التفسير ، ومن دون ربطه بلغة أزد ، والحقيقة أنَّ المراد من الرزق الرزق بعينه ، وقوله صلى الله عليه وسلم : شكركم أنَّكم تكذبون ، يعني أنَّه بدلًا من أن تشكروا لله رزقه لكم ، تنكرون هذا الرزق بأن تنسبوه إلى الأنواء لا إلى الله سبحانه ، قال الفراء : ((جاء في الأثر : تجعلون رزقكم : شكركم ، وهو في العربية حسن أن تقول : جعلتَ زيارتي إياك أنَّك استخففتَ بي ، فيكون المعنى : جعلتَ ثوابَ الزيارة الجفاءَ ، كذلك : جعلتم شكر الرزق التكذيب))[٢] أي : على تقدير مضاف .

وقال الزجاج : ((ورووا أنَّه يقال : وتجعلون رزقي بمعنى شكري ، وليس بصحيح ، إنَّما الكلام في قوله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) يدلُّ على معنى : وتجعلون شكركم أنَّكم تكذبون ، أي : تجعلون شكر رزقكم أن تقولوا : مُطِرنا بنوء كذا ، فتكذبون في ذلك)) [٣]

وقال الأزهري : (((وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) معناه : تجعلون شكر رزقكم التكذيب ، فيقولون مُطرنا بِنَوْء الثريَّا))[٤] وقال الزمخشري : (((وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) على حذف المضاف ، يعني : وتجعلون شكر رزقكم التكذيب ، أي : وضعتم التكذيب موضع الشكر...يعني : تجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنَّكم تكذبون بكونه من الله ، حيث تنسبونه إلى النجوم)) [٥]

---

(١) المُحتسَب ٣٦١/٢ وتمعددا ، معناه : غَلُظَ وصَلُبَ واشتدَّ

(٢) معاني القرآن ٣٦/٣ وينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٢

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٩٣/٥وينظر : الوسيط للواحدي ٢٤٠/٤

(٤) تهذيب اللغة ١٤٠١/٢

(٥) الكشاف ٤٥٧/٤ وينظر : فتح القدير ٢٠٠/٥

وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل الرزق بمعنى الشكر ، وربطه بلغة أزد في قوله تعالى : (((وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [١] قال في تفسيره : ((وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّ الرزق ها هنا بمعنى الشكر : روت عائشة عن رسول الله قال : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) قال : شكركم ، وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس ، وكان علي يقرأ : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ)

والثاني : أنَّ المعنى : وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم ، قاله الأكثرون ؛ وذلك أنَّهم كانوا يُمطَرون ، فيقولون : مُطرنا بِنَوء كذا

والثالث : أنَّ الرزق بمعنى الحظ ، فالمعنى : وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنَّكم تكذبون)) [٢]

فما قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، حتى ذكر أنَّ أكثر المفسرين على خلاف ما عيَّنه في النزهة ، وزاد المسير هو من مصنفات ابن الجوزي في آخر حياته ، وقد تقدم أنَّه كثيرًا ما يبطل في الزاد ما قاله في النزهة والمنتخب ، فكأنَّه قد رجع عمَّا قاله في هذين الكتابين

فالمراد إذن من الرزق الرزق بعينه ، وجعله بمعنى الشكر تحريف لدلالته

١٨-**شجرة** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الشجرة في القرآن الكريم على أربعة عشر وجهًا هي :

الوجه الأول : الشجرة ، يعني : العوسج كقوله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ){القصص : ٣٠}

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ١٤١

(٢) زاد المسير ٣٣٨/٧-٣٣٩

والوجه الثاني ، الشجرة هي الكرم ، كقوله تعالى : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ){البقرة : ٣٥}

والوجه الثالث ، الشجرة يعني : الزيتون ، كقوله تعالى : (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ){المؤمنون : ٢٠}

والوجه الرابع ، الشجرة يعني : الزقوم ، كقوله تعالى : (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ){الصافات : ٦٤}

والوجه الخامس ، الشجرة يعني : النخلة ، كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء){إبراهيم : ٢٤}

والوجه السادس ، الشجرة يعني : السمرة ، قوله تعالى : (إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ){الفتح : ١٨}

والوجه السابع ، الشجرة يعني : القرع وهو اليقطين ، كقوله تعالى : (وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ){الصافات : ١٤٦}

والوجه الثامن ، الشجرة : ما يكون لها ساق ، أو الشجر بعينه ، كقوله تعالى : (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ){الرحمكن : ٦}

والوجه التاسع ، الشجرة شجرة الحنظل ، كقوله تعالى : (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ){إبراهيم : ٢٦}))

الوجه العاشر : شجر المرخ والعفار ، كقوله تعالى : (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ){يس : ٨٠}

والوجه الحادي عشر : محمد صلى الله عليه وسلم ، أو إبراهيم الخليل (عليه السلام) كقوله تعالى : (دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ){النور : ٣٥}

الوجــه الثــاني عشــر : نفــس المــؤمن ، كقولــه تعــالى : (كَشَــجَرَةٍ طَيِّبَةٍ){إبراهيم : ٢٤}

الوجــه الثالــث عشــر : نفــس الكــافر : كقولــه تعــالى : (كَشَــجَرَةٍ خَبِيثَةٍ){إبراهيم : ٢٦}

الوجه الرابع عشر : الاختلاف ، كقوله تعالى : (حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ){النساء : ٦٥} [١]

قال ابن فارس : ((وشجر بين القوم الأمرُ : إذا اختلف أو اختلفوا ، وتشاجروا فيه ، وسميتْ مشاجرة ؛ لتداخل كلامهم بعضه في بعض)) [٢] وهذا ما يتعلق بالوجه الأخير ، وعلاقته بدلالة الشجرة .

ومن المؤكد أنَّ المراد من الشجرة في أغلب شواهد الوجوه المذكورة غير متفق عليه ، من ذلك مثلًا أنَّ الحيري نفسه قال في الشجرة في شاهد الوجه الثاني : ((وقوله : (وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) قال ابن عباس : هي شجرة سنبلية ، وقال وهب : شجرة البرّ ، وقال سعيد بن جبير : هي الكرْم ، وقال مجاهد : شجرة التين ، وقال الكلبي : شجرة العلم عليها من كل الثمار)) [٣]

الشجر جمع شجرة ، وهو كل نبات له ساق[٤] وجعل الشجرة في الوجه الثامن بمعنى : ما يكون لها ساق تعني الشجرة بعينها ، وجعلها في الوجه الحادي عشر بمعنى : محمد صلى الله عليه وسلم أو إبراهيم عليه السلام يدخل في باب المجاز لا في باب الوجوه ، والشجرة اسم جنس يُطلق على كل نبات له ساق كما عرّفها أهل اللغة ، فهو لفظ عام ، واسم كل نبات

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٦٣-٢٦٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٨٧-٢٨٨ ونزهة الأعين ص ١٧٢ومنتخب قرة العيون ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٧٠.

(٣) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٦٣ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٤٧٠ ونزهة الأعين ص ١٧١ وبصائر ذوي التمييز ٢٩٨/٣ .

له ساق لفظ خاص يدخل ضمن معناه العام ، واللفظ الخاص يُسمَّى باللفظ العام ، ولا يصح العكس ، وقد اتخذ أصحاب كتب الوجوه مما جاز تسميته بالشجرة وجوهًا للشجرة ، وهذه التسمية وإن جازت لم تكن مرادة ، ومع ذلك فلو صحت إرادتها فهي وجوه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يسمِّ الشجرة بالعوسج والكرم ، والزيتون ، والزقوم ، ونخلة ، وسمرة ، والقرع ، وحنظلة . والمرخ والعفار ؛ لتكون أوجهًا لها ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل نوع من هذه الأنواع من النباتات بالشجرة ؛ لأنَّ كلَّ نوع منها تتمثل فيه دلالتها ؛ ولأنَّ الخاص يوصف بالعام ولا يوصف العام بالخاص ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، والحقيقة أنَّ الشجرة أينما وردت في القرآن الكريم أريد بها جنس الشجرة إذا جاءت معرفة بـ(ال) أو شجرة ما من دون تعيين إذا وردت نكرة ، وجعلها في كل وجه بمعنى نوع من أنواعها تحريف لدلالتها ؛ لأنَّه إذا أريد واحد من أنواعها لبيَّنه كما جاء في الوجه السابع في قوله تعالى : (وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ) فـ(شَجَرَةً) في هذه الآية لا تعني اليقطين بل تعني شجرة ما من دون تعيين ؛ لأنَّه لا يصح أن يكون المعنى : أنبتنا عليه يقطينًا من يقطين ، فأنت ترى أنَّ الشجرة مرتبطة بأسماء النباتات التي نُسِبتْ إليها ارتباط الشيء بأنواعه لا ارتباط اللفظ المشترك بوجوهه .

١٩- شراب : قال الدامغاني : ((تفسير الشراب والشرب على ستة أوجه : العسل ، والزنجبيل والسلسبيل ، والحميم ، والبارد ، والماء ، وحُبّ الشيء .

فوجه منها ، الشراب : العسل قوله تعالى في سورة النحل : (شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ){النحل : ٦٩}

والوجه الثاني : الشراب : الزنجبيل والسلسبيل قوله تعالى : (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا){الإنسان : ٢١}

والوجه الثالث ، الشراب : الحميم ، قوله تعالى في سورة يونس : (لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ){يونس : ٤}

والوجه الرابع ، الشراب : البارد ، قوله تعالى في سورة عم يتساءلون : (لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا){النبأ : ٢٤}

والوجه الخامس ، الشراب يعني : الماء قوله سبحانه : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ){الطور : ١٩}

والوجه السادس ، الشراب يعني : حُبَّ الشيء قوله تعالى في سورة البقرة : (وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ){البقرة : ٩٣}))[١]

جَعْلُه الشراب في الوجه الرابع بمعنى البارد في قوله (لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا) قول اعتباطي ، بل جاز لو جُعل بتقدير : شرابًا باردًا ، بل الشراب هنا أريد الشراب بعينه ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول : لا يطعمون فيها بردًا يُبَرِّد حرّ السعير عنهم إلّا الغساق ، ولا شرابًا يرويهم من شدة العطش الذي بهم إلّا الحميم)) [٢]

وجَعَلَ الشرب في الوجه الخامس بمعنى الماء في قوله تعالى : ((كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) وكيف يعقل قصر شربهم على الماء وهم في جنات فيها ما تشتهي نفوسهم وما طاب ولذَّ من أنواع الشراب والطعام ؟! وجعل الشراب في الوجه السادس بمعنى حُبِّ الشيء في قوله تعالى : (وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) وهذا تعبير عن شدة حبِّ المرء للشيء وتمكنه من نفسه ، فجعل مثل هذا الحب كشراب دخل في جوف شاربه وتغلغل وانتشر في عروقه ، فجعل الشراب بمعنى حُبِّ الشيء يدخل في باب المجاز لا في باب الوجوه ، والعسل ، والزنجبيل والسلسبيل ، والحميم ، والماء ، ونحوها هي من أنواع الشراب وليست من وجوهه ، والشراب اسم

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٩٣ .

(٢) جامع البيان ١٨/٣٠ .

جنس يُطلَق على ما يُشرَب ، فهو لفظ عام ، واسم كل شراب لفظ خاص يدخل ضمن هذ المعنى العام ، واللفظ الخاص يُسمَّى باللفظ العام ، ولا يصح العكس ، وقد اتخذ أصحاب كتب الوجوه مما جاز تسميته بالشراب أوجهًا للشراب ، وهذه التسميات وإن جازت لم تكن مرادة ، ومع ذلك فلو صحت إرادتها فهي وجوه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يسمِّ الشراب ، بالعسل ، والزنجبيل والسلسبيل ، والحميم ، والماء ونحوها كما فعل مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل نوع من هذه الأنواع من الأشربة بالشراب ؛ لأنَّ كلَّ نوع منها تتمثل فيه دلالته ؛ ولأنَّ الخاص يوصف بالعام ولا يوصف العام بالخاص ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، والحقيقة أنَّ الشراب أينما ورد في القرآن الكريم أريد به معناه العام ، وجعله في شاهد كلّ وجه بمعنى نوع من أنواعه تحريف لدلالته ؛ لأنَّه إذا أريد واحد من أنواعه لبيَّنه كما جاء في الوجه الثالث الذي جَعَل فيه الشراب بمعنى الحميم في قوله تعالى (لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ) فـ(شَرَابٌ) أريد به جنس الشراب ولا يصح أن يكون بمعنى الحميم ؛ لأنَّه لا يصح أن يكون المعنى : ولهم حميم من حميم .

٢٠-**الصاحب** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الصاحب في القرآن الكريم على تسعة أوجه :

الأول : الأصحاب يعني السكان ، كقوله تعالى : (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ){البقرة : ٣٩}

الثاني : الأصحاب يعني القوم ، كقوله تعالى : (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى){الشعراء : ٦١}

الثالث : الصاحب يعني الرفيق ، كقوله تعالى : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا){الكهف : ٤٠} هذا ما قاله الدمغاني ، وجعل ابن الجوزي هذا الشاهد بمعنى أبي بكر رضي الله عنه ،

الرابع : الصاحب يعني النبي ، كقوله تعالى : (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ){التكوير : ٢٢}

الخامس : الصاحب يعني الأخ ، كقوله تعالى : (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ){الكهف : ٣٤}

السادس : الصاحب يعني الزوج ، كقوله تعالى : (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ){الأنعام : ١٠١}

السابع : الأصحاب يعني الخزنة ، كقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً){المدثر : ٣١}

الثامن : الأصحاب يعني الأبوين ، كقوله تعالى : (لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى){الأنعام : ٧١} قال الدامغاني : ((يعني الأبوين في بعض التفاسير))

التاسع : الصاحب يعني أبا بكر رضي الله عنه وهو الوجه التاسع الذي ذكره ابن الجوزي وقد تقدم شاهده [١]

قال ابن فارس : ((الصاد والحاء والباء أصل واحد يدلّ على مقارنة شيء ومقاربته ، من ذلك الصاحب ... وأصحَبَ الرجلُ : إذا بلغ ابنه ، وكل شيء لازم شيئًا فقد استصحبه)) [٢] وقال الراغب : ((الصاحب : الملازم إنسانًا كان أو حيوانًا أو مكانًا أو زمانًا ، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن ، وهو الأصل والأكثر أو بالعناية والهمة ، ولا يقال في العرف إلّا لمن كثرت ملازمته ، ويقال للمالك للشيء هو صاحبه ... وأمَّا قوله تعالى :

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٧٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٠٣-٣٠٥ ونزهة الأعين ص ١٧٨.

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٠٣.

(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً){المدثر : ٣١} أي : الموكلين بها لا المعذبين بها ... ويقال : أصحب فلانٌ : إذا كبر ابنه فصار صاحبه)) [١]

السكان ، والقوم ، والرفيق ، والأخ ، كما جاء في الوجه الأول ، والثاني ، والثالث ، والخامس ، قريبة من معنى الصاحب والأصحاب ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والألفاظ المترادفة وإن اتحدت في المعنى العام لا بدَّ من أن يكون بينها فروق معنوية خاصة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم ، فجعل اللفظ بمعنى مرادفه في باب الوجوه تحريف لدلالته ، والصاحب اسم جنس فهو لفظ عام ، والنبي ، والزوج ، والخزنة ، والأبوان ، وأبو بكر رضي الله عنه تندرج ضمن أنواعه ومعانيه الخاصة كما جاء في الوجه الرابع ، والسادس ، والسابع ، والثامن ، والتاسع ، فهي أوجه مختلقة بطريقة الدراسة المعكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يُسمِّ الصاحب بهذه الأنواع لتكون أوجهًا له ، كما فعل أصاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كلًّا منها بالصاحب ، لأنَّ الخاص يوصف ويُسمَّى بالعام ، ولا يوصف ويُسمّى العام بالخاص ، فهي جميعها وجه واحد ، لأنَّها جميعها بمعناه وليس هو بمعانيها وجعل اللفظ العام بمعنى من معانيه الخاصة أو بمعنى نوع من أنواعه يُعدُّ أيضًا تحريفًا لدلالته ، من ذلك مثلًا جعل الصاحب في الوجه السادس بمعنى الزوجة في قوله تعالى : (وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ) فقد سألني أحد الأخوة أنَه لِمَ قال سبحانه : (وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ) ولم يقل : ولم تكن له زوجة ، فأجبته بأنَّ الصاحبة تعني الزوجة وغير الزوجة ، كالخليلة ، فهي أعمّ فالله سبحانه أراد أن ينفي أن تكون له صاحبة سواء كانت زوجة أم خليلة .

---

(١) المفردات ص ٢٨٥ .

وقد تقدم أنَّ الدامغاني جعل الصاحب في الوجه الثالث بمعنى الرفيق في قوله تعالى : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) وجعله ابن الجوزي بمعنى أبي بكر رضي الله عنه . وصاحب اسم جنس نكرة ، وأبو بكر علم معرفة ، فكيف يصح أن نجعل النكرة بمعنى العلم المعرفة ، وكيف يصح أن يكون المعنى أو التقدير : إذ يقول لأبي بكره لا تحزن ، فصاحب ليس بمعنى أبي بكر وإنَّما الذي بمعناه هو المركب الإضافي (صاحبه) ولولا هذه الإضافة لما تعيَّن أن يكون هو المقصود رضي الله عنه ، ومع ذلك فلو جعلناه وجهًا له فإنَّه يدخل ضمن الأوجه المخلتقة بالطريقة المذكورة .

وقد تقدم قول الدامغاني عن الوجه الثامن الذي جعل فيه الأصحاب بمعنى الأبوين : ((يعني الأبوين في بعض التفاسير ، وهما أبو بكر وزوجه)) [1] وهذا تصريح منه بأنَّ هذا الوجه قول من الأقوال ، وليس حقيقة ثابتة .

واختلاق مثل هذه الوجوه بالطرائق التي اتبعها أصحاب كتب الوجوه لا يعجز عنها حتى طلبة العلم من الصبيان ، فبها مثلًا يمكن أن نختلق تسعة أوجه أُخَر وهي الأوجه التالية :

الأول : الصاحب يعني يونس عليه السلام ، كقوله تعالى : (وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ){القلم : ٤٨}

الثاني : الصاحب يعني قدار بن سالف أحيمر ثمود ، أو يعني عاقر ناقة صالح ، كقوله تعالى : (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ){القمر : ٢٩}

الثالث : الأصحاب يعني الذين آمنوا بنوح عليه السلام ، كقوله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ){العنكبوت : ١٥}

([1]) الوجوه والنظائر ص ٣٠٥ .

الرابع : الصاحبان يعني خباز ملك مصر ونديمه كقوله تعالى : (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)[يوسف : ٣٩]

الخامس : الأصحاب يعني الورثة الذين عزموا حرمان المساكين من بستان أبيهم ، كقوله تعالى : (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ)[القلم : ١٧]

السادس : الأصحاب يعني الأموات ، كقوله تعالى : (كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ)[الممتحنة : ١٣]

السابع : الأصحاب يعني الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى ، كقوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)[الكهف : ٩]

الثامن : الأصحاب يعني اليهود الذين صادوا الحوت يوم السبت ، كقوله تعالى : (أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ)[النساء : ٤٧]

التاسع : الأصحاب يعني أبرهة الحبشي وجيشه ، كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)[الفيل : ١]

وصفوة القول أنَّ الأوجه المذكورة والمنسوبة إلى الصاحب مختلقة بثلاث طرائق : طريقة الترادف ، وطريقة الدراسة المعكوسة ، وطريقة ما قيل

٢١-**الصوم** : قال ابن فارس : ((الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان ، من ذلك صوم الصائم ، هو إمساكه عن مطعمه وشرابه وسائر ما مُنَعَه ، ويكون الإمساك عن الكلام صومًا قالوا في قوله تعالى : (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا)[مريم : ٢٦] إنَّه الإمساك عن الكلام والصمت ، وأمَّا الركود فيقال للقائم صائم ... والصوم ركود الريح ، والصوم استواء الشمس وسط النهار ... وكذا يقال : صام النهار)) [١] وقال الراغب : ((الصوم في الأصل الإمساك عن الفعل

([١]) مقاييس اللغة ص ٤٩٩.

مطعمًا كان أو كلامًا أو مشيًا ؛ لذلك قيل للفرس الممسك عن السير أو العلف صائم ... وقيل للريح الراكدة صوم ، ولاستواء النهار تصورًا لوقوف الشمس في كبد السماء)) [1]

وذكر أهل الوجوه أنَّ الصوم في القرآن الكريم على وجهين :

الأول : الصوم الشرعي المعروف كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾{البقرة : ١٨٣}

والثاني : الصمت ، كقوله تعالى : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾{مريم : ٢٦}[2]

لا يصح هذان الوجهان من عدة جهات ، الأولى : أنَّ الصوم الشرعي هو من وضع الشرع لا من وضع اللغة ، والثانية : أنَّه اسم منقول من الصوم الذي بمعنى : الإمساك عن الفعل ، والثالثة : أنَّه تبيَّن من تعريف أهل اللغة للصوم أنَّ الصمت يعني الصوم بعينه ، ومع ذلك فلو جُعِل الصمت غير الصوم فهو وجه مختلق عن طريق دراسته دراسة معكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يُسمِّ الصوم بالصمت ليكون وجهًا له كما فعل مَن هم مِن أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما ((سمَى الصمت صومًا)) [3] كما صرَّح العسكري نفسه بذلك ؛ لذا فهو بمعنى الوجه الأول .

٢٢-الطير : قال الدامغاني : ((تفسير الطائر على تسعة أوجه : الشدة والرخاء ، والكتاب ، والطير بعينه ، والهدهد ، والخفاش ، وما أتى من قبل البحر ، والطاووس والديك والغراب والبط ، وسائر الطيور ، والدجاج والدراج :

([1]) المفردات ص ٣٠١-٣٠٢ .

([2]) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٠٧ ووجوه القرآن للحيري ص ٢٧٦ونزهة الأعين ص ١٧٥ ومنتخب قرة العيون ص ١٥٧-١٥٨ .

([3]) الوجوه والنظائر ص ٢٠٧ .

فوجه منها ، الطائر يعني : الشدة والرخاء ، قوله سبحانه في سورة يس : (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ)[يس : ١٩} يعني : شدتكم ورخاؤكم ، نظيره في سورة النمل : (قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ)[النمل : ٤٧} مثلها في سورة الأعراف : (أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ)[الإعراف : ١٣١}

والوجه الثاني ، الطائر ، يعني : الكتاب ، قوله تعالى في سورة بني إسرائيل : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ)[الإسراء : ١٣}

والوجه الثالث ، الطائر يعني : الطائر بعينه ، قوله سبحانه : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم)[الأنعام : ٣٨} يعني : ولا طير من سائر الطيور .

والوجه الرابع ، الطير ، يعني الهدهد ، قوله تعالى : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ)[النمل : ٢٠} يقال : تفقد الطيور

والوجه الخامس ، الطير : الخفاش ، قوله سبحانه في قصة عيسى : (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي)[المائدة : ١١٠} يعني : الخفاش .

والوجه السادس ، الطير : ما أتى من قبل البحر ، قوله سبحانه في سورة الفيل : (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ)[الفيل : ٣}

والوجه السابع ، الطير : الطاووس والديك والغراب والبط قوله سبحانه في سورة البقرة : (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ)[البقرة : ٢٦٠}

والوجه الثامن ، الطير يعني : سائر الطيور ، قوله سبحانه : (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ)[الملك : ٢٠}

والوجه التاسع ، الطير يعني الدجاج والدراج قوله سبحانه في سورة الواقعة : (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ)(الواقعة : ٢١} يعني : الدجاج والدراج))[١] وجعل الحيري الوجه الأخير بمعنى : طير الجنة [٢]

قال ابن فارس : ((الطاء والياء والراء أصل واحد يدل على خفة الشيء في الهواء ، ثم يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة ، ومن ذلك الطير جمع طائر ، سُمِّي ذلك لما قلناه ، يقال : طار يطير طيرانًا ، ثم يقال لكل من خفَّ قد طار)) [٣] ((فجمع الطائر طير كراكب ورَكْب ... وقد يُجمع على طيور وأطيار)) [٤]

((ومن المجاز : الطائر : ما تيمَّنتَ به أو تشاءمتَ ، وأصله في ذي الجناح ، وقالوا للشيء يُتَطيَّر به من الإنسان وغيره ، طائر الله لا طائرك ، معناه : فعل الله وحكمه لا فعلك ... وجاء في الشر : (أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ)(الإعراف : ١٣١} أي : الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة ... وقيل : الطائر : عمل الإنسان الذي قُلِّده خيره وشره وقيل : رزقه ، وقيل : شقاوته وسعادته وبكل منها فُسِّر قوله تعالى : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا)(الإسراء : ١٣}))[٥]

جعَلَ الطائر في الوجه الأول بمعنى الشدة والرخاء ، وقد استعير الطائر لمعنى هذا الوجه فقد تقدم قول أهل اللغة : ((ومن المجاز : الطائر :

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٣١٦-٣١٧ .

(٢) ينظر : وجوه القرآن ص ٢٩٤-٢٩٦ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٤٢.

(٤) بصائر ذوي التمييز ٥٣٣/٣.

(٥) تاج العروس ٢٣٨/١٢.

ما تيمَّنتَ به أو تشاءمتَ ، وأصله في ذي الجناح ، وقالوا للشيء يُتَطيَّر به من الإنسان وغيره))

وجعلّ الطائر في الوجه الثاني بمعنى الكتاب في قوله تعالى : ((وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ) والصحيح أنَّ المراد منه العمل ، قال ابن قتيبة في تفسير هذه الآية : ((قال أبو عبيدة : حظه [1] ، وقال المفسرون : ما عمل من خير أو شر ألزمناه عنقه ... والمعنى فيما أرى ، والله أعلم ، أنَّ لكل امرئ حظًّا من الخير والشر قد قضاه الله عليه فهو لازم عنقه ، والعرب تقول لكل ما لزم الإنسان قد لزم عنقه ... وإنَّما قيل للحظ من الخير والشر طائر : جرى له الطائر بكذا من الخير ، وجرى له الطائر بكذا من الشر على طريق الفأل)) [2] وقال ابن الجوزي : ((وفي الطائر أربعة أقوال ، أحدها : شقاوته وسعادته ...والثاني : عمله ... والثالث : أنَّه ما يصيبه ... والرابع ما يُتطيَّر من مثله من شيء عمله ، وذكر العنق عبارة عن اللزوم له كلزوم القلادة العنق من بين ما يلبس ، وقال ابن الأنباري : الأصل في تسميتهم العمل طائرًا أنَّهم كانوا يتطيرون من بعض الأعمال)) [3] وقال الحلبي : ((والطائر كل ذي جناح يسبح في الهواء ... قيل : لم يُخْلَق من الطير غير الخفاش ، وكان يطير ثم يقع لا ينسل ، قوله تعالى : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا)(الإسراء : ١٣} أي : عمله الذي طار عنه من خير وشر ، وقوله تعالى : (فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ)(الإعراف : ١٣١}أي : يتشاءموا به ،

---

(١) ينظر : مجاز القرآن ص ١٤٢.

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٢٥٢

(٣) زاد المسير ١٢/٥ .

وأصله أنَّ الرجل منهم كان إذا أراد أمرًا نقر الطير ، فإن أخذ الطير يمينًا تفاءلوا به ، وإن أخذ يسارًا تشاءموا به ... ويقال لطائر اليمين السانح وللآخر البارح))[1] وهذا الوجه كالوجه الأول مستعار ، فقد تقدم قول ابن فارس : ((الطاء والياء والراء أصل واحد يدلّ على خفّة الشيء في الهواء ، ثم يستعار ذلك في غيره)) فالوجه الأول والثاني يدخلان في باب المجاز لا في باب الوجوه

وجعل الطير في الوجه الرابع بمعنى الهدهد في قوله تعالى : ((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ)

وهذا شاهد مقطوع عما بعده ، فهو ضمن قوله تعالى : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ){النمل : ٢٠} قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((وكان سبب تفقده الطير ، وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ... وعن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال : كان سليمان بن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره ، حتى إذا كان ذات غداة في بعض زمانه غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فتفقد الطير ، وكان فيما يزعمون يأتيه نوبًا من كل صنف من الطير طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلّا الهدهد ، فقال : ما لي لا أرى الهدهد)) [2]

وقال الواحدي : (((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) التفقد طلب ما غاب عنك ، والطير اسم جامع للجنس ، وكانت الطير تصحب سليمان في سفره ، والمعنى : أنَّه طلب ما فقد من الطير)) [3] وقال الشوكاني : ((والتفقد تطلب ما غاب عنك

---

(١) عمدة الحفاظ ٤٣١/٢ .

(٢) جامع البيان ١٦٤/١٩-١٦٥.

(٣) الوسيط ٣٧٣/٣.

وتعرف أحواله ، والطير اسم جنس لكل ما يطير)) [١] وقال الآلوسي : ((أي : أراد معرفة الموجود منها من غيره ، وأصل التفقد معرفة الفقد ، والظاهر أنَّه عليه السلام تفقد كل الطير ... وكان يأتيه من كل صنف واحد فلم ير الهدهد)) [٢]

تبين أنَّ المعنى الذي اتفق عليه المفسرون أنَّه تفقد أجناس الطيور كلها جنسًا جنسًا كالهدهد والغراب والنسر والقطا وغيرها وما أكثر أجناسها فلم يجد من بينها جنس الهدهد ، فالطير اسم جامع لهذه الأجناس والهدهد واحد منها ، فإذا كان هذا هو المعنى المُجمع عليه فإنَّه لا يصح أن نجعل الطير بمعنى الهدهد ؛ لأنَّه لا يصح أن نجعل الجمع بمعنى المفرد ، فقد فسَّر البيضاوي مثلًا الآية بقوله : (((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) وتعرَّف الطير فلم يجد فيها الهدهد)) [٣] فكيف يصح أن نجعل الطير بمعنى الهدهد ؛ لأنَّه كيف يصح أن يكون المعنى : وتعرَّف الهدهد فلم يجد فيها الهدهد .

وقد جعل الطير في الوجه الثالث بمعنى الطائر بعينه ، وجعله في الوجه الثامن بمعنى : سائر الطيور ، والمعنى واحد

ومما لا شك فيه أنَّ ما ذكره الدأمغاني يُعدُّ من أنواع الطير ، والوجوه الحقيقية هي التي لا تكون علاقتها باللفظ علاقة الشيء بأنواعه ، والطير اسم جنس يطلَق على كل ذي جناح ، وكل نوع من أنواعه يُسمَّى طيرًا ؛ لأنَّ أنواعه معان خاصة تدخل ضمن معناه العام ، وقد اتخذ أصحاب كتب الوجوه مما جاز تسميته بالطير وجوهًا للطير ، وهذه التسمية وإن جازت لم تكن مرادة ، ومع ذلك فلو صحت إرادتها فهي وجوه مختلقة

---

(١) فتح القدير ١٦٣/٤ .

(٢) روح المعاني ١٧٧/١٠ .

(٣) أنوار التنزيل ١٥٧/٤.

عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يسمِّ الطير بالهدهد ، والخفاش ، وما أتى من قبل البحر ، والطاووس والديك والغراب والبط ، والدجاج والدراج ، كما فعل مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل نوع من هذه الأنواع بالطير ؛ لأنَّ كلَّ نوع منها تتمثل فيه دلالته ؛ ولأنَّ الخاص يوصف ويُسمَّى بالعام ولا يوصف ويُسمَّى العام بالخاص ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، والحقيقة أنَّ الطير أينما ورد في القرآن الكريم أريد به الطير بعينه وجعلها في شاهد كل وجه بمعنى نوع من أنواعه تحريف لدلالته ؛ لأنَّه لو أريد واحد من أنواعه لذكره بلقظه .

٢٣-**العذاب** : ذكر الدامغاني والفيروزآبادي للعذاب اثني عشر وجهًا ، وهي :

الوجه الأول : العذاب يعني حدّ الزنا كقوله تعالى : ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾{النور : ٢}

الوجه الثاني : العذاب يعني المسخ كقوله تعالى : ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾{الأعراف : ١٦٥} يعني بمسخ

الوجه الثالث : العذاب يعني سلب المال وإهلاكه ، كقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾{القلم : ٣٣}

الوجه الرابع : العذاب يعني العقوبة في الدنيا ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾{الأنعام : ٦٥}

الوجه الخامس : العذاب يعني القتل ، كقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾{الحشر :٣}

الوجه السادس : العذاب يعني عذاب القبر ، كقوله تعالى : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾{السجدة : ٢١}

الوجه السابع : العذاب يعني العقوبة في الآخرة ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾{الفرقان : ٦٥}

الوجه الثامن : العذاب يعني الجوع سبع سنين ، كقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾{المؤمنون : ٦٤}

الوجه التاسع : العذاب يعني نتف الريش وقصّ الجناح ، كقوله تعالى : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾{النمل : ٢١} يعني : لأنتفنّ ريشه[١]

أهذه الأوجه هي أوجه العذاب أم هي أنواعه وأمثلته ؟! وأنواع العذاب كثيرة جدًّا قد لا تعدُّ ولا تُحصى ؛ لذلك وجدنا ابن الجوزي يذكر أنواعًا أخرى من العذاب غير التي ذكرها الدامغاني ، وهي :

الوجه العاشر : العذاب يعني الغرق ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾{نوح : ١}

الوجه الحادي عشر : العذاب يعني الضرب المؤلم ، كقوله تعالى : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾{يس : ١٨}

الوجه الثاني عشر : تعب الخدمة ، كقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾{سبأ : ١٤}[٢]

فالعلاقة بين العذاب وهذه الوجوه ليست علاقة لفظ مشترك بوجوهه ، بل هي علاقة اللفظ بأنواعه وأمثلته ، فالعذاب اسم جنس أو لفظ عام ، فتكون الوجوه التي ذكرها الدامغاني وابن الجوزي مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يصف ويسمِّ العذاب بمعاني الوجوه المذكورة كما فعل مَن هما من أصحاب كتب الوجوه ؛ بل وصف وسمَّى كلًّا منها بالعذاب ؛ لأنَّها معان خاصة والعذاب معنى عام ، والخاص يوصف

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٠٨-٢٠٩ ومنتخب قرّة العيون ص ١٧٨-١٧٩

ويُسمَّى بالعام ، ولا يوصف ويُسمَّى العام بالخاص ، فهي جميعها وجه واحد ، لأنَّه يجمعها معنى واحد ، أي هي جميعها بمعنى العذاب ، وليس العذاب بمعانيها .

٢٤-**الفتى** : ذكر الدامغاني أنّ الفتى في القرآن الكريم على ستة أوجه ، هي :

الوجه الأول : الفتى يعني يوشع بن نون ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾{الكهف : ٦٠}

الوجه الثاني : الفتى يعني إبراهيم عليه السلام ، كقوله تعالى : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾{الأنبياء : ٦٠}

الوجه الثالث : الفتيان يعني وكلاء يوسف عليه السلام ، كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾{يوسف : ٦٢}

الوجه الرابع : الفتيان يعني الغلامين صاحبي السجن ، كقوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾{يوسف : ٣٦}

الوجه الخامس : الفتية يعني أصحاب الكهف ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾{الكهف : ١٣}

الوجه السادس : الفتيات يعني الإماء ، كقوله تعالى : ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾{النساء : ٢٥} يعني : من إمائكم[١]

الفتى : اسم جنس ولفظ عام ، وهو هنا وأينما ورد في كتاب الله يعني الفتى بعينه ، أمّا الأوجه الستة المنسوبة إليه فقد اختلقها الدامغاني عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يصف ويسمِّ الفتى بمعاني الأوجه المذكورة كما فعل مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه ؛ بل وصفَ

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٧٠

وسمَّى كلًّا منها بالفتى ؛ لأنَّها معان خاصة والفتى معنى عام ، والخاص يوصف ويُسمَّى بالعام ، ولا يوصف ويُسمَّى العام بالخاص ، فهي جميعها وجه واحد ، لأنَّه يجمعها معنى واحد ، أي هي جميعها بمعنى الفتى ، وليس الفتى بمعانيها .

٢٥-**القارعة** : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ القارعة في القرآن على وجهين :

الوجه الأول : سرية السبايا ، كما قال الحيري ، أو السرية ، كما قال الدامغاني ، أو الداهية ، كما قال ابن الجوزي ، كقوله تعالى : (تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ){الرعد : ٣١} أي : تصيبهم سرية

الوجه الثاني : القيامة ، كقوله تعالى : (الْقَارِعَةُ {١} مَا الْقَارِعَةُ {٢} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ){القارعة : ١-٣}[١]

قال الخليل : ((والقارعة : القيامة ، والقارعة : الشدة ، وكلّ شيء قرعته فقد ضربته)) [٢] وقال ابن فارس : ((القاف والراء والعين ، معظم الباب ضرب الشيء ، يقال : قرعتُ الشيء أقرعُه ...والقارعة : الشديدة من شدائد الدهر ؛ وسميتْ بذلك ؛ لأنَّها تقرع الناس ، أي : تضربهم بشدتها ، والقارعة : القيامة ؛ لأنَّها تضرب وتصيب الناس بإقراعها)) [٣]وقال الراغب : ((القرع : ضرب شيء على شيء ، قال تعالى : (الْقَارِعَةُ {١} مَا الْقَارِعَةُ){القارعة : ١-٢}))[٤]

([١]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص٣٤٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٨٥ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص٢٢٦

([٢]) العين ص ٧٨١

([٣]) مقاييس اللغة ص ٧٦٨

([٤]) المفردات ص ٤١٧ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢٢٩/٣

يتبيَّن من كلام أهل اللغة أنَّ القارعة صفة عامة يوصف بها كلّ ما جاز وصفه بها ، وكثيرًا ما يُحذف الموصوف وتقوم الصفة مقامه ، وهذه القضية مشهورة في كتب النحو ، قال الزمخشري : ((فصل إقامة الصفة مقام الموصوف : حق الصفة أن تصحب الموصوف ، إلّا إذا ظهر أمره ظهورًا يُستغنى معه عن ذكره ، فحينئذ يجوز تركه ، وإقامة الصفة مقامه)) [١] وقول ابن يعيش : ((اعلم أنَ الصفة والموصوف لمَّا كانا كالشيء الواحد ... كان القياس أن لا يُحذَف واحد منهما ... إلّا أنَّهم قد حذفوه إذا ظهر أمره ، وقويت الدلالة عليه ... وربما ظهر أمر الموصوف ، وعُرِف موضعه ، فيُستغنى عن ذكره البتة ، وتقع المعاملة مع الصفة ، وتصير الصفة كاسم الجنس الدال على معنى الموصوف))[٢] فالقارعة لا ترد إلّا صفة لموصوف معيَّن إذا عُرِف من خلال السياق ، أو لموصوف غير معيَّن ، فجعل القارعة بمعنى السرية ، أو الداهية في الوجه الأول في قوله تعالى : ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ تحريف لدلالتها من جانبين ، الأول : عدم جعل القارعة بمعناها ، بل بمعنى الموصوف بها ، والثاني : أنَّه أريد أن تكون القارعة صفة لموصوف عام غير معيَّن ، فمن التحريف الدلالي قصر موصوفها على السرية أو الداهية ، وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل القارعة بمعنى الداهية في قوله تعالى : ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ قال في تفسيره : ((فأمّأ القارعة ... وفي المراد بها قولان :

أحدهما : أنَّها عذاب من السماء .

---

(١) ينظر : المفصل في علم العربية ص ١٥٠-١٥٥

(٢) ينظر : شرح المفصل ٢/٢٥٣-٢٥٧

والثاني : السرايا والطلائع التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم)) [1] فما عيَّنه في باب الوجوه لم يعيِّنه في باب التفسير

وكذلك جعلهم القارعة في الوجه الثاني بمعنى القيامة في قوله تعالى : (الْقَارِعَةُ {١} مَا الْقَارِعَةُ {٢} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ) فالقارعة هنا لا تعني القيامة بل هي صفة لها ، وقد عُرِف هذا الموصوف وتعيَّن من خلال السياق ، والقرآن الكريم لم يذكر القيامة إلّا بصفة من صفاتها ، فإذا ذكر لفظ القيامة مثلًا فقد أراد أن تكون مصدر قام ، وأراد معنى قيام الناس من قبورهم ووقوفهم بين يديه[٢] وكذلك إذا ذكر لفظ الساعة ، والساعة في الأصل تُطلق لمعنيين ، أحدهما : أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءًا ، وهي مجموع اليوم والليلة ، والثاني : أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار ، أو الليل ، ثمَّ استعيرت لاسم يوم القيامة ، فمعنى الساعة في كلِّ القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، والمراد أنَّها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم ؛ فلقلة الوقت الذي تقوم فيه القيامة سمَّاها ساعة[٣] وسميت الطامَّة ؛ لأنَّها من طمَّ الشيءَ : إذاعلاه وغمره وغلبه ، فالطامَّة سميت كذلك لأنَّها تغلب ما سواها[٤] وسميت بالصاخّة ؛ لأنَّها من الصخّ ، وهو الضرب بالحديد على الحديد ، وكلّ صوت من وقع صخرة على صخرة ونحوه ، وقد صخَّت تصخُّ فسميت بالصاخَّة ؛ لأنَّها تصخُّ الأسماع ، أي : تصمُّها فلا تسمع إلّا ما تُدعى به للإحياء[٥] وسميت بالغاشية ؛ لأنَّها تغشى

---

(١) زاد المسير ٢٥٤/٤

(٢) ينظر : لسان العرب ٢٢٩/١٢

(٣) ينظر : لسان العرب ٣٠٢/٧

(٤) ينظر : لسان العرب ١٤٦/٩

(٥) ينظر : لسان العرب ٢٠٦/٨

الناس وتغطيهم بأهوالها[1] وكذلك سميت بالقارعة لما تقدم ذكره ، فمن التحريف الدلالي جعل القارعة بمعنى القيامة ؛ لأنَّ لكلٍّ منهما دلالتها الخاصّة بها ، ولم يذكر لفظها إلّا لقصد ما تدلُّ عليه فجعل إحداها بمعنى الأخرى تحريف لدلالة كلٍّ منهما

٢٦-**القريــة** : ذكر أهل الوجوه أنَّ القريـة وردت فـي القرآن الكريم على عشرة وجوه :

الأول : مجتمـع النـاس فـي أي موضـع كـان ، أو جميـع القرى علـى الإطلاق ، كقوله تعالى : (وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا)[الإسراء : ٥٨}

الثاني : القرية يعني مكة ، كقوله تعالى : (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ)[محمد : ١٣}

الثالث : القرييتين يعني مكة والطائف ، كقولـه تعالى : (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[الزخرف : ٣١}

الرابـع : القريـة يعنـي أنطاكيـا ، كقولـه تعـالى : (وَاضْـرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ)[يس : ١٣}

الخـامس : القريـة يعنـي ديـر هرقل ، كقولـه تعـالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا)[البقرة : ٢٥٩}

السـادس : القريـة يعنـي أريحـا ، كقولـه تعـالى : (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ)[البقرة : ٥٨}

السابع : القرية يعنـي قريات لوط ، كقولـه تعالى : (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ)[العنكبوت : ٣٤}

---

(١) ينظر : لسان العرب ٥٣/١١

الثامن : القرية يعني نينوى ، كقوله تعالى : (فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ){يونس : ٩٨}

التاسع : القرية يعني أيلة ، كقوله تعالى : (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ){الأعراف : ١٦٣}

العاشر : القرية يعني مصر ، كقوله تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا){يوسف : ٨٢}[١]

قال ان فارس : ((القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع ، من ذلك القرية ، سُمِّيتْ قرية لاجتماع الناس فيها)) [٢] وقال الراغب : ((القرية : اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس)) [٣]

فالقرية اسم جنس ولفظ عام ، يُطلَق على كل موضع اجتمع فيه الناس ، كأسماء المواضع العشرة المذكورة فهي جميعها تدخل ضمن معناه العام ، وتُعدُّ من أنواعه ومعانيه الخاصة ، وقد اتخذ أصحاب كتب الوجوه مما جاز تسميته بالقرية وجوهًا للقرية ، وإن صحت هذه المواضع والأسماء العشرة أم لم تصح فهي وجوه مختلقة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يسمِّ القرية بهذه المواضع ؛ لتكون وجوهًا لها ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل موضع منها بالقرية ؛ لأنَّ كلَّ موضع منها تتمثل فيه دلالتها ؛ ولأنَّ الخاص يوصف ويُسمَّى بالعام ولا يوصف ويُسمَّى العام بالخاص ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، فالقرية أينما وردت في القرآن الكريم تعني القرية بعينها ولا وجوه لها فيه ، أمّا الوجوه المنسوبة فهي مختلقة بدراستها دراسة معكوسة

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣٣٨-٣٣٩ والوجوه والنظائر ص ٣٧٥-٣٧٦ ونزهة الأعين ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٧٠-٧٧١ .

(٣) المفردات ص ٤١٩.

٢٧-**الكتاب** : ذكر أصحاب كتب الوجوه للكتاب ثمانية عشر وجهًا :

الوجه الأول : القرآن الكريم ، كقوله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ){البقرة : ١-٢}

الوجه الثاني : التوراة ، كقوله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ){البقرة : ٥٣}

الوجه الثالث : الصحف ، كقوله تعالى : (وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ){البقرة : ٢١٣}

الوجه الرابع : العدة ، كقوله تعالى : (حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ){البقرة : ٢٣٥}

الوجه الخامس : اللوح المحفوظ ، كقوله تعالى : (وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ){الرعد : ٣٩}

الوجه السادس : الكتب كلّها ، كقوله تعالى : (وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ){آل عمران : ١١٩}

الوجه السابع : الكتابة ، كقوله تعالى : (وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ){البقرة : ١٥١}

الوجه الثامن : الزبور ، كقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ){الجاثية : ١٦}

الوجه التاسع : الفرض ، كقوله تعالى : (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا){النساء : ١٠٣}

الوجه العاشر : القضاء ، كقوله تعالى : (لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ){الأنفال : ٦٨}

الوجه الحادي عشر : ديوان الحفظة ، كقوله تعالى : (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ){المؤمنون : ٦٢}

الوجه الثاني عشر : كتاب بلقيس وسليمان ، كقوله تعالى : (اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ {٢٨} قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ){النمل : ٢٨-٢٩}

الوجه الثالث عشر : الإنجيل ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ){القصص : ٥٢}

الوجه الرابع عشر : المكاتبة ، كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ){النور : ٣٣)

الوجه الخامس عشر : الحساب ، كقوله تعالى : (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا){الجاثية : ٢٨}

الوجه السادس عشر : أعمال بني آدم ، كقوله تعالى : (كَلا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ){المطففين : ٧} وقوله تعالى : (كَلّا إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ){المطففين : ١٨}

الوجه السابع عشر : الرزق والأجل ، كقوله تعالى : (وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ){الحجر : ٤}

الوجه الثامن عشر : العلم ، كقوله تعالى : (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ){الروم : ٥٦}[1]

قال الخليل : ((الكتاب والكتابة : مصدر كتبتُ)) [2] وقال ابن فارس : ((الكاف والتاء والباء أصل صحيح يدلُّ على جمع شيء إلى شيء ، من ذلك الكتاب والكتابة ، ويقولون : كتبتُ البغلة : إذا جمعتُ شُفْرَي رَحِمها بحلقة٠٠٠والمُكاتَب : العبد يكاتبه سيده على نفسه ، قالوا : وأصله من

([1]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣٤٩-٣٥٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٩٨-٤٠٠ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٢٥٠-٢٥١وبصائر ذوي التمييز ٣٣٠/٤-٣٣١

([2]) العين ص٨٣٠

الكتاب ، يراد بذلك الشرط الذي يُكتَب بينهما)) [1] وقال الراغب : ((الكَتْبُ ضمُّ أديم إلى أديم٠٠٠وفي التعارف ضمُّ الحروف بعضها إلى بعض ، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ ، فالأصل في الكتابة النظم بالخطِّ ، لكن يستعار كلُّ واحد منهما للآخر ؛ ولهذا سُمِّيَ كلام الله ، وإن لم يُكتَب كتابًا ، والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه ، وفي قوله تعالى : (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء){النساء : ١٥٣} فإنَّه يعني صحيفة فيها كتابة ، ولهذا قال تعالى : (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاّ سِحْرٌ مُّبِينٌ){الأنعام : ٧} ويُعبَّر عن الإثبات ، والتقدير ، والإيجاب ، والفَرْض والعزم بالكتابة ، ووجه ذلك أنَّ الشيء يُراد ثم يقال ثم يُكتَب ، فالإرادة مَبْدأ والكتابة منتهى ، ثم يُعبَّر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى)) [2]

اختلق اصحاب كتب الوجوه الوجوه الثماني عشرة المذكورة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ؛ ذلك أنّهم جعلوا الكتاب بمعاني هذه الوجوه ، في حين أنّ المراد جعل هذه الوجوه بمعنى الكتاب ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، والتحريف الحاصل أنّهم لم يجعلوا الكتاب بمعناه بل بمعاني الموصوفات به ، هذا إن صحّت هذه الوجوه وإلّا فإنّ المراد من الكتاب الكتاب بعينه أينما ورد في كتاب الله .

فقد جعل أهل الوجوه الكتاب في الوجه الأول بمعنى القرآن الكريم ، في قوله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) جاء في التفسير : ((و(الْكِتَابُ) القرآن وسميِّ كتابًا ؛ لأنَّه جُمِع بعضه إلى بعض ، ومنه الكتيبة

([1]) مفاييس اللغة ص ٨٠١

([2]) المفردات ص ٤٤١-٤٤٢ وينظر : عمدة الحفاظ ٣/٣٧٠-٣٧٢

سُمِّيتْ بذلك لاجتماع بعضها إلى بعض ، ومنه : كتبتُ البغلة))[1] والفيروزآبادي الذي جعل الكتاب بمعنى القرآن في قوله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[2] قال قبل ذلك : و((قوله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ){البقرة : ١-٢} يعني القرآن سُمِّي كتابًا لما جُمِع فيه من القصص ، والأمر ، والنهي ، والأمثال ، والشرائع ، والمواعظ ، أو لأنَّه جُمِع فيه مقاصد الكتب المنزَّلة على سائر الأنبياء))[3] فالقرآن سمِّي بالكتاب ، ولم يُسمَّ الكتاب بالقرآن

وجعلوا الكتاب في الوجه الثاني بمعنى التوراة ، في قوله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((فيكون تأويل الآية حينئذ : وإذ آتينا موسى التوراة التي كتبناها له في الألواح ، وفرَّقنا بها بين الحق والباطل ، فيكون الكتاب نعتًا للتوراة أقيم مقامها استغناء به عن ذكر التوراة ، ثم عطف عليه بالفرقان ؛ إذ كان من نعتها ، وقد بينَّا معنى الكتاب فيما مضى من كتابنا هذا ، وأنَّه بمعنى المكتوب))[4] فالكتاب إذن لا يعني التوراة ، بل هو نعت للتوراة ، والتقدير : ذلك التوراة الكتاب ، أي : ذلك التوراة المكتوب ، لكن كثيرًا ما يُحذف الموصوف في اللغة وتقوم الصفة مقامه في الحكم والإعراب من دون الدلالة

وجعلوا الكتاب في الوجه الثالث بمعنى الصحف ، في قوله تعالى : (وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ){البقرة : ٢١٣} ولو صحَّ أنَّ الكتاب هنا بمعنى الصحف ، فقد سمَّاها بالكتاب ؛ لأنَّ ((الصحيفة هي التي يُكتَب فيها ،

([1]) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٠/١

([2]) بصائر ذوي التمييز ٣٣١/٤

([3]) بصائر ذوي التمييز ٣٢٩/٤

([4]) جامع البيان ٣٢٧/١

والجمع صحائف ، والصحف أيضًا ، كأنَّه جمع صحيف)) [1] وجعل الطبري (الْكِتَابَ) في هذه الآية بمعنى التوراة [2] فيكون كالوجه السابق ، وقال الواحدي : (((وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ) يعني الكتب ، والكتاب اسم جنس ، أريد به الجمع))[3]وقال ابن عطية : ((و(الْكِتَابَ) اسم جنس ، والمعنى : جميع الكتب)) [4] وقال القرطبي (((وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ) اسم جنس بمعنى الكتب))[5] فالمراد من الكتاب الكتاب بعينه .

وجعلوا الكتاب في الوجه الرابع بمعنى العدّة ، في قوله تعالى : (حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) ((وسُمِّيتْ العدّة كتابًا ؛ لأنَّها فرِضتْ بالكتاب ، يعني : حتى يبلغ التربُّص المكتوب عليها أجله ، أي : غايته))[6] فيكون المراد تسمية العدة بالكتاب ، لا تسمية الكتاب بالعدة ، أي : لو صحَّ هذا الوجه لكان المراد من الكتاب الكتاب بعينه .

وجعلوا الكتاب في الوجه الخامس بمعنى اللوح المحفوظ ، في قوله تعالى : (وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) ((واللوح المحفوظ منه نُسِخ القرآن وسائر الكتب ، فهو محفوظ عند الله محروس به من الشياطين ، ومن الزيادة فيه والنقصان منه))[7] هذا هو معنى اللوح المحفوظ ، أمَّا قوله تعالى : (وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) فقد فسَّره الطبري بقوله : ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : وعنده أصل الكتاب وجملته))[8]وقال الزجاج (((وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) أي : أصل

---

(1) مقاييس اللغة ص ٥٠٣ وينظر : المفردات للراغب ص ٢٨٥

(2) ينظر : جامع البيان ٤٠٦/٢

(3) الوسيط ٣١٦/١

(4) المحرر الوجيز ٢٨٦/١

(5) الجامع لأحكام القرآن ٢٧/٣

(6) مدارك التنزيل ص ١٢٣

(7) زاد المسير ٢٣٨/٨

(8) جامع البيان ٢٠٤/١٣

أصل الكتاب)) [1] ((وروى أبو الدرداء عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنَّه قال : إنَّ الله تعالى في ثلاث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت ، وروى عكرمة عن ابن عباس قال : هما كتابان ، كتاب سوى أمّ الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب لا يُغَيِّر منه شيئًا))[2] فالمراد من الكتاب الكتاب بعينه .

وجعلوا الكتاب في الوجه السادس بمعنى الكتب كلها ، في قوله تعالى : (وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ) وهذا يعني أنَّهم أبقوا الكتاب على معناه

وجعلوا الكتاب في الوجه السابع بمعنى الكتابة ، في قوله تعالى : (وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) وهذا يعني أيضًا أنَّهم أبقوا الكتاب على معناه ، فقد تقدم قول ابن فارس : ((الكاف والتاء والباء أصل صحيح يدلُّ على جمع شيء إلى شيء ، من ذلك الكتاب والكتابة)) وقول الراغب : ((والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه)) وفي كتب التفسير أنَّ الكتابه هنا تعني القرآن[3] والمعنى : أنَّه يعلِّمهم ((القرآن ما انطوى عليه من الحكمة الإلهية ، والأسرار الربانية))[4]

وجعلوا الكتاب في الوجه الثامن بمعنى الزبور ، في قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ) ولو صحَّ أنَّ المراد الزبور لكان من باب تسميته بالكتاب لِما تقدم ذكره في القرآن ، والتوراة .

وجعلوا الكتاب في الوجه التاسع بمعنى الفرض ، في قوله تعالى : (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) ولو صحَّ هذا الوجه فهو من

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ١٢٢/٣

(2) زاد المسير ٢٥٩/٤

(3) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه ٢٢٦/١ ومدارك التنزيل التنزيل ، تفسير النسفي ص ٨٧

(4) روح المعاني للآلوسي ٤١٧/١

الكتاب أيضًا ، فقد تقدم قول الراغب : ((ويُعبَّر عن الإثبات ، والتقدير ، والإيجاب ، والفَرْض ، والعزم ، بالكتابة ، ووجه ذلك أنَّ الشيء يُراد ثم يقال ثم يُكتَب ، فالإرادة مَبْدأ والكتابة منتهى ، ثم يُعبَّر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى)) [١] فقوله تعالى : (كِتَابًا مَّوْقُوتًا) معناه : ((مكتوبًا محدودًا بأوقات معلومة)) [٢]

وجعلوا الكتاب في الوجه العاشر بمعنى القضاء ، في قوله تعالى : (لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ولو صحَّ هذا الوجه فهو من الكتاب أيضًا ، بمعنى القضاء المكتوب ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((وكان الله قد كتب في أمِّ الكتاب المغانم والأسارى حلال لمحمد وأمّته ، ولم يكن أحلَّه لأمّة قبلهم٠٠٠قال تعالى : (لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ) يعني في الكتاب الأول أنَّ المغانم حلال لكم)) [٣]

وجعلوا الكتاب في الوجه الحادي عشر بمعنى ديوان الحفظة ، في قوله تعالى : (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) ((والدِّيوان : قال الأصمعي : وأصله فارسي ، وإنَّما أراد (دِيبان) و(ديوان) أي : الشياطين ، أي : كتاب يشبهون الشياطين في نفاذهم ، والدِّيُو هو الشيطان)) [٤] ((والدِّيوان مجتمع الصحف ، وهو فارسي معرَّب٠٠٠وهو الدفتر الذي يُكتّب فيه أسماء الجيش ، وأهل العطاء ، وأوَّل من دوَّن الدِّيوان عمر رضي الله عنه ، وهو فارسي مُعَرَّب)) [٥] ولم أجد أهل التفسير يستعملون هذا المصطلح ، قال الطبري في تفسير الآية : ((يقول : وعندنا كتاب أعمال الخلق بما

---

(١) المفردات ص ٤٤١-٤٤٢ وينظر : عمدة الحفاظ ٣/٣٧٠-٣٧٢

(٢) مدارك التنزيل ، تفسير النسفي ص ٢٥٠

(٣) جامع البيان ٥٣/١٠ وينظر : زاد المسير ٢٨٩/٣

(٤) المُعرَّب من الكلام الأعجمي للجواليقي ص ٧٨-٧٩

(٥) لسان العرب ٣٣٣/٥

عملوا من خير وشر)) [١]والمراد الكتاب أو المكتوب المحفوظ في اللوح المحفوظ[٢]

وجعلوا الكتاب في الوجه الثاني عشر بمعنى كتاب بلقيس وسليمان ، في قوله تعالى : (اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ {٢٨} قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) فأبقوا الكتاب على بابه

وجعلوا الكتاب في الوجه الثالث عشر بمعنى الإنجيل ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ) وهو من باب تسمية الإنجيل بالكتاب لِما تقدم ذكره في القرآن والزبور والتوراة

وجعلوا الكتاب في الوجه الرابع عشر بمعنى المكاتبة ، في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ) وهو من الكتاب ، فقد تقدم قول ابن فارس : ((والمُكاتَب : العبد يكاتبه سيده على نفسه ، قالوا : وأصله من الكتاب ، يراد بذلك الشرط الذي يُكتَب بينهما)) [٣]

وجعلوا الكتاب في الوجه الخامس عشر بمعنى الحساب ، في قوله تعالى : (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) وكلُّ أمَّة وكل إنسان يحاسب على أعماله المسجَّلة عليه أو له في كتاب ((وقوله تعالى : (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يعني إلى كتاب أعمالها)) [٤]

وجعلوا الكتاب في الوجه السادس عشر بمعنى أعمال بني آدم ، في قوله تعالى : (كَلّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) وقوله تعالى : (كَلّا إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) وهو من الكتاب ؛ لأنَّ أعمال بني آدم جميعها مكتوبة في

---

(١) جامع البيان ٤٥/١٢

(٢) ينظر : الوسيط للواحدي ٢٩٣/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٤٩/٥

(٣) مفاييس اللغة ص ٨٠١

(٤) الوسيط للواحدي ١٠٠/٤ وينظر مدارك التنزيل ص ١١٢١

كتاب ، والمعنى : ما كُتِب من أعمال الفجَّار في الكتاب الذي هو في سجين ، وما كُتِب من أعمال الأبرار في الكتاب الذي هو في عليين[١]

وجعلوا الكتاب في الوجه السابع عشر بمعنى الرزق والأجل ، في قوله تعالى : (وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ) وكل شيء مكتوب عند الله في كتاب ، فقوله تعالى : (كِتَابٌ مَّعْلُومٌ) معناه : ((مكتوب معلوم ، وهو أجلها الذي كُتِب في اللوح المحفوظ)) [٢]

وجعلوا الكتاب في الوجه الثامن عشر بمعنى العلم ، في قوله تعالى : (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ) قال الطبري : ((وقوله : (فِي كِتَابِ اللَّهِ) يقول : فيما كتب الله مما سبق في علمه أنّكم تلبثونه))[٣] فكل شيء مكتوب عند الله في كتاب ((قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأولَى قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى)){طه : ٥٢} وقال تعالى : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا {١٣} اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا){الإسراء : ١٣-١٤} وقال تعالى : (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا){الكهف : ٤٩}

والكتاب معنى عام ، والوجوه المنسوبة إليه معان خاصَّة ، وعلاقة الكتاب بكلِّ وجه منها ليست علاقة لفظ بمعناه ، بل هي علاقة تسمية ووصف ، أي : أنَّ أحدهما سُمِّي وَوُصِف بالآخر ، والمراد تسمية الوجوه ووصفها بالكتاب ، لا تسمية الكتاب ووصفه بالوجوه ؛ لأنَّ الخاصّ يندرج في العام ، ولا يندرج العام في الخاص ، وهم لمَّا جعلوا الكتاب بمعاني الوجوه

---

(١) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٢٢٠/٨ ومدارك التنزيل للنسفي ص ١٣٣١

(٢) مدارك التنزيل ص ٥٧٨

(٣) جامع البيان ٦٧/٢١

المذكورة ، فهذا يعني أنَّهم سموا الكتاب ووصفوه بهذه الوجوه في حين أنَّ المراد عكس ذلك ، وهو تسمية هذه الوجوه ووصفها بالكتاب ، فحرفوا بقلب التسمية وقلب المعنى المراد ، وهذا التحريف يكون إن صحت هذه التسمية ، وإلاَّ فإنَّ المراد من الكتاب في الحقيقة معناه الخاص به ، كما أنَّ المراد من كل وجه نُسِبَ إليه معناه الخاص به .

٢٨-**المطر** : ذكر أهل الوجوه أنَّ المطر في القرآن الكريم على وجهين ، هما :

١-المطر ، يعني الحجارة كقوله تعالى : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ)[الشعراء : ١٧٣]

٢-المطر : المطر بعينه ، الغيث ، كقوله تعالى : (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ)[النساء : ١٠٢][١]

قال ابن فارس : ((الميم والطاء والراء أصل صحيح فيه معنيان ، أحدهما : الغيث النازل من السماء ، والآخر جنس العدو ، فالأول : المطر ، وقال ناس : لا يقال أمطر إلّا في العذاب)) [٢] فقد عُرِّف المطر بأنَّه ((الماء المنسكب من السماء)) [٣] والذي أراه أنَّ المطر يعني ما ينسكب من السماء سواء كان ماء أم غير ماء ، فهو في الحقيقة اسم جنس أو لفظ عام إلّا أنَّه أصبحت له دلالتان خاصة تعني الماء النازل من السحاب ؛ لأنَّ هذا هو الغالب والأكثر حدوثه في الواقع ، لكن من دون أن يخرج عن دلالته العامة ، وهذا ما جاء في الوجه الثاني ، ودلالة عامة ، وهذا ما جاء في الوجه الأول في قوله تعالى : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ) فقد جاء

([١]) ينظر : وجوه القرآن ص ٣٨٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٢٧ ونزهة الأعين ص ٢٥٩-٢٦٠.

([٢]) مقاييس اللغة ص ٨٦٤ وينظر : المفردات للراغب ص ٤٩٠ .

([٣]) لسان العرب ٩٠/١١٤ .

المطر هنا بمعناه العام ، وجعلوه بمعنى الحجارة لما قاله الآلوسي : فقد قال في تفسير هذه الآية : ((أي : نوعًا من المطر غير معهود فقد كان حجارة من سجيل منضود كما صرح به في قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ)(هود : ٨٢}))[١] والجدير بالذكر أنَّ المطر تكرر في القرآن الكريم في سبعة مواضع ، جاء بمعنى غير الماء في ستة مواضع ، وبمعنى الماء النازل من السماء في موضع واحد ، وهو الشاهد المذكور في الوجه الثاني : (إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ) وقد ((سُمِّي ما أصابهم من الحجارة مطرًا ؛ لأنَّه نزل عليم من السماء)) [٢] فلو صح هذا الوجه فإنَّه وجه مختلق لدراسته دراسة معكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يُسَمِّ المطر بالماء النازل من السماء في شاهد الوجه الثاني ، ولم يُسَمِّه بالحجارة النازلة من السماء في شاهد الوجه الأول كما فعل من هم من أصحاب كتب الوجوه ، بل سمَّى كلًّا منهما بالمطر ، فهما وجه واحد ؛ لأنَّ كليهما بمعنى المطر ، وليس المطر بمعنييهما .

٢٩-الناس : ذكر الدامغاني وابن الجوزي للناس عشرة وجوه واتفقا على الشواهد نفسها .

الوجه الأول : الناس يعني إنسانًا واحدًا ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، كقوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا)(النساء : ٥٤}

والوجه الثاني : الناس ، يعني : الرسل خاصة ، كقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ)(البقرة : ١٤٣}

الوجه الثالث : الناس ، يعني : المؤمنين خاصة ، كقوله تعالى : (إِأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)(البقرة : ١٦١}

---

(١) روح المعاني ١١٦/١٠.

(٢) التحرير والتنوير ١٨٧/٢٩ .

والوجه الرابع : الناس ، يعني مؤمني أهل التوراة خاصَّة ، عبد الله بن سلام وأصحابه ، كقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ)[البقرة : ١٣]

والوجه الخامس : الناس ، يعني : بني إسرائيل ، كقوله تعالى : (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ [٣] مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ)[آل عمران : ٤]

والوجه السادس : الناس ، يعني أهل مصر ، كقوله تعالى : (لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ)[يوسف : ٤٦]

والوجه السابع : الناس ، يعني : أهل مكة خاصة ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[البقرة: ٢١]

والوجه الثامن : الناس ، يعني : جميع الناس ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ)[الحج : ١]

والوجه التاسع : الناس ، يعني به ربيعة ومضر ، كقوله تعالى : (ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[البقرة : ١٩٩]

والوجه العاشر : الناس ، يعني نعيم بن مسعود الأشجعي ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكم)[آل عمران : ١٧٣][1]

اختلق الدامغاني وابن الجوزي الوجوه العشرة المذكورة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ؛ ذلك أنّهما جعلا الناس بمعاني هذه الوجوه ، في حين أنّ المراد جعل هذه الوجوه بمعنى الناس ، فهي إذن جميعها وجه واحد

([1]) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٤١-٤٤٣ ونزهة الأعين ص ٢٩٢-٢٩٣ ومنتخب قرَّة العيون ص ٢٣١-٢٣٢

، والتحريف الحاصل أنّهما لم يجعلا الناس بمعناه بل بمعاني الموصوفات به ، هذا إن صحّت هذه الوجوه وإلّا فإنّ المراد من الناس الناس بعينه أينما ورد في كتاب الله .

فقد جعَلَ الدامغاني وابن الجوزي الناس في الوجه الأول بمعنى محمد صلى الله عليه وسلم ، في قوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) ولكلٍّ من الناس ، ومحمد ، صلى الله عليه وسلم ، معناه المعروف الذي لا اختلاف فيه ، ولا اختلاف أنَّ الفرق بينهما ظاهر ، فجعل الناس بمعناه تحريف ظاهر ، وهذه حقيقة ، وهي أنَّه لا يصحُّ أن يكون الناس محمدًا إلّا لسرٍّ في التعبير ، ولعلَّة بلاغية ، قال الواحدي : (((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) على معنى : بل يحسدون الناس ، يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم ؛ وإنَّما جاز أن يقع عليه لفظ الناس ، وهو واحد ؛ لأنَّه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون في جماعة))[1]

وهذا دليل على أنَّ دلالة الناس غير دلالة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّه لو كان الناس بمعناه لما احتاج إلى مسوغ ، ولعاد إليه الضمير مفردًا ، فلمَّا كان جمعًا ، دلَّ على أنَّه ليس هو المراد ، بل المراد الناس الدالّ على الجمع ، كما أنَّ هذا الوجه مختلَف فيه ، قال الطبري في تفسير الناس في هذه الآية : ((وأمَّا قوله : (النَّاسَ) فإنَّ أهل التأويل اختلفوا فيمن عنى الله به ، فقال بعضهم : عنى الله محمدًا صلى الله عليه وسلم خاصَّة٠٠٠وقال آخرون : بل عنى به العرب)) [2] وقال الزمخشري : (((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، على إنكار الحسد واستقباحه ، وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من

([1]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٦٧/٢

([2]) جامع البيان ١٦٦/٥-١٦٧ وينظر : المحرر الوجيز ٦٨/٢

النصرة والغلبة ، وازدياد العزّ والتقدم كلَّ يوم))[1] وقال الآلوسي : (((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) والمراد من الناس محمدًا صلى الله عليه وسلم ، أو المراد بهم العرب٠٠٠وقيل : المراد بهم جميع الناس الذين بُعِث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم من الأسود والأحمر))[2] ولا يصحُّ جَعْلُ ما اختلف فيه وجهًا ؛ لأنَّ الوجه ما تعيَّن معناه ، فإذا احتمل معنى آخر ، وتعددت فيه الأقوال خرج من باب الوجوه ودخل في باب التأويل ، أي : أنَّ تعدد الأقوال في الشيء يبطل كونه وجهًا ، وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الناس بمعنى محمد في قوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) [3] قال في تفسيره : ((وفي المراد بالناس ها هنا أربعة أقوال :

أحدها : النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم .

والثاني : النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر .

والثالث : العرب .

والرابع : النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والصحابة)) [4] فالوجه الذي قال به ابن الجوزي في باب الوجوه أبطله في باب التفسير .

وجعلا الناس في الوجه الثاني بمعنى : الرسل خاصة ، في قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) وهذا الوجه لم يصحّ وإن قال به بعض المفسرين كمقاتل الذي جعل قوله تعالى : (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) ((يعني : على الرسل ، هل بلَّغت الرسالة عن ربها أممهم)) [5] والذي ذهب إليه جمهور المفسرين ، أو أكثرهم أنَّ المعنى :

---

(١) الكشاف ٥١١/١

(٢) روح المعاني ٥٥/٣

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٢ ومنتخب قرَّة العيون ص ٢٣١

(٤) زاد المسير ٦٧/٢

(٥) تفسير مقاتل ٨٣/١

لتكونوا شهداء للرسل على أممهم ، فأبقوا الناس على معناه ؛ لأنَّ الأمم هي الناس ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((لتكونوا شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ٠٠٠عن مجاهد : لتكونوا شهداء لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، على الأمم : اليهود والنصارى والمجوس٠٠٠عن قتادة : لتكون هذه الأمَّة شهداء على الناس أنَّ الرسل قد بلَّغتهم))[١] وقال الزجاج : ((وتأويل : (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) فيه قولان : جاء في التفسير أنَّ أمم الأنبياء تكذب في الآخرة إذا سُئلتْ عمَّن أُرسِل إليها ، فتجحد أنبياءها ، هذا فيمن جحد منهم في الدنيا ، فتشهد هذه الأمَّة بصدق الأنبياء وتشهد عليهم بتكذيبهم٠٠٠وإنَّما جازت هذه الشهادة ، وإن لم يكونوا ليعاينوا تلك الأمم ؛ لإخبار النبي صلى عليه وسلم ، فهذا قول ، وقال قوم : (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) محتجين على سائر مَن خالفكم)) [٢] أي : إمَّا أن تكون شهادتهم على أمم الأنبياء ، أي : على الناس من هذه الأمم ، وإمَّا أن تكون شهادتهم على سائر مَن خالفهم من الناس .

وقال الواحدي : ((قوله : (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد على جميع الأمم٠٠٠وقال ابن جريج : قلتُ لعطاء : ما معنى : (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) ؟ قال : أُمَّة محمد عليه الصلاة والسلام شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين حين جاءه الهدى والإيمان)) [٣] وقال الشوكاني : ((وقوله : (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) أي : يوم القيامة ، تشهدون للأنبياء على أممهم)) [٤]

---

(١) جامع البيان ١٣/٢-١٥

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩٢/١

(٣) الوسيط ٢٢٥/١

(٤) فتح القدير ١٨٩/١

وقد ذكر الطبري عن ((ابن الأكوع عن أبيه قال : كنا مع النبي فمُرَّ عليه بجنازة فأُثنيَ عليها بثناء حسن ، فقال : وجبتْ ، ومُرَّ عليه بجنازة أخرى فأُثنِيَ عليها دون ذلك فقال : وجبتْ ، قالوا : يا رسول الله ، ما وجبتْ ؟ قال : الملائكة شهداء الله في السماء ، وأنتم شهداء الله في الأرض ، فما شهدتم عليه وجَبَ)) [١] وهذا ما ((ثبت في صحيح مسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنَّه قال حين مرَّت به جنازة فأُثنِيَ عليها خيرٌ ، فقال : وجبتْ وجبتْ وجبتْ ، ثم مُرَّ عليه بأخرى فأُثنِيَ عليها شرٌّ، فقال : وجبتْ وجبتْ وجبتْ ، فقال عمر رضي الله عنه : فدًى لك أبي وأمِّي مُرَّ بجنازة فأثنِيَ عليها خيرٌ ، فقلتَ : وجبتْ وجبتْ وجبتْ ، ومُرَّ بجنازة فأُثنِيَ عليها شرٌّ ، فقلتَ : وجبتْ وجبتْ وجبتْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن أثنيتم عليه خيرًا وجبتْ له الجنَّة ، ومَن أثنيتم عليه شرًّا ، وجبتْ له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الارض ، أخرجه البخاري بمعناه ، وفي بعض طرقه في غير الصحيحين ، وتلا : (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ))) [٢] ؛ ولهذا فإنَّه لا يعقل قصر شهادتهم على الرسل ، كما أنَّه ما أريد الشهادة عليهم ، بل الشهادة لهم ، أي : أنَّ قوله تعالى : (لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) إمَّا أن يكون بتقدير : لتكونوا شهداء للرسل على الناس من أممهم ، أو من باب ((الشهادة على الأمم تكون لهم وعليهم ، ولكن اكتفى في الآية بتعديتها بـ(على) إشارة إلى أنَّ معظم شهادة هذه الأمَّة ، وأهمها شهادتهم على المعرضين ؛ لأنَّ المؤمنين قد شهد لهم إيمانهم)) [٣] فالله سبحانه جعل أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم ، شهداء على جميع الناس من الأمم السابقة الذين آمنوا برسلهم

---

(١) جامع البيان ١٤/٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١٩/٢

(٣) التحرير والتنوير ٢١/٢

وتبعوهم ، والذين كفروا بهم وعارضوهم فيكون المراد من الناس الناس بأعينهم وجعلهم بمعنى الرسل خاصَّة تحريف لدلالتهم

وجعلا الناس في الوجه الثالث بمعنى المؤمنين خاصة ، في قوله تعالى : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) قال الطبري في تفسير معنى الناس في هذه الآية : ((وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عنى الله بقوله : (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) أهل الإيمان به وبرسوله خاصَّة من دون سائر البشر٠٠٠وقال آخرون : بل ذلك يوم القيامة يوقف على رؤوس الأشهاد الكافر فيلعنه الناس كلّهم٠٠٠وقال آخرون : بل ذلك قول القائل كائنًا من كان : لعن الله الظالم ، فيلحق ذلك كلّ كافر ؛ لأنَّه من الظلمة٠٠٠وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا قول من قال : عنى الله بذلك جميع الناس٠٠٠وأمَّا ما قاله قتادة من أنَّه عنى به بعض الناس فقول ظاهر التنزيل بخلافه)) [1] وكان يجب تطبيق هذا المبدأ وإعمامه بأنَّ جعل اللفظ بغير ما يدلّ عليه ظاهر اللفظ في غير باب المجاز تحريف لدلالته ، وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الناس بمعنى المؤمنين في قوله تعالى : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [2] قال في تفسيره : ((فإن قيل : كيف قال : (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وأهل دينه لا يلعنونه ؟ فعنه ثلاثة أجوبة : أحدها : أنَّهم يلعنونه في الآخرة ، قال الله تعالى : (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا)(العنكبوت : ٢٥} وقال تعالى : (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا)(الأعراف : ٣٨} والثاني : أنَّ المراد ها هنا : المؤمنون٠٠٠والثالث : أنَّ اللعنة من الأكثر يُطلَق عليها :

([1]) جامع البيان ٢/٧١-٧٢

([2]) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٢

لعنة جميع الناس تغليبًا لحكم الأكثر على الأقل))[1] فما قاله ابن الجوزي في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، ذلك بعدم تعيينه

وجَعْلُ الناس بمعنى المؤمنين خاصَّة قول من عدة أقوال ، والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أحدها أو أضعفها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه لا تدخل في باب التحريف فحسب ، بل تدخل أيضًا في باب الخيانة العلمية في التفسير .

وجعلا الناس في الوجه الرابع بمعنى مؤمني أهل التوراة خاصَّة ، عبد الله بن سلام وأصحابه ، في قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ) قال الطبري : ((ويعني بـ(النَّاسُ) المؤمنين الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم٠٠٠وإنَّما أُدخلتْ الألف واللام في (النَّاسُ) وهم بعض الناس لا جميعهم ؛ لأنَّهم كانوا معروفين عند الذين خوطبوا بهذه الآية بأعيانهم٠٠٠فلذلك أُدخلت الألف واللام فيه كما أُدخلتا في قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكم){آل عمران : ١٧٣} لأنَّه أُشير بدخولها إلى ناس معروفين عند من خوطب بذلك))[2] فالمراد من الناس إذن جميع الصحابة الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وليس مؤمني أهل التوراة خاصَّة ، وها هو ابن الجوزي أيضًا الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الناس بمعنى مؤمني أهل كتاب التوراة في قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ) [3] قال في تفسيره : ((وفي المراد بالناس هنا ثلاثة أقوال : أحدها : جميع الصحابة ، قاله ابن عباس ، والثاني : عبد الله بن

([1]) زاد المسير ١/١٤٤-١٤٥

([2]) جامع البيان ١/١٤٧

([3]) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٢ ومنتخب قرَّة العيون ص ٢٣١

سلام ومَن أسلم معه قاله مقاتل ، والثالث : معاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن بن حضير ، وجماعة من وجوه الأنصار ، عدَّهم الكلبي))[١] فما قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، ذلك بعدم تعيينه

وجعلا الناس في الوجه الخامس بمعنى بني إسرائيل في قوله تعالى : (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ {٣} مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ) قال الطبري : ((ويعني بقوله : (هُدًى لِّلنَّاسِ) بيانًا للناس من الله فيما اختلفوا فيه من توحيد الله وتصديق رسله)) [٢] وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الناس بمعنى بني إسرائيل في قوله تعالى : (وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ {٣} مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ) [٣] لم يشر إلى هذا الوجه في تفسيره زاد المسير ، مما يعني أنَّه أهمل ما ذكره في كتابيه : نزهة الأعين ، ومنتخب قرَّة العيون ، وقال الواحدي : (((هُدًى لِّلنَّاسِ) هاديين لمن آمن بهما إلى طريق الحق))[٤] وقال ابن عطية : (((هُدًى لِّلنَّاسِ) معناه دعاء ، والناس بنو إسرائيل في هذا الموضع ؛ لأنَّهما المدعوون بهما لا غير ، وإن أراد أنَّهما (هُدًى) في ذاتهما مدعو إليه فرعون وغيره ، فالناس عامٌّ في كلِّ مَن شاء حينئذ أن يستبصر))[٥] وقال ابن عاشور((و(لِّلنَّاسِ) تعريفه إمَّا للعهد ، وهم الناس الذين خوطبوا بالكتابين ، وإمَّا للاستغراق العُرفي ، فإنَّهما وإن خوطب بهما ناسٌ معروفون ، فإنَّ ما اشتملا عليه يهتدي به كلُّ مَن أراد أن يهتدي ، وقد

---

(١) زاد المسير ٢٨/١

(٢) جامع البيان ١٩٦/٣

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٣ ومنتخب قرَّة العيون ص ٢٣١

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤١٢/١

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٩٩/١

تهوَّد وتنصَّر كثير ممن تشملهم دعوة موسى وعيسى عليهما السلام)) [1] لذلك استعمل القرآن الكريم لفظ الناس ، ولم يستعمل لفظ بني إسرائيل ؛ لأنَّه ما أراد تحديدهم وتعيينهم ، فجعْلُ الناس بمعنى بني إسرائيل على سبيل القطع والتعيين في باب الوجوه تحريف لدلالة الناس وتحريف للمقصود من استعمال لفظه ؛ لأنّه لو استعمل لفظ (بني إسرائيل) وقال : هدى لبني إسرائيل ، لكان خلاف الواقع ؛ لأنَّ كثيرًا من بني إسرائيل قد تهوَّدوا ، وتنصَّروا ، ولقصر الهدى عليهم من دون غيرهم ، ولأنَّ القرآن الكريم أراد المهتدين من بني إسراشيل من دون مَن تنصَّروا وتهوَّدوا ، وأراد عدم قصر الهدى عليهم استعمل لفظ (الناس) ولم يستعمل لفظ (بني إسرائيل)

وجعلا الناس في الوجه السادس بمعنى أهل مصر في قوله تعالى : (لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) رجعتُ إلى كتب التفسير بدءًا بتفسير مفاتل المتوفى ١٥٠هـ وانتهاء بتفسير ابن عاشور المتوفى ١٩٥٠م فلم أجد من ذكر هذا الوجه إلا مقاتل فقال : (((لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ) يعني : أهل مصر ، ولم يذكره غيره إلّا البيضاوي ، فقال : (((لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ) أعود إلى الملِك ومَن عنده ، أو إلى أهل البلد ؛ إذ قيل : إنَّ السجن لم يكن فيه))[2] وجَعْلُ الناس بمعنى الملِك ومَن عنده كما ترى هو الأصحُّ حتى لو صحَّ ما قيل بأنَّ السجن كان خارج مصر ، لذلك عيَّنه أهل التفسير ولم يشيروا إلى قول مقاتل ، وكثير من المفسرين لم يذكروا المراد من الناس بل أبقوه على معناه كالطبري ، والزجاج ، قال الواحدي : (((لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ) يعني : الملك وأصحابه ، والعلماء الذين جمعهم لتعبير الرؤيا))[3]

---

(1) التحرير والتنوير ١١/٣

(2) أنوار التنزيل ١٦٦/٣

(3) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٦١٦/٢

وقال القرطبي : ((أي : الملك وأصحابه)) [١] وقال النسفي : ((الملك وأتباعه))[٢]وقال الشوكاني : ((أي : إلى الملك ومَن عنده من الملأ)) [٣] وقال ابن عاشور : ((والمراد بـ(النَّاسِ) بعضهم كقوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكم){آل عمران : ١٧٣} والناس هنا : هم الملِك وأهل مجلسه ؛ لأنَّ تأويل الرؤيا يهمُّهم جميعًا ؛ ليعلم الملك تأويل رؤياه ، ويعلم أهل مجلسه أنَّ ما عجزوا عن تأويله قد علمه مَن هو أعلم منهم ، وهذا وجه قوله تعالى (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ))) [٤] فهل بعد هذا يبقى أدنى شكٍّ بأنَّه ليس المراد من الناس أهل مصر كما زعم الدامامغاني وابن الجوزي ، بل المراد : الملك وأهل مجلسه ؟! وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الناس بمعنى أهل مصر في قوله تعالى : (لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) [٥] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) يعني : الملك وأصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه ، وفي قوله تعالى : (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) قولان : أحدهما : يعلمون تأويل رؤيا الملك ، والثاني : يعلمون بمكانك ، فيكون سبب خلاصك)) [٦] هذا ما قاله في زاده ولم يشر إلى ما قاله في نزهته ومنتخبه ، فابن الجوزي هنا في باب التفسير قد أنكر ما قاله في باب الوجوه وإن لم يصرِّح بهذا الإنكار .

وجعلا الناس في الوجه السابع بمعنى أهل مكة خاصَّة ، في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤٦/٩

(٢) مدارك التنزيل ص ٥٣٣

(٣) فتح القدير ٣٨/٣

(٤) التحرير والتنوير ٧٣/١٢

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٣ ومنتخب قرَّة العيون ص ٢٣٢

(٦) زاد المسير ١٧٨/٤

لأنَّ هذه الآية نزلت في مكَّة ، وغير أهل مكة غير مشمولين بهذا الخطاب ؟! يا سبحان الله ما هذا ؟! قال الواحدي : ((قوله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) عموم في كلِّ مكلَّف من مؤمن وكافر ، ويُروى عن الحسن وعلقمة : إنَّ (يا أيها الناس) خطاب لأهل مكة ، و (يا أيها الذين آمنوا) خطاب لأهل المدينة))[١] ((وهذا خطاب لمشركي مكة))[٢] كيف يصحُّ أن يقال بأنَّ الناس في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ) هم أهل مكة خاصة ؟! وكيف يصحّ أن يصدِّق به قائله ؟! والله سبحانه قد جعل القرآن الكريم دستورًا وتشريعًا للعالمين ، للعرب والأعاجم ، قال ابن عاشور : (((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ) نداء للناس كلّهم من المؤمنين وأهل الكتاب ، والمشركين الذي يسمعون هذه الآية من الموجودين يوم نزولها ، ومن يأتون بعدهم إلى يم القيامة)) [٣] فالمراد من الناس جميع الناس ، وأكبر دليل على ذلك أنَّ الدامغاني وابن الجوزي أنفسهما قد جعلا الناس في الوجه الثامن بمعنى جميع الناس في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ){الحج : ١} مع أنَّ هذه الآية مكية أيضًا ، وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن جعل الناس بمعنى أهل مكة خاصة في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ) [٤] قال قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ) اختلف العلماء فيمن عنى بهذا الخطاب على أربعة أقوال : أحدها : أنَّه عامٌّ في جميع الناس ، وهو قول ابن عباس ، والثاني : أنَّه خطاب لليهود دون غيرهم ، والثالث : أنَّه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم ، والرابع : أنَّه

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٩٧/١

(٢) مدارك التنزيل ص ٣٣

(٣) التحرير والتنوير ١٣٥/١٧

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٣

خطاب للمنافقين واليهود))[1] فتأمَّل أنَّه ذكر في الزاد أربعة أقوال لمعنى الناس ، ليس من بينها الوجه الذي قال به في النزهة ، وها يعني أنَّه في باب التفسير أنكر ما قاله في باب الوجوه ، وإن لم يصرِّح بهذا الإنكار .

ومما هو معلوم أنَّ آيات القرآن الكريم نزلتْ جميعها إمَّا في مكة ، وإمَّا في المدينة ، لكن من المعلوم أيضًا أنَّ خطاباتها العامة لا تخصُّ أهل مكة والمدينة من دون غيرهما ، قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ){الأنبياء : ١٠٧} وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ){سبأ : ٢٨} فقصر الخطاب العام على أهل مكة خاصَّة ؛ لأنَّ الآية التي تضمنت هذا الخطاب نزلت في مكة تحريف دلالي خطر ؛ لأنَّ الأخذ به والقياس عليه يعني إفراغ القرآن الكريم من عالميته وعمومه ، وإبطال كونه منهجًا ودستورًا للناس كافة حتى قيام الساعة

وجعلا الناس في الوجه التاسع بمعنى ربيعة ومضر ، في قوله تعالى : (ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، ومن المعنيُّ بالأمر بالإفاضة من حيث أفاض الناس ، ومن الناس الذين أُمروا بالإفاضة من موضع إفاضتهم ، فقال بعضهم : المعنيُّ بقوله (ثُمَّ أَفِيضُواْ) قريش ، ومن ولدته قريش الذين كانوا يسمون في الجاهلية الحمس (لتحمّسهم وتشددهم في الدين) أُمروا في الإسلام أن يفيضوا من عرفات ، وهي التي أفاض منها سائر الناس من غير الحمس ، وذلك أنَّ قريشًا ومن ولدته قريش كانوا يقولون : لا نخرج من الحرم ، فكانوا لا يشهدون موقف الناس بعرفة معهم ، فأمرهم الله بالوقوف معهم٠٠٠وقال آخرون : المخاطبون بقوله : (ثُمَّ أَفِيضُواْ)

([1]) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٣

المسلمون كلهم ، والمعني بقوله (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) من جمع وبـ(النَّاسُ) إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام)) [1] وقال الواحدي : ((وقوله : (ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) قال عامَّة المفسرين : كانت الحمس لا يخرجون من الحرم إلى عرفات ، إنَّما يقفون بالمزدلفة ، ويقولون : نحن أهل الله وسكان حرمه ، فلا نخرج من الحرم ولسنا كسائر الناس ، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات كما يقف سائر الناس ، حتى تكون الإفاضة معهم منها ، وبـ(النَّاسُ) في هذه الآية هم العرب كلّها غير الحمس)) [2] فها هو المراد بالناس وجعلهم ربيعة ومضر وحدهم تحريف للتفسير الصحيح ، وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الناس بمعنى ربيعة ومضر في قوله تعالى : (ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) [3] يقول في تفسيره : ((وفي المراد بـ(النَّاسُ) ها هنا أربعة أقوال : أحدها : جميع العرب غير الحمس ، والثاني : أنَّ المراد بالناس ها هنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، والثالث : أنَّ المراد بالناس آدم ، والرابع : أنَّهم أهل اليمن وربيعة كانوا يفيضون من عرفات)) [4] فما قاله ابن الجوزي في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، ذلك بعدم تعيينه وبجعله آخر الأقوال .

فجعل الناس بمعنى ربيعة ومضر قول من عدة أقوال ، بل هو آخر الأقوال وأضعفها ، والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أحدها أو أضعفها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه

([1]) جامع البيان ٢/٣٥١-٣٥٤

([2]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/٣٠٤

([3]) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٣ ومنتخب قرَّة العيون ص ٢٣٢

([4]) زاد المسير ١/١٨٣

الطريقة في اختلاق الوجوه لا تدخل في باب التحريف فحسب ، بل تدخل أيضًا في باب الخيانة العلمية في التفسير .

وجعلا الناس في الوجه العاشر بمعنى نعيم بن مسعود الأشجعي ، في قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكم) قال أبو عبيدة : ((وقع المعنى على رجل واحد ، والعرب تفعل ذلك ، فيقول الرجل : فعلنا كذا وفعلنا ، وفي القرآن الكريم : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)}القمر : ٤٩}))[١] وقال الواحدي : ((فذلك قوله : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) يعني نعيمًا ، فأطلق لفظ الناس على الواحد٠٠٠وقال السُّدِّي : (النَّاسُ) ها هنا المنافقون ، قالوا للمسلمين حين تجهَّزوا للمسير لميعاد أبي سفيان : إن أتيتموهم في ديارهم لا يرجع منكم أحد ، وقوله : (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكم) يعني أبا سفيان وأصحابه)) [٢] وقال ابن عطية : ((فـ(النَّاسُ) الأول ركب عبد القيس و(النَّاسُ) الثاني عسكر قريش)) [٣] وقال ابن عاشور : (((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) أي : الركب العَبْدِيُّون (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكم) أي : إنَّ قريشًا قد جمعوا لكم٠٠٠وقال بعض المفسرين وأهل العربية : إنَّ لفظ الناس هنا أطلق على نُعيم بن مسعود وأبي سفيان ، وجعلوه شاهدًا على استعمال الناس بمعنى الواحد ، والآية تحتمله ، وإطلاق لفظ الناس مرادًا به واحد أو نحوه مستعمل لقصد الإبهام ، ومنه قوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ)}النساء : ٥٤} قال المفسرون : يعني بـ(النَّاسَ) محمدًا صلى الله عليه وسلم))[٤] بل هو عندهم قول من عدة أقوال كما تقدم ، ومن المعلوم أنَّ دلالة الناس غير دلالة نُعيم بن مسعود ، فإن صحَّ إطلاق لفظ

([١]) مجاز القرآن ص ٥٢-٥٣

([٢]) الوسيط ٥٢٢/١-٥٢٣

([٣]) المحرر الوجيز ٥٤٢/١

([٤]) التحرير والتنوير ٢٨٥/٣

الناس عليه فإنَّه لا يكون هذا إلّا لعلَّة أرادها المتكلم ، وعندئذ يخرج هذا الوجه إن صحَّ من باب الوجوه ومن باب التفسير ، ويدخل في باب فنٍّ من فنون التعبير ، وفي أسلوب من أساليب البلاغة ، فقد تقدم قول ابن عاشور ((وإطلاق لفظ الناس مرادًا به واحد أو نحوه مستعمل لقصد الإبهام)) فلو صحَّ أنَّ القائل نُعيم بن مسعود لكان سر التعبير عنه بلفظ الناس لا باسمه وشخصه لقصد الإبهام ، لأنَّ المعنيَّ به صحابي جليل ، فأراد الله سبحانه أن يستر عليه ولا يفشي للناس فعلته ، وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الناس الأولى بمعنى نعيم بن مسعود ، في قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكم)[1] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) في المراد بالناس ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّهم ركْب لقيهم أبو سفيان ، قاله ابن عباس

والثاني : أنَّه نعيم بن مسعود .

والثالث : أنَّهم المنافقون)) [2]

فما قاله ابن الجوزي في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، ذلك بعدم تعيينه ، فجعل الناس بمعنى نعيم قول من عدة أقوال ، والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أحدها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه لا تدخل في باب التحريف فحسب ، بل تدخل أيضًا في باب الخيانة العلمية في التفسير .

ووجوه الناس هنا كوجوه الكتاب الذي تقدم ذكره ، أنَّه لو صحَّت هذه الأوجه لكانت علاقتها بالناس علاقة وصف وتسمية ، إلّا أنَّهما لمَّا جعلا الناس بمعاني الأوجه المنسوبة إليه ، فهذا يعني أنَّهما سميا ووصفا الناس

([1]) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٣ ومنتخب قرَّة العيون ص ٢٣٢

([2]) زاد المسير ٤٠٢/١

بمعاني الأوجه المذكورة ، بينما المراد تسمية ووصف معاني هذه الأوجه بالناس ، أي : هي جميعها بمعنى الناس ، وليس الناس بمعانيها ، فالتحريف الحاصل أنَّهما عكسا التسمية ، وقلباها رأسًا على عقب ، ويدخل هذا التحريف في باب عدم جعل الصفة بمعناها بل بمعانى الموصوفات بها ، وهذا هو التحريف الحاصل إن صحَّت هذه الوجوه كما قلتُ ، وإلاَّ فإنَّ المراد من الناس الناس بعينه ، ومعناه الخاص به ، وكذلك فإنَّ المراد من كلِّ وجه معناه الخاص به ، ودلالة الناس معروفة ، وكذلك دلالات الأوجه المنسوبة إليه : محمد صلى الله عليه وسلم ، والرسل ، والمؤمنون ، ومؤمنو أهل التوراة ، وبنو إسرائيل ، وأهل مصر ، وأهل مكة ، وربيعة ومضر ، ونعيم بن مسعود ، والفرق بين الناس ومعاني هذه الأوجه ظاهر ، فجعل الناس بمعانيها تحريف ظاهر

٣٠-**النعمة والفضل** : قال الدامغاني : (تفسير النعمة على عشرة أوجه : المنة ، ودين الله وكتابه ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، والثواب ، والغنى والمال ، والنبوة ، والرحمة ، والإحسان ، وسعة المعيشة ، والعتق .

فوجه منها ، النعمة يعني : المنَّة ، قوله تعالى في سورة الأحزاب : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)[الأحزاب : ٩} أي : منة الله عليكم .

والوجه الثاني ، النعمة ، يعني : الدين والكتاب ، قوله تعالى في سورة البقرة : (وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ)[البقرة : ٢١١} يعني دين الله وكتابه

والوجه الثالث ، محمد صلى الله عليه وسلم ، قوله تعالى في سورة النحل : (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ)[النحل : ١١٢} يعني بمحمد وكقوله تعالى : (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)[النحل : ٨٣} يعني محمدًا

والوجه الرابع ، النعمة : الثواب ، قوله تعالى : (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ){آل عمران : ١٧١}

والوجه الخامس ، النعمة يعني : المال والغنى ، قوله تعالى في سورة المزمل : (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا){المزمل : ١١}

والوجه السادس ، النعمة يعني : النبوة ، قوله تعالى في سورة الفاتحة : (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ){الفاتحة : ٧}

والوجه السابع ، النعمة : الرحمة ، قوله تعالى في سورة الحجرات : (فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً){الحجرات : ٨}

والوجه الثامن ، النعمة : الإحسان واليد ، قوله تعالى في سورة الليل : (وَمَا لاحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى){الليل : ١٩} يعني : من إحسان

والوجه التاسع ، النعمة : سعة المعيشة ، قوله تعالى : (فَأَمَّا الأنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ){الفجر : ١٥} يعني : وسَّع عليه معيشته .

والوجه العاشر ، النعمة : العتق ، قوله تعالى في سورة الأحزاب : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ){الأحزاب : ٣٧} بالعتق ، يعني : زيد بن حارثة))[١]

قال ابن فارس : ((النون والعين والميم فروع كثيرة وعندنا أنَّها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفِّه وطيب عيش وصلاح ، يقال : لله عليه نعمة ، منه النِّعمة (بكسر النون) : ما ينعم الله به على عبده من مال وعيش ، والنَّعمة (بفتح النون) : التنعم وطيب العيش)) [٢] وقال الراغب : ((النِّعمة : الحالة الحسنة ، وبناء النِّعمة بناء الحالة التي يكون عليها

([١]) الوجوه والنظائر ٤٤١-٤٤١ وينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٠ .

([٢]) مقاييس اللغة ص ٩٠٥ .

الإنسان ، والنَّعمة : التنعم وبناؤها بناء المرة كالضَّربة والشَّتمة ، والنِّعمة للجنس تقال للقليل والكثير)) [1]

جعلّ النعمة في الوجه الأول بمعنى المنَّة في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) والمنة ((اصطناع خير))[2] وبمعنى الثواب في الوجه الرابع في قوله تعالى : (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ){آل عمران : ١٧١} وبمعنى اليد والإحسان في الوجه الثامن في قوله تعالى : (وَمَا لاحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى) وهذه المعاني قريبة من معنى النعمة ، والألفاظ المتقاربة في معانيها أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، وأصحاب كتب الوجوه يثبتون في كل مرة أنَّهم كانوا يتعمدون عدم تحري الدقة والصواب في تفسير اللفظ القرآني الذي ينوون أن يختلقوا له ما شاء من الوجوه ، من ذلك مثلًا جَعْلُ النعمة وهي بصيغة الجمع في الوجه الثالث بمعنى محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ) وفي كتب التفسير أنَّ قوله تعالى : (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ) معناه : فكفرت بنِعَمِ الله ؛ لأنَّ (أنعم) جمع (نِعْمة) أو (نُعْم) كبُؤْس وأبْؤُس[3] وهذا هو الصحيح ؛ لأنَّه كيف يصح جعل الجمع بمعنى المفرد ؟! ومن ذلك أيضًا جَعْلُ النعمة في الوجه السادس بمعنى النبوة في قوله تعالى : (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) والصحيح أنَّ هذه النعمة غير مقصورة على النبوة ، والمراد في الحقيقة ما أنعم الله به على عباده المؤمنين به سواء كانوا أنبياء أم غير أنبياء ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين

([1]) المفردات ص ٥٢٢ .

([2]) مقاييس اللغة ص ٨٤١.

([3]) ينظر : جامع البيان ٢٢١/١٤ وزاد المسير ٣٨١/٤ وأنوار التنزيل ٣٤٢/٣ ومدارك التنزيل ص ٦١١ .

...وفي هذا دليل واضح على أن طاعة الله لا ينالها المطيعون إلّا بإنعام الله بها وتوفيقه إياهم لها ... فأضاف كل ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة إلى أنَّه إنعام منه عليهم)) [1] يؤيد ذلك قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ){يونس : ١٠٠} حتى إنَّ ابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في هذه الآية جعل النعمة بمعنى النبوة وقصرها على الأنبياء في النزهة [2] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (الذين أنعمت عليهم) قال ابن عباس : هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون)) [3] فما قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير .

والنعمة اسم جنس يُطلَق على كل ما أنعم الله به على عباده ، فهو لفظ عام ، واسم كل نعمة لفظ خاص يدخل ضمن هذ المعنى العام ، وقد اتخذ أصحاب كتب الوجوه مما جاز تسميته بالنعمة أوجهًا للنعمة ، وهذه التسميات وإن جازت لم تكن مرادة ، ومع ذلك فلو صحت إرادتها فهي وجوه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يسمِّ النعمة ، بدين الله وكتابه ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، والغنى والمال ، والنبوة ، والرحمة ، وسعة المعيشة ، والعتق ، كما فعل مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل نوع من هذه الأنواع بالنعمة ؛ لأنَّ كلَّ نوع منها تتمثل فيه دلالتها ؛ ولأنَّ الخاص يوصف ويُسمَّى بالعام ولا يوصف ويُسمَّى العام بالخاص ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، والحقيقة أنَّ النعمة أينما وردت في القرآن الكريم أريد بها النعمة بعينها ، وجعلها في شاهد كلّ وجه بمعنى نوع من أنواعها تحريف لدلالتها

([1]) جامع البيان ٨٨/١ .

([2]) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٩٠ .

([3]) زاد المسير ١٣/١ .

والنعمة : ما أنعم الله به على عبده ، كما عرفها ابن فارس ، ودين الله وكتابه ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، والغنى والمال ، والنبوة ، والرحمة ، وسعة المعيشة ، والعتق ، هذه الأمور السبعة ونحوها هي مما أنعم الله بها على عباده ، وهي ترتبط بالنعمة ارتباط الشيء بأنواعه لا ارتباط لفظ مشترك بوجوهه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنَّها تعني : ((ما ينعم الله به)) [1] ففي النعمة ثلاثة عناصر ، الأول المنعِم ، وهو الله سبحانه ، والثاني : المنعَم عليه ، وهو الإنسان ، والثالث : المنعَم به ، وهذه الأمور السبعة هي من أنواع النعمة أو معاني المنعّم به لا معاني النعمة ، فلا يصحّ أن تُعد وجوهًا ؛ لأنَّ الوجوه الحقيقية هي التي لا تكون علاقتها باللفظ علاقة الشيء بأنواعه وأمثلته ، وهذا عين ما حصل في الفضل ، وكنت قد أوجزت الكلام فيه في كتابي : لا وجوه ونظائر ، برقم ٣٤ وفاتني هناك أن أذكر هذه الحقيقة ، والوجوه التي ذكرها الفيروزآبادي ، فقد قال ما نصه : ((الفضل : ضد النقص ... وقد ورد الفضل وما يشتق منه على عشرين وجهًا في القرآن الكريم :

١–فضل الصورة والخِلقة : (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً){الإسراء : ٧٠}

٢–فضل قوم على آخرين في المنزلة والرتبة : (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ){البقرة : ٤٧}

٣–فضل بالنبوة والعلم : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ){النمل : ١٥}

٤–فضل معجزة وكرامة : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا){سبأ : ١٠}

([1]) مقاييس اللغة ص ٩٠٥ .

٥–فضل الأنبيا بعضهم على بعض : (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ)(الأنبياء : ٥٥} وهذا التفضيل فيه على نوعين خِلْقي وخُلُقي ، فالخِلْقي كما في آدم في الصفوة ، وفي نوح بالصلابة ، وفي إبراهيم بالخُلَّة ، والصدق والصداقة ، وفي يوسف بالصباحة ، وفي موسى بالملاحة ، وفي داود بالنغمة ، وفي سليمان في الفطنة ، وفي زكريا بالعبادة ، وفي يحيى بالطهارة ، وفي محمد بالفصاحة ، وأمَّا التفضيل الخُلُقي ففي آدم بالأسماء ، وفي نوح بإجابة الدعاء ، وفي إبراهيم بالذبيح والفداء ، وفي يوسف بتعبير الرؤيا ، وفي موسى بالمكالمة والاصطفاء ، وفي داود بتسخير الجبال والطير في الهواء ، وفي سليمان بتسخير الجنّ وريح الصَّبا ، وفي عيسى بإحياء الموتى ، وفي محمد بالقرآن ذي الضياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٦–فضل تأخير العذاب : (وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(النور : ١٤}

٧–فضل زيادة الثواب والكرامة : (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء)(الحديد : ٢٩}

٨–فضل المال والنعمة : (فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ)(التوبة : ٧٦}

٩–فضل البر والصدقة : (وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً)(البقرة : ٢٦٨}

١٠–فضل الرجال على النساء بالعقل والعلم والدين والشجاعة والإمامة والكتابة والفروسية والشهادة وقسمة الميراث والخطابة : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)(النساء : ٣٤}

١١–فضل النبوة والرسالة : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي

ضَلالٍ مُّبِينٍ {٢} وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٣} ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء)}الجمعة : ٢-٤}

١٢-فضل الظفر والغنيمة : (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ)}آل عمران : ١٧٤}

١٣-فضل الغزو والمجاهدة : (وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)}النساء : ٩٥}

١٤-فضل الغنى والنعمة : (وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ)}النحل : ٧١}

١٥-فضل الكسب والتجارة : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ)}البقرة : ١٩٨}

١٦-فضل الاختيار والمزية : (وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)}النساء : ١١٣}

١٧-فضل قبول التوبة والإنابة : (وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)}النور : ٢٠}

١٨-فضل إجابة الدعاء وقضاء الحاجة : (وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ)}النساء : ٣٢}

١٩-فضل القربة واللقاء والرؤية : (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا)}الأحزاب : ٤٧}

٢٠-فضل الإسلام والسنة والتوحيد والمعرفة : (إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء)}آل عمران : ٧٣}))[١]

٢١- ((الطاغوت ، كقوله تعالى : (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ)}هود : ٣} والفضل الآخر الدرجات)) [٢]

([١]) بصائر ذوي التمييز ١٩٦/٤-١٩٩ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣٣٠-٣٣١.

([٢]) وجوه القرآن ص ٣٣١ .

الوجه الأخير هو من الوجوه التي ذكرها الحيري للفضل ، فقد جعل الفضل بمعنى الطاغوت ، والمعنى أو التقدير : ويؤت كل ذي طاغوت فضله ، وهذا الوجه لم يُشَر إليه في كتب التفسير ، قال الطبري : ((وأمَا قوله تعالى : (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) فإنَّه يعني : يثيب كل من تقضَّل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره محتسبًا مريدًا به وجه الله ، أجزل ثوابه وفضله في الآخرة)) [١] وقال الواحدي : (((وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) نعطي كل ذي عمل صالح أجره وثوابه ... فضله ، يعني الجنة)) [٢] وقال البضاوي : (((وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة ، وهو وعد للموحِّد التائب بخير الدارين)) [٣]

فالوجه الذي ذكره الحيري غريب جدًّا لم أجده في كتب التفسير ، ولم يتبيَّن لي علاقته بالشاهد القرآني ولو من مكان بعيد

قال ابن فارس : ((الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدلّ على زيادة في شيء من ذلك : الفضل : الإحسان والزيادة ، والإفضال : الإحسان)) [٤] وقال ابن الجوزي : ((الفضل في الأصل : الزيادة ، ويستعار في مواضع تدلّ عليها القرينة)) [٥] وقد عرَّفه الفيروزآبادي كما تقدم بأنَّه ما كان ضد النفقص ، والفضل كالنعمة يتضمن ثلاثة عناصر : المتفضِّل وهو الله سبحان وتعالى ، والمتقضَّل عليه وهو الإنسان ، والمتفضَّل به وهو ما تفضَّل به الله على عباده ، والعشرون وجهًا التي ذكرها الفيروزآبادي جميعها هي من

---

(١) جامع البيان ٢٠٩/١١.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٥٦٣/٢ .

(٣) أنوار التنزيل ١٢٧/٣ . .

(٤) مقاييس اللغة ص ٧٣٩.

(٥) نزهة الأعين ص ٢٢٠ .

أنواع الفضل وأمثلته أو معاني ما تفضَّل به الله على الناس وليست معاني الفضل ، فالفضل ليس له إلا معنى واحد ، وهو المعنى الذي ذكره له أهل اللغة ، فلا يصح أن تُعد وجوهًا ؛ لأنَّ الوجوه الحقيقية هي التي لا تكون علاقتها باللفظ علاقة الشيء بأنواعه وأمثلته .

والفضل اسم جنس يُطلَق على كل نوع من أنواعه ، فهو لفظ عام ، واسم كل نوع لفظ خاص يدخل ضمن هذ المعنى العام ، واللفظ الخاص يُسمَّى باللفظ العام ، ولا يصح العكس ، وقد اتخذ أصحاب كتب الوجوه مما جاز تسميته بالفضل وجوهًا للفضل، وهذه التسميات وإن جازت لم تكن مرادة ، ومع ذلك فلو صحت إرادتها فهي وجوه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يسمِّ الفضل ، بحسن الصورة والخلقة ، والمنزلة والرتبة ، والنبوة والعلم والمعجزة والكرامة ، وغيرها من أنواع الفضل كما فعل الفيروزآبادي وأصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل نوع من هذه الأنواع بالفضل ؛ لأنَّ كلَّ نوع منه تتمثل فيه دلالته ؛ ولأنَّ الخاص يوصف ويُسمَّى بالعام ، ولا يوصف ويُسمَّى العام بالخاص ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، والحقيقة أنَّ الفضل أينما ورد في القرآن الكريم أريد بها الفضل بعينه ، وجعله في شاهد كل وجه بمعنى نوع من أنواعه تحريف لدلالته .

وصفوة القول في وجوه النعمة والفضل أنَّ جميع الوجوه المنسوبة إلى النعمة ليستْ معاني النعمة ، بل هي معاني المنعَم به من الله علينا سبحانه ، وما أنعم الله به علينا لا يُعدُّ ولا يُحصى ، وجميع الوجوه المنسوبة إلى الفضل ليستْ معاني الفضل ، وإنَّما هي معاني المتفَضَّل به علينا من الله سبحانه ، وما تفضَّل الله به علينا لا يُعدُّ ولا يُحصى .

الطريقة الخامسة : جعل اللفظ بمعاني صفاته

قلتُ قبل أن أبدأ بالطريقة الأولى : إنّ أصحاب كتب الوجوه غالبًا ما يتبعون طريقتين أو أكثر لاختلاق الأوجه للفظ الواحد ، لذلك سأعنَى في هذه

الحالة بدراسة الأوجه والطرائق المعنية من دون أن أهمل التعليق والتعقيب على الأوجه والطرائق الأخرى ، وقد حصل هذا كما رأيت في وجوه كثير من الألفاظ التي تقدّم ذكرها ، وطريقة جعل اللفظ بمعاني صفاته ، وغيرها من الطرائق كثيرًا ما تكون ضمن عدة طرائق اتبعوها في اختلاق وجوه اللفظ نفسه ، ومن المعلوم أنّه ما من لفظ إلّا وأمكن وصفه بصفات تناسبه ؛ لذا أمكن بهذه الطريقة أن نخلتق لكل لفظ وجوهًا ، ولو فعلنا لأحدثنا خلطًا وتداخلًا كبيرًا بين الصفة والوجه ، ومن أمثلة هذه الطريقة ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

١-**الرَّجل** : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الرجل في القرآن الكريم على سبعة عشر وجهًا :

الوجه الأول : رجل ، ومعناه شخص ، كقوله تعالى : (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)[الأحزاب : ٤] كأنَّه يقول : ما جعل الله لرجل ولا امرأة من قلبين في جوفه ، ولا صبي ولا مراهق ، ويقال : نزلت في أبي معمر جميل بن أسد

والوجه الثاني ، الرجل ، يعني أبا مسعود الثقفي والوليد بن المغيرة ، كقوله تعالى : (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[الزخرف : ٣١] يريدون أبا مسعود والوليد بن المغيرة .

والوجه الثالث ، الرجل يعني الآدمي ، كقوله تعالى : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ)[يونس : ٢] أي : آدمي مثلهم .

والوجه الرابع ، الرجل يعني حزبيل من آل فرعون كقوله تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ)[مؤمن : ٢٨] يعني مؤمن من آل فرعون وهو حزبيل .

والوجه الخامس ، رجلان أخوان من بني إسرائيل ، أحدهما مؤمن والآخر كافر ، وجعلهما ابن الجوزي بمعنى : يمليخا وفرطس [1] وجعلهما الفيروزآبادي بمعنى يهودا وفطروس[2] في قوله تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لاحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا){الكهف : ٣٢} .

والوجه السادس ، رجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، كقوله تعالى : (قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا){المائدة : ٢٣}

والوجه السابع ، رجل يعني حبيبًا النجار كقوله تعالى : (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى){يس : ٢٠} يعني به حبيبًا النجار.

والوجه الثامن ، رجل ، وهو حزقيل ، كقوله تعالى : (وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى){القصص : ٢٠} وهو حزقيل .

والوجه التاسع ، رجل يعني الوثن ، كقوله تعالى : (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){النحل : ٧٦} يعني ربه عز وجل .

الوجه العاشر ، رجلًا يعني الكافر ، كقوله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ){الزمر : ٢٩} هو المؤمن يعمل لله وحده .

الوجه الحادي عشر : الرجل بمعنى هود عليه السلام في قوله تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ){الأعراف : ٦٩}

([1]) ينظر : نزهة الأعين ص ١٤٣ .

([2]) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٤٢/٣

الوجه الثاني عشر : الرجل بمعنى نوح عليه السلام في قوله تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ){الأعراف : ٦٣}

الوجه الثالث عشر : الرجل بمعنى موسى عليه السلام في قوله تعالى : (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ){غافر : ٢٨}

الوجه الرابع عشر : الرجل بمعنى النبي محمد صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى : (إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا){الإسراء : ٤٧}

الوجه الخامس عشر : الرجل بمعنى الذكر ، كقوله تعالى : (ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا){الكهف : ٣٧}

الوجه السادس عشر : الرجل بمعنى الشاهد ، كقوله تعالى : (فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ){البقرة : ٢٨٢}

الوجه السابع عشر : الرجل ، أخ لأم ، كقوله تعالى : (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ){النساء : ١٢}[١]

قال ابن فارس : ((الراء والجيم واللام معظم بابه يدل على العضو الذي هو رِجل كل ذي رَجل ... والرَّجْل : الرَّجالة ... وإنَّما سُموا رِجالًا ؛ لأنَّهم يمشون على أرجلهم ، والرُّجال والرُّجالى : الرِّجال ، والرَّجْلان : الرَّاجل)) [٢] وقال الراغب : ((الرَّجُل مختص بالذكر من الناس)) [٣] استنادًا إلى أنَّه أقوى وأقدر من المرأة مشيًا على الأقدام ، قال العسكري : ((إنَّ قولنا رجل يفيد القوة على الأعمال ، ولهذا يقال في مدح الإنسان)) [٤] الذكر

([١]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٢٩-٢٣٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٤٠-٢٤٢ ونزهة الأعين ص ١٤٣-١٤٤وبصائر ذوي التمييز ٣/٤١-٤٣ .

([٢]) مقاييس اللغة ص ٣٧٣

([٣]) المفردات ص ١٩٦

([٤]) الفروق اللغوية ص ٣١٠ .

وتفضيله على المرأة بصفة الرجولة التي تمثل قوة الجسم ورجاحة العقل ، وهذا هو المعنى المراد من ذكر الرجل في القرآن الكريم ، وهو الظاهر من شواهد الوجوه المذكورة .

اختلق أصحاب كتب الوجوه الوجوه السبعة المذكورة بخمس طرائق :

الأولى : جَعْلُ اللفظ بمعاني صفاته ، فقد جعلوا (رجل) بمعاني المؤمن والكافر ، كما جاء في الوجه الخامس ، والعاشر ، والشاهد ، كما جاء في الوجه السادس عشر ، والأخ لأم ، كما جاء في الوجه السابع عشر ، فهذه المعاني هي من صفات الرجل لا من وجوهه .

الثانية والثالثة : جعْلُ النكرة بمعنى العَلَم المعرفة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى دراستها مع وجوهها الأعلامية دراسة معكوسة : فقد جعلوه بمعاني الأعلام في شواهد الوجوه التسعة : الثاني ، والرابع ، والسادس ، والسابع ، والثامن ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، الثالث عشر ، والرابع عشر ، وكيف يصحّ جعل النكرة بمعنى العلم المعرفة ؟! وقد ورد نكرة ؛ لأنّه أريد رجل ما ، من دون تعيين وتحديد .

فقد جعلوا مثلًا (رجل) في الوجه الرابع ، بمعنى حزبيل في قوله تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) وهو مختلف في اسمه فقيل : اسمه سمعان ، وقيل : سمعون ، وقيل : شمعان ، وقيل : حبيب ، وقيل : خربيل ، وقيل : حزبيل ، وقيل : جبريل[1] فكيف يصح جعل رجل بمعنى عَلَم مختلف فيه؟!

وجعلوا (رجل) في الوجه الثامن بمعنى (حزقيل) في قوله تعالى : (وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) ولا يصح هذا الوجه أيضًا لما تقدم ذكره ، وقد جاء القرآن الكريم بـ(رجلين) وبـ(رجل) بصيغة التنكير ؛ لأنَّه ليس

([1]) ينظر : زاد المسير ٧٧/٧ ومدارك التنزيل ص ١٠٥٧ .

المراد التعرّف إلى أسمائهم ، بل المراد التعرف إلى أعمالهم وقصصهم كائنًا من كانوا ؛ للاقتداء بهم وأخذ العبرة منهم

وجعلوا (رجل) في الوجه الحادي عشر بمعنى هود عليه السلام في قوله تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) وفي مجيء (رجل) نكرة دلالة على أنَّه ليس المقصود هودًا وحده ، بل أي رجل كان ، أي : بهذا التنكير أريد أن يكون المعنى : أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم سواء كان هودًا عليه السلام أم غيره ؟! فهو استفهام إنكاري لتعجب أي قوم كان من هذا الإيحاء في كل زمان ومكان .

وجعلوا (رجل) في الوجه الثاني عشر بمعنى نوح عليه السلام في قوله تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وفي مجيء (رجل) نكرة دليل أيضًا على أنَّه ليس المقصود نوحًا وحده ، بل أيّ رجل كان ، أي : بهذا التنكير أريد أن يكون المعنى : أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم سواء كان نوحًا عليه السلام أم غيره ؟! فهو استفهام إنكاري لتعجب أيِّ قوم كان من هذا الإيحاء .

وجعلوا (رجلًا) في الوجه الثالث عشر بمعنى موسى عليه السلام في قوله تعالى : (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) والقرآن الكريم عندما استعمل (رَجُلًا) بصيغة التنكير فقد أراد أيّ رجل كان ، سواء كان موسى عليه السلام أم غيره ، والمعنى : أتقتلون رجلًا يقول ربي اللهُ سواء كان موسى عليه السلام أم غيره ، ليكون الاستنكار من قتل هذا الرجل المتصف بهذه الصفة حكمًا عامًّا لا يخصّ موسى عليه السلام وحده .

وجعلوا (الرجل) في الوجه الرابع عشر بمعنى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا) ، و(رجل) نكرة

و(محمد) صلى الله عليه وسلم علم معرفة ، وجاء (رجل) بصيغة التنكير ؛ لأنَّهم أرادوا الرجل المسحور كائنًا من يكون هذا الرجل سواء كان محمدًا صلى الله عليه وسلم أم غيره .

والمراد من (رجل) في شواهد الوجوه (الأعلام) رجل ما من دون تعيين ؛ لأنَّه جاء بصيغة التنكير ، فلا يصح جعله بمعنى فلان وفلان ؛ لما ذكرتُه ، وحتى لو صح أنَّه قد أريد منه أسماء الأشخاص المذكورين فإنَّه لا يصح أن تُعدَّ وجوهًا له ؛ لأنَّ (رجل) اسم جنس نكرة يصحّ أن يُطلق على كل عَلَم من الذكور ، فهو لفظ عام واسم كل شخص لفظ خاص يندرج تحت معناه العام ، ومن المعلوم أنَّ اللفظ الخاص يُسمَّى ويوصف باللفظ العام ولا يصح العكس ، فالقرآن الكريم لم يسمِّ (رجل) بهؤلاء الأعلام كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كلّ عَلَم منها بـ(رجل) فهي إذن جميعها وجه واحد ؛ لأنّها جميعها بمعناه ، وليس هو بمعانيها ، فهي وجوه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ؛ هذا إن صحَّت هذه التسمية ، وإلّا فإنَّ (رجل) في الحقيقة أينما ورد في كتاب الله أريد به (رجل) ما من دون تعيين ، وجعله بمعاني الأوجه المذكورة الخاصة يعدَّ تحريفًا لدلالته في القرآن الكريم

الرابعة : جعْلُ اللفظ بمعاني مرادفاته : فقد جعلوا (رجل) بمعاني الشخص الذي يشمل الرجل والمرأة ، والصبيّ والمراهق ، والآدميّ ، والذكر ، كما جاء في الوجه الأول ، والثالث ، والخامس عشر ، وبين الألفاظ المترادفة فروق معنوية خاصّة وإن تقاربت معانيها .

فقد جعلوا (رجل) في الوجه الأول بمعنى الشخص الذي يعنى الذكر والأنثى والشيخ والصبي في قوله تعالى : (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) وقد جعل ابن الجوزي أحد وجوه الرَّجل : ((جميل بن معمر الفهري ، ومنه قوله تعالى : (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) والآية عامَّة وإن

كانت نزلت في حق شخص مُعَيَّن)) [1] وهذا هو القول الصحيح وكان ينبغي لابن الجوزي أن يقول به في كل شاهد جُعِل بمعنى من نزلت فيه الآية ، وقال ابن عاشور : ((والإشارة بقوله (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) إلى أكذوبة من تكاذيب الجاهلية كانوا يزعمون أنَّ جميل بن معمر ، ويقال : ابن أسد بن حبيب الجمحي الفهري ، وكان رجلًا داهية قوي الحفظ أنَّ له قلبين يعملان ويتعاونان ، وكانوا يدعونه ذا القلبين يريدون العقلين فقد غرَّه ذلك فكان لشدة كفره يقول : إنَّ في جوفي قلبين أعمل بكل واحد منهما عملًا أفضل من عمل محمد ، وسمَّوا بذي القلبين أيضًا عبد الله بن خطل التيمي ... فنفت الآية زعمهم نفيًا عامًّا ، أي : ما جعل الله لأيِّ رجل من الناس قلبين لا لجميل بن معمر ولا لابن خطل ، فوقوع (رجل) وهو نكرة في سياق النفي يقتضي العموم ... يُعلم أيضًا أنَّه لا يُدعى لامرأة أنَّ لها قلبين))[2]

فالمراد من (رجل) الرجل الذكر ؛ استنادًا إلى سبب النزول ، ولأنَّه هو الذي من دون الأنثى يُدعى بأنَّ له قلبين ، وهو الموصوف بقوة البدن والعقل من دون المرأة ، ودخول (مِن) الجارة على (قلبين) يفيد استقصاء جميع أنواع القلوب ، والمعنى : ما جعلنا لأي رجل كان أيَّ قلبين كانا ، وهذا يشمل حتى قلب الجنين في جوف المرأة الحامل ؛ لذلك خصَّ هذا الاستقصاء في النفي للرجل من دون الأنثى .

وجعلوا (رجل) في الوجه الثالث ، بمعني الآدمي ، في قوله تعالى : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ) وجعل ابن الجوزي والفيروزأبادي (رجل) في هذه الآية بمعنى محمد صلى الله عليه وسلم[3] و(رجل) نكرة و(محمد) علم معرفة فكيف يصح جعل النكرة بمعنى

([1]) نزهة الأعين ص ١٤٤ .

([2]) التحرير والتنوير ١٨٣/١٢ .

([3]) ينظر : نزهة الأعين ص ١٤٣ وبصائر ذوي التمييز ٤٢/٣

العلم المعرفة ؟! ولو ذكر القرآن الكريم لفظ (محمد) بدلًا من (رجل) لما كان ثمة من داع لإدخاله ضمن هذا الاستفهام الإنكاري لتعجبهم ؛ لأنَّ تعجبهم من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، لا غرابة فيه وهو أمر متوقع منهم لكن الذي لا ينبغي وقوعه منهم هو تعجبهم من أن يرسل الله إليهم رجلًا منهم لأمرين ، الأول : أنَّه رجل ، أي : متصف بالرجولة التي تعني صحة البدن وقوته ورجاحة العقل ، والثاني : أنَّ هذا المرسل واحد منهم ، بمعنى أنَّهم يعرفون نسبه وصدقه ، وهذان الأمران هما المؤهلان لنيل النبوة وتحمل أعبائها وتبعاتها ، ففي جعل (رجل) بمعنى (محمد) تحريف لدلالة اللفظ وإبطال لهذا الاستفهام الإنكاري ، وفي مجيء (رجل) نكرة دليل على أنَّه ليس المقصود محمدًا وحده ، بل أيّ رجل كان ، أي : بهذا التنكير أريد أن يكون المعنى : أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم سواء كان محمدًا أم غيره ؟! فهو استفهام إنكاري لتعجب أيّ قوم كان من هذا الإيحاء في كلّ زمان ومكان .

وجعلوا (رجل) في الوجه الخامس عشر بمعنى الذكر في قوله تعالى : (ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا) وقال (رجلًا) لأنّه أراد معنى القوة ورجاحة العقل وكمال الخلقة .

الخامسة : جعلُ اللفظ بمعاني المجاز : فقد جعلوا (رجل) في الوجه التاسع بمعنى الوثن في قوله تعالى : (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) والمعنى ((مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوَّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حرٍّ مالك قد رزقه الله مالًا فهو يتصرف فيه وينفق منه ما شاء)) [1] وهذا يدخل في باب التشبيه لا في باب الوجوه ؛ لأنَّه شبَّه الوثن أو الصنم

([1]) مدارك التنزيل ص ٦٠٣

الذي يُعبَد من دون الله بالرجل الأبكم ، فالعلاقة بينهما علاقة مجاز لا علاقة لفظ مشترك .

وجعلوه في الوجه العاشر بمعنى الكافر ، والآخر بمعنى المؤمن في قوله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ){الزمر : ٢٩} ((قال المفسرون : وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فإنَّ الكافر يعبد آلهة شتى ، فمثَّله بعبد يملكه جماعة يتنافسون في خدمته (لهم) ولا يقدر أن يبلغ رضاهم أجمعين ، والمؤمن يعبد الله وحده ، فمثَّله بعبد لرجل واحد قد علم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه ، فهو في راحة من تشاكس الخلطاء فيه)) [1]وهذا يدخل أيضًا في باب التشبيه لا في باب الوجوه ؛ لأنَّه شبَّه الرجل الأول بالكافر ، والثاني بالمؤمن ، فالعلاقة بينهما علاقة تشبيه ومجاز لا علاقة لفظ مشترك . .

٢-**الرجال** : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الرجال في القرآن الكريم على اثني عشر وجهًا :

الأول : المشاة ، كقوله تعالى : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ){الحج : ٢٣}

الثاني : البعولة ، أو الأزواج ، كقوله تعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء){النساء : ٣٤}

الثالث : ذكور بني آدم ، كقوله تعالى : (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء){النساء : ١}

الرابع : أهل مسجد قباء ، كقوله تعالى : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ){التوبة : ١٠٨}

([1]) زاد المسير ٥٢/٧ .

الخامس : رجال يعني : الصادقين ، أو الصابرين ، كقوله تعالى : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ){الأحزاب : ٢٣}

السادس : رجال يعني : المحافظين على أوقات الصلاة ، كقوله تعالى : (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ){النور : ٣٧}

السابع : رجال ، وهم الملائكة ، كقوله تعالى : (وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ){الأعراف : ٤٦}

الثامن : رجال يعني المستضعفين في الأرض بمكة ، أو المقهورين من مؤمني أهل مكة ، كقوله تعالى : (وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ){الفتح : ٢٥}

التاسع : رجال يعني : فقراء المسلمين ، كقوله تعالى : (وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ){ص : ٦٢}

العاشر : رجال يعني : الرسل ، كقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلّا رِجَالًا){يوسف : ١٠٩}

الحادي عشر : بعض من الجنّ ، كقوله تعالى : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الأنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ){الجن : ٦}

الثاني عشر : الرجال يعني : الكفار ، كقوله تعالى : (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ){الأعراف : ٤٨}[1]

جعلوا الرجال في الوجه السابع بمعنى الملائكة في قوله تعالى : (وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ) قال ابن الجوزي نفسه : ((وفي أصحاب الأعراف قولان : أحدهما : أنَّهم من بني آدم ، والثاني : أنَّهم

([1]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٢٨-٢٢٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٣٩-٢٤٠ ونزهة الأعين ص ١٤٢

الملائكة ، قاله أبو مجلز ، واعتُرِض عليه ، فقيل : إنَّهم رجال ، فكيف تقول ملائكة ، فقال : إنَّهم ذكور وليسوا بإناث)) [1]

وجعلوا الرجال في الوجه الثالث بمعنى الذكور ، والذكور من مرادفات الرجال لا من وجوهه .

أمَّا المشاة ، والأزواج ، وأهل قباء ، والصادقون ، والصابرون ، والمحافظون على أوقات الصلاة ، والفقراء ، والمستضعفون ، والمقهورون ، والرجال من الرسل ، والرجال من الجن ، والرجال من الملائكة ، والكفار كما جاء في باقي الوجوه ، فهي من صفات الرجال وليست من وجوهه .

٣-**الغلام** : قال الدامغاني : ((تفسير الغلام على سبعة أوجه : يحيى بن زكريا ، والمقتول على يد الخضر عليه السلام ، وأصحاب الكنز ، وإسحاق بن إبراهيم عليها السلام ، ويوسف عليه السلام ، وعيسى بن مريم عليه السلام ، والخادم في الجنة .

فوجه منها : الغلام يريد به يحيى بن زكريا ، قوله تعالى في سورة مريم : (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى)[مريم : ٧}

والوجه الثاني : الغلام ، يعني المقتول على يد الخضر ، قوله تعالى في سورة الكهف : (وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ)[الكهف : ٨٠} وكقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ)[الكهف : ٧٤}

والوجه الثالث : الغلامين اللذين كان الكنز لهما ، قال الله تعالى : (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا)[الكهف : ٨٢}

والوجه الرابع : الغلام يعني إسحاق ، قوله تعالى في سورة الذاريات : (وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ)[الذاريات : ٢٨}

([1]) زاد المسير ١٥٧/٣-١٥٨ .

والوجه الخامس : الغلام يعني يوسف عليه السلام ، قوله تعالى : (وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ){يوسف : ١٩}

والوجه السادس : الغلام يعني عيسى بن مريم ، قوله تعالى في سورة مريم : (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لاهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا {١٩} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا){مريم : ١٩-٢٠}

والوجه السابع : الغلام : الخادم في الجنة قوله سبحانه : (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ){الطور : ٢٤}))[١]

قال ابن فارس : ((الغين واللام والميم أصل صحيح يدلّ على حداثة وهَيْج ، من ذلك الغلام ، هو الطارُّ الشارب ... والجمع : غِلْمة وغِلمان)) [٢]

وقال الفيروزآبادي : ((الغلام : الطارُّ الشارب ، والكهل أيضًا ، وقيل من حين يولد إلى أن يشبَّ)) [٣]

جعل (غلام) في الوجه الأول بمعنى يحيى بن زكريا في قوله تعالى : (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى) و(غلام) اسم جنس نكرة و(يحيى) علم معرفة ، فكيف يصح أن نجعل النكرة بمعنى العلم المعرفة ؟ وكيف يصح أن يكون المعنى أو التقدير : إنَّا نبشرك بيحيى اسمه يحيى ؟!

وجعل الغلام في الوجه الثاني يعني المقتول على يد الخضر في قوله تعالى : (وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ) وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ) أهذا وجه ؟! فلو صح لجاز أن نجعله وجهًا لكل مقتول ، وكيف يصح إرادة هذا الوجه ، لأنَّه كيف يُعقَل أن يكون التقدير : حتى إذا لقيا المقتول على يد الخضر فقتله ؟! أيُقتَل المقتول ؟!

([١]) الوجوه والنظائر ص ٣٥٤ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣٢٠ .

([٢]) مقاييس اللغة ص ٦٩٧ وينظر : المفردات ص ٣٧٩.

([٣]) بصائر ذوي التمييز ١٤٨/٤.

وجعل الغلامين في الوجه الثالث يعني الغلامين اللذين كان الكنز لهما ، في قوله تعالى : (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا) وقد عبَّر عن الغلامين بلفظه ومعناه ، إلّا أنَّه جعل ما وُصِف به وجهًا له ، ولو جاز هذا لجاز أن نجعل كل صفة وجهًا للموصوف بها

وجعل (غلام) في الوجه الرابع : بمعنى إسحاق في قوله تعالى : (وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ) و(غلام) اسم جنس نكرة و(إسحاق) عليه السلام علم معرفة ، فكيف يصح أن نجعل النكرة بمعنى العلم المعرفة ؟

وجعل (غلام) في الوجه الخامس بمعنى يوسف في قوله تعالى : (وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ) وكذلك (غلام) هنا اسم جنس نكرة و(يوسف) عليه السلام علم معرفة ، فكيف يصح أن نجعل النكرة بمعنى العلم المعرفة ؟! والذي قال : (يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ) رجل غريب عنه لا يعرف ما اسم هذا الغلام ، ولا يعرف من هو وما نسبه وما قصته ، فكيف يصح أن يكون التقدير أو المعنى : يا بشرى هذا يوسف ؟! يا سبحان الله ، فقد أجاز أصحاب كتب الوجوه كل شيء لا يجوز من أجل اختلاق الوجوه

وكذلك يقال الكلام نفسه عندما جعل في الوجه السادس (غلام) يعني عيسى بن مريم في قوله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لاهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا {١٩} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا){مريم : ١٩-٢٠}

الغلام اسم جنس ، لفظ عام يصح أن يُطلَق على الطارِّ الشارب ، والشاب ، والكهل ، ويدخل في هذا المعنى العام ، فلو صحَّ أنَّه قد أريد منه الأعلام المذكورون ، كما جاء في الوجه الأول ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، فهي أوجه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ؛ لأنَّ

القرآن الكريم لم يُسمِّ الغلام بهؤلاء الأعلام ، ليكونوا أوجهًا له ، كما فعل مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل علم منها بالغلام ؛ فهي جميعها وجه واحد ؛ لأنَّها جميعها بمعنى الغلام وليس الغلام بمعانيها ، هذا إن صح ما ادعاه ، وإلّا فإنَّ الغلام يعني الغلام بعينه أينما جاء في القرآن الكريم ، وجعله بمعانيها يُعدُّ تحريفًا لدلالته ، والدليل على ذلك فساد معنى التركيب عند جعل الغلام بتقدير معاني الوجوه التي نُسبتْ إليه .

أمَّا المقتول على يد الخضر عليه السلام ، والغلامان اللذان كان الكنز لهما ، والخادم في الجنة ، كما جاء في باقي الأوجه فهي من صفات الغلام وليست من وجوهه .

الطريقة السادسة : جعل اللفظ بمعاني المجاز والكناية

من المعلوم أنَّ المعاني المجازية والكنايات وما توسَّع العرب فيه[١] معان دخيلة على اللفظ ، ولا تمثل المعاني الأصلية الموضوعة له ، بل يجب وجود قرينة تمنع أن يراد منه معناه الأصلي ، فـ((المشترك اللفظي : هو كل كلمة لها عدة معان حقيقية غير مجازية))[٢] ولا يدخل المجاز والكناية وما تُوسِّع فيه ضمن وجوه اللفظ المشترك إلّا إذا أصبحت حقيقة لكثرة استعمالها ونُسي أصلها[٣] لذلك لا يصح إدخالها في باب الوجوه لأمرين : الأول : أنَّها معان دخيلة ، والثاني : أنَّها تكون مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، ومن أمثلة هذه الطريقة ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

---

(١) هناك فرق بين هذه المصطحات الثلاثة ، وقد نجمع بينها بمصطلح المجاز على سبيل التغليب .

(٢) موسوعة علوم اللغة العربية ٤٦٨/٨ .

(٣) ينظر : فصول في فقه العربية ص ٣٢٨ وموسوعة علوم اللغة العربية ٤٧٠/٨ .

١-**الإثخان** : قال الحيري : ((باب الإثخان على وجهين ، أحدهما : الغلبة ، كقوله تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ){الأنفال : ٦٧}

والثاني : الهزيمة والأسر ، كقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ){محمد : ٤}))[١] ومثل هذا قال الدامغاني [٢]

قال ابن فارس : ((الثاء والخاء والنون يدل على رزانة الشيء في ثِقَل...وقد أثخنته ، أي : أثقلته ، قال الله تعالى : (حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ){الأنفال : ٦٧} وذلك أنَّ القتيل قد أُثقِل حتى لا حراك له ... وقال قوم : يقال للأعزل الذي لا سلاح معه : ثخين ، وهو قياس الباب ؛ لأنَّ حركته تقلٌّ خوفًا على نفسه)) [٣] وقال الراغب : ((ثَخُن الشيء ، فهو ثخين : إذا غَلُظ فلم يَسِلْ ، ولم يستمر ذهابه ، ومنه استعير قولهم : أثخنته ضربًا واستخفافًا ، قال الله تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ){الأنفال : ٦٧}))[٤] وقال الحلبي : ((وثخن جيشه على الاستعارة في ثخانة الثوب والعسل ونحوهما ، كما يقال : ثخن الشراب يثخن ثخانة فهو ثخين : إذا لم يسل وعسر صبّه ... والإثخان أيضًا : التشديد ، ومنه أثخنه المرض ، أي : اشتد عليه ، وأثخنته الجراحة ، تمكنت منه ، ومنه (حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ){محمد : ٤} أي : بالغتم في قتلهم))[٥]

---

(١) وجوه القرآن ص ١٠٠

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٧٦

(٣) مقاييس اللغة ص ١٣٦-١٣٧

(٤) المفردات ص ٨٤

(٥) عمدة الحفاظ ٢٧٦/١

فقد بيَّن أهل اللغة المعنى الأصلي واللغوي للإثخان ، والقرآن الكريم استعار هذا اللفظ ومعناه للتعبير عما يثقل أعداء الإسلام ويضعف حركتهم لأيّ سبب كان ؛ لذلك جاز على حد سواء أن يقال : أثخنَّا أعداءنا قتالًا ، أو أثخنَّاهم قتلًا وضربًا ، أو أثخنَّاهم أسرًا ، أو أثخنَّاهم حصارًا ، أو أثخنَّاهم خوفًا ورعبًا ، أو أثخنَّاهم همًّا وغمًّا ، فقد استعير الإثخان لكل ما يمكن أن يكون سببًا لتقوية شوكة المسلمين ، وإضعاف شوكة أعداء الله والدين ، فيكون وجها الإثخان المذكوران يدخلان في باب المجاز والاستعارة لا في باب الوجوه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ القرآن الكريم عبَّر عن الوجه الأول بالإثخان ، وعبَّر أيضًا عن الوجه الثاني بالإثخان ، أي : أنَّ الغلبة ، والهزيمة والأسر ، يعدان من أنواع الإثخان لا من وجوهه ، والوجوه الحقيقية هي التي لا تكون علاقتها باللفظ علاقة الشيء بأنواعه ، وهي مع ذلك لو صحت إرادة هذين الوجهين فهما وجهان مختلقان عن طريق دراستهما دراسة معكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يسمِّ الإثخان بهما ، ليكونا وجهين له ، كما فعل مَن هما مِن أصحاب كتب الوجوه ، بل سمَّى كلًّا منهما بالإثخان ، فهما جميعًا وجه واحد ؛ لأنَّهما جميعًا بمعنى الإثخان وليس الإثخان بمعنييهما .

ويعدُّ هذا من التحريف ، وهو قلب المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز

٢-**البرق** : ذكر ابن الجوزي ((أنَّ البرق في القرآن على وجهين :

أحدهما : نور السحاب ، ومنه قوله تعالى : (فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)}البقرة : ١٩{

والثاني : نور الإسلام ، ومنه قوله تعالى : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ){البقرة : ٢٠}))[١]

قال ابن فارس : ((الباء والراء والقاف أصلان تتفرَّع الفروع منهما ، أحدهما : لمعان الشيء ، والآخر : اجتماع السواد والبياض في الشيء ، وما بعد ذلك فكلّه مجاز ، ومحمول على هذين المعنيين ... يقال : بَرَقَ ورعد أيضًا(بفتح راء برق) ... والإنسان إذا بقي كالمتحيِّر ، قيل : بَرِقَ بصرُه (بكسر الراء) فهو بَرِقٌ فزِعٌ مبهوت ، وكذلك تفسير من قرأها : (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ)(القيامة : ٧} بكسر الراء ، فأمَّا من قرأ : بَرَقَ ، بفتح الراء فإنَّه يقول : تراه يلمع من شدة شخوصه))[٢]

وقال أبو منصور الأزهري : ((ومن قرأ (بَرِقَ) بكسر الراء ، فمعناه : تحيَّر ، يقال : بَرِقَ الرجل يبرُق بَرْقًا : إذا رأى البرق فتحيَّرَ ، كما يقال : أسِدَ الرجلُ (بكسر السين) : إذا رأى الأسد فتحيَّر ، وبَقِرَ (بكسر القاف) : إذا رأى بقرًا كثيرًا فتحيَّر ... ومن قرأ (بَرَقَ) بفتح الراء فهو من بَرَقَ يبرُق بريقًا : شَخَصَ فلا يطرف (أي : فلا يغتمض) من شدة الفزع الأكبر))[٣]وقال الزمخشري : (((بَرِقَ الْبَصَرُ) بكسر الراء تحيَّر فزعًا ، وأصله من بَرِقَ الرجلُ إذا نظر إلى البرق فَدُهِشَ بصره ، وقرئ (بَرَقَ الْبَصَرُ) بفتح الراء ، أي : لمعَ من شدة شخوصه))[٤] وقال ابن عاشور : ((و(بَرِقَ) قرأه

---

(١) نزهة الأعين ص ٦٧

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٢-٨٤

(٣) معاني القراءات ص ٥١٦ وينظر : تفسير غريب القرآن ص ٤٩٩))[٣] و((شَخَصَ الرجلُ ببصره عند الموت يشخص شخوصًا رفعه فلم يطرِف (أي : فلم يغتمض) وشخوص البصر إرتفاع الأجفان إلى فوق ، وتحديد النظر وانزعاجه)) لسان العرب ٣٦/٨

(٤) الكشاف ٦٤٧/٤ وينظر : الدر المصون ٥٦٧/١٠

الجمهور بكسر الراء ، ومعناه : دُهِشَ وبُهِتَ ، يقال بَرِقَ يَبرَق فهو بَرِقٌ من باب فرح ، فهو من أحوال الإنسان ، وإنَّما أُسنِد في الآية إلى البصر على سبيل المجاز العقلي ، تنزيلا له منزلة مكان البرق ؛ لأنَّه إذا بُهِتَ شَخُص بصره ...وقرأ نافع وأبو جعفر بفتح الراء من البريق بمعنى اللمعان ، أي : لمَعَ البصرُ من شدة شخوصه ، ومضارعه يبرُقُ بضم الراء ، وإسناده إلى البصر حقيقة ، ومآل معنى القراءتين واحد ، وهو الكناية عن الفزع والرعب كقوله تعالى : (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا){الأنبياء : ٩٧}))[1]

وجعل ابن الجوزي البرق في الوجه الثاني بمعنى نور الإسلام في قوله تعالى : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) والمراد في الحقيقة جعل نور الإسلام بمعنى البرق ، والبرق لفظ مجازي إذا صحَّ هذا الوجه ، ويعدُّ هذا من التحريف ، وهو قلب المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ البرق لفظ مجازي وجعل نور الإسلام وجهًا له يحوِّله إلى حقيقة ، وفي ذلك يقع الخلط بينهما ، والتحريف لدلالة كل منهما .

٣-**الثمرات** : ذكر أهل الوجوه للثمرات في القرآن الكريم أربعة أوجه :

الوجه الأول : الثمرات تعني الأولاد الصغار كقوله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ){البقرة : ١٥٥}

الوجه الثاني : الثمر والثمرات يعني الثمر بعينه والثمرات بعينها ، كقوله تعالى : (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ){الكهف : ٤٢} وقوله تعالى : (وَمِن ثَمَرَاتِ

---

(١) التحرير والتنوير ٣١٩/٢٩

النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)}النحل : ٦٧{

الوجه الثالث : الثمرات يعني رزق النحل من النور والورد خاصة ، كقوله تعالى : (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ)}النحل : ٦٩{ يعني الأزهار والأنوار والورد .

الوجه الرابع : الثُمُر بضمتين ، يعني المال ، كقوله تعالى : (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)}الكهف : ٣٤{ [١]

قال ابن فارس : ((الثاء والميم والراء أصل واحد ، وهو شيء يتولَّد عن شيء متجمِّعًا ثم يُحمَل عليه غيره استعارة ، فالثَّمَر معروف ، يقال ثَمَرَة ، وثَمَرٌ ، وثِمارٌ ، وثُمُرٌ))[٢] ((والثَمَر : اسم لكل ما يُتطعَّم من أعمال الشجر، الواحدة ثَمَرَة ، والجمع : ثِمار ، وثمرات ... والثمر يُكنَّى عن المال المستفاد ، وعلى ذلك حمل ابن عباس (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ)}الكهف : ٣٤{ ويقال : ثمَّر ماله ، ويقال لكل نفع يصدر عن شيء ثمرته ، كقولك : ثمرة العلم العمل الصالح)) [٣] ((والثَمَر : حمل الأشجار ، واحدته ثَمَرة ، ثم يجمع على ثمار ، ثم يجمع ثمار على ثُمُر بضمتين ، ثم يخفف جوازًا بتسكين ثانيه ، وقيل : الثُمُر بضمتين هو المال ، وبفتحتين حمل الشجر ... وقيل : الثمار والثَمَر بمعنى واحد ، ليس أحدهما جمعًا للآخر))[٤]

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٣٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ١٤٩-١٥٠ وبصائر ذوي التمييز ٣٣٩/٢

(٢) مقاييس اللغة ص١٤٢

(٣) المفردات ص ٨٦ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٣٣٩/٢-٤٤٠

(٤) عمدة الحفاظ ٢٨٥/١

جعلوا الثمرات في الوجه الثالث بمعنى الأنوار والأزهار والورد ، وهذا الوجه يعني الثمرات بعينها ؛ لأنَّ الأنوار والأزهار والورد تعدُّ من أنواعها .

وتصريحهم بجعل الثمرات في الوجه الثاني يعني الثمرات بعينها ، يعني أنَّ الوجهين الآخرين مختلَقان بطريقة المجاز ، ذلك بجعلها في الوجه الأول بمعنى الأولاد الصغار ، وجعلها في الوجه الرابع بمعنى المال .

والقضية لم تقف عند حدود الاختلاق ، فقد جعل أهل الوجوه الثمرات في الوجه الأول بمعنى الأولاد الصغار في قوله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) وصفوة ما جاء في كتب اللغة والتفسير أنّ المراد من الثمرات قولان : الأول : أنَّها تعني الثمرات بعينها ، وهذا قول ابن عباس ، والثاني : أنّ المراد منها الأولاد ؛ لأنَّ ولد الرجل ثمرة قلبه ، وهذا قول الشافعي[١]

وجعلوا الثَمَر في الوجه الرابع بمعنى المال في قوله تعالى : (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) وقد ذكر أهل اللغة أنَّ الثَمَر بفتح الثاء والميم وبضمهما سواء ، في أنَّ كلًّا منهما يعني : حمل الشجر ، أو المال[٢]

وجاء في كتب التفسير أنَّ للثمر في قوله تعالى : (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ) ثلاث قراءات :

الأولى : ثَمَر (بفتحتين) : قراءة عاصم ، وأبي جعفر ، ويعقوب

والثانية : ثُمْر(بضم الثاء وتسكين الميم) قراءة أبي عمرو

---

(١) ينظر : الوسيط ٢٣٦/١ وزاد المسير ١٤١/١ والجامع لأحكام القرآن ١٣٢/٢ وأنوار التنزيل ١١٥/١ ومدارك التنزيل ص ٨٧

(٢) ينظر: العين ص ١١٩ وتهذيب اللغة ٤٥٨/١ ولسان العرب٣٨/٣

والثالثة : ثُمُر (بضمتين) قراءة الباقين ، وفي تفسير الثمر في الآية بقراءاتها الثلاث أربعة أقوال

الأول : أنَّها تعني حمل الشجر ، أي : الثمر بعينه

الثاني : أنَّها تعني النقدين من الذهب والفضة بخاصة

الثالث : أنَّها تعني المال بأنواعه وصنوفه كافة

الرابع : أنَّها لا تعني الثمر ، بل الأصول التي فيها الثمر أو الأصول التي تحملها[١]

ومن جعل الثمر في الآية بمعنى المال فهو من قولهم : ((ثمَّر الله ماله : إذا كثر ... مشتقًّا من اسم الثمرة على سبيل المجاز أو الاستعارة ؛ لأنَّ الأرباح وعفو المال يشبهان ثمر الشجر))[٢]

فكلا الثمرات والثمر في الوجهين لفظ مجازي ، فيكون المراد جعل الأولاد بمعنى الثمرات ، لا جعل الثمرات بمعنى الأولاد ، وجعل المال بمعنى الثمر ، لا جعل الثمر بمعنى المال ، فالتحريف الحاصل الذي قد يكون خفيًّا غير ظاهر ، هو أنَّهم قلبوا المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ أهل الوجوه قد أخفوا ذكر القول الأول ، في الوجه الأول ، وأخفوا الأقوال الثلاثة في الوجه الرابع ، فإخفاء الأقوال الأُخَر وعدم الإشارة إليها والقائلين بها يُعَدُّ خيانة علمية في تفسير كتاب الله

---

(١) ينظر : تفسير مقاتل ٢٨٨/٢ وجامع البيان للطبري ٢٨٣/١٥-٢٨٤ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٣٢/٣ والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٤٤٠/٣ والكشاف ٦٩٣/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ٥١٦/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ١٠٢/٥

(٢) التحرير والتنوير ٦٥/١٥

٤-**الثياب** : ذكر الدامغاني وابن الجوزي أنَّ الثياب في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

الأول : الثياب بمعنى القلب ، كقوله تعالى : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)[المدثر : ٤]

الثاني : الثياب تعني القميص ، كقوله تعالى : (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ)[الحج : ١٩]

الثالث : الثياب تعني الرداء ، كقوله تعالى : (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[النور : ٦٠]

الرابع : الثياب المعروفة ، كقوله تعالى : (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ)[الإنسان : ٢١] وقوله تعالى : (وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ)[النور : ٥٨][١]

جعلهما الثياب في الوجه الرابع بمعنى الثياب المعروفة ، أي : الثياب بعينها في قوله تعالى : (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) وقوله تعالى : (وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ) دليل على أنَّ الثياب ليست من الألفاظ المشتركة ؛ لأنَّ هذا يعني أنَّ للثياب معنى مستقلًّا خاصًّا بها ، ويعدُّ اعترافًا وإقرارًا بأنَّ معاني الأوجه المنسوبة إليها لا تعني الثياب بعينها ، بل تعني معاني أُخَر ، فهي إذن أوجه مختلقة اختلقاها بطريقتين :

الأولى : طريقة المجاز ، فقد جعل الدامغاني وابن الجوزي الثياب في الوجه الأول بمعنى القلب ، في قوله تعالى : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) وجَعْلُ الثياب بمعنى القلب يدخل في باب المجاز ، فالقول بهذا الوجه يجعل الثياب

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٤٧ ونزهة الأعين ص ٨٧-٨٨ ومنتخب قرة العيون ص ٨٧-٨٨

لفظًا مجازيًّا ، والقلب لفظاً حقيقيًّا ، ، والتحريف الحاصل الذي قد يكون خفيًّا غير ظاهر ، هو أنَّهما قلبا المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز

الثانية : طريقة الترادف ، فقد جعلا الثياب في الوجه الثاني بمعني القميص ، في قوله تعالى : (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) وقد فسَّر بعض المفسرين الثياب بالقميص لا على أنَّه يعني القميص بعينه ، كما هو حاصل في كتب الوجوه ، وإنَّما قال ذلك على سبيل التفسير ، وعلى أنَّ القميص مرادف للثياب قريب من معناه ، قال الطبري : ((وقوله تعالى : (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ) يقول تعالى ذكره : فأمَّا الكافر بالله منهما فإنَّه يُقطَّع له قميص من نحاس من نار ، كما حدثنا القاسم٠٠٠عن مجاهد (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ) قال : الكافر قُطِّعتْ له ثياب من نار ، والمؤمن يدخله الله الجنَّة تجري من تحتها الأنهار٠٠٠وعن سعيد في قوله تعالى : (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ) قال : ثياب من نحاس))[1]ففسَّر الثياب بالقميص ، ثم نقل تفسير الثياب بالثياب ((والقميص معروف ، مذكَّر ، وأنَّثه جرير حين أراد به الدرع))[2] والثياب جمع ثوب ، وهو من ثابَ بمعنى الرجوع والعود ، وسمِّي الثياب من هذا الباب ((لأنَّه يُلبَس ثم يُلبَس ، ويثاب إليه)) [3] فهو معنى عام ينطبق على كل ما يكرر المرء لبسه ويعود إليه ((والقميص ثوب مخيط بكُمَّين غير مُفرج ، يُلبَس تحت الثياب ، ولا يكون إلّا من قطن ، أو

---

(١) جامع البيان ١٥٦/١٧-١٥٧

(٢) تهذيب اللغة للأزهري٣٠٤٣/٣ وينظر : لسان العرب ١٨٩/١٢ وتاج العروس ٦٧/١٨

(٣) مقاييس اللغة ص ١٤٤

كتان ، وأمَّا من الصوف فلا ، نقله الصاغاني))[1] فهذا هو القميص ، وكما هو معروف عند الناس اليوم بهذا الاسم ، فهو غير الثياب كما تقدم تفسيره وتعريفه ، فجعلها بمعناه تحريف لدلالتها ، فالثياب في الآية لا تعني القميص ، بل هي الثياب بعينها، وبمعناها جاء تفسيرها ، ففسَّروا قوله تعالى : (قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ) أنَّ النار تُقطَّع لهم كما تُقطَّع الثياب الملبوسة[2] وقال ابن كثير : ((أي : فُصِّلتْ لهم مقطَّعات من نار))[3] وقال الآلوسي : ((أي : أعدَّ لهم ذلك ، وكأنَّ شبَّه أعداد النار المحيطة بهم بقطع ثياب وتفصيلها لهم على قدر جثثهم)) [4] ((وقال الأزهري : أي : سُوِّيتْ وجُعِلتْ لبوسًا لهم٠٠٠وقيل : إنَّ هذه الثياب من نحاس ، أُذيب فصار كالنار ، وهي السرابيل المذكورة في آية أخرى))[5] فقصر الثياب على أنَّها تعني القميص بعينه كما جاء في كتب الوجوه تحريف لدلالتها في اللغة والتفسير

وجعلا الثياب في الوجه الثالث بمعنى الرداء ، في قوله تعالى : (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

---

(١) تاج العروس ٦٧/١٨

(٢) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٦٣/٣ والكشاف ١٤٦/٣ والمحرر ١١٤/٤ وزاد المسير ٣٠٥/٥ والجامع لأحكام القرآن ٢١/١٢ والبحر المحيط ٤٣٧/٦ وأنوار التنزيل ٦٨/٤ ومدارك التنزيل ص ٧٣٥

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٠٠/٥

(٤) روح المعاني ١٢٨/٩

(٥) فتح القدير ٥٥٠/٣

قال ابن فارس : ((ومما شذَّ عن الباب الرِّداء ، ما أدري مِمَّ اشتقاقه ، وفي أيِّ شيء قياسه))[1] وإن كان الرِّداء لم يتبيَّن لابن فارس أصله واشتقاقه ، فقد بيَّن مَن بعده دلالته ، قال ابن الأثير الجزري ((وفي حديث علي رضي الله عنه : مَن أراد البقاء ، ولا بقاء فليخفِّفِ الرِّداء ، قيل : وما خفَّة الرِّداء ؟ قال : قلَّة الدَّين ، سُمِّيَ رداءً ، لقولهم : دَينك في ذمتي ، وفي عنقي ، ولازم في رقبتي ، وهو موضع الرِّداء ، وهو الثوب ، أو البُرْد الذي يضعه الإنسان على عاتقه ، وبين كتفيه فوق ثيابه ، وقد كثر في الحديث ، وسُمِّيَ السيف رِداء ؛ لأنَّ مَن تقلَّده ، فكأنَّه قد تردَّى به))[2] فالرداء ما غطَّى النصف الأعلى من الإنسان ، يقابله الإزار ، وهو ما غطَى نصفه الأسفل ((وفي الحديث : قال الله تبارك وتعالى : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي))[3] فهذا هو معنى الرداء ، وهو ما يُلبَس فوق الثياب كالجبة والعباءة ، ويستر الجزء الأعلى من الجسم ، وهو غير الثياب كما تقدم تعريفها فجعلها بمعناه تحريف لدلالتها ، والفرق بين الثياب والرداء أنَّ الثياب معنى عام يطلَق على كل ما يلبسه الإنسان ، أمَّا الرداء فهو أحد أنواعها ؛ لذلك فسَّر مفسرون الثياب في قوله تعالى : (أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) بأنَّها تعني الخمار

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٧٩

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٦٥١/١ وينظر : لسان العرب ١٤٠/٦-١٤١ وتاج العروس ٧٨/٣٨-٧٩

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٦/١ وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العز إزاره ، والكبرياء رداؤه . ص ١١٤٤ رقم الحديث ٦٦٨٠

، أو القناع ، أو الجلباب الذي يكون فوق الدرع ، أو الملحفة [١] وفسّرها آخرون بأنَّها تعني الثياب الظاهرة [٢]

فقصر الثياب على أنَّها تعني الرداء بعينه كما جاء في كتب الوجوه تحريف لدلالتها لغة وتفسيرًا

٥-الجَناح (بفتح الجيم) : ذكر أهل الوجوه أنَّ الجَناح ورد في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

الوجه الأول : الجانب أو الجناب ، كقوله تعالى : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ){الإسراء : ٢٤}

والوجه الثاني : الجناح بعينه (جناح الطير) كقوله تعالى : (وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ){الأنعام : ٣٨}

الوجه الثالث : العضد ، كقوله تعالى : (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ){القصص : ٣٢}

الوجه الرابع : الميل ، كقوله تعالى : (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا){الأنفال : ٦١}[٣]

جعلوا الوجه الأول بمعنى الجانب ، وهو معنى مستعار ، فالأصل في الجناح : أنَّه العضو الذي يطير به الطائر ((وقوله عز وجل : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) فاستعارة ، وذلك أنَّه كان الذلّ على ضربين ، ضرب يضع الإنسان ، وضرب يرفعه ، وقصد في هذا المكان إلى ما يرفعه

---

(١) ينظر : جامع البيان ١٩٧/١٨-١٩٨ والوسيط ٣٢٨/٣ والجامع لأحكام القرآن ٢١٩/١٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٤٥٦/١٤ والتحرير والتنوير ٢٣٧/١٨

(٢) ينظر : الكشاف ٢٤٨/٣ وأنوار التنزيل ١١٤/٤ومدارك التنزيل ص ٧٩٠

(٣) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٤٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٦ ونزهة الأعين ص ٩١ وبصائر ذوي التمييز ٢/ ٤٠٠

، لا إلى ما يضعه استعار لفظ الجَناح ، فكأنَّه قيل : استعمل الذل الذي يرفعك عند الله من أجل اكتسابك الرحمة ، أو من أجل رحمتك لهما)) [1] وكذلك جَعْلُ الجناح في الوجه الثالث بمعنى العضد فهو من باب تشبيه العضد بالجناح ، فالعلاقة إذن بين معنى الوجهين الأول والثالث ، والجَناح علاقة تشبيه واستعارة ومجاز ، لا علاقة لفظ مشترك ووجوه .

وجعلوا الجناح بمعنى الميل ، في الوجه الرابع ، وهذا هو معنى مرادفه ، قال ابن فارس : ((الجيم والنون والحاء أصل واحد يدلّ على الميل والعُدوان ، ويقال : جنح إلى كذا ، أي : مال إليه ، وسمي الجناحان جناحين لميلهما)) [2]

وجعلهم الجَناح في الوجه الثاني يعني الجناح بعينه ، يعني أنّ الأوجه الثلاثة الباقية لا تعني الجَناح بعينه ، فهي إذن أوجه مختلقة بطريقتين : بجعل الجناح بمعنيين من معاني مجازاته ، وجعله بمعنى مرادف من مرادفاته .

٦- **الحبل** : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الحبل جاء في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي :

١-الحبل بعينه : كقوله تعالى : (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ){المسد : ٥}

٢-القرآن ، كقوله تعالى : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا){آل عمران : ١٠٣}

٣-الأمان والعهد ، كقوله تعالى : (إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ){آل عمران : ١١٢} أي عهد من الناس .

---

(١) المفردات ص ١٠٥ وعمدة الحفاظ ٣٤٧/١ وبصائر ذوي التمييز ٤٠٠/٢

(٢) مقاييس اللغة ص ١٧٧ .

٤-الإسلام : كقوله تعالى : (إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ){آل عمران : ١١٢} وحبل الله في هذا الموضع هو الإسلام .

٥-عرق في العنق ، كقوله تعالى : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ){ق : ١٦}[١]

((الحبل في التعارف : هو المفتول من الليف أو القطن أو الصوف أو نحو ذلك)) [٢] قال الراغب : ((الحبل معروف قال عز وجل : (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ){المسد : ٥} وشُبِّه به من حيث الهيئة حبل الوريد وحبل العاتق ، والحبل المستطيل من الرمل ، واستعير للوصل ولكل ما يُتَوصَّل به إلى شيء ، قال عز وجل : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا){آل عمران : ١٠٣} فحبله هو الذي معه التوصل به إليه من القرآن والعقل وغير ذلك مما إذا اعتصمتَ به أداك إلى جواره)) [٣] وقال الزمخشري في قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ) ((يجوز أن يكون تمثيلًا ... وأن يكون الحبل استعارة)) [٤] ((ويستعار الحبل للدين والعهد)) [٥]

فجعل الحبل بمعاني : القرآن ، والأمان والعهد ، والإسلام ، وعرق العنق ، كان على سبيل التشبيه والتمثيل والاستعارة ، أي : هي للحبل معان مجازية ، ووجوه اللفظ المشترك يجب أن تكون معاني حقيقية غير مجازية ،

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ١٢٤-١٢٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٨١ ونزهة الأعين ص ٩٧-٩٨ ومنتخب قرة العيون ص ٩٣ وبصائر ذوي التمييز ٤٢٦/٢-٤٢٧ .

(٢) نزهة الأعين ص ٩٧

(٣) المفردات ص ١١٢ .

(٤) الكشاف ٣٨٦/١ .

(٥) التحرير والتنوير ١٧٤/٣.

وعندما جعل العسكري الحبل في الوجه الثاني بمعنى القرآن في قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا) قال : ((أي : بكتابه ، وسمَّاه حبلًا لما فيه من توكيد الحجج والبيان)) [1] وقال الحلبي : ((الحبل معروف ، وجمعه حبال ، قال تعالى : (فَإِذَا حِبَالُهُمْ){طه : ٦٦} ...ومنه سُمِّي كتاب الله حبل الله ، في قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ))) [2] أي : أنَّ الحبل لم يُسمَّ بالقرآن بل سُمِّي القرآن بالحبل ، فالأوجه المذكورة لا يصح أن تكون أوجهًا للحبل من جهة ثانية ؛ لأنَّها تعدُّ أوجهًا مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ؛ فالقرآن الكريم لم يسمِّ الحبل بالقرآن ، والعهد ، والإسلام ، وعرق العنق ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كلًّا من هذه الأمور الأربعة بالحبل ، على سبيل المجاز ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، وهو الحبل الذي ليس له من المعاني الحقيقية غير معناه المعروف ، والدليل على ذلك جعلهم الحبل في الوجه الأول يعني الحبل بعينه ؛ لأنّه يعني أن الأوجه الأربعة الباقية لا تعني الحبل بعينه ، فهي إذن أوجه مختلَقة اختُلِقت بطريقة جعل الحبل بمعاني مجازاته

٧-**الحمل** : ذكر أصحاب كتب الوجوه للحمل في القرآن الكريم اثني عشر وجهًا

الأول : السَّوق ، كقوله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ){البقرة : ٢٤٨}

الثاني : في الذمة ، كقوله تعالى : (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ){الأنعام : ٣١}

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٢٥.

(٢) عمدة الحفاظ ٣٦٩/١.

الثالث : الحمل بمتن السفينة ، كقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)(هود : ٤٠} أو الإركاب على السفن ، كقوله تعالى : (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)(الحاقة : ١١}

الرابع : الحَمْل في البطن ، كقوله تعالى : (اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى)(الرعد : ٨}

الخامس : الحمل على الدواب كقوله تعالى : (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ)(النحل : ٧}

السادس : الأمر ، أو بمعنى الإيجاب والإلزام ، أو العمل ، كقوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)(الجمعة : ٥} وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {١٢} وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ)(العنكبوت : ١٢-١٣}

السابع : الحمل ما على الظهر ، كقوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)(المسد : ٤}

الثامن : الحمل يعني القبول ، كقوله تعالى : (وَحَمَلَهَا الأنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(الأحزاب : ٧٢} أي : وقبلها

التاسع : الحمل يعني الإمساك ، كقوله تعالى : (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)(الحاقة : ١٧} أي : يمسكون العرش

العاشر : الحِمْل بعينه ، كقوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)(المسد : ٤} كما قال الدامغاني ، أو حقيقة الحمل كما قال الفيروزآبادي

الحادي عشر : المئونة والنفقة ، كقوله تعالى : (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ){التوبة : ٩٢}

الثاني عشر : الحَمْل يعني الحَبَل ، كقوله تعالى : (وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ){الطلاق : ٤} وقوله تعالى : (فَحَمَلَتْهُ){مريم : ٢٢} أي : حبلت به ، أو حمل الوالدة ، وبمعنى الولد في الرحم [١]

قال الخليل : ((والحَمْل (بفتح الحاء) : ما في البطن ، والحِمْل (بكسر الحاء) : ما على الظهر ، وأمَّا حمل الشجر ، فيقال : ما ظهر فهو حِمْل ، وما بطن فهو حَمْل))[٢] وقال ابن فارس : ((الحاء والميم واللام أصل واحد يدُّ على إقلال الشيء ، يقال : حملتُ الشيء أحمله حَمْلًا ، والحَمْل ما كان في بطن ، أو على رأس شجرة يقال : امرأة حامل وحاملة٠٠٠وحميل السيل : ما يحمله من غثائه٠٠٠فأمَّا قوله : الأحمال ، وهم من بني يربوع ، وهم ثعلبة ، وعمرو ، والحارث٠٠٠فيقال : إنَّ أمَّهم حملتهم على ظهر في بعض أيام الفزع)) [٣] وقال الراغب : ((فقيل في الأثقال المحمولة في الظاهر ، كالشيء المحمول على الظهر حِمْل ، وفي الأثقال المحمولة في الباطن حَمْل ، كالولد في البطن ، والماء في السحاب ، والثمرة في الشجر ، تشبيهًا بحَمْل المرأة)) [٤]

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٧٩والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٨٤–١٨٥ وبصائر ذوي التمييز ٥٠٢/٢–٥٠٣

(٢) العين ص ٢١٤

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٢٧

(٤) المفردات ص ١٣٨

فدلالة الحمل كما ترى ، وكما بيَّنها أهل اللغة ، واحدة وواضحة ، لا لبس فيها ، فمن أين أتى أهل الوجوه بالوجوه الاثني عشر ، لو لم يكن هناك اختلاق وتحريف ؟! والدليل على ذلك أيضًا جعلُ الحمل في الوجه العاشر يعني الحمل بعينه ، فهذا يعني أنّ الوجوه الباقية لا تعني الحمل بعينه فهي إذن وجوه مختلقة اختلقوها بخمس طرائق :

الأولى : طريقة المجاز : فقد جعلوا الحَمْل في الوجه السادس بمعنى الأمر ، أو الإيجاب والإلزام ، أو العمل ، في قوله تعالى : (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ) وقوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {١٢} وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) والحمْل كما تقدم من تعريفه أنَّه يكون في الأجسام ، ولم يُستعمَل في الأمور المعنوية إلّا مجازًا ، والمجاز يبنى على الحقيقة ، والحقيقة ثابتة لا تتغير ، والمجاز لا يمكن تحديد لفظه ، حتى جاز تعدد مرادفاته ، لذلك أجازوا أن يكون بمعنى الأمر ، أو الإيجاب ، أو الإلزام ، وجاز أن يكون بمعاني أُخر كالتفويض ، أو التوكيل ، أو التكليف ، والعمل ، والضمان ، وهذا ما جاء في التفسير ، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ) ((فإنَّ الرسول ليس عليه إلاّ ما حمَّله الله ، وكلَّفه به من أداء الرسالة ، فإذا أدَّى فقد خرج عن عهدة تكليفه ، وأمَّا أنتم فعليكم ما كلِّفتم من التلقي والقبول والإذعان)) [1] وقال في تفسير قوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ

(١) الكشاف ٣/٢٤٤

يَحْمِلُ أَسْفَارًا) : ((ومعنى (حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ) كُلِّفوا علمها والعمل بها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) ثم لم يعملوا بها ، فكأنَّهم لم يحملوها)) [١]

وقال ابن عاشور : ((ومعنى (حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ) عُهِد بها إليهم ، وكُلِّفوا بما فيها فلم يفوا بما كُلِّفوا ، وإطلاق الحمْل وما تصرَّف منه على هذا المعنى استعارة بتشبيه إيكال الأمر بحمل الحِمْل على ظهر الدابة ، وبذلك كان تمثيل بحال الحمار يحمل أسفارًا تمثيلاً للمعنى المجازي بالمعنى الحقيقي ، وهو من لطائف القرآن)) [٢] وقال في قوله تعالى : (وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) ((والحمل مجاز تمثيلي لحال الملتزم بمشقة غيره بحال من يحمل متاع غيره ، فيؤول إلى معنى الحمالة والضمان)) [٣]

والتحريف الحاصل الذي قد يكون خفيًّا غير ظاهر ، هو أنَّهم جعلوا الحمل الذي هو لفظ مجازي بمعنى الإلزام ، والمراد جعل الإلزام بمعنى الحمل ، فقلبوا المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز

وجُعِل الحمل في الوجه الثامن بمعنى القبول في قوله تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الأنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) وَجَعْلُ حمل الشيء بمعنى قبوله مجاز ، أي : وقبلها وقبل الشيءَ : أخذه أو رضي به[٤] والمعنى كما جاء في كتب التفسير أنَّ المقصود بالأمانة طاعة الله وفرائضه التي فرضها على

---

(١) الكشاف ٥١٨/٤

(٢) التحرير والتنوير ١٩١/٢٨-١٩٢

(٣) التحرير والتنوير ١٤٤/٢٠

(٤) ينظر : لسان العرب ١٥/١٢

عباده ، وما فيها من أوامر ونواه ، عرض الله الأمانة بهذا المعنى على السماوات والأرض والجبال ، على أنَهم إذا أدوها أثابهم ، وإن ضيعوها عذبهم ، فقال لهنَّ : أتحملنّ هذه الأمانة بما فيها ؟ قلن : وما فيها ؟ قال : إن أحسنتنَّ جوزيتنَّ ، وإن عصيتنَّ عوقبتنَّ ، فقلن : لا يا ربّ ، نحن مسخرات لأمرك ، لا نريد ثوابًا ولا عقابًا ، وقلن ذلك خوفًا وخشية أن لا يقمنَ بهنَّ ، لا معصية ومخالفة ، وكان العرض عليهنَّ تخييرًا لا إلزامًا ، ولو ألزمهنَّ لم يمتنعن من حملها (وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) أي : خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهنَّ العذاب (وَحَمَلَهَا الأنسَانُ) يعني آدم عليه السلام ، فقال يا آدم : إني عرضتُ الأمانة على أهل السماوات والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها ؟ فقال : يا ربّ وما فيها ، قال : إن أحسنت جوزيت ، وإن أسأت عوقبت ، فتحملها آدم عليه السلام ، فما كان بين أن تحملها وبين أن أُخرِج من الجنة إلاَّ مقدار ما بين الظهر والعصر ، والمقصود من هذا التمثيل أنَّ الأمانة التي حملها الإنسان بلغتْ من عظمها وثقل محملها أنَّها عُرضتْ على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشدّه أن يتحملها ويستقلّ بها فأبت أن تتحمَّلها وتستقل بها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته [1] فهذا المعنى وهذا التفسير هل تصلح له غير دلالة الحمل ؟!

الثانية : جعل اللفظ بمعنى ما يلزم منه معناه ، أو بمعنى لازم من لوازمه : فقد جُعِل الحمل في الوجه الأول بمعنى السوق ، في قوله تعالى : (تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ){البقرة : ٢٤٨} وسوق الشيء يلزم منه حمله ، حقيقة أو مجازًا ، والحمل هنا لا بدَّ منه ، فإذا كانت الملائكة تسوق التابوت فمن ذا الذي كان يحمله ؟! لذلك ((قال المفسرون : كانت الملائكة تحمل تابوت بني

---

(١) ينظر : جامع البيان للطبري ٦٤/٢٢ والوسيط للواحدي ٤٨٤/٣-٤٨٥ والكشاف للزمخشري ٥٤٧/٣ واللباب في علوم الكتاب ٥٩٧/١٥

إسرائيل فوق العسكر ، وهم يقاتلون العدو ، فإذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر))[1] ((وقال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض ، وهم ينظرون إليه ، حتى وضعته عند طالوت)) [2] وأجاز الطبري وغيره الوجه المذكور ووجهًا آخر ، لكنهم أرجعوه أيضًا إلى دلالة الحمل قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في صفة حمل الملائكة ذات التابوت ، فقال بعضهم : معنى ذلك : تحمله الملائكة بين السماء والأرض٠٠٠وقال آخرون : معنى ذلك : تسوق الملائكة الدواب التي تحمله ، وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : حملت التابوتَ الملائكةُ ؛ وذلك أنَّ تعالى ذكره قال : (تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ) ولم يقل : تأتي به الملائكة ، وما جرَّته البقر على عجلة ، وإن كانت الملائكة هي سائقتها ، فهي غير حاملته ؛ لأنَّ الحمل المعروف هو مباشرة الحامل بنفسه حمل ما حمل ، أو بأن كان حمله عن سببه))[3] قالمراد من الحمل في الآية في كلا القولين الحمل بعينه ؛ لأنَّ الحامل هو من باشر حمل الشيء بنفسه ، أو من كان السبب في حمله ، وهذا ما عليه المفسرون ، قال الزجاج : ((فوضعوه على ثورين فيما يقال ، وقيل معنى : تحمله الملائكة : إنَّها تسوق الثورين ، وجائز أن يقال في اللغة : تحمله الملائكة ، وإنَّما كانت تسوق ما يحمله (الثوران) كما تقول : حملتُ متاعي إلى مكة ، أي : كنت سببًا لحمله)) [4] وقال ابن الجوزي : ((في كيفية مجيء الملائكة به قولان ، أحدهما : أنّها جاءت به بأنفسها٠٠٠تحمله بين السماء والأرض ، والثاني : أنَّ الملائكة

---

(١) الوسيط للواحدي ٣٥٩/١

(٢) البحر المحيط ٤١٩/٢

(٣) جامع البيان ٧٣٥/٢-٧٣٦

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٨٢/١

جاءت به على عجلة وثورين ، فعلى القول الأول ، يكون معنى تحمله : تُقِلُّه ، وعلى الثاني ، يكون حملها إياه تَسبُّبَها في حمله ، قال الزجاج :

((يجوز في اللغة أن يقال : حملتُ الشيءَ : إذا كنت سببًا في حمله)) [١] ((وأضيف الحمل إلى الملائكة في القولين ؛ لأنَّه من حفظ شيئًا في الطريق ، جاز أن يوصف بأنَّه حمل ذلك الشيء ، وإن لم يحمله ، كقول القائل : حملتُ الأمتعة إلى زيد : إذا حفظها في الطريق ، وإن كان الحامل غيره)) [٢] ففي كلا الوجهين أريد من الحمل الحمل بعينه ؛ لأنَّ ((الحمل إمَّا حقيقة أو مجازًا على حد قولهم : حمل زيد متاعي إلى مكة)) [٣] فجعل الحمل بمعنى السوق على أنَّه يعنيه بعينه تحريف لدلالته ، وعدم الإشارة إلى الوجه الآخر خيانة علمية في التفسير

وجعلوا الحمل في الوجه الحادي عشر بمعنى المئونة والنفقة ، في قوله تعالى : (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ) والمئونة والنفقة من لوازم الحمل ، والمعنى : ولا إثم على الذين إذا ما جاؤوك يطلبون أن تعينهم إلى الجهاد ، قلتَ لهم : لا أجد ما أحملكم عليه من الدوابّ والنعال لتحملوا عليها أنفسكم وسلاحكم وأمتعتكم [٤] والحمْل هنا أيضًا يعني الحمل بعينه ؛ لأنَّ ((الحمْل يُطلق على إعطاء ما يُحْمَل عليه٠٠٠أي : ما يركبونه ، ويحملون عليه سلاحهم ومؤنهم من الإبل)) [٥]

---

(١) زاد المسير ٢٤٥/١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٢٧٥/٤

(٣) روح المعاني للآلوسي ٥٦٠/١

(٤) ينظر : جامع البيان ٢٣٨/١٠-٢٣٩ وزاد المسير ٣٦٧/٣ وفتح القدير ٥٠٢/٢

(٥) التحرير والتنوير ١٨٠/١٠

الثالثة : طريقة الإضافة المقدّرة : فقد جُعِل الحمل في الوجه الثالث بمعنى : الحمل بمتن السفينة ، أو الإركاب على السفن ، في قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) وقوله تعالى : (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)

وجُعِل في الوجه الرابع بمعنى : الحَمْل في البطن ، في قوله تعالى : (اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى)

وجُعِل في الوجه الخامس بمعنى : الحمل على الدواب في قوله تعالى : (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ)

وجُعِل في الوجه السابع بمعنى : الحمل ما على الظهر ، في قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)

تكرر الحمل ، كما ترى ، في هذه الأوجه الأربعة ، بلفظه ومعناه ، وهو الحمل بعينه ، أمَّا الأوجه فهي معاني أشباه الجمل التي تعدى اليها بحرف الجر لا معاني الحمل ، والتحريف الحاصل باتباع هذه الطريقة أنَّهم لم يجعلوا الحمل بمعناه بل بمعاني ما تعدى اليه من أجل اختلاق الوجوه

الرابعة : عدم تحري الصواب والدقة في التفسير والتعبير : فقد جُعِلَ الحمل في الوجه الثاني بمعنى : في الذمة ، في قوله تعالى : (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ) وهو وجه غير محدد الدلالة ، وتقدم أنَّ الدليل عند أصحاب كتب الوجوه على صحة الوجه الذي ينسبونه للفظ هو صحة وقوعه موقعه ، وهنا لا يصح ؛ لأنَّه لا يصح أن تكون الآية بتقدير : وهم في الذمة أوزارهم على ظهورهم ، والذي جاء في التفسير أنَّ الحمل في الآية يعني الحَمْل بعينه ، قال الطبري : ((قال تعالى ذكره : (عَلَى ظُهُورِهِمْ) لأنَّ الحمل قد يكون على الرأس ، والمنكب ، وغير ذلك ، فبيَّن موضع حملهم ما يحملون من ذلك ، وذكر أنَّ حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم٠٠٠عن السُّدِّي ، قال : ليس من رجل ظالم ، يموت فيدخل

قبره إلّا جاء رجل قبيح الوجه ، أسود اللون ، منتنّ الريح ، عليه ثياب دنسة ، حتى يدخل معه قبره ، فإذا رآه قال له : ما أقبحَ وجهَك ! قال : كذلك كان عملك قبيحًا ، قال : ما أنتنَ ريحَك ! قال : كذلك كان عملك منتنًا ، قال : ما أدنسَ ثيابَك ! قال : فيقول : إنَّ عملك كان دنسًا ، قال : من أنتَ ؟ قال : أنا عملك ، فيكون معه في قبره ، فإذا بُعثَ يوم القيامة ، قال له : إنِّي كنتُ أحملك في الدنيا باللذات والشهوات ، فأنتَ اليوم تحملني ، قال : فيركب على ظهره ، فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله تعالى : (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ) [١] فالحمل يعني الحَمْل بعينه وجعله بمعنى آخر تحريف لدلالته

وجُعِل الحمل في الوجه التاسع بمعنى الإمساك ، في قوله تعالى : (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) أي : يمسكون العرش ، وجعل الحمل بمعنى هذا الوجه تحريف ظاهر لدلالته ؛ لأنَّ جعل الآية بتقدير : ويمسك عرش ربك ، يعني : أنَّهم كانوا يقبضون العرش بأيديهم ، وهو معنى غير مراد ، وقد لا يصح ، كما أنَّه يجرد الحمل من دلالته المرادة ، فمن الواضح جدًّا أنَّ المراد من قوله تعالى : (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ) الحمل بعينه ، وهذا ما أجمع عليه أهل التفسير ، حتى إنَّهم لم يشيروا إلى معنى الإمساك ، قال مقاتل : (((وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ) على رؤوسهم)) [٢] وقال الزجاج : ((يروى ثمانية أملاك ، أرجلهم في تخوم الأرض السابعة ، والعرش فوق رؤوسهم ، وهم مطرقون مُسبِّحون)) [٣] وقال الواحدي : ((وَيَحْمِلُ

---

(١) جامع البيان ٢٠٩/٧-٢١٠ وينظر : الوسيط للواحدي ٢٦٤/٢ وزاد المسير ٢١/٣-٢٢

(٢) تفسير مقاتل ٢٩٣/٣

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٦٩/٥ وينظر : الكشاف للزمخشري ٥٩٠/٤

(عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) فوق رؤوسهم ، يعني الحملة))[1] ((والضمير في قوله (فَوْقَهُمْ) للملائكة الحملة)) [2]

الخامسة : جعل اللفظ بمعنى مرادفه : فقد جعل الدامغاني الحَمْل في الوجه الثاني عشر بمعنى الحَبَل ، في قوله تعالى : (وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) وقوله تعالى : (فَحَمَلَتْهُ) أي : حبلت به

قال ابن فارس : ((الحاء والباء واللام أصل يدلُّ على امتداد الشيء ، ثم يُحمَل عليه٠٠٠ومن الباب الحَبَل ، وهو الحَمْل ؛ وذلك أنَّ الأيام تمتدُّ به)) [3] وهذا ما ذهب إليه ابن فارس ، وقال الأزهري : عن ((ابن الأعرابي عن المفضل : الحَبَل : انتفاخ البطن من كل الشراب والنبيذ والماء وغيره ، ورجل حَبْلان ، وامرأة حَبلانة ، وبه سُمِّي حَمْل المرأة حَبَلاً)) [4] ((فالحَبَل : الامتلاء ، وحَبِلَ من الشراب : امتلأ ، ورجل حَبلان ، وامرأة حَبلى : ممتلئان من الشراب ، وقال أبو حنيفة : إنَّما هو رجل حُبْلان ، وامرأة حُبْلى٠٠٠والحَبَل : الحَمْل ؛ وهو من ذلك لأنَّه امتلاء الرحم)) [5]

فأهل اللغة بيَّنوا أنَّ الحَمْل سُمِّي حَمْلاً ؛ لأنَّ صاحبه يحمله على ظهر أو في بطن ، والحَبَل ، هو الامتداد كما قال ابن فارس ، والصحيح كما يبدو أنَّه هو الانتفاخ ، وسُمِّي حَبَل المرأة لانتفاخ بطنها ، والقرآن الكريم لاحظ أو راعى أو أراد الأصل الأول وصفته ، ولم يرد الثاني ، ولذلك استعمل القرآن الكريم لفظ الحمل ، ولم يستعمل لفظ الحَبَل ، في قوله

---

(١) الوسيط ٣٤٥/٤

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٩/٥ وينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٤١/٥

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٣٧

(٤) تهذيب اللغة ٧٣٣/١

(٥) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٢٥٩/٣ وينظر : لسان العرب ٢٢/٤-٢٣

تعالى : (وَأُوْلاتُ الأحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فدلالة الحمل أقوى من انتفاخ البطن ، ولأنّ فيه ثقلاً ، وصاحبته تنتظر دائمًا وضعه لتستريح من مشقة حَملها وثقله ، والقرآن الكريم حدد الأجل بوضع الحمل ، فكيف يصح أن يكون المراد والمعنى : وأولات الأحبال أجلهنَّ أن يضعن حبلهنَ ؟! لأنَّ التي توضَع هي الأحمال وليست الأحبال ، وكذلك قوله تعالى : (فَحَمَلَتْهُ) والهاء عائدة على الولد الذي تكوَّنَ في بطنها ، والدليل على أنَّ المراد الحْمل وليس الحَبل صيغة الفعل ؛ لأنَّه يقال : حملته ، ولا يقال : حبلته ، بل الصحيح أن يقال : حبلت منه أو به ، أي : انتفخت بطنها بسبب حملها فجعل الحَمْل بمعنى الحَبَل يُعدُّ تحريفًا لدلالة الأصل الذي ابتغاه النص القرآني .

والقرآن يذكر اللفظ لما يدل عليه في الأصل من ذلك مثلًا أنَّه سمَّى الولد في بطن أمِّه حَملًا لما تقدم ذكره ، وقد سمَّاه جنينًا عندما أراد دلالة أصله ، وهو أنَّ الجنين جاء من الجنِّ الذي يعني الاستتار ، وقد ورد بهذا المعنى في موضع واحد وهو قوله تعالى : (ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى {٣٠} وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى {٣١} الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الأثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى){النجم : ٣٠-٣٢} والسياق واضح أنَّه أراد هذا الأصل ، وهو معنى الاستتار ، أنَّه سبحانه يعلم ما ظهر وما استتر

والدليل القاطع على أنَّ الحمْل ليس من الألفاظ المشتركة جَعْلُ الحمْل في الوجه العاشر يعني الحمْل بعينه ، في قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) كما قال الدامغاني ، أو حقيقة الحمل كما قال الفيروزآبادي ؛ لأنَّ هذا يعني أنَّ للحمْل معنى مستقلاً خاصًّا به ، ويعدُّ اعترافًا وإقرارًا بأنَّ

معاني الوجوه المنسوبة إليه لا تعني الحمْل بعينه ، بل تعني معاني أُخَر ، وهي التي عُبِّر عنها بألفاظها ، فجعل الباب بمعاني الوجوه المذكورة لا يُعدُّ تحريفًا ظاهرًا فحسب ، بل يُعدُّ تحريفًا قد أُقِرَّ به عندما أُقِرَّ بأنَّ معاني الوجوه المنسوبة إلى الحمل لا تعني الحمل

٨-**الرَّقَبَـة** : ذكـر الـدامغاني وابـن الجـوزي أنَّ الرقبـة وردت فـي القرآن الكريم على وجهين :

الأول ، الرَّقَبَـة تعنـي المملـوك ، كقولـه تعـالى : (وَمَـن قَتَـلَ مُؤْمِنًـا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ)[النساء : ٩٢} أي : عتق مملوك أو مملوكة .

الثاني ، الرقبة والرقاب يعني الأعناق ، كقوله تعالى : (فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ)[الأنفال : ١٢}[١]

جاء في لسان العرب : ((والرقبة : المملوك ، سُمِّيت الجملة باسم العضو لشرفها ، وهي في الأصل العنق ، وجُعلتْ كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه)) [٢] وقال التهانوي : الرقبة (بفتح والراء والقاف) وهي ذات مرقوق سواء كان مؤمنًا أو كافرًا ذكرًا أو أنثى ... والرقبة في الأصل بمعنى العنق ، ثم استعمل في ذات الإنسان تسمية الكل باسم أشرف أجزائه كما في لفظ الرأس ، والوجه ، والعنق ، وأمثالها ، فإنَّها تطلق ويراد به ذات الإنسان ، والأصل فيها أنَّ الجزء الذي لا يبقى الإنسان بدونه ، يُطلَق على كل الإنسان ويراد به ذات الإنسان ؛ ولهذا الأصل لا تُطلَق اليد والرِّجل وأمثالها على الإنسان ولا يراد بها ، ثم خُصَّ لفظ الرقبة في المرقوق

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للداامغاني ص ٢٣٦ ونزهة الأعين ص ١٣٢

(٢) لسان العرب : ٢٠١/٦ .

كما في قوله تعالى : (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ){النساء : ٩٢}هكذا في حواشي الهداية))[١]

فيكون المملوك للرقبة في الوجه الأول معنى غير حقيقي ، والرقبة في الوجه الثاني تعني الرقبة بعينها ، فالعُنُق والأعناق مرادف للرقبة والرقاب ، فكل منهما يُعرَّف بمعنى الآخر ، فهما وجهان مختلقان ، اختُلِق الأول بجعل الرقبة بمعنى المجاز ، واختُلِق الثاني بجعلها بمعنى مرادفها

٩-الساق : ذكر الدامغاني وابن الجوزي أنَّ الساق في القرآن الكريم على وجهين :

الأول : الساق : العضو المعروف ، أي : الساق بعينه ، كقوله تعالى : (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ){ص : ٣٣}

الثاني : الشدَّة ، كقوله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ){القلم : ٤٢} وقوله تعالى : (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ){القلم : ٢٩}[٢]

قال ابن فارس : ((السين والواو والقاف أصل واحد ، وهو حدو الشيء٠٠٠والساق للإنسان وغيره ، والجمع سُوق ، إنَّما سمِّيتْ بذلك ؛ لأنَّ الماشي ينساق عليها))[٣] وقد جعل الدامغاني وابن الجوزي الساق في الوجه الثاني بمعنى الشدة في قوله تعالى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) وقوله تعالى : (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) ولم أجد في كتب اللغة من ذكر فيها أنَّ الساق بمعناها المعروف جاء بمعنى الشدة لا في اللغة ولا في القرآن الكريم ، حتى ابن الجوزي عرَّف الساق بقوله : ((الأصل في الساق : العضو المعروف ،

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ١٨٢/٢

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٧٣-٢٧٤ ونزهة الأعين ص ١٥٠ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٤١.

(٣) مقاييس اللغة ض ٤٢٣

وكلٌّ نبات له غصن فغصنه ساقه)) [1] فالساق لا تعني الشدة ، وإنَّما الشدة هي معنى التركيب (يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) قال الزمخشري : ((الكشف عن الساق ، والإبداء عن الخدام (يعني الخلخال) مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب ، فمعنى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) في معنى : يوم يشتدُّ الأمر ، ويتفاقم ، ولا كشف ثم ولا ساق)) [2] فـ((الكشف عن ساق مثل لشدة الحال وصعوبة الخطب والهول ، وأصله أنَّ المرء إذا هلع أن يسرع في المشي ويشمر ثيابه فيكشف عن ساقه ، كما يقال : شمَّر عن ساعد الجدّ ، وأيضًا كانوا في الروع والهزيمة تشمر الحرائر عن سوقهنَّ في الهرب أو في العمل فتكشف سوقهنَّ بحيث يشغلهنَّ هول الأمر عن الاحتراز من إبداء ما لا تبديه عادة ، فيقال : كشفت عن ساقها أو شمَّرت عن ساقها٠٠٠فإذا قالوا : كشف المرء عن ساقه فهو كناية عن هول أصابه ، وإن لم يكن كَشَفَ ساقَه ، وإذا قالوا : كشف الأمرُ عن ساق ، فقد مثلوه بالمرأة المروَّعة ، وكذلك كشفت الحرب عن ساقها ، كلَّ ذلك تمثيل ؛ إذ ليس ثمة ساق٠٠٠والمعنى : يوم تبلغ أحوال الناس منتهى الشدة والرَّوع ، قال ابن عباس : يُكشَف عن ساق : عن كرب وشدة ، وهي أشدُّ ساعة في يوم القيامة)) [3] وكذلك الساق في قوله تعالى : (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) يجوز أن يكون المراد منه العضو المعروف ، أي : الساق بعينها ، و((المعنى : التفاف ساقي المحتضر بعد موته ؛ إذ تُلَفّ الأكفان على ساقيه ويُقرَن بينهما في ثوب الكفن٠٠٠ويجوز أن يكون ذلك تمثيلًا٠٠٠فمعنى : (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) طرأت مصيبة على مصيبة)) [4] وها هو ابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل

([1]) نزهة الأعين ص ١٥٠

([2]) الكشاف ٥٨٢/٤

([3]) التحرير والتنوير ٩١/٢٩

([4]) التحرير والتنوير ٣٣٣/٢٩

الساق بمعنى الشدة في قوله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) وقوله تعالى : (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال في تفسير الشاهد الأول : ((قال ابن قتيبة ، وأصل هذا أنَّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه شمَّر عن ساقه [١] فاستعيرت الساق في موضع الشدة ، هذا قول الفراء [٢] وأبي عبيدة [٣] واللغويين ، وقد أضيف هذا الأمر إلى الله تعالى)) [٤] وقال في تفسير الشاهد الثاني : ((قوله تعالى : (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) فيه خمسة أقوال :

أحدها : أمر الدنيا بالآخرة

والثاني : اجتمع فيه الحياة والموت

والثالث : التفَّت ساقاه في الكفن

والرابع : التفَّت ساقاه عند الموت

والخامس : الشدة بالشدة قال قتادة ، قال الزجاج : آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة)) [٥] فأجاز في تفسيره أن يكون المراد من الساق الساق بعينها في القول الثالث والرابع ، وأجاز في القول الأول أن يكون المراد من الساق بالساق أمر الدنيا بالآخرة ، وفي القول الثاني الحياة والموت ، ولم يوافق ما قاله في النزهة إلاَّ في الباب الخامس ، فأنت ترى أنَّ ما قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، فالعرب لم تستعمل الساق بمعنى الشدة إلاَّ في باب المجاز والتمثيل .

---

(١) ينظر : تفسير غريب القرآن ص٤٨١

(٢) ينظر : معاني القرآن ٧٦/٣

(٣) مجاز القرآن ص ٢٧٧

(٤) زاد المسير ١٠٢/٨

(٥) زاد المسير ١٦٢/٨

١٠-**السراج** : ذكر أهل الوجوه أنَّ السراج في القرآن الكريم على وجهين :

الأول : الشمس ، كقوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا)[الفرقان : ٦١} وقد فسر ذلك في قوله تعالى : (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)[نوح : ١٦}

الثاني : محمد صلى الله عليه وسلم : كقوله تعالى : (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)[الأحزاب : ٤٦}[١]

قال ابن فارس : ((السين والراء والجيم أصل واحد يدل على الحسن والزينة والجمال ، من ذلك السراج ، سُمِّي لضيائه وحسنه)) [٢]وقال الراغب : ((السراج : الزاهر بفتيلةٍ ودهنٍ ويعبَّر به عن كل مضيء))[٣] فسمى القرآن الكريم الشمس في الوجه الأول بالسراج لتوقدها وضيائها ، والكلام جار على التشبيه البليغ ؛ لأنَّ حقيقة السراج : المصباح الزاهر الضياء ، والمقصود : أنَّه جعل الشمس مزيلة للظلم كالسراج[٤] والدليل على ذلك قوله تعالى : ((وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)[نوح : ١٦}

فوصف الشمس وسمَّاها سراجًا ، أي : جعل الشمس بمعنى السراج ، ولم يجعل السراج بمعنى الشمس كما فعل من هما من أصحاب كتب الوجوه ، فهو وجه مختلق عن طريق دراسته دراسة معكوسة .

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٥٦-٢٥٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٧٥ ونزهة الأعين ص ١٥٠-١٥١.

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٣٨.

(٣) المفردات ص ٢٣٧.

(٤) ينظر : مدارك التنزيل ص ٨٠٩ وص ٩٤٥ وعمدة الحفاظ ١٨٧/٢ والتحرير والتنوير ٨٥/١٩ .

ووصف وسمى محمدًا صلى الله عليه وسلم سراجًا ؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام أضاءت الدنيا به وبشريعته بعد أن كانت مظلمة بالكفر فبه جلا الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يُجلى ظلام الليل بالسراج المنير [1] ((ففقوله تعالى : (وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) تشبيه بليغ بطريق الحالية وهو طريق جميل ، أي : أرسلناك كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس فيها لا تترك للباطل شبهة إلّا فضحتها وأوقفت الناس على دخائلها كما يضيء السراج الوقَّاد ظلمة المكان)) [2]

فجعْلُ السراج بمعنى الشمس ، وبمعنى محمد صلى الله عليه وسلم كان على سبيل التشبيه ، فعلاقتهما بلفظ السراج علاقة مجاز لا علاقة وجوه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنَّهما كليهما وجه واحد ؛ لأنَّهما كليهما بمعنى السراج ، وليس السراج بمعنييهما ، فهذان الوجهان مختلقان بطريقة مركبة ، بطريقة جعل السراج بمعنيين من معاني مجازاته ، وبطريقة الدراسة المعكوسة .

١١-**الشياطين** : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الشياطين جاءت في القرآن على خمسة أوجه هي :

١-الشياطين بمعنى : الكهنة كقوله تعالى : (وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ)(البقرة : ١٤} يعني : إلى كهنتهم : كعب بن الأشرف وغيره .

٢-الشياطين بمعنى : الحيات ، كقوله تعالى : (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ)(الصافات : ٦٥} يعني رؤوس الحيات .

---

(١) ينظر : مدارك التنزيل ص ٩٤٥ وعمدة الحفاظ ١٨٧/٢ والتحرير والتنوير ٨٥/١٩ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٨١/٢١.

٣–الشياطين بمعنى : الطغاة من الإنس والجن ودعاة الضلال ، كقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ){الأنعام : ١١٢}

٤–الشيطان يعني : أمية بن خلف كقوله تعالى : (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلأنسَانِ خَذُولًا){الفرقان ٢٩}

٥–الشيطان بمعنى إبليس وأولاده ، كقوله تعالى : (وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ){المؤمنين : ٩٧} وقوله تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء){البقرة : ٢٦٨} وقوله تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ){النحل : ٩٨}[١]

قال ابن فارس : ((الشين والطاء والنون أصل واحد يدلّ على البعد ... وأمَّا الشيطان ، فقال قوم هو من هذا الباب والنون فيه أصلية ، فسمِّي بذلك لبعده عن الحق وتمرده ، ذلك أنَّ كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان ... ويقال : : إنَّ النون فيه زائدة على فعلان وأنَّه من شاط)) [٢] وقال ابن الجوزي : ((الشيطان : اسم لكل متمرد ، قال أبو عبيدة : كل غالب متمرد من الجن والإنس والدواب فهو شيطان)) [٣] والصحيح أنَّ الشيطان ليس اسم جنس ، وإنَّما هو اسم لإبليس وذريته قال الراغب : ((الشيطان النون فيه أصلية ... فالشيطان مخلوق من نار ... ولكونه من

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٥٩–٢٦٠ الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٨٦–٢٨٧ ونزهة الأعين ص ١٦٨–١٦٩ ومنتخب قرة العيون ص ١٥١–١٥٢وبصائر ذوي التمييز ٣/٣٢–٣٢١ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٤٧–٤٤٨ .

(٣) نزهة الأعين ص ١٦٨ .

ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم))[1]
وقال الحلبي : ((وقالوا : تشيطن ، أي : فعل فعل الشياطين فنونه أصلية وألفه مزيدة هذا قول الحذاق ... وذلك لأنَّه بَعُدَ من رحمة الله تعالى لمخاصمته أمره)) [2]

وفرَّق العسكري بين الشيطان والجني ((أنَّ الشيطان هو الشرير من الجنِّ ؛ ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريرًا شيطان ، ولا يقال جنِّي ؛ لأنَّ قولك شيطان يفيد الشرّ ، ولا يفيده قولك جنِي وإنَّما يفيد الاستتار ؛ ولهذا يقال على الإطلاق : لعن الله الشيطان ، ولا يقال : لعن الله الجِنِّي ، والجنِّيُّ اسم الجنس ، والشيطان صفة له)) [3]

فهذا هو الشيطان لا اختلاف فيه ، أنَّه إبليس وذريته ، حتى قال أهل اللغة : ((والشيطان معروف)) [4] فالجنُّ اسم جنس يُطلَق على كل من استتر ، فهو معنى عام يدخل فيه : الملائكة ، والشياطين ، والجنَّ ، إلّا أنَّ الصنف الأول اختص باسم الملائكة ، والثاني باسم الشياطين ، والثالث باسم الجنَّ ، والجنّ كالإنس فيهم المؤمن وفيهم الكافر .

فالشيطان ليس له إلا وجه واحد ، وهو الوجه الخامس الذي جُعِل بمعنى : إبليس وأولاده ، أمَّا الكهنة ، والحيات ، والطغاة من الإنس والجن ، وأمية بن خلف ، كما جاء في الأوجه الأربعة التي تقدمته ، فقد كانت بمعنى الشيطان على سبيل التشبيه والاستعارة ، ووجه الشبه : التمرد والعتو والبعد عن الحق ، أو هو الشبه بالصورة المبهمة ، كما جاء في الوجه الثاني الذي

---

(١) المفردات ص ٢٧٠.

(٢) عمدة الحفاظ ٢/٢٧٠.

(٣) الفروق اللغوية ص ٣٠٩.

(٤) تاج العروس ٣٥/١٤١.

جعلوا فيه الشياطين بمعنى : رؤوس الحيات في قوله تعالى : (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ)[الصافات : ٦٥] جاء في التفسير : ((الطلعة للنخلة ، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها ، وشُبِّه برؤوس الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر ؛ لأنَّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنّه شرٌّ محض ، وقيل : الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدًّا)) [١] والحية هذه نفسها سُمِّيت بالشيطان تشبيها لها بالشيطان ، فالأوجه المذكورة التي نسبوها للشيطلن لا تصح أن تُعد أوجهًا ؛ لأنَّها معان مجازية ، ووجوه اللفظ المشترك يجب أن تكون معانيها حقيقية غير مجازية ، وهي من جهة أخرى أنَّه لو صحت هذه الأوجه فهي أوجه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ، فالقرآن الكريم لم يُسمِّ الشياطين بالكهنة ، والحيات ، والطواغيت ، وأميَّة بن خلف ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، بل سمَّى كلًّا منها بالشياطين ، فهي جميعها وجه واحد ؛ لأنَّ الأوجه المذكورة هي التي شُبِّهت بالشيطان ، وليس الشيطان شُبِّه بها ، فهي بمعناه وليس هو بمعانيها .

١٢-**الطريق** : قال الحيري : ((باب الطريق على خمسة أوجه :

أحدها : الضلالة ، كقوله تعالى : (وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً {١٦٨} إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ)[النساء : ١٦٨-١٦٩]

والثاني : الذين كفروا ، كقوله تعالى : (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ)الأحقاف : ٣٠]

والثالث : الكفر ، كقوله تعالى : (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى)[طه : ٦٣]

---

(١) مدارك التنزيل ص ١٠٠٢-١٠٠٣ .

والرابع : الإيمان ، كقوله تعالى : (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لاسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا){الجنّ : ١٦}

والخامس : الأهواء ، كقوله تعالى : (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا){الجن : ١١}))[١]

وقال الدامغاني : ((تفسير الطرق على ثلاثة أوجه : الطرائق : الأهواء المختلفة ، والطرائق : السماوات ، والطريق بعينه

فوجه منها : الطرائق : الأهواء المختلفة ، قوله تعالى : (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا){الجن : ١١} يعني الأهواء المختلفة

والوجه الثاني : الطرائق : السماوات ، قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ){المؤمنون : ١٧} يعني سبع سماوات

والوجه الثالث : الطريق : السبيل ، قوله تعالى : (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا){طه : ٧٧}))[٢]

قال الخليل : ((الطريق مؤنَّث ، وكلّ أُخدود من أرض أو صنفة من ثوب ، أو شيء مُلْزَق بعضه ببعض فهو طريقة ، والسماوات والأرضون طرائق بعضها فوق بعض))[٣] وقال الراغب : ((الطريق السبيل الذي يُطرَق بالأرجل٠٠٠وعنه استعير كلّ مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمودًا كان أو مذمومًا قال تعالى : (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى){طه : ٦٣} والطارق السالك للطريق ، لكن خُصَّ في التعارف بالآتي ليلًا ، فقيل : طرق أهله طُروقًا ٠٠٠وجمع الطريق طُرُق ، وجمع طريقة طرائق ، قال تعالى : (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا){الجن : ١١} إشارة إلى اختلافهم في درجاتهم٠٠٠وأطباق السماء يقال

([١]) وجوه القرآن ص ٢٩٦

([٢]) الوجوه والنظائر ص ٣٢٤-٣٢٥

([٣]) العين ص ٥٦٦

لها طرائق ، قال تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ){المؤمنون : ١٧}))[١]

فالطريق لفظ مجازي من جهة ، واسم جنس من جهة أخرى ، والحيري والدامغاني اختلقا الأوجه المنسوبة إليه بدراستها دراسة معكوسة ، فقد جعلا الطرائق بمعنى الأهواء المختلفة في قوله تعالى : (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) ((وقوله (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) تشبيه بليغ شبَّه تخالف الأهواء والعقائد بالطرائق٠٠٠وطرائق جمع طريقة ، والطريقة هي الطريق))[٢]

وجعل الدامغاني الطرائق في الوجه الثاني بمعنى السماوات في قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) قال ابن قتيبة (((سَبْعَ طَرَائِقَ) سبع سماوات كلُّ سماء طريقة٠٠٠وإنَّما سُمِّيتْ طرائق بالتطارق ؛ لأنَّ بعضها فوق بعض ، يقال : ريش طرائق)) [٣]

فأنت ترى أنَّ السماوات سُمِّيتْ بالطرائق ، وشُبِّهتْ بها ، فالطرائق لفظ مستعار مجازي ، والسماوات حقيقة ، فجَعْلُ الدامغاني الطرائق بمعنى السماوات يعني أنَّه سمّى الطرائق بالسماوات ، وهذا يعدُّ تحريفًا من وجهين ، ذلك بقلب المعنى في باب التسمية والمجاز ، فقد سمّى الطرائق بالسماوات ، والمراد تسمية السماوات بالطرائق ، وجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز

وجعل الحيري الطريق في الوجه الأول بمعنى الضلالة في قوله تعالى : (وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً {١٦٨} إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ) وجعله في الوجه الرابع بمعنى الإيمان في قوله تعالى : (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لاسْقَيْنَاهُم مَّاء

([١]) المفردات ص ٣١٥

([٢]) التحرير والتنوير ٢١٦/٢٩

([٣]) تفسير غريب القرآن ص ٢٩٦وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٣٨/٥

غَدَقًا) والطريق في هذين الشاهدين هو الطريق بعينه ؛ لأنَّ هذا هو تعريف الطريق كما تقدم تعريفه بأنَّه يعني ((السبيل٠٠٠وعنه استعير كلّ مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمودًا كان أو مذمومًا)) ((فيقال : طريق الخير كذا ، وطريق الشر كذا))[١] فالطريق في الوجه الأول هو المسلك الفعلي المذموم ، وهو في الوجه الرابع : المسلك الفعلي المحمود

وجعل الحيري الطريق في الوجه الثاني بمعنى : الذين كفروا ، في قوله تعالى : (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((وقوله تعالى : (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) يقول : يرشد إلى الصواب ، ويدلُّ على ما فيه الله رضًا (وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) يقول : وإلى طريق لا اعوجاج فيه ، وهو الإسلام)) [٢] وقال القرطبي : (((يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) دين الحق (وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) دين الله القويم))[٣]

فإذا كان هذا هو معنى الطريق وتفسيره في قوله تعالى : (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) فما معنى جعله بمعنى الذين كفروا ؟! فهو وجه لا يصحُّ ، ولا يقول به عاقل يعي ما يقول ، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ المحقق لم يعقِّب على هذا الوجه الذي قال به الحيري ، ولم يعلِّق عليه بأيِّ كلام كان

وجعل الحيري الطريق في الوجه الثالث بمعنى الكفر ، في قوله تعالى : (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) قال أبو عبيدة في تفسير هذه الآية : ((مجازه : بسنتكم ودينكم وما أنتم عليه ، ويقال : فلان حسن الطريقة المثلى ، تأنيث الأمثل ، يقال : خذ المثلى منهما ، للأنثى ، وخذ الأمثل منهما ، إذا كان ذكرًا))[٤] قال الطبري : ((وعن مجاهد قوله تعالى : (وَيَذْهَبَا

---

(١) عمدة الحفاظ لابن الحلبي ٤٠٣/٢

(٢) جامع البيان ٤٢/٢٦ وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١٠٦/٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٥١/١٦

(٤) مجاز القرآن ص ١٦٨

بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) قال : أولي العقل والشرف والأنساب٠٠٠وقال آخرون : معنى ذلك : ويغيِّرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه)) [١] ((وروى الشعبي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه الآية قال : يصرفا وجوه الناس إليهما ، والمعنى : أن يغلبا بسحرهما فيميل إليه السادة والأشراف منكم٠٠٠وقال ابن زيد : ويذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة)) [٢] ((والأظهر في الطريقة هنا أنَّها السيرة والمملكة والحال التي هي عليها ، و (الْمُثْلَى) تأنيث أمثل ، أي : الفاضلة الحسنة))[٣] وقال الحلبي : ((قال الفراء : هي الرجال ، يقال : هؤلاء طريقة قومهم وتطورة قومهم ، قلتُ : تسميتهم مجازًا عن كونهم متبوعين ومقتدى بهم ، فهم طريقة بهذا الاعتبار ، وحينئذ يكون فيه مجازان ، لأنَّ استعمال الطريقة في السنة والاقتداء مجاز ، واستعمال ذلك في الأشراف مجاز ثان ، لا بأس به)) [٤]

فإذا كان هذا هو معنى الطريق وتفسيره في قوله تعالى : (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) فما معنى جعله بمعنى الكفر ؟!

وتأمَّل كيف أنَّ الدامغاني جَعَلَ الوجه الثالث للطريق يعني الطريق بعينه ، ثم جعله بمعنى السبيل ، والسبيل مرادف للطريق ، واللفظ يُعرَّف بما يرادفه ، وهذا أكبر دليل على صحة ما نوَّهْتُ به مرارًا بأنَّ أصحاب كتب الوجوه اختلقوا الوجوه بطرائق مختلفة ، من بينها طريقة الترادف ، وهو أنَّهم اتخذوا من مرادفات اللفظ أوجهًا له .

١٣-**القذف** : قال الدامغاني : ((تفسير القذف على أربعة أوجه : القول بالظن ، والطرح ، والرمي والبيان ، والرجم .

---

(١) جامع البيان ٢١٣/١٦

(٢) الوسيط للواحدي ٢١٣/٣

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٥١/٤

(٤) عمدة الحفاظ ٤٠٢/٢

فوجه منها ، القذف : القول بالظن ، قوله تعالى في سورة سبأ : (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ)[سبأ : ٤٨] يعني : يقولون بالظن

والوجه الثاني ، القذف : الطرح ، قوله تعالى في سورة طه : (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ)[طه : ٣٩] يعني : فاطرحيه .

والوجه الثالث ، القذف : الأمر والبيان ، قوله تعالى في سورة الصافات : (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ)[سبأ : ٤٨]

والوجه الرابع ، القذف : الرجم قوله تعالى في سورة الصافات : (وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ {٨} دُحُورًا وَلَهُمْ)[الصافات : ٨-٩] يعني : يرمون ويرجمون)) [١]

قال ابن فارس : ((القاف والذال والفاء أصل يدلّ على الرمي والطرح ، يقال : قذف الشيء يقذفه قذفًا : إذا رمى به)) [٢] وقال الراغب : ((القذْف : الرمي البعيد ... واستعير القذف للشتم والعيب كما استعير الرمي)) [٣]

جعل القذف في الوجه الأول بمعنى القول بالظن في قوله تعالى : (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) والقذف هنا لفظ مستعار ، قال الحلبي : ((قوله تعالى : (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ)[سبأ : ٤٨] استعارة لرجمهم بالظنون الكاذبة والأوهام الفاسدة ... وأصل القذف الرمي من بعد ... واستعير للشتم والسبّ كما استعير لهما الرمي والرجم)) [٤]

وجعله في الوجه الثالث بمعنى الأمر والبيان في قوله تعالى : (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ) وهو أيضًا لفظ مستعار ، جاء في تفسير

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٣٨١-٣٨٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٦٧ .

(٣) المفردات ص ٤١٤.

(٤) عمدة الحفاظ ٣/٢٨٥-٢٨٦.

هذه الآية : ((بالوحي ، والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار لمعنى الإلقاء ، ومنه : (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا){الأحزاب : ٢٦} ومعنى : يقذف بالحق : يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه)) [١]

فجعل القذف بمعنى الظن ، وبمعنى الأمر والبيان ، كما جاء في الوجه الأول والثالث كان على سبيل الاستعارة ، فيدخلان في باب المجاز لا في باب الوجوه ، وجعلَ القذف في الوجه الثاني بمعنى الطرح ، وجعله في في الوجه الرابع بمعنى الرجم ، والطرح ، والرجم ، معنيان قريبان من القذف ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه .

فالأوجه الأربعة المذكورة المنسوبة إلى القذف منها ما هو داخل في باب المجاز ، ومنها ما هو داخل في باب الترادف .

الطريقة السابعة : جعل اللفظ بالمعاني التي اختلفت لاختلاف صيغه ، أو جذره ، أو متعلّقه :

تقدم قول ابن الجوزي : ((واعلم أنَّ معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة ذُكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة)) [٢] فالخُطبة مثلًا بضم الخاء : الكلام ، وبكسر الخاء : طلب النكاح[٣] والقمَّة بضم القاف : ما يُكنّس ، وبكسر القاف : أعلى كل شيء [٤] والقِسْط بكسر القاف العدل ، ويقال منه : أقسط يُقسط ، واسم الفاعل : المُقسط ، وجمعه : المقسطون أي : العادلون ، والقَسْط بفتح القاف : الظلم

---

(١) مدارك التنزيل ص ٩٦٧ .

(٢) نزهة الأعين ص١٢.

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٦٢ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٧٤٢ .

والجور[١] ، واسم الفاعل : القاسط ، وجمعه : القاسطون أي : الظالمون ؛ لذلك ورد قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ){الممتحنة : ٨} وقوله تعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا){الجن : ١٥} حتى إنَّ أصحاب كتب الوجوه أنفسهم في الأغلب لم يذكروا من الوجوه إلّا ما كان عائدًا إلى اللفظ نفسه بحروفه وحركاته ، فقد تقدَّمت الأوجه التي نسبوها للبرِّ في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ١٦٤ والبِر (بكسر الباء) يعني الإحسان ، وبالفتح : خلاف البحر ، وبالضم القمح[٢] إلّا أنَّ أصحاب كتب الوجوه ذكروا الأوجه وشواهدها الراجعة إلى البِر (بكسر الباء) فحسب من دون الراجعة إليه بفتح الباء وضمها[٣] بل فرقوا بين الأوجه المنسوبة إلى الصيغ المختلفة بالحركة وإن كانت من جذر واحد ، من ذلك مثلًا أنَّهم جعلوا للجَناح (بكسر الجيم) وجهين هما : الجانب ، والجناح بعينه[٤] وجعلوا للجُناح (بضم الجيم) وجهين هما : الحرج ، والإثم[٥] ومن أمثلة هذه الطريقة ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

---

(١) أنوار التنزيل ١٥٧/٤.

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٦٧-٦٨ .

(٣) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣١٠-٣١١ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤٦-١٤٧ والوجوه والنظائر لهرون ص٢١٨-٢١٩ والوجوه والنظائر للعسكري ٩١-٩٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٩-١٣٠ ونزهة الأعين ص ٦٩-٧٠ ومنتخب قرة العيون ٧٢-٧٣ .

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٦ ونزهة الأعين ص ٩١ وبصائر ذوي التمييز ٤٠٠/٢

(٥) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٣والوجوه والنظائر للعسكري ١١٥ وبصائر ذوي التمييز ٤٠٠/٢

١-**استوى** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الاستواء ورد في القرآن على سبعة أوجه .

الأول : القصد كقوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ){فصلت : ١١}

والثاني : الاستيلاء ، كقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى){طه : ٥}

والثالث : الاستقرار أو الاستيفاء ، كقوله تعالى : (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ){هود : ٤٤}

والرابع : التماثل ، كقوله تعالى : (قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ){المائدة : ١٠٠}

والخامس : استوى ، أي : ركب ، كقوله تعالى : (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ){الزخرف : ١٣}

والسادس ، استوى : قوي واشتد ، كقوله تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى){القصص : ١٤} أي : استوى خلقه أربعين

والسابع : الاستواء بعينه كقوله تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ){الزمر : ٩}[١]

من الحقائق اللغوية التي يجب التنبيه عليها أنَّ من مفردات القرآن الكريم ما أمكن تحديد دلالتها ، ومنها ما لم نجد لفظًا واحدًا اتضح لدينا معناه يمثل أقرب المعاني إليه ؛ بل وجدنا عدة ألفاظ كل منها يكون قريبًا من معناه على حد سواء ، مما يدل على أن هذه المفردة تقع في مفترق معانيها الخاصة ، من ذلك لفظ الاستواء ، والدليل على ذلك تعدد معانيه عند أهل

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ٨٣-٨٤ ووجوه القرآن للحيري ص ٤٤-٤٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١١٤-١١٥ .

اللغة ، فقد جعلوه بمعنى سويّ الخلقة والحال ، يقال : كيف أمسيتم ؟ فيقال : مستوون صالحون ، وبمعنى وسط الشيء ، ويجيء بمعنى التماثل كقوله تعالى : (قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ){المائدة : ١٠٠} وبمعنى الاستقامة ، وبمعنى الاعتدال كقوله تعالى : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى {٥} ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى){النجم : ٦} أو بمعنى البلوغ والاكتمال كقوله تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى){القصص : ١٤} والمستوي من الرجال الذي بلغ الغاية من شبابه وتمام خلقه وعقله ، وذلك بتمام ثمان وعشرين إلى تمام ثلاثين ، ثم يدخل في حد الكهولة ، ويحتمل كون الأربعين غاية الاستواء وكمال العقل[١] فالصلاح والوسط والاستقامة والاعتدال والكمال والتمام والبلوغ ،لا يمثل واحد من هذه الأمور بمفرده معنى الاستواء ، بل الذي يمثل معناه المعنى الحاصل والناتج من اجتماعها ، وهذا المعنى المُحَصَّل هو معنى الاستواء في كل شواهد الأوجه المذكورة ، وأينما ورد في القرآن الكريم ، يضاف إلى ذلك أنَّ الأوجه المذكورة جاء من اختلاف التراكيب ، فقد جُعِل الاستواء في الوجه الأول بمعنى قصد الشيء ، في قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ) أي : التوجه إلى السماء والانتهاء إليها ، وهذا معنى (إلى) وليس معنى الاستواء ((كما تقول فرغ الأمير من بلد كذا ثم استوى إلى بلد كذا، معناه : قصَدَ الاستواء إليه)) [٢]

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){البقرة {٢٩} ((فقال بعضهم : استوى إلى السماء : أقبل عليه ... وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل

---

(١) ينظر : العين ص ٤٥٧ ومقاييس اللغة ص ٤٢٠-٤٢١ والمفردات للراغب ص ٢٥٩-٢٦٠ وتاج العروس ١٨٠/٣٨.

(٢) تاج العروس ١٨١/٣٨.

ذكره بتحول ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ثم تحوَّل إلى الشام ، إنَّما يريد تحوّل فعله ، وقال بعضهم : استوى إلى السماء : عمد إليها، وقال : بل كل تارك عملًا كان فيه إلى آخره فهو مستو لما عمد ومستو إليه ، وقال بعضهم : الاستواء : هو العلو ، والعلو هو الارتفاع ... وأَولى المعاني بقول الله جل ثناؤه : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ) علا عليهن وارتفع فدبّرهنّ بقدرته وخلقهنّ سبع سموات ، والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء) الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنَّما علا وارتفع بعد أن كان تحتها ، إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ، ثم لم ينج مما هرب منه ، فيقال له : زعمتَ أنَّ تأويل قوله : (اسْتَوَى) أقبل ، أفكان مدبرًا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أنَّ ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير ، قيل له فكذلك فقل : علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولًا إلّا ألزم في الآخر مثله)) [1]

وجُعِل الاستواء في الوجه الثاني بمعنى الاستيلاء في قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) والاستواء هنا يعني الاستواء بعينه ، ولا علاقة له بمعنى الاستيلاء ، وإنَّما جعلوه بهذا المعنى من إسقاط دلالة (على) التي تفيد معنى الاستعلاء على الشيء ، وهذا المعنى لا يعني الاستيلاء ، وقد فسَّر الطبري قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) بقوله : ((يقول تعالى ذكره : الرحمن على عرشه ارتفع وعلا)) [2] وهذا أيضًا متأتٍّ من إسقاط دلالة (على) على دلالة الاستواء ، والحقيقة أنَّ معنى الاستعلاء الذي

---

(١) جامع البيان ٢١٩/١-٢٢٠ .

(٢) جامع البيان ١٦٠/١٦.

يدل عليه حرف الجر (على) هو غير معنى الاستعلاء الذي يدلّ عليه الفعل : علا وارتفع ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ){الحشر : ٢١} فالفعل (أنزل) باق على معناه على الرغم من تعلق (على) به ، وعلى الرغم من أنَّ النزول نقيض العلو والارتفاع ، فكذلك (استوى) باق على معناه في قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وقوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء) وأينما ورد في كتاب الله العزيز

وجُعِلَ الاستواء في الوجه الثالث بمعنى الاستقرار على الشيء في قوله تعالى : (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) والاستواء هنا أيضًا باق على معناه ؛ لأنَّه يدل على الاستقامة والاعتدال والكمال والتمام وبلوغ الغاية ، وسفينة نوح قد استقام أمرها واعتدل وتمّ واكتمل وبلغت غايتها عند استوائها على جبل الجودي جاء في التفسير : ((وكان استواؤها عليه دلالة على نفاد الماء)) [١] فبلغت هذه الغاية ((بعد أن طافت الأرض كلها ستة أشهر))[٢] فاللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فجعل الاستواء بمعنى الاستقرار جائز في باب التفسير ، لأنَّ الغاية من التفسير إيضاح المعنى العام للفظ بما يرادفه من ألفاظ من دون الادعاء أنَّ هذا اللفظ المرادف أو غيره مطابق لدلالة الاستواء ، أمَّا الادعاء بأنَّه بديل عنه أو يحلّ محلّه كما هو الحال في باب الوجوه فهو تحريف لدلالة اللفظ ؛ لأنَّ الاستقرار على الجودي وأي لفظ آخر مرادف له كالجلوس عليه لا يعطي المعنى الذي يدل عليه الاستواء ، وإن كان مرادفًا له وقريبًا من معناه ، قال التهانوي : ((وكذا قوله تعالى : (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) وحقيقة ذلك جلستْ ، فعدل عن اللفظ الخاص

---

(١) الوسيط للواحدي ٢/٥٧٥.

(٢) مدارك التنزيل ص ٤٩٨.

بالمعنى إلى مرادفه ، لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن ، لا زيغ فيه ولا ميل ، وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس ، وكذا : (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ)(الرحمن : ٥٦} والأصل عفيفات ، وعدل عنه للدلالةعلى أنَّهنَّ مع العفة لا تطمح أعينهنَّ إلى غير أزواجهنَّ ، ولا يشتهين غيرهم ، ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفة)) [١]

وجُعِل الاستواء في الوجه الرابع بمعنى التماثل في قوله تعالى : (قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) وإنَّما المراد من الاستواء في الشاهد الأول أنَّ اجتماع الخبيث مع الطيب لا ينتج منه أمر سويٌّ تتمثل فيه معاني الاستقامة والاعتدال والكمال والتمام ، وهو بهذا المعنى أيضًا في قوله تعالى : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى {٥} ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى)

وجُعِلَ الاستواء في الوجه الخامس بمعنى ركب ، كقوله تعالى : (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) بل هو بمعنى الاستوء بعينه ، وإنَّما جُعِل بمعنى الركوب من تسليط معنى حرف الجر (على) عليه

وجَعَلَ الدامغاني الاستواء في الوجه السادس بمعنى : ((قوي واشتدّ ، كقوله تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى)(القصص : ١٤} أي : استوى خلقه أربعين سنة))[٢] بل هو بمعنى الاستواء بعينه ، والدليل على ذلك قول الدامغاني نفسه عندما جعل قوله تعالى : (وَاسْتَوَى) بمعنى : ((استوى خلقه أربعين سنة)) قال أبو منصور الأزهري : ((وقول الله عز وجل : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى)(القصص : ١٤} قيل : إنَّ معنى (استوى) ها هنا بلغ الأربعين ، قلتَ : وكلام العرب أنَّ المجتمع من الرجال والمستوي هو الذي تم شبابه ،

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ٦٤٦/٢ .

(٢) الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١١٤ .

وذلك إذا تمت له ثمان وعشرون فيكون حينئذ مجتمعًا ومستويًا إلى أن تتم له ثلاث وثلاثون سنة ، ثم يدخل في حد الكهولة ، ويحتمل أن يكون بلوغ الأربعين غاية الاستواء وكمال العقل والحنكة ، والله أعلم)) [1]

فهناك في الأوجه السبعة المذكورة أربع دلالات :

الأولى : دلالة (على) فجعل الاستواء في الوجه الثاني بمعنى الاستيلاء في قوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وجعله بمعنى الاستقرار في الوجه الثالث في قوله تعالى : (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) وبمعنى الركوب في الوجه الخامس في قوله تعالى : (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) هذه المعاني الثلاثة جاءت من دلالة (على) التي تفيد معنى الاستعلاء على الشيء ، فالمعنى واحد حتى جاز تقديرها في كلِّ وجه من الأوجه المذكورة .

الثانية : دلالة (إلى) التي تفيد قصد الشيء والاتجاه إليه ، كما جاء هذا في الوجه الأول في قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ)

الثالثة : دلالة الاستواء بعينها وتكون عند مجيء الاستواء مجردًا من تعلقه بالواو ، وبحرف الجرّ ، كما جاء هذا في الوجه السادس في قوله تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) ومثل هذا قوله تعالى : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى {٥} ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى){النجم : ٦}

الرابعة : دلالة الواو في الوجه الرابع الذي جعلوه بمعنى التماثل في قوله تعالى : (قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)

والحقيقة أنّ الواو هنا واو معية ، ولا يصحّ أن تكون عاطفة ؛ لأنّه لا يصحّ تكرار العامل ، أي : لا يصحّ تقدير العطف ، فلا يصحّ أن يقال : لا يستوي الخبيث ولا يستوي الطيّب ، فهذا الكلام لا معنى له ؛ لأنّه ما أريد

---

(١) تهذيب اللغة ١٧٩٤/٢.

معنى العطف ، بل أريد أن يكون المعنى : لا يستوي الخبيث مع الطيِّب ، وكذلك قوله تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ))[الزمر : ٩}

وقد بحثتُ هذه القضية في باب المفعول معه المرفوع في كتابي : من مزاعم النحاة ، وقد فاتني الاستشهاد بهذه الشواهد القرآنية في هذا الباب وقد ذكرتُ هناك مسألة ((رفع الاسم بعد الواو في نحو : اختصم زيد وعمروٌ ، على الرغم من عدم صحة معنى العطف في هذا المثال لعدم صحة أن يقال : اختصم زيد واختصم عمرو ؛ لأنَّ المراد من الواو معنى (مع) ، والتقدير : اختصم زيد مع عمرو .

وجاء في فرائد النحو الوسيمة ((وتكون الواو للتنصيص على مصاحبة ما بعدها لمعمول العامل السابق نحو : اشترك زيدٌ وعمروٌ ، وخلطتُ البُرَّ والشعيرَ)) [١] وإذا تعيَّن أن تكون الواو في : خلطتُ البرَّ والشعيرَ ، للمعية ولا يصح جعلها واو عطف في حال النصب، فهي كذلك في حال الرفع ، وقولنا : اختلط البُرُّ والشعيرُ ، وهذه شواهد جديدة يُصرّح بها النحاة على المفعول معه المرفوع ، ومن أمثلتها الأخرى ، تكلم المعلمُ والطالبُ ؛ فـ(الطالبُ) وإن كان مرفوعًا ، فهو مفعول معه ، إذ المعنى المراد : تكلم المعلم مع الطالب ، وإذا جُعل معطوفًا ، تغير المعنى واستوجب أن يكون أنَّ كلًّا منهما تكلم مع إنسان آخر ، أي : وقع فعل الكلام من كل واحد منهما على حدة))

فمعنى المماثلة ، كما جاء في الوجه الرابع متأتٍّ من دلالة الواو، لا من دلالة الاستواء .

---

(١) ص ٢٥٩ .

فليس للاستواء إلّا معنى واحد ، وهو المعنى المُحَصَّل من اجتماع معاني الاستقامة والاعتدال والكمال والتمام وبلوغ غاية الأمور ، وهو بهذا المعنى أينما ورد في القرآن الكريم ولا وجوه له فيه ، وجعلهم الاستواء في الوجه السابع يعني الاستواء بعينه يعني أن الأوجه الستة الباقية لا تعني الاستواء بعينه ، فهي إذن أوجه مختلَقة على نحو ما تمّ تفصيله .

٢-الإشعار : قال الدامغاني : ((تفسير الإشعار على خمسة أوجه : الشعر ، والكوكب ، والمناسك ، والعلم ، وجميع الشعر بعينه .

فوجه منها الأشعار جمع شعر قوله تعالى : (وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ){الشعراء : ٢٢٤} وقوله تعالى : (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ){الحاقة : ٤١}

والوجه الثاني ، الشِّعرى : الكوكب المعروف قوله تعالى : (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى){النجم : ٤٩}

والوجه الثالث ، الشعائر : المناسك ، قوله تعالى في سورة الحج : (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ){البقرة : ١٥٨}

والوجه الرابع ، أشعر يشعر ، بمعنى العلم ، أي : أعلم يعلم قوله تعالى : (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ){الأنعام : ١٠٩} أي : يعلمكم .

والوجه الخامس ، الأشعار : جمع شعر قوله تعالى في سورة النحل : (وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا إِلَى حِينٍ){النحل : ٨٠}))[١]

وفي كلام الدامغاني اضطراب واضح ، فقد جعل الوجه الأول والخامس بمعنى الأشعار جمع شعر ، إلّا أنّه جعل شاهد الأول بمعنى

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٠١ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٥٩.

الشعراء وشاهد الوجه الخامس بمعنى الأشعار ، ويبدو أنَّ الوجه الأول في الحقيقة بمعنى : الشعراء ، ليوافق شاهده ، وهذا ما لم ينبّه عليه المحقق

والشِّعرى : اسم نجم معروف ، وتخصيصه بالذكر في قوله : (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى){النجم : ٤٩} لأنَّ خزاعة كانت تعبدها ، وكان الذي سنَّ عبادتها رجل يقال له : أبو كبشة ؛ وقيل : إنَّه جدّ جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك نسبه الكفار إلى النبي في قولهم : لقد أُمِر أمْر ابن أبي كبشة ، شبهوه به في مخالفته لهم ، وشتان ما بينهما ، والشَّعْر (بفتح الشين وسكون العين) جمع شَعْرَة ، والأشعار جمع الشَّعْر فهو جمع الجمع ، ورجل أشعر : طويل شَعْرِ الرأس والجسد ، قال تعالى : (وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا إِلَى حِينٍ){النحل : ٨٠} ، وتقول شعَرْتُ بالشيء : إذا علمتَه وفطنتَ له ، وهو من الشِّعر (بكسر الشين وسكون العين) لذلك يقال : ليت شِعْري ، أي : ليتني علمتُ ، وأصل هذه المادة من شَعَرِ الإنسان ، تقول : شَعَرْتُ زيدًا ، أي : أصبتُ شَعَره ، ومنه استعير : شعرتُ كذا ، أي : علمتُ علمًا في الدقة كإصابة الشَّعْر ، فالشِّعْر هو كالعلم وزنًا ومعنى ، وقيل هو العلم بدقائق الأمور ، ثم غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية ، وإن كان كل علم شعرًا ، فقد سمي الشاعر شاعرًا لما لا يفطن له غيره ، وجمعه شعراء والدليل على ذلك قول عنترة :

هل غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ أم هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ

والمعنى : أنَّ الشعراء لم يغادروا شيئًا إلاَّ فطنوا له ، ومشاعر الحج وشعائره : المناسك ، وتعني : معالمه وأعلامه ، والمشاعر جمع مَشْعر ، والشعائر جمع شعيرة ، والشعيرة في الأصل : العلامة ، فالمشاعر والشعائر هي المعالم التي ندب الله إليها ، وأمر بالقيام عليها ، أو هي كل ما كان من موقف ، ومسعى ، وذبح ، ويقال أيضًا : البَدَنَة تُهْدى ، ويقال إشعارها أن يُجَزَّ أصل سنامها حتى يسيل الدم فيُعْلَم أنَّها هَدْيٌ ، قال الله تعالى : (إِنَّ

الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ)}البقرة : ١٥٨} وقوله تعالى : (عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ)}البقرة : ١٩٨} هو المسجد المعروف ؛ سُمِّي بذلك ؛ لأنَّه من علامات الحج ، ومواضع الحج كلها مشعر إلّا أنَّ هذا الاسم غلب على هذا المكان بخصوصه [١]

والمشعر الحرام : ((جبل يقف عليه الإمام ويُسمَّى قزح ، وقيل : ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ، ويؤيد الأول ما روى جابر : أنَّه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر ، يعني بالمزدلفة ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبَّر وهلّل ، ولم يزل واقفًا حتى أسفر ، وإنَّما سُمِّي مشعرًا ؛ لأنَّه معلم العبادة ، ووُصف بالحرام لحرمته ، ومعنى : عند المشعر الحرام ، مما يليه ويقرب منه فإنَّه أفضل ، وإلّا فالمزدلفة كلها موقف إلّا وادي محسر)) [٢]

المشاعر والمناسك : والمشاعر والشعائر : وإن جُعلت بمعنى المناسك إلّا أنَّ هناك فرقًا بينهما قال ابن فارس : ((النون والسين والكاف أصل صحيح يدل على عبادة وتقرب إلى الله تعالى ، ورجل ناسك ، والذبيحة التي تتقرب بها إلى الله نسيكة ، والمَنْسِك : الموضع : يُذبَح فيه النسائك ، ولا يكون ذلك إلّا في القربان)) [٣]

فالمشاعر هي أسماء مواضع أُعْلِمَتْ للناس بأسمائها وأماكنها ، فجاز أن تُسمَّى مشاعر ، لأنَّها أصبحت معالم بالتعرف إليها يعلم الناس أين تكون ، وجاز أن تُسمَّى مناسك ؛ لأنَّ فيها من دون غيرها تُؤدى أمور

---

(١) ينظر : العين ص ٤٨٢-٤٨٣ ومقاييس اللغة ص ٤٥١ والمفردات للراغب ص ٢٧١-٢٧٢ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٢/٢٧٤-٢٧٦.

(٢) أنوار التنزيل ١/١٣١.

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٩٦ .

العبادة ، فالكعبة مثلًا تسمى مشعرًا ، لأنَّه قد علمها الناس اسمًا وموضعًا ، وتسمى منسكًا لأنَّ فيها تحصل تأدية ركن من أركان الحج ، وهو الطواف ، وكذلك الشعائر ، فالطواف يسمى شعيرة ؛ لأنَّه علمه الناس طوافًا بالطريقة التي يُؤدَّى ، وهو دوران الإنسان حول الكعبة سبع دورات ، ومن اليسار إلى اليمين ، ويسمى أيضًا نُسكًا ؛ لأنَّ القيام بهذا العمل مع النية تتم تأدية ركن من أركان الحج ، فالبَدَنَة التي تُهْدى تسمى شعيرة عندما تُجعل فيها علامة ، وهي أن يُجَزَّ أصل سنامها حتى يسيل الدم فيُعْلَم أنَّها هَدْيٌ ، فعند ذبحها تقربًا لله تسمى نسيكة ، وهذا هو حال مواضع الحج وأعماله وأركانه ، فإذا قُصِد منها معنى الإعلام سُمِّيت مشاعر وشعائر ، وإذا قُصِد معنى العبادة سميت مناسك .

جعل الدامغاني للإشعار خمسة أوجه ، والإشعار من الشِّعر (بكسر الشين) بمعنى العلم وأربعة من هذه الأوجه الخمسة التي ذكرها لا ترجع إلى هذا اللفظ ، بل أرجعها إلى أربع صيغ مختلفة ، فأرجع الوجه الأول إلى صيغة الشعراء والشاعر ، والوجه الثاني إلى الشِّعرى ، والوجه الثالث إلى الشعائر ، والوجه الخامس إلى الأشعار جمع الشَّعر (بفتح الشين) ولم يرجع إلى الإشعار إلّا الوجه الرابع الذي جعله بمعنى العلم في قوله تعالى : (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ){الأنعام : ١٠٩} أي : يعلمكم ، والعلم في الوجه الرابع من صيغة الفعل : شَعَرَ يشعر ، وهو في الحقيقة من الشِّعْر (بكسر الشين) لذلك يقال : ليت شِعْري ، أي : ليتني علمتُ ، فالأوجه الخمسة المذكورة لا تعود إلى صيغة واحدة ، بل إلى خمس صيغ :

١-الإشعار وهو مصدر أشعرَ بمعنى أعلمَ ومنه الشِّعْر (بكسر الشين) بمعنى العِلْم .

٢-الشِّعرى ، على وزن (فُعْلى) وهو علم نجم معين .

٣-الأشعار ، وهو جمع الشَعر (بفتح الشين) والشَّعر جمع شَعْرة

٤-الشعائر جمع شعيرة ، وهي معالم الحج .

٥-الشعراء جمع شاعر .

فأنت ترى أنَّ لكل معنى صيغته ، ولكل صيغة معناها ، فتكون الأوجه الخمسة المذكورة مختلقة بجعلها عائدة إلى خمسة معان اختلفت لاختلاف صيغها

٣-**التراب** : قال الدامغاني : ((تفسير التراب على خمسة أوجه : الرميم ، والأشكال ، والترائب ، والبهائم ، والصعيد .

فوجه منها ، التراب : بمعنى الرميم ، قوله تعالى في سورة الرعد : (وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ)﴿الرعد : ٥﴾ أي : رميمًا

والوجه الثاني ، الأتراب : الأشكال ، قوله تعالى في سورة ص : (وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ)﴿ص : ٥٢﴾

والوجه الثالث ، الترائب : يعني الضلوع من الصدر ، كقوله تعالى في سورة : والسماء والطارق : (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)﴿الطارق : ٧﴾ يعني : التراقي

والوجه الرابع ، التراب : يعني البهائم ، قوله تعالى في سورة عم يتساءلون : (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا)﴿النبأ : ٤٠﴾

والوجه الخامس ، التراب : الصعيد ، قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ)﴿فاطر : ١١﴾))[١]

واقتصر الفيروزآبادي على ذكر ثلاثة أوجه ، وهي : الوجه الأول ، والرابع ، والخامس ، وجعل الوجه الخامس بمعنى حقيقة التربة لا بمعنى الصعيد كما قال الدامغاني[٢] والوجه الرابع هو المعنيّ بالطريقة .

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٣٩-١٤٠

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢٩٧/٢

قال ابن فارس : ((التاء والراء والباء أصلان ، أحدهما : التراب وما يُشتَق منه ، والآخر : تساوي الشيئين ، فالأول : التراب وهو التَّيرَب والتَّوْراب ، ويقال : تَرِبَ الرجل : إذا افتقر ، كأنَّه لصق بالتراب ، وأترب : إذا استغنى ، كأنَّه صار له من المال بقدر التراب ... وأمَّا الآخر ، فالتِّرْب : الخِدْن ، والجمع أتراب ، ومنه التِّريب ، وهو الصدر عند تساوي رؤوس العظام)) [١] ((والترائب ضلوع الصدر ، الواحدة تريبة ، قال تعالى : (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ){الطارق : ٧} وقوله تعالى : (وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ){ص : ٥٢} أي : لِدات تُنْشَأْنَ معًا تشبيهًا في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر ... وقيل : لأنَّهنَّ في حال الصبا يلعبن بالتراب معًا))[٢] واللِّدة : مَن وُلد معك ، والجمع لِدات ، والترائب : عظام الصدر ، والتِّرْب : وقيل : تِرْب فلان : إذا وُلِد معه في وقت واحد ، والتِّرْب : النظير المماثل ، وأكثر ما يكون ذلك في المؤنث ، يقال هي تربها ، وهما تِربان ، وهنَّ أتراب ، ويقال للذكور الأسنان والأقران ، وللإناث الأتراب[٣]

تبيَّن من كلام أهل اللغة أنَّ الأوجه التي ذكرها الدامغاني ترجع إلى صيغتين مختلفتين ، الأولى : التُراب ، واختلق منها ثلاثة أوجه هي : الرميم ، والبهائم ، والصعيد . والثانية التِّرْب ، واختلق منها وجهين هما : الأشكال ، والترائب التي هي ضلوع الصدر ، وكثيرًا ما اختلفت في القرآن الكريم المعاني لاختلاف الصيغة ، فجعل صيغة بمعنى صيغة أخرى تحريف ظاهر للصيغة ، كما أنَّه يعني توحيد معانيها ، أي : إلغاءها ذلك بالاكتفاء بصيغة

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٢٨

(٢) المفردات ص ٧٩

(٣) ينظر : لسان العرب ٢١٨/٢ وتاج العروس ٤٢/٢

واحدة ، وبخلط معاني بعضها ببعض ، وفي ذلك هدم كبير للغة القرآن الكريم

جعل الدامغاني والفيروزآبادي التراب في الوجه الأول بمعنى الرميم ، في قوله تعالى : (وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ) ((والرميم : العظام البالية ، قال تعالى : (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ){يس : ٧٨} وكذا الرِّمَّة ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالرَّوث والرِّمَّة))[١] فهذا هو معنى الرميم فأين هو من معنى التراب ؟ حتى إنَّه لا يجوز الاستنجاء بالأول بخلاف الثاني ، ثمَّ ما الداعي إلى جعل التراب بمعنى الرميم سوى اختلاق الوجوه ؟ لذلك لم أجد في كتب التفسير من قال بهذا الوجه

وجعل الدامغاني الأتراب في الوجه الثاني بمعنى الأشكال ، في قوله : (وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ) والأشكال هي المتشابهة في الهيئة والصورة ؛ لذلك يحدث منها الإشكال ، فيلتبس بعضها ببعض لتشابهها في الكيفية[٢] والأتراب كما تقدم تعريفها ، هي النظائر المتماثلة في الولادة والنشأة والسلوك والوظيفة ، وأكثر ما يكون ذلك في الإناث ، والأشكال عامَّة ، وما الداعي إلى جعلها بهذا الوجه بعينه ؟ ولِمَ لا تُجعل الأتراب فيه أيضًا بمعنى الأمثال ، أو النظائر ، أو الأشباه ؛ لأنَّها ألفاظ مترادفة ، فهي جميعها واحدة من حيث إنَّ كلًا منها لا يمثل الأتراب بعينها بل المعنى القريب منها ، فإذا جاز أحدها جاز الآخر ، ولا بأس في أن نجعل الأتراب بمعنى الأشكال إذا أريد من الأشكال أن تكون تعريفًا لها وإيضاحًا لمعناها ومن دون تعيين ، كما

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٠ وينظر : المفردات للراغب ص ٢١٠وعمدة الحفاظ للحلبي ص ١١٣

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٤٥٥ والمفردات للراغب ص ٢٧٧

يحصل هذا في باب التفسير ، أمَّا إذا أريد أن تكون هي الأتراب بعينها كما يحصل في باب الوجوه فهو التحريف بعينه

وجَعَلَ الترائب في الوجه الثالث بمعني الضلوع من الصدر ، في قوله تعالى : (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) وقد تقدم أنَّ الترائب كالأتراب تعني النظائر المتماثلة في الولادة والنشأة والسلوك والوظيفة ، وهي هنا تعني المتماثلة في ولادتها ووظيفتها ، فتكون الترائب صفة عامَّة تنطبق على ما جاز وصفه بها كضلوع الصدر ، وغيرها ، فقد خُلقن معًا في المكان نفسه ولغرض واحد ؛ لذلك لم يعيِّن المفسرون هذا الموصوف ، بل اختلفوا في تأويله ، قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في معنى الترائب :

١–فقال بعضهم : الترائب : موضع القلادة من صدر المرأة ...عن ابن عباس ، قال : الترائب : موضع القلادة ... سُئل عكرمة عن الترائب فقال هذه ، ووضع يده على صدره بين ثدييه

٢–وقال آخرون : الترائب : ما بين المنكبين والصدر ... عن مجاهد ، قوله (التَّرَائِبِ) ما بين المنكبين والصدر ...عن سفيان قال : الصلب للرجل ، والترائب للمرأة ، والترائب فوق الثديين

٣–وقال آخرون : هو اليدان والرجلان والعينان ... عن ابن عباس : قال : فالترائب : أطراف الرجل واليدان والرجلان والعينان ، فتلك الترائب ... ثنا عبيد قال : سمعت الضحاك يقول في قوله تعالى : (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) عيناه ويداه ورجلاه

٤–وقال آخرون : معنى ذلك : أنَّه يخرج من بين صلب الرجل ونحره ...عن قتادة ، قوله تعالى : (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) يقول : يخرج من بين صلب الرجل ونحره

٥-وقال آخرون : هي الأضلاع التي أسفل الصلب ... عن سعيد ، قال : الترائب : الأضلاع التي أسفل الصلب))[١] فالقرآن الكريم عيَّن الصفة ولم يصرِّح بلفظ الموصوف ، فإذا صحَّ أنَّه أراد ضلوع الصدر فهذا يعني أنَّه سمَّى ضلوع الصدر بالترائب ، أمَّا الدامغاني ومن أجل اختلاق هذا الوجه ، فقد سمَّى الترائب بضلوع الصدر ، وهذا تحريف ظاهر ؛ لأنَّه عكس المراد في كتاب الله ، وهذه هي طريقة الدراسة المعكوسة التي اتبعها أصحاب كتب الوجوه .

والدامغاني عيَّن قولًا واحدًا من الأقوال الخمسة التي ذكرها أهل التفسير وجَعَلَه وجهًا للترائب من دون الأقوال الأربعة الأخرى ، وهذا يُعدُّ ، كما قلتُ غير مرة ، خيانة علمية في التفسير

وجعل الدامغاني والفيروزآبادي التراب في الوجه الخامس بمعنى الصعيد ، في قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ) والصعيد : هو وجه الأرض عليه تراب ((وتيمَّمْ بالصعيد ، أي : خذ من غباره بكفيك للصلاة قال الله عز وجل : (فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا)[المائدة : ٦]))[٢] وقال الراغب : ((والصعيد يقال لوجه الأرض قال تعالى : ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا)[النساء : ٤٣} وقال بعضهم : الصعيد يقال للغبار الذي يصعد من الصعود ؛ ولهذا لابدَّ للمتيمم أن يعلق بيده غبار))[٣] قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا)[النساء : ٤٣} ((يقول تعالى ذكره (وَاللَّهُ خَلَقَكُم) أيها الناس (مِّن تُرَابٍ) يعني بذلك أنَّه خلق أباهم آدم من تراب ، فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقًا)) (ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ) أي : بالتناسل من مني

---

(١) جامع البيان ٣٠١٧٥-١٧٦ وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٢٤١/٨

(٢) العين للخليل ص ٥١٩ وينظر : مقاييس اللغة ص ٤٨٥ والمفردات للراغب ٢٩١

(٣) المفردات ٢٩١

الرجال[1] وقد تقدم أنَّ الصعيد إمَّا أن يكون وجه الأرض وعليه تراب ، أو يعني الغبار ، أي : يعني التراب الذي لدقته وخفته يصعد عند ضربه بالكفّ ، وكيف يصحّ أن يكون الله سبحانه خلق آدم من هذا الغبار ؟! وهو الذي جل وعلا أخبرنا أنَّه خلق آدم من طين ؟! قال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ){الأنعام : ٢} وقال تعالى : (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ){الأعراف : ١٢} وقال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا){الإسراء : ٦١} وقال تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ){المؤمنون : ١٢} وقال تعالى : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الأنسَانِ مِن طِينٍ){لقمان : ٧} وقال تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَزِبٍ){الصافات : ١١} يعني : من طين لاصق ، ثابت شديد الثبوت[2] وقال تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ){الحجر : ٢٦} وقال تعالى : (خَلَقَ الأنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ {١٤} وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ){الرحمن : ١٤-١٥} والفخار : الجرار[3] والطين هو الذي يتكوَّن من خلط الماء بالتراب ؟! ألا يوجب هذا أن يكون التراب الذي خُلِق منه آدم هو التراب بعينه وليس غباره ؟! لأنَّ الغبار أو ما يتعلق بالكفِّ لا يصلح أن يخلط به الماء ، ويتكوَّن منهما طينٌ لازبٌ قويٌّ حتى يشبه الجرار ، وقد رجعتُ إلى كتب التفسير بدءًا بتفسير مقاتل المتوفى ١٥٠هـ وانتهاء بتفسير الآلوسي المتوفى ١٢٧٠هـ فلم أجد فيها من قال أو نقل أنَّ التراب في

---

(١) جامع البيان ١٤٥/١٢ وينظر : الوسيط للواحدي ٥٠٢/٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٢/٤

(٢) المفردات ص ٤٦٩

(٣) المفردات ص ٣٨٩

قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ) يعني الصعيد ، فمن أين أتى الدامغاني والفيروزآبادي بهذا الوجه ؟! ومع ذلك لم أجد المحقق عقَّب أو نبَّه على هذه القضية .

وجعل الدامغاني والفيروزآبادي التراب في الوجه الرابع ، بمعني البهائم ، في قوله تعالى : (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا) وهذا هو الوجه المعنيّ بالطريقة ،وهو وجه لم تعيِّنه كتب التفسير ، بل ذكروا في معناه الأقوال الآتية :

الأول : أنَّ المعنى : يا ليتني بقيت في الدنيا ترابًا ، ولم أُخلَق ولم أُكَلَّف .

الثاني : أنَّ المعنى : يا ليتني لم أُبعَث بعد مماتي ، وبقيت في قبري ترابًا

الثالث : أنَّ المعنى : يا ليتني كنتُ في الدنيا متواضعًا لطاعة الله ، لا جبَّارً ولا متكبرًا ، وهذا القول إن صح فقد أريد أيضًا من التراب التراب بعينه ؛ لأنَّه استعمله كناية عن التواضع وعدم التكبر

الرابع : أنَّ الكافر هنا إبليس ، وذلك أنَّه عاب آدم ؛ لأنَّه خُلق من تراب ، فلمَّا رأى ما حصل للمؤمنين من بني آدم من الثواب قال : يا ليتني كنتُ ترابًا ، كآدم ، فقد أريد أيضًا من التراب التراب بعينه ؛ لأنَّه تمنى لو لم يكن نارًا ، وهو الأصل الذي خُلق منه ، بل لو كان ترابًا ، وهو الأصل الذي خُلق منه آدم [1]

---

(١) ينظر : الوسيط للواحدي ٤١٧/٤ والكشاف للزمخشري ٦٧٨/٤ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٢٩/٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٦/١٩ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٨١/٥ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٨٠/٨ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٣/٨ وروح المعاني للآلوسي ٢٢٢/١٥

الخامس : وهو القول الذي اعتمد عليه الدامغاني والفيروزآبادي ، واختلقا منه جعل التراب بمعنى البهائم ، وهو أنَّ الله سبحانه وتعالى يحشر الخلق كلهم يوم القيامة : البهائم ، والطيور ، والناس ، ويفصل بين الناس ، إمَّا خالد في الجنة ، وإمَّا خالد في النار ، ثمَّ يحصل القصاص بين البهائم ، حتى يقتصَّ لبعضهم من بعض ، ثم يقول الله سبحانه لهم : كونوا ترابًا فيصيرون ترابًا ، فعند ذلك يقول الكافر : يا ليتني كنتُ ترابًا ((فيتمنى الكافر لو كان خنزيرًا في الدنيا ، ثمَ صار ترابًا ، لمَّا كانت الوحوش والسباع صارت ترابًا)) [١] يعني : يا ليتني ((كنتُ حيوانًا ، فأرجع إلى التراب))[٢] أي : يتمنى لو صار إلى ما صاروا إليه ، إلّا أنَّ الدامغاني والفيروزآبادي جعلا التراب بمعنى البهائم على اعتبار ما كانت عليه قبل ذلك ، وهذه هي الطريقة السادسة في اختلاق الوجوه ، وهي عدم جعل اللفظ بمعناه ، بل بمعنى ما كان عليه ، فالمراد إذن من التراب من الأقوال كلّها التراب بعينه ، لذلك قال الآلوسي بعد أن ذكر ما قيل في تفسير الآية أنَّ المعنى : ((ليتني كنتُ ترابًا في هذا اليوم ... والتراب على جميع ما ذكر بمعناه المعروف)) [٣]

تبيّن انّ الأوجه الخمسة المذكورة المنسوبة إلى التراب مختلَقة بأربع طرائق : طريقة الترادف ، والدراسة المعكوسة ، واختلاف الصيغة ، وبطريقة جعله بمعنى ما كان عليه .

٤-**الجار** : قال الدامغاني : ((تفسير الجار على ستة أوجه : المعين ، والأمن ، والتضرع ، والجار بعينه ، والساري .

---

(١) تفسير مقاتل ٤٤٤/٣ وينظر : جامع البيان للطبري ٣٤/٣٠-٣٥

(٢) تفسير ابن كثير ٢٤٣/٨

(٣) روح المعاني ٢٢٢/١٥

فوجه منها ، الجار : المعين ، قوله تعالى في سورة الأنفال : (وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ)}الأنفال : ٤٨}

والوجه الثاني ، استجار : استأمن ، قوله تعالى في سورة براءة : (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ)}التوبة : ٦}

والوجه الثالث ، يجير بمعنى يقضي ، قوله تعالى في سورة المؤمنون : (وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)}المؤمنون : ٨٨} أي : يقضي ولا يقضى عليه .

والوجه الرابع ، يجأر بمعنى : يتضرع قوله تعالى في سورة المؤمنون : (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ)}المؤمنون : ٦٤}

والوجه الخامس ، الجار هو المجاور بعينه : (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ)}النساء : ٣٦}

والوجه السادس : الزورق الساري ، قوله تعالى في سورة الذاريات : (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا)}الذاريات : ٣} وقوله تعالى : (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأعْلامِ)}الرحمن : ٢٤}))[1]

جاء في كتب اللغة : جار يجور جورًا : مال عن القصد وظلمَ ، وجارَ واستجار : طلب أن يجار أو سأله أن يجيره ، والجار هو الذي أجرته من أن يُظلَم ، أي : الذي يجير غيره فيؤمِّنه مما يخاف ، والمستجير هو الذي يطلب الأمان وجارك هو المستجير بك ، والجار من يقرب مسكنه منك ، وهو من الأسماء المتضايفة ؛ فإنَّ الجار لا يكون جارًا لغيره إلّا وذلك الغير جار له كالأخ والصديق ، ولمَّا استعظم حق الجار عقلًا وشرعًا عَبَّر عن كل من يعظم حقه أو يستعظم حق غيره بالجار ... وعلى هذا قوله

(١) الوجوه والنظائر ص ١٥٤-١٥٥ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٣٥٧/٢.

تعالى : (وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ)[الأنفال : ٤٨} وقال عز وجل : (وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[المؤمنون : ٨٨} أي : يؤمِّن من يخاف من غيره ، ولا يؤمَّن من يخيفه هو ، وقريبك يكون له عليك حرمة القرابة ، وجارك تكون له عليك حرمة الجوار ، فتكون له حرمة نزوله في جوارك ، ويكون في أمانك وعهدك [١]وهذا هو معنى : الجار والمجير وهذا هو المعنى المراد من الجار في الوجه الأول في قوله تعالى : (وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ)

وجعل الوجه الثاني بمعنى الأمن أو استأمن في قوله تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ) وهذا المعنى هو معنى الصيغة ، وهو وروده على وزن صيغة (استفعل) وكثيرًا ما تفيد هذه الصيغة معنى الطلب ، تقول : استنجد فلان ، أي : طلب النجدة ، واستنصر : طلب النصر ، واستغفر : طلب المغفرة ، واستجاره : سأله أن يجيره ، أي : طلب الجوار وحرمته

وكذلك الوجه الثالث في قوله : (وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) وقد جعله الدامغاني بمعنى : يقضي ولا يُقضى عليه ، والصحيح أنَّه بمعنى الوجه الأول كما جاء في كتب اللغة ((يؤمِّن من يخاف من غيره ، ولا يؤمَّن من يخيفه هو) وكما جاء في التفسير ((قوله تعالى : أي : يمنع من السوء من شاء ، ولا يمنع منه من أراده بسوء ، يقال : أجرتُ فلانًا ، أي : حميته ، وأجرتُ عليه ، أي : حميتُ عنه)) [٢]

وقد جعل الجار بمعنى المجاور بعينه في الوجه الخامس في قوله : (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ)}النساء : ٣٦} والجار هنا معناه من له

---

(١) ينظر : المفردات للراغب ص ١٠٨ ولسان العرب ٢٣٦/٣-٢٣٧ وعمدة الحفاظ للحلبي ٣٥٨/١ والمصباح المنير ص ١١٤ وتاج العروس ٩١/١٢ .

(٢) زاد المسير ٣٥٤/٥ .

حق الجوار وحرمته ، جاء في تفسير هذه الآية : ((وعنه عليه الصلاة والسلام : الجيران ثلاثة : فجار له ثلاثة حقوق ، حق الجوار ، وحق القرابة ، وحق الإسلام ، وجار له حقان ، حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب))[1] فهذا الوجه هو أيضًا بمعنى الأوجه الثلاثة التي قبله

أمَّا الوجه الرابع الذي جعله بمعنى التضرع في قوله تعالى فهو من جذر آخر غير جذر الجار ، فهو من (جأر) لا من (جار) الذي أصله (جور) تقول ((جأر يجأر جأْرًا وجؤارًا : رفع صوته مع تضرع ، وفي التنزيل : (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ){المؤمنون : ٦٤}

كذلك الوجه السادس الذي جعله بمعنى الزورق الساري في قوله تعالى فهو أيضًا من جذر آخر ، فهو من جرى لا من جار ، ومن الجري لا من الجور ، قال ابن فارس : ((الجيم والراء والياء : أصل واحد ، وهو انسياح الشيء)) [2] ((وجرت الشمس وسائر النجوم : سارت من المشرق إلى المغرب ، قال الله عز وجل : (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأعْلامِ){الرحمن : ٢٤})) [3]

فالأوجه المذكورة لا ترجع إلى صيغة واحدة وجذر واحد ، بل إلى خمس صيغ وجذور :

١-جذر الجيم والواو والراء بمعنى الظُّلْم .

٢-جذر الجيم والهمزة والراء بمعنى التضرع مع رفع الصوت .

٣-جذر الجيم والراء والياء ، بمعنى السير وانسياح الشيء .

---

(١) أنوار التنزيل ٧٤/٢ .

(٢) مقاييس اللغة ص ١٦٣.

(٣) لسان العرب ١٣٤/٣ .

٤-أجار صيغة أفعل بمعنى : يؤمِّن غيره من أن يُظلَم .

٥-استجار صيغة استفعل بمعنى : طلب أن يؤمَّن .

فيكون لكل معنى صيغته ولكل صيغة معناها ولا أوجه ولا نظائر ، والدليل على ذلك جعله الجار في الوجه الخامس يعني الجار بعينه ؛ لأنّ هذا يعني أنّ الأوجه الخمسة الباقية لا تعني الجار بعينه ، فهي إذن أوجه مختلَقة اختُلِقت بجعلها عائدة إلى خمسة معان ، هي معاني ثلاثة أبواب وصيغتين .

٥-الجذوة : قال الدامغاني : ((تفسير جذوة على ثلاثة أوجه : قطعة من النار ، والمنفوص والمقطوع ، والكسر .

فوجه منها ، جذوة : قطعة من نار ، كقوله تعالى في سورة القصص : (لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ){القصص : ٢٩}

والوجه الثاني ، الجذوة : النقصان والقطع ، قوله تعالى في سورة هود : (عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ){هود : ١٠٨} يعني غير منقوص ولا مقطوع

والوجه الثالث ، الجذ : الكسر ، قوله تعالى في سورة الأنبياء : (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَّهُمْ){الأنبياء : ٥٨} أي : كِسَرًا)) [١]

قال ابن فارس : ((الجيم والذال أصل واحد ، إمَّا كسر وإمَّا قطع ، يقال : جذذت الشيء : كسرته ، قال تعالى : (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا) أي : كسَّرهم ، وجذذته : قطعته ، ومنه قوله تعالى : (عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ) أي : غير مقطوع)) [٢] قال الخليل : ((والجذاذ : قِطَعُ ما كُسِّر ، الواحد جذاذة ، كما جُعلت الأصنام جذاذًا وقُطِّع أطرافها فتلك القطع : الجذاذ ، والجذاذ قطع

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٥٥ وينظر : وجوه القرآن للحيسري ص ١٥٠-١٥١.

(٢) مقاييس اللغة ص ١٤٩.

القضّة الصِّغار ، وجذذتُ الحبل فانجذَّ ، أي : تقطَّع فهو مجذوذ ، وقوله تعالى : (غَيْرَ مَجْذُوذٍ) غير مقطوع)) [١]

وقال أبو منصور الأزهري : ((قرأ الكسائي وحده (جِذَاذًا) بكسر الجيم ، وقرأ الباقون بضمها فهو بمعنى مجذوذ ، وبِنْيَةُ كل ما كُسر أو قُطع ، أو حُطم على فُعال نحو الجُذاذ ، والحُطام ، والرُفات وما أشبهها ، ومن قرأ (جِذَاذًا) بالكسر فهو جمع جذيذ ، كما يقال : خفيف وخِفاف ، وصغير وصِغار ، وثقيل وثِقال)) [٢] وقال القيسي : ((وهما لغتان والضم أكثر ، والجذاذ : الفتات والقِطَع ، يقال : جذذتُ الشيء : قطَّعتُه ، ومثله قوله تعالى : (عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ) أي : غير مقطوع)) [٣]

فلا فرق بين الوجهين الثاني والثالث ؛ فكلاهما وجه واحد ؛ لأنَّه لا فرق في المعنى بين المجذوذ والجذاذ سوى أنَّ الثاني يفيد معنى التكثير ، فيكون كالفرق بين المقطوع والمقطَّع ، او المقطوع والقِطع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنَّه لا يصح أيضًا أن يكونا وجهين ؛ لأنَّهما لا يرجعان إلى نفس الصيغة بل إلى صيغتين مختلفتين .

أمَّا الوجه الأول الذي جُعل بمعنى : قطعة من نار ، في قوله تعالى : (لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) فهو من جذر آخر ، من جذر (جذو) لا (جذَذَ) [٤]

---

(١) العين ص ١٣٠-١٣١ .

(٢) معاني القراءات ص ٣٠٨ وينظر : معاني القرآن للفراء ص ١١٧/٢ ، والحجة في علل القراءات السبع لأبي على النحوي ٥٥٠/٣ .

(٣) الكشف عن معاني القراءات ١١٢/٢.

(٤) ينظر : العين ص ١٣٢ والمفردات للراغب ص ٩٥ ولسان العرب ١٠٨/٣ .

فأنت ترى أنَّ فيما تقدم ثلاثة معان : قطعة من النار ، والمنفوص والمقطوع ، والكِسَر، ترجع إلى ثلاث صيغ : جذوة ، وجذاذ ، ومجذوذ ، فلكل معنى صيغته ، ولكل صيغة معناها ، فالأوجه الثلاثة مختلقة ؛ لأنّها لم تعد إلى معاني صيغة واحدة ، وإنّما عادت إلى معاني ثلاث صيغ مختلفة .

٦-**الجِمال** : قال الدامغاني : ((تفسير الجمال على ثلاثة أوجه : الإبل ، والحسن ، وحبل السفن .

فوجه منها ، الجمال (بالكسر) الإبل ، قوله تعالى : (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ){الأعراف : ٤٠}

والوجه الثاني ، الجمال (بالفتح) الزينة قوله تعالى : (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ){النحل : ٦}

والوجه الثالث : القُلُوس ، قوله تعالى : (كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ){المرسلات : ٣٣}))[١]

والقلوس ، كما جاء في الوجه الثالث ، جمع قَلْس ، والقَلْس: حبل غليظ يُجمَع من حبال كثيرة ، فيُفتل ، وهو حبل السفينة ، وفي قوله تعالى (جِمَالَتٌ صُفْرٌ) ثلاث قراءات :

الأولى : جِمالات (بكسر الجيم) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي بكر عن عاصم .

الثانية : جِمالة (بكسر الجيم) وهي قراءة حفص وحمزة والكسائي .

الثالثة : جُمالات (بضم الجيم) وهي قراءة يعقوب الحضرمي .

ومن قرأ جِمالات (بكسر الجيم) فهي جمع جِمالة ، يقال : جَمَل وجِمال وجِمالة ، ثم يُجمَع الجِمالة جِمالات ، وهي بمعنى الإبل ، ومن قرأ جِمالة (بكسر الجيم) فهي جمع جَمل ، وزيدت التاء لتأنيث الجمع ، وهي

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٦٢-١٦٣.

بمعنى الإبل أيضًا ، ومن قرأ جُمالات (بضم الجيم) فهي جمع جُمالة (بضم الجيم) والأخير جمع جُمَل ، والجُمَل والجُمَّل (بضم الجيم وتثقيل الميم أو تخفيفها) هو القَلْس ، بمعنى حبل السفينة [1] فجعل الوجه الثالث بمعنى القُلُوس يكون في هذه القراءة من دون القراءتين السابقتين ، والإبل ، والزينة ، والقلوس ، هي معان مختلفة ، لكنها لا يصح أن تكون أوجهًا ، بل هي أوجه مختلَفة ؛ لأنَّها لا ترجع إلى نفس الصيغة ، فصيغة المعنى الأول (جِمال) بكسر الجيم ، والثاني (جَمال) بفتح الجيم ، والثالث (جُمالات) بضم الجيم .

٧-**الذرّيّة** : قال الدامغاني : ((تفسير الذرية على سبعة أوجه :

فوجه منها : الذرية يعني الولد ، كقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً){آل عمران : ٣٨}

والوجه الثاني : الذرية : الآباء ، كقوله تعالى : (وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ){يس : ٤١} يعني آباءهم

والوجه الثالث : الذرية : الخلق ، كقوله تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ){الأعراف : ١٧٩}

والوجه الرابع : الذرو : النسف ، كقوله تعالى : (فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا){الكهف : ٤٥} يعني تنسفه

والوجه الخامس : الذرَّة : النملة الصغيرة ، كقوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ){الزلزلة :٧} يعني : وزن ذرة النملة

---

(١) ينظر : معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ص ٥٢٢ والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٥٠٩/٤ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ٣٥٨/٨.

والوجه السادس : ذرني ، يعني خلِّني وخل بيني وبين كذا ، كقوله تعالى : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)[المدثر : ١١} وقوله تعالى : (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ)[المزمل : ١١}

والوجه السابع : ذَرْ : أي : اترك ، كقوله تعالى : (وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ)[الأنعام : ١٢٠} وقوله تعالى : (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ)[الأعراف : ١٢٧ } وقوله تعالى : (ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ)[الفتح : ١٥}))[١]

قال ابن فارس : ((الذال والراء المشددة أصل واحد يدلُّ على لطافة وانتشار ، ومن ذلك : الذَّرُّ : صغار النمل ، الواحدة ذرَّة))[٢] وقال الراغب في باب ذرَّ : ((الذُرِّية ، قال تعالى : (وَمِن ذُرِّيَّتِي)[البقرة : ١٢٤} وقال تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ)[النساء : ٤٠} وقد قيل : أصله الهمز ، وقد تذكر بعد في بابه))[٣] وقال في باب ذرأ : ((الذَّرْءُ : إظهار الله تعالى : ما أبداه ، يقال : ذرأ اللهُ الخلقَ ، أي : أوجد أشخاصهم ، قال تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ)[الأعراف : ١٧٩}))[٤] وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ)[الشورى : ١١} أي : يكثركم بالتزويج ، يقال : ذرأ الله الخلقَ ، والذَّرْءُ : إظهار ما أبرأه الله ، يقال : ذرأ الله خلقه ، أي : أظهر أشخاصهم))[٥] وقال في باب ذرَّ : ((قوله تعالى : (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ)[الزلزلة :٧} وفيه قولان ، أحدهما : أنَّها النملة الصغيرة ، والثاني : واحدة الهباء ، وهو ما رئي من شعاع الشمس من كُوَّة ونحوها ، وإنَّما خوطب

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٢٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٣١٦

(٣) المفردات ص ١٨٤

(٤) المفردات ص ١٨٥

(٥) عمدة الحفاظ ٣٩/٢

العباد بذلك لأنَّها أقلُّ ما يتعارفونه من الأشياء القليلة ، وإلاَّ فالله سبحانه لا يظلم مثقاله ولا أقلّ من ذلك ، قوله تعالى : (ذُرِّيَّتَهُمْ) الذُّرِّيَّة : أصل إطلاقها على الصغار ، وقد يُطلَق عى الآباء ، فقوله تعالى : (وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ){يس : ٤١} قيل : الآباء ، وقيل : الأبناء ، وذلك إذا أريد بالفلك جنس السفن لا سفينة نوح عليه السلام ، ويقع على الواحد والجمع ، قال تعالى : (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء){آل عمران : ٣٨} فوهب له يحيى ، وفيها أقوال ، أحدها : أنَّها فُعْلِيَّة من الذَّرِّ ؛ لأنَّ الله استخرج من ظهر آدم كالذَّرِّ حين أشهدهم على أنفسهم ، والثاني : أنَّها مهموزة الأصل اشتقاقًا من ذرأ اللهُ الخلقَ))[١]

الأوجه المذكورة مختلقة بطريقتين :

الأولى : جعل اللفظ بالمعاني التي اختلفت لاختلاف صيغه ، أو جذوره .

فقد جعل الدامغاني الذرية في الوجه الثالث بمعنى الخلق في قوله تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ) وهو ليس من أوجه الذرية ؛ لأنَّه ليس من جذر (ذرَّ يذرُّ) بل من (ذرأ يذرأ) حتى فصل أهل اللغة بينهما ، وجعلوا كلَّ واحد منهما في بابه ، قال ابن منظور في باب (ذرر) : ((ذرَّ اللهُ الخلقَ في الأرض نثرهم ، والذُّرِّيَّة فُعْلِيَّة منه))[٢]وقال في باب (ذرأ) : ((وذرأ الله الخلقَ يذرؤهم ذرءًا : خلقهم))[٣]

---

(١) عمدة الحفاظ ٣٩/٢-٤٠

(٢) لسان العرب ٢٥/٦

(٣) لسان العرب ٢٢/٦

وجعل الذرو في الوجه الرابع بمعنى النسف ، في قوله تعالى : (فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) والذرو أيضًا ليس من أوجه الذرية ؛ لأنَّه ليس من جذر (ذرَّ يذرُّ) بل من ذرا يذرو كـ((ذرَتِ الريحُ الترابَ وغيرَه تذروه ذَرْوًا : أطارته وسفته وأذهبته))[١]

وجعل الذرَّة في الوجه الخامس بمعنى النملة الصغيرة ، في قوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ){الزلزلة :٧} وقد تقدم أنَّ ((قوله تعالى : (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) فيه قولان ، أحدهما : أنَّها النملة الصغيرة ، والثاني : واحدة الهباء ، وهو ما رئي من شعاع الشمس من كُوَّة ونحوها ، وإنَّما خوطب العباد بذلك لأنَّها أقلُّ ما يتعارفونه من الأشياء القليلة ، وإلاَّ فالله سبحانه لا يظلم مثقاله ولا أقلّ من ذلك))[٢]

وجاء في اللسان : ((وذرَّ الشيءَ يذُرُّه : أخذه بأطراف أصابعه٠٠٠وذرِّي الدقيقَ في القدر ، وذررتُ الحَبَّ والملحَ والدواء أذرُّه ذَرًّا : فرَّقته٠٠٠والذَّرُّ صغار النمل ، واحدته ذَرَّة٠٠٠وقيل : الذَّرَّة : ما ليس لها وزن ، ويراد بها ما يُرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة)) [٣]

فالذرة : ما تناهى في صغره وخفة وزنه ، حتى أمكن أخذه بأطراف الأصابع ونثره ، فهو بهذا المعنى ينطبق على كلِّ ما كان بهذه الصفة في نظر الإنسان ، كالنملة الصغيرة ، وما يُرى متطايرًا من الغبار ، ودقيق الحَبِّ والملح والدواء ونحوها ، فكلٌّ من هذه الأشياء لا يعني الذرة بعينها بل هي واحدة من أمثلتها وأنواعها ، ولو أراد القرآن الكريم إحداها لعبَّر عنها بلفظها ، فلو أراد مثلًا النملة الصغيرة كما قال الدامغاني لقال : فمن يعمل مثقال

---

(١) لسان العرب ٢٩/٦

(٢) عمدة الحفاظ ٣٩/٢-٤٠

(٣) لسان العرب ٢٥/٦

نملة ، وإنَّما أراد ما تعنيه الذرة بتعريفها المذكور الذي ينطبق على كل شيء رآه الإنسان ووجده بأنَّه أدق وأخفُّ ما يكون حجمًا ووزنًا ، فهي بهذه الدلالة العامة من دون تحديدها تبقى لفظة حيَّة متجددة بتجدد العلم ، وتطوره وتطور العصور والأفكار ، فلو قال سبحانه : فمن يعمل مثقال نملة لقال أهل العلم اليوم ، بل هناك ما هو أصغر من أصغر نملة أضعاف مضاعفة وهو ما اصطلح عليه في علم الطبيعة بالذرة ، لكن لمَّا قال سبحانه (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) أدخل علماء هذا العصر هذه الآية في باب إعجاز القرآن ؛ ذلك أنَّ الذرة اليوم أصبحت تُطلَق في علم الفيزياء والكيمياء على أصغر جزء في المادة ، ولم تُكتشَف ويُتعرَّف إليها إلّا في القرن التاسع عشر

فجعل الذرة بمعنى النملة الصغيرة تحريف لدلالتها ، وهدم لسرِّ استعمالها

وجعل ذرني في الوجه السادس يعني خلِّني وخل بيني وبين كذا ، في قوله تعالى : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ)

وجعل ذرْ في الوجه السابع بمعنى اترك ، في قوله تعالى : (وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ)

وهذان الوجهان ليسا من أوجه الذرية ؛ لأنَّهما ليسا من جذر : ذرَّ يذُرُّ ، بل من : وَذَرَ، مثل وَدَعَ ، والأمر منهما ذَرْ ، وَدَعْ ، والمضارع يَذَرُ ، وَيَدَعُ ، ولم يرد منهما الماضي[1]؛ لذلك ذكر هذين الوجهين من قبلُ

(١) ينظر : لسان العرب ١٨٦/١٥

مقاتل بن سليمان ، وهرون بن موسى في باب ذروا[١] وذكرهما الحيري في باب ذَرْ[٢]

فأنت ترى أنّ الأوجه الخمسة : الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع : ترجع إلى خمسة جذور وصيغ وهي :

١–جذر : ذرأ–يذرأ ، بمعنى خلق

٢–جذر : ذرا–يذرو ، بمعنى نسف

٣–جذر : ذرّ–يذرّ ، بمعنى النملة الصغيرة

٤–جذر : وذر–يذر ، صيغة ذرني ، بمعنى خلّني

٥–نفس الجذر ، صيغة ذروا ، بمعنى اترك ، فهذه الأوجه الخمسة كما ترى لا تعود إلى جذر واحد وصيغة واحدة ، بل تعود إلى خمسة جذور وصيغ ، ولكل جذر وصيغة معناه ، ولكل معنى جذره وصيغته .

الثانية : الدراسة المعكوسة ، فقد اختلق الدامغاني الوجهيين : الأول والثاني ، بدراستهما دراسة معكوسة ؛ ذلك بجعل الذرية بمعنييهما ، في حين أنّ المراد جعل معنييهما بمعنى الذرّيّة ، فهما إذن وجوه واحد ، والتحريف الحاصل أنّه لم يجعل الذرّيّة بمعناها بل بمعنيي موصوفيهما ، فقد جعل الدامغاني الذرية في الوجه الأول يعني الولد في قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) ولو أراد الولد لقال : رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ولدًا ، لكن لمَّا قال (ذُرِّيَّةً) فقد أراد معنى الذرية لا معنى الولد ؛ والدليل على ذلك أنَّ هذا هو الذي أخبرنا به الله سبحانه قال الواحدي في تفسير هذه الآية :

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣١٧ والوجوه والنظائر لهرون بن موسى ص٢٢٣–٢٢٤

(٢) ينظر : وجوه القرآن ص ٢١٥

(((ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) نسلاً مباركًا تقيًّا))[١] وقال القرطبي : (((ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) أي : نسلاً صالحًا))[٢] وقال ابن عطية : ((والذرية اسم جنس ، يقع على واحد فصاعدًا٠٠٠وهكذا كان طلب زكريا عليه السلام))[٣]فزكريا عليه السلام لم يسأل ربه أن يهب له ولدًا ليفرج عنه هم العقم فحسب ، بل سأله الذرية الطيبة ليعمّ خيرها ونفعها له ولمن بعده[٤]

وجعل الذرية في الوجه الثاني بمعنى الآباء ، في قوله تعالى : (وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ {٤١} وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ {٤٢} وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنقَذُونَ) قرأ ابن عامر ، ونافع (ذُرِّيَّاتِهُمْ) بالجمع ، وقرأ الباقون (ذُرِّيَّتَهُمْ) بالتوحيد)) [٥]

وقد تقدم قول الحلبي : ((فقوله تعالى : (وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ){يس : ٤١} قيل : الآباء ، وقيل : الأبناء ، وذلك إذا أريد بالفلك جنس السفن لا سفينة نوح عليه السلام))[٦] وقال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره : ودليل لهم أيضًا ، وعلامة على قدرتنا على كلِّ ما نشاء حملنا ذريتهم ، يعني مَن نجا من ولد آدم في سفينة نوح))[٧] فالمراد من الذرية عنده الأبناء لا الآباء ، وأنَّه سبحانه حمل الآباء

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٣٣/١

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٧/٤

(٣) المحرر الوجيز ٤٢٧/١

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٩٠/٣

(٥) ينظر : معاني القرآن لأبي منصور الأزهري ص ٤٠١ والكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي ٢١٧/٢

(٦) عمدة الحفاظ ٤٠/٢

(٧) جامع البيان ١٤/٢٣

وذرياتهم في سفينة نوح عليه السلام [١] وقال النحاس في تفسيرها : ((هذه الآية من أشكل ما في السورة لقوله جل وعز (حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) لأنَّهم هم المحمولون ، فسمعتُ علي بن سليمان يقول : الضميران مختلفان ، والمعنى : وآية لأهل مكة أنَّا حملنا ذريات قوم نوح في الفلك ، وفيها قول آخر حسن ، وهو أن يكون المعنى أنَّ الله جلَّ وعزَّ خبَّر بلطفه وامتنانه أنَّه خلق السفن يحمل فيها مَن يصعب عليه المشي والركوب من الذريات والصِّغار ، ويكون الضميران على هذا متفقين))[٢] وقال ابن عطية : ((وذكر الذرية لضعفهم من السفر فالنعمة فيهم أمكن ، والضمير المتصل بالذريات هو ضمير الجنس ، كأنَّه قال : ذريات جنسهم أو نوعهم ، هذا أصحُّ ما اتجه في هذا ، وخلط بعض الناس في هذا حتى قالوا : الذرية تقع على الآباء ، وهذا لا يُعرَف لغة ، وأمَا معنى الآية فيحتمل تأويلين : أحدهما قاله ابن عبَّاس وجماعة ، وهو أن يريد بالذريات المحمولين ، أصحاب نوح في السفينة ، ويريد بقوله (مِّن مِّثْلِهِ) السفن الموجودة في جنس بني آدم إلى يوم القيامة ، وإياها أراد تعالى بقوله (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ) والتأويل الثاني : قاله مجاهد والسُّدِّي وروي عن ابن عباس أيضًا ، هو أنَّه يريد بقوله (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) السفن الموجودة في بني آدم إلى يوم القيامة ، ويريد بقوله : (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) الإبل وسائر ما يُركَب ، فتكون المماثلة في أنَّه مركوب مبلغ إلى الأقطار فقط ، ويعود قوله : (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ) على السفن الموجودة في الناس))[٣]وقال البيضاوي : (((وَآيَةٌ

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢١٧/٤ والكشاف للزمخشري ١٨/٤

(٢) إعراب القرآن ص ٨٢٢

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٥٥/٤ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠/١٥-٣١ وفتح القدير للشوكاني ٤٦٤/٤ وروح المعاني للآلوسي ٢٦/١٢

لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم ، أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم ، فإنَّ الذرية تقع عليهنَّ لأنَّهنَّ مزارعها ، وتخصيصهم لأنَّ استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب)) [١] وقال أبو حيان : ((والظاهر من الذرية أنَّه يراد به الأبناء ومن نشأ منهم)) [٢] وقال ابن عاشور : ((وقد فهم من دلالة قوله تعالى : (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) صريحًا وكناية أنَّ هذه الآية مستمرة لكل ناظر إذ يشهدون أسفارهم وأسفار أمثالهم في البحر ، وخاصة سكان الشطوط والسواحل مثل أهل جدة وأهل يُنْبُع إذ يسافرون إلى بلاد اليمن وبلاد الحبشة ، فيفهم منه : أنَّا حملنا ونحمل وسنحمل أسلافهم وأنفسهم وذرياتهم ، وقد وصف طرفة السفن في معلقته))[٣]

جعل الذرية بمعنى الآباء ، وهو قول مرجوح ، وقد استبعده أهل التحقيق من أهل التفسير ، والقول الصحيح أنَّ المراد من الذرية الذرية بعينها والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أحدها أو أضعفها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه تدخل في باب التحريف ، وفي باب الخيانة العلمية في التفسير .

٨-**القائل** : قال العسكري : ((ويقال : قال يقول من القول ، وقال يقيل من القيلولة ... والقائل في القرآن الكريم على وجهين :

---

(١) أنوار التنزيل ٢٦٩/٤ وينظر : مدارك التنزيل ص ٩٨٩

(٢) البحر المحيط ٤٤٧/٧

(٣) التحرير والتنوير ٢٣٧/٢٢ وينظر وصف الشاعر الجاهلي طرفة للسفينة شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأنباري ١٤٥-١٤٦ وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ٧٥-٧٦

الأول : فاعل القول ، قال تعالى : (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ){الصافات : ٥١}

الثاني : من القيلولة ، قال تعالى : (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ){الأعراف : ٤} أي : نائمون في أنصاف النهار))[١]

فالوجه الأول من باب : ((القاف والواو واللام ... وهو القول من النطق))[٢] والوجه الثاني من باب : ((القاف والياء واللام ...والقائلة نوم نصف النهار)) [٣]

فهذان الوجهان مختلقان ؛ لأنّ كلًّا منهما يرجع إلى جذر وصيغة مختلفة ، فهما معنيان لجذرين وصيغتين مختلفتين وهذا ما صرَّح به العسكري نفسه ، فيكون لكل معنى صيغته ولكل صيغة معناها

٩-**القسم** : قال الدامغاني : ((تفسير القسم على وجهين : الحلف ، والقسمة :

فوجه منهما : أقسم يعني : حلف ، كقوله تعالى : (وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ){الأنعام : ١٠٩} أي : حلفوا بالله

والوجه الثاني : القسمة بعينها ، قوله تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ){الزخرف : ٣٢})) [٤]

قال الخليل : ((القَسْمُ : مصدر قَسَمَ يَقْسِمُ قَسْمًا ، والقِسْمَة مصدر الاقتسام ، ويقال أيضًا : قَسَمَ بينهم قِسْمَةً٠٠٠والقَسَمُ : اليمين ، ويجمع على

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٧٩.

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٥٧.

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٥٨.

(٤) الوجوه والنظائر ص٣٨٩-٣٩٠

أقسام ، والفعل أقسم)) [1] وقال ابن فارس : ((القاف والسين والميم أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على جمال وحسن ، والآخر على تجزئة شيء ، فالأول : القَسام ، وهو الحسن والجمال ، وفلان مقسَّم الوجه ، أي : ذو جمال٠٠٠والأصل الآخر : القَسْم (بفتح القاف وسكون السين) مصدر قسمتُ الشيء قسْمًا ، والنصيب قِسْمٌ بكسر القاف ، فأمَّا اليمين فالقَسَم (بفتح القاف والسين) وأصل ذلك من القسامة ، وهي الأيمان تُقسَم على أولياء المقتول إذا ادعوا دم مقتولهم على ناس اتهموهم به))[2]

تبيَّن من كلام أهل اللغة أنَّ الوجهين المذكورين يعودان إلى صيغتين مختلفتين ، فلكل معنى صيغته ، ولكلِّ صيغة معناها ، ولا أوجه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد جعل أقسم في الوجه الأول بمعنى حلف في قوله تعالى : (وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) والحَلِفُ مرادف للقَسَم جاز جعله بمعناه في باب التفسير ، وما جاز هذا في باب الوجوه ؛ لأنَّ بينهما فرقًا في الدلالة ، فقد قال العسكري في ((الفرق بين القسم والحلف أنَّ القسم أبلغ من الحلف ؛ لأنَّ معنى قولنا : أقسم بالله ، أنَّه صار ذا قسم بالله ، والقسْم : النصيب ، والمراد أنَّ الذي أقسمَ عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله ، والحلف من قولك : سيف حليف ، أي : قاطع ماض ، فإذا قلت : حلفَ بالله ، فكأنَّك قلتَ : قطع المخاصمة بالله ، فالأول أبلغ ؛ لأنَّه يتضمن معنى الآخر مع دفع الخصم ، ففيه معنيان ، وقولنا : حَلَفَ ، يفيد معنى واحدًا ، وهو قطع المخاصمة فقط ، وذلك أنَّ من أحرز الشيء باستحقاق في الظاهر ، فلا خصومة بينه وبين أحد فيه ، وليس كلّ من دفع الخصومة فقد أحرزه ،

([1]) العين ص٧٨٨

([2]) مقاييس اللغة ص ٧٧٤ وينظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٢٠ وعمدة الحفاظ للحلبي ٣٠٧/٣

واليمين اسم للقسم مستعار ، وذلك أنَّهم كانوا إذا تقاسموا على شيء تصافقوا بأيمانهم ، ثم كثر ذلك حتى سمي القسم يمينًا)) [١]

١٠-**المحل** : قال الدامغاني : ((تفسير المحل على وجهين : المنحر ، والعقوبة ، فوجه منهما ، المحل ، يعني المنحر ، قوله تعالى : (ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ){الحج : ٣٣} .

والوجه الثاني ، المِحال ، العقوبة الشديدة ، قوله تعالى : (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ){الرعد : ١٣}))[٢]

الوجه الأول من حلَّ بالمكان : إذا نزل به ، وحلَّ الدَّين : انتهى أجله ، والمحِلُّ (بكسر الحاء) الأجل[٣] فقوله تعالى : (ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) ((أي : حيث يحلُّ نحرُها)) [٤] والوجه الثاني من مَحَل به : إذا سعى به [٥] وقال الراغب : ((قوله تعالى : (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) أي : الأخذ بالعقوبة ، قال بعضهم : هو من قولهم : مَحَلَ به مَحْلاً ومِحالاً : إذا أراده بسوء)) [٦] ((وقال أبو العباس رضي الله عنهما هو مأخوذ من قول العرب : فلان مَحَلَ بفلان : إذا سعى به إلى السلطان ، وعرَّضه يهلكه عنده))[٧]

والوجهان المذكوران أهما وجهان للمحلِّ ، الذي هو من حلَّ ، باب الحاء ، أم هما وجهان للمِحال ، الذي هو من مَحَلَ باب الميم ، فأين أصل

---

(١) الفروق اللغوية ص ٦٨

(٢) الوجوه والنظائر ص ٤٢٣ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ١٩٤ والمصباح المنير ص ١٤٧-١٤٨.

(٤) زاد المسير ٣١٤/٥ .

(٥) ينظر : مقييس اللغة ٨٥٣-٨٥٤.

(٦) المفردات ص ٤٨٤.

(٧) عمدة الحفاظ ٧٤/٤.

الوجه الأول من الثاني ؟! فكيف يصح أن يكون المنحر ، والعقوبة الشديدة وجهين وهما من جذرين وبابين مختلفين ؟!

١١-المردّ : ذكر الدامغاني أنّ المرد في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه ، وهي :

الوجه الأول : المردّ يعني المدفع ، كقوله تعالى : ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّـهِ﴾{الروم : ٤٣}

الوجه الثاني : المارد يعني الشيطان ، كقوله تعالى : ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾{الصافات : ٧}

الوجه الثالث : ممرّد يعني طويل ، كقوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾{النمل : ٤٤} يعني طويلًا ، والممرد : المُطَوَّل [١]

الوجه الأول هو من باب ردّ ، والوجه الثاني والثالث من باب مَرَد ، فهذه الأوجه الثلاثة من جذرين مختلفين ، والوجه الثاني مختلق بطريقة الدراسة المعكوسة ؛ لأنّه ليس المراد تسمية المارد بالشيطان ، بل تسمية الشيطان بالمارد ، والدليل على ذلك النصّ القرآني ، فقد قال : ﴿شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ ولم يقل : مارد شيطان ، أمّا الوجه الثالث : فالصحيح أنه راجع إلى معنى الوجه الثاني ، قال ابن فارس : ((الميم والراء والدال أصل صحيح يدلّ على تجريد الشيء من قشره أو ما يعلوه من شعره ، والأمرد : الشابّ لم تبدُ لحيته٠٠٠والممرد : البناء الطويل ، وهو قياس الباب ؛ لأنّه كأنّه مجرّد يشبه الشجرة المرداء)) [٢] ووجه الطويل وإن قيل به وجه مرجوح ، لم يشر إليه إلّا ابن قتيبة ، والقرطبي ، والشوكاني ، فقد قال الأول في تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ ((والممرد : الأملس ، يقال : مردتُ

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٤٣٤

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٥٩

الشيءَ : إذا بلّطته وأملسته ، ومن ذلك الأمرد : الذي لا شعر على وجهه٠٠٠ويقال الممرد المطوَّل)) [١] ومثل هذا قال القرطبي [٢] والشكوكاني [٣] وقد أشاروا إلى وجه المُطوَّل بصيغة التضعيف وعلى أنّه قول ثان ، ولم يشر غيرهم من المفسرين إلى هذا الوجه ، بل اقتصروا على ذكر وجه المملّس من دون التطرق إلى وجه المطوّل ((قال الزمخشري : ((الصرح : القصر٠٠٠والممرد : المُملَّس)) [٤] وقال الأصفهاني : ((﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾{الصافات : ٧} والمارد والمَريد من شياطين الجن والإنس المُتَعرِّي من الخيرات ، من قولهم شجر أمرد إذا تعرّى من الورق ، ومنه قيل : رملة مرداء لم تنبت شيئًا٠٠٠وقوله تعالى : ﴿مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾{النمل : ٤٤} أي : مُمَلَّس من قولهم شجرة مرداء إذا لم يكن عليها ورق)) [٥] وقال ابن عطية الأندلسي : ((و(الصرح) كلّ بناء عال٠٠٠والممرد : المحكوك المملّس ، ومنه الأمرد والشجرة المرداء التي لا ورق عليها)) [٦] وقال الحلبي : ((وقوله ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾{النمل : ٤٤} أي : أملس ، ومنه الأمرد لملامسة وجهه من الشعر، وشجر أمرد : لا ورق به))[٧]

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٣٢٥

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٠/١٣

(٣) ينظر : فتح القدير للشوكاني ١٧٥/١

(٤) الكشاف ٣٥٨/٣

(٥) المفردات ص ٤٨٦

(٦) المحرر الوجيز ٢٦٢/٤ وينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦٠/١٣

(٧) عمدة الحفاظ ٨٠/٤

فوجه المطوّل وجه بعيد حتى إنّ أكثر المفسرين القدامى والمحدثين لم يتطرقوا إليه ، بل لم أجد مفسرًا أدخله في تفسير الآية ؛ لأنّهم أجمعوا على أنّ المعنى : ((قيل لها : ادخلي القصر ، وكان صحنه من زجاج تحته ماء ، فلمّا رأته ظننته ماء تتردد أمواجه ، وكشفت عن ساقيها لتخوض الماء ، فقال لها سليمان : إنّه صحن أملس من زجاج صاف والماء تحته)) [١]

فجعل الممرد بمعنى الأملس هو القول الأكثر قبولًا وشيوعًا والمُقدَّم على معنى المُطوَّل ، فالمطوَّل لا يصحّ أن يكون وجهًا ؛ لأنّ الوجه يجب أن يكون حقيقة ثابتة لا يُختلَف فيها وقولًا واحدًا فضلًا عن أن يتقدم عليه قول آخر

١٢–ناء : قال الحيري : ((ناء : على وجهين :

أحدهما التباعد كقوله تعالى : (وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)(الأنعام : ٢٦} وقوله تعالى : (وَنَأَى بِجَانِبِهِ)(الإسراء : ٨٣} يعني : وأعرض عنه .

والثاني : الضعف ، كقوله تعالى : (وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)(طه : ٤٢} وكقوله تعالى : (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ)(القصص : ٧٦}))[٢]

مقاتل : ((تفسير (نأى) على وجهين ، فوجه منهما ، أي : يعني تباعد ، فذلك قوله في بني إسرائيل : (وَنَأَى بِجَانِبِهِ)(الإسراء : ٨٣} يعني تباعد ، كقوله في الأنعام : (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)(الإسراء : ٢٦} يعني يباعدون عنه .

والوجه الثاني : لا تنيا يعني لا تضعفا ، فذلك قوله في طه : (وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)(طه : ٤٢} يقول : لا تضعفا ، وقال في القصص : (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ)(القصص : ٧٦} يعني لتضعف فتعجز عن حمل المفاتيح لأبواب

---

(١) التفسير الميسّر إعداد نخبة من العلماء ص ٣٨٠ .

(٢) وجوه القرآن ص ٣٩٥.

بيوت أموال قارون)) [١] ومثل هذا قال هرون والدامغاني مستشهدين بالآيات القرآنية نفسها من غير زيادة ولا نقصان [٢]

والحيري في هذين الوجهين خلط بين ثلاثة جذور ، فالوجه الأول الذي جعله بمعنى التباعد هو من جذر نأى ، قال ابن فارس : ((وأمَّا النأي فالبعد ، يقال : نأى ينأى نأيًا، وانتأى افتعل منه ، والمنتأى : الموضع البعيد)) [٣]

والوجه الثاني الذي جعله بمعنى الضعف ، فشاهده الأول هو من باب ونى ، قال ابن فارس : ((الواو والنون والحرف المعتل : يدل على ضعف ، يقال : ونى يني ونْيًا ، والواني : الضعيف ، قال الله تعالى : (وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي){طه : ٤٢})) [٤] وشاهده الثاني من باب ناء ، قال ابن فارس : ((وبالهمز: كلمة تدل على النهوض ، وناء ينوء نوءًا : نهض ٠٠٠وكل ناهض بثقل فقد ناء ، وناء البعير بحمله ، والمرأة تنوء بها عجيزتها ، وهي تنوء بها ، فالأول تثقل بها ، والثانية تنهض)) [٥]

فالحيري خلط بين معاني ثلاثة جذور : نأى ، وناء ، وونى ؛ ليختلق منها الوجهين المذكورين

١٣-الهمّ : ذكر الدامغاني أنّ الهمّ في القرآن الكريم على وجهين :

---

(١) الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٦٣ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٦ .

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٩والوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٤٨ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٨٠.

(٤) مقاييس اللغة ص ٩٦٨ .

(٥) مقاييس اللغة ص ٨٧٦.

الوجه الأول : الهمّ يعني الإرادة ، كقوله تعالى : ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾{التوبة : ١٣} وقوله تعالى : ﴿لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾{النساء : ١١٣}

الوجه الثاني : الهيم يعني الإبل العطاش ، كقوله تعالى : ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾{الواقعة : ٥٥}[١]

ولا يصحّ هذان الوجهان ؛ لأنّ الوجه الأول من جذر همّ ، والثاني من جذر هام ، فهما من بابين مختلفين ، فلكلٍّ جذر معناه ، ولكلّ معنى جذره ، ولا أوجه .

١٤-هات : قال الدامغاني : ((تفسير هات على أربعة أوجه : هلم ، وبُعْدًا ، وتعال ، وصلة .

فوجه منها : هات يعني هلمَّ قوله تعالى في سورة البقرة : (وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ){البقرة : ١١١}

والوجه الثاني : هيهات يعني بَعُدَ ، قوله تعالى في سورة (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ){المؤمنون : ٣٦}

والوجه الثالث : هاؤم اقرؤوا يعني تعالوا ، قوله تعالى في سورة الحاقة : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ){الحاقة : ١٩}

والوجه الرابع : هاء صلة في الكلام قوله تعالى في سورة آل عمران : (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ){آل عمران : ٦٦}))[٢]

جاء في كتب اللغة والنحو أنَّ ها ترد زائدة للتنبيه ، نحو (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء){آل عمران : ٦٦}

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٤٦٠

(٢) الوجوه والنظائر ص ٤٦١-٤٦٢ .

وهاء : اسم فعل أمر بمعنى خُذْ ، تقول : هاءَ يا رجل ، وهاؤما يا رجلان ، وهاؤم يا رجال ، وهاءِ يا امرأة ، وهائيا يا امرأتان ، وهاؤنَّ يا نساء .

وهلمَّ : اسم فعل أمر بمعنى تعال ، تقول : هلمَّ وهلمَّا وهلمُّوا .

وهات : اسم فعل أمر بمعنى اعطِ ، تقول : هاتِ ، وهاتيا ، وهاتوا ، وهاتي ، وهاتِينَ

وهيهات : اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ [1]

جعل الدامغاني هات يعني هلمَّ في قوله تعالى : (قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ) وكان ينبغي له أن يذكر لنا ، ما معنى هلمَّ لنعرف معنى هات .

وجعل هيهات في الوجه الثاني يعني بَعُدَ في قوله تعالى : (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) وهذا الوجه هو وجه هيهات وليس وجه هات .

وجعل هاؤم في الوجه الثالث بمعنى تعالوا ، في قوله تعالى : (هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ) وهذا وجه هاؤم وليس وجه هات .

وجعل الهاء في الوجه الرابع صلة (زائدة) في قوله تعالى : (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ) وهذا وجه الهاء وليس وجه هات .

يا سبحان الله ! أهذه أوجه ؟! فقد ذكر أنَّ لـ(هات) أربعة أوجه ، ما هي ؟!

---

(١) ينظر : كتاب سيبويه ٢٢٦/١ ، ٣٠٤/١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨/١ ، ٣٨٢/٢ ، ٤٠٢/٢ ، ٣٦٥/٣ ، ١٣/٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٢٠ ، والمفردات في غريب القرآن للراغب ص ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ وشرح المفصل لابن يعيش ٣/٣-١٠ وشرح كافية ابن الحاجب ١٦٥/٣-١٨٤ ورصف المباني للمالقي ص ٤٦٨ والجنى الداني للمرادي ص ٣٤٦ ، ٣٤٨ وعمدة الحفاظ ٢٧٠/٤ ومغني اللبيب ٣٤٩/٢ .

وتأمَّل كيف خلط مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه بين ما هو اسم فعل أمر ، وبين ما هو اسم فعل ماضٍ ، فخلط بينهما في دلالتهما الزمانية ، كما أنَّ هذه الأوجه أهي أوجه هات ، أم هي أوجه هلمَّ ، أم هي أوجه هيهات ؟!

فهذه الأوجه الأربعة مختلَقة ؛ لأنّها لا تعود إلى صيغة واحدة ، بل هي لأربع صيغ مختلفة ، وقد كان لكل صيغة معناها ، ولكل معنى صيغته

الطريقة الثامنة : جعل اللفظ بمعاني ما قيل ممّا لم يصحّ منها ولم يثبتْ ، ولم يعيّنه أهل التفسير .

جعل اللفظ بمعنى ما تعددت فيه الأقوال ولم يثبت عند الحذاق من أهل اللغة والتفسير طريقة شائعة عامّة ، يكاد لا يخلو لفظ من الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه إلّا ومن بين وجوهه وجه أو أكثر اختُلِق بهذه الطريقة ، وهذا ما لحظناه في وجوه كل لفظ تقدمت دراستها ، والوجوه لا يصحّ أن تُسمَّى وجوهًا إلّا إذا كانت حقائق ثابتة متفقًا عليها لغة واستعمالًا وعرفًا ، من ذلك مثلًا ما تقدم ذكره من الوجوه الحقيقية كالحميم الذي له وجهان : القريب ذو الرحم ، والماء الحار ، والحسبان الذي له أيضًا وجهان : الحساب ، والصاعقة ، وكالاستحياء ووجهاه : الحياة ، والحياء ، وكذلك العين جاءت على وجهين : العين الباصرة ، والعين الجارية ، ولكل وجه من وجهي الألفاظ المذكورة شواهده في القرآن الكريم ، أجمع عليها المفسرون ولم يختلفوا فيها ؛ فالوجه إذا اختُلِف فيه أو احتمل أكثر من معنى خرج من باب الوجوه ودخل في باب التفسير والتأويل ، ومن أمثلة هذه الطريقة ما كان من وجوه الألفاظ الآتية

١-**الإناث** : قال الحيري : ((الإناث على وجهين :

أحدهما : الأموات بلا أرواح ، كقوله تعالى : ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلّا إِنَاثًا﴾{النساء : ١١٧}

الثاني : بنات لوط ، كقوله تعالى : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ {٤٩} أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ){الشورى : ٤٩-٥٠} (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا) وهو لوط (وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ) وهو إبراهيم عليه السلام (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا) وهو يحيى بن زكريا ، وعيسى ابن مريم)) [١]

قال الخليل : ((والأنثى خلاف الذكر من كل شيء ، والإناث جمع الأنثى)) [٢] ((ويقال : سيف أنيث الحديد : إذا كانت حديدته أنثى)) [٣] وقال الراغب : ((الأنثى خلاف الذكر ، ويقالان في الأصل اعتبارًا بالفرجين ، ولمّا كان الأنثى في جميع الحيوانات تضعف عن الذكر ، اعتبر فيها الضعف ، فقيل لِما يضعف عمله أنثى ، ومنه قيل : حديد أنيث ، وقيل : أرض أنيث سهل اعتبارًا بالسهولة التي في الأنثى ، أو يقال ذلك اعتبارًا بجودة إنباتها تشبهًا بالأنثى ... ولمَّا كانت معبوداتهم من جملة الجمادات ، سماها الله تعالى أنثى ... أنَّها لا تنفع ولا تسمع ولا تضر ، ولا تفعل فعلًا بوجه)) [٤] وفي كلام الراغب الأخير نظر ؛ لأنَّ الأنثى لم تُطلَق على الجمادات ، وإنَّما استعيرت دلالة الأنثى في الضعف ودلالة الذَّكَر في القوة على ما ضعف من الجمادات وقوي منها ، وهذا ما صرَّح به الراغب نفسه بقوله المذكور : ((ولما كان الأنثى في جميع الحيوانات تضعف عن الذكر ، اعتبر فيها الضعف ، فقيل لما يضعف عمله أنثى ، ومنه قيل : حديد أنيث)) أي : جاز مجازًا أن يقال : حديد أنثى ، وحديد ذَكَر ، قال الحلبي :

---

(١) وجوه القرآن ص ٩١-٩٢

(٢) العين ص ٤٤ وينظر : مقاييس اللغة ص ٥٥

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٥

(٤) المفردات ص ٣٢-٣٣

((الأنثى تقابل الذكر من جميع الحيوانات ، فالمرأة أنثى ، والناقة ، والنعجة ، والأتان ، وذلك باعتبار الفرجين ؛ ولذلك يقول النحاة : مؤنث حقيقي ، ويعنون ما له فرج ، وغير حقيقي ما ليس له فرج ، وإنَّما عاملته العرب معاملة المؤنث كالشمس ، ولما كان الذكر أقوى من الأنثى ، جعلوا الأضعف في بعض الأشياء أنثى ، والأقوى ذكر، فقالوا : سيف ذكر ، أي : قاطع ، وسيف أنيث في عكسه)) [١]

وجاء في معاجم اللغة ((فمن المجاز : الأنيث من الحديد ، ما كان غير الذَكَر ، وحديث أنيث غير ذَكَر ... وسيف أنيث وهو الذي ليس بقاطع ... ومن المجاز أرض أنيثة ، ومثناة سهلة منبات ، خليقة بالإنبات ليست بغليظة ، وبلد أنيث ليِّن سهل ، ومكان أنيث : إذا أسرع نباته وكثر))[٢]

جعل الحيري الإناث في الوجه الأول بمعنى الأموات بلا أرواح في قوله تعالى : ((إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلّا إِنَاثًا) قال مقاتل في تفسير هذه الآية ((يعني أوثانًا ، يعني أمواتًا ، اللات والعزى ، وهي الأوثان ، لا تحرك ، ولا تضر ، ولا تنفع ، فهي ميتة)) [٣] ومقاتل لم يجعل الإناث بمعنى الأموات ، وإنَّما جعلها بمعنى الأوثان ، ثم عرَّف الأوثان بأنَّها أموات ، فهي لا تضر ولا تنفع ولا تتحرك ، وكلامه يتضمَّن أنَّ الله سبحانه سمَّاها إناثًا لأنَّ العرب سموها باسماء الإناث ، وهذا ما عناه تقسير الفرّاء للآية بقوله : ((يقول : اللات والعزى وأشباههما من الآلهة المؤنثة))[٤] وابن قتيبة بقوله : ((يعني :

---

(١) عمدة الحفاظ ١٢٧/١-١٢٨

(٢) تاج العروس ٨٩/٥-٩٠ وينظر : تهذيب اللغة ٢١٤/١ ، والصحاح ص ٥٨ ولسان العرب ١٦٨/١-١٦٩

(٣) تفسير مقاتل ٢٥٧/١

(٤) معاني القرآن ٢٠٠/١

اللات والعزى ومناة)) [1] إلّا أنَّ أبا عبيدة قال في تفسيرها : ((إلّا الموات حجرًا أو مدرًا أو ما أشبه ذلك))[2]

وقال الطبري : ((القول في تأويل قوله تعالى : (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلّا إِنَاثًا) اختلف أهل التأول في تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : إن يدعون من دونه إلّا اللات ، والعزى ، ومناة ، فسمَّاهنَّ الله إناثًا بتسمية المشركين إياهنَّ بتسمية الإناث .

وقال آخرون : معنى ذلك : إن يدعون من دونه إلًا مواتًا لا روح فيه .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنَّ أهل الأوثان كانوا يسمون أوثانهم إناثًا ، فأنزل الله ذلك كذلك .

وقال آخرون : الإناث في هذا الموضع : الأوثان .

وأولى التأويلات التي ذكرت بتأويل ذلك إذ كان الصواب عندنا من القراءة ما وصفت تأويل من قال : عنى بذلك الآلهة التي مشركو العرب يعبدونها من دون الله ، ويسمونها بالإناث من الأسماء كاللات ، والعزى ، ونائلة ، ومناة ، وما أشبه ذلك ... فتأويل الآية ... ما يدعو الذين يشاقون الرسول ، ويتبعون غير سبيل المؤمنين شيئًا من دون الله بعد الله وسواه إلّا إناثًا ، يعني : إلاَّ ما سموه بأسماء الإناث ، كاللات والعزى وما أشبه ذلك ، يقول جل ثناؤه : فحسبُ هؤلاء الذين أشركوا بالله وعبدوا ما عبدوا من دونه من الأنداد والأوثان ، حجة عليهم في ضلالهم وكفرهم وذهابهم عن قصد السبيل ، أنَّهم يعبدون إناثًا ويدعونها آلهة وأربابًا ، والإناث من كل شيء أخسّه ، فهم يقرون للخسيس من الأشياء بالعبودية على علم منهم بخساسته ،

([1]) تفسير غريب القرآن ص ١٥٣

([2]) معاني القرآن ٢٠٠/١

ويمتنعون من إخلاص العبودية للذي له ملك كل شيء ، وبيده الخلق والأمر)) [1]

وهذا هو المعنى المراد أنَّ الإناث تعني الإناث بعينها ، أمَّا الموات فهو وصف وتعريف للحجر والطين والخشب التي نُحتت وصُنعت منها الأوثان ، ومع ذلك فهو مجرد قول قيل ، قال الزجاج : ((ومعنى : (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلّا إِنَاثًا) أي : ما يعبدون إلّا ما قد سموه باسم الإناث ، يعني به المشركين سموا الأصنام اللات والعزى ومناة وما أشبهه ، وقيل : إنَّ معنى قوله (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلّا إِنَاثًا) أي : أمواتًا ، والموات كلها يُخبَر عنها كما يُخبَر عن المؤنث ، تقول من ذلك : هذه الأحجار تعجبني ، ولا تقول : يعجبونني ، وكذلك الدراهم تنفعني)) [2] فأنت ترى أنَّ جعل الإناث بمعنى الأموات قول ضعيف وأضعف منه حجته

وقال الواحدي : ((قوله جل وعلا : (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلّا إِنَاثًا) قال ابن عباس : يعني عبادتهم الأوثان واللات والعزى ومناة وأشباهها من الآلهة التي كانوا يعبدونها ، وقال الحسن : لم يكن حي من أحياء العرب إلّا ولهم صنم يعبدونه فيسمونه : أنثى بني فلان ، فأنزل الله (إِلّا إِنَاثًا))) [3]

وقال الزمخشري : (((إِلّا إِنَاثًا) هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن : لم يكن حي من أحياء العرب إلّا ولهم صنم يعبدونه فيسمونه : أنثى بني فلان ، وقيل : كانوا يقولون في أصنامهم : هنَّ بنات الله ، وقيل المراد الملائكة ؛ لقولهم : الملائكة بنات الله)) [4]

([1]) جامع البيان٥/٣٢٤-٣٢٦

([2]) معاني القرآن وإعرابه ٩٠/١

([3]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١١٧/٢

([4]) الكشاف ٥٥٤/١

وقال أبو حيان : ((والمعنى : ما يعبدون من دون الله ويتخذونه إلهًا إلاَّ مسميات تسمية الأنثى ، وكنى بالدعاء عن العبادة ؛ لأنَّ مَن عبدَ شيئًا دعاه عند حوائجه ومصالحه ، وكانوا يُحلُّون الأصنام بأنواع الحلى ، ويسمونها أنثى وإناث ... وقال أبو مالك والسُّدِّي وابن زيد وغيرهم : كان العرب تُسمِّي أصنامًا بأسماء مؤنثة كاللات ، والعزى ، ومناة ، ونايلة)) [١]

وقال ابن كثير : ((عن الضحاك في (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلّا إِنَاثًا) قال المشركون : إنَّ الملائكة بنات الله ؛ وإنَّما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، قال : فاتخذوهنَّ أربابًا ، وصوروهنَّ صور الجواري فحكموا وقلدوا وقالوا : هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبده ، يعنون الملائكة ، وهذا التفسير شبيه بقوله تعالى : (وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا){الزخرف : ١٩}))[٢]

وقد تقدم قول الطبري الذي تبناه من بين عدة أقوال ، وبيَّن فيه سر استعمال لفظ الإناث : ((أنَّهم يعبدون إناثًا ويدعونها آلهة وأربابًا ، والإناث من كل شيء أخسّه ، فهم يقرون للخسيس من الأشياء بالعبودية على علم منهم بخساسته ، ويمتنعون من إخلاص العبودية للذي له ملك كل شيء ، وبيده الخلق والأمر)) [٣] وهذا هو ابن عاشور يوضح هذا السر نفسه بقوله : ((كان قوله : (إِن يَدْعُونَ) بيانًا لقوله : (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا){النساء : ١١٦} وأيُّ ضلال أشدُّ من أن يشرك أحد بالله غيره ، ثم أن يدعي أنَّ شركاءه إناث ، وقد علموا أنَّ الأنثى أضعف الصنفين من كل نوع ، وأعجب

---

(١) البحر المحيط ٤٩٨/٣

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٩٩/٢

(٣) جامع البيان٣٢٦/٥

من ذلك أن يكون هذا صادرًا من العرب ، وقد علم الناس حال المرأة بينهم ، وقد حرموها من حقوق كثيرة واستضعفوها)) [1]

فهذه المقاصد القرآنية البليغة المستوحاة من استعمال لفظ (إِنَاثًا) تموت عند جعلها بمعنى الأموات ، ولا يعقل أن لا يعلم الحيري بالأقوال التي فيلت في تفسير الإناث في قوله تعالى : (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلّا إِنَاثًا) وقد ذكرها الطبري المتوفى قبله بـ١٢٠ سنة في تفسيره المشهور : جامع البيان ، ولا يعقل أن لا يعلم بأضعفها وأقواها ، إلّا أنَّه لم يذكرها ؛ لأنَّ تفسير الإناث بذكرها يخرجها من دائرة الوجوه إلى دائرة التفسير والتأويل ، فاختيار أضعف الأقوال وأبعدها عن الصواب ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه ، مع العلم بوجود أقوال أخرى أصح وأقرب ، لا أقول بأنَّه يُعدُّ تحريفًا ظاهرًا للنص القرآني فحسب ، بل يُعدُّ أيضًا تحريفًا متعمَّدًا فيه

وجّعَلَ الحيري الإناث في الوجه الثاني بمعنى بنات لوط في قوله تعالى : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا) جاء في تفسير قوله تعالى : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ {٤٩} أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور ، ويهب لمن يشاء منهم الذكور دون الإناث ، ويهب لمن يشاء منهم من الولد الذكور والإناث ، ويجعل من يشاء عقيمًا[2] ومن المفسرين من ضرب لذلك مثالًا فقال الواحدي : (((يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا) يعني بنات ليس فيهم ذكر ، كما وهب للوط عليه السلام لم يولد له إلّا بنات ، (وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ) يعني البنين ليس معهم أنثى ، كإبراهيم عليه السلام ، لم يولد له إلّا ذكور (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) يعني الإناث والذكور (وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا) لا يولد له

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥٦/٤

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري ٥٤/٥

كعيسى ويحيى)) [1] وهؤلاء الأنبياء الذين ذُكِروا ضمن الأقسام الأربعة ذُكروا على سبيل التمثيل ؛ لذلك قال ابن الجوزي : ((وهذه الأقسام موجودة في سائر الناس ، وإنَّما ذكروا الأنبياء تمثيلًا)) [2] فمن الواضح جدًّا ومما لا خلاف فيه أنَّه سبحانه ذكر هذه الحالات الأربع على أنَّها عامَّة في جميع خلقه ، تشملهم في كل زمان ومكان ، ومن آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة ، فقصر هذا المعنى العام على أربعة منهم يُعدُّ تحريفًا ظاهرًا لدلالة النص القرآني ، وهدمًا لعمومه .

وقد بيَّنت في بحث لي بعنوان : (مَنِ) الموصولة في القرآن الكريم بين التعريف والتنكير [3] أنَّ (مَنِ) الموصولة نكرة دالّة على العموم ، وليس ، كما ذهب النحاة ، وتبعهم في ذلك المفسرون ، إلى أنَّها معرفة دالة على مُعَيَّن ، وكان من النتائج التي أسفر عنها هذا البحث :

١–أنَّ (الذي) وفروعها مما هو مبدوء بـ(ال) استعملت للتعبير عن الذات ؛ لذلك جاز إظهار موصوفها ، أمَّا (مَن) فقد استعملت للتعبير عن الصفة ، لذلك لزم حذفه ، أي : لزم حذف موصوفها

٢–لما كان المراد من استعمال (مَنِ) الموصولة صفة الموصوف لزم أن يكون المراد منها كل من اتصف بها ؛ ومن هنا دلت على التنكير والعموم .

٣–عندما كانت (مَنِ) الموصولة تحمل هذه الدلالة ، فإنّ استعمالها سيكون حتمًا في تقرير قواعد قرآنية عامة ، تتعدى حدود الزمان والمكان ، وهذا ما ينسجم وطبيعة القرآن العالمية والشمولية ، غير المحصورة في أُمَّة من دون أُمَّة ، وفي عصر من دون عصر ، ومن ذلك استعمال (مَن)

---

(١) الوسيط ٦٠/٤

(٢) زاد المسير ١٢٤/٧-١٢٥

(٣) ينظر : كتابي : من مزاعم النحاة

الموصولة في قوله تعالى : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ {٤٩} أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)

٢-الإنسان : ذكر أصحاب كتب الوجوه أنَّ الإنسان جاء في القرآن الكريم على عشرين وجهًا هي :

١-الإنسان بمعنى : آدم ، كقوله : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)(الإنسان : ١} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ)(المؤمنون : ١٢} وقوله تعالى : (خَلَقَ الأنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)(الرحمن : ١٤}

٢-الإنسان بمعنى : ولد آدم ، كقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)(ق : ١٦}

٣-الإنسان يعني : هشام بن المغيرة أو الوليد بن المغيرة ، في قوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)(التين : ٤}

٤-الإنسان يعني : قرط بن عبد الله بن عمرو أبو حياب ، في قوله تعالى : (إِنَّ الأنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)(العاديات : ٦}

٥-الإنسان يعني : أبا جهل بن هشام ، في قوله تعالى : (كَلا إِنَّ الأنسَانَ لَيَطْغَى)(العلق : ٦}

٦-الإنسان يعني : النضر بن الحارث ، في قوله تعالى : (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً)(الإسراء :١١}

٧-الإنسان يعني : برصيصا العابد ، في قوله تعالى : (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلأنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)(الحشر : ١٦}

٨-الإنسان يعني : بديل بن ورقاء في قوله تعالى : (إِنَّ الأنسَانَ لَكَفُورٌ)(الحج : ٦٦}

٩-الإنسان يعني : أخنس بن شريق في قوله تعالى : (إِنَّ الأنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا){المعارج : ١٩}

١٠-الإنسان يعني : أُسيد بن خلف في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الأنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ){الانفطار : ٦}

١١-الإنسان يعني : كلدة بن أسيد في قوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ فِي كَبَدٍ){البلد : ٤}

١٢-الإنسان يعني : عقبة بن أبي معيط في قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا {٢٧} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا {٢٨} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلأنسَانِ خَذُولًا){الفرقان : ٢٧-٢٩}

١٣-الإنسان يعني : أبا طالب في قوله تعالى : (فَلْيَنظُرِ الأنسَانُ مِمَّ خُلِقَ){الطارق : ٥}

١٤-الإنسان يعني : عتبة بن أبي لهب في قوله تعالى : (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ){عبس : ١٧} وقوله تعالى : (فَلْيَنظُرِ الأنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ){عبس : ٢٤}

١٥-الإنسان يعني : عدي بن ربيعة في قوله تعالى : (أَيَحْسَبُ الأنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ){القيامة : ٣}

١٦-الإنسان يعني : سعد بن أبي وقاص في قوله تعالى : ((وَوَصَّيْنَا الأنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا){العنكبوت : ٨}

١٧-الإنسان يعني : عبد الرحمن بن أبي بكر في قوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الأنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ

لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)}الأحقاف : ١٥} كما قال الدامغاني ، أو أبو بكر الصديق كما قال ابن الجوزي .

١٨-الإنسان يعني : عتبة بن ربيعة في قوله تعالى : (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا)}الإسراء : ٨٣} وقوله تعالى : (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ)}هود : ٩}

١٩-الإنسان يعني : أبي بن خلف الجمحي في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الأنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ {٧٧} وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {٧٨} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)}يس : ٧٧-٧٩}

٢٠-الإنسان يعني : أمية بن خلف في قوله تعالى : (فَأَمَّا الأنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)}الفجر : ١٥} وقوله تعالى : (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الأنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى)}الفجر : ٢٣}[1]

لا يملك أصحاب كتب الوجوه أيّ دليل كان على أنَّ الإنسان جاء على الوجوه المذكورة سوى الرجوع إلى أسباب النزول ، وأسباب النزول هذه التي رجعوا إليها أغلبها لا سند لها ، بل هي مجرد أقوال قيل بها في بعض كتب التفسير ، وهي حتى لو صحت لا تنزل بحكم يخصّ مَن نزلت فيه ، بل تنزل دائمًا بحكم عامّ تشمله وتشمل بني جنسه ؛ لتكون أحكام القرآن الكريم وتشريعاته عامّة تعني كلّ الناس في كلّ زمان ومكان حتى قيام الساعة ، ولو أريد أن تنزل بحكم تخصّ من نزلت فيه لخصَّتْه بالذكر ، كقوله تعالى : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا {١١} وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا {١٢} وَبَنِينَ شُهُودًا {١٣} وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا {١٤} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ {١٥} كَلا إِنَّهُ

([1]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٠١-١٠٤ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٦٨-٧١ ونزهة الأعين ص ٦٢-٦٥ وبصائر ذوي التمييز ٣٢/٢-٣٥

كَانَ لايَاتِنَا عَنِيدًا {١٦} سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا)}المدثر : ١١-١٧} وقوله تعالى : (عَبَسَ وَتَوَلَّى {١} أَن جَاءهُ الأعْمَى {٢} وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى {٣} أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى)}عبس : ١-٤} وقوله تعالى : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)}المسد : ١} فالإنسان أينما ورد في القرآن الكريم أريد به جنس الإنسان والحكم الملازم له حكم عام لا حكم خاص ، وهذا ما نلحظه فيما يأتي بوضوح في شواهد الوجوه المنسوبة إلى الإنسان .

فقد جعلوا الإنسان في الوجه الأول بمعنى آدم في قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) ولِمَ لا يكون المراد جنس الإنسان ؟! فابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الإنسان هنا بمعنى آدم[١] قال في تفسيره : ((في هذا الإنسان قولان ، أحدهما : أنَّه آدم عليه السلام ... والثاني : أنَّه جميع الناس ، روي عن ابن عباس وجريج ، فعلى هذا يكون الإنسان اسم جنس ، ويكون الحين زمان كونه نطفة وعلقة ومضغة)) [٢] وقال ابن عاشور : ((وتعريف الإنسان للاستغراق ... أي : هل أتى على كل إنسان حينٌ كان فيه معدومًا ... والحين : مقدار مُجمَل من الزمان يُطلق على ساعة وعلى أكثر)) [٣]وهذا هو المعنى المراد ؛ لأنَّه سبحانه ما أراد أن يمنَّ بهذه النعمة نعمة الوجود من العدم على شخص بعينه ، بل على الجنس البشري كلّه .

وجعلوه أيضًا بمعنى آدم في قوله : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ)}المؤمنون : ١٢} وجاز أيضًا أن يكون ولد آدم ، والمعنى : ((ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم ، وهي صفة مائه ، وآدم هو الطين ؛ لأنَّه خُلق

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٦٢ .

(٢) زاد المسير ١٦٥/٨ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٤٥/٢٩-٣٤٦.

منه)) [1] وهذا ما أجازه ابن الجوزي في تفسيره [2] على الرغم من تعيينه المعنى الأول في النزهة[3]

وقد اتفق أهل الوجوه وأهل التفسير على أنَّ الإنسان أريد به آدم في قوله تعالى : (خَلَقَ الأنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)[الرحمن : ١٤} هذا باعتبار الأصل ، فالمراد به ولد آدم ؛ لأنَّهم هم المخاطبون ، ومع ذلك فلو تعيَّن وصحَّ أنَّه يعني آدم فلا يصحّ أن يكون وجهًا للإنسان ، لأنَّ الإنسان اسم جنس يُطلَق على آدم وعلى كل من كان من نسله ، فهو لفظ عام ، وآدم لفظ خاص ، ومن المعلوم أنَّ اللفظ الخاص يوصف باللفظ العام ولا يصح العكس ؛ لأنَّ الخاص يندرج تحت العام ، ولا يندرج العام تحت الخاص ، ولو أراد آدم عليه السلام بعينه وشخصه لجاء بلفظه المعبِّر عنه من دون غيره ، كما جاء هذا في قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)[آل عمران : ٣٣} وقوله تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[آل عمران : ٥٩} [٥٩} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)[طه : ١١٥}

وجعلوا الإنسان في الوجه الثاني بمعنى ولد آدم ، في قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)[ق : ١٦} وهذا هو معناه أينما ورد في القرآن الكريم .

وجعلوه في الوجه الثالث بمعنى : هشام بن المغيرة أو الوليد بن المغيرة ، في قوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)[التين : ٤}

([1]) جامع البيان ١٢/١٢.

([2]) زاد المسير ٣٣٤/٥ .

([3]) نزهة الأعين ص ٦٢.

وهذا ما قاله أيضًا ابن الجوزي في النزهة[1] وهذا الوجه هو مما تعددت فيه الأقوال قال ابن الجوزي نفسه في تفسير هذه الآية : ((وفي المراد بالإنسان ها هنا خمسة أقوال ، أحدهما : أنَّه كلدة بن أسيد ، قاله ابن عباس ، والثاني : أنَه الوليد بن المغيرة ، والثالث : أنَّه أبو جهل ، والرابع : أنَّه عتبة وشيبة ، حكاهما الماوردي، والخامس : أنَّه اسم جنس ، وهذا مذهب كثير من المفسرين)) [2] أيصح أوَ يعقل قصر حُسْن الخلق على هؤلاء ؟! وغيرهم من الناس أليسوا كذلك ؟! يا سبحان الله ما هذا ؟! أليس المراد جنس الإنسان ؟! ((لأنَّه ليس شيء من الحيوان إلّا وهو منكب على وجهه غير الإنسان))[3] وثمة دليل دامغ على أنَّ المراد من الإنسان هنا جنس الإنسان ، وهو أنَّه استثنى من هذا الإنسان المؤمنين فالآية واردة ضمن قوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ {٤} ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ {٥} إِلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ){التين : ٤-٦} فكيف يصحّ أن يكون المراد أو التقدير : لقد رددنا هشام بن المغيرة أسفل سافلين إلّا المؤمنين ، فكيف يصح استثناء جمع من واحد ؟! فالمستثنى لا بد من أن يكون بعض المستثنى منه ، فلا يصح أن يقال مثلًا : نجح زيد إلّا الطلاب ؛ لذا وجب أن يكون المراد من المستثنى منه وهو الإنسان جنس الإنسان ليصحّ استثناء المؤمنين من هذا الجنس ومن الحكم المذكور

وجعلوا الإنسان في الوجه الرابع بمعنى : قرط بن عبد الله بن عمرو أبي حياب ، في قوله تعالى : (إِنَّ الأنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال ابن الجوزي في تفسيره : ((والإنسان ها هنا الكافر ، قال الضحاك : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقال مقاتل : نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل

([1]) نزهة الأعين ص ٦٢.

([2]) زاد المسير ٢٨٩/٨.

([3]) جامع البيان ٢٩٦/٣٠ .

القرشي)) [1] وكلام ابن الجوزي يدلّ على أنَّ لفظ الإنسان في هذه الآية لا يخصّ مَن نزلت بسببه الآية ، بل يعنيه وتعنى كل من كان على شاكلته ، قال ابن عاشور : ((والكنود وصف من أمثلة المبالغة من (كَنَدَ) ولغات العرب مختلفة في معناه ، فهو في لغة مضر وربيعة : الكفور بالنعمة ، وبلغة كنانة : البخيل ، وفي لغة كندة وحضرموت : العاصي ، والمعنى : لشديد الكفران بالله ... وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوت فيه ، ولا يسلم منه إلّا الأنبياء وكُمَّل أهل الصلاح ؛ لأنَّه عارض ينشأ عن إيثار المرء نفسه ، وهو أمر في الجبلة لا تدفعه إلّا المراقبة النفسية وتذكّر حق غيره ؛ ولذلك قد يذهل وينسى حق غيره ... والأنفس متفاوتة في تمكن هذا الخُلُق منها ، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبته)) [2]

فلفظ الإنسان اسم جنس ، يستعمل للتعبير عن طبع الجنس في الأصل ، أي : أنَّ استعماله لا يعني أفراد الجنس على سبيل الاستقصاء والاستغراق فردًا فردًا ، وإنَّما يعنيهم على العموم والأكثرية

وجعلوا الإنسان في الوجه الخامس بمعنى أبي جهل في قوله تعالى : (كَلا إِنَّ الأنسَانَ لَيَطْغَى) والمراد أيضًا أنَّ هذه هي طبيعة الإنسان بصفة عامة مجبول على الطغيان إذا استغنى ، إلّا من رحم ربي ، قال ابن عاشور : ((والتعريف في الإنسان للجنس ، أي : من طبع الإنسان أن يطغى إذا أحسّ في نفسه الاستغناء ، واللام مفيدة الاستغراق العرفي ، أي : أغلب الناس في ذلك الزمان إلّا من عصمه خُلُقُه أو دِينه)) [3]

وجعلوا الإنسان في الوجه السادس بمعنى : النضر بن الحارث ، في قوله تعالى : (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ

([1]) زاد المسير ٣٠٨/٨-٣٠٩ .

([2]) التحرير والتنوير ٤٤٣/٣٠.

([3]) التحرير والتنوير ٣٧٤/٣٠.

عَجُولاً)}[الإسراء :١١} وهذا الوجه مختلق كالأوجه السابقة ، والدليل على ذلك أنّ ابن لجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الإنسان في هذه الآية بمعنى النضر بن الحارث[١] قال في تفسيره : ((في المراد بالإنسان ها هنا ثلاثة أقوال ، أحدها أنَّه اسم جنس يراد به الناس ، والثاني : آدم اكتفى بذكره من ذكر ولده ، والثالث : النضر بن الحارث)) [٢] فالوجه الذي قال به في باب الوجوه أبطله في باب التفسير

وجعلوا الإنسان في الوجه السابع بمعنى برصيصا العابد في قوله تعالى : (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلأنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ) وهذا الوجه كالأوجه السابقة ، والدليل على ذلك أنَّ ابن الجوزي الذي عيَّنه في النزهة[٣] قال في تفسيره : ((فيه قولان ، أحدهما : أنَّه مثل ضربه الله للكافر في طاعة الشيطان ، وهو عام في جميع الناس ، والثاني : أنَّه مثل ضربه الله لشخص معيَّن))[٤]

وجعلوا الإنسان في الوجه الثامن بمعنى بديل بن ورقاء في قوله تعالى : (إِنَّ الأنسَانَ لَكَفُورٌ) ويكفي للاستدلال على بطلان هذا الوجه أنَّ ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الإنسان بالمعنى المذكور[٥] قال في تفسيره : (((إِنَّ الأنسَانَ لَكَفُورٌ) يعني المشرك الكفور لنعم الله ؛ إذ لم يوحّده))[٦] فالوجه الذي أثبته في باب الوجوه أبطله أيضًا في باب التفسير

---

(١) نزهة الأعين ص ٦٣ .

(٢) زاد المسير ٦/٥.

(٣) نزهة الأعين ص ٦٣ .

(٤) زاد المسير ٢٧/٨ وينظر : جامع البيان ٥٨/٢٨-٦٠

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ٦٣ .

(٦) زاد المسير ٣٢٦/٥.

وجعلوا الإنسان في الوجه التاسع بمعنى الأخنس بن شريق في قوله تعالى : (إِنَّ الأنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) وهذا الوجه الذي جعله ابن الجوزي في النزهة بمعنى الأخنس بن شريق [١] جعله في تفسيره بمعنى : أمية بن خلف الجمحي[٢] قال ابن عاشور في هذا الشاهد القرآني : ((فالمراد بالإنسان جنس الإنسان لا فرد مُعَيَّن كقوله تعالى : (كَلا إِنَّ الأنسَانَ لَيَطْغَى {٦} أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى){العلق : ٦-٧} وقوله تعالى : (خُلِقَ الأنسَانُ مِنْ عَجَل){الأنبياء : ٣٧}))[٣] وأكبر دليل على بطلان هذا الوجه سياق الآية نفسها الذي يوجب جعل الإنسان بمعنى جنس الإنسان ، فهذا الشاهد وارد في قوله تعالى : (إِنَّ الأنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {١٩} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {٢٠} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {٢١} إِلّا الْمُصَلِّينَ {٢٢} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ){المعارج : ١٩-٢٣} فقوله تعالى : (إِلّا الْمُصَلِّينَ) مستثنى والمستثنى منه قوله تعالى : ((إِنَّ الأنسَانَ) والمستثنى جمع ، فكيف يصح جعل المستثنى منه بمعنى شخص بعينه ؟! فكيف يصح استثناء جمع من واحد ؟! فالمستثنى لا بد من أن يكون بعضًا من المستثنى منه .

وجعلوا الإنسان في الوجه العاشر بمعنى : أسيد بن خلف في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الأنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ){الانفطار : ٦} كما قال الدامغاني[٤] ، أو كلدة بن أسيد كما قال ابن الجوزي [٥]، أو أبي بن خلف الجمحي كما قال الفيروزآبادي [٦] فأنت ترى أنَّ هذا الوجه ضاع في كتب

---

(١) نزهة الأعين ص ٦٣.

(٢) زاد المسير ١١٩/٨ .

(٣) التحرير والتنوير ١٥٤/٢٩

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٧٠.

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ٦٤.

(٦) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٣٤/٢.

الوجوه نفسها ؛ لأنَّ الإنسان في هذه الآية وأينما ورد في القرآن الكريم يعني الإنسان بعينه ، وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن جعله بمعنى كلدة بن أسيد في النزهة[١] فسَّر الإنسان في هذه الآية بقوله : ((فيه أربعة أقوال : ، أحدها : أنَّه عني به أبو الأشدين ، والثاني : أنَّه الوليد بن المغيرة ، والثالث : أنَّه أبي بن خلف ، والرابع : أنَّه أشار إلى الكافر)) [٢] فلا يعقل ولا يصح قصر الإنسان على شخص بعينه ، لأنَّ الإنسان هنا وُصِفَ بصفة تنطبق على كل كافر ، والمعنى كما قال الطبري : ((يا أيها الإنسان الكافر أيّ شيء غرك بربك))[٣] أي : قد أريد من الإنسان الإنسان بعينه وجاء وصفه بالكافر من قوله : (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)

وجعلوا الإنسان في الوجه الحادي عشر بمعنى : كلدة بن أسيد في قوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ فِي كَبَدٍ) كما قال الدامغاني والفيروزآبادي[٤] والفيروزآبادي[٤] وبمعنى الحارث بن عمرو كما قال ابن الجوزي[٥] قال الطبري : ((وقوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ وهذا هو جواب القسم ، واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لقد خلقنا ابن آدم في شدة وعناء ونَصَب ... لا يُلقى ابن آدم إلّا مكابدًا أمر الدنيا والآخرة ... وقال بعضهم خُلِق خلْقًا لم نَخلق خلقَه شيئًا ... لم يخلق الله خلقًا يكابد ما يكابد ابن آدم ... يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ... وقال آخرون : معنى ذلك أنّهَ خُلِق منتصبًا معتدل القامة ... عن ابن عباس قال : في انتصاب ، ويقال : في شدة ...حدثنا عبيد ، قال : سمعتُ الضحاك يقول

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٦٤.

(٢) زاد المسير ٢١٥/٨

(٣) جامع البيان ١٠٩/٣٠ .

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٧٠ وبصائر ذوي التمييز ٣٤/٢.

(٥) ينظر : نزهة الأعين ص ٦٥.

في قوله (فِي كَبَدٍ) خُلِق منتصبًا على رجلين ، لم تخلق دابة على خلقه ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنَّه خُلِق في السماء ... وأقوى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك أنَّه خُلِق يكابد الأمور ويعالجها ، فقوله (فِي كَبَدٍ) معناه : في شدة ، وإنَّما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأنَّ ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكَبَد)) [1]

وأصحاب كتب الوجوه ليس لديهم أي دليل كان وأيّ مسوغ كان لجعل الإنسان بمعنى فلان بن فلان إلّا استنادهم إلى مجرد أقوال قيلت في بعض كتب التفسير لا سند لها البتة ، من ذلك مثلًا تفسير مقاتل لقوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ فِي كَبَدٍ) ((منتصبًا قائمًا ، وذلك أنَّ الله تبارك وتعالى خلق كل شيء على أربع قوائم غير ابن آدم يمشي على رجلين ، نزلت هذه الآية في الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف القرشي)) [2] وهذا مجرد قول لا سند له ، حتى لو صحّ فلا يصح الاستناد إليه لجعل الإنسان بمعنى من نزلت فيه الآية ، لأنَّ المراد جنس الإنسان وهذا مفهوم من الحكم الذي أسند إليه ، وهو خلقه منتصبًا وهي صفة عامة تشمل كل إنسان فلا يصحّ قصرها على شخص بعينه ، لذلك وجدنا مقاتل نفسه الذي قال : ((نزلت هذه الآية في الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف القرشي)) قال قبل ذلك ((وذلك أنَّ الله تبارك وتعالى خلق كل شيء على أربع قوائم غير ابن آدم يمشي على رجلين)) فَلم يجعل الإنسان بمعنى : الحارث بن عمرو ، بل جعله بمعنى ابن آدم .

وجعلوا الإنسان في الوجه الثاني عشر بمعنى : عقبة بن أبي معيط في قوله تعالى : (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلأنسَانِ خَذُولًا){الفرقان : ٢٩} والمراد جنس الإنسان الذي يطيع الشيطان ، والدليل على ذلك ابن الجوزي الذي

([1]) جامع البيان ٢٣٨/٣٠-٢٤٠ وينظر : الوسيط للواحدي ٢٨٩/٤ والكشاف ٧٤٣/٤ .

([2]) تفسير مقاتل ٤٨٥/٣.

عيَّن جعل الإنسان بمعنى : عقبة بن أبي معيط في النزهة[1]جعله بمعنى الإنسان الكافر في تفسيره [2] فالوجه الذي اثبته في باب الوجوه أبطله في باب التفسير

وجعلوا الإنسان في الوجه الثالث عشر بمعنى : أبي طالب في قوله تعالى : (فَلْيَنظُرِ الأنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ){الطارق : ٥-٦} أيُعقل أنَّ الخطاب في هذه الآية موجه إلى أبي طالب وحده من دون البشر ؟! أليس المراد جنس الإنسان أنَّه خُلِق من هذا الماء الدافق المهين ليتذكر الإنسان قدرة الله ، وليعتبر ويتواضع ؟! ولا سيما المكذب بالبعث ، ولهذا قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((فلينظر الإنسان المكذب بالبعث بعد الممات المنكر قدرة الله تعالى على إحيائه بعد مماته)) [3] حتى إنَّ ابن الجوزي الذي عيَّن جعل الإنسان بمعنى أبي طالب في النزهة ليجعله وجهًا له في قوله تعالى : (فَلْيَنظُرِ الأنسَانُ مِمَّ خُلِقَ)[4] لم يذكر هذا في تفسيره ، بل جعل الإنسان في الآية بمعنى الإنسان[5]

وجعلوا الإنسان في الوجه الرابع عشر بمعنى : عتبة بن أبي لهب في قوله تعالى : (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) وقوله تعالى : (فَلْيَنظُرِ الأنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) والمراد جنس الإنسان لا شخص بعينه ، وبهذا فسَّره الطبري فقال : ((يقول تعالى ذكره : فلينظر هذا الإنسان الكافر المنكر توحيد الله إلى طعامه كيف دُبِّر)) [6] وقال ابن عاشور في قوله تعالى : (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) :

---

(1) ينظر : نزهة الأعين ص ٦٤

(2) ينظر : زاد المسير ١٤/٦

(3) جامع البيان ١٧٤/٣٠ .

(4) نزهة الأعين ص ٦٤.

(5) ينظر : زاد المسير ٢٤٠/٨-٢٤١ .

(6) جامع البيان ٧١/٣٠.

((وتعريف الإنسان يجوز أن يكون التعريف المسمى تعريف الجنس ، فيفيد استغراق جميع أفراد الجنس ، وهو استغراق حقيقي ، وقد يراد به استغراق معظم الأفراد بحسب القرائن ، فتولَّد بصيغة الاستغراق ادعاء لعدم الاعتداد بالقليل من الأفراد ، ويسمى الاستغراق العرفي في اصطلاح علماء المعاني ، ويسمى العام المراد به الخصوص في اصطلاح علماء الأصول ... فإنَّ معظم العرب يومئذ كافرون بالبعث ... والأحكام التي يُحكم بها على الأجناس يراد بها أنَّها غالبة على الجنس ، فالاستغراق الذي يقتضيه تعريف لفظ الجنس المحكوم عليه استغراق عرفي ، معناه : ثبوت الحكم للجنس على الجملة ، فلا يقتضي اتصاف جميع الأفراد به ، بل قد يخلو عنه بعض الأفراد ، وقد يخلو عنه المتصف به في بعض الأحيان فقوله : (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) تعجيب من كفر جنس الإنسان أو شدة كفره ، وإن كان القليل منه غير كافر ، فآل معنى الإنسان إلى الكفار من هذا الجنس ، وهم الغالب على نوع الإنسان)) [١]

وجعلوا الإنسان في الوجه الخامس عشر بمعنى : عدي بن ربيعة في قوله تعالى : (أَيَحْسَبُ الأنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ) ولا شكَّ أنَّ المراد جنس الإنسان لا شخص بعينه ؛ لذلك فسَّر الطبري الآية بقوله : ((أيظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها)) [٢] وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الإنسان بمعنى : عدي بن ربيعة ، في قوله : (أَيَحْسَبُ الأنسَانُ)[٣] قال في تفسيره : ((المراد بالإنسان ها هنا الكافر)) [٤]

---

(١) التحرير والتنوير ١٠٦/٣٠.

(٢) جامع البيان ٢٠٨/٢٩

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٦٤ .

(٤) زاد المسير ١٥٧/٨ .

وجعلوا الإنسان في الوجه السادس عشر بمعنى : سعد بن أبي وقاص في قوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الأنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) والمراد جنس الإنسان وإن اشتهر في كتب التفسير أنَّها نزلت في سعد بن أبي وقاص ، لذلك فسَّر الطبري الآية على أنَّ المراد من الإنسان جنس الإنسان[١]

وجعلوا الإنسان في الوجه السابع عشر بمعنى : عبد الرحمن بن أبي بكر في قوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الأنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا){الأحقاف : ١٥} كما قال الدامغاني والفيروزآبادي ، أو أبو بكر الصديق كما قال ابن الجوزي ، ومن الواضح أنَّه أراد من الإنسان جنس الإنسان ، لا شخصًا بعينه ، قال الطبري في تفسير الآية : ((يقول تعالى ذكره : ووصينا ابن آدم بوالديه الحُسْنَ في صحبته إيّاهما)) [٢]

وجعلوا الإنسان في الوجه الثامن عشر بمعنى : عتبة بن ربيعة في قوله تعالى : (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا) كما قال الدامغاني ، أو بمعنى : عياش بن ربيعة كما قال الفيروزآباي ، وابن الجوزي الذي جعل الإنسان بمعنى عتبة بن ربيعة في نزهته [٣] جعله بمعنى الوليد بن المغيرة في تفسيره[٤] والمراد أيضًا جنس الإنسان وهذا ما جاء في التفسير[٥] وقال ابن عطية : ((الإنسان في هذه الآية لا يراد به العموم ، وإنَّما يراد به بعضه وهم الكفرة ، وهذا كما تقول عند غضب : لا خير في الأصدقاء ، ولا أمانة في الناس ، فأنت تعمّ مبالغة ،

---

(١) ينظر : جامع البيان ١٥٢/٢٠.

(٢) جامع البيان ٢٠/٢٦ .

(٣) ينظر : النزهة ص ٦٤.

(٤) ينظر : زاد المسير ٥٨/٥.

(٥) ينظر : جامع البيان ١٧٦/١٥ والكشاف ٦٦٢/٢ .

ومرادك البعض)) [1] وقال ابن عاشور : ((والتعريف في الإنسان تعريف الجنس ، وهو يفيد الاستغراق ، وهو استغراق عرفي ، أي : أكثر أفراد الإنسان ؛ لأنَّ أكثر الناس يومئذ كفار ، وأكثر العرب مشركون)) [2]

وجعلوا الإنسان في الوجه التاسع عشر بمعنى : أُبَي بن خلف في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الأنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ){يس : ٧٧} كما قال الدامغاني ، أو أمية بن خلف كما قال الفيروزآبادي ، وابن الجوزي الذي عيَّن جعل الإنسان بمعنى : أُبَي بن خلف في نزهته في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الأنسَانُ) [3] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الأنسَانُ) اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية والتي بعدها على خمسة أقوال ، أحدها : أنَّه العاص بن وائل السهمي ، والثاني : أنَّه عبد الله بن أُبي بن سلول ، والثالث : أنَّه أبو جهل بن هشام ، والرابع : أنَّه أمية بن خلف ، والخامس : أنَّه أُبي بن خلف الجمحي)) [4]

وقال ابن عاشور : ((فقيل أريد بالإنسان أُبي بن خلف ، وقيل : أريد به العاصي بن وائل ، وقيل : أبو جهل ، وفي ذلك روايات بأسانيد ، ولعل ذلك تكرر مرات ، تولّى كل واحد من هؤلاء بعضها ... فالتعريف في الإنسان تعريف العهد ، وهو الإنسان المعيَّن المعروف بهذه المقالة يومئذ))[5] يومئذ))[5]

وقد قال الطبري : ((واختلف في الإنسان الذي عُني بقوله (أَوَلَمْ يَرَ الأنسَانُ) فقال بعضهم : عُني به أُبي بن خلف ، وقال آخرون : بل عُني به

([1]) المحرر الوجيز ٤٨٠/٣.

([2]) التحرير والتنوير ١٥١/١٤ .

([3]) نزهة الأعين ص ٦٤-٦٥.

([4]) زاد المسير ٢٩٤/٦

([5]) التحرير والتنوير ٢٧٧/٢٢ .

العاص بن وائل السهمي ، وقال آخرون : بل عُني به عبد الله بن أبي ...فتأويل الكلام إذن : أوَ لم ير هذا الإنسان الذي يقول : (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ))) [1]

وهذا الإنسان الذي يقول مثل هذا القول ونحوه هم الأكثرية في كل زمان ، فالظاهر أنَّ المراد بالإنسان جنس الإنسان على سبيل العموم والأغلبية .

وجعلوا الإنسان في الوجه العشرين بمعني : أميّة بن خلف في قوله تعالى : (فَأَمَّا الأنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) والمراد جنس الإنسان وبهذا المعنى جاء تفسيره[2] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن جعل الإنسان بمعنى أمية بن خلف في النزهة في قوله تعالى : (فَأَمَّا الأنسَانُ) [3] لم يعيَّن للإنسان هذا المعنى في تفسيره ، بل أجاز أن يكون عتبة بن ربيعة ، أو أبا حذيفة بن المغيرة ، أو أُبي بن خلف ، أو أمية بن خلف ، أو جنس الكافرين بالبعث[4]

ومن الأوجه الأخرى للإنسان جعلهم إيّاه بمعنى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (وَأَخْرَجَتِ الأرْضُ أَثْقَالَهَا {٢} وَقَالَ الأنسَانُ مَا لَهَا){الزلزلة : ١-٣} [5] والمراد كما هو واضح جنس الإنسان يوم القيامة قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((وقال الناس إذا زلزلت الأرض لقيام الساعة : ما للأرض وما قصتها ؟!))[6]

([1]) جامع البيان ٣٨/٢٣-٣٩.

([2]) ينظر : جامع البيان ٢٢٠/٣٠ ، ٢٢٨

([3]) ينظر : نزهة الأعين ص ٦٤

([4]) ينظر : زاد المسير ٢٦٠/٨ .

([5]) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٣٥/٢ .

([6]) جامع البيان ٣٢٢/٣٠ وينظر : الوسيط للواحدي ٥٤٢/٤ وزاد المسير ٣٠٥/٨ .

فالصحيح أنَّ المراد من الإنسان في شواهد الوجوه المذكورة جنس الإنسان على العموم والأغلبية ، لا على سبيل الاستغراق الذي يستقصي الجنس فردًا فردًا ، فهو كما قال تعالى : (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ){المؤمنون ٧٠} وقوله تعالى : (لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ){الزخرف : ٧٨} وقوله تعالى : (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ){الأنعام : ١١٦} وقد تبيَّن أنَّ جعل الإنسان بمعنى فلان وفلان كان مستندًا في أغلب الوجوه إلى مجرد أقوال قيلت ولم تثبت ، حتى لو صحّ أنَّه قد أريد من الإنسان في شواهد الوجوه المذكورة الأشخاص المذكورون فلا يصح أن تُعدَّ وجوهًا للإنسان ؛ لأنَّ الإنسان اسم جنس فهو لفظ عام واسم كل شخص لفظ خاص يندرج تحت معناه العام ، ومن المعلوم أنَّ اللفظ الخاص يُسمَّى ويوصف باللفظ العام ولا يصح العكس ، فليس المراد إذن تسمية الإنسان ووصفه باسم الشخص ، وإنَّما المراد وصف كل شخص وتسميته بالإنسان ، فقد اتخذوا ممن جاز وصفه بالإنسان وجهًا له ، وهذه المسميات العشرون وإن جاز وصف كل منها بالإنسان فلم تكن مرادة في شواهدها ، ومع ذلك فلو صحَّ إرادتها في كل شاهد فهي أوجه مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ؛ فالقرآن الكريم لم يسمِّ الإنسان بهؤلاء الأشخاص كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كل شخص منها بالإنسان فهي إذن جميعها وجه واحد ، هذا إن صحَّت هذه التسمية .

فهذه الوجوه العشرون مختلَقة بطريقتين : بطريقة الدراسة المعكوسة ، وبجعل كلّ وجه من الوجوه العشرين بمعنى قول من عدة أقوال قيلت فيه ، ولو كان هذا القول أضعفها ، وأبعدها ، وأغربها ؛ لأنّ أصحاب كتب الوجوه ما كانت تعنيهم صحة الأقوال بقدر ما كان يعنيهم اختلاق الوجوه

٣-**البحر** : ذكر أصحاب كتب الوجوه للبحر تسعة أوجه :

الوجه الأول ، البحر يعني : الماء ، كقوله تعالى : (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[الأنعام : ٦٣]

الوجه الثاني ، البحر يعني : اليمّ ، كقوله تعالى : (وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا)[الدخان : ٢٤] وقوله تعالى : (جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ)[الأعراف : ١٣٨]

والوجه الثالث ، البحر : موسى والخضر عليهما السلام ، كقوله تعالى : (حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ)[الكهف : ٦٠] يعني : موسى والخضر على قول بعض أهل التفسير

والوجه الرابع ، البحر ، يعني : ماء العذب والملح ، كقوله تعالى : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)[الرحمن : ١٩] يعني : الماء العذب والماء الملح ، وقوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)[فاطر : ١٢]

والوجه الخامس ، البحر يعني : سبعة أبحر ، كقوله تعالى : (سَبْعَةُ أَبْحُرٍ)[لقمان : ٢٧] نظيرها قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ)[لقمان : ٣١]

والوجه السادس ، البحر يعني : بحر تحت العرش ، كقوله تعالى : (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)[الطور : ٦] يعني : بحرًا تحت العرش

والوجه السابع : البحر المعروف في الأرض ، كقوله تعالى : (حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ)[الكهف : ٦٠] وقوله تعالى : (وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا)[الدخان : ٢٤]

والوجه الثامن : البحر ، يعني الماء العذب ، كقوله تعالى : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)[الرحمن : ١٩]

والوجه التاسع : البحر يعني العامر من البلاد ، كقوله تعالى : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[الروم : ٤١}[١]

قال ابن فارس : ((سُمِّي البحر بحرًا لاستبحاره ، وهو انبساطه وسعته))[٢] وقال الراغب : ((أصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير ... قال بعضهم : البحر ، يقال في الأصل للماء الملح دون العذب ، وقوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) إنَّما سُمِّيَ العذب بحرًا ؛ لكونه مع الملح ، كما يقال للشمس والقمر قمران))[٣] وقال الحلبي : ((والبحر : أصله المكان المتسع ذو الماء الملح ، وأمَّا العذب فهل يقال فيه بحرٌ ؟ فمن أثبته استشهد بقوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) ومن منع جعله من باب التغليب ، كقولهم : العمران والقمران ، في أبي بكر وعمر ، والشمس والقمر))[٤]

وما علاقة الملح بدلالة البحر ؟! ((فالبحر : الماء الكثير ، ملحًا كان أو عذبًا ، وهو خلاف البر ، سُمِّيَ لذلك لعمقه واتساعه ... إنَّما سُمِّيِ البحر بحرًا لسعته وانبساطه ، ومنه قولهم : إنَّ فلانًا لبحر ، أي : واسع المعروف ، فعلى هذا يكون البحر للملح والعذب))[٥]

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٢٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٣٣-١٣٤ ، ونزهة الأعين ص ٧٣-٧٤ ومنتخب قرة العيون ص ٧٣-٧٤ وبصائر ذوي التمييز ٢٢٥/٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٥-٧٦

(٣) المفردات ص ٤٢-٤٣

(٤) عمدة الحفاظ ١٦١/١

(٥) تاج العروس ٥٩/١٠ وينظر : لسان العرب ٢٤/٢

الماء ، واليمُّ ، وماء العذب والملح ، والماء العذب ، هذه الأوجه الأربعة إن لم تكن تعني البحر بعينه فهي قريبة من معناه ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والألفاظ المترادفة ، وإن اتحدت في المعنى العام ، بينها فروق معنوية خاصة وهي المقصودة في القرآن الكريم ، وهذا ما يقرّ به أهل اللغة في كتب الفروق اللغوية وكتب متشابه القرآن ، فجعل اللفظ بمعاني مرادفاته يُعدُ تحريفًا ظاهرًا لدلالة النص القرآني ، ويُعدُّ كما تقدم هدمًا لظاهرة الترادف في لغة القرآن الكريم ؛ ذلك بتحويل ألفاظه إلى وجوه

جعل الدامغاني البحر في الوجه الثالث يعني : موسى والخضر عليهما السلام ، في قوله تعالى : (حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) مع أنَّ أهل التفسير قد أجمعوا على أنَّ المراد من البحرين في هذه الآية بحرا ماء ، أي : بحران بمعناهما المعروف ، ومجمعهما : ملتقاهما ، وهو الموضع الذي وعد الله موسى بلقاء الخضر فيه ، إلّا أنَّهم اختلفوا في تعيين هذين البحرين ، وقد ذهب الأكثرون إلى أنَّهما بحرا فارس والروم[١]

أمَّا الوجه الذي قاله الدامغاني ، فقد قال فيه الزمخشري : ((ومن بدع التفاسير أنَّ البحرين موسى والخضر ؛ لأنَّهما كانا بحرين في العلم)) [٢] وقال ابن عطية : ((وقالت فرقة : البحران هما كناية عن موسى والخضر ؛ لأنَّهما بحرا علم ، وهو قول ضعيف ، والأمر بيِّن من الأحاديث أنَّه إنَّما رسم

---

(١) ينظر : تفسير مقاتل ٢٩٤/٢ ومعاني القرآن للفراء ٧٥/٢ وجامع البيان للطبري ٣١٣/١٥ والوسيط للواحدي ١٥٦/٣-١٥٧ والكشاف للزمخشري ٧٠٣/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ٥٢٧/٣-٥٢٨ وزاد المسير لابن الجوزي ١٢١/٥ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٨٦/٣ والبحر المحيط للأندلسي ١٧٩/٦ وتفسير ابن كثير ١٣٢/٥ وفتح القدير للشوكاني ٣٦٩/٣

(٢) الكشاف ٧٠٣/٢

له ماء بحر)) [١] وقال أبو حيان الأندلسي : ((وقالت فرقة : البحران كناية عن موسى والخضر عليهما السلام ؛ لأنَّهما بحرا علم ، وهذا شبيه بتفسير الباطنية ، وغلاة الصوفية ، والأحاديث تدلّ على أنَّهما بحرا ماء)) [٢] وقال الشوكاني : ((وقالت طائفة : المراد بالبحرين موسى والخضر ، وهو من الضعف بمكان ، ولا يصحّ)) [٣] وقال الآلوسي : ((وهو تأويل صوفي ، والسياق ينبو عنه)) [٤]

وقد قال الدامغاني نفسه عن هذا الوجه : ((يعني : موسى والخضر على قول بعض أهل التفسير))[٥] فإذا كان الدامغاني قد علم وأقرَّ أنَّ هذا هو قول بعض أهل التفسير ، فكيف يصح جعله وجهًا ؟! لأنَّ الوجوه يجب أن تكون حقائق ثابتة لا اختلاف فيها ، فكيف يصحّ جعله وجهًا ولم يقل به أحدٌ من المفسرين ؟! ألا يدل هذا على أنَّ مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه قد تعمَّد تحريف دلالة البحرين في قوله تعالى : (مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) إلى دلالة شاذة عن علم وقصد من أجل اختلاق الوجوه ؟!

وقال الدامغاني كما جاء في الوجه الخامس ، ((البحر ، يعني : سبعة أبحر ، قوله تعالى : (سَبْعَةُ أَبْحُرٍ)[لقمان : ٢٧} نظيرها قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ)[لقمان : ٣١}))[٦]

---

(١) المحرر الوجيز ٣/٥٢٧-٥٢٨

(٢) البحر المحيط ٦/١٧٩

(٣) فتح القدير ٣/٣٦٩

(٤) روح المعاني ٨/٢٩٤

(٥) الوجوه والنظائر ص ١٣٣

(٦) الوجوه والنظائر ص ١٣٤

والشاهد الأول جاء ضمن قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) والمعنى كما هو واضح ويجمع عليه المفسرون : والبحر يُمَدُّ بسبعة أبحر أخرى[١] كيف يصحّ هذا الوجه والبحر المذكور هو غير الأبحر السبعة ؟! حتى إنَّه لا يدخل ضمنها ، بل هو بحر آخر ، ولو أمكن تسويغه في هذا الشاهد بفلسفة ما ، فكيف يمكن تسويغه في الشاهد الثاني في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) كيف يصحّ جعل الواحد بمعنى السبعة ؟! فهذا ليس خلاف المعنى الظاهر فحسب ، بل هو أيضًا خلاف المنطق وقواعد الحساب

وجعل أصحاب كتب الوجوه البحر في الوجه السادس ، يعني : بحرًا تحت العرش ، كقوله تعالى : (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)[٢] والبحر في هذه الآية هو البحر بعينه ، وأهل التفسير لم يعيّنوا هذا الوجه ، وإنَّما ذهبوا إلى أنَّ المراد هنا البحر في الأرض يوم القيامة ، بدلالة قوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ){التكوير : ٦} أو البحر في السماء تحت العرش ، وقد أشار إليه الطبري بصيغة التضعيف بقوله : ((وقيل : إنَّ هذا البحر المسجور الذي أقسم به ربنا تبارك وتعالى بحر في السماء تحت العرش)) [٣] وابن الجوزي

---

(١) ينظر : جامع البيان للطبري ٩٣/٢١ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢١٦/٤ ومدارك التنزيل للنسفي ص٩٢١ وفتح القدير للشوكاني ٣٠٢/٤ والتفسير الميسَّر ، لنخبة من العلماء ص ٤١٣

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٣٤ ونزهة الأعين ص ٧٤ ومنتخب قرة العيون ص ٧٤ وبصائر ذوي التمييز ٢٢٥/٢

(٣) جامع البيان للطبري ٢٦/٢٧ وينظر : زاد المسير ٢٦٢/٧ وروح المعاني للآلوسي ٢٩/١٤

نقسه الذي عيَّن هذا الوجه في نزهته ومنتخبه لم يعيّنه في زاده ، بل قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (وَالْبَحْرُ) فيه قولان ، أحدهما : أنَّه بحر تحت العرش ، والثاني : أنَّه بحر الأرض)) [١] فالوجه الذي قال به في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ، وما يجدر التنبيه عليه مما لم أنبِّه عليه من قبل أنَّ ابن الجوزي ألَّف كتابه في التفسير : زاد المسير ، بعد كتابيه : نزهة الأعين ، ومنتخب قرة العيون

وجعل ابن الجوزي البحر في الوجه التاسع ، يعني : العامر من البلاد ، في قوله تعالى : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) وجعل الفيروزآبادي البر بمعنى البوادي ، والبحر بمعنى الحواضر [٢]

قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((اختلف أهل التأويل في المراد من قوله تعالى : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) فقال بعضهم : عنى بالبرّ الفلوات ، وبالبحر الأمصار والقرى التي على المياه والأنهار ... عن مجاهد قال : أما والله ما هو بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر ... وعن عكرمة : أما إني لا أقول لكم بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار ، قال : إنَّ العرب تسمي الأمصار بحرًا

وقال آخرون : بل عنى بالبر : ظهر الأرض ، الأمصار وغيرها ، والبحر : البحر المعروف ... عن مجاهد ، قال في البرّ : ابن آدم قتل أخاه ، وفي البحر : الذي كان يأخذ كل سفينة غصبًا .

وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب أنَّ الله تعالى ذكره ، أخبر أنَّ الفساد قد ظهر في البر والبحر ... والبحر بحران : بحر ملح وبحر عذب

---

(١) زاد المسير ٢٦٢/٧

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ٧٤ ومنتخب قرة العيون ص ٧٤ وبصائر ذوي التمييز ٢٢٥/٢

، فهما جميعًا عندهم (يعني : عند العرب) بحر ، ولم يخصص جل ثناؤه عن ظهور ذلك في بحر دون بحر ، فذلك على ما وقع عليه اسم البحر ، عذبًا كان أو ملحًا ، وإذا كان ذلك كذلك ، دخل القرى التي على الأنهار والبحار))[1]وهذا هو الصواب أنَّه عنى بالبحر ، البحر بعينه والأنهار والمياه بعينها ، والقرى والأمصار القريبة منها

فقد ذكر الطبري في دلالة البحر في الآية ثلاثة تأويلات :

الأول : أنَّه يعني البحر بعينه

والثاني أنَّه يعني القرى والأمصار التي تقع عند ضفاف البحار والأنهار

الثالث : أنَّه يعني القرى والأمصار

وأضاف الطبري إليها قوله الرابع : أنَّه يعني البحر بعينه والقرى التي تقع على ضفافه وضفاف الأنهار

وقد عيَّن ابن الجوزي والفيروزآبادي القول الثالث الذي هو أضعف التأويلات ، وأبعدها عن الصواب ، بل لا مسوغ له ، كما أنَّهما قصرا فيه دلالة البحر على ما كان في البر من دون ما كان في البحر ، وما كان على صفافه وضفاف الأنهار ، وجعل ما قيل وجهًا ، حصل في هذا الوجه والوجه السابق ، والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال المشهورة التي قالوها فيه ، واختيار أحدها أو أضعفها ، ثم تعيينه على سبيل القطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه إن لم تدخل في باب التحريف ، فإنَّها تدخل في باب الخيانة العلمية في التفسير .

---

(١) جامع البيان ٢١/٥٧-٥٩

وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في هذا الوجه جعل البحر يعني : العامر من البلاد ، في نزهته ومنتخبه[١] لم يعيِّنه في زاده ، بل قال في تفسيره : ((وفي (الْبَحْرِ) قولان :

أحدهما : أنَّه ما كان من المدائن والقرى على شط نهر ... وقال الزجاج : المراد بالبحر مدن البحر التي على الأنهار ، وكل ذي ماء فهو بحر

والثاني : أنَّ البحر : الماء المعروف ، قال مجاهد : ظهور الفساد في البر : قتل ابن آدم أخاه ، وفي البحر : ملك جائر يأخذ كل سفينة غصبًا)) [٢]

واللفظ إذا احتمل معنيين أو أكثر فإنَّه يخرج من باب الوجوه ويدخل في باب التفسير ، ويضاف إلى ذلك أنَّه ليس من بين هذين القولين الوجه الذي عينه في النزهة والمنتخب

وجعلُ البحر في الوجه السابع يعني البحر المعروف يعني أنّ الأوجه الثمانية الباقية ليست بمعاني البحر المعروف ، فهي إذن أوجه مختلقَة بطريقتين : بجعل البحر بمعاني مرادفاته ، وجعله بمعاني ما قيل ، مما لم يصحّ ، ولم يثبت .

البحر واليمُّ : جعل الدامغاني كما تقدم البحر في الوجه الثاني يعني : اليمّ ، في قوله تعالى : (وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا){الدخان : ٢٤} وقوله تعالى : (جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ){الأعراف : ١٣٨}[٣] والذي شاع عند

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٧٤ ومنتخب قرة العيون ص ٧٤

(٢) زاد المسير ١٦٠/٦

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر ص ١٣٣

أهل اللغة أنَّهم عرّفوا اليمّ بأنَّه يعني البحر[١] ولم يعرّفوا البحر بأنَّه يعني اليمّ كما فعل الدامغاني ، وقال الزجاج في تعريف اليمّ في قوله تعالى : (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ){الإعراف : ١٣٦} ((وهو البحر ، وكذلك هو في الكُتُبُ الأُوَل))[٢] وجاء في المُعَرَّب ((ابن قتيبة : اليمُّ : البحر بالسريانية))[٣] وقال الحلبي : ((اليمُّ : البحر ، قيل مطلقًا ، وقيل هو الذي غرق فيه فرعون بخصوصه ، ويسمَّى أساف ، وقيل هو البحر بلغة الحبشة)) [٤] وقال السيوطي : ((قال ابن قتيبة اليمُّ : البحر بالسريانية ، وقال ابن الجوزي : بالعبرانية ، وقال شيذلة : بالقبطية))[٥]

والصحيح أنَّ اليمَّ لفظ عربي بالأصالة ، والدليل على ذلك قول الخليل : ((وتقول : يُمَّ الساحلُ : إذا طما عليه اليمُّ ، فغلب عليه)) [٦] وقال ابن فارس : ((يُمَّ الرجل فهو ميموم : إذا وقع في اليمِّ فغرق))[٧] وقال الحلبي : ((واليمُّ : البحر ، والمشهور أنَّه عربي ... وقال ابن قتيبة : إنَّه البحر بالسريانية ، وقيل بالعبرانية ، والمشهور أنَّه لا يتقيد ببحر خاص ، وقال الهروي في عربيته : واليمُّ : البحر الذي يقال له إساف ، وفيه غرق

---

(١) ينظر : العين للخليل ص١٠٧٦ والمفردات للراغب ص ٥٧٧ وعمدة الحفاظ للحلبي ٣٥٧/٤ وبصائر ذوي التمييز ٣٩٤/٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٠/٢.

(٣) المُعَرَّب من كلام الأعجمي للجواليقي ص ١٦٨

(٤) عمدة الحفاظ للحلبي ٣٥٧/٤

(٥) الإتقان في علوم القرآن ص ٢١٣

(٦) العين ص ١٠٧٦

(٧) مقاييس اللغة ص ٩٧٠

فرعون ، وهذا ليس بجيد ، لقوله تعالى : (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ){القصص : ٧} والمراد به نيل مصر ، وهو غير الذي غرق فيه فرعون)) [١]

فاليمّ لفظ عربي ، وهو لا يعني البحر ، بل يعني لُجَّة البحر أو النهر ، وهذا ما قال به أهل اللغة أنفسهم ، قال الخليل : ((اليمُّ : البحر ... ويقال : لُجَّته)) [٢] ولُجَّة الماء : معظمه ، وتردد أمواجه ، وجَلَبَتُها واختلاط أصواتها[٣] ولو تأمَّلتَ مواضع استعمال اليمّ في القرآن الكريم لوجدتها تختلف تختلف عن مواضع استعمال البحر فيه ، فسياقات الأُولى تلائمها ما تعنيه لُجّة الماء ، ماء بحر كان أم ماء نهر ، وسياقات الثانية تلائمها ما يعنيه البحر بمعناه المعروف ، فقد ورد في القرآن الكريم في ثمانية مواضع :

١–قال الله تعالى : ((فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ){الأعراف : ١٣٦}

٢–وقال الله تعالى : (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ){طه : ٣٩}

٣–وقال الله تعالى : (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ){طه : ٧٨}

٤–وقال الله تعالى : (لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا){طه : ٩٧}

٥–وقال الله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ){القصص : ٧}

---

(١) الدر المصون ٤٣٧/٥

(٢) العين ص ١٠٧٦ وينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٣٩٨٤/٤ ولسان العرب ٣٢٣/١٥ وتاج العروس ٨٠/٣٤ وبصائر ذوي التمييز ٣٩٤/٥

(٣) ينظر : لسان العرب ١٧١/١٣–١٧٢

٦–وقال الله تعالى : (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ){القصص : ٤٠}

٧–وقال الله تعالى : (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ){الذاريات : ٤٠}

استعمل اليمّ في قوله تعالى : (فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) وقوله تعالى : (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) لأنَّ الذي يجعل التابوت يسير ويدفعه إلى الساحل لجّة الماء لا سكونه ، ونسف ما يراد نسفه ، وإغراق من يراد إغراقهم من الظالمين ونبذهم لهذا الغرض ، وأن يغشيهم ما يغرقهم يكون برميهم في معظم الماء ولجّته التي تصطخب لشدتها وتردد أمواجها ، لا أن يكون ذلك في ماء ساكن هادئ

أمَّا البحر فلم يستعمل في هذه الحالات من العقاب والهلاك ونحوها ، وإنَّما استعمل في سياق النعمة كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){النحل : ١٤} وقوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){الجاثية : ١٢} واستُعمِل وهو يعني البحر من الساحل إلى الساحل ، كقوله تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ){الأعراف : ١٣٨} وقوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ){الشعراء : ٦٣} واستُعمل كثيرًا في ما يقابل البَرّ ، كقوله تعالى : (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ){الأنعام : ٥٩} وقوله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا){المائدة : ٩٦} وقوله تعالى : (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ

الشَّاكِرِينَ)[الأنعام : ٦٣} وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[الأنعام : ٩٧} واستُعمل وهو ما له حدود تفصله عن غيره ؛ لذلك جاء من البحر المثنى والجمع ، ولم يرد ذلك من اليمّ ، كقوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)[فاطر : ١٢} وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)[الكهف : ٦٠} وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا)[الفرقان : ٥٣} وقوله تعالى : (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا)[النمل : ٦١} وقوله تعالى : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ {١٩} بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ)[الرحمن : ١٩-٢٠} وقوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)[التكوير : ٦} وقوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ)[الانفطار : ٢} فكما استُعمِل اليمّ في المواضع التي لم يُستعمّل فيها البحر ، استُعمل البحر في المواضع التي لم يُستَعمل فيها اليمّ ؛ لأنَّ لكل منهما دلالته ، فجعل أحدهما بمعنى الآخر يعني تحريفًا لدلالة كل منهما ، وهذا مثل من أمثلة كثيرة على أنّ الألفاظ المترادفة مهما تقاربت معانيها بينها فروق معنوية خاصّة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم ، فجعل أحدها بمعنى الآخر في باب الوجوه تحريف للمعاني الخاصّة المرادة في كتاب الله .

٤-**التمنّي** : قال العسكري : ((يقال : تمنَّى الرجل الشيءَ : إذا قدَّر في نفسه بلوغه ... وسميتْ المنية منية ؛ لأنَّها مقدَّرة ... والتمني : قول الرجل : يا ليتني كنتُ كذا ، والتمني في القرآن على وجهين :

الأول : هذا القول ، وهو قوله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[الجمعة : ٦}

والثاني : القراءة قال الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)﴿الحج : ٥٢﴾ ... وكان النبي صلى الله عليه إذا قرأ القرآن غلط الغلط الذي يجوز مثله على القارئ ، وكان الله ينبهه على الصواب ، فيرجع إليه ، فعاب ذلك عليه أعداؤه ، وليس فيه عيب ؛ لأنَّ البشر لا يخلو من السهو والغلط ، وجعل الله تنبيهه إيّاه على الغلط نسخًا له ، وردَّه إلى الصواب إحكامًا لآياته)) [١]

وقال الدامغاني بهذين الوجهين ، إلّا أنَّه جعل الوجه الأول بمعنى السؤال ، وجعل قوله تعالى : (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ) بمعنى : فاسألوا الموت ، وأضاف إليهما وجهين آخرين :

والثالث : الأماني والتمني ، بمعنى الأحاديث الكاذبة كقوله تعالى : (وَغَرَّتْكُمُ الأمَانِيّ)﴿الحديد : ١٤﴾

والرابع : الأماني بمعنى الأطماع ، كقوله تعالى : (وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)﴿البقرة : ١١١﴾ [٢]

والوجه الثاني هو المعنيّ بطريقة : جعل اللفظ بمعاني ما قيل

قال ابن فارس : ((الميم والنون والحرف المعتل أصل واحد صحيح ، يدل على تقدير شيء ، ونفاذ القضاء به ، ومنه قوله : منى الماني ، أي : قدَّر المقدِّر ... وماء الإنسان مَنِيٌّ ، أي : يُقدَّر منه خلقتُه ، والمنية : الموت ؛ لأنَّها مقدَّرة على كلٍّ ... والأمنيَّة : أُفعولة منه ، ومِنى : مِنى مكة ، قال قوم سُمِّي به لمَّا قُدِّر أن يُذبح فيه ... وقولنا : تمنَّى الكتابَ : قرأه ، قال الله

---

(١) الوجوه والنظائر ١٠٣-١٠٥

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر ١٤١

تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ){الحج : ٥٢} أي : إذا قرأ ، وهو ذلك المعنى ؛ لأنَّ القراءة تقدير ، ووضع كل آية موضعها)) [1]وقال الراغب : ((والمَنِيُّ للذي قُدِّر به الحيواناتُ ، قال تعالى : (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأنثَى {٤٥} مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى){النجم : ٤٥-٤٦} أي : تُقدَّر بالعزة الإلهية ما لم يكن منه ، ومنه المنيَّة وهو الأجل المقدَّر للحيوان ، وجمعه منايا ، والتمني : تقدير شيء في النفس وتصويره فيها ، وذلك قد يكون عن تخمين وظنّ ، ويكون عن رَويِّة وبناء ، لكن لمَّا كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أمْلَك ، فأكثر التمني تصوُّر ما لا حقيقة له ، قال تعالى : (أَمْ لِلأنسَانِ مَا تَمَنَّى){النجم : ٢٤} ... والأمنيَّة : الصورة الحاصلة في النفس من تمنِّي الشيء ، ولمَّا كان الكذب تصوُّرَ ما لا حقيقة له ، وإيراده باللفظ صار التمنِّي كالمبدإ للكذب فصحَّ أن يُعبَّر عن الكذب بالتمنِّي ، وعلى ذلك ما روي عن عثمان رضي الله عنه : ما تغنَّيتُ ولا تمنَّيتُ منذ أسلمتُ ، وقوله تعالى : (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ){البقرة : ٧٨} قال مجاهد : معناه إلاَّ كذبًا ، وقال غيره : إلّا تلاوة مجردة عن المعرقة من حيث إنَّ التلاوة بلا معرفة المعنى تجري عند صاحبها مجرى أمنيَّة تمنَّيتها على التخمين ، وقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ){الحج : ٥٢} أي : في تلاوته ، فقد تقدم أنَّ التمنِّي كما يكون عن تخمين وظنّ فقد يكون عن رويَّة وبناء ، ولمَّا كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما كان يبادر إلى ما نزل به الروح الأمين على قلبه ، حتى قيل له :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٤٤ وينظر : العين للخليل ص ٩٢٦

(وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ){طه :١١٤}الآية ، و(لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ){القيامة : ١٦} سمَّى تلاوته على ذلك تمنِّيًا ، ونبَّه أن للشيطان تسلّطًا على مثله في أمنيَّته ، وذلك من حيث بيَّن أنَّ العجلة من الشيطلن ، ومنيتَني كذا : جعلتَ أمنيَّة بما شبَّهتَ لي قال تعالى مخبرًا عنه : (وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ){النساء : ١١٩}))[١]

جعل العسكري التمني في الوجه الأول بمعنى قول القائل : يا ليتني كنتُ كذا ، وجعله بهذا المعنى في قوله تعالى (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ) وجعله الدامغاني بمعنى السؤال ، والقول والسؤال لا يعني التمني ، فقد أجمع أهل اللغة كما تقدم على أنَّ التمني هو التقدير ، وهو كما قال الراغب : ((تقدير شيء في النفس وتصويره فيها)) و((قال أبو بكر : تمنَّيتُ الشيءَ ، أي : قدرته ، وأحببتُ أن يصير إليَّ))[٢] أو هو ((تشهِّي حصول الأمر المرغوب فيه))[٣] وهو حديث النفس بما يكون وبما لا يكون[٤] وكثيرًا ما يقول الإنسان بلسانه خلاف ما في قلبه ، قال تعالى : (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ){البقرة : ١٦٧} أو خلاف عمله ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ {٢} كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ){الصف : ٢-٣} فالقرآن الكريم أراد من التمني التمني الصادق الصادر من القلب لا من اللسان ، بل التمني وكما عرَّفه أهل اللغة هو أمر قلبي ، لذلك لم أجد في كتب التفسير من ذكر أن قوله تعالى : (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ) يعني : قولوا يا ليتنا نموت ، أو اسألوا : يا ربُّ أمِتنا

---

(١) المفردات ص ٤٩٦-٤٩٧ وينظر عمدة الحفاظ ١١٧/٤-١١٩.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٣٤٥٦/٤

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٦٨٤/٢/٢ وينظر : لسان العرب ١٣٩/١٤

(٤) ينظر : المصادر السابقة

وجعل الدامغاني الأماني والتمني في الوجه الثالث بمعنى الأحاديث الكاذبة في قوله تعالى : (وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيّ) والتمني والأماني لا تعني الأحاديث الكاذبة فحسب ، بل هي كما تقدم تعريفها لدى أهل اللغة : تقدير شيء في النفس وتصويره فيها ، وذلك قد يكون عن تخمين وظنّ ، ويكون عن رَويِّة وبناء ، أو هو حديث النفس في ما ترغب فيه ، فيما يمكن حصوله أو لا ، وفيما بَعُدَ مناله أو قرُبَ ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير من حدَّد وعيَّن تفسير الأماني في هذه الآية بالأحاديث الكاذبة ، قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيّ) ((يقول : وخدعتكم أمانيُّ نفوسكم فصدتكم عن سبيل الله)) [١] وقال الزجاج في تفسيره : ((أي : ما كنتم تمنّون من نزول الدوائر بالمؤمنين)) [٢] وقال ابن الجوزي : ((يعني ما كانوا يتمنّون من نزول الدوائر بالمؤمنين))[٣] وقال القرطبي : ((أي : الأباطيل ، وقيل : طول الأمل ، وقيل : هو ما كان يتمنّون من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر بهم ، وقال قتادة : الأمانيّ هنا خداع الشيطان ، وقيل : الدنيا ... وقال أبو سنان : هو قولهم سيغفر لنا ، وقال بلال بن سعد : ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك)) [٤]

وجعل الأماني في الوجه الرابع بمعنى الأطماع ، في قوله تعالى : (وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) والطمع غير التمني فقد عُرِّف الطمع بأنَّه ما كان ((ضد اليأس ، وقال عمر بن الخطاب : إنَّ الطمع فقر ، وإنَّ اليأس

---

(١) جامع البيان ٣٤٦/٧

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٩٩/٥

(٣) زاد المسير ٣٤٦/٧

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/١٧

غنى))[1]((وطمع فيه : حرص عليه ورجاه))[2]((وأكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله ، وقد يستعمل بمعنى الأمل ، ومن كلامهم : طمع في غير مطمع : إذا أمَّل ما يبعد حصوله ؛ لأنَّه قد يقع كل واحد منهما موقع الآخر لتقارب المعنى)) [3] فهذا معنى الطمع ، والقرآن لم يقل : تلك أطماعهم بل قال : (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) فاستعمل الأماني لمعناه لا بمعنى الطمع ، وكذلك جاء تفسيره ، قال الطبري : (((تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) إنَّه أمانيّ منهم يتمنونها على الله بغير حق ولا حجة ولا برهان ولا يقين علم بصحة ما يدعون ، ولكن بادعاء الأباطيل ، وأمانيّ النفوس الكاذبة)) [4] وقال ابن الجوزي : (((تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) أي : ذاك شيء يتمنونه ، وظنٌّ يظنونه))[5]

وقول القائل : يا ليتني أو السؤال ، والأحاديث الكاذبة ، والأطماع ، كما جاء في الوجه الأول ، والثالث ، والرابع ، معان مرادفة للتمنّي وليست أوجهًا له ، أي : لا تعني التمني نفسه بل المعنى القريب منه ، والألفاظ المترادفة مهما اشتد ترادفها فلا بدَّ من أن يكون بينها فروق معنوية خاصة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم .

التمنّي والقراءة : وجعل العسكري والدامغاني التمني في الوجه الثاني بمعنى القراءة في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وقد ذكرتُ قبل قليل أنّ هذا هو الوجه

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢٢١٨/٣ وينظر : تاج العروس ٢٥٢/٢١

(٢) المحكم لابن سيده ٥٦١/١ وينظر : تاج العروس ٢٥٢/٢١

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ٣٧٨ وينظر تاج العروس ٢٥٢/٢١

(٤) جامع البيان ٥٦٦/١

(٥) زاد المسير ١١٥/١

المعنيّ بطريقة ما قيل ، وهو وجه قال به أيضًا عدد من المفسرين ، قال الطبري فيما رواه عن محمد بن كعب القرضي ومحمد بن قيس أنَّهما قالا : ((جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه ، فأنزل الله عليه : (والنَّجْمِ إذا هَوَى) فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى {١٩} وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى){النجم : ١٩-٢٠} ألقى الشيطان عليه كلمتين : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهنَّ لتُرتجى[١] فتكلم بها ثم مضى ، فقرأ السورة كلّها ، فسجد في آخر السورة وسجد القوم معه جميعًا)) [٢] ومنهم من ذكر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينطق بهذين الحرفين ، وإنَّما نطق بهما الشيطان ، وكان الشيطان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم ويسمع الناس كلامه ، أو رجل من المشركين ، قرَّب صوته من صوت النبي عليه الصلاة والسلام محاكيًا نغمته ، فظنَّ المشركون أنَّ هذين الحرفين نطق بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى {١٩} وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) ففرحوا بذلك بأنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم بخير ، فلمَّا عرف النبي ذلك خاف واغتمَّ لما أشاعه المشركون والناس عنه ، ثم عرَّف الناسَ أنَّ الشيطان هو القائل المسمع للناس ، قال ذلك فتنة واختبارًا ؛ ليزداد المؤمنون إيمانًا ، والمنافقون شكًّا وامتحانًا ، ومعنى الشاهد أنَّ الله سبحانه يطيِّب نفس النبي صلى الله عليه وسلم ويخبره بأنَّ ما من نبي ولا رسول بعثه الله من قبله إلّا

---

(١) الغرانيق هنا الأصنام ، وهي في الأصل الذكور من طير الماء

(٢) جامع البيان ٢١٩/١٧

إذا تمنَّى مثل ما تمنَّى ألقى الشيطان عليه في قراءته ما يرضي قومه الكافرين برسالته أو نبوته[١]

وقد تبيَّن من تعريف أهل اللغة للتمني أنَّه يعني التمني بعينه ، وبمعناه فسره بعضهم ، قال مقاتل : (((إِذَا تَمَنَّى) : إذا حدَّث نفسه (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) يعني : في حديثه))[٢]وقال الفراء : (((إِذَا تَمَنَّى) التلاوة وحديث النفس)) [٣] حتى الطبري الذي روى قصة الغرانيق قال كما تقدم : ((فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه)) وقال : ((ألقى الشيطان على لسانه ، لِما كان يحدِّث به نفسه أن يأتي به قومه : تلك الغرانيق العلى ، وإنَّ شفاعتهنَّ لترتجى))[٤] فعرَّف التمني بحديث النفس ، فيكون الشيطان ألقى في حديثه النفسي لا في لسانه وقراءته ، وقال النحاس بعد أن روى ما ذكره الطبري : ((والقول الآخر أنَّ عليّ بن أبي طلحة روى عن ابن عباس في قول الله عز وجل : (إِلّا إِذَا تَمَنَّى) قال : إذا تحدَّث ألقى الرداءة الشيطان (فِي أمنِيَّتِهِ) قال : في حديثه (فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) فيبطل الله ما يلقي الشيطان ، وهذا من أحسن ما قيل في الآية وأعلاه وأجلَّه ، وقد قال أحمد بن محمد بن حنبل : بمصرَ صحيفةٌ في التفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لو رحل فيها رجل إلى مصرَ قاصدًا ما كان كثيرًا ، والمعنى

---

(١) ينظر : جامع البيان للطبري ٢١٩/١٧-٢٢١ والوسيط للواحدي ٢٧٧/٣ وأسباب النزول للواحدي ص ١٩٢ والكشاف للزمخشري ١٦١/٣-١٦٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ١٢٩/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٢٢/٥-٣٢٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٩/١٢ وعمدة الحفاظ للحلبي ١١٩/٤

(٢) تفسير مقاتل ٣٨٦/٢-٣٨٧

(٣) معاني القرآن ١٣٤/٢

(٤) جامع البيان ٢٢٠/١٧

عليه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا حدَّث نفسه ألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة ، فيقول له : لو سألتَ الله جلَّ وعزَّ أن يُغَنِّمكَ كذا ليتسع المسلمون ، ويعلم الله جلَّ وعزَّ أنَّ الصلاح في غير ذلك ، فيبطل ما يلقي الشيطان ، كما قال ابن عباس ، وحكى الكسائي والفرّاء جميعًا : تمنَّى : إذا حدَّث نفسه ، وهذا هو المعروف في اللغة)) [١] وقال الواحدي : ((وعلى هذا معنى قوله : (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) إذا أحبَّ شيئًا ألقى الشيطان في محبته))[٢] وجاء في التفسير أيضًا (((إِذَا تَمَنَّى) معنى تمنَّى تشهَّى وهيَّأ في نفسه ما يهواه)) [٣] فالتمني يعني التمني بعينه ، وأيّ معنى نُسب اليه فهو إمَّا أن يكون مرادفًا وتفسيرًا له ، أو كان على طريقة الدراسة المعكوسة ، لذلك قيل : ((إنَّما سُميت القراءة أمنية ؛ لأنَّ القارئ إذا انتهى إلى آية رحمة تمنَّى حصولها ، وإذا انتهى إلى آية عذاب تمنَّى أن لا يُبتلى بها ... فإنَّ التالي مقدِّر للحروف يذكرها شيئًا فشيئًا))[٤] وقيل : ((وتسمية القراءة أمنية لمَّا أنَّ القارئ يقدِّر الحروف في قلبه أوَّلًا ، ثمَّ يذكرها شيئًا فشيئًا))[٥] وقال ابن عاشور ؛ ((وعندي في صحة إطلاق لفظ الأمنية على القراءة شك عظيم ...فلا أظنُّ أنَّ القراءة يقال لها أمنية))[٦] حتى لو صحَّ وجه القراءة الذي قال به العسكري والدامغاني ، فليس المراد جعل

---

(١) إعراب القرآن ص ٦٢٨

(٢) الوسيط ٢٧٧/٣

(٣) فتح القدير للشوكاني ٥٧٢/٣

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٦٤/٦ واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ١١٩/١٤

(٥) روح المعاني للآلوسي ١٧٢/٩

(٦) التحرير والتنوير ٢١٦/١٧

التمني بمعنى القراءة ، وإنَّما جعل القراءة بمعني التمني ، فيكون التمني يعني التمني بعينه ، وجعله بمعنى القراءة تحريف لدلالته

فالذي جعل التمني بمعنى القراءة ، كان مستندًا إلى هذه الرواية التي جعلت إلقاء الشيطان في قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم وتلاوته له لا في تمنيه ، وإلقاء الشيطان من الجن أو الإنس بهذين الحرفين : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهنَّ لتُرتجى ، أو نطق بهما الرسول صلى الله عليه وسلم بتأثير الشيطان ووسوسته ، يعني أنَّ القول بهذين الحرفين كان قسرًا من دون إرادة الرسول صلى عليه وسلم ، أو تلفظ بهما على سبيل السهو والغلط ؛ هذه الرواية بكل أوجهها ردَّها المحققون من العلماء من عدة وجوه ، فذكروا أنَّه إن كان قال هذه الكلمة سهوًا ، فمثل هذا السهو في الوحي لا يجوز من ثلاثة أوجه :

الأول : أنَّه لو جاز هذا السهو لجاز مثله في سائر المواضع في القرآن الكريم ، وحينئذ تزول الثقة عمَّن كُلِّف بإنزال القرآن عليه وحمله ونشره ، وهذا غير جائز في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد نفاه عنه البارئ عز وجل ، قال تعالى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ {٤٤} لاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ {٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ {٤٦} فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ){الحاقة : ٤٤-٤٦} وقال تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى {١} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {٢} وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى {٣} إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى {٤} عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى){النجم : ١-٤} فهذه النصوص تشهد بأنَّه صلى عليه وسلم إن كان يسهو وينسى في غير الوحي ، فإنَّه لا يسهو ولا ينسى فيما ينزل عليه من القرآن

الثاني : أنَّ الساهي لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقتها ومعناها ، فإنَّا نعلم بالضرورة أنَّ واحدًا لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها ومعناها وطريقتها

الثالث : هب أنَّه تكلم بذلك سهوًا فكيف لا ينتبه لذلك حين قرأها على جبريل

أمَّا إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم نطق بذلك قسرًا من دون اختياره وإرادته فهو باطل أيضًا من ثلاثة أوجه :

الأول : أنَّ الله سبحانه أخبرنا أنَّ الشيطان لا سلطان له على عباده المؤمنين ، قال تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ){الحجر : ٤٢} وقال تعالى : (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {٩٩} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ){النحل : ٩٩-١٠٠} وقال تعالى حاكيًا عن الشيطان : (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم){إبراهيم : ٢٢} وقال تعالى : (قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٣٩} إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ){الحجر : ٣٩-٤٠} وقال تعالى : (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢} إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ){ص : ٨٢-٨٣} فإذا كان الشيطان لا سلطان له على عباد الله المؤمنين بنصِّ كلام الله جل وعلا ، فهو لا سلطان له على رسول الله من باب أولى ؛ لأنَّه صلى الله عليه وسلم هو سيِّد عباد الله المؤمنين وسيد المرسلين ، وقال تعالى في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : (وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً){الإسراء : ٧٤} والتثبيت واقع ، والمقاربة منفية ، وقال تعالى : (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا){الفرقان : ٣٢} وقال تعالى : (سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى){الأعلى : ٦} و(لا) هنا نافيه وليست ناهية بدلالة عدم جزمها ؛ لأنَّها لو كانت لا الناهية لحذفت ألف (تَنسَى) والمعنى : سنقرئك يا محمد ، وأنت ممَّن لا ينسى ما نتلوه عليه ، فهذه النصوص تشهد بعصمته من شياطين الإنسن والجن

الثاني : أنَّ الشيطان لو قدر على إلقاء هذه الزيادة في قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لارتفع الأمان عن الوحي لقيام هذا الاحتمال ، وقد تعهد الله بحفظ كتابه من شياطين الإنس والجن وبحفظه من كل زيادة ونقصان ، قال تعالى : (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ){فصلت : ٤٢} وقال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ){الحجر : ٩}

الثالث : أنَّ الشيطان لو قدر على ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم لكان اقتداره علينا أكثر ، فوجب أن يزيل الشيطانُ الناسَ عن الدين ، ولجاز في أكثر ما يتكلم به أحدنا أن يكون ذلك بإجبار الشيطان ووسوسته [١]

فرواية الغرانيق قد ردّها المحققون من العلماء جملة وتفصيلاً ، فقد ((روي عن محمد بن إسحاق أنَّه سُئل عن هذه القصة فقال : هذا من وضع الزنادقة ، وصنَّف فيه كتابًا ، وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم قال : رواة هذه القصة مطعونون ، وروى البخاري في صحيحه أنَّه عليه السلام قرأ سورة النجم ، وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس ، وليس فيها ذكر الغرانيق ، وروي هذا الحديث من طرق كثيرة ، وليس فيها البتة ذكر الغرانيق)) [٢]

فالإلقاء لم يكن في قراءة الرسول صلى الله عليه ، وإنَّما كان في تمنِّيه ؛ والتمني عُرِّف في الآية بأنَّه تمني الخاطر والقلب ، فيكون معنى قوله تعالى : (إِلّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) إذا تمنَّى بعض ما

---

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٦٣/٦ وفتح القدير للشوكاني ٥٧٣/٣ واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ١٢١/١٤-١٢٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١١٧/١٤-١١٨

يتمنَّاه من الأمور وسوس إليه الشيطان بالباطل ، ويدعوه إلى ما لا ينبغي ، ثمَّ إنَّ الله ينسخ ذلك ويبطله ويهديه إلى ترك الالتفات إلى وسوسته ، أي : إذا أراد فعلًا مقرّبًا إلى الله ألقى الشيطان في فكره ما يخالفه ، فرجع إلى الله في ذلك ، فيكون معنى قوله تعالى : (إِذَا تَمَنَّى) هو كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ){الأعراف : ٢٠١} وقوله تعالى : (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ){فصلت : ٣٦} وحاصل البحث أنَّ الغرض من هذه الآية أنَّ الرسل الذين أرسلهم الله وإن عصمهم عن الخطأ في تبليغ ما أنزل عليهم ، فلم يعصمهم عن جواز السهو ووسوسة الشيطان ، بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر[١] ((ويجوز أن يكون المعنى أنَّ النبي إذا تمنَّى هَدْي قومه ، أو حرص على ذلك فلقي منهم العناد ، وتمنّى حصول هداهم بكل وسيلة ألقى الشيطان في نفس النبي خاطر اليأس من هداهم عسى أن يقصر النبي صلى الله عليه وسلم من حرصه ، أو أن يضجره ، وهي خواطر تلوح في النفس ، ولكن العصمة تعترضها ، فلا يلبث ذلك الخاطر أن ينقشع ، ويرسخ في نفس الرسول ما كُلّف به من الدأب على الدعوة والحرص على الرشد ، فيكون معنى الآية على هذا الوجه ملوِّحًا إلى قوله تعالى : (وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ){الأنعام : ٣٥}))[٢]

فقد انتهى تحقيق المحققين من العلماء إلى أنَّ رواية الغرانيق كذب وافتراء ، وأنَّه من وضع الزنادقة ، وأنَّ فيه طعنًا بعصمة النبي صلى الله

---

(١) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ١٢٣/١٤-١٢٤

(٢) التحرير والتنوير ٢١٦/١٧

عليه وسلم ، وبكتاب الله المنزل على قلبه ، وهذه الرواية جاءت من جعل القراءة وجها للتمني والأمنية في قوله تعالى : (إلّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) فجعل القراءة وجهًا للتمني ، يفيد إثبات هذا الطعن ؛ لأنَّ إثبات وجه للفظ يفيد إثبات معناه على سبيل القطع والتعيين .

فقد تبيّن أنّ التمنّي هو ما يتمنّاه المرء في قلبه من أمور ، ويحدّث بها نفسه حسبما يتصوّرها ويتخمّنها ، وهذا هو معناه أينما ورد في اللغة والقرآن الكريم ، أمّا الأوجه المنسوبة إليه فهي مختلقة بطريقتين : بطريقة جعله بمعاني مرادفاته ، وبطريقة جعله بمعاني ما قيل .

٥-**التنزيل** : قال الدامغاني : ((تفسير التنزيل على تسعة أوجه :

فوجه منها ، التنزيل ، يعني : القول ، قوله تعالى في سورة الأنعام : (وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ){الأنعام : ٩٣} يعني : سأقول مثل ما قال الله تعالى ، مثلها في سورة الزمر : (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ){الزمر : ١}

والوجه الثاني ، أنزلنا يعني : خلقنا ، قوله تعالى في سورة الحديد : (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ){الحديد : ٢٥} يعني : خلقنا الحديد

والوجه الثالث ، الإنزال : إنزال المطر من السماء ، قوله تعالى : (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا){ق : ٩}

والوجه الرابع ، التنزيل يعني : البيان ، قوله تعالى في سورة بني إسرائيل : (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً){الإسراء : ١٠٦} أي : وبيَّنَّاه تبيينًا

والوجه الخامس : ، التنزيل بمعنى الإهباط ، قوله تعالى في سورة (المؤمنون) : (وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ){المؤمنون : ٢٩} أي : اهبطني مهبطًا مباركًا ، يعني : من السفينة إلى الأرض

والوجه السادس ، النزل : الثواب ، قوله تعالى في سورة الصافات : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ){الصافات : ٦٢}يعني : ثوابًا

والوجه السابع ، التنزيل بمعنى : الإرسال ، فذلك قوله تعالى في سور حم السجدة : (وَلَوْ شَاء اللَّهُ لأنزَلَ مَلائِكَةً){فصلت : ١٤} أي : لأرسل رسلاً من الملائكة (وَلَوْ شَاء اللَّهُ لأنزَلَ مَلائِكَةً){المؤمنون : ٢٤}

والوجه الثامن ، نزل : بسط ، قوله تعالى في سورة حم عسق : (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ){الشورى : ٢٧}

والوجه التاسع ، التنزيل ، يعني : التعليم ، قوله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ {١٩٣} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ){الشعراء : ١٩٣-١٩٤} أي : علَّم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكقوله تعالى : (وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ){الأنعام : ٩٢}{الأنعام : ١٥٥} أي : علمناه))[١]

قال ابن فارس : ((النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه ، ونزل عن دابته نزولًا ، ونزل المطر من السماء نزولاً ... والنُزُل : ما يُهيَّأ للنزيل)) [٢] وقال الراغب : ((النزول في الأصل هو انحطاط من علو ... وإنزال الله تعالى نِعَمَه ونِقَمَه وإعطاؤهم إيّاها ، وذلك إمَّا بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن ، وإمَّا بإنزال أسبابه ... والفرق بين الإنزال والتنزيل يختصُّ بالموضع الذي يشير إنزاله مُفرَّقًا ومرة بعد أخرى ... وقوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ){الفرقان : ٣} وقوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ){البقرة : ١٨٥} وقوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ){القدر : ١} وإنَّما خُصَّ لفظ الإنزال دون التنزيل ؛

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٣٨

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٩٤-٨٩٥

لما رُوِيَ أنَّ القرآن نزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا ، ثم نزل نجمًا فنجمًا ... قال تعالى : (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ){الحشر : ٢١} ولم يقل : لو نزَّلنا ، تنبيهًا أنَّه لو خوَّلناه مرة ، ما خوَّلناك مرارًا لرأيته خاشعًا ... والنُّزل : ما يُعدُّ للنازل من زاد)) [١]

جعل الدامغاني الإنزال في الوجه الأول بمعنى القول في قوله تعالى : (وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللّهُ) وهذا الوجه مرتبط بقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ {١٢} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ){المؤمنون : ١٢-١٤}

جاء في كتب التفسير أنَّ قوله تعالى : (وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللّهُ) نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، كان قد تكلم في الإسلام ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يكتب له شيئًا ، فلما نزلت الآية في سورة (المؤمنون) : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ) أملاها عليه ، فلمَّا انتهى إلى قوله تعالى : (ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) عجب عبد الله بن أبي سرح في تفصيل الله لخلق الإنسان ، فقال من تلقاء نفسه : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أُنزِلت عليَّ فاكتبها ، أي : أنَّ قول بن أبي سرح وافق قول الله سبحانه ، فشكّ عبد الله

---

(١) المفردات ص ٥١٠-٥١٢ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٤/١٦٣-١٦٦ وبصائر ذوي التمييز ٥/٣٩-٤١

حينئذ ، وقال : لئن كان محمد صادقًا لقد أوحي إليَّ كما أوحي إليه ، ولئن كان كاذبًا ، فقد قلتُ كما قال [1]

والإنزال في قوله تعالى : (سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ) يعني الإنزال بعينه ولا يصح جعله بمعنى القول ؛ لأنَّ ابن أبي سرح استعمل لقظ القول ولم يستعمل لفظ الإنزال ، يضاف إلى ذلك أنَّه أسند فاعل قال إلى محمد صلى الله عليه ولم يسنده إلى الله سبحانه ، فقوله : فقد قلتُ كما قال ، يعني : فقد قلتُ كما قال محمد ، ولهذا نُسِب إليه أنَّه قال : ((أنا أنزل مثل ما أنزل الله)) [2] قال ذلك بعد أن ((لحق بمكة مرتدًّا)) [3]

كما أنَّ قوله تعالى : (سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ) لم تخصَّ عبد الله بن أبي سرح ، فقد جاءت عامة تحكي كلّ مَن ادعى ادعاءه ، قال الطبري : ((وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إنَّ الله قال : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ) ولا تمانع بين علماء الأمَّة أنَّ ابن أبي سرح كان ممن قال : إنِّي قد قلتُ مثل ما قال محمد ... وكذلك لا خلاف بين الجميع أنَّ مسيلمة والعنسيّ الكذَّابَيْنِ ادعيا على الله كذبًا أنَّه بعثهما نبيَّيْن ، وقال كل واحد منهما : إنَّ الله أوحي إليه ، وهو كاذب في قيله ، فإذا كان ذلك

---

(١) ينظر : أسباب النزول للواحدي ص ١٣٢ والكشاف للزمخشري ٤٣٠٤٤/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٦٦/٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠/٧ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٧٣/٢

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٢٢/٢

(٣) المصدر نفسه ٣٢٢/٢

كذلك فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقًا على الله كذبًا وقائلًا في ذلك الزمان وغيره أوحى الله إليه)) [1]

والقرآن الكريم ليس قولًا فحسب ، فلو كان كذلك لما أعجز الأوَّلين والآخرين ؛ لأنَّه قد يوافق قول البشر قول الله في مواضع معيَّنة كما وافق قول ابن أبي سرح قول الله في النص المذكور ، وكما وافق قول عمر بن الخطاب رضي الله قول الله في عدة مواضع ، فقد أخرج الشيخان عن عمر قال : وافقت ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله : لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت (الآية) : (وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [البقرة : ٢٥] وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البرّ والفاجر فلو أمرتهنَّ يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي (ﷺ) في الغيرة ، فقلت : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكنّ فنزلت كذلك ، أي: نزل قوله تعالى موافقا لقول عمر (رضي الله عنه) باللفظ نفسه. قال الله تعالى ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] ولمَّا سمع عمر رضي الله عنه حديث الإفك في عائشة رضي الله عنها ، حتى خاض فيها الخائضون ، قال : سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، فنزلت آية براءتها وفيها عبارة عمر باللفظ نفسه قال الله تعالى: (وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) [الأحزاب : ١٦] أي : أنَّه كان ينبغي لمن خاض في هذا الامر أن يرى الرأي الذي رآه عمر ، وأن يقول العبارة التي تلفظ بها عمر وهي (سبحانك هذا بهتان عظيم).

قال الحلبي : ((وقوله (مِثْلَ) يجوز فيه وجهان ، أحدهما : أنَّه منصوب على المفعول به ، أي : سأنزل قرآنًا مثل ما أنزل الله ، و(ما) على هذا موصولة اسمية ، أو نكرة موصوفة ، أي : مثل الذي أنزله الله ، أو مثل

---

(١) جامع البيان ٣١٦/٧-٣١٧

شيء أنزله ، والثاني : أن يكون نعتًا لمصدر محذوف تقديره : سأنزل إنزالًا مثل ما أنزل الله ، و(ما) على هذا مصدرية ، أي : مثل إنزال الله)) [1] فلو تأمَّلت سياق الآية قليلًا ، لتبيَّن لك أنَّه ليس المراد من الإنزال معنى القول ، بل الإنزال بعينه ؛ لأنَّ القائل ما أراد أن يدَّعي أنَّه سيقول قولًا قاله الله سبحانه ، وإنَّما أراد أن يدَّعي أن يُنزل قرآنًا مثل قرآن الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يُنزل مثل هذا الكتاب وما فيه من سور وآيات ، وما فيه من أسرار وإعجاز في كل الميادين ، وما فيه من فصاحة وبلاغة وما فيه من حكم وأحكام ، وتعاليم ومناهج وشرائع .

وكذلك جعل التنزيل في الوجه الأول بمعنى القول في قوله تعالى (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {١} إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) كيف استساغ الدامغاني جعل التنزيل هنا بمعنى القول ؟! كيف استساغ أن يكون المعنى أو التقدير : قول الكتاب من الله العزيز الحكيم ؟! فهو مذهب بعيد لا يلائم فصاحة القرآن الكريم ، لذلك لم أجد من المفسرين من قال بهذا الوجه ، بل أبقوا التنزيل على معناه وفسّروا الآية بقولهم : هذا تنزيل الكتاب من الله ، أنزلناه إليك [2] وقال ابن عطية الأندلسي : ((قال المفسرون : هو القرآن الكريم ، ويظهر لي أنَّه اسم عام لجميع ما تَنَزَّل من عند الله من الكتب)) [3]

---

(١) الدر المصون ٤١/٥ واللباب لابن عادل الدمشقي ٢٨٨/٨ وصاحب اللباب نقل قول الحلبي نصًا ، وهو كثيرًا ما ينقل أقواله بنصها ، حتى إنَّه أفرغ كتاب الدر المصون كله بنصِّه في لبابه ، ومن دون أن ينسبه إليه ، ولم يشر المحققان إلى هذه القضية

(٢) ينظر : الوسيط للواحدي ٥٦٩/٣ والكشاف ١٠٦/٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٦/١٥

(٣) المحرر الوجيز ٥١٧/٤

وجعل الإنزال في الوجه الثاني بمعنى : خلقنا ، في قوله تعالى في سورة الحديد : (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ){الحديد : ٢٥} والفرق ظاهر بين أنزلنا وخلقنا ؛ لذلك ذهب جمهور المفسرين إلى أنَّ المراد من الإنزال هنا الإنزال بعينه ، فذكروا في تفسير هذه الآية أنَّ الله سبحانه أنزل من السماء مع آدم أربع بركات : الحديد والنار والماء والملح ، وأنَّه سبحانه أنزل معه آلات حديدية كالسّندان ، والمسنّ ، والمطرقة ، والكَلَبتين[١]

فالمشهور والراجح أنَّ المراد من الإنزال الإنزال بعينه فجعله بمعنى الخلق ، أي : بالمعنى المرجوح وغير المشهور ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب القول الراجح والمشهور ، بل يعني الادعاء بعدم وجود قول آخر ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه إن لم تدخل في باب التحريف ، فإنَّها تدخل في باب الخيانة العلمية في التفسير ، حتى الذي أجاز أن يكون الإنزال بمعنى الخلق فقد فُسِّر هذا الوجه على أنَّه ((تفسير يلازم الشيء ؛ فإنَّ كل مخلوق مُنَزَّل باعتبار ثبوته في اللوح المحفوظ وتقديره موجودًا حيث ما ثبت فيه)) [٢]

وقضية إنزال الحديد من السماء أثبتها العلم حديثًا ، فقد ((كشف علماء الجيولوجيا أن ٣٥% من مكونات الأرض من الحديد ، وثبت عندهم أنَّ أصل الحديد من مخلفات الشهب والنيازك التي تتساقط من الفضاء الخارجي على الأرض ، حيث تتساقط على الأرض في كل سنة آلاف النيازك التي قد يزن بعضها عشرات الأطنان ، وقد تم اكتشاف بعضها في

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء ١٤/٣ وجامع البيان للطبري ٢٧٥/٢٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٢/٥ والوسيط للواحدي ٢٥٣/٤ والكشاف ٤٦٨/٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٠/١٧

(٢) روح المعاني للآلوسي ١٨٨/١٤

استراليا وأمريكا ، وهذا يعني أن الحديد لم يكن من قبل في الأرض ، بل قد تم إنزاله من السماء، ولم يدرك العلماء هذه الحقيقة إلا حديثًا ، وقد سبقهم في ذلك القرآن. قال الله تعالى: (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) [الحديد:٢٥])) [١]

فإنزال الحديد كما جاء في الآية المذكورة يعني الإنزال بعينه ، وجعله بمعنى الخلق تحريف لدلالته ، وهدم لما في هذه الآية من إعجاز

وجعَلَ الإنزال في الوجه الثالث يعني إنزال المطر من السماء ، في قوله تعالى : (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا) وهو الإنزال بعينه

وجعلَ التنزيل في الوجه الرابع ، التنزيل بمعنى البيان ، في قوله تعالى : (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) وقد تقدم قول الراغب في دلالة التنزيل والفرق بينه وبين الإنزال أنَّ التنزيل يعني ((إنزاله مُفرَّقًا ومرة بعد أخرى ... وقوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ){الفرقان : ٣} وقوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ){البقرة : ١٨٥} وقوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ){القدر : ١} وإنَّما خُصَّ لفظ الإنزال دون التنزيل ؛ لما رُوِيَ أنَّ القرآن نزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا ، ثم نزل نجمًا فنجمًا))[٢] وبهذا المعنى فسَّر المفسرون قوله تعالى : (وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) قال الطبري : ((وقوله تعالى : (وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) يقول تعالى ذكره : فرَّقنا تنزيله ، وأنزلناه شيئًا بعد شيء)) [٣] وقال الواحدي في

---

(١) إعجاز القرآن الكريم للمؤلف ص ١٠١ وينظر : الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم للدكتور مصطفى أحد متولي ص ٢٦٠

(٢) المفردات ص ٥١٠-٥١٢ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ١٦٣/٤-١٦٦ وبصائر ذوي التمييز ٣٩/٥-٤١

(٣) جامع البيان ٢٠٦/١٥

تفسيره : ((نجومًا بعد نجوم وشيئًا بعد شيء)) [١] وقال القرطبي : ((أي : أنزلناه نجمًا بعد نجم ، ولو أُخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا)) [٢] فهذا معنى تنزيل القرآن فأين هو من معنى البيان ؟! فجعله بمعناه تحريف ظاهر للعيان ، وهدم للمعنى المراد

الإنزال والإهباط : وجَعَلَ الإنزال في الوجه الخامس بمعنى الإهباط ، في قوله تعالى : (وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) وبين الإنزال ، والإهباط ، فرق في الدلالة وإن كان مرادفًا له ، ومتحدًا معه في المعنى العام ، أي : أنَّ لكل منهما معنى خاصًّا به ، وهو المعنى المقصود في القرآن الكريم ، قال الراغب : ((الهبوط : الانحدار على سبيل القهر ، كهبوط الحجر ... وإذا استعمل في الإنسان فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الإنزال ؛ فإنَّ الإنزال ذكره تعالى في الأشياء التي نبَّه على شرفها ، كإنزال الملائكة والقرآن والمطر وغير ذلك ، والهبط ذُكِر حيث نبَّه على الغضِّ نحو قوله تعالى : (وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ)[البقرة : ٣٦} وقوله تعالى : (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ)[الأعراف : ١٣} وقوله تعالى : (اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ)[البقرة : ٦١} وليس في قوله (فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ) تعظيم وتشريف ؛ ألا ترى أنَّه تعالى قال : (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) وقال جل ثناؤه : (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً)[البقرة : ٣٨}))[٣]

---

(١) الوسيط ١٣٢/٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/١٠

(٣) المفردات ص ٥٦١ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢٣٨/٤

وهناك فرق آخر ، وهو ((أنَّ الهبوط نزول يعقبه إقامة ، ومن ثَمَّ قيل : هبطنا مكان كذا ، أي : نزلناه ، ومنه قوله تعالى : (اهْبِطُواْ مِصْراً) وقوله تعالى : (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً) ومعناه : انزلوا الأرض للإقامة فيها ، ولا يقال : هبط الأرض إلّا إذا استقر فيها ، ويقال : نزل ، وإن لم يستقر)) [١]

فكيف تسنَّى للدامغاني أن يجعل الإنزال بمعنى الإهباط ، وبينهما هذا الفرق المذكور في الدلالة والاستعمال ؟! ، فجعل الإنزال بمعنى الإهباط تحريف ظاهر .

يضاف إلى ما تقدم ذكره أنَّ الإنزال الذي جعله الدامغاني بمعنى الهبوط من السفينة إلى الأرض في قوله تعالى : (وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) لم يعيَّنه أهل التفسير ، قال الطبري : ((يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام ، وقل إذا سلمك الله ، وأخرجك من الفلك ، فنزلتَ عنها (رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) ... وعن مجاهد في قوله : (مُنزَلًا مُّبَارَكًا) قال لنوح حين نزل من السفينة ... فقرأته عامّة قُرّاء الأمصار (مُنزَلًا) بضم الميم وفتح الزاي ، بمعنى : أنزلني إنزالًا مباركًا))[٢] فنوح عليه السلام قال : (أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا) بعد نزوله من السفينة إلى الأرض وليس قبل نزوله ، وقد ذهب أكثر القراء إلى أنَّ المراد معنى المصدر وليس اسم المكان ، والمعنى : أنزلني إنزالًا مباركًا ، وقال الزمخشري : ((ثمَّ أمره أن يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له ، وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الأرض عند خروجه منها منزلًا يبارك فيه ويعطيه

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٣١

(٢) جامع البيان ٢٥/١٢

الزيادة في خير الدارين ، وأن يشفع الدعاءَ بالثناء عليه المطابق لمسألته ، وهو قوله تعالى : (وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ))) [1]

وجعلّ النزل في الوجه السادس بمعنى الثواب ، في قوله تعالى : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومَ) والمراد من النُّزُل النُّزُل بعينها ؛ لأنَّ ((النُّزُل : ما يُهيَّأُ للنزيل ... وقوم نُزُل : نازلون)) [2] فالنُّزُل لا يعني الثواب ، بل ما يُهيَّأ للنزيل ما يناسبه ، فإذا كان من أهل الإيمان هُيِّئ له ما يسّره وتقرّ به عينه ، كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا){الكهف : ١٠٧} وقوله تعالى : (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ){آل عمران : ١٩٨} وإن كان النزيل من أهل الكفر هُيِّئ له ما يهينه ، كقوله تعالى : (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ {٥٥} هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ){الواقغة : ٥٥-٥٦} وقوله تعالى : (وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ {٩٢} فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ){الواقعة : ٩٢-٩٣}

وجعلَ التنزيل في الوجه السابع بمعنى : الإرسال ، في قوله تعالى : (وَلَوْ شَاء اللَّهُ لأنزَلَ مَلائِكَةً) وهذا قول الذين كفروا بالرسل ، فاستعمل القرآن الكريم لفظ الإنزال ؛ لأنَّ هذا ما أرادوه ، فهم لم يطلبوا إرسال الملائكة ، بل إنزالهم من السماء ، ليكون أمرهم أعظم ؛ ولأنَّه لا حاجة لاستعمال لفظ الإرسال ؛ لأنَّ الملائكة هم في الأصل رسل الله ، فأرادوا أن يُنزل مَن هم عنده ويدعوا الناس إلى دينه ، فهذا عندهم أولى مِن إرسال مَن هم بشر ، هذا إن أراد الله أن يهدي البشر ، ومفعول شاء محذوف دلَّ عليه السياق ، والمعنى : ((لو شاء ربنا أن يرسل إلينا ، لأنزل ملائكة من السماء مرسلين

---

(١) الكشاف ١٨٠/٣

(٢) لسان العرب ٢٣٨/١٤

إلينا))[1] فجعل الإنزال بمعنى الإرسال تحريف لما أراده الله سبحانه أن يحكيه يحكيه عمَّا قاله الذين كفروا بالرسل

وجعلَ التنزيل في الوجه الثامن بمعنى البسط ، في قوله تعالى في سورة حم عسق : (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ){الشورى : ٢٧} والمراد بقوله تعالى (يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء) الرزق الذي ينزله الله من السماء من اللوح المحفوظ ، كما قال تعالى : (وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ){الذاريات : ٢٢} فإنزال الرزق من السماء غير بسطه في الأرض ، فبسط الرزق في الأرض يكون بعد إنزاله من السماء ، فجعله بمعناه تحريف لدلالته

وجعلَ الإنزال في الوجه التاسع بمعنى التعليم ، في قوله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ {١٩٣} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) أي : علّم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى : (وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ) وقوله تعالى : (وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ) أي : علَّمناه ، وهذا وجه اعتباطي ، لا مسوغ له ، حتى إنِّي رجعتُ إلى كتب التفسير بدءًا بتفسير مقاتل وانتهاءً بتفسير الآلوسي ، فلم أجد أحدًا منهم قال أو نقل أنَّ الإنزال هنا يعني التعليم ، فلا أدري من أين أتى الدامغاني بهذا الوجه ؟!

فالتنزيل يعني التنزيل بعينه ، أمّا الوجوه المذكورة والمنسوبة إليه فمختلقة جميعها بطريقة جعله بمعاني ما قيل ، مما لم يصحّ منها ولم يثبت ، ولم يعيّنه أهل التفسير

٦-**الغيب** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الغيب في القرآن الكريم على خمسة عشر وجهًا :

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/٢٥

الأول : الخلوة ، أو الله ، أو الحساب والصراط ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ){البقرة : ٣} يعني : يخلصون العمل في خلواتهم خلاف المنافقين الذي يظهرون خلاف ما يبطنون ، وقيل : هو البعث .

الثاني : ما غاب عن الأبصار ، كقوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ){الأنعام : ٧٣} أي : ما غاب وما حضر .

الثالث : الوحي : كقوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ){التكوير : ٢٤} أي : ما هو على الوحي بمتهَم

الرابع ، الغيابة : الظلمة كقوله سبحانه : (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ){يوسف : ١٠)) يعني : ظلمة الجب أو قعره .

الخامس ، الغيب : موت سليمان عليه السلام ، كقوله تعالى : (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ){سبأ : ١٤} يعني : موت سليمان .

السادس ، الغيب : الموت ومتى يموت ، كقوله تعالى في: (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ){الأعراف : ١٨٨} يعني : لو كنت أعلم متى آموت ، على قول بعض أهل التفسير ، هذا قول الدامغاني ، وقال غيره : الغيب ها هنا دفع المضرة ، وجلب المنفعة .

السابع ، الغيب : المطر ، كقوله تعالى : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ){الأنعام : ٥٩} يعني المطر وخزائنه ، ويقال : الغيب ها هنا وقت نزول العذاب الذي كانوا يستعجلون به .

الثامن ، الغيب ، يعني : اللوح المحفوظ ، كقوله تعالى : (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ){الطور : ٤١}

التاسع ، الغيب : النفس والمال والفرج ، كقوله تعالى في : (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ){النساء : ٣٤} يعني : لأنفسهنَّ ومال أزواجهنَّ .

العاشر ، الغيب : نزول العذاب ، كقوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا){الجن : ٢٦}

الحادي عشر ، الغيب ، يعني : الظن ، أو الشك ، كقوله تعالى : (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ){سبأ : ٥٢} يعني : يرمون بالظن

الثاني عشر ، الغيب ، يعني : الغيبة ، كقوله تعالى : (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ){يوسف : ٥٢}

الثالث عشر ، الغيب : السر ، كقوله تعالى : (إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ){البقرة : ٣٣}

الرابع عشر ، الغيب يعني كلامًا ، كقوله تعالى : (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ){النمل : ٧٥}

الخامس عشر ، الغيب ، يعني الخزائن والقيامة ، كقوله تعالى : (وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ){هود : ١٢٣}[١]

قال العسكري : ((أصل الغيب الستر، وغيَّبت الشيء في التراب : إذا سترته فيه ، والغيب ما استتر عنك)) [٢]وقال الراغب : ((الغيب : مصدر غابت الشمس وغيرها : إذا استترت عن العين ... واستعمل في كل غائب عن الحاسة ، وعمَّا يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب ، قال تعالى : (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ){النمل : ٧٥} ويقال للشيء غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى ؛ فإنَّه لا يغيب عنه شيء ، كما لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وقوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ){الحشر : ٢٢} أي : ما يغيب عنكم وما تشهدونه))[٣]

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٥٣ ووجوه القرآن للحيري ص ٣١٨-٣١٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٥٠-٣٥١ ونزهة الأعين ص ٢١٢-٢١٣ ومنتخب قرة العيون ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٥٣.

(٣) المفردات ص ٣٨١ .

من أهل الوجوه من جعل الغيب في الوجه الأول في قوله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) بمعنى الخلوة ، ومنهم من جعله بمعنى الله سبحانه وتعالى ، والحق أنَّه بمعنى : ما غاب ، بصفة عامة ومن دون تحديده بغيب مُعَيَّن ، قال الطبري في تفسير الغيب في هذه الآية : ((أمَّا الغيب فما غاب عن الإنسان من أمر الجنة وأمر النار ، وما ذكر الله تعالى في القرآن)) [١] وقال الراغب : ((والغيب في قوله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ){البقرة : ٣} ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول ، وإنَّما يُعلَم بخبر الانبياء عليهم السلام ، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد ، ومن قال الغيب هو القرآن ، ومن قال هو القدر فإشارة منهم إلى ما يقتضيه لفظه)) [٢]

وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الغيب بمعنى الله سبحانه في قوله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) [٣] قال في تفسيره : ((وأصل الغيب المكان المطمئنّ الذي يُستَتَر لنزوله عما حوله ، فسمَّى كل مستتر غيبًا ، وفي المراد بالغيب ها هنا ستة أقوال :

أحدها : أنَّه الوحي ، والثاني : القرآن ، والثالث : الله عز وجل ، والرابع : ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار ، ونحو ذلك مما ذكر في القرآن ، والخامس : أنَّه قدر الله عز وجل ، والسادس : أنَّه الإيمان بالرسول في حق من لم يره)) [٤] فما قاله ابن الجوزي في باب الوجوه أبطله في باب التفسير .

---

(١) جامع البيان ١١٧/١-١١٨.

(٢) المفردات ص ٣٨١.

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ٢١٢ومنتخب قرة العيون ص ١٨٣.

(٤) زاد المسير ٢١/١

وجعلوا الغيب في الوجه الثاني بمعنى : ما غاب ، في قوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) وهذا هو معناه أينما ورد في كتاب الله .

وجعلوا الغيب في الوجه الثالث بمعنى الوحي في قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) والغيب والوحي متلازمان ؛ لأنَّ الإخبار بما غاب لا يكون إلّا عن طريق الوحي ، فالعلاقة بينهما علاقة تلازم لا علاقة وجوه ولفظ مشترك ، قال ابن قتيبة : (((وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) أي : بمتَّهَم على ما يخبر به عن الله عز وجل ، ومن قرأ (بِضَنِينٍ) أراد ببخيل ، أي : ليس ببخيل عليكم يُعلِّم ما غاب عنكم مما ينفعكم)) [1] وقال الطبري : ((اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامّة قرّاء المدينة والكوفة (بِضَنِينٍ) بالضاد ، بمعنى : أنَّه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علَّمه الله ، وأنزل إليه من كتابه ، وقرأ ذلك بعض المكيِّين وبعض البصريين وبعض الكوفيين (بِظَنِينٍ) بالظاء ، بمعنى أنَّه غير متهَم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء)) [2] فالمراد إذن إخبارهم بما غاب عنهم ، وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الغيب بمعنى الوحي في قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) [3] نقل في تفسيره قول ابن قتيبه وتبناه [4]

وجعلوا الغيب في الوجه الرابع بمعنى الظلمة في قوله تعالى : (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ) وجعله ابن الجوزي بمعنى القعر ، والظلمة مرادفة للغيب من حيث إنَّ الشيء يُستَتَر بالظلمة ، والغيب يعني تستُّر الشيء ، والقعر ملازم للظلمة والغيب ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول : وألقوه

([1]) تفسير غريب القرآن ص ٥١٧ .

([2]) جامع البيان ١٠٢/٣

([3]) ينظر : نزهة الأعين ص ٢١٣ ومنتخب قرة العيون ص ١٨٣ .

([4]) ينظر : زاد المسير٢١٢/٨ .

في قعر الجب حيث يغيب خبره)) [1] وقال ابن فارس : ((الغين والياء والباء أصل صحيح يدلّ على تستر الشيء عن العيون ، ثم يقاس ، من ذلك الغيب : ما غاب مما لا يعلمه إلّا الله ، ويقال : غابت الشمش تغيب غَيبةً وغيوبة وغَيْبًا ... ووقعنا في غَيبة وغَيابة ، أي : هبطة من الأرض يُغاب فيها ، قال الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ){يوسف : ١٠)) [2] والمعنى : ألقوه فيما يغيب من صار فيه عن الناس .

وجعلوا الغيب في الوجه الخامس بمعنى موت سليمان عليه السلام في قوله تعالى : (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) والمراد من الغيب : ما غاب ، ولم أجد في كتب التفسير من قصر الغيب هنا على موت سليمان عليه السلام ، قال الطبري : (((لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ) الذي يدعون علمه)) [3] وابن الجوزي نفسه الذي صرَّح بقصر الغيب على موت سليمان في النزهة والمنتخب في قوله تعالى : (لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ) [4] لم يشر إلى هذا المعنى في تفسيره ، بل قال : ((أي : ظهرت وانكشف للناس أنَّهم لا يعلمون الغيب)) [5] والمعنى : أنَّهم لو كانوا يعلمون ما غاب ما لبثوا في العذاب المهين .

وجعلوا الغيب في الوجه السادس بمعنى الموت ومتى يموت ، في قوله تعالى في سورة الأعراف : (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) وهذا قول قيل به ، قال الطبري : ((ثم اختلف أهل التأويل

---

(١) جامع البيان ١٨٥/١٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٠٢-٧٠٣ .

(٣) جامع البيان ٩٠/٢٢ .

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٢١٣ ومنتخب قرة العيون ص ١٨٤ .

(٥) زاد المسير ٢٣٦/٦ .

في معنى الخير الذي عناه بقوله : (لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لاستكثرتُ من العمل الصالح ... وقال آخرون : معنى ذلك : ولو كنت أعلم الغيب لأعددتُ للسنة المجدبة من المخصبة ، ولعرفتُ الغلاء من الرخص ، واستعددتُ له)) [1] والمعنى الأول لا يصح وإن جعله الطبري أحد قولين ، لأنَّ فيه قدحًا بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فجعل الآية بهذا الوجه يعني : أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلَّم كان لا يستكثر من العمل الصالح ؛ لأنَّه كان لا يعلم متى يموت ، وهل ثمة رجل في الدنيا نبيًّا كان أم غير نبي قد استكثر من العمل الصالح كما استكثر منه نبيُّنا محمد صلى الله غليه وسلم ؟ ! بل كان صلى الله عليه وسلَّم يحثنا على أن نكثر من العمل الصالح ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى عليه وسلم قال : بادروا بالأعمال ستًّا : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم ، أو أمر العامة رواه مسلم[2] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه : اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك . رواه الحاكم[3] وكان يوصينا : صلِّ صلاة مودِّع[4] وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغْرسْها . حديث صحيح رواه الإمام أحمد ، فالصحيح القول الثاني ، وهو الذي قال به جمهور المفسرين ، قال الواحدي : (((وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ) قبل أن يكون

([1]) جامع البيان ١٦٩/٩.

([2]) الترغيب والترهيب ١١٢٨/٥ .

([3]) الترغيب والترهيب ١١٢٨/٥ والحديث صحيح الهامش (٥) .

([4]) ينظر : النهاية في غريب الحديث ٣٥٢/١ والترغيب والترهيب ١١٢٧/٥.

(لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) لادخرتُ في زمان الخصب لزمان الجدب (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) وما أصابني الضرر والفقر)) [1] وقال الزمخشري : (((وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ) لكانت حالي على خلاف ما هي عليه ، ولم أكن غالبًا مرة ومغلوبًا أخرى في الحروب ، ورابحًا وخاسرًا في التجارات ، ومصيبًا ومخطئًا في التدابير)) [2]وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ) فيه أربعة أقوال :

أحدها : لو كنتُ أعلم بجدب الأرض وقحط المطر قبل كون ذلك لهيَّأتُ لسنة الجدب ما يكفيها .

والثاني : لو كنتُ أعلم ما أربح فيه إذا اشتريته لاستكثرتُ من الخير

والثالث : لو كنتُ أعلم متى أموت لاستكثرتُ من العمل الصالح .

والرابع : لو كنتُ أعلم ما أُسأل عنه من الغيب لأجبتُ عنه (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) أي : لم يلحقني تكذيب ... فأمَّا الغيب ، فهو كل ما غاب عنك)) [3] ((وروي عن الكلبي أنَّ أهل مكة قالوا : يا محمد ، ألا تخبرنا بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشتري فنربح ، وبالأرض التي تريد أن تجدب فنرتحل منها إلى ما قد أخصب ، فنزلت)) [4] أي : فنزل قوله تعالى : (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)

وجعلوا الغيب في الوجه السابع بمعنى المطر في قوله تعالى : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ){الأنعام : ٥٩} قال الطبري : ((عن ابن عباس : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ) قال : هنَّ خمس : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا

([1]) الوسيط ٤٣٤/٢ .

([2]) الكشاف ١٧٩/٢ .

([3]) زاد المسير ٢٢٩/٣ .

([4]) روح المعاني ١٢٦/٥.

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ){لقمان : ٣٤} فتأويل الكلام إذن ... فإنَّ الله عنده علم ما غاب علمُه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ، ولم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) يقول : وعنده علم ما لم يغب أيضًا عنكم ... فكأنَّ معنى الكلام : وعند الله ما غاب عنكم أيها الناس ...ويعلم مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم)) [1]

وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الغيب في قوله تعالى : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ) يعني علم وقت نزول المطر [2] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ) وفي مفاتح الغيب سبعة أقوال

أحدها : أنَّها خمس لا يعلمها إلّا الله عز وجل ، روى البخاري في أفراده من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلّا الله ، لا يعلم متى تقوم الساعة إلّا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلّا الله ، ولا يعلم ما في غد إلّا الله ، ولا تعلم نفس بأيّ أرض تموت إلاَّ الله ، ولا يعلم متى ينزل الغيث إلّا الله .

والثاني : أنَّها خزائن غيب السماوات من الأقدار ، والأرزاق .

والثالث : ما غاب عن الخلق من الثواب والعقاب ، وما تصير إليه الأمور .

والرابع خزائن غيب العذاب متى ينزل .

والخامسة : الوُصلة إلى علم الغيب إذا استُعلم

والسادس : عواقب الأعمار ، وخواتيم الأعمال .

([1]) جامع البيان ٢٤٧/٧ .

([2]) ينظر : نزهة الأعين ٢١٣ ومنتخب قرة العيون ص ١٨٣.

والسابع : ما لم يكن هل يكون أم لا يكون ؟ وما يكون كيف يكون وما لا يكون إن كان كيف يكون ؟))[1] فما قاله ابن الجوزي في باب الوجوه أبطله في باب التفسير .

وجعلوا الغيب في الوجه الثامن بمعنى اللوح المحفوظ في قوله تعالى : (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) والغيب واللوح المحفوظ متلازمان ؛ لأنَّ الإخبار بما غاب جميعه مكتوب في اللوح المحفوظ فالعلاقة بينهما علاقة تلازم ، لا علاقة وجوه ولفظ مشترك ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره : أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ؛ فينبؤونهم بما شاؤوا ويخبرونهم بما أرادوا)) [2] وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل الغيب بمعنى اللوح المحقوظ في الشاهد المذكور[3] لم يعيِّنه في تفسيرة بل أجاز أن يكون المعنى : ((أعندهم علم الغيب)) [4]

وجعلوا الغيب في الوجه التاسع بمعنى النفس والمال والفرج في قوله : (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ) والغيب هنا على معناه ، والمعنى حافظات لما غاب عنه أزاوجهن ، قال الطبري : ((وأمَّا قوله : (حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ) فإنَّه يعني : حافظات لأنفسهنَّ عند غيبة أزواجهنَّ عنهنَّ في فروجهنَّ وأموالهم)) [5] حتى إنَّ ابن الجوزي نفسه جعل هذا الوجه في النزهة والمنتخب بمعنى : حال الغيبة ، ووضَّح معناه بقوله : ((أي : لِما غابت عنه الأزواج من مالهم وأنفسهنَّ)) [6] هذا ما قاله في النزهة وقال في تفسيره :

([1]) زاد المسير ٤٢/٣ .

([2]) جامع البيان ٤٤/٢٧.

([3]) ينظر : نزهة الأعين ٢١٣ ومنتخب قرة العيون ص ١٨٤ .

([4]) ينظر : زاد المسير ٢٧٠/٧.

([5]) جامع البيان ٧٣/٥.

([6]) نزهة الأعين ص ٢١٣.

((والحافظات للغيب ، أي : لغيب أزواجهنَّ ، وقال عطاء وقتادة : يحفظن ما غاب عنه الأزواج من الأموال ، وما يجب عليهنَّ من صيانة أنفسهنَّ))[١]

وجعلوا الغيب في الوجه العاشر بمعنى وقت نزول العذاب في قوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) قال الطبري : ((وقوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) يعني بـ(عالم الغيب) : علم ما غاب عن أبصار عباده)) [٢] ولم يذكر الطبري غير هذا الوجه ، وقال الواحدي : ((وقوله تعالى : ((عَالِمُ الْغَيْبِ) أي : ما غاب عن العباد)) [٣] وابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الغيب في هذه الآية بمعنى : وقت نزول العذاب وقصره على هذا الغيب من دون غيره [٤] لم يعيِّنه ولم يقصره عليه في تفسيره[٥]

وجعلوا الغيب في الوجه الحادي عشر بمعنى : الظنّ أو الشكّ ، في قوله تعالى : (وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) والغيب هنا أيضًا يعني الغيب بعينه ؛ لأنَّه استعير للتمثيل المركب ، فقد شُبِّه حال اتهامهم الرسول صلى الله عليه وسلم بشتى التهم بحال ((من يقذف شيئًا وهو غائب عنه لا يراه ، فهو لا يصيبه البتة)) [٦]

وجعلوا الغيب في الوجه الثاني عشر بمعنى : الغيبة ، في قوله تعالى : (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) والغيبة هي الغيب بعينه ، فهو كحال الغيب في الوجه التاسع في قوله : (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ

---

(١) زاد المسير ٤٧/٢ .

(٢) جامع البيان ١٤٤/٢٩.

(٣) الوسيط ٣٦٩/٤ .

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٢١٣ .

(٥) ينظر : زاد المسير ١٣٥/٨.

(٦) التحرير والتنوير ١٠٤/٢٢ .

لِّلْغَيْبِ) حتى إنَّ ابن الجوزي جمع بين شاهديهما فقال : ((والثامن : حال الغيبة ، ومنه قوله تعالى في سورة النساء {الآية : ٣٤}(فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ) أي : لما غابت عنه الأزواج من مالهم ومن أنفسهنَّ وفي يوسف {الآية : ٥٢} (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ))) [١]

وجعلوا الغيب في الوجه الثالث عشر بمعنى السرّ في قوله تعالى : (إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) والسرّ قريب من معنى الغيب فيدخل في باب الترادف

وجعلوا الغيب في الوجه الرابع عشر ، يعني كلامًا ، في قوله تعالى : (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) وكيف استساغ وجوهيٌّ هذا الوجه فيقصر الغيب فيه على كلام ما ؟! ؛ لأنَّ الآية واضحة في أنَّ المراد كل ما غاب عن الإسان ، فقد جاء بلفظ (غَائِبَةٍ) وهو اسم جنس نكرة ، مجرورة بـ(مِن) التي تفيد هنا معنى استغراق نفي الجنس .

وجعلوا الغيب في الوجه الخامس عشر، يعني الخزائن والقيامة ، في قوله تعالى : (وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) قال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) أي : علم ما غاب عن العباد فيهما)) [٢]

فالغيب : مصدر : غاب ، إلّا أنَّه لم يستَعمل في القرآن الكريم بمعنى المصدر ، بل بمعنى اسم الفاعل ، فهو اسم جنس ليس له إلّا معنى واحد ووجه واحد ، وقد استعمل في كل شاهد من شواهد الوجوه الخمسة عشر المذكورة بمعنى : ما غاب ، أي : بمعناه العام ، إلّا أنَّ أهل الوجوه قصروه في شاهد كل وجه على غيب مُعيَّن ما ، قيل به من دون أن يثبت ويجمع عليه أهل اللغة والتفسير ، فهي إذن وجوه مختلقة بطريقة ما قيل ، وهذه القيلات تمثل معاني خاصّة ، والغيب معنى عام اسم جنس ينطبق

---

(١) نزهة الأعين ص ٢١٣ .

(٢) زاد المسير ١٣٤/٤.

على كل معنى منها ، فتكون هذه المعاني الخاصة المختلقة بطريقة : ما قيل ، اختُلِقَت نفسها مرة أخرى بطريقة الدراسة المعكوسة ؛ ذلك عن طريق تسمية الغيب ووصفه بمعانيها ، والصحيح تسمية هذه الأشياء ووصفها بالغيب ؛ لأنَّ الخاص يُسمَّى ويوصف بالعام ، ولا يُسمَّى العام بالخاص ، لأنَّ الخاص يندرج في معنى العام ولا يندرج العام في معنى الخاص ، فهي جميعها وجه واحد ، ولو جاز أن نجعل أسماء ما غاب عنَّا وجوهًا للغيب لأمكننا أن نجعل له وجوهًا لا تُعدُّ ولا تُحصى ؛ لأنَّ ما غاب عنَّا لا يُعد ولا يُحصى ،

فوجوه لفظ الغيب اختُلقت مرتين ففي المرة الأولى اختُلقت بطريقة ما قيل ولم يثبت ، واختُلقت مرة أخرى بطريقة الدراسة المعكوسة .

الطريقة التاسعة : طريقة الإضافة الظاهرة ، أو المقدَّرة

هذه الطريقة تجدها عند الفيروزآبادي فقد وجدته كثيرًا ما يبالغ في اختلاق الوجوه لِلَّفظ حتى إنَّه ليتعمد أن ينسب إليه ما شاه من الوجوه ، وهو يعلم علم اليقين أنَّها لا تمثل معناه ، بل معاني ما يتعلق به من أمور ، من ذلك ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

١-**الباب** : ذكر الدامغاني والفيروزآبادي للباب اثني عشر وجهًا هي :

الوجه الأول : الباب يعني : المنزل ، كقوله تعالى : (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ){الحجر : ٤٤} يعني : سبعة منازل

الوجه الثاني : الباب يعني : السكة ، كقوله تعالى : (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ){يوسف : ٦٧} يعني : سكة واحدة ، وسككًا متفرقة

الوجه الثالث : الباب بعينه ، كما قال الدامغاني ، أو الباب المعروف ، كما قال الفيروزآبادي ، كقوله تعالى : (جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ

الأَبْوَابُ)}ص : ٥٠} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)}الزمر : ٧٣} وجعل الفيروزآبادي هذين الشاهدين بمعنى : مساكن المثوبة ، واستشهد للباب المعروف بقوله : (يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ)}الرعد : ٢٣}

الوجه الرابع : الباب يعني : الدرب ، كقوله تعالى : (قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ)}المائدة ٢٣}

الوجه الخامس : الباب يعني : المدخل والمخرج ، كقوله تعالى : (وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)}البقرة : ١٨٩} يعني : من المدخل والمخرج

الوجه السادس : الباب ، يعني : مستفتح الأمر ، كقوله تعالى : (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ)}الأنعام : ٤٤} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ)}المؤمنون : ٧٧}

الوجه السابع : الباب يعني : الطريق ، كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)}الأعراف : ٤٠} يعني : طرق السماء ، وأضاف الفيروزآبادي الأوجه الآتية :

الوجه الثامن : مساكن المثوبة كقوله تعالى : (جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ)}ص : ٥٠} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)}الزمر : ٧٣}

الوجه التاسع : باب المكر والحيلة كقوله تعالى : (وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) {يوسف : ٢٣}

الوجه العاشر : باب الهروب والهزيمة من المعصية كقوله تعالى : (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ)}يوسف : ٢٥}

الوجه الحادي عشر : الباب ، يعني : أبواب الاستدراج بإظهار النعم ، كقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ){المؤمنون : ٧٧} وقد جعل الدامغاني الباب في هذا الشاهد بمعنى : مستفتح الأمر كما تقدم

الوجه الثاني عشر : الباب ، يعني : الباب المشترك بين المؤمنين والمنافقين ، كقوله تعالى : (فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ){الحديد : ١٣} [١]

قال الراغب : ((الباب يقال لمدخل الشيء ، وأصل ذلك مداخل الأمكنة ، كبابِ المدينة ، والدار ، والبيت ، وجمعه أبواب ، قال تعالى : (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ){يوسف : ٢٥} وقال تعالى : (لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ){يوسف : ٦٧} ومنه يقال : العلم باب كذا ، وهذا العلم باب إلى علم كذا ، أي : به يُتَوَصَّل إليه٠٠٠قال تعالى : (فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ){الأنعام : ٤٤} وقال عز وجل : (بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ){الحديد : ١٣} وقد يقال : أبواب الجنة وأبواب جهنم ، للأشياء التي بهما يُتَوَصَّل إليهما ، قال تعالى : (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ){الزمر : ٧٢} وقال تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا){الزمر : ٧٣}))[٢]

فتأمَّل تعريف الراغب للباب وشواهده فيه أنَّه لم يجعل له إلّا وجهًا واحدًا ، فقد استعمل الباب للمدخل إلى الشيء ، وللمخرج منه أيضًا ، والأصل استعماله في الأماكن الحسية كباب الدار ، وباب الحجرة ، وباب

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٢٢ وبصائر ذوي التمييز ١٩٨/٢-١٩٩

(٢) المفردات ص ٦٩ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢٤١/١-٢٤٢ وبصائر ذوي التمييز ١٩٩/٢

المدينة ، وباب المحلة ، ومنه استعمل في الأمور المعنوية كباب العلم ، وباب الكفر ، وباب المكر والحيلة ، وباب الهروب والهزيمة ، وباب الاستدراج ، والدليل على أنَّ الباب ليس من الألفاظ المشتركة جعلهما إيّاه في الوجه الثالث يعني الباب بعينه ؛ لأنَّ هذا يعني أنّ الوجوه الباقية لا تعني الباب بعينه ، فالوجوه التي ذكرها الدامغاني والفيروزآبادي فجميعها مختلقة ، وقد اختلقاها بطريقتين :

الأولى : طريقة الإضافة والوصف : فباب المكر والحيلة ، وباب الهروب والهزيمة ، وأبواب الاستدراج ، والباب المشترك ، كما جاء في الوجه التاسع ، والعاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، وقع الباب في هذه الأوجه الأربعة مضافًا ، وموصوفًا في الوجه الأخير ، وقد تكرر بلفظه ومعناه ، وهو الباب بعينه ، أمّا الأوجه الأربعة المذكورة فهي معاني المضاف إليه والصفة ، لا معاني المضاف والموصوف ، والتحريف الحاصل باتباع هذه الطريقة أنَّ الدامغاني والفيروزآبادي لم يجعلا المضاف والموصوف بمعناه بل بمعاني المضاف إليه والصفة من أجل اختلاق الوجوه

الثانية : طريقة الترادف ، فالمنزل ، والسكة ، والدرب ، والمدخل والمخرج ، ومستفتح الأمر ، والطريق ، ومساكن المثوبة ، كما جاء في الوجه الأول ، والثاني ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع ، والثامن ، هذه الأوجه السبعة قريبة من معنى الباب ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والتحريف الحاصل أنّهما لم يجعلا الباب بمعناه بل بمعاني مرادفاته .

٢-**الحدود** : قال الفيروزآبادي : ((بصيرة في الحدود والحديد ... والحدود جاءت في القرآن الكريم على سبعة أوجه :

الأول : حدّ الاعتكاف لإخلاص العبادة ، قال تعالى : (وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ){البقرة : ١٨٧}

الثاني : حدّ الخلع لبيان الفدية ، قال تعالى : (فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ)[البقرة : ٢٢٩]

الثالث : حدّ الطلاق لبيان الرجعة ، قال الله تعالى : (وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[البقرة : ٢٣٠]

الرابع : حدّ العدَّة لمنع الضرار وبيان المدة

الخامس : حدّ الميراث لبيان القسمة ، قال تعالى : (وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ)[النساء : ١٤]

السادس : حدّ الظهار لبيان الكفارة ، قال تعالى : (فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[الطلاق : ٤]

السابع : حدّ الطلاق لبيان مدة العدة ، قال تعالى : (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ)[الطلاق : ١]))[1]

وقع الحدّ ، كما ترى ، في جميع الأوجه المذكورة مضافًا ، وقد تكرر بلفظه بمعنى واحد ، وهو الحدّ بعينه ، أمَّا الأوجه السبعة المذكورة فهي جميعها معاني المضاف إليه لا معاني المضاف والتحريف الحاصل باتباع هذه الطريقة أنَّ الفيروزآبادي لم يجعل المضاف بمعناه بل بمعاني المضاف إليه من أجل اختلاق الوجوه

٣-**الحرام** : جعل الفيروزآبادي الحرام على عشرة أوجه اختلقها بطريقته الفيروزآبادية وهي :

((الأول : حرام الصحبة والمناكحة (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ)[النساء : ٢٣]

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/٤٣٧-٤٣٨

الثاني : حرام الفسق والمعصية : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ){الأعراف : ٣٢}

الثالث : حرام العجائب والمعجزة : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ){القصص : ١٢}

الرابع : حرام العذاب والعقوبة : (فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ){المائدة : ٧٢}

الخامس : حرام فسخ الشريعة : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ){المائدة : ٣}

السادس : حرام الحرمان والهلكة : (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ){الأنبياء : ٩٥}

السابع : حرام الهوى والشهوة : (وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا){الأنعام : ١٣٨} (وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا){الأنعام : ١٣٩}

الثامن : حرام النذر والمصلحة : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التحريم : ١}

التاسع : حرام الحظر والإباحة : (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا){المائدة : ٩٦}

العاشر : حرام التوقير والحرمة : (رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا){النمل : ٩١}

وهذا النوع يأتي على وجوه :

الأول : وصف المسجد بالحرام (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ){الفتح : ٢٧}

الثاني : نعت الأشهر بالحرام : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ){البقرة : ١٩٤}

الثالث : دعاء البيت بالحرام : (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ){المائدة : ٩٧}

وسُمِّي الحَرَم حَرَمًا لتحريم الله تعالى فيه كثيرًا مما ليس بمحرَّم في غيره من المواضع))[1]

حرام الصحبة والمناكحة ، وحرام الفسق والمعصية ، وحرام فسخ الشريعة ، وحرام الحظر والإباحة ، كما جاء في الوجه الأول والثاني ، والخامس ، والتاسع ، تمثل أنواع الحرام لا معانيه ، وحرام العذاب والعقوبة ، كما جاء في الوجه الرابع في قوله تعالى : (فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ) يعني الحرام بعينه ، بل يمثل أشد أنواع الحرام قال الراغب : ((الحرام الممنوع منه إمَّا بتسخير إلهي ، وإمَّا بمنع قهري ، وإمَّا بمنع من جهة العقل أو من جهة الشرع أو من جهة من يرتسم أمره فقوله تعالى : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ){القصص : ١٢} فذلك تحريم بتسخير ... وقوله تعالى : (فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ) فهذا من جهة القهر بالمنع)) [2] ونقل الفيروزآبادي كلام الراغب نصًّا من دون أن يشير إليه[3] وكثيرًا ما ينقل منه أقواله من دون أن ينسبها إليه ، وحرام العجائب والمعجزة كما جاء في الوجه الثالث في قوله تعالى : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ) هو وصف للتحريم لا معنى التحريم ، وكذلك حرام الحرمان والهلكة ، كما جاء في الوجه السادس في قوله تعالى : (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ) هو وصف للقرية التي وقع عليها الحرام وليس معنى الحرام ، والحرام هنا وأينما ورد يعني الحرام بعينه ، قال ابن فارس : ((الحاء والراء والميم أصل واحد ، وهو المنع الشديد ، قال الله تعالى : (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ))) [4] وقال الراغب : ((فذلك تحريم تسخير ، وقد حُمِل على ذلك : (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ

([1]) بصائر ذوي التمييز ٤٥٤/٢-٤٥٦ .

([2]) المفردات ص ١٢٠ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٤٥٤/٢ .

([3]) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٤٥٤/٢ .

([4]) مقاييس اللغة ص ٢٠٣ .

أَهْلَكْنَاهَا)))[1] وقد نقل الفيروزآبادي قول الراغب هذا بلفظه من دون أن ينسبه إليه[2] وقال الحلبي : ((الحِرْمُ : المنع وكذا الْحُرُم وقرئ (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أي : ممنوع رجوعهم))[3] فالمراد من الحرام المنع ، أي : الحرام بعينه

وحرام الهوى والشهوة ، كما جاء في الوجه السابع في قوله تعالى : (وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا) وقوله تعالى : (وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا) وحرام النذر والمصلحة كما جاء في الوجه الثامن في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) كلاهما يعنى علّة التحريم أو الدافع إليه لا معنى التحريم .

وكذلك حرام التوقير والحرمة كما جاء في الوجه العاشر وأقسامه الثلاثة في قوله تعالى (رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا) وقوله تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) وقوله تعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ) وقوله تعالى : (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ) هو معنى العلة من التحريم لا معنى التحريم والفيروزآبادي نفسه قد بيَّن سبب التحريم بقوله المذكور : ((وسُمِّي الحَرَم حَرَمًا لتحريم الله تعالى فيه كثيرًا مما ليس بمحرَّم في غيره من المواضع)) ذلك لمكانة هذه الأمكنة والأشهر عند الله سبحانه .

والحرام والمحرَّم : ما حرَّمه الله[4]وهو اسم جنس يُطلَق على كل الأشياء التي حرَّمها الله ، فكل المحرَّمات تندرج في معناه العام ، وأقرب المعاني إليه المنع ، وهو بهذا المعنى أينما ورد في القرآن الكريم ، أمّا الوجوه المنسوبة إليه فجميعها مختلقة بطريقة الإضافة الظاهرة

---

(1) المفردات ص ١٢٠

(2) بصائر ذوي التمييز ٤٥٤/٢ .

(3) عمدة الحفاظ ٣٩٦/١ .

(4) ينظر لسان العرب ٩٤/٤ .

فقد وقع الحرام ، كما ترى ، في جميع الأوجه العشرة المذكورة مضافًا ، وقد تكرر بلفظه بمعنى واحد ، وهو الحرام بعينه ، أمَّا الأوجه العشرة المذكورة فهي جميعها معاني المضاف إليه لا معاني المضاف ، والتحريف الحاصل باتباع هذه الطريقة أنَّ الفيروزآبادي لم يجعل المضاف بمعناه بل بمعاني المضاف إليه من أجل اختلاق الوجوه .

٤-**الرّجوع** : ذكر أهل الوجوه للرجوع في القرآن الكريم ثلاثة عشر وجهًا :

الأول : الرجوع بعينه ، كقوله تعالى: (فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ){البقرة : ١٨}

الثاني : الرجوع : من الرجوع أو من رجع الجواب ، كقوله تعالى : (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ){سبأ : ٣١} (فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ){النمل : ٢٨} وقوله تعالى : (فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ){النمل : ٣٥}

الثالث : الرجع بمعنى المطر : كقوله تعالى : (وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ){البروج : ١} هذا شاهد الحيري ، وهو سهو وقع فيه المصنف ، أو من تصحيف الناسخ ، والجدير بالذكر أنَّ المحقق لم ينبِّه عليه ، وكأنَّ هذا الأمر لا يعنيه ، وشاهد الدامغاني والفيروزآبادي (وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ){الطارق : ١١}

الرابع : الرجوع يعني الردّ ، كقوله تعالى : (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ){الملك : ٣-٤} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ){المؤمنون : ٩٩} أي : ردوني ، وقوله تعالى : (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ){طه : ٤٠}

الخامس : الرجوع بمعنى الرجعة بعد الطلاق ، كقوله تعالى : (فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا){البقرة : ٢٣٠}

السادس : الرجوع بمعنى الموت ، كقوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ){العنكبوت : ٥٧} وقوله تعالى : (ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ){يونس : ٢٣} يعني : بالموت

السابع : الرجوع إلى الدنيا بعد الموت ، كقوله تعالى : (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ){الأنبياء : ٩٥}

الثامن : الرجوع بمعنى الإقبال على النفس بالملامة ، كقوله تعالى : (فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ){الأنبياء : ٦٤}

التاسع : الرجوع يعني التوبة ، كقوله تعالى : (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ){الأعراف : ١٦٨}

العاشر : الرجوع يعني الرجوع إلى الله تعالى ، كقوله تعالى : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ {٢٧} ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً){الفجر : ٢٧-٢٨}

الحادي عشر : الرجوع بعينه أو بمعنى العود كقوله تعالى : (لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ){يوسف : ٤٦} أي : أعود إلى الناس وقوله تعالى : (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ){النمل : ٣٧} أي : عد إليهم وقوله تعالى : (لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ){المنافقون : ٨} أي : لئن عدنا

الثاني عشر : الرجوع بمعنى مصير الخلق إلى الله ، ومصير أمور العالم إلى كلمته كقوله تعالى : (وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُورُ){البقرة : ٢١٠}

الثالث عشر : الرجوع بمعنى رجوع أخوة يوسف إليه كقوله تعالى : (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ){يوسف : ٦٢} [١]

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٢١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٣٢-٢٣٣ وبصائر ذوي التمييز ٣/٣٩-٤٠

قال ابن فارس : ((الراء والجيم والعين أصل كبير مطّرد يدلُّ على ردٍّ وتكرار ، تقول : رجع يرجع رجوعًا ... وامرأة راجع : مات زوجها فرجعت إلى أهلها ، والترجيع في الصوت : ترديده ... وأرجعتِ الإبلُ : إذا كانت مهازيل فسمنتْ وحسنتْ حالها ، وذلك رجوعها إلى حالها الأولى ، فأمَّا الرَّجع والغيث ، وهو المطر في قوله جلَّ وعزَّ : ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ﴾{الطارق : ١١} وذلك أنَّها تغيث وتصبُّ ثم ترجع فتغيث)) [١]

وقال الراغب : ((الرجوع : العود إلى ما كان منه البدءُ ، أو تقدير البدء مكانًا كان أو فعلًا أو قولًا ، وبذاته كان رجوعه ، أو بجزء من أجزائه ، أو بفعل من أفعاله ، فالرجوع العود ... فمن الرجوع قوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾{المنافقون : ٨} وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾{يوسف : ٦٣} وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾{آل عمران : ١٥٠} ... وقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ﴾{الطارق : ١١} أي : المطر ، وسُمِّيَ رجعًا لردِّ الهواء ما تناوله من الماء ، وسُمِّيَ الغدير رجعًا إمَّا لتسميته بالمطر الذي فيه ، وإمَّا لتراجع أمواجه وترددِه في مكانه)) [٢] وقال الحلبي : ((وقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ {الطارق : ١١} هو المطر سُمِّي بذلك ؛ لأنَّه يرجع كل سنة فيتكرر ، وقيل : ذات المطر بعد المطر ، وهو بمعناه)) [٣]

اختلق أصحاب كتب الوجوه هذه الوجوه المنسوبة إلى الرجوع بخمس طرائق :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٧٢-٣٧٣

(٢) المفردات ص ١٩٥-١٩٦وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٧٣/٢-٧٤ وبصائر ذوي التمييز ٣٩/٣

(٣) عمدة الحفاظ ٧٣/٢

الأولى : طريقة الإضافة الظاهرة : فقد جعلوا الرجوع بمعنى : رجع الجواب ، ورجوع إخوة يوسف عليه السلام ، كما جاء في الوجه الثاني ، والثالث عشر ، وقد وقع الرجوع ، كما ترى ، في الوجهين مضافًا ، وقد تكرر بلفظه بمعنى واحد ، وهو الرجوع بعينه ، أمَّا الوجهان فهما معنيا المضاف إليه لا معنيا المضاف إليه ، والتحريف الحاصل باتباع هذه الطريقة أنَّهم لم يجعلوا المضاف بمعناه بل بمعنى المضاف إليه من أجل اختلاق الوجوه .

الثانية : طريقة الإضافة المقدّرة : فقد جعلوا الرجوع بمعاني : الرجعة بعد الطلاق ، والرجوع إلى الدنيا ، والرجوع إلى الله ، كما جاء في الوجه الخامس ، والسابع ، والعاشر ، وقد تكرر الرجوع ، كما ترى ، في الأوجه الثلاثة ، بلفظه بمعنى واحد ، وهو الرجوع بعينه ، أمَّا الأوجه فهي معاني أشباه الجمل التي تعدى اليها بحرف الجر لا معاني الرجوع ، والتحريف الحاصل باتباع هذه الطريقة أنَّهم لم يجعلوا الرجوع بمعناه بل بمعاني ما تعدى اليه من أجل اختلاق الوجوه

الثالثة : طريق الدراسة المعكوسة : فقد جعلوا الرجوع في الوجه الثالث بمعنى المطر في قوله تعالى (وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ) وقد تقدم أنَّ أهل اللغة ذكروا أنَّ المطر سُمِّي بالرجع ؛ لأنَّه يجيء ويرجع كل سنة فيتكرر[1] وهذا ما أجمع عليه أيضًا أهل التفسير[2] فيكون أهل اللغة وأهل التفسير قد أجمعوا على أنَّ الرجع لا يعني المطر ، بل هو صفة له ، والتقدير : والسماء ذات المطر الرجع ، فجعل الرجع بمعنى المطر تحريف لدلالته ،

([1]) ينظر : مقاييس اللغة ص ٣٧٣ والمفردات ص ١٩٦ وعمدة الحفاظ ٧٣/٢ ولسان العرب ١١٠/٦

([2]) ينظر : جامع البيان ١٨٠/٣٠ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٤٠/٥ والمحرر الوجيز ٤٦٦/٥ وزاد المسير ٢٤٢/٨

لغة وتفسيرًا ، وهذه إحدى الطرئق التي اتبعها أهل الوجوه في اختلاق الوجوه ، وهي طريقة الدراسة المعكوسة ، ذلك بعدم جعل اللفظ بمعناه بل بمعنى موصوفه ، وعند أهل اللغة أنَّه كثيرًا ما يُحذَف الموصوف وتقوم الصفة مقامه في الموقع والحكم والإعراب من دون أن تقوم مقامه في المعنى ، ففي جعل الرجع بمعنى المطر هدم كبير لقاعدة من قواعد لغة كتاب الله ، وهو الخلط بين الصفة وموصوفها في الدلالة .

الرابعة : عدم تحرّي الصواب والدقة في التفسير : فقد جعلوا الرجوع في الوجه السادس بمعنى الموت ، في قوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) وقوله تعالى : (ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) والرجوع لا يعني الموت ، وإنَّما المعنى : الرجوع إليه بعد الموت[1] وكيف يصحُّ أن يكون المعنى أو التقدير : ثمَّ إليه تموتون ؟! والجدير بالذكر أنَّ الدامغاني نفسه بعد أن جعل الرجوع بمعنى الموت عاد وصرَّح أنَّ المراد الرجوع إليه بالموت ، فيكون الموت لا يعني الرجوع ، بل هو أحد وسائله ، فنحن نرجع إلى الله سبحانه بالموت في الدنيا ، وبالبعث من قبورنا يوم القيامة ، وبالحشر إليه ، بل الأولى أن يُقرَن الرجوع إليه بالبعث والنشور لا بالموت

الخامسة : طريقة الترادف : فقد جعلوا الرجوع بمعاني مرادفاته : الردّ ، والإقبال على النفس ، والتوبة ، والعود ، والمصير ، كما جاء في الوجه : الرابع ، والثامن ، والتاسع ، والحادي عشر ، والثاني عشر .

الرجوع والرد : جعل الدامغاني والفيروزآبادي الرجوع في الوجه الرابع بمعنى الردّ في قوله تعالى : (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ){الملك : ٣-٤} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ

([1]) ينظر : مدارك التنزيل ص ٨٩٧

قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ)}المؤمنون : ٩٩} أي : ردّوني ، وقوله تعالى : (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ)}طه : ٤٠}

وما حملهما على جعل الرجوع بمعنى الردَّ إلّا ظنّهما بوحدة معنييهما ، وهذا ما عليه أهل اللغة والتفسير ؛ لذلك لم أجد منهم من أحد من فرَّق بينهما ، إلّا أنَّه يمكن أن تجد هذا الفرق من خلال التعريف ، فقد عرَّف ابن فارس الردّ بأنَّه ((أصل واحد مطرد منقاس وهو رجع الشيء ، تقول : رددتُ الشيء أرده ردًّا ، وسمِّي المرتدّ ؛ لأنَّه ردَّ نفسه إلى كفرها))[١] وعرَّف الرجوع كما تقدم بأنَّه ((أصل كبير مطّرد يدلُّ على ردٍّ وتكرار))[٢] وهذا هو الفرق الأول بينهما أنَّ الرجوع يدل من دون الردّ على التكرار ، وهذا هو معناه في قوله تعالى : (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ)}الملك : ٣-٤} لأنَّه أراد تكرار البصر بالرجوع إليه ، فمعنى قوله (فَارْجِعِ الْبَصَرَ) كرر البصر والنظر ، ومعنى قوله : (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) كرر النظر مرة بعد مرة [٣]

وقال الراغب : ((ومن هذا الردّ إلى الله تعالى نحو قوله : (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)}التوبة : ٩٤} وقوله تعالى : (ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ)}الأنعام : ٦٢} فالردّ كالرجع في قوله تعالى : (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)}البقرة : ٢٨}))[٤] ولذلك لم أجد أحدًا من أهل اللغة أو التفسير من تطرَّق إلى الفرق بين الرجع في قوله : (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ)}طه : ٤٠} والردّ في قوله تعالى : (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ)}القصص : ١٣}

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٢ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٧٢

(٣) ينظر : جامع البيان ٦/٢٩ والوسيط ٣٢٦/٤ وزاد المسير ٨٧/٨

(٤) المفردات ص ١٩٩وينظر : عمدة الحفاظ ٨٢/٢-٨٤

وبما أنَّ القرآن الكريم قد استعمل هذين اللفظين فلا بدَّ من أن يكون أحدها غير الآخر ، ويجب علينا جميعًا أن نؤمن بهذه الحقيقة ، وإذا بدا لنا لفظان قرآنيان أنَّهما بمعنى واحد فهو لجهلنا بالفرق الدلالي الموجود حتمًا بينهما ، والجهل بالشيء لا يعني عدم وجوده ، وقد ظهر لي أنَّ الردّ أو الارتداد غير الرجوع ، ففي قولك مثلًا : خرج فلان من بيته صباحًا ورجع إليه مساءًا ، تقول رجع ولا تقول ارتدَّ ؛ لأنَّ المراد في المعتاد والأغلب رجوعه إلى بيته بخطوات مساوية وموازية لخطوات خروجه منه ، فإن كان رجوعه أخصر وأسرع فالأصح والأدق أن يقال : ارتدَّ لا رجع

ونقول : سمن فلان ورجع نحيلا ، إذا كان قد تدرَّج نحوله تدرَّج سمنه ، فإذا أصابه النحول فجأة ، وجب أن نقول : سمن فلان وارتدَّ نحيلًا ، نقول هذا وذاك إذا أردنا التعبير بدقة عمّا يدلُّ عليه كلٌّ منهما ، فرجوع الشيء إلى ما كان عليه بخطوات متتالية بنحو انصرافه عنه يُسمَّى رجوعًا ، أمَّا رجوعه إليه بخلاف ذلك وبخطوة واحدة فهر الارتداد ، وبهذا المعنى الذي يمثل الفرق الثاني العام بينهما استعملا في القرآن الكريم ، فإذا أراد المعنى الأول استعمل لفظ الرجوع ، وإذا أراد الثاني استعمل لقظ الردّ ، فقد قال (فَرَجَعْنَاكَ) في سورة طه لأنَّه أراد أن يكون تسلسل رجوعه إلى بيت أمَّه موازيًا لتسلسل وصوله إلى بيت فرعون ، وهذا ما يدلَّ عليه السياق فقد بدأ الوصول بالإيحاء إلى أمِّه ، ثم قذفه في التابوت ، ثمَّ قذفه في اليمِّ ، ثم رميه بالساحل ، ثم إلقاء محبة الناس عليه ، ثمَّ دخوله بيت فرعون ، قال تعالى : (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى {٣٦} وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى {٣٧} إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى {٣٨} أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي {٣٩} إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا

فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى {٤٠} وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي){طه : ٣٦-٤١} وتأمّل أنَّ هذه الآيات تضمنت أيضًا تسلسل منِّ الله ونعمه على موسى برجوعه إلى أمِّه ، ثم تنجيته من الغم بعد قتله الرجل المصري ، ثم لبثه سنين في أهل مدين ، ثم مجيئه على قدر الله ، ثمَّ اصطناعه الله لنفسه .

وقال في سورة القصص (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ) لأنَّه أراد رجوعه إلى أمّه بخطوة واحدة ، بخلاف وصوله إلى فرعون بعدة خطوات متتالية ، قال الله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {٧} فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ {٨} وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ {٩} وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {١٠} وَقَالَتْ لاخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ {١١} وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ {١٢} فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ){القصص : ٧-١٣}

واستعمل لفظ الردّ من دون الرجوع لأنَّه أدلُّ على قدرة الله ، وهذه هي الدلالة المرادة في سياق هذه السورة ، وهذا ما تلحظه في قوله تعالى : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ) وقوله تعالى : (وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) ولذلك قال (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ) ليكون تحقيقًا لقوله تعالى : (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ)

وليس الردّ في قوله تعالى : (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) وقوله تعالى : (ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ) هو بمعنى الرجوع في قوله

تعالى (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) كما ادعى الراغب فيما تقدم [1] فقد استعمل الردّ في سورة التوبة والأنعام ؛ لأنَّه أراد الردّ إليه سبحانه بنقلة واحدة ، واستعمل الرجوع في سورة البقرة ؛ لأنَّه أراد الرجوع إليه بخطواته المتتالية ، وهذا ما يدلّ عليه السياق بكل وضوح ، فقد تقدمته مراحل النشأة والمصير مُرَتّبة مرحلة بعد مرحلة ، قال الله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ){البقرة : ٢٨}

وجعل الفيروزآبادي الرجوع في الوجه الثامن بمعنى الإقبال على النفس بالملامة ، في قوله تعالى : (فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ) وهو كالوجه الثاني الذي جعل فيه الرجوع بمعنى رجع الجواب ، وجاء في التفسير أنَّ ((قوله تعالى (فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ) فيه قولان ، أحدهما : رجع بعضهم إلى بعض ، والثاني : رجع كلٌّ منهم إلى نفسه))[2] فيكون المراد من الرجوع هنا الرجوع بعينه

وجعل الدامغاني الرجوع في الوجه التاسع بمعنى التوبة في قوله تعالى : (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون) بل المراد معنى الرجوع إلى ما كانوا عليه من الطاعة وعدم المعصية[3] وقد مرَّ تعريف الرجوع بأنَّه يعني العود إلى ما كان منه البدء ، فيكون المراد الرجوع بعينه

الرجوع والعَود : وجعل الدامغاني كما جاء في الوجه الحادي عشر الرجوع يعني الرجوع بعينه ، أو العود فقال : ((الرجوع بعينه ، قوله تعالى : (لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ){يوسف : ٤٦} أي : أعود إلى الناس ، وقوله تعالى : (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ){النمل : ٣٧} أي : عد إليهم ، وقوله تعالى :

([1]) ينظر : المفردات ص ١٩٩وعمدة الحفاظ ٨٢/٢-٨٤

([2]) زاد المسير ٢٦٨/٥

([3]) ينظر : المحرر الوجيز ٤٧٢/٢

(لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ){المنافقون : ٨} أي : لئن عدنا)) [١] فتفسيره الرجوع بعينه بالعود ، يدلَّ على أنَّهما عنده معنيان متطابقان ، والحقيقة أنَّهما ليسا معنيين متطابقين ، ولكن يبدوان كذلك لشدة تقاربهما ، حتى إنِّي لم أجد مَن فرَّق بينهما في المعنى ، لا في كتب اللغة ولا في كتب التفسير ، وقد ذكرت من قبل غير مرة أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، وبما أنَّ القرآن الكريم قد استعمل هذين اللفظين كلًّا منهما في مواضع كثيرة ، فلا بدَّ من أن يكون بينهما فرق في الدلالة ، وأنَّه قد استعمل كلًّا منهما لدلالته ، ويمكن التعرف أيضًا إلى هذا الفرق من خلال التعريف ، فقد عُرِّف الرجوع كما تقدم بأنَّه يعني الرجوع إلى ما كان منه البدء ، أمَّا العود فيعني القيام بالعمل مرة ثانيه فـ((قول القائل : أعاد فلان كذا ، لا يفيد إلّا إعادته مرة واحدة)) [٢] قال الخليل : ((العود : تثنية الأمر عودًا بعد بدء ، بدأ ثم عاد ، والعودة مرة واحدة ... وتقول : عاد فلان علينا معروفُه : إذا أحسن ثم زاد)) [٣] وقال ابن فارس : ((العين والواو والدال أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على تثنية في الأمر ... وقولهم : عاد فلان بمعروفه ، وذلك إذا أحسن ثم زاد ... ويقولون : أعاد الصلاةَ والحديثَ)) [٤] فالعود غير الرجوع ، فقولك : رجع فلان إلى بيته ، يعني أنَّه سلك في رجوعه إليه طريق ذهابه ، حتى وصل إلى ما بدأ الذهاب منه ، ولا يكون هذا المعنى هو المراد ، إذا قلنا : عاد فلان إلى بيته ، بل المراد أنَّه كان من قبل في بيته ، ثم صار فيه مرة ثانية ، ولأنَّهما اختلفا في المعنى اختلفا في الاستعمال ، من ذلك ورود الرجوع متعديًا إلى معموله بـ(إلى) من دون اللام ، و(في) كقوله تعالى :

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٣٣

(٢) ينظر : الفروق اللغوية للعسكري ص ٥١

(٣) العين ص ٦٩٣

(٤) مقاييس اللغة ص ٦٢٢

(لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ){المنافقون : ٨} وقوله تعالى : (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ){الأعراف : ١٥٠} وقوله تعالى : (فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ){التوبة : ٨٣} وقوله تعالى : (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ){التوبة : ٩٤} وقوله تعالى : (حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى){طه : ٩١} وقوله تعالى : (فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ){يوسف : ٦٣} وقوله تعالى : (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ){سبأ : ٣١} وقوله تعالى : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ {٢٧} ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً){الفجر : ٢٧-٢٨} وورد قوله تعالى : (وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُورُ){البقرة : ٢١٠}{آل عمران : ١٠٩}{الأنفال : ٤٤}{الحج : ٧٦}{فاطر : ٤}{الحديد : ٥} وتكرر كثيرًا لفظ الرجوع إلى الله ، كقوله تعالى : (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ){البقرة : ٢٨١} وقوله تعالى : (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى){العلق : ٨} وكذلك تكرر لفظ المرجع إلى الله سبحانه ، كقوله تعالى : (إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا){المائدة : ٤٨} وقوله تعالى : (ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ){الأنعام : ١٠٨} وورود العود متعديًا إلى معموله باللام و(في) من دون (إلى) كقوله تعالى : (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ {٨٨} قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا){الأعراف : ٨٨-٨٩} والمعنى : أن تعودوا في ملتنا كما كنتم ، وقوله تعالى : (أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى){الإسراء : ٦٩} أي : يعيدكم في البحر كما كنتم فيه قبل ذلك ، وقوله تعالى : (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى){طه : ٥٥} : والمعنى : نعيدكم في الأرض ترابًا ، كما كنتم فيها ترابًا ، وقوله تعالى : (كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ){الحج : ٢٢} أي : أعيدوا في قعر النار ، كما كانوا ، وقوله تعالى : (وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ){الأنعام : ٢٨} من الإشراك بالله ، وقوله تعالى : (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ){النور : ١٧}

وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا){المجادلة : ٣} وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ){المجادلة : ٨} فالعود يعني تثنية العمل ، أو القول ، أو الحالة ، أو المقام في مكان ، كما قال تعالى : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ){الأعراف : ٢٩} جاء في التفسير أنَّ ((في قوله تعالى : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) ثلاثة أقوال :

أحدها : كما بدأكم سعداء وأشقياء ، كذلك تُبعثون .

والثاني : كما خُلِقتم بقدرته ، كذلك يعيدكم .

والثالث : كما بدأكم لا تملكون شيئًا ، كذلك تعودون))[1] وهذا الاختلاف بينهما في الاستعمال متاتٍّ كما تقدم من أنَّ الرجوع يعني الرجوع إلى ما كان منه البدء ، أي : الرجوع إلى الشيء بعد التخلي عنه وتركه ، أمَّا العود فيعني تثنية الشيء ، أو تثنية حالته ، فقوله تعالى (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ){البقرة : ٢٨} يعني : أنَّنا كنا عند الله قبل أن يخلقنا ، ثم انتقلنا إلى الدنيا ، ثم رجعنا إليه بعد موتنا وبعثنا ، ولو قيل : ثُمَّ إِلَيْهِ تعودون ، لأفاد أنَّنا عدنا للحالة التي كنَّا عليها ، أي : كنا بالأمس عند الله ، ثم صرنا اليوم عنده ، فقولك : رجع فلان إلى بيته ، معناه سلك في طريق رجوعه إليه طريق ذهابه منه ، ولو قلت : عاد إليه ، لكان المراد : عاد إلى بيته كما خرج منه ، وهذا الفرق الذي بينهما في الأعيان هو نفسه عند استعمالهما في المعاني ، كقولك : رجع فلان إلى صدقه ، وعاد فلان إلى صدقه ، فالأول يفيد أنَّه سلك في رجوعه إلى صدقه طريق انصرافه عنه ، وهذا يدلُّ أيضًا على انصرافه عنه قبل رجوعه إليه ، والثاني يفيد تثنية صدقه ، من دون أن يدلّ على أنَّه قد انصرف عنه قبل ذلك ، فالرجوع إلى الشيء يعني الرجوع إلى مبتدأه ، وإعادته لا يعني الرجوع إليه بل إعادة حالته

([1]) زاد المسير ١٤٢/٣

فالرجوع يعني الرجوع إلى الشيء بعد تركه أو بعد الذهاب عنه ، فيكون بين الشيء والرجوع إليه فاصل ؛ لذلك جاء تعديه إليه بـ(إلى) لا باللام ؛ لأنَّه أطول بناءً ، وليس كذلك العود فليس بينهما فاصل لذلك جاء تعديه إليه باللام لا بـ(إلى) لأنَّه أقصر بناء ، فـ(إلى) مركب من ثلاثة أحرف واللام من حرف واحد ، فالرجوع غير العود فجعله بمعناه تحريف لدلالته .

الرجوع والمصير : وجعل الفيروزآبادي الرجوع في الوجه الثاني عشر بمعنى المصير في قوله تعالى : (وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُورُ) تقدم معنى الرجوع ، والمصير هو منتهى الشيء وآخره وغايته[1]كقوله تعالى : (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ){الشورى : ٥٣} فقوله تعالى : (وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُورُ) يعني رجوع الأمور إلى ما كان منه البدء ، أي : أنَّها تصدر منه سبحانه ، ثم ترجع إليه ، بعد أن سخَّر منها للناس ما سخَّره ، والمعنى أنَّ مبتدأها منه ومرجعها إليه ، وقوله تعالى : (أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) معناه أنَّ الأمور كلها منتهاها إليه سواء كان ابتداؤها منه أم لا ، فالمرجع غير المصير ، فجعله بمعناه تحريف لدلالته .

٥-الزيادة : قال الفيروزآبادي : ((وقد وردت الزيادة على وجوه مختلفة في القرآن الكريم ، كزيادة نفرة نوح من دعواهم ، وزيادة خسارهم من أتباع أهل الضلال ، وزيادة خسار ثمود ، وزيادة قوة قوم عاد ، وزيادة العلم والجسم لِمَلِك الإسرائيليين ، وزيادة الإحسان من قوم موسى للمحسنين ، وزيادة كيل القوت من يوسف لإخوته ، وزيادة العدد من قوم يونس ، وزيادة الهدى من الله ، وزيادة العلم والحكمة لسيد المرسلين ، وزيادة اليقين والإخلاص للصحابة ، وزيادة خشية الصحابة عند سماع القرآن ، وزيادة خسار الظالمين ، وزيادة رجس المنافقين ، وزيادة الشك والشبهة للكفار ،

([1]) ينظر : لسان العرب ٣١٤/٨

وزيادة عذابهم ، وزيادة تطاول الجن ، وزيادة الفضل للمطيعين ، وزيادة القربة للعارفين ، وزيادة اللقاء والرؤية لأهل الجنة))[1] ذكر هذه الوجوه مع الاستشهاد لها بالآيات القرآنية ، وهذه الوجوه كما ترى ليست وجوهًا للزيادة ، بل هي معاني ما أضيفت إليه ، فقد أريد من الزيادة الزيادة بعينها ، فهذه الوجوه ونحوها منطوية جميعها تحت قول الراغب المذكور : ((الزيادة أن ينضمَّ إلى ما عليه الشيء في نفسه شيء آخر)) وهذا هو حال كل وجه من وجوه الفيروزآبادي ، فهي وجوه مختلقة بطريقة الإضافة[2]

٦-**الزينة** : قال الفيروزآبادي ((وقد وردت الزينة في القرآن على عشرين وجهًا : [3]

الأول : زينة الدنيا :

الثاني : زينة الملابس :

الثالث : زينة ستر العورة : (خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ){الأعراف : ٣١}

الرابع : زينة قارون بماله ورجاله : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ){القصص : ٧٩}

الخامس : زينة النساء بالحُلِيّ : (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ){النور : ٣١}

السادس : زينة العجائز بالثياب الفاخرة .

السابع : زينة العيد .

الثامن : زينة عاريّة الفبط

التاسع : زينة آل فرعون (آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً){يونس : ٨٨}

---

(١) بصائر ذوي التمييز٣/١٥١-١٥٣

(٢) ينظر : كتابي : طرائق اختلاق الوجوه / الطريقة التاسعة ، طريقة الإضافة

(٣) وما ذكره واحد وعشرون وجهًا

العاشر : زينة أهل الدنيا .

الحادي عشر : زينة المسافرين بالمراكب .

الثاني عشر : زينة حب الشهوات : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ){آل عمران : ١٤}

الثالث عشر : زينة قتل الولدان .

الرابع عشر : زينة الحياة لذوي الطغيان .

الخامس عشر : زينة أحوال الماضين .

السادس عشر : زينة الشيطان الضلال لمتبعيه .

السابع عشر : زينة الله لأعدائه خذلانهم

الثامن عشر : زينة السماء لأولي الأبصار .

التاسع عشر : زينة الأرض بالنبات والرياحين (حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ){يونس : ٢٤}

العشرون : زينة الفلك بالكواكب :

الحادي والعشرون : زينة الأفلاك السبع بالسيارات السبع : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ){الصافات : ٦}))[١]

هذه الوجوه أهي معاني الزينة أم معاني ما أضيفت إليه ؟! أليس قد أريد من الزينة الزينة بعينها في جميعها حتى إنَّه قد كرر الزينة في كل وجه منها ؟! أليس تعني في جميع هذه الوجوه الزينة كما عرّفها الفيروزآبادي نفسه ، عندما قال قبل ذكرها : ((الزينة : ما يُتزيَّن به))[٢] فكل ما ذكره هو مما يُتزيَّن به ، وهذه الوجوه لم يختلقها إلّا عن طريق تحريف دلالة اللفظ ، وهذا التحريف حاصل من طريقين : الأول : عدم جعل الزينة بمعناها بل بمعاني

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١٥٧/٣-١٥٩

(٢) بصائر ذوي التمييز ١٥٥/٣

ما أضيفت إليه ، والتحريف الجاصل أنّه لم يجعل المضاف بمعناه بل بمعاني المضاف إليه ، والثاني : أنَّ هذه الوجوه جميعها ليست هي الزينة بل هي الموصوفات بالزينة ، والتحريف الحاصل أنَّه لم يجعل الصفة بمعناها بل بمعاني موصوفاتها

٧-**الصلاة** : قال ابن قتيبة : ((الصلاة : الدعاء ، قال الله تعالى : (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ){التوبة : ١٠٣} والصلاة من الله الرحمة والمغفرة ، قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا){الأحزاب : ٥٦} ... وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم صلِّ على آل أبي أوفى . يريد : ارحمهم واغفر لهم ، والصلاة : الدين ، قال تعالى حكاية عن قوم شعيب : (أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا){هود : ٨٧} ويقال : قراءتك))[١] وقال العسكري : ((الصلاة : أصلها الدعاء ، صليت : إذا دعوت ، وسميت الصلاة لما فيها من الدعاء ، والصلاة على الجنازة ؛ لأنَّها دعاء لا سجود فيه ولا ركوع ، واستعمل في القرآن على خمسة أوجه زعموا :

الأول : الدعاء ، قال الله تعالى : (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ){التوبة : ١٠٣} أي : ادع لهم إنَّ دعاءك مما يسكنهم وتطمئن إليه ، وقيل معناه : استغفر لهم[٢] ومعناهما قريب ... قال بعضهم ، قوله تعالى : (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ){التوبة : ١٠٣} أي : ترحم عليهم أنَّهم يسكنون إلى ذلك .

الثاني : الرحمة ، قال تعالى : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ){البقرة: ١٥٧} وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم صل على آل أبي أوفى ، أي : ارحمهم ، وهذا والأول واحد ؛ لأنَّ الترحم دعاء

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩٤

الثالث : الصلاة المعروفة ، قال تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ)(الإسراء : ٧٨}

الرابع : قوله تعالى : (أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)(هود : ٨٧} قال المفسرون : أراد قراءتك ، والمشهور الصلاة المعروفة

الخامس : المغفرة ، قال تعالى : (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ)(الأحزاب : ٤٣} يعني : أنَّه يغفر لكم إذا تبتم إليه ، ويستغفر لكم ملائكته ، وهذا الوجه قريب من الوجه الثاني ؛ لأنَّ الرحمة والمغفرة يتقاربان))[1] وأضاف أهل الوجوه بعد ابن قتيبة والعسكري الوجوه التالية .

السادس : بيوت الصلاة ، قوله تعالى في سورة الحج : (صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ)(الحج : ٤٠}

السابع : القراءة ، ومنه قوله تعالى : (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً)(الإسراء : ١١٠}

والثامن : صلاة الجمعة ، ومنه قوله تعالى : (إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)(الجمعة : ٩}

والتاسع : صلاة العصر ، ومنه قوله تعالى في سوة المائدة : (تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ)(المائدة : ١٠٦}

والعاشر : صلاة الجنازة : ومنه قوله تعالى في براءة : (وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ)(التوبة : ٨٤}

الحادي عشر : بمعنى صلاة الخوف : (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ)(النساء : ١٠٢}

الثاني عشر : بمعنى صلاة الجماعة : (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا)(المائدة : ٥٨}

([1]) الوجوه والنظائر ص ٢٠٥-٢٠٧.

الثالث عشر : بمعنى صلاة السفر : (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ)(النساء : ١٠١}

الرابع عشر : بمعنى صلاة الأمم الماضية : (وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)(مريم : ٣١}

الخامس عشر : بمعنى الصلوات الخمس : (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)(البقرة : ٤٣}

السادس عشر : بمعنى الإسلام : (فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى)(القيامة : ٣١}))

السابع عشر : صلاة الجبابرة ، كقوله تعالى : (وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا)(التوبة : ٨٤}

الثامن عشر : صلاة الفجر : كقوله تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ)(هود : ١١٤}

التاسع عشر: صلاة الظهر ، كقوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ)(الإسراء : ٧٨}

العشرون : صلاة النافلة ، كقوله تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)(طه : ١٣٢}

الحادي والعشرون : صلاة الغداة ، كقوله تعالى : (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ)(الإسراء : ١١٠}

الثاني والعشرون ، صلاة العيد ، كقوله تعالى : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)(الكوثر : ٢}

الثالث والعشرون : صلاة عيد الفطر : كقوله تعالى : (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)(الأعلى : ١٥}

الرابع والعشرون : المسجد ، كقوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ)(الإسراء : ٧٨}

الخامس والعشرون : الخشوع ، كقوله تعالى : (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ)[التوبة : ٥][١]

قال ابن فارس : ((فالصلاة هي الدعاء ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دُعِي أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن كان مفطرًا فليأكل ، وإن كان صائمًا فليصل ، أي : فليدع لهم بالخير والبركة ... والصلاة هي التي جاء بها الشرع من الركوع والسجود وسائر حدود الصلاة ، فأمَّا الصلاة من الله تعالى فالرحمة))[٢]

وقال الراغب : ((والصلاة : قال كثير من أهل اللغة هي الدعاء والتبريك والتمجيد ، يقال : صليتُ عليه ، أي : دعوتُ له وزكيتُ ...والصلاة التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء ، وسُمِّيت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه)) [٣] ((والصلاة لغة : الدعاء ، وأمَّا الشرعية فذات الأركان المعلومة ، وهي مشتقة من ذلك ؛ لأنَّها مشتملة على الدعاء)) [٤] والحقيقة أنَّ الصلاة لا تعني الرحمة بعينها أو الاستغفار بعينه أو الدعاء بعينه ، وإن جُعِلت بهذه المعاني في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[الأحزاب : ٥٦] بل هي تجمع بينها ، أو تقع في مفترق الطرق من هذه المعاني ونحوها ، فلو كانت مثلًا بمعنى الرحمة لما عُطِفت على الصلاة في قوله تعالى : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)[البقرة : ٢٥٧] ((ويمنع كون الصلاة في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٧٠-٢٧٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩٤-٢٩٥ ونزهة العين ص ١٧٩-١٨٠ ومنتخب قرة العيون ص ١٦٠-١٦٢وبصائر ذوي التمييز ٤٣٤/٣-٤٣٨ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٩٠.

(٣) المفردات ص ٢٩٦

(٤) عمدة الحفاظ ٢٥٠/٢

وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) مشتركة بين الرحمة والاستغفار ؛ لأنَّه لم يثبت عن أهل اللغة ، بل هي حقيقة في الدعاء ؛ ولأنَّ سياق الآية إيجاب اقتداء المؤمنين بالله وملائكته في الصلاة على النبي ، فلا بد من اتحاد معنى الصلاة في الجميع سواء كان معنى مجازيًّا أو حقيقيًّا)) [1] فالآية ((سيقت لإيجاب اقتداء المؤمنين بالله وملائكته ، ولا يصح ذلك إلّا بأخذ معنى عام شامل للكلّ ، وهو الاعتناء بشأنه ، فيكون المعنى : الله وملائكته يعتنون بشأن النبي يا أيها الذين آمنوا اعتنوا أنتم أيضًا بشأنه ... فالصلاة ها هنا لمعنى الاعتناء سواء كان حقيقة أو مجازًا ، وهو مفهوم واحد ومعنى عام)) [2]

وقال الفيروزآبادي : ((والصلاة : الدعاء والرحمة واالاستغفار وحسن الثناء من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعبادة فيها ركوع وسجود ... وسميت العبادة المعروفة صلاة كتسمية الشيء ببعض ما يتضمنه ، والصلاة من العبادات التي لم تنفك شريعة منها ، وان اختلفت صورها ، ولذلك قال تعالى : (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا){النساء : ١٠٣} ... ويسمَّى موضع العبادة صلاة ؛ ولذلك سميت الكنائس صلوات قال تعالى : ((لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ){الحج : ٤٠}))[3]

جعل الحيري الصلاة في الوجه الخامس والعشرين بمعنى ((الخشوع في قوله (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ){التوبة : ٥} ويقال : هي صلاة نفسها))[4]والوجه إذا احتمل معنى آخر يخرج من باب الوجوه ويدخل في باب

([1]) الكليات للكفوي ص ٩٨ .

([2]) كشاف اصطلاحات الفنون ٥٢٨/٢

([3]) بصائر ذوي التمييز ٤٣٥/٣-٤٣٦

([4]) وجوه القرآن ص ٢٧١.

التأويل والتفسير ، وجَعْلُ الصلاة بمعنى الخشوع في هذه الآية ليس له ما يسوغه ، وليس من قرينة تدل عليه ، فكل من يقرأ قوله تعالى : (وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ) فإنَّه لا يفهم من الصلاة هنا غير الصلاة بعينها إلّا أنَّه أمكن أن يُفهَم أن يكون المراد من الخشوع الصلاة ، لو قيل في الكلام : وأقاموا الخشوع ؛ لوجود قرينة القيام ؛ لأنَّه يقال : أقاموا الصلاة ، ولا يقال : أقاموا الخشوع ، وهذه هي طريقة الدراسة المعكوسة التي اختلقوا بها الوجوه ، وهي أنَّهم سموا الصلاة بالخشوع ، وهي تسمية غير صحيحة ، والصحيح تسمية الخشوع بالصلاة .

وجَعَلَها في الوجه السابع عشر بمعنى ((صلاة الجبابرة ، كقوله تعالى : (وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا){التوبة : ٨٤}))[١] جاء في التفسير : ((قوله تعالى : (وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم) سبب نزولها : أنَّه لمَّا توفي عبد الله بن أبي ، جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اعطني قميصك حتى أكفنه فيه ، وصلِّ عليه ، واستغفر له ، فأعطاه قميصه ، فقال : آذني أصلي عليه ، فآذنه ، فلما أراد أن يصلي عليه ، جذبه عمر بن الخطاب ، وقال : أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين ؟ فقال : أنا بين خيرتين : (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُم){التوبة : ٨٠} فصلى عليه . فنزلت هذه الآية)) [٢]

بعد معرفة معنى الآية وسبب نزولها نقول : ما المسوغ الذي استند إليه الحيري في جعل الصلاة فيها بمعنى : صلاة الجبابرة ؟ هل ؛ لأنَّ المراد النهي عن الصلاة على واحد من الجبابرة ؟ فإذا كان الأمر كذلك فهذا معنى المُصَلَّى عليه وليس معنى الصلاة ، ثمَّ كان الأجدر أن يكون الوجه بمعنى : صلاة المنافقين ؛ لأنَّ النهي كان عن الصلاة على منافق ، وكيف يصحّ أن

([١]) وجوه القرآن ص ٢٧٢.

([٢]) زاد المسير ٣/٣٦٢-٣٦٣ . والحديث ، رواه البخاري ، والنسائي ، وابن ماجة

يصاغ هذا الوجه بهذا اللفظ : صلاة الجبابرة ؟ ؛ لأنَه كيف يصح أن يكون المعنى أو التقدير : ولا تصلِّ صلاة الجبابرة ؟ وكيف يصحّ أن يخاطب الله رسوله صلى الله عليه بهذا الخطاب ؟ فهو وجه مختَلَق وبعيد وغريب ؛ لذلك لم أجد أحدًا من المفسرين قال به ، وقد جعل غيره الصلاة في هذا الشاهد المذكور بمعنى صلاة الجنازة ، كما جاء في الوجه العاشر .

والدعاء ، والرحمة ، والمغفرة ، كما جاء في الوجه الأول ، والثاني ، والخامس ، قريبة من معنى الصلاة كما صرَّح العسكري نفسه بذلك ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والصلاة المعروفة كما جاء في الوجه الثالث هي من وضع الشرع لا من وضع اللغة ، كما أنَّها تُعد من الأسماء المنقولة ؛ لأنَّها منقولة من الصلاة بمعنى الدعاء ، وتدخل ضمن الدراسة المعكوسة

والصلاة التي جُعِلَت في الوجه الرابع بمعنى القراءة ، في قوله تعالى : (أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) جعلها ابن الجوزي بمعنى الدين ، وجعلها الفيروزآبادي بمعنى الإسلام ، والصحيح أنَّها بمعنى الصلاة المعروفة كما قال العسكري .

والصلاة والصلوات التي جُعِلت بمعنى بيوت الصلاة أو الكنائس أو المسجد في الوجه السادس والرابع والعشرين تدخل أيضًا ضمن الدراسة المعكوسة ؛ لأنَّها كما قال الفيروزآبادي نفسه ((ويسمَّى موضع العبادة صلاة ؛ ولذلك سميت الكنائس صلوات)) أي : أنَّ القرآن الكريم سمَّى البيوت أو الكنائس أو المسجد بالصلاة وبالصلوات ولم يسمِّ الصلوات والصلاة بالبيوت أو الكنائس أو المسجد .

وجعل ابن الجوزي الصلاة في الوجه السابع بمعنى القراءة في قوله تعالى تعالى : (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً){الإسراء : ١١٠} والمراد بالصلاة هنا الصلاة بعينها ، والقراءة مفهومة

من الجهر لا من الصلاة ، والدليل على ذلك أنَّ ابن الجوزي الذي جعل الصلاة في النزهة والمنتخب بمعنى القراءة في الآية المذكورة [١] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ) فيه قولان ، أحدهما : أنَّها الصلاة الشرعية ... والقول الثاني : أنَّ المراد بالصلاة : الدعاء)) [٢]

وجعلوا الصلاة في الوجه السادس عشر بمعنى الإسلام ، في قوله تعالى : (فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى) والصحيح كما جاء في كتب التفسير أنَّ المراد الصلاة بعينها ، قال الطبري : ((عن قتادة : (فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى) لا صدَّق بكتاب الله ، ولا صلَّى لله)) [٣]

أمَّا صلاة الجمعة ، وصلاة الجماعة ، وصلاة العصر ، وصلاة الجنازة ، وصلاة الخوف ، وصلاة العيد ، وصلاة عيد الفطر ، وصلاة الظهر ، وصلاة الغداة ، وصلاة الجبابرة ، وصلاة النافلة ، وصلاة السفر ، وصلاة الأمم الماضية ، والصلوات الخمس ، كما جاء في بقية الوجوه ، فإنَّها لا تعد من وجوه الصلاة بل من أنواعها ، بل حتى هذه الأنوع مختلقة بطريقة الإضافة ، ومع ذلك فلو صحّ عدُّها من أنواع الصلاة فلا يصحّ أن تكون أوجهًا ؛ لأنَّ الوجوه الحقيقية هي التي لا تكون علاقتها باللفظ علاقة الشيء بأنواعه ، وهي من جهة أخرى تُعدُّ أوجهًا مختلقة عن طريق دراستها دراسة معكوسة ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يُسمِّ الصلاة بهذه الأنواع ، بل سمَّى كل نوع منها بالصلاة ، فهي جميعها وجه واحد .

والقرآن الكريم لو أراد هذه الأنواع المختلقة بالإضافة لقرنها بذكر المضاف إليه ، كقوله تعالى : (مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ) وقوله تعالى : (وَمِن

([١]) ينظر : نزهة الأعين ص ١٧٩ ومنتخب قرة العيون ١٦١

([٢]) زاد المسير ٧٣/٥ .

([٣]) جامع البيان ٢٣٧/٢٩ وينظر : الوسيط للواحدي ٣٩٥/٤ وأنوار التنزيل ٢٦٧/٥ .

بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاء)}النور : ٥٨} وبهذه الطريقة يمكننا أن نختلق أوجهًا أُخر غير التي ذكرها أصحاب كتب الوجوه :

١-كصلاة التوبة في قوله تعالى : (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)}التوبة : ٥}

٢-وصلاة المنافقين ، في قوله تعالى : (وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى)}التوبة : ٥٤}

٣-وصلاة التمكين في قوله تعالى : (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ)}الحج : ٤٠}

٤-وصلاة الطير في قوله تعالى : (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)}النور : ٤١}

٥-وصلاة أهل الجاهلية في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً)}الأنفال : ٣٥}

٦-وصلاة الساهين في قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ {٤} الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ)}الماعون : ٥}

فما أيسر هذه الطريقة التي بإمكاننا أن نعلّهما الصبيان فيصنفوا لنا بها كتبًا في الوجوه ، ولكن ما هكذا تورد يا أهل الوجوه الإبل .

٨-**الصفُّ** : تقدَّمتْ دراسة هذا اللفظ في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ٥٣ إلّا أنَّه فاتني ذكر الأوجه التي أضافها الفيروزآبادي .

قال ابن فارس : ((الصاد والفاء يدل على أصل واحد ، وهو استواء في الشيء وتساو بين شيئين في المقرّ ، من ذلك الصفُّ ، يقال : وقفا صفًّا : إذا وقف كل واحد بجنب صاحبه)) [١] ((والصفُّ في اللغة : الامتداد والطول ... وصفَّ الطائر : جناحاه إذا مدّهما في طيرانه))[٢] ((والصفُّ في

([١]) مقاييس اللغة ص ٤٨١ .

([٢]) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٠٠ .

التعارف : وقوف الشخص إلى جنب الشخص))[1]وقال الراغب : ((الصفُّ أن يُجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ، وقد يُجعل فيما قاله أبو عبيدة بمعنى الصافّ قال تعالى : (إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ)}الصف : ٤} وقال تعالى : (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا)}طه : ٦٤} يحتمل أن يكون مصدرًا ، وأن يكون بمعنى الصافين ، وقال تعالى : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ)}الصافات : ١٦٥} وقال تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا)}الصافات : ١} يعني به الملائكة ، وقال تعالى : (وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)}الفجر : ٢٢} وقال تعالى : (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ)}النور : ٤١} وقال تعالى : (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّـهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ)}الحج : ٣٦} : أي : مصطفَّة ، وصففتُ كذا جعلتُه على صفٍّ ، قال تعالى : (عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ)}الطور : ٢٠} ... والصفصف : المستوي من الأرض كأنَّه على صف واحد ، قال تعالى : (فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا)}طه : ١٠٦}))[2]

قال الفيرزآبادي : ((قيل : ورد الصفُّ في التنزيل على عشرة أوجه

١-بمعنى صفّ الجماعة : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا)}الصافات : ١}

((قوله تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) هي الملائكة المصطفُّون في السماء ، ومنه قوله تعالى : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) وذلك أنَّ لهم مراتب يقومون عليها صفوفًا كما يصطف المصلون)) [3]

٢-وبمعنى المُصلّى : (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا)}طه : ٦٤}

٣-وبمعنى صف الغزاة : (إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ)}الصف : ٤}

([1]) نزهة الأعين ص ١٧٤.

([2]) المفردات ص ٢٩٢ .

([3]) بصائر ذوي التمييز ٤١٨/٣.

٤-وبمعنى صفوف الملائكة في السماوات : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ)(الصافات : ١٦٥}

٥- وبمعنى صفوفهم في عرصات الحشر : (وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)(الفجر : ٢٢}

٦-وبمعنى صف جِمال النحر بعرفة : (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ)(الحج : ٣٦}

٧-وبمعنى المستوى من الأرض : (فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا)(طه : ١٠٦}

٨-وبمعنى صف الطير في الهواء : (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)(الملك : ١٩}

٩-وبمعنى صفوف أهل التوحيد في روضات الجنات : (مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ)(الطور : ٢٠}

١٠-وبمعنى صفوف المرافق والنمارق وفي غرفات الفرادس : (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ)(الغاشية : ١٥}))[١]

جعل الفيروزآبادي الصفّ في الوجه الثاني بمعنى المُصلَّى في قوله تعالى : (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) وقد قال الفيرزآبادي نفسه : ((وقوله : (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) قال الأزهري : معناه : ثم ائتوا المواضع التي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم ، يقال : أتيتُ الصفَّ ، أي : المصلّى ، قال ويجوز : ائتوا صفًّا ، أي : مصطفّين ؛ ليكون أنظم لكم وأشد لهيبتكم)) [٢] وفي الزاد : ((قوله تعالى : (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) أي : مصطفِّين مجتمعين)) [٣] وقال الحلبي : ((وكذا قوله تعالى : (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) أي : صافين ... قلتُ : لو أراد الصلاة لقال للصف

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤١٩/٣-٤٢٠ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤١٨/٣.

(٣) زاد المسير ٢٢٣/٥ وينظر : الجامع لأحكام القفرآن ١٦٥/١١

؛ لأنَّه مكان معيَّن)) [1] ولو صحّ معنى المصلّى فالمراد تسمية المصلّى بالصفِّ ؛ لأنَّ المصلّى يجتمع فيه المصلون مصطفين ، وليس المراد تسمية الصفّ بالمصلَّى .

وجعل الصف في الوجه السابع بمعنى المستوى من الأرض في قوله تعالى : (فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا) وهذا أيضًا معنى الصفّ بعينه ، وقد قال نفسه : ((والصفصف : المستوى من الأرض ، فإنَّه على صفٍّ واحد ، قال تعالى : (فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا))) [2] أي : ((كأنَّه على صفٍّ واحد في استوائه)) [3] حتى لو صحّ هذا الوجه فالمراد تسمية مستوى الأرض بالصفّ ، وليس العكس ، فيكون هذان الوجهان الثاني والسابع مختلَقين بطريقة الدراسة المعكوسة

أمّا الاوجه الباقية الثمانية فهي كما ترى مختلقة بطريقة الإضافة الظاهرة ؛ لأنّ معانيها هي معاني المضاف إليه ، أمّا المضاف فقد تكرر بلفظ الصف .

٩-**العين** : قال ابن فارس : ((العين والياء والنون أصل واحد صحيح يدل على عضو به يُبصَر ويُنظَر ثم يشتق منه ... ومن الباب العين الجارية : النابعة من عيون الماء ، وإنَّما سُمِّيتْ عينًا تشبيهًا لها بالعين الناظرة لصفائها ومائها))[4]

قال العسكري : ((العين أصلها عين الحيوان ، ثم كثر الاستعمال بها حتى تصرفت على خمسين وجهًا أفردتها في كتاب ، وهي في القرآن على وجهين :

---

(1) عمدة الحفاظ ٢٤٣/٢ .

(2) بصائر ذوي التمييز ٤١٩/٣.

(3) الجامع لأحكام القرآن ١٨٢/١١.

(4) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٦٢٨-٦٢٩ .

الأول : عين الإنسان ، وهو قوله تعالى : (وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ){المائدة : ٤٥}

والثاني : العين بمعنى الحفظ ، وهو قوله تعالى : (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي){طه : ٣٩}٠٠٠ومنه قوله تعالى : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا){القمر : ١}))[١]

فالعسكري على الرغم من أنَّه أحصى للعين خمسين وجهًا إلّا أنَّه ذكر أنَّها لم ترد في القرآن الكريم إلّا على هذين الوجهين وهما ضمن العين الباصرة ولم يذكر العين الجارية

وذكر الدامغاني هذين الوجهين وأضاف إليهما أربعة أوجه أُخر هي :

والثالث : ((العين يعني : النهر ، فذلك قوله تعالى : (فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً){البقرة : ٦٠}

والرابع : العين : شراب أهل الجنة قوله تعالى : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرا){الإنسان : ٦} وكذلك قوله في سورة التطفيف .

والخامس : العين : المنظر ، إِلَيْهِ قوله تعالى : (قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ){الأنبياء :٦١} يعني : على منظر الناس ، وكقوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا){المؤمنون : ٢٧} يعني : بمنظر منَّا .

والسادس : العين يعنى النفس ، قوله تعالى : (فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا){مريم : ٢٦} عني : طيبي نفسًا))[٢]

وذكر ابن اجوزي أغلب هذه الأوجه ، وجعل من أوجه العين :

---

(١) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص ٢٥٠-٢٥١ وينظر : المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٦٩ وعمدة الحفاظ ١٤٨/٣ .

(٢) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص ٣٤٤-٣٤٥ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣١١

والسابع : ((القلب ، ومنه قوله تعالى : (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي)}الكهف : ١٠١{))[١]

وذكر الفيروزآبادي أنَّ العين في القرآن الكريم على سبعة عشر معنى منها ما مرَّ ذكره وأضاف :

((والثامن : العين : عين النبي صلى الله عليه وسلم خِلقة : (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)}طه : ١٣١{

والتاسع : عين الإنسان عامّة : (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ)}البلد : ٨{

والعاشر : عيون المؤمنين خاصة : (وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)}المائدة : ٨٣{

والحادي عشر : عيون الكفار : (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي)}الكهف : ١٠١{ وقوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ)}الأعراف : ١٩٥{

والثاني عشر : نهر بني إسراشيل ومعجز موسى عليه السلام : (فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)}البقرة : ٦٠{[٢]

والثالث عشر : بمعنى النحاس الجاري معجزًا لسليمان عليه السلام : (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ)}سبأ : ١٢{[٣]

والرابع عشر : بمعنى مغرب الشمس : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ)}الكهف : ٨٦{[٤]

([١]) نزهة الأعين النواظر ص ٢٠٥-٢٠٦ .

([٢]) لأنّها بتقدير : عيون بني إسرائيل.

([٣]) لأنّها بتقدير : عين النحاس الجاري

([٤]) لأنّها بتقدير : عين مغرب الشمس .

والخامس عشر : العين التي وُعد بها الكفار : (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ)}الغاشية : ٥{[١]

والسادس عشر : العين الجارية التي وُعد بها المتقون : (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ)}الغاشية : ١٢{[٢]

والسابع عشر : الموعود لأصحاب اليمين : (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ)}الرحمن : ٦٦{[٣]

والثامن عشر : الموعود بها السابقون : (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا)}الإنسان : ١٨{ [٤]

والتاسع عشر : الموعود بها الأبرار : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا)}الإنسان : ٦{[٥]

والعشرون : الموعود بها المقربون : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)}المطففين : ٢٨{ وهي عين التسنيم[٦]

والحادي والعشرون : أعين الجناة في القصاص : ((وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ)}المائدة : ٤٥{

والثاني والعشرون : العين الضَّروري : (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)}التكاثر : ٧{)))[٧]

---

(١) لأنّها بتقدير : عين الكفار .

(٢) لأنّها بتقدير : عين المتقين .

(٣) لأنّها بتقدير : عينا أصحاب اليمين .

(٤) لأنّها بتقدير : عين السابقين .

(٥) لأنّها بتقدير : عين الأبرار .

(٦) لأنّها بتقدير : عين المقرّبين .

(٧) بصائر ذوي التمييز ٤/٥-٧.

جعلوا العين في الوجه الثاني بمعنى الحفظ ، وهذا هو تأويلهم للعين المنسوبة إلى الله سبحانه ، وسأرجئ الكلام على هذا الوجه في موضعه : طريقة التأويل .

جعلوا العين في الوجه الخامس بمعنى : المنظر في قوله تعالى : (قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ)[الأنبياء :٦١} والنظر من لوازم العين لا من أوجهه

وجعلوا العين في الوجه السادس بمعنى النفس في قوله تعالى : (فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا)[مريم : ٢٦} والقُرُّ والقُرَّة (بضم القاف) مصدر بمعنى البرد ، وهو على وجهين : الأول : من قرَّ الرجل : أصابه البرد ، ويوم قارٌّ : بارد ، وليلة قارَّة : باردة ، ومن المجاز : قرَّت عينه تقَرُّ وتقِرُّ (بفتح القاف وكسرها) وأقرَّ الله عينه : بردتْ ، وهو من القَرور ، وهو الدمع البارد تدمع به العين من الفرح ؛ فإنَّ للسرور دمعة باردة ، وللحزن دمعة حارة ، والوجه الثاني : قرَّت عينه ، من القرار وهو الهدوء ، أي : استقرَّت ، والقارُّ : الساكن ، أي : رأت ما كانت متشوقة إليه فقرَّتْ ونامت ، وأقرَّ الله عينك : صادفتَ ما يرضيك فتقرُّ عينك من النظر إلى غيره ، وأقرَّ الله عينه : أنام الله عينه ، والمعنى : صادف سرورًا يُذهب سهره فينام [١] فالعين إذن أريد بها العين نفسها

وجعل الفيروزآبادي العين في الوجه الأخير بمعنى العين الضروري في قوله تعالى : (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)[التكاثر : ٧}[٢] وهو وجه لم أفهم المقصود منه ، وما أعلمه أنَّ العين لكونها تمثل أشرف عضو في الإنسان فقد استعيرت للتعبير عن جوهر الشيء وروحه عند إضافته إليه ؛ لذلك يقال : رأيتُ زيدًا عينه ، أو بعينه ، بمعنى : رأيتُ زيدًا نفسه ، واستنادًا إلى

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٧٤٣ ولسان العرب ٦٤/١٢ وتاج العروس ٢١٤/١٣ .

(٢) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٧/٤.

هذا المعنى فُسِّر قوله تعالى : (عَيْنَ الْيَقِينِ) قال ابن الجوزي : ((أي : مشاهدة ، فكان المراد بـ(عَيْنَ الْيَقِينِ) نفسه ؛ لأنَّ عين الشيء ذاته)) [١] وقال البيضاوي : ((أي : الرؤية التي هي نفس اليقين ؛ لإنَّ علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين)) [٢] وقال النسفي : ((أي : الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته)) [٣] فالعين هنا أيضًا أريد بها العين نفسها .

وجعل ابن الجوزي العين في الوجه السابع بمعنى القلب في قوله تعالى : (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي){الكهف : ١٠١}))[٤] وهذا من المجاز كما تقول لمن يكرهك : فلان لا يستطيع أن يراني .

أمّاعين الإنسان ، وعين النبي صلى الله عليه وسلم ، وعين الإنسان عامة ، وعيون المؤمنين خاصة ، وعيون الكفار ، وأعين الجناة ، كما جاء في الوجه الأول ، والثامن ، والتاسع ، والعاشر ، والحادي عشر ، والحادي والعشرين ، فجميعها معاني المضاف إليه ، لا معاني المضاف ، فهي إذن مختلقة بطريقة الإضافة الإضافة الظاهرة

والنهر ، وشراب أهل الجنة ، كما جاء في الوجه الثالث ، والرابع ، قريبان من معنى العين الجارية ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه .

وعين النحاس ، وعين مغرب الشمس ، والعين الجارية التي وُعِد بها الكفار ، والتي وُعِد بها المتقون ، والتي وُعِد بها أصحاب اليمين ، والتي وُعِد بها السابقون ، والتي وُعِد بها الأبرار ، والتي وُعِد بها المقربون ، كما جاء في الوجه الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، والسادس عشر ،

([١]) زاد المسير ٣١٤/٨ .

([٢]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٣٣٤/٥.

([٣]) مدارك التنزيل ص ١٣٧١.

([٤]) نزهة الأعين النواظر ص ٢٠٥-٢٠٦ .

والسابع عشر ، والثامن عشر ، والتاسع عشر ، والعشرين ، أهذه أوجه للعين أم هي العين الجارية بعينها ؟ وهي كما ترى مختلَقة بطريقة الإضافة المقدّرة .

وهذه الأوجه والمعاني التي ذكرها أصحاب كتب الوجوه هي كما تجدها متداخل بعضها في بعض من ذلك مثلًا أنَّ العين التي جعلها العسكري بمعنى : عين الإنسان[١] جعلها الفيروزآبادي بمعنى : أعين الجناة في القصاص[٢]مستشهدًا بالشاهد القرآني نفسه ، والعين التي جعلها الدامغاني بمعنى : العين الجارحة [٣] جعلها ابن الجوزي بمعنى : العين الباصرة [٤] وجعلها الفيروزآبادي بمعنى : عين الإنسان عامة [٥] مستشهدين بالشواهد القرآنية نفسها ، والعين التي جعلها الدامغاني بمعنى : النهر[٦] جعلها ابن الجوزي بمعنى : منبع الماء الجاري [٧]وجعلها الفيروزآبادي بمعنى : نهر بني بني إسرائيل ومعجزة موسى عليه السلام[٨] مستشهدين أيضًا بالشاهد القرآني نفسه ، والعين التي جعلها الدامغاني بمعنى شراب أهل الجنة[٩] جعلها الفيروزآبادي بمعنى العين الموعود بها الأبرار وأهل الخصوص[١٠]فالوجوه جميعها التي ذكرها أهل الوجوه ونسبوها إلى العين ، وإن اختلفت أسماؤها

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٢٥٠.

(٢) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٧/٤ .

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٣٤٥ .

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٠٥.

(٥) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٥/٤ .

(٦) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٣٤٤ .

(٧) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٠٥ .

(٨) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٦/٤ .

(٩) ينظر : الوجوه والنظائر ص ٣٤٤.

(١٠) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٦/٤ .

تتحد في معنيين رئيسين هما : العين الباصرة والعين الجارية ، فليس لها في القرآن الكريم إلّا هذان الوجهان ، والعين الجارية ، وإن قيل : إنَّها في الأصل شُبِّهت بالعين الباصرة مجازًا إلّا أنَّ هذا المجاز شاع وكثر استعماله حتى أصبح حقيقة ، لذلك صح وجاز أن يمثل الوجه الثاني للعين ، وهذا هو حال كل مجاز يشيع ويكثر تداوله بين ألسن الناس والباحثين .

١٠-**الغيُّ** : قال ابن فارس : ((الغين والواو والحرف المعتل بعدهما ، أصلان ، أحدهما : يدل على خلاف الرشد ، وإظلام الأمر ، والآخر : على فساد شيء ، فالأول : الغيُّ وهو خلاف الرشد ، والجهل بالأمر ، والانهماك في الباطل ، يقال : غَوَى يغوَى غيًّا)) [١]

وقال العسكري : ((الغي أصله الفساد ، يقال : غوَى الرجل : إذا فسد طريقه في الدين ، ورجل غاو وغوِي : إذا فسد عيشه وأمره أيضًا ، وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : فساد العيش ، قال تعالى : (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى){طه : ١٢١} .

الثاني : فساد الطريقة في الدين قال تعالى : (إِلّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ){الحجر : ٤٢}

الثالث : العذاب ، قال تعالى : (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا){مريم : ٥٩} أي : عقابًا ، وإنَّما سمي العذاب غيًّا ؛ لأنَّه مجادلة على الغي ، وقيل : غي : واد في جهنم))[٢]

قال الراغب : ((وقوله تعالى : (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا){مريم : ٥٩} أي : عذابًا فسمَّاه الغيّ لمَّا كان الغيُّ سببه ، وذلك كتسمية الشيء بما هو سببه ، كقولهم للنبات ندى ، وقيل معناه : فسوف يلقون أثر الغي

([١]) مقاييس اللغة ص ٧٠١.

([٢]) الوجوه والنظائر ص ٢٥٢-٢٥٣ .

وثمرته))[1] وقال الحلبي : ((أي : هلاكًا ، أي : أثر غيٍّ ومسببه)) [2] وهذا يعني أنَّ الغيَّ في الوجه الثالث هو الغي بعينه ، ومع ذلك فلو صحَّ فهو وجه مختلق بطريقة الدراسة المعكوسة ، لأنَّ القرآن لم يُسمِّ الغي بالعذاب ليكون العذاب وجهًا له ، بل سمَّى العذاب بالغي ، وهذا ما صرَّح به العسكري نفسه بقوله المذكور : ((وإنَّما سُمِّي العذاب غيًّا))

وفساد العيش ، وفساد الدين ، كما جاء في الوجه الأول والثاني معنى واحد ، فكلاهما وجه واحد ، إلّا أنَّ العسكري كرر هذا الوجه الواحد بطريقة الإضافة فهما مختلقان بهذه الطريقة .

الطريقة العاشرة : جعل اللفظ بمعاني السياق

اختلاق الوجوه بحجة السياق : بلغت الألفاظ التي عدَّها أصحاب كتب الوجوه من الألفاظ المشتركة ، وجعلوا لكل لفظ منها وجهين أو أكثر ، مئات الألفاظ ، فقد تضمن كتاب الوجوه والنظائر للدامغاني وحده حوالي ستمئة لفظ ، ولو سألت كل باحث استند إلى هذه الكتب ، وجعلها أحد مصادره ، كيف تعرَّف أصحابها إلى هذه الوجوه لقال من دون تردد : إنَّهم تعرَّفوا إليها من خلال السياق ، فقد شاع لدى أصحاب الدراسات الدلالية أنَّ السياق هو الذي يحدد دلالة اللفظ ، وهو الذي أمدَّ كل لفظ من الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه بالأوجه المتعددة ، وقد قرأت في إحدى الأطاريح كلامًا ، فاتني أن أنقل مصدره ، مفاده : أنَّ اللفظ بمفرده ليس له دلالة محددة ومعيَّنة ، بل تتحدد وتتعيَّن دلالة كل لفظ من خلال السياق ، وهذا وهْمٌ وفكر خطر ؛ لأنَّه يؤدي إلى إلغاء الدلالة الموضوعة للألفاظ التي أثبتتها كتب المعاجم اللغوية ، وفي ذلك هدم للغة العربية ؛ لأنَّ هذه اللغة قد حُفظت ودُوِّنت في هذه المعاجم ، ولأنَّه لا بد من أن تكون هناك للمفردات

([1]) المفردات ص ٣٨٣.

([2]) عمدة الحفاظ ١٨٤/٣ .

ثوابت دلالية حاسمة ، لا يصح بحجة السياق التجاوز عليها ؛ وإلا حدثت الفوضى وضاعت المعايير ؛ لأنَّ السياق واد فسيح مفتوح لا حدود له ، لا يمكن ضبطه إلاَّ بالرجوع إلى هذه الثوابت ؛ فإذا ربطنا دلالة اللفظ به فحسب ، تعددت دلالات كل لفظ بما لا يمكن التحكم على حصرها في عدد معين ، ولاختلفت معانيها بين سياق وسياق ، كما حصل هذا في كتب الوجوه ، وفي كتب حروف المعاني .

لذلك أقول إنَّ الدلالة الموضوعة للألفاظ كما أثبتتها المعاجم لا يصح التخلّي عنها في أي سياق كان وردت فيه ؛ لأنَّ السياق كما ذكرتُ غير مرة لا يمنح أيَّ لفظ كان أية دلالة كانت ، بل دوره مقتصر فقط على تعيين دلالة موجودة أصلًا في اللفظ ، وضعًا واستعمالًا ، وهذا لا يكون في كل لفظ ، بل لا يكون إلّا في اللفظ المشترك حقيقة ، حتى إنَّ معانيه معروفة مسبَقًا قبل التعرف إليها من خلال السياق

والمعروف أنَّ كل سياق من الكلام لا بد من أن يكون مؤلفًا من عدد من الأحرف والتراكيب والجمل ولكل منها دلالته المستقلة ، ينتج من اجتماعها ونظمها حسب أسلوب مؤلفها دلالة واحدة موحدة تمثل دلالة السياق مع احتفاظ كل لفظ وحرف فيه بدلالته الموضوعة له في اللغة ، أي : أنَّ للسياق معناه العام ، ولكل لفظ فيه معناه الخاص به ، ووجوه كتب الوجوه مبنية حسب ادعاء أصحابها أنَّها مستنبطة من السياق ومستندة إليه وأنَّه قد تُعُرِّف إليها من خلاله ، وقد ثبت في كتابي : لا وجوه ولا نظائر أنَّه لم يستنبط من السياق إلّا الأوجه الحقيقية التي قد لا تتجاوز أكثر من بضعة ألفاظ من بين مئات الألفاظ التي اشتملتْ عليها كتب الوجوه ، أمَّا ما عدا هذه الألفاظ فإنَّ وجوهها قد اختلقوها بطرائق عديدة مختلفة ، ومن هذه الطرائق جعل اللفظ بمعاني السياق ، من أمثلتها ما كان من وجوه الألفاظ الآتية .

١-**الاثنين** : قال الفيروزآبادي : ((بصيرة في الاثنين ، وهو اسم للعدد الكائن بين الواحد والثلاث ... وقد ورد في القرآن الكريم على عشرة أوجه :

الأول : بمعنى الوارثات من البنات : (فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ)[النساء : ١١]

الثاني : بمعنى الكلالة من الإخوة والأخوات : (فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ)[النساء : ١٧٦]

الثالث : بمعنى النعم من الحيوانات : (مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ)[الأنعام : ١٤٣](وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ)[الأنعام : ١٤٤]

الرابع : بمعنى النهي عن اعتقاد تثنية إلهين : (لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ)[النحل : ٥١]

الخامس : بمعنى الجمع بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصديق في حالات الخلوات : (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ)[التوبة : ٤٠]

السادس : في تقرير شرع الأحكام بشاهدين عدلين : (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ)[المائدة : ١٠٦]

السابع : في الإشارة إلى الأعين التي انفجرت من الحجر ساعة إظهار المعجزة : (فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)[البقرة :٦٠]

الثامن : تفريق قوم موسى على عدة أسباط : (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا)[الأعراف : ١٦٠]

التاسع : بَعْثُ بني إسرائيل الذين ساروا نحو العمالقة : (وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا)[المائدة : ١٢]

العاشر : عدد الأشهر في العام : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا)[التوبة : ٣٦]))[1]

([1]) بصائر ذوي التمييز ٢/٩٤-٩٥.

العدد (اثنين) و(اثنتين) معروف معناه ، وقد عرَّفه الفيروزآبادي بقوله : ((وهو اسم للعدد الكائن بين الواحد والثلاث)) فهذه هي دلالته أينما ورد في القرآن الكريم ، أمَّا الوجوه العشرة التي ذكرها الفيروزآبادي هي كما ترى ليست معاني العدد (اثنين) بل هي إمَّا معاني معدوده ، أو معاني مواضيع الآيات التي ورد فيها لفظ العدد .

٢-**الأربع والأربعون** : قال الفيروزآبادي : ((والأربع : اسم للعدد الذي يزيد على الثلاث ، وينقص عن الخمس ... والأربع والأربعون ورد في التنزيل على اثني عشر وجهًا .

الأول : بيان تربص مدة الإيلاء : (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ)[البقرة : ٢٢٦]

الثاني : بيان عدة الوفاة : (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)[البقرة : ٢٣٤]

الثالث : إظهار معجزة الخليل : (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ)[البقرة : ٢٦٠]

الرابع : بيان أشهر الحرم : (مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ)[التوبة : ٣٦]

الخامس : تمهيد قاعدة الزناة : (فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ)[النساء : ١٥]

السادس : بيان حكم اللعان : (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ)[النور : ٦]

السابع : لدرء العذاب والعقوبة عن الملاعنة : (وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ)[النور : ٨]

الثامن : لتهديد الخائضين في قصة الإفك : (لَوْلا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء)[النور : ١٣]

التاسع : بيان خِلقة الحيوان : (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ)[النور : ٤٥]

العاشر : بيان تقدير الأقوات والأوقات : (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)[فصلت : ١٠]

الحادي عشر : الأربعون لبيان سن التوبة والشكر : (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)[الأحقاف : ١٥]

الثاني عشر : ميقات موسى : (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)[الأعراف : ١٤٢]))[1]

أهذه معاني العددين الأربع والأربعين أم هي معاني مواضيع الآيات التي ورد فيها هذان العددان ؟! أوَ لو حلَّ محلَّ هذين العددين الخمس والخمسون ، أو الست والستون ، أو السبع والسبعون ، وأيّ عددين آخرين أما صح أن تكون هذه المعاني الاثنا عشر نفسها وجوهًا لهما بالقدر نفسه ؟!

٣-**البعث** : ذكر أهل الوجوه للبعث ثمانية أوجه :

الأول : الإحياء ، كقوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[البقرة : ٥٦]

الثاني : التبيين ، أو النصب والبيان ، أو التعيين ، كقوله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)[البقرة : ٢٤٧] والمعنى : قد عيَّن ونصبَ وبيَّنَ موضعه ، وقوله تعالى : (قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا)[البقرة : ٢٤٦]

الثالث : بمعنى نَصْبُ القيِّم والحاكم ، كقوله تعالى : (فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا)[النساء : ٣٥]

([1]) بصائر ذوي التمييز ٢/٩٦-٩٧ .

الرابع : التسلط : ، كقوله تعالى : (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ)[الإسراء : ٥]

الخامس : النشور من القبور إلى الحشر ، كقوله تعالى : (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا)[الإسراء : ٥٢] (وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ)[الحج : ٧]

السادس: الإلهام ، كقوله تعالى : (فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ)[الأنعام : ٣١] يعني : فألهم الله غرابًا

السابع : الإحياء في الدنيا : (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى)[الأنعام : ٦٠]

الثامن : إرسال الرسول ، كقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ)[الجمعة : ٢][1]

البعث يعني البعث أينما ورد في كتاب الله أمّا الأوجه المنسوبة إليه فمختلَقة ، وقد اختُلِقت بطريقتين :

الأولى : جعل اللفظ بمعاني السياق : فقد جعلوا البعث في الوجه الثاني بعدة معان هي : التبيين ، أو النصب والبيان ، أو التعيين ، في قوله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) وقوله تعالى : (قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا) ومن الواضح أنّ هذه المعاني هي معاني السياق ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الوجه إذا تعددت معانيه دخل في باب التفسير لا في باب الوجوه ، كما أنَّه لكل من البيان ، والتبيين ، والنصب ، والتعيين ، معناه وتعريفه الخاص به الذي يختلف عن معنى

---

(١) وجوه القرآن للحيري ص ١١٩-١٢٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١١٧-١١٨ وبصائر ذوي التمييز ٢/٢١٤-٢١٥ .

البعث وتعريفه ، فهذا الوجه من هذا الجانب لا معنى له ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير من فسَّر البعث بهذه المعاني ، بل أبقوا البعث على معناه

وجعلوا البعث في الوجه الثالث بمعنى : نَصْبُ القيِّم والحاكم ، في قوله تعالى : (فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا) وهذا الوجه كما ترى هو ما يدلُّ عليه لفظ الحَكَم لا لفظ البعث ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير من ذكر هذا الوجه ، بل أبقوا البعث على معناه

وجَعلوا البعث في الوجه الرابع بمعنى : التسلط ، في قوله تعالى : (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) والبعث هنا هو البعث بعينه ، أمَّا التسليط فهو متأتٍّ من (عَلَيْكُمْ) المتعلق به ، و(على) تفيد الاستعلاء على الشيء ، وعكسها في نحو هذه المواضع اللام التي تفيد الملك ؛ لذلك يقال : يوم لك ويوم عليك ، فلما كان السياق هنا سياق نقمة وعقاب وعذاب عدَّى البعث بـ(على) فإذا كان سياق نعمة وتفضل عدَّاه باللام كما في قوله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)[البقرة : ٢٤٧} {٢٤٧} فالتسليط ليس دلالة (بَعَثْنَا) بل هو دلالة (عَلَيْكُمْ) وهذا من التحريف الظاهر ، وهو عدم جعل اللفظ بدلالته بل بدلالة ما تعلَّق به

الثانية : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته : فقد جعل أهل الوجوه البعث في الوجه الأول ، وفي الوجه السابع ، بمعنى الإحياء في قوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) وقوله تعالى : (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى)[الأنعام : ٦٠}

البعث والإحياء : قال ابن فارس : ((الباء والعين والثاء أصل واحد ، وهو الإثارة ، ويقال : بعثتُ الناقة : إذا أثرتها)) [١] و((أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه ، يقال بعثته فانبعث ، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٠٠

عُلِّق به ، فبعثتُ البعير : أثرته وسيَّرته ، وقوله تعالى : (وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ){الأنعام : ٣٦} أي : يخرجهم ويسيِّرهم إلى القيامة...وقوله عز وجل : (فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ){الأنعام : ٣١} أي : قيَّضه)) [١]

فالبعث غير الإحياء ، فقولك : أحيا الله الشيءَ ، يعني : أنَّه جعل الحياة تدبُّ فيه ، وقولك : بعثَ اللهُ الشيءَ ، يعنى أثاره وحرَّكه بعد أن كان جامدًا ساكنًا لا يتحرك ؛ لذلك فالبعث في قوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)((أصله الإثارة)) [٢] والدليل على أنَّ الإحياء لا يعني البعث أنَّه لا يصح أن يقع موقعه ويؤدي معناه في كثير من التراكيب ، كقوله تعالى : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ){البقرة : ١٢٩} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا){المائدة : ١٢} } وقوله تعالى : (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ){الأنعام : ٦٦}

البعث والنشور : وجعلوا البعث في الوجه الخامس بمعنى : النشور من القبور إلى الحشر في قوله تعالى : (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) وقوله تعالى : (وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ) قال الخليل : ((نشرتُ الثوب والكتاب : بسطتُه)) [٣]وقال ابن فارس : ((النون والشين والراء أصل صحيح يدلُ على فتح شيء وتشعبه...ومنه : نشرتُ الكتاب : خلاف طويته))[٤] وقال الراغب : ((وانتشار الناس : تصرفهم في الحاجات...وقيل : نشروا

---

(١) المفردات ص ٥٨ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢٠٥/١ وبصائر ذوي التمييز ٢١٤/٢-٢١٥

(٢) مدارك التنزيل ص ٥٣

(٣) العين ص ٩٥٩ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٩٩

بمعنى انتشروا))[1] وقال ابن الجوزي : ((النشر في الأصل : بسط الشيء ومدُّه ، ونقيضه : الطيُّ ، ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة ، فيقال : نشر الله الموتى ، أي : أحياهم ، وانتشر الناس في حوائجهم : تفرقوا))[2] والنَشْرُ : القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس، وجاء القوم نَشْرًا ، أي : متفرقين ، وانتشرت الأبل والغنم : تفرَّقتْ[3]وقال العسكري ((في الفرق بين البعث والنشور أنَّ بعث الخلق اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف ، والنشور اسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للخلائق ، ومنه قولك : نشرتُ اسمك ، ونشرتُ فضيلة فلان ، إلّا أنَّه قيل : أنشر الله الموتى ، بالألف ، ونشرتُ الفضيلة والثوب للفرق بين المعنيين))[4]

فبعث الناس من قبورهم يعني إثارتهم وإقامتهم وإخراجهم منها ، ونشرهم يعني جعلهم ينتشرون في الأرض بعد بعثهم ، ويتفرقون فيها حتى يجمعهم موقف الحشر ؛ لتُنشَر فيه صحائف أعمالهم ، فالفرق بينهما ظاهر ، فجعل البعث بمعنى النشور تحريف ظاهر

البعث والإلهام : وجعلوا البعث في الوجه السادس بمعنى : الإلهام ، في قوله تعالى : (فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ) لو قيل : ألهمَ الله غرابًا يبحث في الأرض ، لأفاد ، لكن الإلهام ليس هو المعنى المراد ، والدليل على ذلك أنَّه إذا أفاد أن يقع موقعه في هذا التركيب لم يفد أن يقع موقعه في التراكيب الأخرى ، والدليل على ذلك أيضًا أنَّه لو أراده لاستعمل لفظه ، كما استعمله في قوله تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

---

(١) المفردات ص ٥١٥

(٢) نزهة الأعين ص ٢٨٢.

(٣) ينظر : لسان العرب ١٤/٢٥٦-٢٥٧ .

(٤) الفروق اللغوية ص ٣٠٠

وَتَقْوَاهَا)}الشمس : ٧-٨} أو لاستعمل لفظ الإيحاء ، كما جاء هذا في قوله تعالى : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)}النحل : ٦٨} فجعل البعث بمعنى الإلهام تحريف لدلالته ؛ لأنَّه لا يطابق معنى اللفظ القرآني إلّا اللفظ نفسه ، فالبعث غير الإلهام ، وجعل البعث بمعنى الإلهام يُعدُّ تحريفًا لدلالة اللفظ في باب الوجوه ، ولا يُعدُّ تحريفًا إذا قيل به في باب التفسير ؛ لما ذكرناه في المقدمة ، وغير مرة في هذا الكتاب ، ومن المعلوم أنَّ أهل اللغة والتفسير إمَّا أن يبقوا اللفظ على معناه عندما يجدون أنَّ معناه معروف ومفهوم لا يحتاج إلى تفسير ، وإمَّا أن يفسروه بأقرب المعاني إليه ، وهذا ما وجدته في هذا الوجه ، فقد أبقى أكثرهم البعث على بابه ، ولمَّا أراد بعضهم أن يفسره ، لم يفسره بالوجه الذي قال به أهل الوجوه ، بل بجعل (بَعَثَ) في ((قوله عز وجل : (فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ) بمعنى : ((قيَّضه)) [١] وبمعنى : ((قيَّضه ويسَّره)) [٢] وقال الطبري : ((ولم يدْرِ ما يصنع بأخيه المقتول ، فذكر أنَّه كان يحمله على عاتقه حينًا حتى أراحت جيفته[٣] فأحبَّ الله تعريفه السنَّة في موتى خلقه فقيَّض له الغُرابَينِ اللذين وصف صفتهما في كتابه))[٤] وقال القرطبي : ((وقال قوم : كان قابيل يعلم الدفن ، ولكن ترك أخاه بالعراء استخفافًا به ، فبعث الله غرابًا يبحث التراب على هابيل ليدفنه ، فقال عند ذلك (يَا وَيْلَتَا

---

(١) المفردات ص ٥٨

(٢) عمدة الحفاظ للحلبي ٢٠٥/١

(٣) يعني : تغيرت رائحته

(٤) جامع البيان ٢٣٦/٦-٢٣٧

أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) حيث رأى إكرام الله هابيل بأن قيَّض له الغراب حتى واراه))[١]

وفي تفسير الآية من الروايات ما يُستبعَد فيها معنى الإلهام ، قال القرطبي : ((وقيل : إنَّ الغراب بحثَ الأرضَ على طُعْمه ليخفيه إلى وقت الحاجة ؛ لأنَّه من عادة الغراب فعل ذلك ، فتنبه قابيل بذلك على مواراة أخيه))[٢] ((وقال الضحاك عن ابن عباس : مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة ، حتى بعث الله الغرابَين فرآهما يبحثان ، فقال : (قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ){المائدة : ٣١} فدفن أخاه))[٣]

ولو أمعنّا النظر في تفسير الآية لتبيَّن أنَّ الذي يوافقها هو معنى البعث لا معنى الإلهام ؛ لأنَّ المراد بعث الغراب ، إثارته في مكان ما ، ثم توجيهه إلى موضع الجريمة ، قال ابن فارس : ((اللام والهاء والميم أصل صحيح يدلُّ على ابتلاع شيء ، ثم يقاس عليه ، تقول العرب : التهم الشيءَ : التقمه ، ومن هذا الباب : الإلهام ، كأنَّه شيء أُلقيَ في الرُّوع (يعني الروح) فالتهمه ، قال الله تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا){الشمس : ٧-٨}))[٤] فهذا هو معنى الإلهام ، وتقدم تعريف البعث بأنَّه يعني إثارة الشيء وتحريكه وتوجيهه ، فالفرق بينهما ظاهر ، فجعل البعث بمعنى الإلهام تحريف ظاهر لغة وتفسيرًا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠١/٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠٠/٦

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٥/٣

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٢٢ وينظر : المفردات ص ٤٧٤

وكثيرًا ما أقرأ أو أسمع أنَّ الذي دفع أهل الوجوه الإلى أن يجعلوا لفظًا بمعنى لفظ آخر كون السياق يقتضيه ، وهذا يعني مثلًا أنَّ استعمال (بَعَثَ) في قوله تعالى : (فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ) مخالف للسياق ، ولجعله موافقًا له ، اقتضى جعله بتقدير : ألهم الله غرابًا ، وهم بهذا الادعاء والتقدير قد طعنوا بلغة القرآن ، بل اتهموه باللحن من حيث لا يشعرون ، وهذا ما ينطبق على كل وجه قال به أهل الوجوه .

البعث والإرسال : وجعلوا البعث في الوجه الثامن بمعنى : إرسال الرسول ، في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ)

قال ابن فارس : ((الراء والسين واللام أصل واحد مطرد يدلُّ على الانبعاث والامتداد ، فالرَّسْلُ : السير السهل ، وناقة رَسْلة لا تكلفك سياقًا))[١] و((أصل الرِّسْل : الانبعاث على التُؤَدَة)) [٢] وقال العسكري في ((الفرق بين البعث والإرسال ، أنَّه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصُّه دونك ودون المبعوث إليه ، كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول : بعثته ، ولا تقول : أرسلته ؛ لأنَ الإرسال لا يكون إلاَّ برسالة ، وما يجري مجراها)) [٣]

وأرى أنَّ الفرق بين بعث الرسل وإرسالهم ، أنَّ بعثهم يكون بتقييضهم وتهيئتهم للناس من الواقع الذي يعيشون فيه ، لإثبات أنَّ هذا المبعوث ليس بدعًا عليهم ، وأنَّ طبيعته لا تخالف طبيعتهم ، للتعبير عن أنَّ الرسالة التي جاؤوا بها صُنِعت من واقع البشر ، فتكون قابلة للتطبيق ، وصالحة لهم ، أمَّا الإرسال فمعناه أنَّ أمره صادر من السماء ، فيستعمل لفظه للدلالة على أنَّه أمر رباني ، وأنَّ الرسول لا دخل له فيما أرسل به ،

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٤-٣٣٥

(٢) المفردات ص ٢٠٢ وينظر : عمدة الحفاظ ٩٠/٢ وبصائر ذوي التمييز ٦٩/٣

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٩٩

أي : أنَّ رسالته ربانية سماوية ، فكل نبي ورسول هو مبعوث من الأرض ، وهو مرسل أمره من السماء ، وجاء الجمع بين أمري هاتين الصفتين في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ) كما جاء في الوجه الثامن ، فدلَّ قوله تعالى (بَعَثَ) على الأمر الأول ، ودلَّ قوله تعالى (رَسُولًا) على الأمر الثاني .

٤-**الجرم** : ذكر الدامغاني والفيروزآبادي للجرم في القرآن الكريم ستة أوجه :

الأول : المجرمون بمعنى المشركين ، كقوله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ){الزخرف : ٧٤}

الثاني : الجرم بمعنى القول بالقدر ، كقوله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ){القمر : ٤٧}

الثالث : الجرم يعني اللواط ، كقوله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ {٨٣} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ){الأعراف : ٨٢-٨٣}

الرابع : الجرم يعني العداوة ، كقوله تعالى : كقوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي){هود : ٨٩} ((يعني : لا يحملنَّكم عداوتي)) كما قال الدامغاني ، ((اي : لا يحملنّكم خلافي)) كما قال الفيروزآبادي

الخامس : لا جرم ، يعني حقًّا ، كقوله تعالى : (لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ){هود : ٢٢}

السادس : الجرم بمعنى الإثم ، كقوله تعالى : (فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ){هود : ٣٥} يعني : عليَّ آثامي ، وأنا بريء مما تأثمون[١]

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٤-١٦٥ وبصائر ذوي التمييز ٢/٣٥٥-٣٥٦

قال ابن فارس : ((الجيم الراء والميم أصل واحد ، يرجع إليه الفروع ، قالجرم : القطع ، ويقال لصرام النخل الجرام ... والجرامة : ما سقط من التمر إذا جُرِم ... وما يرد إليه قولهم : جَرَمَ : أي : كَسَبَ ؛ لأنَّ الذي يحوزه فكأنَّه اقتطعه ... والجرم والجريمة : الذنب ، وهو من الأول ؛ لأنَّه كسْبٌ ، والكسب : اقتطاع ، وقالوا في قولهم : لا جرم ، هو من قولهم : جرمتُ ، أي : كسبتُ))[1]وقال الراغب : ((وأصل الجرم : قطع الثمرة من الشجر ... وأجرم : صار ذا جرم ، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه ، ولا يكاد يقال في عامة كلامهم للكيِّس المحمود ... ومعنى جرم : كَسَبَ أو جنى)) [2]

جعل الدامغاني والفيروزآبادي المجرمين في الوجه الأول بمعنى المشركين ، في قوله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) وهذا وجه اعتباطي ، لا مسوِّغ لهما في القول به ؛ لأنَّهما إذا جعلا المجرمين هنا بمعنى المشركين ، فلِمَ لَمْ يجعلاه مثلًا بمعنى الكافرين ، أو الظالمين ، أو المستكبرين ، أو المضلّين ، ونحوهم وقد قرن القرآن الكريم الإجرام بهذه الأصناف من الناس ؟! وإذا كان مَن هما من أصحاب الوجوه جعلا المجرمين بمعنى المشركين ، فقد جعلهم المفسرون بمعنى الكافرين ، قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) ((وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر بالله))[3] وقال ابن عطية : ((والمجرمون

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٦٢

(٢) المفردات ص ٩٦-٩٧ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٢١/١ وبصائر ذوي التمييز ٣٥٦/٢

(٣) جامع البيان ١١٦/٢٥

في هذه الآية الكفار)) [١] وقال ابن الجوزي ((قوله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ) يعني الكافرين)) [٢] ((وهم الكفار) [٣] (والكفرة)) [٤]

وكان المسوغ في جعلهما الجرم في الوجه الثاني بمعنى القول بالقدر ، في قوله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) هو أنَّ الآية نزلت بسببهم ، فـ((عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : : جاءت قريش يختصمون في القدر ، فأنزل الله (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) رواه مسلم)) [٥] وهذا لا يعني أنَّ الجرم في الآية يعني القول بالقدر ، فلو أريد دلالتهم لقيل مثلًا : إنَّ القدريين في ضلال وسعر ، وإنَّما أراد من المجرمين المجرمين بعينهم ، لأنَّ القرآن الكريم لا يعني مَن نزلت بسببهم الآية فحسب ، بل كثيرًا ما يعمّ الصفة ، لتشمل من نزلت فيهم ، وفيمن كانوا على شاكلتهم ، فيكون معنى الآية : أنَّ المجرمين سواء كانوا قدريين أم غيرهم هم في ضلال وسعر وجاء في سسبب نزول الآية ((عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مجوس هذه الأمَّة القدرية الذين سمّاهم الله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ)))[٦] فالضمير (هم) في سماهم ، يعود على القدريين أي : أنَّ الله تعالى سماهم بالمجرمين ، أي : يبقى لفظ المجرمين على دلالته ، حتى لو ثبت أنَّ القرآن الكريم عنى القدريين خاصة ، ومن دون سواهم ، فيكون مراده من استعماله للفظ الإجرام ، هو التعبير

---

(١) المحرر الوجيز ٦٤/٥

(٢) زاد المسير ١٤٤/٧

(٣) أنوار التنزيل ٩٦/٥

(٤) البحر المحيط ٣٧/٨

(٥) أسباب النزول للواحدي ص ٢٥٤

(٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢١٤/٤

عن القدريين بصفة الإجرام لا بصفة القدرية ، وهذه حقيقة بينتها في الوجوه المختلقة بطريقة الدراسة المعكوسة ، وهو أنَّ القرآن الكريم لم يسمِّ المجرمين بالقدريين كما فعل مَن هما من الوجوهيين ، وإنَّما سمَّى القدريين بالمجرمين ؛ لذلك لم يقصر المفسرون المجرمين على القائلين بالقدرية ، بل جعلوهم بهذا المعنى ، وبمعنى الكافرين ، قال ابن عطية : ((وأكثر المفسرين على أنَّ المجرمين هنا يراد بهم الكفار ، وقال قوم : المراد بالمجرمين القدرية الذين يقولون : إنَّ أفعال العباد ليست بقدر من الله)) [1] أي : أنّ الإنسان خالقٌ لأفعاله

وجعلا الجرم في الوجه الثالث بمعنى اللواط في قوله تعالى : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) والمسوغ الذي استندا إليه في القول بهذا الوجه هو أنَّ الآية تتضمن الحديث عن قوم لوط ومصيرهم ، وقد ذكرت من قبل غير مرة أنَ السياق لا يخلق للفظ دلالة لا يدلُّ عليها بمفرده ، وأهل الوجوه عمدوا إلى تحريف اللفظ القرآني بحجة السياق ، وهذه طريقة سهلة يسيرة ، وهي في متناول يد كلّ من يريد تحريف دلالات الألفاظ القرآنية ومقاصدها فيمكن أن نتبعها لتوسيع دائرة التحريف في شواهد الجرم ، ذلك بأن ندعي مثلًا أنَّ المجرمين جاؤوا

١-بمعنى المضلِّين في قوله تعالى : (وَمَا أَضَلَّنَا إِلّا الْمُجْرِمُونَ){الشعراء : ٩٩} والتقدير : وما أضلنا إلّا المضلون

٢-وبمعنى المستكبرين في قوله تعالى : (فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ){الأعراف : ١٣٣} والتقدير : فاستكبروا وكانوا قومًا مستكبرين

بل أمكن تعدد أوجه التحريف بالاستناد إلى السياق في الشاهد نفسه ، فنجعل المجرمين مثلًا

---

(١) المحرر الوجيز ٢٢١/٥

٣-بمعنى الظالمين في قوله تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ){يونس : ١٧} لقوله (فَمَنْ أَظْلَمُ)

٤-وبمعنى المفترين في الشاهد نفسه لقوله (مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا)

٥-وبمعنى المكذبين في الشاهد نفسه أيضًا ، لقوله (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ)

والشاهد الأخير دليل على أنَّ ربط المفردة القرآنية بالسياق لا يؤدي إلى تحريف دلالتها فحسب ، بل إلى ضياعها بين الدلالات الأُخَر التي يمكن استنباطها من سياق الشاهد نفسه وبالقدر نفسه وبالطريقة نفسها

وجعلا الجرم في الوجه السادس بمعنى الإثم ، في قوله تعالى : (فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ) قال ابن فارس : ((الهمزة والثاء والميم تدل على أصل واحد ، وهو البطء ، والتأخر ... والإثم مشتق من ذلك ؛ لأنَّ ذا الإثم بطيء عن الخير ، متأخر عنه)) [١] ((والإثم والآثام اسم للأفعال المبطئة عن الثواب)) [٢] وقد تقدم تعريف الجرم بأنَّه يعني اكتساب المكروه ، فبين الجرم والإثم فرق ظاهر ، فجعله بمعناه تحريف ظاهر .

هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإنَّه لا مسوغ لهما في تعيين هذا الوجه ؛ لأنَّه كما جاز جعله بمعنى الإثم جاز جعله بمعنى مرادف آخر كالذنب ، وهذا ما جاء في التفسير ، قال الطبري في تفسير الآية : ((لا تؤاخّذون بذنبي ، ولا إثمي ، ولا أُواخَذ بذنبكم)) [٣] وقال الواحدي في تفسيرها : ((أي : إثم إجرامي ، وعقوبة إجرامي فحذف المضاف ، والإجرام

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٧

(٢) المفردات للراغب ص ١٤

(٣) جامع البيان ٤٠/١٢

معناه اكتساب السيئة ، يقال : أجرم فهو مجرم (وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ) من الكفر ، والتكذيب)) [1] وأَولى من جعْلِ الإجرام بمعنى الإثم جعله بمعنى الافتراء ؛ لأنَّ السياق يدلُ عليه بكل وضوح ؛ لأنَّ الشاهد هو قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ){هود : ٣٥} وهذا ما جاء في التفسير ، قال الزمخشري في تفسير الآية : ((والمعنى : إن صحَّ وثبت أني افتريته ، فعليَّ عقوبة إجرامي ، أي : افترائي ، ومعنى (مِّمَّا تُجْرَمُونَ) من إجرامكم في إسناد الافتراء إليَّ))[2] ((أي : جرم ذلك الاختلاق ، إن كنتُ فعلتُ (وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ) في التكذيب))[3] فتأمَّل أنَّ من فسَّر الإجرام بالافتراء أو الاختلاق قرن بينهما ، فكأنَّه يريد أن يذكر بأنَّ المعنى : فعليَّ اجترامي الافتراء والاختلاق ، وعليكم اجترامكم الإعراض والتكذيب ؛ لأنَّ الإجرام يعني : اكتساب السيئة ، أو اكتساب المكروه

والإشراك ، والقدرية ، واللواط ، والإثم ، معانيها معروفة ، والإجرام يعني اكتساب المكروه من الأعمال كما جاء في اللغة ، فدلالته غير دلالة كل وجه من هذه الأوجه الثلاثة ، فجعل الإجرام بمعانيها تحريف لمعناه في اللغة .

والقرآن الكريم أراد من المجرمين كلّ مَن يصح أن تطلَق عليه صفة الإجرام ، وكما عرفَّها أهل اللغة ، وهي صفة تنطبق على المشركين ، وعلى الكافرين ، وعلى القدرية ، وعلى كل ملة ضالة خرجت عن دين الله ، وما أكثرها قديمًا وحديثًا ، وعلى كل من عصى الله سبحانه ، فالمراد بها في كلّ

---

(١) الوسيط ٥٧٢/٢

(٢) الكشاف ٣٧٧/٢ وينظر : مدارك التنزيل ص ٤٩٦

(٣) زاد المسير ٧٧/٤

شاهد من شواهد الأوجه الثلاثة ، وفي كل موضع عموم معناها ، وهو أنَّ الإجرام يعني اكتساب المكروه ، فجعله بمعاني الأوجه المذكورة تحريف لدلالة عمومه ، حتى لو صحَّ أنَّه أراد معنى المشركين ، أو الكافرين ، أو قول القدرية ، أو اللواط ، فإنَّه أرادها بدلالته العامَّة ، لا بدلالاتهم الخاصة ، فقد مرَّ قول الطبري في تفسير شاهد الوجه الأول : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) ((وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر بالله)) بمعنى : الذين كسبوا الكفر ، وكذلك يكون شاهد هذا الوجه ليس بمعنى : إنَّ المشركين في عذاب جهنم خالدون ، بل هو بمعنى : إنَّ الذين اجترموا الإشراك في عذاب جهنم خالدون ، وكذلك شاهد الوجه الثاني : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) ليس بمعنى : إنَّ القائلين بالقدرية في ضلال وسعر ، بل هو بمعنى : إنَّ الذين اجترموا القول بالقدرية في ضلال وسعر ، وشاهد الوجه الثالث : (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) ليس بمعنى : فانظر كيف كان عاقبة قوم لوط ، بل هو بمعنى : فانظر كيف كان عاقبة الذين اجترموا اللواطة ، وشاهد الوجه السادس : (فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ) ليس بمعنى : فعليَّ آثامي ، وأنا بريء مما تأثمون ، بل هو بمعنى : فعليَّ ما اجترمته من الإثم ، وأنا بريء مما اجترمتم من الإثم ، فهذا هو المعنى المراد ، هذا إن صحت هذه الأوجه ، فكل لفظ في القرآن لا يخرج عن دلالته ، بل دلالته هي المرادة في كل موضع ، وليؤمن كل دارس للقرآن الكريم أنَّ اللفظ القرآني لا يعوِّض عنه لفظ آخر ، ويحلّ محلّه ، وقد قلتُ مرارًا من قبل : إنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، حتى إنَّ أهل اللغة لما عرَّفوا الجرم باكتساب المكروه ، فهم لا يعنون أنَّ اكتساب المكروه يعني الإجرام بعينه ، وإنَّما عنوا أنَّه يُعدُّ أقرب المعاني إليه ، بل وجب أن تكون هذه هي الحقيقة ، صرّحوا بها أم لم يصرِّحوا ، آمنوا بها أم لم يؤمنوا

وجعلا الجرم في الوجه الرابع بمعنى العداوة ، في قوله تعالى : كقوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي) وتقدم أنَّ الدامغاني جعل هذا الشاهد بتقدير ((لا يحملنَّكم عداوتي)) وجعله الفيروزآبادي بتقدير : ((لا يحملنّكم خلافي)) وتأمَّل أنَّ كلا التقديرين خلا من جعل (يَجْرِمَنَّكُمْ) بمعنى العداوة ، فقد خلا التقدير الثاني من لفظ العداوة ، والأول لم يجعل : عداوتي معنى لـ(يَجْرِمَنَّكُم) بل جعله معنىً لـ(شِقَاقِي) فجعلهما (يَجْرِمَنَّكُمْ) بمعنى : يحملنَّكم ، تحريف ظاهر مركب ؛ لأنَّه تحريف للفظ القرآني وتحريف لتقديره ، وقد قال الفراء في تفسير هذه الآية : ((وقوله تعالى : (لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي) يقول : لا تحملنَّكم عداوتي أن يصيبكم ، وقد يكون : لا تكسبنَّكم)) [١] وقد فسَّرها الطبري بمعنى التقدير الأول[٢] وفسَّرها ابن قتيبة وغيره بمعنى التقدير الثاني[٣] وجعل الإجرام بمعنى العداوة ، أو الحمل ، أو الكسب جائز في باب التفسير ، ويُعدُّ تحريفًا في باب الوجوه ؛ لما ذكرتُه في مقدمة الكتاب

وجعلا : لا جَرَمَ ، في الوجه الخامس بمعنى : حقًّا ، في قوله تعالى : (لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ) جاء في الدر المصون أنَّ النحاة اختلفوا في قوله تعالى : (لاَ جَرَمَ) ((ويتلخص ذلك في خمسة أوجه : أحدها : أنَّهما رُكِّبتا من (لا) النافية و(جرم) وبُنيتا على تركيبهما تركيب خمسة عشر ، وصار معناهما معنى فعل ، وهو (حقَّ) .

الوجه الثاني : أنَّ (لا جَرَمَ) بمنزلة : لا رجلَ ، في كون (لا) نافية للجنس ، و(جَرَمَ) اسمها مبني معها على الفتح ، وهي واسمها في محل رفع

---

(١) معاني القرآن ٣٤١/١

(٢) ينظر : جامع البيان ١٢٥/١٢

(٣) ينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٠٨ ومعاني القرآن الكريم وإعرابه للزجاج ٦٠/٣ والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥٨٦/٢

بالابتداء ، وما بعدهما خبر (لا) النافية ، وصار معناها : لا محالة ، ولا بدَّ .

الثالث ... التقدير : لا محالة في أنَّهم في الآخرة ...

الرابع : أنَّ (لا) نافية لكلام متقدم تكلَّم به الكفرة ، فردَّ الله عليهم ذلك بقوله : لا ، كما تردَ (لا) هذه قبل القسم في قوله : (لا أُقْسِمُ)(القيامة : ١} وقوله : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ)(النساء : ٦٥} ثمَّ أتى بعدها بجملة فعلية ، وهي : جَرَمَ أنَّ لهم كذا ، وجرَمَ فعل ماض معناه كسَبَ .

الوجه الخامس : أنَّ معناها : لا صدَّ ولا منعَ ، وتكون جَرَم ، بمعنى القطع)) [١] والأصح من هذه الأقوال ، الرابع ، وهو قول الزجاج : أنَّ ((معنى (لا) نفي لما ظنوا أنَّه ينفعهم ، كأنَّ المعنى : لا ينفعهم ذلك ، جرَمَ أنَّهم في الآخرة هم الأخسرون ، أي : كسَبَ ذلك الفعل لهم الخسران))[٢] وهذا ما تبناه الأزهري وقال : (((لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ) أي : كَسَبَ لهم ذلك الفعل الخسران ، وكذلك قوله تعالى : (لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ الْنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ)(النحل : ٦٢} المعنى : لا ينفعهم ذلك ، ثمَّ ابتدأ فقال : جَرَمَ إفكهم ، وكَذِبهم النار ، أي : كسب لهم عذابها ، وهذا من أبين ما قيل فيه))[٣]

أنَّ (حقًا) هو معنى التركيب : لا جرم ، المؤلَّف من كلمتين ، أو جملتين ، وليس هو معنى الجرم وحده في هذا التركيب ، فجعله بمعناه تحريف ظاهر لدلالته ، وصفوة ما تقدم ذكره أنَّ (حقًا) الذي جعله الدامغاني

---

(١) الدر المصون ٣٠٣/٦-٣٠٤ وينظر : العين ص ١٣٧ ومعاني القرآن للفراء ٣٢٨/١ وجامع البيان للطبري ٣٠/١٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٧/٣

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٧/٣-٣٨

(٣) تهذيب اللغة ٥٨٨/١ وينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥٦٩/٢

والفيروزآبادي وجهًا لقوله تعالى : (لاَ جَرَمَ) هو أولًا : قول من خمسة أقوال ، فقصر معناه على أحدها ، وعدم الإشارة إلى باقي الأقوال خيانة علمية في تفسير كتاب الله ، وثانيًا : أنَّ (حقًا) هو معنى التركيب : لا جرم ، المؤلف من كلمتين ، أو جملتين ، وليس هو معنى الجرم وحده في هذا التركيب ، فجعله بمعناه تحريف ظاهر لدلالته .

فالجرم معناه : اكتساب السيئة ، أو اكتساب المكروه ، وهذا هو معناه أينما ورد في كتاب الله ، أمّا الأوجه المذكورة المنسوبة إليه فمختلقة بجعله بمعاني السياق .

٥-**الجنب** : قال الدامغاني : ((تفسير الجنب على ستة أوجه : الطاعة ، والسفر ، والقلب ، والبعد ، والجنب بعينه ، والجهة .

فوجه منها ، الجنب بمعنى : الطاعة ، قوله تعالى في سورة الزمر : (يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ)[الزمر : ٥٦} أي : في طاعة الله

والوجه الثاني ، الجنب : السفر ، قوله تعالى في سورة النساء : (وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ)[النساء : ٣٦} وقيل : المرأة في البيت .

والوجه الثالث ، الجانب : القلب ، قوله تعالى في سورة بني إسرائيل : (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا)[الإسراء : ٨٣} أي : تباعد بقلبه عن الإيمان .

والوجه الرابع ، الجنب : البعد ، قوله تعالى في سورة القصص : (فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)[القصص : ١١} وقوله تعالى : (وَالْجَارِ الْجُنُبِ)[النساء : ٣٦} ومنه الجنابة .

والوجه الخامس ، الجنب : هو الجنب بعينه ، قوله تعالى في سورة الم تنزيل ، السجدة : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ)[السجدة : ١٦} يعني الجنوب بعينها ، ويقال : الخدود

والوجه السادس ، الجانب ، الجهة ، قوله تعالى : (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ)[القصص : ٤٤] وقوله تعالى : (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ)[القصص : ٤٦]))[١]

ذكر أهل اللغة أنَّ الجَنْبُ (بفتح الجيم وسكون الباء) : شق الإنسان ، وهو ما تحت إبطه إلى كشحه ، والجانب : الناحية ، ويكون بمعنى الجَنْب أيضًا ؛ لأنَّه ناحية من الشخص ، أمَّا الجُنُب (بضم الجيم والنون) فيعني البعد ، وسميت الجنابة جُنُبًا ؛ لأنَّها تكون سببًا لتجنب الصلاة والمسجد والابتعاد عنهما في حكم الشارع [٢]

جعلَ الدامغاني الجنب في الوجه الأول بمعنى الطاعة في قوله تعالى : (يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) والجنب هنا يعني الجنب بعينه ، وكما عرَّفه أهل اللغة ، أمَّا الطاعة فهو معنى من المعاني التي يتضمنها المعنى العام للسياق ؛ لذلك جاز أن يُستنبط منه هذا المعنى ومعان أُخَر تدور في فلكه ، جاء في التفسير : ((قوله تعالى : (فِي جَنبِ اللَّهِ) فيه خمسة أقوال ، أحدها : في طاعة الله ، قاله الحسن ، والثاني : في حق الله ، قاله سعيد بن جبير ، والثالث : في أمر الله ، والرابع : في ذكر الله ، قاله عكرمة والضحاك ، والخامس : في قرب الله ، روي عن الفراء أنَّه قال : الجَنْب : القرب ، أي : في قرب الله وجواره ، يقال : فلان يعيش في جنب فلان ، أي : في قربه وجواره ، فعلى هذا يكون المعنى : على ما فرطتُ في طلب قرب الله تعالى ، وهو الجنة)) [٣] فالأقوال الأربعة الأولى لا يمثل أيٌّ

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٦١-١٦٢وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٤٧ .

(٢)ينظر : العين ص ١٥٨ ومقاييس اللغة ص ١٧٦ والمفردات ص ١٠٤-١٠٥ ولسان العرب ٢٠٧/٣ والمصباح المنير ص ١١٠

(٣) زاد المسير ٦٠/٧ .

منها معنى الجَنْب في الشاهد القرآني المذكور ، بل يمثل معنى من المعاني التي تضمنها المعنى العام للسياق ، والقول الخامس : هو المعنى المراد ؛ لأنَّه هو الذي يدل من دونها على معنى الجَنْب بعينه .

وجعلَ الجنب في الوجه الثاني بمعنى السفر في قوله تعالى : (وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ) والجنب هنا يعني أيضًا الجنب بعينه ؛ أمَّا السفر فهو معنى من المعاني التي يتضمنها المعنى العام للسياق ؛ لذلك جاز أن يستنبط منه هذا المعنى وغيره مما يدخل ضمن معناه العام ، جاء في التفسير : ((وفي الصاحب في الجنب ثلاثة أقوال ، أحدها : أنَّه الزوجة ، قاله علي ، وابن مسعود ، والحسن ، وإبراهيم النخعي ، وابن أبي ليلى .

والثاني : أنَّه الرفيق في السفر ، قاله ابن عباس في رواية مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسُّدِّي ، وابن قتيبة ، وعن سعيد بن جبير كالقولين .

والثالث : أنَّه الرفيق ، رواه ابن جريج عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة ، قال ابن زيد : هو الذي يَلصَق بك رجاء خيرك ، وقال مقاتل هو : رفيقك حضرًا)) [1]

وهذه الأقوال لا يمثل أيٌّ منها معنى الجنب ، بل يمثل معنى من معاني السياق ، والجنب هنا يعني الجنب بعينه ، والدليل على ذلك أنَّه لولا مجيئه بمعناه كما عرَّفه أهل اللغة لما جازت في قوله تعالى : (وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ) هذه المعاني الثلاثة

وجعلَ الجانب في الوجه الثالث بمعنى القلب في قوله تعالى : (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ) وهذا المعنى أيضًا ليس معنى الجانب ، بل هو معنى من معاني السياق ، والدليل على ذلك جواز أن يكون بمعان أُخَر تشترك مع القلب في المعنى العام ، قال الطبري : (((وَنَأَى

---

(١) زاد المسير ٥٠/٢ وينظر : تفسير مقاتل ٢٢٩/١ .

بِجَانِبِهِ) يقول : وبعُدَ منَّا بجانبه ، يعني بنفسه ... وعن مجاهد في قوله : (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) قال : تباعد منَّا)) [١] وجاز أن يكون المعنى : ((لوى عطفه وبعد بنفسه ، كأنَّه مستغن مستبد بأمره ، ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار ؛ لأنَّه من عادة المستكبرين)) [٢] أو ((يوليه ظهره)) [٣] أو ((تباعد عن القيام بحقوق النعم ، وقيل : تعظَّم وتكبَّر)) [٤] وهذه المعاني لا يمثل أيَّ منها معنى الجانب ، بل يمثل معنى من معاني السياق ، أمَّا الجانب فإنَّه يعني الجانب بعينه ، والدليل على ذلك أنَّه لولا مجيئه بمعناه كما عرَّفه أهل اللغة لما جاز في قوله تعالى : (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) المعاني المذكورة

وجعل الجنب في الوجه الرابع بمعنى البعد في قوله تعالى : (فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) وقوله تعالى : (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) والجُنُب جاء هنا بصيغة أخرى ، فهو بضم الجيم والنون[٥] والجَنْب في الأوجه السابقة جاء بفتح الجيم وسكون النون ، وقد أجمع أهل اللغة كما تقدم على التفريق بينهما أنَّ الصيغة الأولى تعني البعد ، والصيغة الثانية تعني : الناحية أو شق الإنسان .

---

(١) جامع البيان ١٧٦/١٥.

(٢) أنوار التنزيل ٢٦٤/٣.

(٣) مدارك التنزيل ص ٦٣٤ .

(٤) زاد المسير ٥٩/٦.

(٥) وقد فصل الحيري بين الصيغتين فجعل الجُنُب بضم الجيم على وجهين : الجنابة ، والقريب ، وجعل الجَنْب بفتح الجيم على ثلاثة أوجه : الرفيق في السفر ، والجنب بعينه ، والطاعة . ينظر : وجوه القرآن ص ١٤٦-١٤٧ .

وجعل الجانب في الوجه السادس بمعنى الجهة في قوله تعالى : (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ) وقوله تعالى : (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ) وهذا يعني أنَّه جاء بمعنى الجانب بعينه ؛ لأنَّ الجهة تعني الناحية .

وجعل الجنب في الوجه الخامس بمعنى : الجنب بعينه في قوله : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) والمراد الجَنْب (بفتح الجيم وسكون النون) لا الجُنُب (بضم الجيم والنون) وكان ينبغي للمحقق أن يضبط هاتين الصيغتين بالحركة

والدليل على أنَّ الجنب ليس من الألفاظ المشتركة جعله في الوجه الخامس كما تقدم بمعنى الجنب بعينه ؛ لأنَّ هذا يعني أنَّ الأوجه الخمسة الباقية لا تعني الجنب بعينه ، فهي إذن أوجه مختلَقة اختلِقت بطريقة جعل الحنب بمعاني السياق ، وبمعاني ما قيل .

٦-**عند** : قال الدامغاني : ((تفسير عند على اثني عشر وجهًا :

فوجه منها عند ، يعني : قادر عليه ، قوله سبحانه في سورة الأنعام : (قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ){الأنعام : ٥٨} يعني : لو كان في قدرتي ما تستعجلون به .

والوجه الثاني ، عند ربك ، يعني في سمائه ، فذلك قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ){الأعراف : ٢٠٦} يعني : في سمائه .

والوجه الثالث ، عنده ، يعني : من وحيه ، قوله تعالى في سورة آل عمران : (وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ){آل عمران : ٧٨} يعني : وما هو من وحي الله وكلامه .

والوجه الرابع ، من عنده يعني : بقضائه وقدرته ، قوله تعالى في سورة النساء : (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ){النساء : ٧٨} أي : كل شيء بقضائه وقدرته .

والوجه الخامس ، عندهم ، يعني : في أيديهم ، قوله تعالى في سورة ص : (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ)﴿ص : ٩﴾ يعني : في أيديهم خزائن المطر .

والوجه السادس ، عنده ، يعني : علمه ، قوله تعالى في سورة النجم : (أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى)﴿النجم : ٣٥﴾ يعني : أيعلم علم الغيب .

والوجه السابع ، عنده ، يعني : ثوابه ، قوله تعالى في سورة النحل : (وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ)﴿النحل : ٩٦﴾ يعني : ثواب الله .

والوجه الثامن ، عنده ، يعني : بقربه ومجاورته ، قوله تعالى في سورة النجم : (عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى)﴿النجم : ١٤-١٥﴾

والوجه التاسع ، عنده : بذنبه ، قوله تعالى في سورة آل عمران : (قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ)﴿آل عمران : ١٦٥﴾ يعني بذنبكم .

والوجه العاشر ، من عندك ، أي : بفضلك ، قوله تعالى فلي سورة القصص : (فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ)﴿القصص : ٢٧﴾

والوجه الحادي عشر ، من عندنا ، يعني : من عطائنا ، قوله تعالى في سورة الساعة : (نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ)﴿القمر : ٣٥﴾ .

والوجه الثاني عشر ، عنده ، أي : برضائه ويقبله ، قوله سبحانه في سورة آل عمران : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ)﴿آل عمران : ١٩﴾ يعني : برضاء الله تعالى)) [١]

قال الخليل : ((عند : حرف الصفة ، فيكون موضعًا لغيره ، ولفظه نصب ؛ لأنَّه ظرف لغيره ، وهو في التقريب شبه اللزق)) [٢]وقال ابن فارس :

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٣٤٦-٣٤٧ .

(٢) العين ص ٦٨٦.

((فأمَّا قولهم : زيد عند عمرو ، فليس ببعيد أن يكون من هذا القياس ، كأنَّه قد مال عن الناس كلهم إليه حتى قرب منه ولزق به)) [١]

وقال ابن هشام : ((عند : اسم للحضور الحسي نحو : (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ){النمل : ٤٠} والمعنوي : نحو : (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ){النمل : ٤٠} وللقرب كذلك نحو : (عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى {١٤} عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى){النجم : ١٤-١٥} ونحو : (وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ){ص : ٤٧} ... قولنا : عند : اسم للحضور ، موافق لعبارة ابن مالك ، والصواب اسم لمكان الحضور ؛ فإنَّها ظرف لا مصدر ، وتأتي أيضًا لزمانه نحو : الصبر عند الصدمة الأولى)) [٢]

فـ(عند) ظرف مع دلالته على القرب ويستعمل في الأمور الحسية والمعنوية على حد سواء ، جاء في الإتقان وغيره : ((عند : ظرف مكان تستعمل في الحضور والقرب سواء كانا حسيين نحو قوله تعالى : (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ){النمل : ٤٠} وقوله تعالى : (عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى {١٤} عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى){النجم : ١٤-١٥} أو معنويين ، نحو قوله تعالى : (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ){النمل : ٤٠} وقوله تعالى : (وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ){ص : ٤٧} وقوله تعالى : (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ {٥٥} وقوله تعالى : (بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ){آل عمران : ١٦٩} وقوله تعالى : (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا){الكهف : ٦٥}))[٣]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦١٢ .

(٢) مغني اللبيب ١/١٥٥-١٥٦ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ص ص ٢٥٢ وينظر : الكلّيات ص ٥٣٤ والزيادة والإحسان في علوم القرآن ٨/١١١ .

وهذا هو الصحيح إلّا أنَّ هناك من أدخل الظرف في الأمور المعنوية والمضاف إلى الله سبحانه في باب المجاز ، قال الزركشي : ((عند : ظرف مكان ... وإذا ثبت أنَّ (عند) و(لدى) للقرب ، قتارة يكون حقيقيًّا كقوله تعالى : : (عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى {١٤} عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى){النجم : ١٤-١٥} ... وتارة مجازيًّا ، إمَّا قرب المنزلة والزلفى ، كقوله تعالى : (بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ){آل عمران : ١٦٩} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ){الأعراف : ٢٠٦} أو قرب التشريف كقوله تعالى : (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ){التحريم : ١١} وتارة بمعنى الفضل ومنه قوله تعالى : (فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ){القصص : ٢٧} وتارة يراد به الحكم كقوله تعالى : (فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ){النور : ١٣} وقوله تعالى : (وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ){التور : ١٥} وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ){الأنفال : ٣٢} وقد تكون (عند) للحضور ، نحو قوله تعالى : (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ){النمل : ٤٠} وقد يكون الحضور والقرب معنويين ، نحو قوله تعالى : (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ){النمل : ٤٠}))[1]

وقال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى : (قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ){الأنعام : ٥٨} ((وحقيقة (عند) أنَّها ظرف المكان القريب ، وتستعمل مجازًا في استقرار الشيء لشيء وملكه إيّاه ، كقوله تعالى : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ){الأنعام : ٥٩} وتستعمل مجازًا في الاحتفاظ بالشيء ، كقوله تعالى : (وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ){الزخرف : ٨٥} وقوله تعالى : (وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ){إبراهيم : ٤٦} ولا يحسن في غير ذلك)) وقال في الهامش : ((أردتُ بهذا أنَّ استعمال(عند) مجازًا في غير ما ذكرنا مشكوك في صحة استعماله

(١) البرهان ص ٨٤٩-٨٥٠ .

فـي كـلام العـرب)) [1] وقـال فـي تفسـير قولـه تعـالى : (إِنَّ الَّـذِينَ عِنـدَ رَبِّكَ){الأعراف : ٢٠٦} ((و(عند) مستعمل مجازًا في رفعة المقدار والحظوة الإلهيـة)) [2] وقـال فـي تفسـير قولـه تعـالى : (فَـإِنْ أَتْمَمْـتَ عَشْـرًا فَمِـنْ عِندِكَ){القصـص : ٢٧} ((و(عنـد) تسـتعمل فـي الـذات والـنفس مجـازًا ... والتقدير : فإتمام العشر من نفسك)) [3]

تبيَّن مما تقدم ذكره أنَّ الظرف (عند) أينما ورد في القرآن الكريم إمَّا أن يكون مستعملًا في القرب والحضور الحسي أو المعنوي ، وإمَّا أن يكون مستعملًا في القرب والحضور المجازي ، أي : لم يكن له إلّا وجه حقيقي واحد ، هو معنى القرب والحضور ، أمَّا الوجوه الاثنا عشر التي ذكرها الدامغاني فهي مختلقَة بطريقة جعلها بمعاني السياق أو المجاز .

الطريقة الحادية عشرة : عدم تحرِّي الصواب والدقة في التفسير

وهي طريقة عامة فكثير من وجوه الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه أُختُلِقَت بهذه الطريقة ، ومن أمثلتها ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

١-اسم : ذكر الدامغاني أنّ للاسم في القرآن الكريم ستة أوجه :

الوجـه الأول : الاسم بمعنـى المسمَّى : كقولـه تعـالى : ﴿تَبَـارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾{الرحمن : ٧٨}

الوجـه الثـاني : الاسم بمعنـى التوحيد ، كقولـه تعـالى : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾{المزمل : ٨}

الوجه الثالث : الأسماء بمعاني الصفات والنعوت ، كقوله تعالى : ﴿وَلِلَّـهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾(الأعراف : ١٨٠} وقوله تعالى : ﴿قُلِ

---

(١) التحرير والتنوير ١٣٣/٦.

(٢) التحرير والتنوير ٤١٤/٨ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٧٦/١٠ .

ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾{الإسراء : ١١٠} أي : الصفات العلا من العلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والإرادة ، والكلام .

الوجه الرابع : الأسماء بمعاني مسميات العالم ، كقوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾{البقرة : ٣١} وقوله تعالى : ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾{مريم : ٧} يعني تسميته

الوجه الخامس :الأسماء بمعاني الأصنام ، كقوله تعالى : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾{يوسف : ٤٠} وقوله تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾{النجم : ٢٣}

الوجه السادس : الاسم : يعني الشبه والمثل والعديل ، كقوله تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾{مريم : ٦٥} يعني : عديلًا ومثلًا [١]

وقد ذكر الفيروزآبادي هذه الأوجه الستة بنفس شواهدها وترتيبها[٢]

وأصل الاسم : ((سِمْوٌ عند البصريين، حذفت الواو ، ونقل سكون الميم إلى السين ، فجيء بهمزة الوصل ، وعلة الحذف كثرة الاستعمال ؛ ولذا لم يحذف من عِضْو ، ونِضْو ونحوهما ، وقال الكوفيون : هو من الوسم ، أُخِّرت فاء الكلمة ، وحُذِفت (أو حذفت) من غير تأخير، وبعض الكوفيين يقول : قلبت الواو همزة ، كما فعل من قال : إشاح في وشاح ، ثم كثر استعماله ، فجعلت ألف وصل ، وقول الكوفيين أبين من حيث المعنى ، فأخذه من العلامة أوضح من أخذه من الرفعة ، وقول البصريين أقرب من جهة اللفظ)) [٣]

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٨-٣٩

(٢) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٧٦/٢

(٣) عمدة الحفاظ ٢٢٥/٢

جعل الدامغاني والفيروزآبادي الاسم في الوجه السادس بمعنى : الشبه والمثل والعديل ، كقوله تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾{مريم : ٦٥} وهذا الوجه كما ترى وجه للسمي وليس وجهًا للاسم ، فيجب إخراجه من أوجه الاسم

وجعلا الاسم في الوجه الأول بمعنى المسمّى في قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

يجب التفريق بين الاسم والمسمّى ، فقد عرّف الراغب الاسم بقوله : ((والاسم : ما يُعرَف به ذات الشيء ، وأصله سِمْوٌ بدلالة قولهم : أسماء وسُمِّيَ ، وأصله من السُمُوّ وهو الذي به رُفِعَ ذكر المُسمَّى فيُعْرَف به)) [١] وعرّفه بعضهم بأنه ((ما أنبأ عن المُسمَّى)) [٢] ((أو هو علامته)) [٣] ((والاسم : هو اللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتمييز، أي : ليفصل به بعض عن بعض)) [٤] فالمسمّى عُرِف عن طريق الاسم ، وهذه هي العلاقة التي بينهما تستوجب التفريق بينهما ، فجعل الاسم بمعنى المُسمَّى يعني توحيدهما في الدلالة مما قد يؤدي إلى إلغاء دلالة الاسم ؛ لأنّه هو المقدَّم على المسمّى فيُحكم بزيادته ، وهذا ما حصل ، جاء في أنوار التنزيل وغيره ((﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾٠٠٠وقيل الاسم بمعنى الصفة أو مقحم (يعني زائد) كما في قوله :

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠إلى الحول ثمّ اسمُ السلامِ عليكما)) [٥]

---

(١) المفردات ص ٢٥٢

(٢) الكليات للكفوي ص ٦٨

(٣) لسان العرب ٢٦٧/٧

(٤) تاج العروس ١٦٧/٣٨

(٥) أنوار التنزيل تفسير البيضاوي ١٧٦/٥ وينظر البحر المحيط تفسير أبي حيان الأندلسي ٢٨٤/٨ وروح المعاني للآلوسي ١٢٦/١٤

وكذلك جعل الاسم هنا بمعنى المسمّى سيعطل التفسير الصحيح والسليم للآية ، فقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ كأنّه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة ، فقال : ﴿الرَّحْمنُ﴾{الرحمن : ١} فافتتح بهذا الاسم ، فوصف خلق الإنسان والجنّ ، وخلق السماوات والأرض وصنعه ، وأنّه كلّ يوم هو في شأن ، ووصف تدبيره فيهم ، ثمّ وصف يوم القيامة وأهوالها وصفة النار ، ثمّ ختمها بصفة الجنان ، ثمّ قال في آخر السورة ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة ، كأنّه يعلمهم أنّ هذا كله خرج لكم من رحمتي ، فمن رحمتي خلقتكم ، وخلقتُ لكم السماء والأرض والخلق والخليقة والجنة والنار ، فهذا كله لكم من اسم الرحمن ، فمدح اسمه ثمّ قال : ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ جليل في ذاته ، كريم في أفعاله)) [١]

فالمراد من الاسم في قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الاسم بعينه ، ولو جعلناه بمعنى المسمّى لما دلّت الآية على ما دلّت عليه ، بل في إبقاء الاسم على معناه مقصد بلاغي : فـ((قد صحّ الإسناد إلى الاسم (من دون المسمّى) لأنّه بمعنى العلو ، فإذا علا الاسم فما ظنّك بالمسمّى ؟!))[٢] فإذا كان هذا اسم الله ((فما ظنّك بذاته ؟!))[٣] ((وإذا كان حال اسمه تعالى بملابسة دلالته عليه سبحانه كذلك ، فما ظنّك بذاته الأقدس الأعلى)) [٤]

وجعلا الاسم في الوجه الثاني بمعنى التوحيد في قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ وهذا الوجه لا معنى له ؛ لأنّ المسلم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٥٠/١٧

(٢) البحر المحيط ٢٨٤/٨

(٣) أنوار التنزيل ١٧٦/٥

(٤) روح المعاني للآلوسي ١٢٦/١٤

مأمور بأن يوحد الله في كل أعماله وأقواله ، وإنّما المراد من الاسم هنا الاسم بعينه ، وهذا ما جاء في كتب التفسير ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد اسم ربك وادعه به)) [1] وقال الزمخشري : ((﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ودم على ذكره في ليلك ونهارك ، واحرص عليه ، وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب : تسبيح ، وتهليل ، وتكبير ، وتمجيد ، وتوحيد ، وصلاة ، وتلاوة قرآن ، ودراسة علم ، وغير ذلك مما كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يستغرق به ساعة ليله ونهاره)) [2] وقال ابن عطية : ((وقال سهل : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ يراد اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك)) [3] وقال القرطبي : ((قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي : ادعه بأسمائه الحسنى ؛ ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة ، وقيل : أي : اقصد بعملك وجه الله ، وقال سهل : اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك٠٠٠وقيل : اذكر اسم ربك في وعده ووعيده٠٠٠وقال الكلبي : صلِّ لربك أي: بالنهار)) [4] وقال أبو حيان الأندلسي : ((﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي : دم على ذكره ، وهو يتناول كل ذكر من تسبيح وتهليل وغيرهما)) [5] فالمراد من الاسم إذن في هذا الوجه الاسم بعينه وبمعناه العام

وجعلا الأسماء في الوجه الثالث بمعاني الصفات والنعوت ، كقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وقوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾

---

(1) جامع البيان ١٥٨/٢٩

(2) الكشاف ٦٢٦/٤وينظر : أنوار التنزيل ٢٥٦/٥

(3) المحرر الوجيز ٣٨٨/٥

(4) الجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٩

(5) البحر المحيط ٥٠٦/٨

((عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ساجدًا يدعو: يا رحمن يا رحيم ، فقال المشركون : هذا يزعم أنّه يدعو واحدًا ، وهو يدعو مثنى مثنى ، فأنزل الله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾))[1]

وقال ابن عطية : ((﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾...و((﴿الْأَسْمَاءُ﴾ هنا بمعنى التسميات إجماعًا من المتأولين لا يمكن غيره)) [2]وقال القرطبي : ((﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي : اطلبوا منه بأسمائه)) [3] فالمراد إذن من الأسماء الأسماء بعينها ، أي ليس المراد الصفات ، أي : العلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، كما زعم الدامغاني والفيروزآبادي ، بل المراد : الأسماء : العالم ، والقادر ، والسميع ، والبصير .

أسماء الله وصفاته والفرق بينهما : قال ابن عثيمين : ((ولم يصحّ عن النبي صلى الله عليه وسلّم تعيين هذه الأسماء ، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف...ولمّا لم يصحّ تعيينها عن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف السلف فيه وروي عنهم في ذلك أنواع ، وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسمًا مما ظهر لي من كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فمن كتاب الله :

الله	والأحد	والأعلى	والأكرم	والإله	والأول	والآخِر
والظاهر	والباطن	والبارئ	والبرُّ	والبصير	والتوّاب	والجبّار
والحافظ	والحسيب	والحفيظ	والحفيُّ	والحقّ	والمُبين	والحكيم
والحليم	والحميد	والحيُّ	والقيّوم	والخبير	والخالق	والخلّاق
والرؤوف	والرحمن	والرحيم	والرزّاق	والرقيب	والسلام	والسميع

(1) جامع البيان ٢١٠/١٥

(2) المحرر الوجيز ٤٨٠/٢

(3) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٤/٧

والشاكر	والشكور	والشهيد	والصمد	والعالم	والعزيز	والعظيم
والعفوّ	والعليم	والعليُّ	والغفّار	والغفور	والغنيُّ	والفتاح
والقادر	والقاهر	والقدّوس	والقدير	والقريب	والقويّ	والقهّار
والكبير	والكريم	واللطيف	والمؤمن	والمتعالي	والمتكبِّر	والمتين
والمجيب	والمجيد	والمحيط	والمصوِّر	والمقتدر	والمقيت	والملك
والمليك	والمَولى	والمهيمن	والنصير	والواحد	والوارث	والواسع
والودود	والوكيل	والوليُّ	والوهّاب			

ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلّم :

الجميل	والجواد	والحَكَم	والحَيِيّ	والربُّ	والرفيق	والسُّبُّوح
والسيّد	والشافي	والطيِّب	والقابض	والباسط	والمقدِّم	والمؤخِّر
والمُحسن	والمُعطي	والمنّان	والوِتْرُ			

هذا ما اخترناه بالتتبع واحد وثمانون اسمًا في كتاب الله تعالى ، وثمانية عشر اسمًا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان عندنا تردد في إدخال الحفيّ ؛ لأنّه إنّما ورد مقيدًا في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾{مريم : ٤٧} وكذلك (المُحسن) لأنّنا لم نطّلع على رواته في الطبراني ، وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء ، ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافًا مثل : مالك الملك ، ذي الجلال والإكرام)) [1]

وقد جعل الدامغاني والفيروزآبادي الأسماء بمعاني الصفات على الرغم من أنّ هناك فروقًا بينهما :

الأول : أسماء الله ما دلّ على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به مثل : القادر ، والعليم ، والحكيم ، والسميع ، والبصير ، فإنّ هذه الأسماء دلّت على ذات الله ، وعلى ما قام بها من القدرة ، والعلم ، والحكمة ، والسمع

(1) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ١٥-١٦

، والبصر ، أمّا الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات ، كالعلم ، الحكمة ، والسمع ، والبصر ، فالاسم دلّ على أمرين ، والصفة دلّت على أمر واحد ، ويقال : الاسم متضمن للصفة ، والصفة مستلزمة للاسم .

الثاني : أنّ الأسماء يشتق منها صفات مثل الرحمن يشتقّ منها الرحمة ، أمّا الصفات فلا يشتق منها أسماء ، مثل صفة الاستواء ، فلا يقال : إنّ من أسماء الله المستوي ، فتُشتَق من أسماء الله : الرحيم ، والقادر ، والعظيم ، صفات الرحمة ، والقدرة ، والعظمة ، لكن لا تُشتَق من صفات الله : الإرادة ، والمجيء ، والمكر ، اسم المريد ، والجائي ، والماكر .

الثالث : أنّ أسماء الله لا تُشتق من أفعاله ، فلا يُشتق من كونه يحبّ ، ويكره ، ويغضب ، اسم المحبّ ، والكاره ، والغاضب ، أمّا صفاته فإنّها تُشتق من أفعاله ، فتثبت له صفة المحبة ، والكره ، والغضب ، ونحو ذلك من الأفعال .

الرابع : إنّ أسماء الله وصفاته تشترك في جواز الاستعاذة ، والحلف بها ، لكن تختلف في التعبيد وفي الدعاء ، فيُتعبَّد الله بأسمائه ، ولا يُتعبَّد بصفاته مثل : عبد الكريم ، ولا يجوز عبد الكرم ، كما أنّه يُدعى الله عز وجل بأسمائه : يا كريم ، ولا يجوز : يا كرم[1]

فكيف تسنّى للدامغاني والفيروزآبادي جعل أسماء الله تعالى بمعاني صفاته في قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وقوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وقد أمرنا الله سبحانه أن ندعوه بها ، وقد تبيّن أنّ بينهما فروقًا أساسية التي من بينها جواز أن ندعو الله بأسمائه ، وعدم الجواز أن ندعو الله بصفاته ،

([1]) ينظر : كتب العقيدة ، منها على سبيل المثال : القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين

والجدير بالذكر أنّ الدامغاني صرّح بأنّ المراد : الصفات العلا من العلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والإرادة ، والكلام .

فمما لا شك فيه من أنّ المراد من الأسماء الأسماء بعينها .

وجعلا الأسماء في الوجه الرابع بمعاني المسمّيات ، في قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾

وقد وجدت في كلام الدامغاني والفيروزآبادي اضطرابًا وتناقضًا ، فقد جعل الدامغاني من شواهد هذا الوجه قوله تعالى : ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾{مريم : ٧} ثم قال : ((يعني تسميته)) [١] والتسمية تعني الاسم لا المسمّى ، وقال الفيروزآبادي ((الرابع : بمعنى مُسمَّيات العالم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أي : عرّفه أسماء المسمّيات)) [٢]

قال مقاتل : ((﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى حشرَ الطيرَ والدوابّ وهوامّ الأرض كلّها ، فعلّم آدم ، عليه السلام ، أسماءها ، فقال : يا آدم : هذا فرس ، وهذا بغل ، وهذا حمار ، حتى سمّى له كلّ دابّة وطير باسمه))[٣]

وقال الراغب : ((﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾{البقرة : ٣١} أي : الألفاظ والمعاني مفرداتها ومركباتها)) [٤] أي : علّمه ((أسماء ما خلق من حيوان ونبات ومعادن ، ثمّ عرض تلك الأشخاص عليهم)) [٥]

---

(١) الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٩

(٢) بصائر ذوي التمييز ٧٦/٢

(٣) تفسير مقاتل : ٤١/١

(٤) المفردات ص ٢٥٢ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٢٥/٢

(٥) عمدة الحفاظ ٢٢٥/٢

وقال ابن عطية : ((واختلف المتأولون في قوله ﴿الْأَسْمَاءَ﴾ فقال جمهور الأمّة : وعلّمه التسميات (يعني الأسماء) ، وقال قوم : عرض عليه الأشخاص ، قال القاضي أبو محمد : والأول أبين ، ولفظة –علَّمه – تعطي ذلك ، ثمّ اختلف الجمهور في أيِّ الأسماء علّمه؟ قال ابن عباس وقتادة ومجاهد : علّمه اسم كلّ شيء من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها)) [1]

فعلّم الله آدم أسماء مسميات من يعقل وما لا يعقل ، علّمه أسماءها من دون الملائكة ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي : ثمّ عرض المُسمّيات التي هي أعيان الأشياء على آدم والملائكة ، قال : عرضهم ، وما قال : عرضها ؛ لأنّه غلّب العاقل على غير العاقل ﴿ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فعلِمَ آدم بأسمائها ، ولم تعلم بها الملائكة ؛ لأنّه سبحانه ، خصّه بتعليمه إيّاها من دونهم

هذا هو التفسير الذي ذهب إليه جمهور الأمّة ، وأجمع على ترجيحه المفسرون القدامى والمتأخرون والمحدثون بدءًا من تفسير مقاتل (ت : ١٥٠هـ) إلى تفسير ابن عثيمين (ت : ١٤٢١هـ) فيكون المراد من الأسماء الأسماء بعينها لا المسميات .

وجعلا الأسماء في الوجه الخامس بمعنى الأصنام في قوله تعالى : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾{يوسف : ٤٠} وقوله تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾{النجم : ٢٣} وهذا ما قيل به في بعض كتب التفسير : ((وقيل عنى بالأسماء المسميات ، أي : ما تعبدون إلّا أصنامًا)) [2] والصحيح عند جمهور المفسرين أنّه أراد من الأسماء الأسماء بعينها ، قال الطبري في تفسير الأسماء في سورة يوسف : ((وذلك تسميتهم

([1]) المحرر الوجيز ١١٩/١

([2]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٨/٩

أوثانهم آلهة أربابًا ٠٠٠سمّوها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها)) [١] وقال في تفسيرها في سورة النجم ((يقول تعالى ذكره : ما هذه الأسماء التي سميتموها ، وهي اللات ، والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى إلّا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم٠٠٠ما أنزل الله بها يعني بهذه الأسماء))[٢] فالمراد إذن من الأسماء الأسماء بعينها ، وليس الأصنام ، وهذا ما يوضحه ويؤكده المفسرون بعد الطبري ، قال الواحدي : ((﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ يعني الأرباب والآلهة ، ولا تصحّ معانيها للأصنام ، فكأنّها أسماء فارغة ، وكأنّهم يعبدون الأسماء ؛ لأنّها لا معاني تصحّ لها)) [٣] وقال الراغب :((وقوله : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ فمعناه : أن الاسماء التي تذكرونها ليس لها مُسمّيات ، وإنما هي أسماء على غير مُسمّى ؛ إذ كان حقيقة ما يعتقدون في الأصنام بحسب تلك الأسماء غير موجود فيها))[٤] وقال الزمخشري : ((﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني أنّكم سمّيتم ما لا يستحق الإلهية آلهة ، ثمّ طفقتم تعبدونها ، فكأنّكم لا تعبدون إلّا أسماء فارغة لا مُسمَّيات تحتها)) [٥] وقال : ((أي : ما هي إلّا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسمّيات)) [٦] وقال ابن عطية : ((وأمّا على المعنى المختار من أنّ عبادتهم هي لمعان تعطيها الأسماء ، وليست موجودة في الأصنام فقوله ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ وضعتموها ، فالضمير للتسميات ، ووكد الضمير ليُعطَف عليه)) [٧] فهي ((إلّا أسماء ، أي : تسميات اخترعتموها

---

(١) جامع البيان ٢٦٣/١٢

(٢) جامع البيان ٧٣/٢٧

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٦١٣/٢

(٤) المفردات ص ٢٥٢ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٢٦/٢

(٥) الكشاف ٤٥٣/٢

(٦) الكشاف ٤١٣/٤

(٧) المحرر الوجيز ٢٤٦/٣

﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾لا حقيقة لها)) [1] وقال الشوكاني : ((﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي : إلّا أسماء فارغة سميتموها ولا مسميات لها ، وإن كنتم تزعمون أنّ لها مُسمَّيات))[2] وقال : ((﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي : ما الأوثان أو الأصنام باعتبار ما تدعونه من كونها آلهة إلّا أسماء محضة٠٠٠فليست إلّا مجرد أسماء٠٠٠وفي هذا من التحقير لشأنها ما لا يخفى ، كما تقول في تحقير رجل : ما هو إلّا اسم إذا لم يكن مشتملًا على صفة معتبرة ، ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ فقوله ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ صفة لأصنام ، والضمير يرجع إلى الأسماء لا إلى الأصنام))[3]

٢-أولى : ذكر الدامغاني وابن الجوزي أنَّ أولى في القرآن الكريم على وجهين :

الوجه الأول : أولى بمعنى أحقّ كقوله تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ){الأحزاب : ٦}

والوجه الثاني : أولى ، بمعنى الوعيد والتهديد ، كقوله تعالى : (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى {٣٤} ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى){القيامة : ٣٤-٣٥} [4]

قال ابن فارس : ((وفلان أولى بكذا ، أي : أحرى وأجدر ، فأمَّا قوله في الشتم : أولى لك ، فحدثني علي بن عمر ، قال : سمعتُ ثعلبًا يقول : أولى : تهدد ووعيد ، وأنشد :

فأولى ثم أولى ثم أولى وهل للدَّرِّ يُحلَب من مَرَدِّ

([1]) المحرر الوجيز ٢٠٠/٥

([2]) فتح القدير ٣٢/٣

([3]) فتح القدير ١٣٥/٥-١٣٦

(٤) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٤ ونزهة الأعين ص ١٩ومنتخب قرة العيون ص ٣٢-٣٣ .

وقال الأصمعي : معناه : قاربه ما يهلكه ، وأنشد

فعادى بين هاديتين منها وأولى أن يزيد على الثلاث

قال ثعلب : ولم يقل أحد أفضل مما قاله الأصمعي)) [١]

وقال الراغب : ((ولي : الوَلاة أن يحصل شيئان فصاعدًا حصولًا ليس بينهما ما ليس منهما ، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ، ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد ... ويقال : فلان أولى بكذا ، أي : أحرى قال تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ){الأحزاب : ٦} وقال تعالى : (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ){آل عمران : ٦٨} وقيل قوله تعالى : (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى {٣٤} ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى){القيامة : ٣٤-٣٥} من هذا ، معناه : العذاب أولى لك وبك ، وقيل هذا فعل المتعدي بمعنى القرب))[٢] ((ومعناه : العقاب أولى لك وبك ... وقال الأصمعي : قاربك فاحذره ، مأخوذ من الولي ، وهو القرب ، وإعراب الكلمة أنَّ أولى : مبتدأ ، ولك : خبره على معنى : القرب من العذاب مستقر لك ، وقيل : أولى : خبر لمبتدأ مضمر ، أي : العذاب : أولى لك وبك من غيره)) [٣]

فمعنى الوجه الثاني هو في الحقيقة بمعنى الوجه الأول ، ولا أوجه

٣-الجزء : ذكر أهل الوجوه أنَّ الجزء جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩٦٦-٩٦٧.

(٢) المفردات ص ٥٥٧-٥٥٩.

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣٤٣/٤-٣٤٤.

الوجه الأول : أربعة جبال : كقوله تعالى : (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ){البقرة : ٢٦٠} وهذا الوجه قاله الحيري .

الوجه الثاني : الجزء يعني البعض كقوله تعالى : (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا){البقرة : ٢٦٠}.

الوجه الثالث : الجزء يعني الولد ، كقوله تعالى : (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا){الزخرف : ١٥}[١]

جعل الحيري الجزء في الوجه الأول بمعنى : أربعة جبال في قوله تعالى : (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا)

لا أدري كيف فهم الحيري الجزأ هنا على هذا النحو ، جاء في التفسير : ((قال ابن عباس : أخذ طاووسًا ، ونسرًا ، وديكًا ، وغرابًا ... قال المفسرون : أمره الله تعالى أن يذبح تلك الطيور ، وينتف ريشها ويقطِّعها ، ويفرِّق أجزاءها ، ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ، بعضها ببعض ، ثمَّ يجزِّئهنَّ أربعة أجزاء على أربعة أجبل ، ففعل إبراهيم وأمسك رؤوسهنَّ عنده ، ثم دعاهنَّ : تعالينَ بإذن الله ، فجعلت أجزاء الطيور يطير بعضها إلى بعض ، ثمَّ أتينه سعيًا على أرجلهنَّ ، وتلقى كل طائر رأسه))[٢] وهذا هو المعنى المفهوم والمراد من الجزء الذي أجمع عليه أهل التفغسير[٣] فالجزء عائد إلى الطير وليس إلى الجبال ، ثمَّ كيف يصحّ أن يكون المعنى ، أو

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٤٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٥ ونزهة الأعين ص ٩٠.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٣٧٦/١ .

(٣) ينظر : جامع البيان ٦٤/٣-٧١ وزاد المسير ٢٦٠/١ وأنوار التنزيل ١٥٧/١.

التقدير : ثم اجعل على كل جبل منهنَّ أربعة جبال ، ما هذا ؟! يا سبحان الله ! ماذا أصاب أصحاب كتب الوجوه ؟!

والبعض كما جاء في الوجه الثاني يعني الجزء بعينه ، أمَّا جعل الجزء بمعنى الولد كما جاء في الوجه الثالث ففيه نظر ، فقد جعل أبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والطبري قوله تعالى : (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) بمعنى : وجعلوا له نصيبًا[1] والنصيب قريب من معنى الجزء والبعض ، وقال الزمخشري : ((ومعنى (مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) أن قالوا الملائكة بنات الله ، فجعلوهم جزءًا وبعضًا منه ، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءًا له ، ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث ، وادعاء أنَّ الجزء في لغة العرب اسم للإناث ، وما هو إلّا كذب على العرب ، ووضع مستحدث ومنحول ، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه : أجزأت المراةُ ، ثم صنعوا بيتًا بيتًا))[2] وقد أنكر الزجاج وغيره استعمال العرب في كلامهم وشعرهم الجزء بمعنى الولد أو الإنثى[3] أمَّا قوله تعالى (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) فمعناه أنَّهم لما قالوا أنَّ الملائكة بنات الله ، فقد جعلوهم جزءًا له وبعضًا كما يكون الولد بضعة من والده وجزءًا له [4] فيكون الوجه الثالث هو في الحقيقة بمعنى الوجه الثاني ، ولا أوجه .

---

(١) ينظر : مجاز القرآن ص ٢٥٠ وتفسير غريب القرآن ص ٣٩٦ وجامع البيان ٦٧/٢٥ .

(٢) الكشاف ٢٣٥/٤

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٩/٤ ولسان العرب ١٣٧/٣ وتاج العروس ١٣٥/١

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥١/١٦ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي ٣٢٣/١ .

٤-**جثيًّا** : قال الدامغاني : ((تفسير جثيًّا على وجهين : جميعًا ، ومن الجثو على الركب .

فوجه منهما ، جثيًّا ، يعني جميعًا قوله تعالى في سورة مريم : (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا){مريم : ٦٨} يعني : جميعًا

والوجه الثاني ، جثيًّا ، يعني : جاثين على ركبهم ، قوله تعالى في سورة الجاثية : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً){الجاثية : ٢٨} يعني : جاثين على ركبهم))[١]

قال مقاتل في تفسير قوله تعالى : (((ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ) يعني في جهنم (((جِثِيًّا) يعني جميعًا على الركب))[٢] فالمعنى عنده : لنحضرنهم جميعًا جاثين على ركبهم ، وقال أبو عبيدة : ((جميع جاث ، خرج مخرج فاعل ، والجميع فُعول ، غير أنَّهم لا يدخلون الواو في المعتل))[٣]

وقال الزجاج : ((وجثيًّا) بالضم والكسر جميعًا ، ومعنى (جثيًّا) على ركبهم لا يستطيعون القيام مما هم فيه ، وجُثُيٌّ : جمع جاث ، مثل قاعد وقعود ، وبارك وبروك ، والأصل ضم الجيم وجائز كسرها اتباعًا لكسرة الياء ، وجُثِيًّا : منصوب على الحال)) [٤]وقال الراغب : ((يصح أن يكون جمعًا نحو بُكيّ ، وأن يكون مصدرًا موصوفًا به)) [٥]وهذا هو المعنى المشهور عند المفسرين ، وقد أجاز عدد منهم أن يكون بمعنى الجماعات ، فقد قال ابن

---

(١) الوجوه والنظائر ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٣١٨/٢ .

(٣) مجاز القرآن ص ١٦١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٦/٣ وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٢٦/٤.

(٥) المفردات ص ٩٣.

قتيبة : ((جمع جاث ، وفي التفسير جماعات))[1] وابن قتيبة لم يشر ، من أين أتى المفسرون بهذا المعنى ؟ وقال الواحدي : ((يعني في جهنم ؛ وذلك أنَّ حول الشيء يجوز أن يكون في داخله ... وقوله (جِثِيًّا) قال مجاهد : مستوقرين [2]على الركب ، جمع جاث ، من قولهم : جثا على ركبته يجثو ، وقال ابن عباس : (جِثِيًّا) جماعات ، وهو قول مقاتل ، وهو جمع جثْوة ، وجثْوة : وهي المجموع من التراب والحجارة)) [3] وقد مرَّ قول مقاتل ، وقال القرطبي : ((و(جثيًّا) جمع جاث ، يقال : جثا على ركبتيه يجثو ... مثل : جلس جلوسًا وقوم جلوس وقال ابن عباس : (جثيًّا) جماعات ... وهو على هذا التأويل جمع جُثوة وجَثوة وجِثوة ثلاث لغات ، وهي الحجارة المجموعة ، والتراب المجموع))[4]

وما نُسِب إلى ابن عباس لم يثبت سندًا ؛ لأنَّه قد نُسب إليه أيضًا أنَّه جعل (جثيًّا) بمعنى القعود على الركب[5] وقال أبو حيان الأندلسي : ((وعن ابن عباس : قعودًا ، وعنه جماعات ، جمع جثوة ، وهو المجموع من التراب والحجارة ، وقال مجاهد والحسن والزجاج : على الركب ، وقال السُّدِّي : قيامًا على الركب لضيق المكان ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص (جِثيًّا) بكسر الجيم ، والجمهور بضمها)) [6]

وقال الحلبي : ((وجثيًّا : جمع جاث ، جمع على فعول ، نحو قاعد وقعود وجالس وجلوس ... وعن ابن عباس : أنَّه بمعنى جماعات جماعات ،

([1]) تفسير غريب القرآن ص ٢٧٥ .

([2]) استوقر : حمل حملاً ثقيلاً .

([3]) الوسيط ١٩٠/٣.

([4]) الجامع لأحكام القرآن ١٠٢/١١ وينظر : فتح القدير ٤٢٥/٣ .

([5]) ينظر : جامع البيان للطبري ١٢٤/١٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٧/٥ .

([6]) البحر المحيط ٢٥٧/٦.

جمع جثوة ، وفي صحته عنه نظر)) [1] ذلك أنَّ هذا المعنى قول قيل به لم يصحّ ولم يثبت ، وقال : ((وقوله تعالى : (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا)){مريم : ٦٨} أي : باركين على ركبهم ، وفي الحديث : من دعا دعاء الجاهلية فهو من جُثا جهنم ، الجُثا : جمع جُثوة ، أي : من جماعات جهنم ... وقوله تعالى : (حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) قالوا يحتمل الجمع ويحتمل المصدر الموضوع موضع الجمع)) [2]

والصحيح أنَّ دلالة الجثو في شاهد الوجهين واحدة ، قال الطبري : ((عن ابن عباس قوله تعالى : (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) يعني القعود ، وهو مثل قوله تعالى : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً))) [3]

وقال الزمخشري : ((جثاة على ركبهم ، غير مشاة على أقدامهم ، وذلك أنَّ أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً))) [4] وقال البيضاوي : (((جثيًّا) على ركبهم ... وأهل الموقف جاثون جاثون لقوله تعالى : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) ... فلعلهم يساقون جثاة من الموقف إلى شاطئ جهنم إهانة بهم ، أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص (جِثيًّا) بكسر الجيم))[5] وكذلك قرن أبو حيان دلالة الجثو في سورة مريم بدلالتها في سورة الجاثية ، فقال : ((فالمعنى : يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم كما كانوا في الموقف متجاثين ؛ لأنَّه من توابع التوافق في الحساب قبل الوصول إلى العقاب والثواب ، وقال

([1]) الدر المصون ٦٢٠/٧ .

([2]) عمدة الحفاظ ٣٠٧/١ .

([3]) جامع البيان ١٢٤/١٦ .

([4]) الكشاف ٣٢/٣ .

([5]) أنوار التنزيل ١٦/٤ .

تعالى : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) و(جثيًّا) حال مقدرة)) [1] وقال ابن كثير : ((قال العوفي عن ابن عباس ، يعني قعودًا كقوله تعالى : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً))) [2]

وذكر ابن عاشور أنَّ الجثو في الشاهدين واحد ، ويعني القعود على الركب ، إلّا أنَّ جثو الناس في الحشر في قوله تعالى : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) جثو خضوع لله تعالى ، وجثو الكافرين حول جهنم في قوله تعالى : (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) جثو مذلة[3]

فقد أكَّد المفسرون أنَّ الجثو في شاهدي الوجهين واحد ، ولو صحّ أنَّ الجثو في شاهد الوجه الأول بمعنى جماعات فهو وجه مختلق ؛ لأنَّه من جثوة لا من جاث ، أي : من صيغة أخرى ، فيكون لكل معنى صيغته ، ولكل صيغة معناها ولا أوجه أيضًا ، وقد جمع ابن الجوزي أقوال المفسرين في معنى (جثيًّا) فقال : ((وللمفسرين في معناه خمسة أقوال ، أحدها : قعودًا ، والثاني : جماعات جماعات ، والثالث : جثيًّا على الركب ، والرابع قيامًا ، والخامس : قيامًا على ركبهم)) [4] قلو صحت هذه الأقوال فهو مختلق أيضًا بطريقة جعله بمعنى ما قيل .

وما ذكره أهل التفسير في الوجهين المذكورين ذكره أهل اللغة ، قال ابن الجزري : ((جثا : فيه من دعا دعاء الجاهلية فهو من جُثا جهنم [5] وفي حديث آخر : مِن دعا يا لفلان ، فإنّمَا يدعو إلى جُثا النار ، الجُثا : جمع جُثْوة بالضم ، وهو الشيء المجموع ، وتُروى هذه اللفظة جُثِيٌّ بتشديد

([1]) البحر المحيط ٦/٢٥٦-٢٥٧.

([2]) تفسير القرآن العظيم ٥/١٨٧ وينظر : فتح القدير ٨/٤٣٥

([3]) ينظر : التحرير والتنوير ١٦/٦٨ .

([4]) زاد المسير ٥/١٨٧.

([5]) أخرجه الإمام أحمد .

الياء : جمع جاثٍ ، وهو الذي يجلس على ركبتيه)) [1] ((وفي الحديث : فلان من جُثَى جهنم ... أنَّه من جماعات أهل جهنم على رواية من روى جُثى بالتخفيف ، ومن رواه من جُثيٍّ جهنم بتشديد الياء فهو جمع الجاثي ، قال الله تعالى : (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا)))[2] فقوله صلى الله عليه وسلم : ((فلان من جُثِيٍّ جهنم ، أي : ممن يجثو على الركب فيها)) [3] والجثْوة بضم الجيم أو فتحها أو كسرها ثلاث لغات وجمع الجميع : الجُثى[4]

وثمة قضية مهمة غفل عنها جميع المفسرين ، ولم أجد أحدًا منهم من نبَه عليها ، وهي أنَّهم كيف أجازوا جعل (جثيًّا) بمعنى جماعات جمع جثوة في قوله تعالى : (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) وقد أكدوا كأهل اللغة أنَّ جثوة جمعها جُثا لا جثيٌّ ؟! فكيف تسنَّى لهم أن يجيزوا هذا المعنى ولم يرد في القرآن الكريم لفظ جُثا لا في قراءة متواترة ولا في قراءة شاذة ؟! فكيف أجازوا في كتاب الله معناه ولم يرد فيه لفظه ؟!

والدامغاني حين جعل الوجه الأول بمعنى الجميع لم يكن يقصد أنَّه جمع جثوة ؛ لأنَّه لو قصد هذا لجعله بمعنى : جماعات لا بمعنى جميع ، ولم يجعله بمعنى جميع ؛ استنادًا إلى لفظ الجثو وإنَّما استنادًا إلى ما يدل عليه مضمون الآية لأنَّ معناها : لنحضرنهم جميعهم حول جهنم جثيًّا ؟

٥-**الجسد** : ذكر أهل الوجوه أنَ للجسد في القرآن الكريم أربعة أوجه :

الوجه الأول : جسد ليس فيه روح ، أو الجسد المصوَّر كقوله تعالى : (عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ){الأعراف : ١٤٨}

([1]) النهاية في غريب الحديث ٢٣٥/١.

([2]) لسان العرب ٧٧/٣ .

([3]) تاج العروس ١٦٠/٣٧ .

([4]) ينظر : لسان العرب ٧٧/٣

الوجه الثاني : الآدميون ، كقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ){الأنبياء : ٨} الحيري وجعله الدامغاني بمعنى الوجه الأول الجسد المصور ما لا روح فيه ، وجعله الفيروزآبادي بمعنى البدن

الوجه الثالث : شيطانًا ، كقوله تعالى : (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ){ص : ٣٤}

الوجه الرابع : جعل الفيروزآبادي الجسد بمعنى البدن كقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ){الأنبياء : ٨}[١]

قال ابن فارس : (الجيم والسين والميم يدلُّ على تجمع الشيء ، فالجسم كل شخص مُدرَك)) [٢] وقال : ((والجيم والسين والدال يدلُّ على تجمع الشيء أيضًا ، واشتداده ، من ذلك جسد الإنسان)) [٣] وقال الراغب : ((الجسد هو الجسم إلّا أنَّه أخصّ منه من وجهين ، قال الخليل رحمه الله : لا يقال الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه (كالحيوان) وأيضًا فإنَّ الجسد ما له لون ، والجسم يقال لما لا يبين له لون ، كالماء والهواء ... والجسم ما له طول وعرض وعمق ، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجسامًا ، وإن قُطِّع ما قُطع ، وجُزِّئَ ما جُزئَ ... قال الله تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ){المنافقون : ٤} تنبيهًا أن لا وراء الأشباح معنى

---

(١) وجوه القرآن للحيري ص ١٤٩-١٥٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٢ وبصائر ذوي التمييز ٣٨٢/٢

(٢) مقاييس اللغة ص ١٦٧

(٣) مقاييس اللغة ص ١٦٧

معتدٌّ به ... والجسمان قيل : هو الشخص ، والشخص قد يخرج من كونه شخصًا بتقطيعه وتجزئته بخلاف الجسم))[1]

جعلوا الجسد في الوجه الأول بمعنى الجسد الذي لا روح فيه ، أو الجسد المصوَّر في قوله تعالى : (عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ) وبمعنى الآدميين في الوجه الثاني في قوله تعالى (مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) وهذا هو الجسد بعينه في هذين الوجهين ؛ لأنَّ الجسد يعني جسد الإنسان ، او الحيوان ، حيًّا كان أم ميتًا ، أو ما صُوِّر على شكله .

وجعلوا الجسد في الوجه الثالث بمعنى الشيطان في قوله تعالى : وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) وهذا ما جاء أيضًا في كتب التفسير ، لكن من دون تعيينه ، أو الجزم بصحته ؛ لأنَّ القول بهذا الوجه استند إلى الإسرائيليات التي شاعت فيها الخرافات والطعن بالأنبياء ، قال ابن كثير : ((وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى : (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال شيطانًا ، يقال له آصف ، فقال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك ، فلما أعطاه إيّاه نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان عليه السلام ، وذهب ملكه ، وقعد آصف على كرسيه ... قال : فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم ، فيقول : أتعرفوني ؟ أطعموني أنا سليمان ، حتى أعطته امرأة يومًا حوتًا ، ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع إليه ملكه ، وفرَّ آصف فدخل البحر فارًّا ، وأرى هذه كلّها من الإسرائيليات ، ومن أنكرها ما قاله ... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) قال : أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه

---

(١) المفردات ص ٩٨-٩٩ وينظر : عمدة الحفاظ ٣٢٦/١ وبصائر ذوي التمييز ٣٨٣/٢

، وكانت الجرادة امرأته ، وكانت أحب نسائه إليه ، فجاء الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي فأعطته إيّاه ، فلمَّا لبسه دانت له الإنس والجنُّ والشياطين ، فلمَّا خرج سليمان عليه السلام من الخلاء ، قال لها : هاتي خاتمي ، قالت : قد أعطيته سليمان ، قال : أنا سليمان ، قالت : كذبتَ ما أنت بسليمان ، فجعل لا يأتي أحدًا يقول له : أنا سليمان إلاَّ كذَّبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، فلمَّا رأى ذلك سليمان عرف أنَّه من أمر الله سبحانه ، قال : وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلمَّا أراد الله تبارك وتعالى أن يردَّ على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان ، قال : فأرسلوا إلى نساء سليمان ، فقالوا لهنَّ : أتنكرنَ من سليمان شيئًا ؟ قلنَ : نعم إنَّه يأتينا ونحن حيض ، وما كان يأتينا قبل ذلك ... وإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قويٌّ ، ولكنَّ الظاهر أنَّه إنَّما تلقاه ابن عباس رضي الله عنه إن صحَّ عنه من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام ، فالظاهر أنَّهم يكذبون عليه ؛ ولهذا كان في السياق منكرات))[1] وقال الشوكاني : ((قال أكثر المفسرين : هذا الجسد الذي ألقاه الله على كرسي سليمان ، هو شيطان اسمه صخر ، وكان متمردًا عليه غير داخل في طاعته ، ألقى الله شبه سليمان عليه ، وما زال يحتال عليه حتى ظفر بخاتم سليمان ، وذلك عند دخول سليمان الكنيف ؛ لأنَّه كان يلقيه إذا دخل الكنيف ، فجاء صخر في صورة سليمان ، فأخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان ، فقعد على سرير سليمان ، وأقام أربعين يومًا على ملكه وسليمان هارب ، وقال مجاهد : إنَّ شيطانًا قال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه إياه نبذه في البحر ، فذهب ملكه ، وقعد الشيطان على كرسيِّه ... وكان سليمان يستطعم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/٤٩-٥١

(أي : يطلب من الناس الطعام) فيقول : أتعرفوني ؟ أطعموني ، فيكذبوه ، (ويضربوه) حتى أعطته امرأة يومًا حوتًا ، فشق بطنه ، فوجد خاتمه في بطنه ، فرجع إليه ملكه، وهو معنى قوله : (ثُمَّ أَنَابَ) أي : رجع إلى ملكه بعد أربعين يومًا ... وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال : صخر الجنِّي تمثَّل على كرسيِّه على صورته))[1] ومن المعلوم أنَّ الروايات التي تُنسَب إلى ابن عباس رضي الله ، شأنها شأن الأحاديث النبوية ، منها الصحيحة ، ومنها الموضوعة ، وقد ردَّ المحققون من المفسرين هذا الوجه على القائلين به ، وما استند إليه من الأباطيل من عدة وجوه منها :

((الأول : أنَّ الشيطان لو قدر على أن يتشبَّه في الصورة والخلقة بالأنبياء ، فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك ... وذلك يبطل الدين بالكلية

الثاني : أنَّ الشيطان لو قدر أن يعامل نبيَّ الله سليمان بمثل هذه المعاملة ، لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع الأنبياء)) [2]

فأهل التحقيق استبعدوا تفسير الجسد بمعنى الشيطان في قوله تعالى : (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) وفسَّروه على أنَّه يعني الجسد بعينه ، وذكروا أنَّ ((أظهر ما قيل في فتنته عليه السلام أنَّه قال : لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة ، تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ، ولم يقل : إن شاء الله ، فطاف عليهنَّ ، فلم تحمل إلّا امرأة ، وجاءت بِشقِّ رجل ، وقد روى ذلك الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعًا ، وفيه : فوَالذي نفس محمد بيده ، لو قال : إن شاء الله لجاهدوا فرسانًا ، لكن الذي في

---

(١) فتح القدير ٤/٥٤٠-٥٤١

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ١٦/٤٢٠-٤٢١

صحيح البخاري : أربعين ، بدل سبعين ، وأنَّ الملك قال له : قل إن شاء الله . فلم يقل ، وغايته ترك الأولى فليس بذنب ، وإن عدَّه عليه السلام ذنبًا ، فالمراد بالجسد ذلك الشق الذي وُلِد له ، ومعنى إلقائه على كرسيه وضع القابلة له عليه ليراه)) [١] فالمراد إذن من الجسد الجسد بعينه

فأهل الوجوه لم يعينوا القول الذي أثبته أهل التحقيق ، بل آثروا عليه الوجه الذي استند إلى ما جاء في كتب اليهود التي كثر فيها الانتقاص من سيرة الأنبياء بروايات كاذبة ، وتركوا تحري الحقيقة والصواب ، كل ذلك من أجل اختلاق الوجوه .

وجعل الفيروزآبادي الجسد في الوجه الرابع بمعنى البدن في قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ)

الجسد والبدن : قال ابن فارس : ((الباء والدال والنون أصل واحد ، وهو الشخص دون شَواه ، وشَواه : أطرافه ، يقال : هذا بدن الإنسان ، والجمع الأبدان ، وكذلك البدنة التي تُهدى للبيت ، قالوا سمِّيت كذلك ؛ لأنَّهم كانوا يستسمنونها ...وتُسمَّى الدرعُ البدنَ ؛ لأنَّها تضم البدن)) [٢] وقال الراغب : ((البَدَن : الجسد ، لكن البدن يقال اعتبارًا بعظم الجثة ، والجسد يقال اعتبارًا باللون ، ومنه قيل : ثوب مُجسَّد ، ومنه قيل : امرأة بادن وبدين ، عظيمة البدن ، وسميت البَدَنَة بذلك لسمنها ... فقد يُسمَّى الدرع بَدَنَة ؛ لكونها على البدن)) [٣] ((والبدن من الجسد ما سوى الرأس والشَّوى)) [٤]

---

(١) روح المعاني للآلوسي ١٩٠/١٢ وينظر : اللباب في علوم الكتاب ٤٢١/١٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٩

(٣) المفردات ص ٤٤-٤٥

(٤) لسان العرب ٤٠/٢

والشَّوى : الأطراف : الرِّجْلان واليدان ((والبدن من المَنكِب إلى الأَلْية))[١] وقال العسكري في ((الفرق بين الجسد والبدن أنَّ البدن هو ما علا من جسد الإنسان ؛ ولهذا يقال للدرع القصير الذي يلبس الصدر إلى الصرَّة بَدَن ؛ لأنَّه يقع على البدن ، وجسم الإنسان كلّه جسد ، والشاهد أنَّه يقال لمن قُطِع بعض أطرافه : إنَّه قُطِع شيء من جسده ، ولا يقال : شيء من بدنه ، وإن قيل فعلى بُعْد ... ولمَّا كان البدن هو أعلى الجسد وأغلظه ، قيل لمن غلظ من السمن : قد بَدَنَ ، وهو بدين ، والبُدْنُ : الإبل المُسمَّنة للنحر ، ثم كثر ذلك حتى سُمِّي ما يُتَّخذ للنحر : بَدَنة ، سمينة كانت أو هزيلة))[٢] فالفرق ظاهر بين الجسد والبدن ، فجعلُ الفيروزآبادي الجسد بمعنى البدن في الشاهد المذكور تحريف ظاهر ، والجدير بالذكر أنَّ الفيروزآبادي الذي جعل الجسد في باب الجيم ، بمعنى البدن في البصائر[٣] فرَّق هو نفسه بينهما في باب الدال وفي البصائر نفسها ، فقال : ((بصيرة في البدن ، وهو من الجسد : ما سوى الرأس والشَّوى ... وقيل في الفرق بين البدن والجسد : إنَّ البدن يقال اعتبارًا بعظم الجثة ، والجسد اعتبارًا باللون))[٤] وقال في قاموسه : ((البَدَن محركة ، من الجسد : ما سوى الرأس والشَّوى)) [٥]

أجمع أهل التفسير وأهل اللغة على أنَّ قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) معناه : وما جعلناهم ذوي أجساد إلّا ليأكلوا الطعام ، وذلك أنَّهم قالوا : (مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي

---

(١) تاج العروس ١٣٣/٣٤

(٢) الفروق اللغوية ص ١٨٠

(٣) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٣٨٢/٢

(٤) بصائر ذوي التمييز ٢٣٢/٢

(٥) تاج العروس ١٣٣/٣٤ كلام الفيروزآبادي المكتوب باللون الأحمر

فِي الأَسْوَاقِ)}[الفرقان : ٧} فأعلمهم الله أنَّ الرسل أجمعين يأكلون الطعام ، وأنَّهم يموتون ، ذلك أنَّ العرب إذا جاءت بين كلامين بجحدين كان الكلام إخبارًا ، ومعنى الآية : إنَّما جعلناهم جسدًا ليأكلوا الطعام ، وهذا يدلُّ على أنَّ ذوي الأجساد يأكلون الطعام ، وأنَّ الملائكة روحانيون لا يأكلون الطعام[١]

وأنت ترى أنَّ الجسد بدلالته المذكورة هو الملائم والموافق من دون البدن لمعنى الآية ومضمونها وسياقها ؛ لأنَّ الإنسان لا يأكل ولا يعيش من دون رأس ؛ لذلك أنَّ الله تعالى ذكره لمَّا وصف الرسل بأنّهم يأكلون الطعام وصفهم بأنَّهم جسد ، الذي يعني جسم الإنسان كله برأسه وبدنه وأطرافه ، ولم يوصفهم بأنَّهم بدن ، الذي يعني جسم الإنسان من دون رأسه وأطرافه ، لذلك لم أجد في كتب التفسير بدءًا بتفسير مفاتل المتوفى ١٥٠هـ[٢] وانتهاء

---

(١) ينظر : تفسير مقاتل ٣٥٣/٢ ومعاني القرآن للفراء ١١٢/٢وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٤ وجامع البيان للطبري ٩/١٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١٢/٣ وتهذيب اللغة للأزهري ٦٠٢/١ والوسيط للواحدي ٢٣١/٣ ولسان العرب ١٤٥/٣ وروح المعاني للآلوسي ١٤/٩

(٢) ملاحظة تتعلق بتفسير مقاتل تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ٢٠٠٣م=١٤٢٤هـ: عند رجوعي إلى تفسير المفسرين لقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ)[الأنبياء : ٨} وجدتُ مقاتل يقول في تفسيره ما نصه : ((قال أبو محمد : قال أبو العباس ثعلب : قال الفراء : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا) إلاَّ ليأكلوا الطعام)) تفسير مقاتل ٣٥٢/٢-٣٥٣ وينظر : معاني القرآن للفراء ١١٢/٢ وهذا لا يصح ولا يعقل أن يكون كلام مقاتل ؛ لأنَّ صاحب التفسير متوفى ١٥٠هـ ، والفراء : ولادته ١٤٤هـ ووفاته ٢٠٧هـ ، وثعلب : ولادته ٢٠٠هـ ووفاته ٢٩٠هـ ينظر : نزهة الألبَّاء ص ٨١-٨٤ وص ١٧٣-١٧٦ والذي حملني على ذكر هذه الملاحظة أنِّي لم أجد المحقق في الهامش يعلق على هذا النص المذكور في تفسير مقاتل ، ومن المؤكد أنَّه ليس من كلامه ، وقد يكون من كلام الراوي ، فكان من الواجب على المحقق أن يحذف النص أو أن يبيِّن مصدره ، أو ينبِّه عليه .

بتفسير روح المعاني للآلوسي المتوفى١٢٧٠هـ من ذكر أو نقل أنَّ الجسد هنا يعني البدن إلّا الفيروزآبادي ، ولا أدري ما المسوغ اللغوي ، أو الدلالي ، أو التفسيري ، أو أيّ مسوغ آخر ، يمكن أن يكون قد استند إليه في جعل الجسد بمعنى البدن في قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) ؟؟؟!!! لا شيءَ ، سوى عدم تحرِّي الصواب والدقة في التفسير .

٦-**الحدود** : كان لفظ الحدود أحد الألفاظ التي اختلقت بطريقة الإضافة ، وهي هنا أحد الألفاظ التي اختُلقت بطريقة عدم تحرّي الصواب في التفسير ، فقد قال الحيري في باب الحدود : ((باب الحدود على ثلاثة أوجه :

أحدها : المعاصي ، كقوله تعالى : (تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ){البقرة : ٢٢٩} وقوله تعالى : (أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ){البقرة : ٢٢٩} نظيرها في النساء ، والطلاق

الثالث : الفرائض ، كقوله تعالى : (وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ){التوبة : ٩٧}))[١]

قال المحقق : كذا بالأصل ، ولم يأت بالوجه الثاني ، بل أتى بالوجه الثالث مباشرة ، فلعلّ الوجه الثاني سقط من الناسخ ، والله أعلم

جعل الحيري الحدود بمعنى المعاصي في قوله تعالى في سورة البقرة (تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وفي قوله تعالى في سورة النساء : (تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {١٣} وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ

---

(١) وجوه القرآن ص ١٧٣-١٧٤

مُّهِينٌ)}[النساء : ١٣-١٤] وفي قوله تعالى في سورة الطلاق : (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)}[الطلاق : ١] والحدود مضافة إلى الله سبحانه ومنسوبة إليه ، فيكون التركيب الإضافي في قوله تعالى : (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) من باب إضافة المصدر إلى فاعله ، لا إلى مفعوله ، فكيف تسنّى للحيري بمقتضى هذه الإضافة أن يجعل الحدود في هذه الآيات بمعنى المعاصي ؟! وكيف تسنَّى له أن يجعل قوله تعالى : (تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ) بتقدير : تلك معاصي الله ؟! فهل لله معاصٍ ؟! لأنَّه يقال : تلك معاصي الشيطان ، أو تلك معاصي الفاجرين ، ولا يقال : تلك معاصي الله ؛ لذلك لم أجد في كتب اللغة ولا في كتب التفسير من قال بهذا الوجه أو نقله عن أحد ، فجعل الحدود بمعنى المعاصي لم يقف عند حدِّ التحريف فحسب ، بل تجاوزه إلى جعل اللفظ بالمعنى الذي لا يُعقل ، ولا يصحّ مراده وتقديره .

وجعل الحدود في الوجه الثاني بمعنى الفرائض في قوله تعالى : (وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) والفرائض مرادف للحدود ، والمراد بالحدود في هذه الآيات ((الأوامر والنواهي ، وهي المعالم بين الحق والباطل ، والطاعة والمعصية)) وعدم تجاوزها[1]أي : أنَّها تعني الحدود بعينها ، وهو الفصل والمنع بين الشيئين ، وعدم اختلاطهما وتجاوز أحدهما إلى الآخر ، وهي أيضًا بهذا المعنى في الوجه الآخر لا بمعنى الفرائض في قوله تعالى : (وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ((وأشدُّ ، وأجدر اسما تفضيل ، ولم يذكر معهما ما يدلُّ على مفضَّل عليه ، فيجوز أن يكونا على ظاهرهما ، فيكون المفضل عليه أهل الحضر ، أي : كفار ومنافقي المدينة ، وهذا هو الذي تواطأ عليه

---

(١) المحرر الوجيز ٣٠٨/١

جميع المفسرين ، وازديادهم في الكفر والنفاق بالنسبة لكفار ومنافقي المدينة ، وهذا الازدياد راجع إلى تمكن الوصفين من نفوسهم ... وذلك أنَّ غلظ القلوب وجلافة الطبع تزيد النفوس السيئة وحشة ونفورًا ، ألا تعلم أنَّ ذا الخويصرة التميمي ، وكان يدعي الإسلام لمَّا رأى النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الأقرع بن حابس ومن معه من صناديد العرب من ذهب قَسَمَه ، قال ذو الخويصرة مواجهًا النبي صلى الله عليه وسلم : أعدل ، فقال له النبي : ويحك ومَن يعدل إن لم أعدل ؟! فإنَّ الأعراب لنشأتهم في البادية كانوا بعداء عن مخالطة أهل العقول المستقيمة ، وكانت أذهانهم أبعد عن معرفة الحقائق وأملأ بالأوهام ... وأجهل بأمور الديانة ، وما به تهذيب النفوس ، وهم لتوارثهم أخلاق أسلافهم ، وبعدهم عن التطورات المدنية التي تؤثِّر سموًّا في النفوس البشرية ، وإتقانًا في وضع الأشياء في مواضعها ، وحكمة تقليدية تتدرَّج بالأزمان ، يكونون أقرب سيرة بالتوحش ، وأكثر غلظة في المعاملة ، وأضيع للتراث العلمي والخلقي ، ولذلك قال عثمان رضي الله عنه لأبي ذرَ لمَّا عزم على سكنى الربذة : تعهَّد المدينة كيلا لا ترتدّ أعرابيًّا ... والحدود : المقادير والفواصل بين الأشياء ، والمعنى : أنَّهم لا يعلمون فواصل الأحكام ، وضوابط تمييز متشابهها ، وهو المعبَّر عنه في اصطلاح العلماء بالتحقيق أو بالحكمة بمعرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه ، فزيادة قيد (على ما هي عليه) للدلالة على التمييز بين المختلطات والمتشابهات والخفيات))[1]

فالحدود لا تعني الفرائض ؛ لأنَّ الفرائض معلومة لا إشكال فيها ولا يُختلّف فيها ، يعرفها أهل البدو والحضر ، وإنَّما أراد بالحدود الحدود الفاصلة بين الحق والباطل ؛ لأنَّ المقصود بها ما ينتهي إليه حدُّ الإيمان ، وما ينتهي إليه حدّ الكفر ، فتكون هناك حدود مشتركة بينهما ، فالفصل بينهما وعدم تجاوز

---

(١) التحرير والتنوير ١٠/١٨٦-١٨٧

أحدهما إلى الآخر ، يحتاج إلى علم وفقه وفطنة ، وهذه الأمور متوافرة لدى أهل الحضر من دون أهل البدو ، والمعنى أنَّه من الأجدر بالأعراب أن لا يقتربوا من هذه الحدود ، لئلّا تلتبس عليهم أمورها ، فيخلطوا بين الحق والباطل ، وبين الكفر والإيمان ، وبين ما هو يجوز ، وبين ما هو لا يجوز.

والوجهان المذكوران مختلقان ، فالأول اختلقه الحيري بالتفسير الخاطئ ، واختلق الثاني بجعل الحدود بمعنى مرادفها

٧-**الحمد** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الحمد في القرآن الكريم على سبعة أوجه :

الأول : المدح ، كقوله تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا)[الإسراء : ١١١]

الثاني : الحمد يعني الأمر ، كقوله تعالى : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)[البقرة : ٣٠] أي : نسبح بأمرك ، وقوله تعالى : (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً)[الإسراء : ٥٢] أي : بأمره وقوله تعالى : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ)[الطور : ٤٨]

الثالث : الحمد يعني المنَّة ، كقوله تعالى : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ)[الزمر : ٧٤]

الرابع : الحمد يعني القول كما قال الحيري ، أو الثناء والذكر والمدح ، كما قال الدامغاني وابن الجوزي ، كقوله تعالى : (وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ)[آل عمران : ١٨٨] أي : بما تحبون أن يقال لكم .

الخامس : ((الحمد يعني أنَّها حاجة ، كقوله تعالى : (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ)[الروم : ١٨]))[1]وجعل الدامغاني وابن الجوزي الحمد في هذه الآية بمعنى الصلوات

---

(١) وجوه القرآن ص ١٥٦ .

السادس : الحمد يعني الشكر ، كقوله تعالى : (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ){الفاتحة : ٢}

السابع : الثناء ، كقوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ){الأنعام : ١} هذا ما قاله الحيري ، وجعل الدامغاني وابن الجوزي الحمد في هذه الآية بمعنى الشكر [١].

المدح ، كما جاء في الوجه الأول ، والثناء والذكر والمدح ، وما نحب أن يقال لنا ، كما جاء في الوجه الرابع ، والثناء ، كما جاء في الوجه السابع ، جميعها قريبة من معنى الحمد ؛ فتدخل في باب الترادف لا في باب الوجوه

وجعلوا الحمد في الوجه الثاني بمعنى الأمر في قوله تعالى : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) وقوله تعالى : (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) وقوله تعالى : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) والتقدير عندهم : ونحن نسبِّح بأمرك ، فتستجيبون بأمره ، وسبح بأمر ربك ، وما علاقة الحمد بالأمر ؟!

قال الطبري في تفسير الشاهد الأول : ((أمَّا قوله تعالى : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ) فإنَّه يعني : إنَّا نعظمك بالحمد لك والشكر ، كما قال جل ثناؤه : (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ){النصر : ٣} وكل ذكر عند العرب فتسبيح وصلاة))[٢] وقال القرطبي : ((قوله تعالى : (بِحَمْدِكَ) أي : وبحمدك نخلط التسبيح بالحمد ونصله به ، والحمد : الثناء))[٣] فالمراد من الحمد الثناء لله تعالى

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٥٥-١٥٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٧٥-١٧٦ونزهة الأعين ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) جامع البيان ١/٢٤٠-٢٤٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٢١ ..

وقال في تفسير الشاهد الثاني : ((اختلف أهل التأويل في معنى قوله تعالى : (فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) فقال بعضهم : فتستجيبون بأمره ... وقال آخرون : معنى ذلك : فتستجيبون بمعرفته وطاعته ، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : معناه : فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ودعائه إيّاكم ، ولله الحمد في كل حال ، كما يقول القائل : فعلتُ ذلك الفعل بحمد الله ، يعني : لله الحمد عن كل ما فعلتُه))[١]

وقال الواحدي : (((فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) تجيبون بحمده ، قال سعيد بن جبير : يخرجون من قبورهم ويقولون : سبحانك وبحمدك ، ولا ينفعهم في ذلك اليوم ؛ لأنَّهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد)) [٢]

وها هو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل الحمد بمعنى الأمر في قوله تعالى : (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ)[٣] قال في تفسير هذه الآية نفسها : وفي معنى (بِحَمْدِهِ) أربعة أقوال :

أحدها : بأمره .

والثاني : يخرجون من القبور وهم يقولون : سبحانك وبحمدك .

والثالث : أنَّ معنى (بِحَمْدِهِ) بمعرفته وطاعته .

والرابع : تجيبون بحمد الله لا بأنفسكم)) [٤]

فما قاله ابن الجوزي في باب الوجوه أبطله في باب التفسير ؛ لأنَّ الوجوه يجب أن تكون حقائق ثابتة لا يُختَلَف فيها ، فإذا احتمل الوجه أكثر

---

(١) جامع البيان ١/٢٤٠-٢٤٢.

(٢) الوسيط ٣/١١٢ .

(٣) ينظر : نزهة الأعين ص ١٠٣.

(٤) زاد المسير ٥/٣٤-٣٥ .

من معنى ، وتعددت فيه الأقوال خرج من باب الوجوه ودخل في باب التفسير والتأويل .

وقال القرطبي : ((قال الله تعالى : (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) ... وقال ابن عباس : بأمره[١] أي : تقرون بأنَّه خالقكم ، وقال قتادة : بمعرفته وطاعته ، وقيل : المعنى بقدرته ، وقيل : بدعائه إيّاكم ، قاله علماؤنا ، وهو الصحيح ...فيقومون فيقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، فيوم القيامة يومٌ يُبدأ بالحمد ويُختم بالحمد ، قال الله تعالى: (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) وقال في آخره : (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ){الزمر : ٧٥}))[٢]

وقال الطبري في تفسير الشاهد الثالث : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) : ((قوله تعالى : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إذا قمتَ من نومك فقل : سبحان الله وبحمده ... وقال بعضهم : بل معنى ذلك : إذا قمتَ إلى الصلاة المفروضة فقل : سبحانك اللهم وبحمدك)) [٣]

وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل الحمد بمعنى الأمر[٤] في قوله تعالى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) قال في تفسيره : (((وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) فيه ستة أقوال :

أحدها : صلِّ لله حين تقوم من منامك قاله ابن عباس .

---

(١) ضعيف جدًّا ، قول المحقق في الهامش .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩٨/١٠.

(٣) جامع البيان ٤٧/٢٧ .

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ١٠٣.

والثاني : قل : سبحانك اللهم وبحمدك حين تقوم من مجلسك ، قاله عطاء ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد في آخرين .

والثالث : قل : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك حين تقوم في الصلاة .

والرابع : سبِّح الله إذا قمتَ من نومك ، قاله حسان بن عطية .

والخامس : صلِّ صلاة الظهر إذا قمتَ من نوم القائلة ، قاله زيد بن أسلم .

والسادس : اذكر الله بلسانك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة ، قاله ابن السائب))[1]

فما قاله ابن الجوزي أيضًا في باب الوجوه أبطله إبطالًا في باب التفسير ، وتأمّل كيف أنَّه ذكر لمعنى الحمد ستة أقوال في الزاد ليس من بينها القول الذي عيَّنه في النزهة ، فهل يشك أحد بعد ذلك في أنَّ كتب الوجوه باطلة لا يجوز الاستناد إليها .

وقال القرطبي : (((وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) اختلف أهل في تأويل قوله (حِينَ تَقُومُ) فقال عوف بن مالك وابن مسعود وعطاء وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وأبو الأحوص : يسبح الله حين يقوم ، فيقول : سبحان الله وبحمده ، أو سبحانك اللهم وبحمدك ، فإن كان المجلس خيرًا ازددتَ ثناءً حسنًا ، وإن كان غير ذلك كان كفارة ، ودليل ذلك ما أخرَجه الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك ،

---

(١) زاد المسير ٧/٢٧١-٢٧٢.

اشهد أن لا إله إلّا الله ، استغفرك وأتوب إليك، إلّا غفر الله ما كان في مجلسه ذلك)) [١]

وجعلوا الحمد في الوجه الثالث بمعنى المِنَّة في قوله تعالى : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) لم أجد في كتب التفسير التي رجعتُ إليها من جعل الحمد في هذه الآية بمعنى المنة حتى ابن الجوزي نفسه ، بل أبقوا الحمد على معناه ، وقد تقدم تعريف الحمد ، أمَّا المِنَّة فقد قال الراغب : ((والمِنَّة : النِّعْمة الثقيلة ... فيقال : منَّ فلان على فلان : إذا أثقله بالنعمة ، وعلى ذلك قوله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ){آل عمران : ١٦٤} ... وذلك لا يكون إلّا لله)) [٢] والناس تحمد الله ولا تمنُّ عليه ، والله سبحانه يمنُّ على الناس ولا يحمدهم ، فكيف يجوز أنَّ نجعل الحمد بمعنى المِنَّة ، ولكل منهما مصدره واتجاهه .

وجعلوا الحمد في الوجه الرابع بمعنى الثناء والذكر والمدح ، أو بمعنى أن يقال له بما يحب في قوله تعالى : (وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ) وهذا هو معناه أينما ورد في كتاب الله .

وجعل الحيري الحمد في الوجه الخامس بمعنى حاجة في قوله تعالى : (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) وهذا الوجه لم أجده في كتب التفسير ، وكيف يصحّ أن يكون المعنى ، أو التقدير : وله الحاجة في السماوات والأرض ؟! وقد جعل الدامغاني وابن الجوزي الحمد في هذه الآية بمعنى الصلاة أو الصلوات الخمس ، وهذا ما جاء في كتب التفسير ، ولو صح هذا الوجه فإنَّه ما أريد البتة الصلاة بمعناها الاصطلاحي ، وإنَّما أراد ما يكون فيها من ألفاظ التسبيح والحمد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦٦/١٧ والحديث رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني .

(٢) المفردات ص ٤٩٥ .

والتمجيد والتهليل والتكبير ، فالمصلي يذكر هذا كلّه في صلاته ، ومع ذلك فهو وجه مختلَق ؛ لأنَّ القرآن الكريم لم يُسمِّ الحمد بالصلاة لتكون الصلاة وجهًا له ، وإنَّما سمَّى الصلاة بالحمد لما ذكرناه .

وجعلوا الحمد في الوجه السادس بمعنى الشكر في قوله تعالى : (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ){الفاتحة : ٢}

الحمد والشكر : والشكر شيء من الحمد ، وقد فرَّق بينهما أهل اللغة قال العسكري : ((في الفرق بين الشكر والحمد أنَّ الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم ، والحمد : الذكر بالجميل على جهة التعظيم المذكور به ، ويصحّ على النعمة وغير النعمة ، والشكر لا يصح إلّا على النعمة ، ويجوز أن يحمد الإنسان نفسه في أمور جميلة يأتيها ، ولا يجوز أن يشكرها ؛ لأنَّ الشكر يجري مجرى قضاء الدين ، ولا يجوز أن يكون للإنسان على نفسه دين ، فالاعتماد في الشكر على ما توجبه النعمة ، وفي الحمد على ما توجبه الحكمة ... ويجوز في صفة الله شاكر مجازًا ، والمراد أن يجازي على الطاعة جزاء الشاكرين على النعمة)) [١]

وقال الراغب : ((الحمد لله تعالى : الثناء بالفضيلة ، وهو أخصّ من المدح وأعم من الشكر ، فإنَّ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ومما يقال منه وفيه بالتسخير ، فقد يُمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه ، كما يُمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه ، والحمد يكون في الثاني دون الأول ، والشكر لا يقال إلّا في مقابلة نعمة ، فكل شكر حمد ، وليس كل حمد شكرًا ، وكل حمد مدح ، وليس كل مدح حمدًا)) [٢] وقال ابن الجوزي : ((الحمد : ثناء على المحمود ويشاركه الشكر ، إلّا بينهما فرقًا ، وهو أنَّ

---

(١) الفروق اللغوية ص ٦٠.

(٢) المفردات ص ١٣٦ .

الحمد قد يقع على سبيل الابتداء ، وعلى سبيل الجزاء ، والشكر : لا يكون إلاَّ في مقابلة النعمة ، فكل شكر : حمد ، وليس كل حمد شكرًا ، ونقيض الحمد الذم ، ونقيض الشكر : الكفر)) [١]

قال الطبري في تفسير الشاهد الأول : (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ((معنى : (الْحَمْدُ للّهِ) الشكر خالصًا لله جل ثناؤه ... قال ابن عباس : الْحَمْدُ للّهِ : هو الشكر لله ، والاستخذاء لله ، والإقرار بنعمته وهدايته وغير ذلك ... قال : وقد قيل إنَّ قول القائل : الحمد لله : ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنى ، وقوله : الشكر لله : ثناء عليه بنعمه وأياديه))[٢] وقال الواحدي : ((والحمد : قد يكون شكرًا للصنيعة ، وقد يكون ابتداء للثناء على الرجل ، يقال : حمدته على معروفه ، كما يقال : شكرته ، ويقال : حمدته على علمه وشجاعته إذا أثنيت عليه بذلك ، ولا يقال في هذا المعنى : شكرته))[٣] فالحمد أوسع وأعم من الشكر .

وقال الزمخشري : ((تقول : حمدتُ الرجل على إنعامه ، وحمدتُه على حسبه وشجاعته ، وأمَّا الشكر فعلى النعمة خاصة ، وهو بالقلب واللسان والجوارح ... والحمد نقيضه الذم ، والشكر نقيضه الكفران)) [٤] وقال القرطبي : ((والحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل)) [٥] ((واشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أنَّ الحمد هو الثناء بالقول وبصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر لا يكون إلّا على المتعدية ، ويكون بالجنان واللسان

---

(١) نزهة الأعين ص ١٠٢.

(٢) جامع البيان ٧٠/١ .

(٣) الوسيط ٦٥/١.

(٤) الوسيط ٦٥/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١٥/١ وينظر : أنوار التنزيل ٢٧/١.

والأركان ، ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين ، والتحقيق أنَّ بينهما عمومًا وخصوصًا ، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه ؛ لأنَّه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية ، تقول : حمدتُه لفروسيته ، وحمدته لكرمه ، وهو أخصّ ؛ لأنَّه لا يكون إلاَّ بالقول ، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه ؛ لأنَّه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم ، وهو أخصّ ؛ لأنَّه لا يكون إلّا على الصفات المتعدية ، لا يقال : شكرته لفروسيته ، وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه ، هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين)) [١]((فالحمد أخص من الشكر موردًا ، وأعم منه متعلقًا ، فمورد الحمد اللسان فقط ، ومتعلقه النعمة وغيرها ، ومورد الشكر اللسان والجَنان والأركان ، ومتعلقه النعمة)) [٢]

فإذا كان بين الحمد والشكر هذا الفرق بينهما فكيف يصح أن يكون أحدهما وجهًا للآخر ، فالحمد هو الحمد والشكر هو الشكر ، فلو أراد الشكر لجاء بلفظه ، لكن لما استعمل لفظ الحمد فقد أراد معناه الذي بيَّنه أهل اللغة والتفسير .

مما تقدم يتبيَّن أنَّ الحمد أينما ورد في القرآن الكريم يعني الحمد بعينه ولا وجوه له فيه .

٨-**العجب** : ذكر الحيري والدامغاني للعجب أربعة أوجه :

الوجه الأول : العجب بعينه ، كقوله تعالى : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ)[يونس : ٢}

الوجه الثاني : يابسًا ، أو ناسيًا ، كقوله تعالى : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا)[الكهف : ٦٣}

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩/١ .

(٢) فتح القدير ٢١/١.

الوجه الثالث : عزيزًا ، أو كريمًا شريفًا ، كقوله تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا)(الجن : ١}

الوجه الرابع : الاستعظام ، كقوله تعالى : (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ)(الصافات : ١٢} [١]

قال ابن فارس : ((العين والجيم والباء أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على كِبْر واستكبار للشيء ، والآخر خِلْقة من خِلَق الحيوان ، فالأول العُجْبُ ، وهو أن يتكبَّر الإنسان في نفسه ، تقول : هو مُعْجَبٌ بنفسه٠٠٠والأصل الآخر : العَجْبُ ، وهو من كلِّ دابَّة ضُمَّتْ عليه الوِركان من أصل الذنب المغروز في مؤخَّر العَجُز))[٢]وقال الراغب : ((العَجَبُ والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ، ولهذا قال بعض الحكماء : العَجَبُ ما لا يُعرَف سببه ؛ ولهذا قيل : لا يصحُّ على الله التعجب ؛ إذ هو علاَّم الغيوب لا تخفى عليه خافية)) [٣] وجاء في اللسان : ((العُجْبُ والعَجَبُ : إنكار ما يردُ عليك لقلَّة اعتياده٠٠٠قال الزجاج : أصل العجب في اللغة أنَّ الإنسان إذا رأى ما ينكره ، ويقلُّ مثلُه ، قال : قد عجبتُ من كذا٠٠٠ابن الأعرابي : النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد٠٠٠وقوله عز وجل : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا)(الكهف : ٦٣} قال ابن عباس أمسك الله تعالى جَرْيةَ البحر ، حتى كان مثل الطاق فكان سربًا ، وكان لموسى وصاحبيه عجبًا ، وفي الحديث عجبَ ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل ، أي : عَظُمَ ذلك عنده وكَبُرَ لديه ، أعلمَ اللهُ أنَّه إنَّما يَتعجَّب الآدمي من الشيء إذا عَظُمَ موقعه عنده ، وخفي عليه سببه ، فأخبرهم بما يعرفون ؛ ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده ، وقيل : معنى : عجب ربك ،

([١]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣١٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٣٨

([٢]) مقاييس اللغة ص ٦٤٥

([٣]) المفردات ص ٣٣٤ وينظر : عمدة الحفاظ ٣٠/٣ وبصائر ذوي التمييز ٢٠/٤

أي : رضي وأثاب ، فسمَّاه عجبًا مجازًا ، وليس بعجب في الحقيقة ، والأول : الوجه ، كما قال قال : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ){الأنفال : ٣٠} معناه : يجازيهم على مكرهم ، وفي الحديث عجبَ ربك من شاب ليست له صبوة ، هو من ذلك٠٠٠والتعجب : أن ترى الشيء يعجبك ، تظن أنَّك لم تر مثله٠٠٠وقد أُعجِب فلان بنفسه ، فهو مُعجَب بنفسه وبرأيه))[١]

جعل الحيري العجب في الوجه الأول يعني العجب بعينه ، وهو كذلك أينما ورد في كتاب الله ، فجعله بمعنى لفظ آخر تحريف لدلالته

وجعل الحيري العجب في الوجه الثاني بمعنى اليابس ، وجعله الدامغاني بمعنى الناسي في قوله تعالى : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) وقد تقدم ما جاء في اللسان في قوله تعالى : (((وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا){الكهف : ٦٣} قال ابن عباس أمسك الله تعالى جَرْيةَ البحر ، حتى كان مثل الطاق فكان سربًا ، وكان لموسى وصاحبيه عجبًا)) والقرأن الكريم ذكر معنى اليبس ، قبل ذلك في قوله تعالى : (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا){الكهف : ٦١} والسرب يعني الطريق الذي يذهب فيه ويسلكه ، قال الطبري : ((والصواب من القول في ذلك أن يقال ، كما قال الله عز وجل : اتخذ الحوت طريقه في البحر سربًا ، وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الأرض ، وجائز أن يكون كان بجمود الماء ، وجائز أن يكون بتحوله حجرًا)) [٢] فهذا هو معنى قوله تعالى : (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) أمَّا قوله تعالى : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فمعناه : ((يُعجَب منه ، عن مجاهد ، قوله تعالى : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال : موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ، ودوراته التي غاب فيها٠٠٠قال فتادة في قوله

---

(١) لسان العرب ١٠/٣٨-٣٩

(٢) جامع البيان ١٥/٣١٧

تعالى : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فكان موسى يعجب من سرب الحوت٠٠٠قال ابن زيد : قال : عجبٌ والله حوت كان يُؤكَل منه أدهرًا ، أيّ شيء أعجب من حوت كان دهرًا من الدهور يُؤكَل منه ثم صار حيًّا ، حتى حشر في البحر ؟!٠٠٠عن ابن عباس : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال : يعني كان سرب الحوت في البحر لموسى عجبًا)) [١]

وقال ابن الجوزي : ((ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال :

أحدها : فاتخذ سبيله في البحر يُري عجبًا ، ويُحدث عجبًا .

والثاني : أنَّه لمَّا قال الله تعالى : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ) قال : اعجبوا لذلك عجبًا ، وتنبَّهوا لهذه الآية

والثالث : أنَّ إخبار الله انقطع عند قوله (فِي الْبَحْرِ) فقال موسى عجبًا ، لما شوهد من الحوت)) [٢]

فإذا كان أهل التفسير قد أجمعوا على أنَّ المراد من العجب العجب بعينه في قوله تعالى : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فهل يبقى بعد ذلك للحيري والدامغاني عذر في أن يجعلاه بمعنى اليابس ، أو النسيان ، إلّا الجهل بالتفسير ، أو التعمد في التحريف ؟!.

وجعل الحيري العجب في الوجه الثالث بمعنى العزيز ، وجعله الدامغاني بمعنى الكريم الشريف في قوله تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) والعجب مصدر يوضع موضع العجيب مبالغة في العجب[٣] قال الواحدي : ((ومعنى قوله : (قُرْآنًا عَجَبًا) قال ابن عباس : بليغًا ، والمعنى : قرآنًا ذا عجب ، يُعجَبُ منه لبلاغته))[٤]

---

(١) جامع البيان ٣١٨/١٥ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/١١-١٥

(٢) زاد المسير ١٢٢/٥-١٢٣

(٣) ينظر : الكشاف للزمخشري ٦١٠/٤

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٦٣/٤ وينظر : زاد المسير ١٣٠/٨

وقال ابن عطية : ((و(قُرْآنًا عَجَبًا) معناه : ذا عجب))[1] فإذا كان المراد من العجب العجب بعينه ، فلِمَ نجعله بمعنى العزيز ، أو الكريم الشريف ، أهو جهل بالتفسير ، أم التعمد في التحريف ، من أجل اختلاق الوجوه ؟!

وجعل الدامغاني العجب في الوجه الرابع بمعنى الاستعظام ، في قوله تعالى : (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) قرأ حمزة والكسائي (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ) بضم التاء ، وقرأ الباقون : (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) بفتح التاء[2] قال الطبري : ((والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنَّهما قراءتان مشهورتان في قرَّاء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، فإن قال قائل : وكيف يكون مصيبًا القارئ مع اختلاف معنييهما ؟ قيل : إنَّهما وإن اختلف معنياهما فكلِ واحد من معنييه صحيح ، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل ، وسخر منه أهل الشرك بالله ، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله ، وسخر المشركون بما قالوه)) [3] وقال الزجاج : ((وتقرأ (عَجِبْتُ) بضم التاء ، ومعناه في الفتح : بل عجبتَ يا محمد من نزول الوحي عليك ويسخرون ، ويجوز أن يكون معناه : بل عجبتَ من إنكارهم البعث ، ومن قرأ (عَجِبْتُ) بضم التاء ، فهو إخبار من الله ، وقد أنكر قوم هذه القراءة ، وقالوا : الله عز وجل ، لا يعجب ، وإنكارهم هذا غلط ؛ لأنَّ القراءة والرواية كثيرة ، والعجب من الله عزَّ وجلَّ خلافه من الآدميين ، كما قال تعالى : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ){الأنفال : ٣٠} وقال تعالى : (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){التوبة : ٧٩} وقال تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ){النساء : ١٤٢} والمكر من الله والخداع خلافه من الآدميين ، وأصل العجب في اللغة أنَّ

([1]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٧٩/٥

([2]) ينظر : الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي النحوي ٢٢٢/٤

([3]) جامع البيان ٥٣/٢٣

الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقلُّ مثله ، قال : عجبتُ من كذا وكذا ، إذا فعل الآدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه : عجبتُ ، والله قد علم الشيءَ قبل كونه ، ولكنَّ الإنكار إنَّما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء))[1] وقد نقل ابن الجوزي كلام الزجاج ثم قال : ((وقال ابن الأنباري : المعنى : جازيتهم على عجبهم من الحق٠٠٠فسمَّى فعله عجبًا ، وليس بعجب في الحقيقة ؛ لأنَّ المتعجب يدهش ويتحيَّر ، والله عزَّ وجلَّ قد جلَّ عن ذلك ، وكذلك سُمِّي تعظيم الثواب عجبًا٠٠٠وقال غيره : إضافة العجب إلى الله على ضربين : أحدهما : بمعنى الإنكار والذم ، كهذه الآية (يعني : قوله تعالى : (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ) بضم التاء) والثاني : بمعنى الاستحسان والإخبار من تمام الرضى ، كقوله عليه الصلاة والسلام : عجب ربك من شابّ ليست له صَبْوة))[2] والحق ما قاله الزجاج ، فكل صفة يضيفها الله سبحانه إلى نفسه يجب إبقاء معناها على ما يدلُّ عليه ظاهر اللفظ ، ومَن أوَّل فإنَّه ما أوَّل إلاَّ لأنَّه حمل صفات البارئ عز وجل على أنَّها كصفات البشر ، والله سبحانه يقول : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ){الشورى : ١١} فالله سبحانه : يضحك ، ويغضب ، ويعجب ، لكنه لا يضحك كما يضحك البشر ، ويغضبون ، ويعجبون ، وكذلك كل صفة من صفاته شاركه بها الآدميون .

فالمراد من العجب في قوله تعالى (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) العجب بعينه بفتح التاء أو ضمها ، وجعله بمعنى الاستعظام تحريف لدلالته ، وجعله بهذا المعنى في حال الضم يعني تعطيل صفة من صفات الله أثبتها الله لنفسه ، ويعني المساس بالركن الثالث من أركان التوحيد ، وهو توحيد الأسماء والصفات الذي يأتي بعد توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية

([1]) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٦/٤

([2]) زاد المسير ٣٠٠/٦

٩-**القتل** : قال العسكري : ((والقتل في القرآن الكريم على وجهين :

الأول : القتل بعينه : قال تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)[البقرة : ١٩١]

الثاني : اللعن ، قال الله تعالى : (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)[عبس : ١٧] ومثله قوله تعالى : (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)[المثر : ١٩]))[١]

وذكر الدامغاني هذين الوجهين ، وأضاف :

((الثالث : القتل ، يعني : القتال ، قوله تعالى : (فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ)[البقرة : ١٩١] يعني : فقاتلوهم .

الرابع : القتل : العذاب ، قوله تعالى في سورة الأحزاب : (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا)[الأحزاب : ٦١] يعني : وعُذِّبوا تعذيبًا

الخامس : العلم : قوله تعالى في سورة النساء : (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا)[النساء : ١٥٧] يعني : وما علموا يقينًا أنَّه قُتِلَ ، تقول : قتلته علمًا ويقينًا : إذا علمته علمًا تامًّا .

السادس : القتل : يعني : دفن الأحياء ، قوله تعالى في سورة الأنعام : (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ)[الأنعام : ١٥١]

السابع : القتل : القصاص ، قوله تعالى في سورة بني إسرائيل : (فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ)[الإسراء : ٣٣] أي : لا يقتل بقتل نفس نفسين .

الثامن : القتل : الذبح ، قوله تعالى في سورة الأعراف : (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ)[الأعراف : ١٤١]))[٢] وذكر ابن الجوزي هذه الأوجه الثمانية نفسها[٣]

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٧٨ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٣٧٦-٣٧٧ وينظر : وجوه القرآن ص ٣٤٥ .

(٣) نزهة الأعين ص ٢٣٤-٢٣٥ .

جعل أهل الوجوه القتل في الوجه الثاني بمعنى اللعن في قوله تعالى : (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) ونحوه ، قال الراغب : ((أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت ، لكن إذا اعتُبِر بفعل المتولي ؛ لذلك يقال قَتْلٌ ، وإذا اعتُبِر بفوت الحياة يقال : موت ... وقيل قوله تعالى : (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ)[الذاريات : ١٠] لفظ قُتِلَ دعاء عليهم ، وهو من الله تعالى إيجاد ذلك ... وقوله تعالى : (قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[التوبة : ٣٠] قيل معناه : لعنهم الله ، وقيل معناه : قتلهم ، والصحيح أنَّ ذلك هو المفاعلة ، والمعنى : صار بحيث يتحدَّى لمحاربة الله ؛ فإنَّ من قاتل الله فمقتول ، ومن غالبه فهو مغلوب))[١] فـ(قُتِلَ) في قوله تعالى : (((قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) وقوله تعالى : (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) لفظه خبر ، ومعناه الدعاء ، ومعناه إيجاد ذلك من الله بهم ، وقيل هذا يُستعمل في تعظيم الشيء نحو : قاتله الله ، وقتَلَه الله ما أشجعه ، ومنه : وَيْلُمِّهِ مِسْعَرُ حرب))[٢] ففي قوله تعالى : (((قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) دعاء عليه بأشنع الدعوات ، وتعجب من إفراطه في الكفران ، وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ))[٣] ((وفعل قُتِلَ فلان : أصله دعاء عليه بالقتل ... وبناء (قُتِلَ) للمجهول متفرع على استعماله في الدعاء))[٤] فالقتل في قوله تعالى : (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) يعني القتل بعينه وجاء في سياق الدعاء ، ولو أراد اللعن لاستعمل لفظه ، وقال : لُعِنَ الإنسان ما أكفره ، كما قال تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ)[المائدة : ٧٨] وكقوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ)[المائدة : ٦٤]

---

(١) المفردات ص ٤٠٩.

(٢) عمدة الحفاظ ٢٧١/٣.

(٣) أنوار التنزيل ٢٨٧/٥ .

(٤) التحرير والتنوير ١٠٥/٣٠-١٠٦ .

وجعلوا القتل في الوجه الثالث يعني القتال في قوله تعالى : (فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ) والتقدير عندهم : فإن قاتلوكم فقاتلوهم ، قال الآلوسي : ((وكان الظاهر الإتيان بأمر المفاعلة إلّا أنَّه عدل إلى أمر فعل بشارة للمؤمنين بالغلبة عليهم ، أي : هم من الخذلان وعدم النصر بحيث أُمِرْتُم بقتلهم)) [1] وهذا هو حال القوي العزيز الواثق من قوته وذل ووهن خصمه فإنَّه لا يقول : إن قاتلني فلان قاتلتُه ، بل يقول : إن قاتلني فلان قتلتُه .

وقال ابن عاشور : ((وفي قوله تعالى : (فَاقْتُلُوهُمْ) تنبيه على الإذن بقتلهم حينئذ ، ولو في غير اشتباك معهم بقتال ؛ لأنَّهم لا يُؤمَنون من أن يتخذوا حرمة المسجد الحرام وسيلة لهزم المسلمين ؛ ولأجل ذلك جاء التعبير بقوله : (فَاقْتُلُوهُمْ) لأنَّه يشمل القتل بدون قتال ، والقتل بقتال))[2] فالمراد إذن من القتل في هذا الوجه معنى القتل ، وجعله بمعنى القتال تحريف لدلالة اللفظ والتفسير .

وجعلوا القتل في الوجه الرابع بمعنى العذاب في قوله تعالى : (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) لم أجد من المفسرين بدءًا بمقاتل وانتهاء بابن عاشور حتى ابن الجوزي نفسه من ذكر أنَّ القتل في هذه الآية يعنى العذاب ، بل فسر جميعهم القتل بمعنى القتل ، وتضعيف التاء في (قُتِّلُوا) كان للمبالغة في القتل[3] ((أي : قُتِّلوا قتلًا شديدًا شاملًا ، فالتأكيد هنا تأكيد لتسلط القتل على جميع الأفراد المدلولة لضمير(قُتِّلُوا) لرفع احتمال المجاز في عموم القتل ، فالمعنى : قُتِّلوا قتلًا شديدًا لا يفلت منه أحد ، وبهذا الوعيد انكفَّ المنافقون عن أذاة المسلمين وعن الإرجاف فلم يقع التقتيل فيهم

([1]) روح المعاني ٤٧١/١.

([2]) التحرير والتنوير ٢٠٠/٢ .

([3]) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٢٢٤ .

؛ إذ لم يُحفّظ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قتل منهم أحدًا ، ولا أنَّهم خرج منهم أحد))[1]

وجعلوا القتل في الوجه الخامس بمعنى العلم في قوله تعالى : (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) ودلالة العلم فُهِمتْ من لفظ اليقين لا من لفظ القتل ، وكيف يصح هذا الوجه ؛ لأنَّه كيف يصح أن يكون المعنى أو التقدير : وما علموه يقينًا ؟! لأنَّ في ذلك إفراغًا للفظ القتل من محتواه ، وتجريدًا له من معناه ، فها هو ابن الجوزي الذي عيَّن جعل القتل بمعنى العلم في قوله تعالى : (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) [2] قال في تفسيره : ((قوله تعالى : (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) في الهاء ثلاثة أقوال ، أحدها : أنَّها ترجع إلى الظن ، فيكون المعنى : وما قتلوا ظنهم يقينًا ، والثاني : أنَّها ترجع إإلى العلم ، أي : وما قتلوا العلم به يقينًا ، والثالث : أنَّها ترجع إلى عيسى ، فيكون المعنى : وما قتلوا عيسى يقينًا))[3] فتأمَّل أنَّ ابن الجوزي كرر التعبير عن معنى القتل بلفظه في تقدير كل قول من الأقوال الثلاثة .

وجعلوا القتل في الوجه السابع بمعنى القصاص في قوله تعالى : (فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ) و((القصاص : هو أن يُفعَل بالفاعل مثل ما فَعَلَ))[4] فهو لا يخصّ القتل وحده ، فجعل القتل بمعناه ، يعني جعل الخاص بمعنى العام ، وفي ذلك تحريف للدلالة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنَّه كيف يصح أن نجعل القتل هنا بمعنى القصاص ؟ لأنَّ القصاص يمثل أحد حالات العدل والعدالة في القضاء ، ففاعله ومطبقه لا يصحّ أن يوصف بأنَّه قد أسرف .

([1]) التحرير والتنوير ٣٣٢/٢١.

([2]) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٣٤ .

([3]) زاد المسير ١٤٨/٢-١٤٩.

([4]) التعريفات ص ٩٩ .

ودفن الأحياء ، والذبح ، كما جاء في الوجه السادس والثامن قريبان من معنى القتل ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه .

والدليل على أنَّ القتل ليس من الألفاظ المشتركة جعله في الوجه الأول يعني القتل بعينه ؛ لأنَّ هذا يعني أنَّ الأوجه السبعة الباقية لا تعني القتل بعينه فهي إذن أوجه مختلَقة اختُلِقت بطريقتين : بطريقة عدم تحرِّي الصواب والدقة في التفسير ، وبطريقة جعل القتل بمعنى مرادفه .

١٠-**القرآن** : قال الحيري : ((باب القرآن على سبعة أوجه :

أحدها : القرآن بعينه ، كقوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)(القرآن : ١٨٥}

والثاني : كتاب من الكتب ، كقوله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)(يونس : ١٥}

والثالث : بسم الله الرحمن الرحيم ، كقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ)(الرعد : ٣١}

والرابع : آية الكرسي ، كقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)(الحجر : ٨٧}

والخامس : صلاة الفجر ، كقوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)(الإسراء : ٧٨}

والسادس : التوحيد ، كقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ {١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ)(الرحمن : ١-٢}

والسابع : القراءة ، كقوله تعالى : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)(القيامة : ١٧}))[١]

([١]) وجوه القرآن ص ٣٤١-٣٤٢

صحَّ قول الحيري عندما جَعَلَ القرآن في الوجه الأول يعني القرآن بعينه ، وفي الوجه الأخير بمعنى القراءة ؛ لأنَّ هذا هو معنى القرآن في اللغة ، قال ابن فارس : ((القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدلُّ على جمع واجتماع ... قالوا : ومنه القرآن كأنَّه سُمِّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك)) [١] وقال الراغب : ((والقرآن في الأصل مصدر نحو كُفران ، ورُجحان قال تعالى : ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ {١٧} فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)(القيامة : ١٧-١٨} قال ابن عباس : إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به ، وقد خُصَّ بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كالعَلَم ، كما أنَّ التوراة لِما أُنزل على موسى ، والإنجيل على عيسى صلى الله عليهما وسلم))[٢] ((و(ال) فيه للعهد ، ومنه قيل : هو علم بالغلبة ، واشتقاقه من قرأ ، أي : جمعَ ؛ لأنَّه مجموع من سور ، والسور من آيات ، والآيات من كلمات ، والكلمات من حروف ، وقيل : لأنَّه جمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والتنبيه وغير ذلك ... وقيل : بل هو من قرن ؛ لأنَّه قد اقترنت فيه الكلمات والسور والآيات ، أو الوعد والوعيد والأمر والنهي حسبما تقدم ، والقرآن مصدر أيضًا))[٣] فالقرآن الكريم عَلَمٌ منقول من قرأ قراءة وقرآنًا ، وقد جعل الحيري القرآن بصفة عَلَميّته على خمسة أوجه وهي الأوجه الباقية

جعلَ الحيري القرآن في الوجه الثاني بمعنى كتاب من الكتب في قوله تعالى : (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) قال الزجاج : ((ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) أي : ائت بقرآن ليس فيه ذكر البعث والنشور ، وليس فيه عيب

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٧١

(٢) المفردات ص ٤١٩

(٣) عمدة الحفاظ للحلبي ٢٨٦/٣

آلهتنا)) [1] وقال الواحدي : ((أي : بقرآن ليس فيه عيب آلهتنا ، وذكر البعث والنشور)) [2] وقال الزمخشري : ((ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيضنا)) [3] فأكثر أهل التفسير استعملوا مصطلح القرآن ، أي : أبقوا القرآن على لفظه ؛ لأنَّهم أرادوا قرآنًا آخر من حيث أحكامه لا من حيث عنوانه ، فهم لم يعترضوا على القرآن في تسميته ، بل في مضمونه ، فهم لم يسألوه تبديل اسمه ، بل سألوه أن يأتي بقرآن آخر حسب هواهم ، أي : أن يغيِّر ما فيه فقد سألوه : ((أن يحوِّل الوعد وعيدًا ، والوعيد وعدًا ، والحلال حرامًا ، والحرام حلالًا ... أو أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم ... أو إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور))[4] فيكون المراد من القرآن من حيث اللفظ القرآن بعينه

وجَعَلَ القرآنَ في الوجه الثالث بمعنى : بسم الله الرحن الرحيم : في قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) قال مقاتل : ((وذلك أنَّ أبا جهل بن هشام المخزومي قال لمحمد : سيِّر بقرآنك هذا الجبل عن مكَّة ... فأنزل الله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) يقول : لو أنَّ قرآنًا فعل ذلك به قبل هذا القرآن لفعلناه بقرآن محمد عليه السلام ، ولكنه شيء أعطيه رسلي))[5] ((قال ابن زيد في قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) قال : قالوا للنبي ، صلى الله عليه وسلم : إن كنتَ صادقًا فسيِّر عنا هذه الجبال ... فأنزل الله : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) لم يصنع ذلك بقرآن

([1]) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٠

([2]) الوسيط ٢/٥٤١

([3]) الكشاف للزمخشري ٢/٢٢٢-٢٢٣

([4]) الجامع لأحكام القرآن٨/٢٢٠

([5]) تفسير مقاتل ٢/١٧٧

قطّ ولا كتاب ، فيصنع ذلك بهذا القرآن))[1] وقال الزجاج : ((إنَّ المعنى : لو أنَّ قرآنًا سُيِّرتْ به الأرض أو كُلِّم به الموتى لما آمنوا به)) [2] ((والمعنى : لو أنَّ قرآنًا فعل به ذلك ما التمسوا لكان هذا القرآن)) [3] فهذا هو معنى الآية ، ولا أدري من أين أتى الحيري بالوجه الذي قال به ، وهو جعله القرآن بمعنى : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولم أجد في كتب التفسير من ذكر هذا الوجه ، أو قيل به .

وجَعَلَ القرآنَ في الوجه الرابع بمعنى آية الكرسي في قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال مقاتل في تفسير هذه الآية : ((يعني : ولقد أعطيناك فاتحة ، وهي سبع آيات (وَالْقُرْآنَ) كلّه مثاني ، ثم قال (والفرآن الْعَظِيمَ) يعني : سائر القرآن كلّه)) [4] وقال الطبري : ((وأمَّا قوله (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) فإنَّ القرآن معطوف على السبع ، بمعنى : ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن ، وغير ذلك من سائر القرآن)) [5] ((وهذه تدلَّ على فضيلة الفاتحة ؛ لأنَّ الله تعالى امتنّ على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بهذه السورة ، كما امتنَّ عليه بجميع القرآن)) [6]

فمن الواضح جدًّا أنَّ المراد من القرآن هنا القرآن كلّه والقرآن بعينه ، وأقول مرة أخرى : ولا أدري من أين أتى الحيري بالوجه الذي قال به ، وهو جعله القرآن بمعنى آية الكرسي

([1]) جامع البيان١٨٢/١٣

([2]) معاني القرآن وإعرابه ١٢١/٣

([3]) الوسيط ١٦/٣

([4]) تفسير مقاتل ٢١٠/٢

([5]) جامع البيان ٧٣/١٤ وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥٢/٣

([6]) الوسيط ٥٢/٣

وجعل القرآن في الوجه الخامس بمعنى صلاة الفجر ، في قوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال الطبري : ((وأمَّا قوله : (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) فإنَّ معناه : وأقم قرآن الفجر ، أي : ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن ، والقرآن معطوف على الصلاة ، في قوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ)))[١] وقال الزجاج : (((وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) أي : فأقم قرآن الفجر ، وفي هذا الموضع فائدة عظيمة تدلُّ على أنَّ الصلاة لا تكون إلّا بقراءة ؛ لأنَّ قوله أَقِمِ الصَّلاَةَ وأقم قُرْآنَ الْفَجْرِ ، قد أمر أن تقيم الصلاة بالقراءة حتى سُمِّيتْ الصلاة قرآنًا ، فلا تكون صلاة إلّا بقرآن ، وقوله (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) جاء في التفسير : أنَّ ملائكة الليل يحضرون قراءة الفجر ، وملائكة النهار يحضرونها أيضًا))[٢] روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية : (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار[٣] والهاء في ((تشهده)) عائدة على القرآن ، فليس المراد إذن من (قُرْآنَ الْفَجْرِ) الصلاة بل القرآن الذي يُقرأ فيها ، وهو المشهود من الملائكة ، فصلاة الفجر عظم شأنها عند الله لِما يُقرأ فيها من القرآن ، فيكون المراد من القرآن القرآن بعينه

وجَعَلَ القرآنَ في الوجه السادس يعني التوحيد في قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ {١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ) رجعتُ إلى كتب التفسير بدءًا بتفسير مقاتل المتوفى ١٥٠هـ حتى تفسير ابن عاشور المتوفى ١٩٥٠م فلم أجد فيها من قال أو نقل أنَّ القرآن في قوله تعالى : (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) جاء بمعنى التوحيد ،

---

(١) جامع البيان ١٦٠/١٥

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٩/٣

(٣) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة . ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٥٤/٥ وتفسير ابن كثير ٧٨/٥

فلا أدري من الذي أوحى إلى الحيري بالوجه الذي قال به ؟! فهذه هي كتب الوجوه

١١-اليـأس : ذكـر الـدامغاني وابـن الجـوزي أنَّ اليـأس فـي القـرآن الكريم على وجهين :

الأول : القنوط كقولـه تعالى : (وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ){يوسف : ٨٧}

الثاني : العلم ، كقولـه تعالى : (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا){الرعد : ٣١} أي : أفلم يعلموا [١].

القنوط مرادف لليأس ، كما جاء في الوجه الأول ، وقد أريد أن يكون تعريفًا لـه ؛ لأنَّ اللفظ فـي كتب اللغة يُعَرَّف بما يرادفه ، وهذه حقيقة أثبتها ابـن الجـوزي نفسـه ، فقد قـال عـن الوجـه الأول : ((وإنَّمـا عبَّـر باليـأس عـن القنوط ؛ لأنَّ القنوط ثمرة اليأس)) هذا ما قاله عن الوجه الأول في النزهة ، وقال عن هذا الوجه نفسه في المنتخب : وهو ((على أصله))

أمَّا فيما يتعلق بالوجـه الثـاني فقد قـال ابـن فـارس : ((اليـاء والهمـزة والسـين كلمتـان : إحـداهما اليـأس : قطـع الرجـاء ... والكلمـة الأخـرى : ألـم تيـأس : ألـم تعلـم ، وقـالوا فـي قولـه تعالى : (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ){الرعد : ٣١} أي : أفلم يعلم)) [٢]

وهذا ما ذهب إليه جمهور اللغويين والمفسرين ، إلّا أنَّهم أجازوا جعل اليأس يعني اليأس بعينه بعد أن بيَّنوا علاقته بالعلم ، قال الزمخشري : ((لأنَّ اليأس عن الشـيء عالم بأنَّـه لا يكون)) [٣] وقال ابن عطيـة : ((ويحتمل أن

([١]) ينظـر : الوجـوه والنظـائر ص ٤٨٤ ونزهـة الأعـين ٣١١ ومنتخـب قـرة العيـون ص ٢٤٦.

([٢]) مقاييس اللغة ص ٩٧٠-٩٧١ .

([٣]) الكشاف ٥١٠/٢ .

يكون اليأس في هذه الآية على بابه)) [1]وقال القرطبي : ((وقيل : هو من اليأس المعروف)) [2]

وهذا الذي أجازه الأكثرية رجحه بعضهم قال الزجاج : ((والقول عندي ، والله أعلم ، أنَّ معناه : أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنَّهم لا يؤمنون ؛ لأنَّه قال : (أَلَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا))) [3] وعيَّنه بعضهم قال الراغب : ((وقوله : (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ) قيل معناه : أفلم يعلموا ، ولم يرد أنَّ اليأس موضوع في كلامهم للعلم ، وإنَّما قُصِد أنَّ يأْس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك ، فإذاً ثبوت يأسهم يقتضي ثبوت حصول علمهم)) [4]

وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة والمنتخب جعل اليأس في الشاهد المذكور بمعنى العلم[5] قال في تفسيره : ((وفيه أربعة أقوال ، أحدها : أفلم يتبيَّن ، والثاني : أفلم يعلم ، والثالث : أنَّ المعنى : قد يئس الذين آمنوا أن يهدوا واحدًا ، والرابع : أفلم ييأس الذين آمنوا أن يؤمن هؤلاء المشركون)) [6] فابن الجوزي لمَّا جعل لليأس هذه الاحتمالات الأربعة فهذا يعني أنَّه أخرجه من باب الوجوه وأدخله في باب التفسير ، أي : أنَّ الوجه الذي قال به في باب الوجوه أبطله في باب التفسير .

وقد قلتُ مرارًا أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، والقرآن الكريم لو أراد معنى العلم لعبَّر عنه بلفظه وقال : أفلم يعلم الذين

([1]) المحرر الوجيز ٣١٣/٣.

([2]) الجامع لأحكام القرآن ١٠٣/٣ .

([3]) معاني القرآن وإعرابه ١٢١/٣

([4]) المفردات ص ٥٧٧

([5]) ينظر : نزهة الأعين ص٣١١ ومنتخب قرة العيون ص ٢٤٦ .

([6]) زاد المسير ٢٥٣/٤ .

آمنوا ، ولكن لمَّا أراد معنى اليأس استعمل لفظه وقال : (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ) وينبغي أن لا يشك باحث بأنَّ وجه العلم مختلق ولو أجمع عليه أهل اللغة والتفسير ، والدليل على ذلك أنَّه لو سُئل كلّ الذين قالوا به : لِمَ عبَّر القرآن الكريم عن العلم بلفظ اليأس ولم يعبِّر عنه بلفظه ؟ لما استطاعوا الإجابة إلّا بأحد أمرين : إمَّا أن يدعوا بأنَّ القرآن الكريم ألحن فعبَّر عن المعنى بغير لفظه ، ووضع اللفظ في غير موضعه ، وهذا ما لا يستطيع أحد أن يدعيه ، لأنَّه ما من أحد يستطيع أن يثبت هذا الادعاء ، وإمَّا أن يضطروا للقول بالحقيقة فيجيبوا بأنَّ القرآن الكريم عبَّر عن معنى اليأس بلفظه ؛ لأنَّه أراد معناه ، ولم يعبِّر عنه بلفظ العلم ؛ لأنَّه ما أراد معنى العلم ، وهذا هو الحق وما بعد الحق إلّا الضلال ، وصفوة القول أنَّ اليأس في الوجه الثاني هو بمعنى الوجه الأول ولا أوجه .

الطريقة الثانية عشرة ، التغليب

من أمثلتها أوجه اللفظ الآتي :

١-**الأب** : ذكر أهل الوجوه أنَّ (الأب) في القرآن على خمسة أوجه :

الوجه الأول : الأب بمعنى الجد ، كقوله تعالى : (مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ)[الحج : ٧٨]

والوجه الثاني : الأب بمعنى العم ، كقوله تعالى : (قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[البقرة : ١٣٣] وإسماعيل عم يعقوب

والوجه الثالث ، الأب : الوالد بعينه ، كقوله تعالى : (إِذْ قَالَ لابِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا)[مريم : ٤٢]

والوجه الرابع ، الأب (بتشديد الباء) مرعى الأنعام ، كقوله تعالى : (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا){عبس : ٣١} يعني مرعى الدواب والأنعام ، ويقال هو الكلأ ، ويقال هو التبن))

والوجه الخامس ، الأب يعني الخالة ، كقوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ){يوسف : ١٠٠}[١]

والأب : ((أصله أبَوٌ حُذفت لامه اعتباطًا ، وله أخوات)) [٢]وهذه الأوجه جميعها مختلقة ، قال ابن فارس : ((أبو : الهمزة والباء والواو ، يدل على التربية والغذو ، أبَوْتُ الشيءَ آبُوه أبْوًا : إذا غذوتُه ، وبذلك سُمِّي الأب أبًا))[٣] وقال الراغب : ((الأب : الوالد ويُسمَّى كل من كان سببًا في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أبًا ؛ ولذلك يُسمَّى النبي أبا المؤمنين ، قال الله تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ){الأحزاب : ٦} ... وقيل : أبو الأضياف لتفقده إيّاهم ، وأبو الحرب لمهيِّجها ، وأبو عُذرتها لمفتضِّها))[٤] أي : ((لمن افتض بِكارتها))[٥] فالأب بهذه الدلالة يكون اسم جنس ، جاز إطلاقه على كل من دخل ضمنها ؛ لذلك أطلقه العرب على الوالد والجد مهما بعد ، أي : على الأب الأدني والأب الأعلى كما صرح بذلك ابن الجوزي نفسه ، بل الوالد بعينه سَمَّوه أبًا ، وكان أولى من غيره بهذه التسمية ؛ لأنَّه يُعد السبب المباشر ، لإيجاد أولاده ، وتربيتهم وتغذيتهم ، وإصلاحهم ، وظهورهم ؛ وكذلك الجد هو أحق بهذه التسمية بعد

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٧١ والوجوه والنظائر للنظائر ص ٥٩-٦٠ ونزهة الأعين ص ٢٧-٢٨ ومنتخب قرة العيون ص ٤٣ وبصائر ذوي التمييز ١١٤/٢.

(٢) عمدة الحفاظ ٥١/١.

(٣) مقاييس اللغة ص ٢١-٢٢.

(٤) المفردات ص ١١ وينظر عمدة الحفاظ ٥١/١-٥٢.

(٥) عمدة الحفاظ ٥٢/١.

الوالد ؛ لأنَّه السبب في ظهور الأولاد والذرية والأمَّة ، أي : أنَّ معنى الأب يناسبه أكثر مما يناسبه معنى الجد الذي يتضمن ((أصول ثلاثة ، الأول : العظمة ، والثاني : الحظ ، والثالث : القطع)) [١] والدليل على ذلك أنَّه لم يرد لفظ الجد ولا الأجداد في القرآن الكريم ، وأمَّا إطلاق الأب على العم ، والخالة ، فهو على سبيل التغليب ، والتغليب شائع في كلام العرب وفي القرآن الكريم في حال التثنية والجمع ، قال الراغب : ((ويُسمَّى العم مع الأب أبوين ، وكذلك الأم مع الأب ، وكذلك الجد مع الأب ، قال تعالى في قصة يعقوب : (قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنَّما كان عمهم))[٢] وقال الحلبي : ((ويطلَق (الأب) على الجد ، فقيل حقيقة وقيل مجازًا ، وهو الظاهر ، وعلى العمّ والأمّ والخالة ، ولكن بالتغليب ، فيقال : أبوه ، وقيل في قوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) إنَّهما أبوه وخالته))[٣]

وقال ابن هشام : ((إنَّهم يُغلِّبون على الشيء ما لغيره ؛ لتناسب بينهما أو اختلاط ؛ فلهذا قالوا (الأبوين) في الأب والأم ومنه قوله تعالى : (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ){النساء : ١١} وفي الأب والخالة ، ومنه قوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) و(المشرقين) و(المغربين) ومثله (الخافقان) في المشرق والمغرب ، و(القمرين) في الشمس والقمر ... وقالوا (العُمَرَين) في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما))[٤] إلّا أنَّه لم تجد من أحد من أهل اللغة من زعم بمجيء عمر بمعنى أبي بكر ، لإجماعهم على عدم جواز إدخال التغليب في باب الوجوه والمعاني ، ويبدو أنَّهم سهوا أن يختلقوا

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٤٨.

(٢) المفردات ص ١١ .

(٣) عمدة الحفاظ ٥٢/١ .

(٤) مغني اللبيب ٦٨٦/٢-٦٨٧ وينظر : الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ١٣٩/١.

وجه الأم ويجعلوه الوجه السادس للأب ، وهو أولى من وجه الخالة ، لأنَّه كثيرًا ما جاء تثنية الأب في الأب والأم كالشاهد الذي استشهد ابن هشام : (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ) وكقوله تعالى : (كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ){الأعراف : ٢٧} وقوله تعالى : (فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ){النساء : ١١} وقوله تعالى : (وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا){الكهف : ٨٠} لكن مع ذلك لم تجد أحدًا من أهل اللغة والتفسير من زعم بمجي الأب بمعنى الأمِّ في الشواهد المذكورة ؛ لأنَّهم لم يدخلوا باب التغليب في باب الوجوه والمعاني .

وقد جعلوا من أوجه الأب الوالد بعينه ، كقوله تعالى : (إِذْ قَالَ لابِيهِ يَا أَبَتِ) وكان الأولى بهم أن يجعلوه بمعنى الأب بعينه ؛ لأنَّ القرآن الكريم لو أراد الوالد بعينه لاستعمل لفظ الوالد وقال : إذ قال لوالده يا والدي ، لأنَّ القرآن الكريم بما أنَّه استعمل الوالد والأب فلا بد من أن يكون ثمة فرق بينهما في الدلالة ، وأنَّهما استعملهما كلًّا في موضعه مراعاة للفرق المعنوي بينهما فيكون جعل الأب بمعنى الوالد تحريفًا للمقصود من اللفظ القرآني ، بل لم يرد لفظ الوالد في القرآن الكريم بمعنى الأب خاصّة ، فقد ((خصّ القرآن الكريم كلمة والدة بالأم فقط ، وما سمَّى القرآن الكريم الأب والدًا قط ، أمَّا كلمة والد فقد جاءت في ثلاثة مواضع فقط في القرآن الكريم هي : قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا) (في هذه الآية موضعان) وقوله تعالى : (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ){البلد : ٣} وفي هذه المرات الثلاثة ، لم تخص الأب ، بل جاءت عامة تشمل الأب والأم))[1]

(1) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ص ٧٥٥

فأنت ترى أنَّ أصحاب كتب الوجوه لم يعنوا بذكر هذه القضايا اللغوية التي تمثل بلاغة القرآن االكريم وحسن تعبيره ، كلّ ذلك من أجل اختلاق الوجوه التي ذكروها عن علم وعمد ، فهم بدلًا من أن يذكروا الفرق بين الأب والوالد في الدلالة والاستعمال جعلوا الأب بمعنى الوالد بعينه لاختلاق هذا الوجه للأب ، ومن ذلك أيضًا أنَّهم لم يبحثوا عن حكمة ((لِمَ التثنية بصيغة (أبوين) أحيانًا ، وبصيغة (والدين) أحيانًا أخرى ، الإجابة : أنَّه في المواضع التي يكون فيها جانب الأبوة أقوى من جانب الأمومة تأتي صيغة (أبوين) مثل قوله تعالى : (وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ){النساء : ١١} فمقام الحديث في الآية هو الميراث ، والذكر في موضوع الميراث أقوى من الأنثى غالبًا ، فالله يقول (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)ألنساء : ١١} كما أنَّ الذكر يكون عصبة المتوفَّى فيرث ماله كلّه إن لم يكن للميت وارث آخر ، ويأخذ نصيبه إن كان للميت وارث آخر ، ثم يأخذ الباقي بعد استيفاء أصحاب الفروض نصيبهم ، مثال آخر ، قال تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ){يوسف : ١٠٠} والرفع هنا هو الظهور ، والظهور أصل في الرجال في كل عصر ومصر وليس للنساء فيه حظ ، أمَّا في المواضع التي يكون فيها جانب الأمومة أقوى تأتي صيغة (والدَين) فمثلًا جميع الآيات التي تأمر أو توصي الأبناء بالإحسان إلى الأب والأم ، يُغَلِّب القرآن الحكيم جانب الأمومة على الأبوة كما قال تعالى : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا){الإراء : ٢٣} فسمى الله تعالى الأم والأب والدين ؛ لأنَّ الأمهات أحوج إلى العطف والإحسان من الآباء))[1]

قال في الميراث : (وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ) ولم يقل (والداه) لأنَّه غلَّب جانب الأبوة لِما ذكره صاحب الموسوعة ، لكنه قال في الميراث أيضًا: (لِّلرِّجَالِ

(1) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ص ٧٥٤

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ){النساء : ٧} جاء في التفسير أنَّ (((قوله تعالى) : (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ) سبب نزولها أنَّ أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات وامرأة ، فقام رجلان من بني عمِّه ، يقال لهما قتادة وعرفطة ، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئًا ، فجاءت امرأته إلى النبي فذكرت له ذلك ، وشكتِ الفقر فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس ، وقال قتادة : كانوا لا يورثون النساء ، فنزلت هذه الآية))[١] فقد غلَّب جانب الأمومة لأنَّ السياق وأسباب النزول تقتضي هذا التغليب .

الطريقة الثالثة عشرة : جعل اللفظ بمعاني ما اشتمل عليه ، أو جعل المحتوي بمعاني محتوياته :

من ذلك ما كان من أوجه الألفاظ الآتية :

١-الآخرة : تقدمت دراسته في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم : ١٥٨

(((الآخِر : ما قبله سابق ، وسميت الآخرة آخرة ؛ لأنَّها بعد الدنيا))[٢] وذكر أهل الوجوه أنَّ من أوجه الآخرة في القرآن الكريم : يوم القيامة ، والبعث ، والجنة ، وجهنم ، والقبر [٣]

فهذه الأوجه الخمسة : يوم القيامة ، والبعث ، والجنة ، وجهنم ، والقبر ، وغيرها كالبرزخ ، ويوم الحشر ، ويوم الحساب ، ويوم عبور الصراط

---

(١) زاد المسير ١٣/٢ .

(٢) نزهة الأعين ص ٤٧ .

(٣) ينظر الأشباه والنظائر لمقاتل ٣٠٢-٣٠٣وباسم الوجوه والنظائر ص ١٤١-١٤٢والوجوه والنظائر لهرون ص٢١١-٢١٢ والوجوه والنظائر للعسكري ٦٧-٦٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٨٢-٨٣ ونزهة الأعين ص ٤٧-٤٨ .

، وغيرها من الأيام ، والمنازل والأحوال ، ليست معاني الآخرة بل هي معاني ما احتوت عليه ، فكيف يصحّ أن نجعل المحتوي بمعاني محتوياته ؟! كيف يصح أن نجعل من أجزاء الكل وجوهًا للكل ؟! فأصحاب كتب الوجوه لم يختلقوا الوجوه فحسب ، بل اختلقوا معها التداخل والخلط بين الألفاظ العامة والخاصة ، فأساؤوا أيما إساءة إلى اللغة بعامّة وإلى لغة القرآن الكريم بخاصّة .

٢-الإسلام : قد تقدمت دراسته أيضًا في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ٣٠ قال الخليل : ((الإسلام : الاستسلام لأمر الله ، وهو الانقياد لطاعته والقبول لأمره))[١] وقال ابن قتيبة : ((الإسلام هو الدخول في السِّلم ، أي : في الانقياد والمتابعة ... والاستسلام مثله ... فمن الاسلام : متابعة وانقياد باللسان دون القلب ... ومن الاسلام : متابعة وانقياد باللسان والقلب))[٢] وقال العسكري : ((الإسلام : أصله السكون ، ومنه قيل : خلاف الحرب ؛ لما فيها من السكون ، ثم استعمل في الخضوع ، فقيل : أسلم الرجل واستسلم : إذا خضع وتواضع ؛ لأنَّ مع الخضوع سكون الأطراف ، ثم يستعمل في الإخلاص ، فيقال : أسلم الرجل : إذا أخلص لله ... وقد سلَّم العبد أمره لله ، أي : فوَّضه إليه وأخلص التوكل فيه عليه))[٣]

وقد اتخذ مقاتل ومن تبعه من معاني الإسلام هذه أوجهًا للإسلام ، فذكروا أنَّ الإسلام في القرآن الكريم على ستة أوجه :

الأول : الإخلاص .

والثاني : الإقرار .

---

(١) العين ص٤٤١ وينظر : مقاييس اللغة ص ٤١٢.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٣) الوجوه والنظائر ص ٣٣ .

والثالث : الخضوع .

الرابع : التوحيد .

الخامس : الاستسلام .

السادس : أن يكون اسمًا للدين الذي ندين به [1]

والإخلاص ، والإقرار ، والخضوع ، والتوحيد ، والاستسلام ، قريبة من معنى الإسلام ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، وهذا ما ذكرته في كتابي لا وجوه ولا نظائر ، والحقيقة أنَّها لا تدخل في هذا الباب فحسب ، بل تدخل أيضًا وبصفة أدقّ في باب ما اشتمل عليها معنى اللفظ ، والدين الإسلامي ، هو ما اجتمعت فيه هذه الأمور ، فيكون أهل الوجوه قد جعلوا الإسلام بمعناه الاصطلاحي بمعاني ما احتوى عليه .

٣-**الخزائن** : ذكر أصحاب كتب الوجوه للخزائن في القرآن الكريم ستة أوجه :

الأول : الخراج ، كقوله تعالى : (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)[يوسف : ٥٥}

الثاني : المفاتيح ، كقوله تعالى : (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)[الحجر : ٢١} وقوله تعالى : (وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)[الحجر : ٢٢} يعني : بفاتحين

الثالث : الرزق : كقوله تعالى : (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لامْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا)[الإسراء : ١٠٠}

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٣٥-١٣٦وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٠-٤١والوجوه والنظائر لهرون ص ٨٢-٨٣ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٣-٣٤ ووجوه القرآن للحيري ص ١٧٦ والوجوه والنظائر للدامغاني ص١٠٥-١٠٦ ونزهة الأعين ص ٤٠-٤١ وكشف السرائر ، لابن العماد ص ١٧٦ .

الرابع : المطر ، كقوله تعالى : (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ)[المنافقون : ٧]

الخامس : النبوة والكتاب ، كقوله تعالى : (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ)[ص : ٩]

السادس : الغيوب ، كقوله تعالى : (وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ)[هود : ٣١][1]

الوجه الأخير قال به ابن الجوزي ، والغيب غير الخزائن ؛ لأنَّ الغيب هو ما غاب عنك ، والخزائن أماكن الخزن ، فالدلالتان مختلفتان ، والدليل على ذلك الشاهد نفسه ، وهو عطفه عدم علمه بالغيب ، بعدم معرفته بالخزائن وامتلاكها ؛ ولأنَّه لا يصح أن يكون المعنى أو التقدير : ولا أقول لكم عندي غيوب الله ، ولا أعلم الغيب ؛ لأنَّ في ذلك تكرارًا للمعنى نفسه ، قال ابن الجوزي في تفسير هذه الآية : ((قوله تعالى : (وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ) قال ابن الأنباري : أراد بالخزائن : علم الغيب المطوي عن الخلق ؛ لأنَّهم قالوا له : إنَّما اتبعك هؤلاء في الظاهر وليسوا معك ، فقال : ليس عندي خزائن غيوب الله فأعلم ما تنطوي عليه الضمائر ، وإنَّما قيل للغيوب خزائن لغموضها على الناس واستتارها عنهم ، قال سفيان بن عُيينة : إنَّما آيات القرآن خزائن ، فإذا دخلتَ خزانة فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها))[2] فتأمَّل أنَّ ابن الأنباري فسَّر قوله تعالى (وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ) بجعله بتقدير : ((ليس عندي خزائن غيوب الله)) فجعل الخزائن على بابها ودلالتها

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٠٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٥-٢٠٦ ونزهة الأعين ص ١١٤

(٢) زاد المسير ٧٦/٤

قال ابن فارس : ((الخاء والزاء والنون أصل يدلُّ على صيانة الشيء ، يقال : خزَنتُ الدراهم وغيره ، وخزَنتُ السِّرَّ ، قال :

إذا المرء لم يخزُن عليه لسانُه فليس على شيء سواه بخزَّان))[١]

وقال الراغب : ((الخَزْنُ حفظ الشيء في الخزانة ، ثم يُعبَّر به عن كلِّ حفظ ، كحفظ السِّرِّ ونحوه)) [٢] وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ){المنافقون : ٧} الخزائن جمع خِزانة ، وهي موضع الخَزْن ، والخزن سِتر الشيء وحفظه ، قال امرؤ القيس من الطويل) :

إذا المرء لم يخزُن عليه لسانُه فليس على شيء سواه بخزَّان

يقال : خزَنتُ المال ، أي : سترته وغيَّبته ، والخزانة في الأصل مصدر ، وهي عمل الخازن ، كالإمارة والولاية ، ثم أُطلِقتْ على موضع الشيء المخزون فيه))[٣]

جعل أصحاب كتب الوجوه الخزائن في الوجه الأول بمعنى الخراج في قوله تعالى : (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) قال ابن فارس ((والخراج ، والخَرْج : الإتاوة ؛ لأنَّه مال يخرجه المعطي))[٤] ((وقيل : لما يخرج من الأرض ومن وَكْر الحيوان ، ونحو ذلك : خَرْج وخراج٠٠٠والخَراج مختص في الغالب بالضريبة على الأرض))[٥] ((والخرْج والخَراج واحد ، وهو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٥٥

(٢) المفردات ص ١٥٣

(٣) عمدة الحفاظ ٥٠٠/١

(٤) مقاييس اللغة ص ٢٥٤

(٥) المفردات ص ١٥١

معلوم٠٠٠والخراج : اسم لما يُخرَج ، والخراج : غَلَّة العبد والأمة ، والخَرْج والخَراج : الإتاوة تُؤخَذ من أموال الناس ، والخرْج أن يؤدي إليك العبد خراجه ، أي : غَلَّته))[١] فالخراج : ما يُخرَج من الأرض ، أو ما يُخرجه الإنسان من ماله وغيره ، فهي لغةً عكس دلالة الخزائن ؛ لأنَّ الخزائن هي المواضع التي يُخزَن فيها ما يراد خزنه ، أي : ما يراد إدخاله فيها وحفظه ، وبهذا المعنى جاء تفسيرها ، قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى : (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ) : ((و(خزائن) لفظ عام لجميع ما تختزنه المملكة من طعام ومال وغيره))[٢]وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ) أي : خزائن أرضك ، وفي المراد بالخزائن قولان ، أحدها : خزائن الأموال ، والثاني : خزائن الطعام فحسب))[٣] فالخزائن ضد الخراج ، فالفرق بينهما ظاهر فجعلها بمعناه تحريف ظاهر .

وجعلوا الخزائن في الوجه الثاني بمعنى : المفاتيح ، في قوله تعالى : (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) وقوله تعالى : (وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) يعني : بفاتحين ، وهذا الوجه كالوجه الأول هو عكس دلالة الخزائن ؛ لأنَّ الخزائن هي المواضع التي يُخزَن فيها ما يراد خزنه ، أي : ما يراد إدخاله فيها وحفظه ، قال الزمخشري في تفسير قوله : (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ) : ((ذكر الخزائن تمثيل ، والمعنى : وما من شيء ينتفع به العباد إلّا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به ، وما نعطيه إلّا بمقدار معلوم نعلم أنَّه مصلحة له))[٤] فكل شيء ينتفع به العباد

---

(١) لسان العرب ٤٠/٥

(٢) المحرر الوجيز ٢٥٦/٣

(٣) زاد المسير ١٨٧/٤

(٤) الكشاف ٥٥٢/٢

مخزون عند الله ومحفوظ ، إلّا أنَّ هذه الخزائن يفتحها الله سبحانه في الوقت المناسب ، وهذا ما عناه بقوله تعالى : (وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) وقال ابن عطية : ((والخزائن : المواضع الحاوية))[١] وما من شيء يخزنه إنسان في خزانة إلّا وهو ينوي فتحها عند الحاجة وإخراج ما خزنه فيها ، وكيف تسنى للدامغاني أن يجعل ((قوله تعالى (وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) يعني : بفاتحين))[٢] ؟! فالذي يخزن الشيء في موضع ما ، يغلق عليه منافذه ليحفظه ، أم يفتحها لينشره ؟! قال الطبري : ((قوله تعالى : (وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) يقول : ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقيناكموه فتمنعوه مَن أسقيه ؛ لأنَّ ذلك بيدي وإليَّ ، أسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء٠٠٠قال سفيان : (وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) قال : بمانعين))[٣] فجعل الخزائن بمعنى المفاتيح هو عكس دلالة الخزن لغة وتفسيرًا ، فالفرق بينهما ظاهر فجعلها بمعناها تحريف ظاهر

وجعل الحيري الخزائن في الوجه الثالث بمعنى الرزق في قوله تعالى : (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لامْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا) لم ترد (خزائن) في القرآن الكريم إلّا مضافة ، وهي هنا مضافة إلى (رَحْمَةِ رَبِّي) قال الطبري في تفسير الآية : ((يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : لو أنتم تملكون خزائن أملاك ربي من الأموال ، وعنى بالرحمة في هذا الموضع المال)) [٤] وقال ابن عطية : ((و(الرحمة) في هذه الآية المال والنعم التي تصرَف في الأرزاق ، ومن هنا سميتْ

---

(١) المحرر الوجيز ٣٥٥/٣

(٢) الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٠٥

(٣) جامع البيان ٣٠/١٤ وينظر : زاد المسير ٣٠١/٤

(٤) جامع البيان ١٩٦/١٥

رحمة)) [1] وقال ابن الجوزي : ((والمراد في هذه الخزائن قولان ، أحدهما : خزائن الأرزاق ، والثاني : خزائن النعم))[2] من الواضح جدًّا كما ترى أنَّ الخزائن لا تعني الرزق ؛ لأنَّه ليس المراد الرزق ، بل خزائن الرزق ، فيكون الرزق هو معنى الرحمة الواقع مضافًا إليه ، لا معنى الخزائن الواقع مضافًا، ومن التحريف الظاهر للعيان عدم جعل المضاف بمعناه بل بمعنى المضاف إليه .

وليس المراد من الخزائن المطر كما جاء في الوجه الرابع في قوله تعالى : (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ) ولا النبوة والكتاب كما جاء في الوجه الخامس في قوله تعالى : (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) بل المراد من الخزائن الخزائن بعينها ، فالله سبحانه خزن في خزائنه أقدار كل شيء ، أقدار المطر والنبوة والكتاب وغيرها مما لا يعلمه إلّا الله سبحانه ، وقد تقدم تعريفها فهي من : ((خَزَنَ الشيءَ يخزُنُه خَزْنًا واختزنه : أحرزه وجعله في خِزانة ، والخِزانة : اسم الموضع الذي يُخْزَن فيه الشيء ، وفي التنزيل : (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ){الحجر : ٢١} والخِزانة : واحدة الخزائن ، وفي التنزيل : (قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ){الأنعام : ٥٠} وخزنَ المالَ : إذا غيَّبه ، وقال سفيان بن عُيينة : إنَّما آيات القرآن خزائن ، فإذا دخلتَ خزانة فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها ، قال : شبَّه الآية من القرآن بالوعاء الذي يجمع فيه المال المخزون٠٠٠وخزانة الإنسان قلبه ٠٠٠وخزنتُ السرَّ واختزنتُه : كتمته))[3] ((والخزانة : مكان الخزن ، أي : الموضع الذي يوضع

---

(١) المحرر الوجيز ٤٨٨/٣

(٢) زاد المسير ٦٧/٥

(٣) لسان العرب ٦٤/٥

فيه الشيء ، والجمع : الخزائن))[1] ((وخزائن الله : مستعارة لتعلق قدرة الله بالإنعام وإعطاء الخيرات النافعة للناس في الدنيا ، شبّهت تلك التعلقات الصلوحية والتنجيزية في حجبها عن عيون الناس وتناولهم مع نفعها إياهم ، بخزائن أهل اليسار والثروة التي تجمع الأموال والأحبية والخلع والطعام ، كما أُطلق عليها في قوله تعالى : (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ){المنافقون : ٧} أي : ما هو مودع في العوالم العليا والسفلى مما ينفع الناس ، وكذلك قوله تعالى : (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ){الحجر : ٢١}))[2]

فالخزائن : هي أماكن الخزن ، التي تُخزن فيها ما يراد خزنه ، أو هي المواضع الحاوية لتي تحوي الأشياء المطلوب احتواؤها فيها ، واحتوت خزائن الله على كلِّ ما قدَّره الله ، ففيها مقدوراته ، واستعملت حقيقة ومجازًا ، وهذا هو معناها أينما وردت في اللغة وفي القرآن الكريم ، أمَّا الأوجه المنسوبة إليها فهي ليست معاني الخزائن ، وإنّما هي معاني المخزونات فيها ، أعيانًا كانت أم معاني ، وهذا من التحريف الظاهر ، وهو عدم جعل اللفظ بمعناه بل بمعنى ما احتوى عليه .

٤-**الدار** : ذكر الحيري والدامغاني للدار في القرآن الكريم ثمانية أوجه :

الأول : الجنة ، كقوله تعالى : (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ){يوسف : ١٠٩} وقوله تعالى : (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ){النحل : ٣٠}

---

(١) تاج العروس ٢٦٧/٣٤

(٢) التحرير والتنوير ١١٠/٦

الثاني : جهنم ، كقوله تعالى : (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ){الرعد : ٢٥} وقوله تعالى : (وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ){إبراهيم : ٢٨}

الثالث : الدار يعني المدينة ، أو المنزل ، كقوله تعالى : (فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ){الأعراف : ٧٨}

الرابع : مكة ، أو المدينة ، كقوله تعالى : (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ){الرعد : ٣١}

الخامس : مصر ، كقوله تعالى : (سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ){الأعراف : ١٤٥}

السادس : معسكرهم ، كقوله تعالى : (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ){هود : ٦٧}

السابع : البدل ، كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ){إبراهيم : ٢٨}

الثامن : الدار بعينها ، كقوله تعالى : (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ){القصص : ٨١}[1]

جعلُ الدار في الوجه الثامن يعني الدار بعينها ، يعني أنّ الأوجه السبعة الباقية لا تعني الدار بعينها ، فهي إذن أوجه مختلقة ، اختلقت بثلاث طرائق :

الأولى : جعل اللفظ بمعاني ما اشتمل عليه :

جعل الحيري الدار في الوجه الأول بمعنى الجنة في قوله تعالى : (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) قال الفراء : ((وقوله : ((وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) أصيفت الدار إلى الآخرة إذا اختلف لفظه ، وقد تضيف العرب

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٠٩-٢١٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢١٢-٢١٣

الشيء إلى نفسه ، كقوله تعالى : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ){الواقعة : ٩٥} ومثله : أتيتك بارح الأولى، وعام الأول ، وليلة الأولى ، ويوم الخميس ، وجميع تضاف إلى أنفسها لاختلاف لفظها ، كذلك شهر ربيع))[١] فتكون هذه الإضافة هي من باب ((إضافة الموصوف إلى صفته)) [٢] ((وقال البصريون : هذه على حذف مضاف تقديره : ولدار الحياة الآخرةِ ، أو المدة الآخرةِ)) [٣]

وقال الزجاج : ((وقوله عز وجل : (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ) وفي غير موضع ، فمن قال : الدارُ الآخرةُ فالآخرة نعت للدار ؛ لأنَّ لجميع الخلق دارين ، الدار التي خُلقوا فيها ، وهي الدنيا ، والدار الآخرة التي يعادون فيها خلقًا جديدًا ، ومن قال : دارُ الآخرةِ ، فكأنَّه قال : ودارُ الحالةِ الآخرةِ ؛ لأنَّ للناس حالين ، حالَ الدنيا ، وحالَ الآخرة ، ومثل هذا في الكلام الصلاة الأولى ، وصلاة الأولى ، فمن قال : الصلاة الأولى ، جعل الأولى نعتًا للصلاة ، ومن قال : صلاة الأولى ، أراد صلاة الفريضة الأولى ، والساعة الأولى)) [٤]

فقد ذكر أهل التفسير لقوله تعالى : (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ) هذين التأولين استنادًا إلى أنَّ المراد من الدار الدار بعينها ، وجعلها بمعنى الجنة يلغيهما ، فمن الهدم جعل لفظ بمعنى لفظ آخر ؛ لأنَّه يعطل قضية البحث اللغوي في تراكيب القرآن الكريم

---

(١) معاني القرآن ص ٣٦٧/١ وينظر : الكشاف للزمخشري ٤٨٩/٢

(٢) الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي ص ٧١

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٢٨٧/٣

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٠٨/٣ وينظر : الدر المصون للحلبي ٦٠٠/٤

وجعل كلاهما الدار في هذا الوجه بمعنى الجنة في قوله تعالى : (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ {٣٠} جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ){النحل : ٣٠-٣١} قال الطبري : (((وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) يقول : ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة))[١] وقال الزجاج : ((المعنى : ولنعم دار المتقين دار الآخرة...ويكون المعنى : جنات عدن نعم دار المتقين))[٢] وقال ابن كثير : ((وقوله : (جَنَّاتُ عَدْنٍ) بدل من : (دَارُ الْمُتَّقِينَ) أي : لهم في الآخرة جنات عدن))[٣] وقال ابن الجوزي : ((وفي قوله تعالى : (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) قولان ، أحدهما : أنَّها الجنة...ويجوز أن يكون المعنى : ولنعم دار المتقين جنات عدن ، والثاني : أنَّها الدنيا ؛ لأنَّهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة))[٤] فالدار هي الدار بعينها ، إمَّا أن تكون هي الدار الدنيا ، أو الدار الآخرة ، وأنَّ للمتقين في الدار الثانية جنات عدن

وجعل الحيري الدار في الوجه الثاني بمعنى جهنم في قوله تعالى : (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) وكذلك الدار هنا إمَّا أن يراد بها الدار الدنيا ، أو الدار الآخرة ، قال الطبري : (((وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) يقول : ولهم ما يسوؤهم في الدار

---

(١) جامع البيان ١٢٠/١٤

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٦٠/٣

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٩٧/٤

(٤) زاد المسير ٣٣٧/٤

الآخرة)) [1] و(الدار) هنا يحتمل أنَّها دار الآخرة ، ويحتمل أنّها الدار الدنيا[2]

وجعلها الدامغاني بهذا المعنى في قوله تعالى : (وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) وهذا المعنى لا يصح أن يكون للدار ، بل هو معنى التركيب الإضافي : دار البوار ، وهو لا يعني جهنم ، وإنَّما هو صفة لها .

فالجنة ، والنار ، لا تعنيان الدار الآخرة ، وإنَّما هما مما تحتوي عليهما هذه الدار ، ومن التحريف في الدلالة عدم جعل اللفظ بمعناه بل بمعنى ما يحتوي عليه ، وهذه هي الطريقة التي اتبعها أهل الوجوه في اختلاق الوجوه وهو جعل اللفظ بمعاني ما اشتمل عليه ، أو جعل المحتوي بمعاني محتوياته

الثانية : الدراسة المعكوسة ، وهي جعل اللفظ بمعاني الموصوف به : فالمدينة ، ومكّة ، ومصر ، ومعسكرهم ، كما جاء في الوجه الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، هذه الأوجه إن صحّت فلا يصحّ أن تكون أوجهًا للدار ؛ لأنّ القرآن الكريم ما أراد تسمية الدار ووصفها بهذه الأوجه ، كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنّما أراد تسمية هذه الأوجه ووصفها بالدار ، فهي إذن جميعها وجوه واحد ؛ لأنّها جميعها بمعنى الدار ، وليست الدار بمعانيها ، هذا أن صحت هذه ، وإلّا فإنّ الدار أريد منها الدار بعينها، أينما وردت في كتاب الله .

جعل الحيري الدار في الوجه الثالث بمعنى المدينة في قوله تعالى : (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) وجعلها في الوجه السادس بمعنى المعسكر في قوله تعالى : (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي

---

(١) جامع البيان ١٧١/١٣

(٢) ينظر : المحرر الوجيز ٣١١/٣ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٨٧/٣ ومدارك التنزيل ص ٥٥٦

دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) والمعسكر : مجتمَع الجيش ، أو مكان العسكر[١] فأين هو من معنى الدار ؟! و((مَدَنَ بالمكان أقام به ، ومنه المدينة ، وهي فَعيلة ، وتُجمع على مدائن ، بالهمز...وفيه قول آخر : أنَّه مَفعِلة من دِنْتُ ، أي : مُلِكْتُ...وسُئِلَ أبو علي الفسوي عن همزة مدائن فقال : فيه قولان ، مَن جعله فَعيلة من قولك : مَدَنَ بالمكان أقام به همزه ، ومن جعله مَفْعِلَة ، من قولك دِينَ ، أي : مُلِكَ ، لم يهمزه ، كما لا يهمز معايش ، والمدينة : الحصن يُبنى في أُصْطُمَّةٍ الأرض[٢] مشتق من ذلك ، وكلُّ أرض يُبنى بها حصن في أصْطُمَّتها فهي مدينة ، والنسبة إليها مديني ، والجمع مدائن ومُدُن...الفراء وغيره : المدينة فَعيلة ، تهمز في الفعائل ؛ لأنَّ الياء زائدة ، ولا تهمز ياء المعايش ؛ لأنَّ الياء أصلية ، والمدينة : اسم مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة غلبتْ عليها تفخيمًا لها ، شرَّفها الله وصانها))[٣] ((والمدينة : البلدة التي كثر سكانها))[٤]

فإذا أريد هذا المعنى استعمل لفظ المدينة ، كما استعمله في قوله تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ){التوبة : ١٠١} وقوله تعالى : (إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ){الأعراف : ١٢٣} وقوله تعالى : (مَا كَانَ لاهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ){التوبة : ١٢٠}

---

(١) ينظر : الكليات للكفوي ص ٦٩٨

(٢) ((والأُسْطُمُّ مجتمع البحر ، وأُسْطُمَّة كلِّ شيء معظمه)) ووسطه ، والأُصْطُمَّة لغة في الأُسْطُمَّة . لسان العرب ١٨٣/٧

(٣) لسان العرب ٤٠/١٤

(٤) عمدة الحفاظ للحلبي ٧٩/٤

قال الفراء : ((وقوله تعالى : (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) والرجفة هي الزلزلة ، وقوله تعالى : (فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) يقول : رمادًا جاثمًا)) [١] وقال الطبري : ((يقول تعالى ذكره : فأخذت الذين عقروا الناقة من ثمود الرجفة ، وهي الصيحة ، والرجفة الفعلة من قول القائل : رجف بفلان كذا يرجُف رجْفًا ، وذلك إذا حرَّكه وزعزعه...وإنَّما عنى بالرجفة ها هنا : الصيحة التي زعزعتهم وحرَّكتهم للهلاك ؛ لأنَّ ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم))[٢] وقال الواحدي : (((فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ) يعني بلدهم (جَاثِمِينَ) قال المفسرون : معنى (جَاثِمِينَ) جاثمين بعضهم على بعض ، أي : عند نزول العذاب بهم ، سقط بعضهم على بعض كما يجثم الطير)) [٣] وقال الزمخشري : (((فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ) في بلادهم أو في مساكنهم))[٤] وقال القرطبي : ((قوله تعالى : (فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ) أي : بلدهم ، وقال في موضع آخر : (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ){هود : ٦٧} أي : في منازلهم)) [٥] وقال أبو حيان الأندلسي : ((قال الكرماني : حيث ذكر الرجفة ، وهي الزلزلة ، وحَّد الدار ، وحيث ذكر الصيحة جمع ؛ لأنَّ الصيحة كانت من السماء ، فبلوغها أكثر ، وأبلغ من الزلزلة ، فاتصل كلٌّ واحد منهما بما هو لائق به ، وقيل (فِي دَارِهِمْ) أي : في بلدهم كني بالدار عن البلد)) [٦]

---

(١) معاني القرآن ٢٥٨/١ ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٨/٢

(٢) جامع البيان ٢٧٣/٨

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٨٤/٢

(٤) الكشاف ١١٩/٢ وينظر : مدارك التنزيل ص ٣٧٢

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/٧

(٦) البحر المحيط ٤٢٤/٤

فالحيري جعل الدار بمعنى المدينة ، وجعلها المفسرون كما رأيت بمعنى البلد ، فما الداعي إلى الوجه الذي قال به سوى التعمد في تحريف دلالة اللفظ القرآني من أجل اختلاق الوجوه ؟!

وفيما يتعلق بالنص الذي نقله أبو حيان الأندلسي من الكرماني فهو منقول من كتابه : ((البرهان في توجيه متشابه القرآن[١] وهو من الكتب التي تُعنى بإظهار بلاغة القرآن والكشف عن سر إعجازه من خلال ذكر أدق الفروق الدلالية بين الالفاظ ، والتراكيب المتشابهة التي تبدو واحدة في معانيها ، فهي من خلال ذلك تبني ، أمَّا كتب الوجوه والنظائر فهي على العكس تهدم ما تبنيه تلك الكتب ؛ فلكونها قائمة على منهج اللفظ المشترك ؛ لا تتطرق إلى ذكر الفروق الدلالية بين الالفاظ المترادفة ، بل تدعي أنّ جميعها بمعنى واحد ؛ فهي بهذا المنهج تُعَطِّل البحث عن بلاغة القرآن ، والكشف عن سر إعجازه .

فقد تقدم قول الكرماني في سر الإفراد في قوله : (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) والجمع في قوله تعالى : (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) وقال ابن جماعة الكناني عن هذه المسألة نفسها : ((جوابه : أنَّ المراد بالرجفة الزلزلة العظيمة ، فصحَّ الإفراد ؛ لأنَّ المراد بدارهم بلدهم المُزَلزَل ، والمراد بالصيحة صيحة من السماء ، والمراد بديارهم منازلهم فصحَّ الجمع)) [٢]

والظاهر أنَّ العقاب بدأ بصيحة من السماء فتوزَّعت آثار هذه الصيحة أول الأمر ، فأصابت أهل كلِ دار من ديار ثمود على حدة ، فتركت أهل كلٍّ منها جاثمين في دارهم ؛ ولا تزال تُمَيِّز الديار بعضها من

---

(١) ص ٧٧

(٢) كشف المعاني في متشابه المثاني ص ٦١

بعض ، لذلك جمع ، ثم انتهت بالرجفة ، وهي الزلزلة العظيمة التي أصابت البلدة بعامة ، فقلبت ديارها بعضها على بعض ، وسقط أهلها بعضهم على بعض ، حتى امَّحت آثار تلك الديار ، وصارت وساكنيها رمادًا كما جاء في التفسير ، فأصبحت كدار واحدة ؛ لذلك أفرد

وجعل الدامغاني الدار في شاهد هذا الوجه (فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) بمعنى المنزل ، قال الحلبي : ((قوله تعالى : (تِلْكَ الدَّارُ الأخِرَةُ){القصص : ٨٣} هي المنزل ، سُمِّيتْ دارًا لدوران أهلها بها ، أو لدورانها هي بأهلها ، وإحاطتها بهم...وتُطلَق ، ويراد بها البلد ، والضِّيع ، والدنيا كلّها ، ومنه قيل : دار الدنيا ، ودار الآخرة ، وتطلق الدار على الجنَّة ، كقوله تعالى : (لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ){الأنعام : ١٢٧} وعلى النار : قال تعالى : (دَارَ الْبَوَارِ){إبراهيم : ٢٨})) [1]

فالحلبي جعل الدار في قوله تعالى : (تِلْكَ الدَّارُ الأخِرَةُ) بمعنى المنزل ، مع أنَّه قال : ((سُمِّيتْ دارًا لدوران أهلها بها) فالمراد إذن معنى الدار ، لا معنى المنزل ؛ لذلك استعمل لفظ المعنى المراد من دون غير المراد ، فالمنزل اسم مكان للنزول ، فكل مكان يُنزَل فيه يُسمَّى منزلاً ، ويُسمَّى الشيء حسب الصفة المرادة منه ، فأنَّا أسمي مثلًا بيتي بيتًا إذا أردتُ معنى المبيت فيه ، وأسميه منزلًا إذا أردت معنى النزول فيه ، وأسميه مسكنًا إذا أردت منه معنى هدوئي وسكوني فيه عن الحركة أو قلتها ، ومعنى اتخاذي إياه للجلوس والراحة ، وأسميه قصرًا إذا أردتُ منه معنى البناء والسياج العالي لقصر محارمي فيه ، وحجب أنظار الأجانب عنهنَّ ، وأسميه مأوى إذا أردت معنى الرجوع واللجوء إليه بعد كلِّ طواف أطوفه خارجه ، وأسميه دارًا إذا أردتُ معنى دوراني فيه لسعته وتعدد مرافقه ، فهذه

---

(١) عمدة الحفاظ ٢/٣٠-٣١

الأسماء ، وإن ترادفت واتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها بمعانيها الخاصة المذكورة ، والبليغ يختار منها ما يلائم المقام ، فوضع بعضها في سياق الآخر إخلال بهذه البلاغة ، وبحسن التعبير ودقته ، فضلًا عن أنَّه يعدُّ تحريفًا لدلالة اللفظ المرادة

وكذلك الحال في مرادفات البلد ((والبلد : كل موضع من الأرض غامر ، أو عامر ، مسكون ، أو خال ، والقطعة منه بلدة))[١] فالبلدة تُسمَّى مدينة إذا أريد منها معنى البلدة التي للإقامة والاستقرار فيها كثر سكانها ، فنمت وتطورت بينهم علاقاتهم ، وأصبحوا ذوي حضارة وتمدّن

وتسمَّى قرية إذا أريد منها معنى ((الأبنية التي تجمع الناس ، من قولهم : قريتُ الماء في الحوض إذا جمعته))[٢] و((القرية سُمِّيتْ قرية لاجتماع الناس فيها...وجمع القرية قرى))[٣] ((فاشتقاق القرية من قريتُ...ويقال لبيت النمل قرية ؛ لأنَّه يجمع النمل ، فالقرية تجمع أهلها))[٤] وأريد أنَّها دون المدينة ، وأقرب منها إلى البادية ، مما جعل أكثر أهلها فلاحين ورعاة

وتُسمَّى مصرًا إذا أريد منها البقعة التي تضم قرى وضيعًا ، ولها حدود تفصلها عن غيرها من البقاع ((وتغزى منها الثغور ، ويُقسَّم فيها الفيء والصدقات من غير مؤامرة الخليفة))[٥]

---

(١) الكليات للكفوي ص ١٨٨

(٢) الكليات للكفوي ص ٦١٨

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٧٧١

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١٤٣/١تفسير قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً){البقرة : ٥٨}

(٥) العين ص ٩١٣

وتسمَّى دارًا إذا أريد منها المعنى الذي ذكره أهل اللغة للدار ، هذا هو كلام أهل الفصاحة والبلاغة ، وإذا جاء في كتب اللغة والتفسير تسمية الدار بالمنزل ، ، فإنَّما يقولون ذلك من باب تعريف اللفظ بما يرادفه ، أي : تعريفه بالقريب من معناه ، فلا يقصدون أنَّ المنزل يعني الدار بعينها ، كما هو الحال في كتب الوجوه ؛ لأنَّ وجوه اللفظ لا يصح أن تُسمَّى وجوهًا ، إلّا إذا قُصِد أنَّها تعني اللفظ بعينه ، وعلى سبيل القطع والتعيين ، فالمنزل والمنازل غير الدار والديار ، والدار والديار غير المنزل والمنازل ، فجعل أحدهما بمعنى الآخر في باب الوجوه تحريف لدلالة كل منهما

والدار كما تقدم اسم جامع للعرصة والبناء والمحلَّة ، وكلُّ موضع حلّ به قوم ، فهو دارهم ، وهي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها [١] وسُمِّيتْ دارًا لدوران أهلها بها ، أو لدورانها هي بأهلها[٢] والقرآن الكريم اختار لفظ الدار من دون غيرها ؛ ليكون ملائمًا للمقام ، لأنَّه أراد أن يذكر بأنَّه أخذهم وهم يدورون ، يذهبون ويجيئون في أذى نبيهم صالح حتى بلغ سعيهم الطائش إلى عقر الناقة التي بعثها الله إليهم آية ، فجعل الدار بمعنى المدينة ، أو المنزل ، تحريف لهذا المعنى المراد

وجعل الحيري الدار في الوجه الرابع بمعنى مكة في قوله تعالى : (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ) وجعلها الدامغاني بمعنى المدينة ، بل استعمل القرآن الكريم لفظ الدار من دونهما ، لأنَّه أراد من الدار ما أراده في الوجه السابق ، فجعلها بمعنى مكة أو المدينة تحريف للمعنى المراد

وجعل الحيري الدار في الوجه الخامس بمعنى : مصر ، في قوله تعالى : (سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) ثم قال : ((يعني مصر ، وقيل البحر ، وقيل

---

(١) ينظر : لسان العرب ٣٢٥/٥

(٢) عمدة الحفاظ ٣٠/٢-٣١

مكة ، وقيل جهنم)) [١] والوجه إذا تعددت فيه الأقوال يخرج من باب الوجوه ويدخل في باب التفسير ، قال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) فيها أربعة أقوال : أحدها : أنَّها جهنم ، والثاني : أنَّها دار فرعون ، والثالث : أنَّها منازل من هلك من الجبابرة ، والرابع : أنَّها مصارع الفاسقين ، ومعنى الكلام : سأريكم عافبة من خالف أمري)) [٢] وهذا هو المعنى المراد أنَّه لم يحدد قومًا من دون قوم ، أو بلدًا من دون بلد ، فقد أراد العموم ، فجعله بمعنى بلد معيَّن تحريف لدلالة عمومه .

الثالثة : جعل اللفظ بمعاني لفظ آخر جاوره في السياق نفسه :

جعل الحيري الدار في الوجه السابع بمعنى البدل في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) ومعنى البدلية كما ترى متأتٍّ من لفظ (بَدَّلُواْ) وليس من لفظ الدار ، ومن التحريف الدلالي للفظ عدم جعله بمعناه ، بل بمعنى لفظ من الألفاظ الواردة في التركيب

وصفوة ما تقدم ذكره أنَّ ((الدار : المحلُّ يجمع البناء والعرصة [٣] والعَرْصَة أنثى قال ابن جني : هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها...والدار اسم جامع للعرصة والبناء والمحلَّة ، وكلُّ موضع حلّ به قوم ، فهو دارهم ، والدنيا دار الفناء ، والآخرة دار القرار ، ودار السلام)) [٤]

وهذا هو المعنى المراد من الدار في جميع شواهد الأوجه المنسوبة إلى الدار ، وجعلها بالمعاني السبعة المذكورة تحريف لدلالتها

---

(١) وجوه الحيري ص ٢٠٩

(٢) زاد المسير ١٩٩/٣

(٣) ((وعَرْصَة الدار وسطها ، وقيل هو ما لا بناء فيه ، والعَرْصَة : كل بقعة بين الدور ليس فيها بناء ، وقيل : هي كلُّ موضع واسع لا بناء فيه)) لسان العرب ٩٨/١٠

(٤) لسان العرب ٣٢٥/٥

الطريقة الرابعة عشرة : الاعتباطية

١-**الآذان** : قال الحيري : ((باب الآذان على وجهين ، أحدهما : آذان القلب ، كقوله في الأعراف : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا)[الأعراف : ١٧٩]

والثاني : آذان الرأس ، كقوله تعالى : (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)[البقرة : ١٩]))[١]

جعلَ الحيري الآذان في الوجه الثاني بمعنى آذان الرأس ، أي : هي الآذان بعينها ، وجعلَ الآذان في الوجه الأول بمعنى : آذان القلب ، في قوله تعالى : (وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا) لم أجد في كتب التفسير من فسَّر الآذان بالوجه الذي قال به الحيري ((والقلوب : اسم لموقع العقول في اللغة العربية ... ومعنى نفي الفقه والإبصار والسمع عن آلاتها الكائنة فيهم أنَّهم عطلوا أعمالها في أهم ما تصلح له))[٢] فجعل الآذان بمعنى القلوب كما جاء في الوجه الثاني قد يجوز لو جاز حمله على المجاز ، ولا مجاز في هذا الوجه من جهتين ، الأولى : أنَّ المراد من الآذان هنا الآذان بعينها بدلالة الإخبار عنها بقوله تعالى : (لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا) فالتي لا يُسمَع بها هي الآذان وليس القلوب ، والثانية أنَّ السياق سياق حقيقة ، فمن الواضح أنَّه أراد ذكر ثلاث آلات مهمة يستفيد منها الإنسان في مجال الهداية : القلوب ، والأعين ، والآذان ، فبالأولى يفقه الأشياء ، وبالثانية يراها ويبصرها ، وبالثالثة يسمعها ، وهذا يعني أنَّه أراد من القلوب القلوب بعينها ، ومن الأعين الأعين بعينها ، ومن الآذان الآذان بعينها ، وكيف استساغ مَن هو

([١]) وجوه القرآن ص ٣٩

([٢]) التحرير والتنوير ٣٥٩/٨

مِن أصحاب كتب الوجوه أن يجعل الآذان بمعنى القلوب في قوله تعالى : (وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا) لأنَّ ذلك يحدث تكرارًا وخللًا في تركيب الآية ، فمن غير المستساغ أن تكون الآية بتقدير : لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ قلوب لا يَسْمَعُونَ بِهَا ؛ لأنَّه كيف يصح أن يكون المراد ذكر معنى القلوب مرتين ، مرة بلفظ القلوب ومرة بلفظ الآذان ومرة أخبر عنها بأنَّها لا تفقه ، ومرة أخبر عنها بأنَّها لا تسمع ؟! وكيف يصح أن يتضمن التركيب تكرار آلة القلوب ، مع خلوه من آلة السمع ؟! فليس في جعل الآذان بمعنى القلوب كما جاء في الوجه الأول مسوغ لغوي أو دلالي أو سياقي أو حقيقي أو مجازي ؛ لذلك لم أجد أحدًا من أهل اللغة أو التفسير قال بهذا الوجه ، ولم يقل به إلّا مَن هو مِن أصحاب كتب الهدم والتحريف ؛ لأنَّه وجه اعتباطي لا مسوغ له ، وهذه هي الطريقة الرابعة عشرة التي اتبعها أصحاب كتب الوجوه في اختلاق الوجوه ، وهي الطريقة الاعتباطية الجزافية ، وهي القول بالوجه من دون تروٍّ ، ومن دون علّة لغوية أو دلالية

٢- **الإدلاء** : قال الحيري : ((الإدلاء على وجهين ، أحدهما اللجاج ، كقوله تعالى : (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ){البقرة : ١٨٨}

والثاني : الإخراج : كقوله تعالى : (فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ){يوسف : ١٩}))[١]

جعلَ الحيري الإدلاء في الوجه الأول بمعنى اللجاج في قوله تعالى : (وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ){البقرة : ١٨٨} (((ولجَّ في الأمر : تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه)) [٢] لم أجد في كتب اللغة مّن عرَّف الإدلاء باللجاج ، أو أدخله في تعريفه ، قال الخليل : ((وأدليتها في البئر ، وقول الله عز وجل :

([١]) وجوه القرآن ص ٧٥-٧٦ .

([٢]) لسان العرب ١٧١/١٣.

(فَأَدْلَى دَلْوَهُ){يوسف : ١٩} ودلوتها : ملأتها ونزعتها من البئر ملأى))[١] وقال ابن فارس : ((الدال واللام والحرف المعتل أصل يدلُّ على مقاربة الشيء ومداناته بسهولة ورفق ، يقال : أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها في البئر ، فإذا نزعْتَ فقد دلَوْتَ ... ويقال : أدلى فلان بحجته : إذا أتى بها ، وأدلى بماله إلى الحاكم : إذا دفعه إليه ، قال جل ثناؤه : (وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ){البقرة : ١٨٨}))[٢] وقال الزجاج : ((ومعنى تدلوا في اللغة ، إنَّما أصله من أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها لِلْمَلْء ، ودلوتها إذا أخرجتها ، ومعنى : أدلى لي فلان بحجته : أرسلها وأتى بها على صحّة ، فمعنى : (وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ) أي : تعملون على ما يوجبه الإدلاء بالحجّة ، وتخونون في الأمانة))[٣]و((يقال : أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها في البئر لتملأها ، ودلوتها : إذا أخرجتها وجذبتها من البئر ملأى)) [٤] وقال ابن سيده : ((ودلوتها ، وأدليتها : إذا أرسلتها لتستقي بها ، وقيل : أدلاها ليستقي بها ، ودلاها : جبذها ليخرجها))[٥] فقد أجمع أهل اللغة على أنَّ أدلى الدلو يعني : أرسلها ، لا جبذها ، أو أخرجها ((وأدلى بحجته : أحضرها واحتج بها ، وأدلى إليه بماله : دفعه ، وأدلى بمال فلان إلى الحاكم : إذا دفعه إليه ، ومنه قوله تعالى : (وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ) يعني الرشوة)) [٦]

وكذلك لم أجد في كتب التفسير مَن فسَّر الإدلاء باللجاج أو أدخله في تفسير قوله تعالى : (وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ){البقرة : ١٨٨} قال مقاتل :

---

(١) العين ص ٣٠٢.

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٩٧ وينظر : المحكم لابن سيده ٤٢٧/٩

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٣/١.

(٤) تهذيب اللغة ١٢١٣/٢

(٥) المحكم ٤٢٧/٩

(٦) لسان العرب ٢٩٥/٥

((لا يدليّنَّ أحدكم بخصومة في استحلال مال أخيه ، وهو يعلم أنَّه مبطل))[1] وقال الطبري : ((عن قتادة ... قال : لا تُدْلِ بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنَّك ظالم ؛ فإنَّ قضاءه لا يُحِلُّ لك شيئًا كان حرامًا عليك)) [2] وهذا هو تفسير الإدلاء في هذه الآية عند المفسرين[3]

أدلى دلوه ودلى دلوه : وجعلَ الإدلاء في الوجه الثاني بمعنى الإخراج في قوله تعالى : {فَأَدْلَى دَلْوَهُ}{يوسف : ١٩} قال الراغب : ((دلَوْتُ الدَّلْوَ : إذا أرسلتُها ، وأدليتُها : أي : أخرجتُها)) [4] وقال الفيروزآبادي : ((ودلوتُ الدلو : أرسلتُها في البئر ، وأدليتها : أخرجتها)) [5] وما قاله الفيروزآبادي هو كلام الراغب نفسه ، والفيروزآبادي كثيرًا ما ينقل كلام الراغب ومن دون أن ينسبه إليه ، وهذا عيب ، وهناك عيب ثانٍ ، وهو أن ينقل عنه ما لم يصحّ ، وخلاف ما أثبته أهل اللغة والتفسير ، وهذا ما نبَّه عليه المحقق بقوله ((تبع في هذا الراغب ، والذي في اللغة عكس ما قاله هنا ، فالإدلاء : إرسال الدلو في البئر ، ودلْوُها جذبها من البئر ، والمفسرون يجمعون في قوله تعالى : {فَأَدْلَى دَلْوَهُ}{يوسف : ١٩} على أنَّ المراد إرسال الدلو في البئر ليملأها))[6] وعيب ثالث أكبر ، وهو أن يتبنَّى كلام الراغب بنقله ومن دون تعليق ، على الرغم من أنَّه خلاف ما أثبته هو نفسه في القاموس المحيط ، فقد قال في بصائره كما تقدم : ((ودلوتُ الدلو : أرسلتُها

---

(1) تفسير مقاتل ٩٩/١

(2) جامع البيان ٢٢١/٢

(3) وينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢٨٩/١ ، وزاد المسير ١٦٨/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/٢ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٢٧/١

(4) المفردات ص ١٧٨ .

(5) بصائر ذوي التمييز ٦٠٥/٢.

(6) بصائر ذوي التمييز ٦٠٥/٢ هامش (٧)

في البئر ، وأدليتها : أخرجتها))[1] وقال في قاموسه : ((ودلَوْتُ وأدليتُ : أرسلتها في البئر ، ودلاها جبذها ليخرجها)) [2] وهذا هو الذي أجمع عليه أهل اللغة والتفسير ، فقد تقدم قول ابن فارس : ((أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها في البئر ، فإذا نزعْتَ فقد دلَوْتَ)) وقول الزجاج : ((ومعنى تدلوا في اللغة ، إنَّما أصله من أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها لِلْمَلْء ، ودلوتها إذا أخرجتها)) وقول الأزهري : ((يقال : أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها في البئر لتملأها ، ودلوتها : إذا أخرجتها وجذبتها من البئر ملأى)) وجاء في اللسان : ((وأدليتها : إذا أرسلتها في البئر لتستقي بها ، ودلاها : جبذها ليخرجها)) [3] فالإدلاء : إرسال الدلو في البئر ، ودلْوُها جذبها من البئر ، فيكون قوله تعالى : ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾{يوسف : ١٩} يعني : الإرسال وليس الإخراج ، كما ادعى الحيري ، وهذا الذي أجمع عليه أهل اللغة أجمع عليه أيضًا أهل التفسير ، قال ابن قتيبة : (((فَأَدْلَى دَلْوَهُ) أي : أرسلها ، يقال : أدلى دلوه : إذا أرسلها للاستقاء ، ودلى يدلو : إذا جذبها ليخرجها))[4]وقال الزجاج : (((فَأَدْلَى دَلْوَهُ) يقال : أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها لتملأها، ودلوتها : إذا أخرجتها)) [5] وقال القرطبي : ((يقال : أدلى دلوه : أرسلها ، ودلاها : أخرجها)) [6] وقال البيضاوي : (((فَأَدْلَى دَلْوَهُ) فأرسلها في الجُبِّ ليملأها فتدلّى بها يوسف ، فلما رآه : ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ﴾))[7] وقال الحلبي : ((قوله تعالى :

---

(1) بصائر ذوي التمييز ٦٠٥/٢.

(2) تاج العروس ، كلام الفيروزآبادي المكتوب باللون الأحمر ٣١/٣٨.

(3) لسان العرب ٢٩٤/٥ .

(4) تفسير غريب القرآن ص ٢١٤.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٧٨/٣.

(6) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/٢

(7) أنوار التنزيل ١٥٨/٣ .

(فَأَدْلَى دَلْوَهُ){يوسف : ١٩} أي : أرسل الدلو ، يقال : أدلى الدلو ، أي : أرسلها ، فدلاها ، أي : أخرجها)) [١]

فَجَعْلُ الإدلاء بمعنى اللجاج كما جاء في الوجه الأول ، وجعله بمعنى الإخراج كما جاء في الوجه الثاني وجهان اعتباطيان ؛ لأنَّهما لا مسوغ لهما لا من حيث اللغة ولا من حيث الدلالة والتفسير ؛ لذلك لم أجد هذين الوجهين في كتاب من كتب اللغة ، ولا في كتاب من كتب التفسير ، ولكني وجدتهما في كتاب من كتب الوجوه والنظائر .

٣-**الابتغاء** : قال الحيري : ((باب الابتغاء على وجهين :

أحدهما : الطلب ، كقوله تعالى : (وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ){البقرة : ١٨٧}

الثاني : الشراء ، كقوله تعالى : (أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً){النساء : ٢٤}))[٢]

الابتغاء والطلب : جعل الحيري الوجه الأول يعني الطلب ، والطلب قريب من معنى الابتغاء ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، قال الخليل : ((بغيتُ الشيءَ أبغيه بُغاء ، وابتغيته : طلبته)) [٣] وقال ابن فارس : ((بغيتُ الشيءَ أبغيه : إذا طلبتَه))[٤] وتعريف أهل اللغة للابتغاء بمعنى الطلب ، لا يقصد منه أنَّ الطلب يعني الابتغاء بعينه ؛ لأنَّ المعجمي يعرِّف اللفظ بأقرب المعاني إليه ؛ والقصد من ذلك فهمُ معناه ، أمَّا أهل الوجوه فليس غايتهم من اللفظ تعريفه

---

(١) عمدة الحفاظ ٢١/٢ وينظر : الدر المصون ٤٥٦/٦

(٢) وجوه القرآن ص ٩٠-٩١.

(٣) العين ص ٨٢

(٤) مفاييس اللغة ص ١٠١

، بل تعدد وجوهه ، وهذا لا يتأتَّى إلّا بتضمينه معاني تلك الوجوه ، فتعريف الابتغاء بالطلب جائز ومقبول ، إذا كانت الغاية منه إيضاح معناه ، أمَّا جعله يعني الطلب بعينه ، فهو التحريف بعينه ؛ لأنَّ الابتغاء غير الطلب ، قال الراغب : ((البغي : طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتَحَرَّى ، تجاوزه أو لم يتجاوزه ، فتارة يُعتبَر في القَدْر الذي هو الكمية ، وتارة يُعتبَر في الوصف الذي هو الكيفية ، يقال : بغيتَ الشيء : إذا طلبتَ أكثر ما يجب ، وابتغيت كذلك ، قال عز وجل : (لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ){التوبة : ٤٨} وقال تعالى : (يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ){التوبة : ٤٧} والبغي على ضربين : أحدهما محمود ، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان ، والفرض إلى التطوع ، والثاني : مذموم ، وهو تجاوز الحق إلى البطل ، أو تجاوزه إلى الشُّبَه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : الحق بيِّن والباطل بيِّن ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، ومن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه ؛ ولأنَّ البغي قد يكون محمودًا ومذمومًا ، قال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ){الشورى : ٤٢} فخص العقوبة ببغيه بغير الحق ، وأبغيتك : أعنتك على طلبه ، وبغى الجرح : تجاوز الحدّ في فساده ، وبغت المرأة بغاء : إذا فجرت ؛ وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها))[1] وقال الحلبي : ((وابتغى : افتعل من البغي ، وقد غلب اختصاصها للاجتهاد في الطلب ، فإن كان ذلك المطلوب محمودًا فابتغاؤه كذلك ، وكذا عكسه فقوله تعالى : (ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا){الإسراء : ٢٨} محمود ، وقوله تعالى : ((لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ){التوبة : ٤٨} مذموم))[2] وقال الفيروزآبادي : ((وأمَّا الابتغاء

([1]) المفردات ٦٠-٦١.

([2]) عمدة الحفاظ ٢١٥/١ .

فالاجتهاد في الطلب)) [1] فالابتغاء إذن غير الطلب ، وقوله تعالى : (وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ){البقرة : ١٨٧} كما جاء في الوجه الأول لا يعني : واطلبوا ما كتب الله لكم ، بل المعنى : واجتهدوا في طلب ما كتب الله لكم ، فجعله يعني الطلب بعينه ، أي : مجرد طلب من دون اجتهاد فيه ، يُعدُّ تحريفًا لدلالة النص القرآني .

وجَعَلَ الوجه الثاني بمعنى الشراء في قوله تعالى : (أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ) ومعنى هذه الآية في كتب التفسير : أن تبتغوا بمهور أموالكم نكاح من أحلَّ الله نكاحهنَّ من النساء العفيفات في حال كونكم متعففين غير زناة[2] فكيف استساغ مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه أن يجعل الآية بمعنى : أن تشتروا بأموالكم النساء ؟! فلا الكتاب ولا السنة سمَّت نكاح النساء بالشراء ؛ لأنَّ الإنسان رجلًا كان أم امرأة أسمى من أن يعامل في الإسلام معاملة حاجة تباع وتشترى ؛ ولهذا لم أجد لغويًّا في كتب اللغة ، ولا مفسرًا في كتب التفسير ، ولا فقيهًا في كتب الفقه سمَّى زواج النساء بالشراء ، فما المسوغ الدلالي أو اللغوي أو الشرعي أو النقلي الذي استند إليه الحيري في جعل : أن تبتغوا ، بمعنى : أن تشتروا ؟! لا شيء من ذلك ، فهذا الوجه مختَلق بطريقة اعتباطية ، وقد اختلق الوجه الأول بجعله بمعنى من معاني مرادفاته .

الطريقة الخامسة عشرة : جعل المسبَّب بمعاني أسبابه ، والسبب بمعاني مسبَّباته : ومن أمثلة هذه الطريقة ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

١-**أذلَّة** : قال الحيري ((باب أذلَّة على ثلاثة أوجه :

([1]) بصائر ذوي التمييز ٢٦٣/٢.

([2]) ينظر : تفسير مقاتل ٢٥٤/١ وجامع البيان للطبري ١٥/٥ والدر المصون ٦٥١/٣

أحدها : قليلة كقوله تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ){آل عمران ١٢٣}

الثاني : من اللين ، كقوله تعالى : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ){المائدة : ٥٤}

الثالث : من الترك ، كقوله تعالى : (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ){المنافقون : ٨}))[١]

قال ابن فارس : ((الذل واللام في التضعيف والمطابقة أصل واحد يدل على الخضوع والاستكانة واللين ، فالذل ضد العز ... ورجل ذليل بيِّن الذل)) [٢] وقال الراغب : ((والذُّلُّ ما كان من قهر ... والذِّلُّ ما كان بعد تَصَعُّب ... وقوله تعالى : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ){الإسراء : ٢٤} أي : كن كالمقهور لهما ، وقرئ (جَنَاحَ الذِّلِّ) أي : لِنْ وانقد لهما ... والذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود نحو قوله تعالى : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ){المائدة : ٥٤}))[٣] فالذّل بضم الذال ما كان من قهر ، و((بالكسر ضد الصعوبة ، وهو الطواعية والانقياد))[٤]

الذلّ يعني الذلّ بعينه أينما ورد في القرآن الكريم ، أمّا الاوجه المنسوبة إليه فمختلَفة بثلاث طرائق :

الأولى : جعل المسبَّب بمعاني أسبابه : فقد جَعَلَ الحيري الذلّ في الوجه الأول بمعنى القلَّة في قوله تعالى : (وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) وهذا ما قال به أيضًا بعض المفسرين ، قال مقاتل : (((وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) وأنتم قليل)) [٥] والطبري :

---

(١) وجوه القرآن ص ٨٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٣١٦

(٣) المفردات ص ١٨٨

(٤) عمدة الحفاظ ٤٦/٢

(٥) تفسير مقاتل ١٨٩/١

(((أَذِلَّةٍ) يعني : قليلون)) [١] وقال القرطبي : ((و(أَذِلَّةٍ) معناها قليلون ... وأذلة جمع ذليل واسم الذل في هذا الموضع مستعار ، ولم يكونوا في أنفسهم إلاَّ أعزة)) [٢] والقرطبي وإن فسَّر الذل بالقلّة استدرك من حيث لم يشعر فنفى أن تكون بهذا المعنى عندما قال : ((واسم الذل في هذا الموضع مستعار)) لأنَّ القول بالاستعارة مبني على أنَّ (أَذِلَّةٍ) على بابها تعني الذل بعينه ، لأنَّها لو كانت بمعنى القلّة لما احتاجت إلى القول بهذه الاستعارة

ومن المعلوم أنَّ اللفظ ولا سيما اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ؛ ولمَّا كان أهل اللغة وأهل التفسير حريصين بصفة عامَّة على عدم تحريف دلالة النص القرآني ، ولمَّا وجدوا أنفسهم أنَّه لا بدَّ من إيضاح معناه لكن من دون تحريف ، تحروا إلى تعريف اللفظ وتفسيره بأقرب الألفاظ المرادفة له القريبة من معناه ، فقد فسَّر مثلًا ابن عاشور قوله تعالى : (وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) ((أي : ضعفاء ، والذل ضد العز فهو الوهن والضعف)) [٣] وقد أدرك الفريقان هذه الحقيقة ، وهذا ما نلحظه مثلًا في تعريف ابن فارس المذكور للذل بأنَّه ((يدل على الخضوع والاستكانة واللين)) [٤] فقد جاز تعريفه بهذه المفردات الثلاث وبالضغف ؛ لأنَّها جميعها مرادفة للذل قريبة من معناه ، والقلَّة ليست من مرادفاته القريبة من معناه ، والدليل على ذلك أنَّه جاز تعريف : رجل ذليل ، بقولك : رجل خاضع ، أو مستكين ، أو ليِّن ، أو ضعيف ، لكنه من غير المفيد أن تعرفه بقولك : رجل قليل .

وقد بيَّن مفسرون العلاقة بين الذل والقلَّة في هذه الآية ، قال الواحدي : ((وقوله تعالى : (وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) جمع ذليل ، أي : بقلَّة العدد وضعف

---

(١) جامع البيان ٩٦/٤

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤٣/٤

(٣) التحرير والتنوير ٢٠٦/٣

(٤) مقاييس اللغة ص ٣١٦

الحال بقلَّة السلاح والمال)) [1] وقال الزمخشري : ((والأذلة : جمع قلّة ، والذلان جمع الكثرة ، وجاء بجمع القلة ليدل على أنَّهم على ذلتهم كانوا قليلًا ، وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال ، وقلة السلاح ، والمال ، والمركوب ، وذلك أنَّهم خرجوا على التواضع يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ، وما معهم إلّا فرس واحد ، وقلتهم أنَّهم كانوا ثلاثمئة وبضعة عشر ، وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ، ومعهم مئة فرس)) [2]

وهذا ما صرَّح به مفسرون آخرون ، قال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) لقلّة العَدد والعُدد)) [3] وقال الحلبي : ((وأذلة : جمع ذليل ، وجُمِع جَمْع قلَّة إشعارًا بقلتهم مع هذه الصفة)) [4] أي : مع صفة ذلّهم ، وقال الشوكاني : ((وأذلة : جمع قلة ، ومعناه : أنَّهم كانوا بسبب قلتهم أذلة)) [5]

فالذلّ هو المسبَّب ، والقلّة هو السبب ، فهذا يعني أنّه جعل المسبَّب بمعنى سببه في قوله تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) وجعل اللفظ بمعنى ما كان سببًا له يُعدَّ تحريفًا ظاهرًا لدلالته .

وقد جاء الذلّ في موضع آخر على العكس من ذلك ، فقد ذكر الدامغاني وابن الجوزي للذلَّ في القرآن الكريم سبعة أوجه :

الوجه الأول : أذلة يعني قليل ، كقوله تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ)﴿آل عمران : ١٢٣﴾

---

(1) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٨٦/١

(2) الكشاف ٤٠٢/١ وينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ٦٣/٢ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٧١/٣

(3) زاد المسير ٣٦٤/١

(4) الدر المصون ٣٨٣/٣ .

(5) فتح القدير ١٧٦/١.

والوجه الثاني : الذل يعني التواضع .

الوجه الثالث : الذلة يعني الجزية .

الوجه الرابع : التذليل يعني التسخير .

الوجه الخامس : أذلة يعني مغلولة أيديهم إلى أعناقهم

الوجه السادس ، الذلول المطواع السلس .

الوجه السابع : الذلة الكآبة وسواد الوجوه ، كقوله تعالى : (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ){المعارج : ٤٤}[١]

جعل الدامغاني الذِّلَّة في الوجه السابع بمعنى الكآبة وسواد الوجوه في قوله تعالى : (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) ، قال الطبري : (((تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يقول : تغشاهم ذلة))[٢] فأبقى اللفظ على معناه ، وقال القرطبي : (((تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أي : يغشاهم الهوان))[٣] وأراد الذلَّة بعينها إلّا أنَّه عرَّفها بما يرادفها ، وقال الشوكاني : (((تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أي : تغشاهم ذلَّة شديدة))[٤] وأين معنى الكآبة وسواد الوجوه من معنى الذلَّة ؟! فالفرق بينهما ظاهر ، والدليل على ذلك أنَّ أهل اللغة لم يعرِّفوا الذلّ بالكآبة ولا بسواد الوجوه ؛ لأنَّهم يعرِّفون اللفظ بما يرادفه ، والكآبة وسواد الوجوه ليسا من مرادفات الذلَ فضلًا عن أن يكونا بمعناه ، وإذا جُعلا في بعض كتب التفسير بمعنى الذلَّ فهو مبني على أنَّ العلاقة بينهما علاقة الشيء بعلاماته وآثاره ، فقد تؤدي الذلَّة الشديدة بصاحبها إلى أن يكون كئيبًا أسود الوجه ، فتكون سببًا لهما ، وهذه طريقة

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٢٠-٢٢١ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ١٢٧ ومنتخب قرة العيون ص ١١٧

(٢) جامع البيان ١٠٧/٢٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١٩/١٨ وينظر : مدارك التنزيل ص ١٢٨١

(٤) فتح القدير ٣٦٦/٥

من طرائق اختلاق الوجوه للفظ وتحريف دلالته ، وهي عدم جعل السبب بمعناه بل بمعنى مسبَّباته ، فجعل الذلة بمعناهما تحريف لدلالته لغة وتفسيرًا .

الثانية : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته : فقد جَعَلَ الذلّ في الوجه الثاني بمعنى اللين في قوله تعالى : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) اللين قريب من معنى الذل ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ في الإتيان بلفظ الذل هنا وجعله يعني الذل بعينه وتعدّيه بـ(على) لا باللام ، يُعدُّ وجهًا من وجوه البلاغة ، فجعله بمعنى اللين يهدم هذا الوجه الذي يمثل سرًّا من أسرار إعجاز القرآن الكريم في مجال اللغة ، وقد درستُ هذا الجانب في هذه الآية في كتابي : النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين

الثالثة : عدم تحرّي الصواب والدقّة في التفسير : فقد جَعلَ الذل في الوجه الثالث بمعنى الترك في قوله تعالى : (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) جاء في التفسير : ((القائل لهذه المقالة هو عبد الله بن أُبَيّ رأس المنافقين ، وعنى بالأعز نفسه ومن معه ، وبالأذل رسول الله ومن معه ، ومراده بالرجوع رجوعه من تلك الغزوة ، وإنَّما أسند القول إلى المنافقين مع كون القائل هو فرد من أفرادهم ، وهو عبد الله بن أبَيّ ؛ لكونه كان رئيسهم وصاحب أمرهم ، وهم راضون بما يقوله سامعون له مطيعون ، ثم ردَّ الله سبحانه على قائل تلك المفالة فقال : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ))) [1] فهذا الرد دليل على أنَّه أريد من الذل الذل بعينه

(1) فتح القدير للشوكاني ٢٨٨/٥

الذي هو ضد العز ، فقد جعل الحيري الذل في هذه الآية بمعنى الترك ، وهذا الوجه غريب ومبهم جدًّا ، بل هو وجه لم أفهمه ، وكيف يصح تقديره ؟! أيصح أن يكون المعنى : لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأتْرَكُ ؟! لذلك فإنَّ هذا الوجه لم أجده في كتاب من كتب اللغة ، ولا في كتاب من كتب التفسير ، وقد عدتُ إلى كتب معاني القرآن ، وكتب التفسير من تفسير مقاتل إلى تفسير ابن عاشور ، فلم أجد أحدًا قال بهذا الوجه ، فمن أين أتى به مَن هو مِن أصحاب كتب الوجوه ؟ فهو قول اعتباطي لم تظهر لي له أية علاقة بدلالة اللفظ وتفسير الآية

٢-**الثقل والثقال** : ذكر أهل الوجوه أنَّ الثقال في القرآن الكريم على اثني عشر وجهًا :

الأول : الثقال بعينه كقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ){الأعراف : ٥٧} وقوله تعالى : (وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ){الرعد : ١٢}

الثاني : اشتهاء الجلوس إلى الأرض ، أو الركون ، أو الإخلاد إليها ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ){التوبة : ٣٨}

الثالث : الشيوخ ، كقوله تعالى : (انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً){التوبة : ٤١} أي : شبابًا وشيوخًا .

الرابع : خفاء ، كقوله تعالى : (ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً){الأعراف : ١٨٧}

الخامس : الأمتعة والزاد ، كقوله تعالى : (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ){النحل : ٧}

السادس : الذنوب والأوزار والآثام ، كقوله تعالى : (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ){العنكبوت : ١٣}

السابع : الشديد ، كقوله تعالى : (وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)[الإنسان : ٢٧}

الثامن : العظيم في القدر كقوله تعالى : (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)[المزمل : ٥}

التاسع : الرجحان ، كقوله تعالى : (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٨} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ)[الأعراف : ٧-٨}

العاشر : الإنس والجنّ ، كقوله تعالى : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ)[الرحمن : ٣١} الحيري والدامغاني وقال ابن الجوزي : ((سميا بذلك ؛ لأنَّهما ثقل للأرض ، إذ كانت تحملهم أحياء وأمواتًا))

الحادي عشر : الكنوز والأموات ، كقوله تعالى : (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا)[الزلزلة : ٢}

الثاني عشر : الوزن ، كقوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)[الزلزلة : ٧-٨}[1]

قال ابن فارس : ((الثاء والقاف واللام أصل واحد يتفرع منه كلمات متقاربة ، وهو ضد الخفَّة)) [2] وقال الراغب : ((الثقل والخفة متقابلان ، فكل ما يترجح على ما يوزن به ، أو يُقدَّر به هو ثقيل ، وأصله في الأجسام ، ثم يقال في المعاني ، نحو : أثقله الغُرْم والوِزر ، قال تعالى : (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ)[الطور : ٤٠}...وقال تعالى : (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ)[النحل : ٧} أي : أحمالكم الثقيلة ، وقال

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٣٩-١٤٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٠-١٥١ ونزهة الأعين ص ٨٨-٨٩ وبصائر ذوي التمييز ٢/٣٣٤-٣٣٥

(٢) مقاييس اللغة ص ١٤٠ وينظر : الصحاح للجوهري ص ١٤١

عز وجل : (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ){العنكبوت : ١٣} أي : آثامهم التي تثقلهم ، وتثبطهم عن الثواب ... وقوله عز وجل : (انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً){التوبة : ٤١} قيل شبانًا وشيوخًا ، وقيل فقراء وأغنياء ، وقيل : غرباء ومستوطنين ، وقيل : نُشَّاطًا وكُسالى ، وكل ذلك يدخل في عمومها ، فإنَّ القصد بالآية الحثُّ على النفر على كل حال تصعَّب أو تسهَّل)) [١]

جعلهم الثقال في الوجه الأول يعني الثقال بعينه ، يعني أنّ الوجوه الأحد عشر الباقية لا تعني الثقال بعينه ، فهي إذن وجوه مختلَقة اختُلِقت بثلاث طرائق .

الأولى : جعل المسبَّب بمعاني أسبابه : فقد جعلَ الحيري الثقل في الوجه الرابع بمعنى الخفاء في قوله تعالى : (ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) أين معنى الثقل من الخفاء ؟! فلو أراد معناه لاستعمل لفظه وقال : خفيتْ في السماوات والأرض ، ولكن قد تكون هناك علاقة بين الثقل والخفاء مع احتفاظ كل منهما بدلالته ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ثقلت الساعة على أهل السماوات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها ؛ لخفائها عنهم واستئثار الله بعلمها...وقال آخرون : معنى ذلك : أنَّها كبرت عند مجيئها على السماوات والأرض...وقال آخرون معنى قوله : (ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) : على السماوات والأرض)) [٢] ((وقال الحسن : ثقلت لهيبتها والفزع منها)) [٣]

---

(١) المفردات ص ٨٤-٨٥ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢٧٩/١-٢٨٢ وبصائر ذوي التمييز ٣٣٤/٢-٣٣٥ والفيروزآبادي دائما ما ينقل كلام الراغب ولا يشير إليه

(٢) جامع البيان ١٦٥/٩

(٣) البحر المحيط للأندلسي ٥٥٠/٤

و((قال القتيبي : أي : خفيت ؛ لأنَّ ما خفي عليك يثقل ، وقال ابن عرفة : ثقلت علمًا وموقعًا)) [1]

فالثقل هو المسبَّب والخفاء سببه ، وجعل اللفظ بمعنى ما كان سببًا له يُعدَّ تحريفًا ظاهرًا لدلالته ، يضاف إلى ذلك أنَّ هناك أقوالًا أُخَر قالوها في معنى (ثَقُلَتْ) فقد ذكر الطبري كما تقدم قولين : أنَّها ثقلتْ لخفائها ، أو أنَّها كبرتْ ، وقال الراغب : ((وقد يقال : ثقل القول : إذا لم يطب سماعه ؛ ولذلك قال في صفة يوم القيامة (ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ){الأعراف : ١٨٧}))[2] وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) فيه أربعة أقوال :

أحدها : ثقل وقوعها على أهل السماوات والأرض ، قاله ابن عباس

والثاني : عظم شأنها في السماوات والأرض ، قاله عكرمة ومجاهد وابن جريج

والثالث : خفي أمرها ، فلم يُعلَم متى كونها ، قاله السُدِّي

والرابع : أنَّ (في) بمعنى (على) فالمعنى : ثقلت على السماوات والأرض ، قاله قتادة)) [3] ((وقال قتادة وغيره : المعنى : لا تطيقها السماوات والأرض لعظمها ، وقيل : ثقلت المسألة فيها)) [4] أو ((ثقلتْ لهيبتها والفزع منها))[5]

---

(١) عمدة الحفاظ للحلبي ٢٨٠/١

(٢) المفردات ص ٨٥

(٣) زاد المسير ٢٢٨/٣ وينظر : المحرر الوجيز ٤٨٤/٢

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/٧

(٥) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٥٠/٤

الثانية : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته : فاشتهاء الجلوس إلى الأرض تثاقلًا ، والشديد ، والعظيم القدر ، والرجحان ، والوزن : معان مرادفة للثقل والثقال ، كما جاء في الوجه الأول ، والسابع ، والثامن ، والتاسع ، والثاني عشر ، فهذه الأوجه مختلَقة بطريقة الترادف ، وهو عدم جعل اللفظ بمعناه بل بمعاني مرادفاته

الثالثة : جعل اللفظ بمعاني الموصوف به : فالشيوخ ، والأمتعة والزاد ، والذنوب والأوزار ، والإنس والجنّ ، والكنوز والأموات : موصوفات بالثقل والثقال ، كما جاء في الوجه الثالث ، والخامس ، والسادس ، والعاشر ، والحادي عشر ، فهذه الأوجه مختلَقة بطريقة الدراسة المعكوسة ، وهو عدم جعل اللفظ بدلالته بل بدلالات الموصوفات به .

٣-**الجَنَّة** : ذكر الدامغاني والفيروزآبادي للجنة ثلاثة عشرة وجهًا :

الوجه الأول : الجنة يعني التوحيد ، كقوله تعالى : (وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {٢٥} لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(يونس : ٢٤-٢٥} وهذا شاهد الدامغاني ، وجعل الفيروزآبادي الجنة بمعنى التوحيد ، في قوله تعالى : ((أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ)(البقرة : ٢٢١} ثم قال : ((قال المفسرون : أي : إلى الإيمان))

والوجه الثاني : الجنة يعني البستان من بساتين الدنيا كقوله تعالى : (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ)(القلم : ١٧}

والوجه الثالث : الجنة يعني دار الثواب ، كقوله تعالى : (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(آل عمران : ١٣٣} وهذا قول الدامغاني ، وجعلها الفيروزآبادي ((بمعنى بساتين

الأحباب والإخوان)) وذكر أنَّ عددها سبع جنان : جنة النعيم ، وجنة المأوى ، وجنة عدن ، وجنة الفردوس ، ودار السلام ، ودار الخلد ، وعليون

والوجه الرابع : الجِنَّة بكسر الجيم يعني الجِنّ كقوله تعالى : (لامْلانَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ){السجدة : ١٣} وكقوله تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا){الجنُّ : ١}

والوجه الخامس : الجِنّة يعني الجنون ، كقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ){المؤمنون : ٧٠}

والوجه السادس : أجنَّة يعني الجنين ، كقوله تعالى : (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى){النجم : ٣٢}

والوجه السابع : جَنَّ ، أي : ستر ، كقوله تعالى : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ){الأنعام : ٧٦}

والوجه الثامن : الجانّ يعني الحية ، كقوله تعالى : (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ){القصص : ٣١}{النمل : ١٠}

والوجه التاسع : الجَنى يعني القطف ، كقوله تعالى : (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ){الرحمن : ٥٤}))

وأضاف الفيروزآبادي الأوجه الآتية :

والوجه العاشر : الجنات بمعنى البساتين المحفوفة بالشجر، كقوله تعالى : (وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ){نوح : ١٢}

والوجه الحادي عشر : الجانُّ بمعنى : أبو الجن ، كقوله تعالى : (خَلَقَ الأنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ {١٤} وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ){الرحمن :١٤-١٥}

والوجه الثاني عشر : الجُنَّة يعني الترس العريض ، كقوله تعالى : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)(المجادلة : ١٦}

والوجه الثالث عشر : الجنتين يعني أخوين من بني إسرائيل كقوله تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لاحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا)(الكهف : ٣٢} [١]

قال ابن فارس : ((الجيم والنون أصل واحد ، وهو السَّتْر والتستُّر ، فالجَنَّة ما يصير إليه المسلمون ، وهو ثواب مستور عنهم اليوم ، والجَنَّة : البستان ، وهو ذاك ؛ لأنَّ الشجر بورَقه يستر ... والجنين : الولد في بطن أمّه ، والجنين : المقبور ... والمجنُّ : التُرْس ، وكل ما استتر به من السلاح فهو جُنَّة ...والجِنَّة : الجنون ، وذلك أنَّه يغطي العقل ... أمَّا الحيّة الذي يُسمَّى الجانّ ، فهو تشبيه له بالواحد من الجانّ ، والجِنُّ سمّوا بذلك ؛ لأنَّهم متسترون عن أعين الناس)) [٢]

وقال الراغب : ((أصل الجِنّ ستر الشيء عن الحاسّة ، يقال : جنَّه الليل ، وأجنَّه وأجنَّ عليه ، فجنَّه ستره ... وجنَّ عليه كذا ستَرَ عليه ، قال عز وجل : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ)(الأنعام : ٧٦} ... والجنّة : كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض ، قال عز وجل : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ)(سبأ : ١٥} وقال تعالى : (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ)(سبأ : ١٦} وقال تعالى : (وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ)(الكهف : ٣٩} ...

---

(١) ينظر الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٣-١٥٤ وبصائر ذوي التمييز ٣٥٢/٢-٣٥٤

(٢) مقاييس اللغة ص ١٥٣-١٥٤ وينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ١١٩-١٢٠

وسميت الجنة إمَّا تشبيهًا بالجنة في الأرض ، وإن كان بينهما بون ، وإمَّا لستره نعمها عنَّا المشار إليها بقوله تعالى : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){السجدة : ١٧} قال ابن عباس : رضي الله عنه : إنَّما قال جنَّات بلفظ الجمع ؛ لكون الجنان سبعًا : جنة الفردوس ، وعدن ، وجنة النعيم ، ودار الخلد ، وجنة المأوى ، ودار السلام ، وعليين ، والجنين : الولد ما دام في بطن أُمِّه ، وجمعه أجِنَّة ، وذلك فعيل في معنى مفعول ، والجنين القبر ، وذلك فعيل في معنى فاعل ، والجِنّ يقال على وجهين : احدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلّها بإزاء الإنس ، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة ، والشياطين ، فكل ملائكة جِنٌّ وليس كل جِنٍّ ملائكة ، وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلّها جِنٌّ ، وقيل : بل الجِنُّ بعض الروحانيين ، وذلك أنَّ الروحانيين ثلاثة : أخيار وهم الملائكة ، ، وأشرار وهم الشياطين ، وأوساط فيهم أخيار وأشرار ، وهم الجنُّ ، ويدلّ على ذلك قوله تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ){الجن : ١} إلى قوله عز وجل : (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا){الجن : ١١} وقوله تعالى : (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا){الجن : ١٤} ... والجِنَّة جماعة الجِنّ ، قال تعالى : (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ){هود : ١١٩} وقال تعالى : (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا){الصافات : ١٥٨} والجِنَّة : الجنون ، قال تعالى : (مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ){سبأ : ٤٦} ... وقوله تعالى : (كَأَنَّهَا جَانٌّ){النمل : ١٠}))[1]

هذه الوجوه مختلَقة بسبع طرائق :

---

(١) المفردات ص ١٠٣-١٠٤

الأول : جعل المسبَّب بمعاني أسبابه : جعل الدامغاني الجَنَّة في الوجه الأول بمعنى التوحيد في قوله تعالى : (وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {٢٥} لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) بل أراد من الجَنَّة الجَنَّة بعينها ، حتى إني لم أجد في كتب التفسير من ذكر أو نقل أنَّ الجنة تعني في هذه الآية التوحيد ، وأنت كما ترى أنّ لكلٍّ من الجنة والتوحيد دلالته المعروفة والظاهرة والخاصة به ، فجعل أحدهما بمعنى الآخر تحريف ظاهر

وجعل الفيروزآبادي الجنة في هذا الوجه بمعنى التوحيد ، في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ) ثم قال : ((قال المفسرون : أي : إلى الإيمان)) فالجنّة هو المسبَّب ، والتوحيد سببه ، والحقيقة أنَّه لا يمكن أن نجعل الجنة بمعنى التوحيد أو الإيمان إلّا لعلّة لغوية ، وأصحاب كتب الوجوه بلغ بهم من التمادي في تحريف دلالة اللفظ أنَّهم لم يشيروا إلى هذه العلة ، وقد أشار إليها المفسرون ، قال الطبري في تفسير الشاهد المذكور : ((يدعوكم إلى العمل بما يدخلكم الجنة ، ويوجب لكم النجاة إن عملتم به من النار)) [١] وقال الزمخشري : (((والله يدعوكم إلى الجنة والمغفرة ... وما يوصل إليهما))[٢] وقال القرطبي : (((أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) أي : إلى الأعمال الموجبة إلى النار ... (وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّة) أي : إلى عمل أهل الجنة))[٣] وقال البيضاوي : (((والله يدعوكم إلى الجنة

---

(١) جامع البيان ٤٥٥/٢

(٢) الكشاف ٢٦١/١

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٠/٣

والمغفرة) أي : إلى الاعتقاد والعمل الموصلين إليهما))[1] وقال ابن عاشور : (((أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) ... ومعنى الدعاء إلى النار الدعاء إلى أسبابها ، فإسناد الدعاء إليهم حقيقة عقلية ، ولفظ النار مجاز مرسل ، أُطلِق على أسباب الدخول إلى النار ؛ فإنَّ ما هم عليه يجرُّ إلى النار من غير علم ، وقوله تعالى : (والله يدعوكم إلى الجنة) ... والدعاء إلى الجنة والمغفرة دعاء لأسبابهما ، كما تقدم في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ)))[2]

والمجاز المرسل هو ما كان من غير طريق التشبيه ، وعلاقاته أنواع ، منها علاقة السببية ، وهو كون الشيء المنقول عنه سببًا ومؤثِّرًا في شيء آخر نحو : رعت الماشية المطر ، أي : رعت العُشْبَ ، فسمَّى المسَبَّب باسم السبب ، أي : سمَّى العشب باسم المطر ، ومن ذلك علاقة المُسَبَّبيَّة ، وهو تسمية السبب باسم المَسَبَّب ، نحو : أمطرت السماء عُشبًا ، أي : تسمية الماء باسم العشب وكقوله تعالى : (وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّة) فالقرآن الكريم سمَّى الأسباب المؤدية إلى الجنة كالتوحيد والإيمان وغيرها بالجنة ، أمَّا الفيرزآبادي فإنَّه لمَّا جعل الجنة بمعنى التوحيد يعني أنَّه سمَّى الجنَّة بالتوحيد فعكس المراد ، ويعدُّ هذا من التحريف ، وهو قلب المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز ، ويُعدُّ أيضًا من الهدم في اللغة الخلط بين الحقيقة والمجاز ، والخلط في الدلالة بين الأسباب والمُسَبَّبات

الثانية : الترادف : جعل الدامغاني الجنة في الوجه الثالث بمعني دار الثواب ، كقوله تعالى : (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ){آل عمران : ١٣٣}

---

(١) أنوار التنزيل ١٣٩/١ وينظر : مدارك التنزيل للنسفي ص ١١٤

(٢) التحرير والتنوير ٣٤٤/٢-٣٤٥

ودار الثواب يعني دار الجزاء والعطاء ، فالفرق واضح وظاهر بين دلالة الثواب ودلالة الجنَّة ، يتضح هذا الفرق في قوله تعالى : (وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ){آل عمران : ١٩٥} فالثواب لفظ عام مبهم ، ويتحدد مفهومه بذكر نوع الثواب المراد ، ولهذا يقال مثلًا : ما ثواب المسلمين عند الله ؟ فيقال : ثوابهم عند الله كذا وكذا ، فالفرق بينهما ظاهر وواضح ، وهو كالفرق تمامًا بين الشيء المُعطَى والعطاء ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير من ذكر أو نقل أنَّ الجنة تعني دار الثواب ، بل فسروا الجنة بالجنة ؛ حتى إنَّ الفيروزآدي جعل الجنة في هذا الشاهد كما تقدم ((بمعنى بساتين الأحباب والإخوان)) وذكر أنَّ عددها سبع جنان .

الجنُّ والسترُ : وجعلا جَنَّ في الوجه السابع بمعنى ستر ، كقوله تعالى : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) وبين الجِنِّ والستر فرق في الدلالة وإن كان أهل اللغة قد أجمعوا على أنَّ الجِنَ يعني الستر بعينه ، حتى إنّي لم أجد أحدًا فرّق بينهما ، ويمكن أن نستخلص الفرق بينهما من تعريف أهل اللغة لهما ، قال ابن فارس (والسُّترة : ما استترتَ به كائنًا ما كان))[١] وقال الراغب : ((والسَّتر والسُّترة ما يُستتر به))[٢] فالستر : هو ما يسترك عن شيء ، كالألبسة تسمى سترًا ؛ لأنَّنا نلبسها لنستر بها عوراتنا عن أنظار الناس ، وعن الحر والبرد ، وكذلك سميت أستار الكعبة ، فليس الغاية من هذه الأستار كما واضح إخفاء الكعبة ، بل إظهارها بزينة لباس تليق بها ، وقد ورد الستر بهذه الدلالة في ثلاثة مواضع ، وهي : قوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٢٨

(٢) المفردات ص ٢٣٠

لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا)}الإسراء : ٤٥} جاء في التفسير أنَّ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن ، فجعل الله بينه وبينهم حجابًا ، وستر الله سبحانه هذا الحجاب عن أبصارهم ، فصاروا يأتونه ويمرون به ، وهم لا يرونه ولا يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا)}الكهف : ٩٠} والمعنى : حتى إذا بلغ أرض قوم وجدهم يعيشون في كهوف ؛ لأنَّه سبحانه لم يجعل لهم أبنية تسترهم عن الشمس وشدة حرارتها ؛ لأنَّهم كانوا في أرض لا يثبت عليها بناء ، فإذا طلعت الشمس دخلوا كهوفهم ، فإذا غربت خرجوا منها[٢]وقوله تعالى : (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ)}فصلت : ٢٢} والمعنى : ((أنَّكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفاحشة))[٣] فالستر هو ستر شيء عن شيء ، والجنُّ هو إخفاء الشيء وتغييبه ؛ لذلك لمَّا عرَّف ابن فارس الجنّ قال هو ((السَّتر والتستُّر))[٤] ولم يقل هو ما يستتر به ، ولمَّا عرَّف الستر قال هو : (ما استترتَ به))[٥]وقال الراغب : ((وجنَّ عليه كذا ستر عليه ، قال عز وجل : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا) ... والجَنة كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض)) [٦]

---

(١) ينظر : زاد المسير ٣١/٥

(٢) ينظر : زاد المسير ١٣٨/٥ ومدارك التنزيل ص ٦٦٣

(٣) مدارك التنزيل ص ١٠٧٣

(٤) مقاييس اللغة ص ١٥٣

(٥) مقاييس اللغة ص ٤٢٨

(٦) المفردات للراغب ص ١٠٣

فقولك : سترتُ الشيء يعني أنَّك سترتَه بشيء ، فأصبح مستورًا به ، وقولك جننتُ الشيءَ يعني أنَّك غيَّبته ، وجعلته مخفيًّا ؛ ذلك بإحاطته من كل جوانبه ، أو هو تغطية الشيء وتغشيته كما يغشي الليل الأشياء بظلامه ؛ لذلك جاء في معاجم اللغة في باب جَنَّ : جنَّه الليل ، والاختيار : جنَّ عليه الليل ، وأجنَّه الليل ، والجَنَن بالفتح : القبر ، والجَنَن : الكفن ، وأجننتُ الشيء في صدري : أكننته ، وجننتُه في القبر ، وأجننته : واريته ، وجنَّه الليل ، وجنَّه الكفن ، والجنين : الولد ما دام في بطن أُمّه ، والجنين : القبر ، والجنين : الميت في قبره ، والجَنان : القلب وسمي به ؛ لأنَّ الصدر يجنّه ، وسمي الروح جَنانًا ؛ لأنَّ الجسم يجنّه ، هذا ما قرأته في معاجم اللغة في باب جَنَّ [1] ولم يرد فيها مثل هذه الأقوال في باب سَتَرَ ، فقد قالوا : جنَّه الليل ، وأجنَّه الليل ، وجنَّه الكفن ، ولم يقولوا : ستره الليل ، وأستره الليل ، وستره الكفن ، وقالوا : الجَنَن للقبر وللكفن ، ولم يقولوا : السَّتْر ، وقالوا : جننتُه في القبر ، وأجننته القبر : بمعنى واريته ، ولم يقولوا : سترته في القبر ، وأسترته القبر ، وقالوا : الجَنين للولد ما دام في بطن أُمِّه ، وكذلك قالوه للقبر وللمقبور ، ولم يقولوا : السَّتير ، وقالوا : الجَنان للقلب ، وللروح ، ولم يقولوا : السَّتار ، ذلك أنَّ قولك : ستر الشيءَ يعني ستره عن شيء ، وليس هذا هو المراد من قولك : جَنَّ الشيءَ ، وإنَّما المراد إخفاؤه ، وتغييبه ، وإحاطته من كل جوانبه ، وكذلك الجُنَّة التي تعني الدروع وكل ما وقى المقاتل من العدة والسلاح ؛ فإنَّ من يرتديها ويتقلدها في الحرب لا يريد بها أن تستره عن أنظار خصمه ، بل هو يُرى بها من لدنهم ، كما يرى من دونها ، وإنَّما يريد أن يحتمي بها كما يحتمي كل جنين بما جُنَّ به

---

(١) ينظر : العين ص ١٥٦ وتهذيب اللغة ٦٧١/١-٦٧٣ ولسان العرب ٢١٧/٣-٢١٩ وتاج العروس ٢٠١/٣٤-٢٠٣

الثالثة : المجاز : وجعلا الجانّ في الوجه الثامن بمعنى الحيّة في قوله تعالى : (تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) ((والجانّ من الجنّ ، وجمعه جِنَّان ، مثل حائط وحيطان ... والجانّ ضرب من الحيات ... والجمع جِنَّان ... قوله تعالى : (تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) ... المعنى : أنَّ العصا صارت تتحرك كما يتحرك الجانّ حركة خفيفة ، وكانت في صورة ثعبان ، شبهها في عظمها بالثعبان ، وفي خفتها بالجانّ ، ولذلك قال تعالى مرة : (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ){الأعراف : ١٠٧} ومرة (كَأَنَّهَا جَانّ){النمل : ١٠}{القصص : ٣١}))[1] فالجانّ إذن لفظ مجازي ، فالقرآن الكريم شبَّه العصا بعد تحولها إلى حيَّة بالجانّ ، أي : جعل الحية بمعنى الجانّ ، أمَّا الدامغاني والفيروزآبادي فقد جعلا الجانّ بمعنى الحيَّة فعكسا المراد ، ويعدُّ هذا من التحريف ، وهو قلب المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز ، ويُعدُّ أيضًا من الهدم في اللغة الخلط بين الحقيقة والمجاز .

الرابعة : اختلاف الجذر : وجعل الدامغاني الجنى في الوجه التاسع بمعني القطف في قوله تعالى : (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) والجنى من (جَنِيَ) والجنّة من (جَنَّ) فهما من جذرين مختلفين ، حتى إنَّ أهل اللغة فصلوا بينهما ، وجعلوا كلًّا منهما في بابه ، لأنَّ لكل منهما دلالته الخاصّة به ، ولا يخفى على أحد أنَّه من التحريف الظاهر ، والهدم الظاهر للغة القرآن الكريم الخلط بين دلالات موادها وجذورها ، والحديث عنها في باب واحد

الخامسة : جعل المفرد وجهًا وجمعه وجهًا آخر : جعل الدامغاني والفيروزآبادي الجنة في الوجه الثاني : بمعني البستان من بساتين الدنيا كقوله تعالى : (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ)

---

(١) لسان العرب ٣/٢١٩-٢٢٠

أو بمعنى البساتين ، كما جاء في الوجه العاشر في قوله تعالى (وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ) وهذه هي طريقة من طرائق اختلاق الوجوه ، وهي جعل المفرد وجهًا ، وجمعه وجهًا آخر ، والدلالة واحدة .

الجنّة والبستان : والجّنة غير البستان وإن كانا معنيين مترادفين ، فقد ((قالوا : الجَنَّة : الحديقة ذات النخل والشجر ، قال أبو علي في التذكرة : لا تكون في كلامهم جَنَّة إلّا وفيها نخيل وعنب ، فإن لم يكونا فيه ، وكانت ذات شجر فحديقة لا جَنَّة)) [١] ولم يرد لفظ البستان في القرآن الكريم ، وكيف يصح أن نجعل الجنة بمعنى البستان لأنَّ ((البستان فارسيٌّ مُعَرَّب ، ويجمع بساتين))[٢] كما أنَّ في ذلك تحريفًا لدلالة اللفظ القرآني ، لأنَّ دلالة الجنة غير دلالة البستان ، فالجَنَّة من الجِنِّ الذي يعني الستر ، وسميت كذلك ؛ لأنَّها تستر ما تحتها من الأرض بأشجارها وورقها ، كما بيَّن ذلك أهل اللغة ، أمَّا البستان فهو ((مُعَرَّب بوستان ، فـ(بو) بمعنى الرائحة ، و(سِتان) بالكسر الجاذب ، جمعه بساتين))[٣]

السادسة : الدراسة المعكوسة : تقدم أنَّ أهل اللغة ذكروا أنَّ الجِنَّ الذين هم خلاف الأنس ، كما جاء في الوجه الرابع سموا كذلك لاستتارهم عن أعين الناس ، وكذلك الجنون كما جاء في الوجه الخامس ؛ لأنَّه يستر العقل ، والجنين ، كما جاء في الوجه السادس ، لأنَّه مستور لا يرى ؛ لذلك أُطلق على الولد في بطن أُمِّة ، وعلى المقبور في بطن الأرض ، وكذلك الترس كما جاء في الوجه الثاني عشر ؛ لأنَّه مما استُتِر به من السلاح ، قال الحلبي ((وكيفما دارت هذه المادة دلَّت على الستر ، ومنه الجن ؛ لاستتارهم

---

(١) تاج العروس ٢٠٦/٣٤

(٢) المُعَرَّب من كلام الأعجمي للجواليقي ص ٣٢

(٣) تاج العروس ١٤٣/٤

عن العيون ؛ لذلك سُمِّي مقابلهم بالإنس ؛ لأنَّهم يؤنسون ، أي : يُبصرون))[1]

وجعل الفيروزآبادي الجنتين في الوجه الثالث عشر بمعنى رجلين أخوين أخوين من بني إسرائيل في قوله تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لاحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا))}الكهف : ٣٢} والمراد تسمية الرجلين الأخوين بالجنتين

فهذه الأوجه جميعها ونحوها تُعدُّ دلالة واحدة ، مختلقة بطريقة الدراسة المعكوسة .

السابعة : وجعل الفيروزآبادي الجانّ في الوجه الحادي عشر بمعنى : أبو الجن ، في قوله تعالى : (خَلَقَ الأنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ {١٤} وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) والجانّ هنا هو الجانَ بعينه ، وهذه هي أيضًا طريقة من طرائق اختلاق الوجوه ، وهي جعل الشيء وجهًا ، وأصله وجهًا آخر والدلالة واحدة .

٤-**الحبُّ** : جعل الحيري الحبّ في القرآن الكريم على سبعة أوجه :

((أحدها : الطاعة ، وهو كل محبة مضافة إلى المؤمنين ، كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ)}البقرة : ١٦٥} وقوله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)}آل عمران : ٣١} وقوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)}المائدة : ٥٤}

الثاني : الرضا ، وهو كل محبة مضافة إلى الله سبحانه وتعالى ، كقوله : (فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)}آل عمران : ٧٦} وقوله تعالى : (وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)}آل عمران : ١٤٦} وقوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)}آل

---

(١) عمدة الحفاظ ٣٤٨/١

عمران: ١٥٩} وقوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ){البقرة : ٢٢٢}

الثالث : الإعجاب ، كقوله تعالى : (وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ){آل عمران : ١٨٨}

الرابع : ملاحة العين ، كقوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي){طه : ٣٩}

الخامس : المال ، كقوله تعالى : (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي){ص : ٣٢}

السادس : الشهوة ، كقوله تعالى : (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ){البقرة : ١٧٧} وقوله تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ){الإنسان : ٨}

السابع : الإرادة ، كقوله تعالى : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ){التوبة : ١٠٨} وقوله تعالى : (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا){يوسف : ٣٠}))[١]

وذكر الدامغاني من هذه الأوجه المذكروة ثلاثة : الوجه الأول : إلّا أنَّه جعله بمعنى المودَّة لا بمعنى الطاعة ، والخامس ، وجعله بمعنى الإيثار لا بمعنى المال ، والتقدير في قوله تعالى : (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) آثرتُ حب الخير ، والسادس ، وجعله بمعنى القلة ، لا بمعنى الشهوة ، والتقدير في قوله تعالى : (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) وآتى الطعام على قلته[٢]

قال الراغب : ((واستعمل حبَبْتُ في موضع أحبَبْتُ ، والمحبَّة إرادة ما تراه أو تظنُّه خيرًا ، وهي على ثلاثة أوجه : محبة لِلَّذة كمحبة الرجل المرأة ، ومحبة لِلْنفْع ، كمحبة شيء يُنتفع به ، ومحبَّة لِلْفضل ، كمحبّة أهل العلم ، بعضهم لبعض لأجل العلم ، وربما فُسِّرت المحبة بالإرادة في نحو

---

(١) وجوه القرآن ص ١٦٩-١٧٠

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر ص ١٧٧-١٧٨

قوله تعالى : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ){التوبة : ١٠٨} وليس كذلك فإنَّ المحبة أبلغ من الإرادة كما تقدم ، فكل محبة إرادة ، وليس كل إرادة محبة ... وقوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ){المائدة : ٥٤} فمحبَّة الله تعالى للعبد إنعامه عليه ، ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه ، وقوله تعالى : (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي){ص : ٣٢} فمعناه : أحببتُ الخيل حبِّي للخير ، وقوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ){البقرة : ٢٢٢} أي : يثيبهم ، وينعم عليهم))[١]

الحبّ أينما ورد في القرآن الكريم يعني الحبّ بعينه ، أمّا الأوجه المنسوبة إليه فمختلَقة بخمس طرائق :

الأولى : جعل المسبَّب بمعاني أسبابه : جعل الحيري المحبّة في الوجه الرابع بمعنى ملاحة العين ، في قوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) يقصد بملاحة العين : جمال العين أين ملاحة العين من معنى المحبّة ؟! فالحبّ هو المُسبَّب ، وملاحة العين سببه .

قال مقاتل في تفسير قوله تعالى : (((وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) فألقى الله عزّ وجل على موسى عليه السلام المحبَّة ، فأحبّوه حين رآوه ، فهذه النعمة الأخرى)) [٢] وقال الفراء : ((وقوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) حُبِّب إلى كلِّ مَن رآه))[٣] وقال أبو عبيدة : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) مجازه : جعلتُ لك محبّة منِّي في صدور الناس))[٤] وقال الزمخشري : ((مِّنِّي) لا يخلو إمَّا أن يتعلَّق بـ(أَلْقَيْتُ) فيكون المعنى على : أنِّي أحببتُكَ ،

---

(١) المفردات ص ١١٠وينظر : عمدة الحفاظ ٣٦٣/١-٣٦٥

(٢) تفسير مقاتل ٣٢٩/٢

(٣) معاني القرآن ٩٦/٢

(٤) مجاز القرآن ص ١٦٦

ومَن أحبَّه الله أحبَّتْه القلوب ، وإمَّا أن يتعلَّق بمحذوف هو صفة لمحبَّة ، أي : محبَّة حاصلة ، أو واقعة منِّي ، قد ركَّزتُها أنا في القلوب وزرعتُها فيها ؛ فلذلك أحبَّك فرعون وكلُّ مَن أبصركَ ، روي أنَّه كانت على وجهه مسحة جمال ، وفي عينيه ملاحة ، لا يكاد يصبر عنه مَن رآه))[1] وقال ابن عطية ((ثمَّ أخبر تعالى موسى أنَّه : ألقى عليه محبَّة فقال بعض الناس : أراد محبة آسية ؛ لأنَّها كانت من الله ، وكانت سبب حياته ، وقالت فرقة : أراد القبول الذي يضعه الله في الأرض لخيار عباده ، وكان حظ موسى منه في غاية الوفر ، وقالت فرقة : أعطاه جمالّا يحبه به كلُّ مَن رآه ، وقالت فرقة : أعطاه ملاحة العينين ، وهذان القولان فيهما ضعف ، وأقوى الأقوال أنَّه القبول))[2] وقال ابن الجوزي : ((ومعنى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ) أي : جعلتُ لك محبَّة منِّي ، قال ابن عباس : أحبَّه وحبَّبه إلى خلقه ، فلا يلقاه أحد إلّا أحبَه من مؤمن وكافر ، وقال قتادة : كانت في عينيه ملاحة ، فما رآه أحد إلّا أحبه)) [3]

فقد ذكر المفسرون عدة أقوال في سبب حبّ الناس لموسى عليه السلام :

الأول : أنَّ الله سبحانه جعل آسية زوجة فرعون تحبه ، وكانت سبب حياته .

الثاني : أنَّ الله سبحانه حبَّبه للناس ، فجعل له القبول في الأرض ، وهذا هو قول ابن عباس ، وهو أقوى الأقوال

---

(١) الكشاف ٣/٦١-٦٢

(٢) المحرر الوجيز ٤/٤٤

(٣) زاد المسير ٥/٢١١

الثالث : أنَّ الله سبحانه أعطى لموسى عليه السلام جمالًا ، فجعله من أصبح الناس وجهًا .

الرابع : أنَّه سبحانه أعطاه ملاحة العينين .

فمن الواضح جدًا أنَّ هذه الأقوال الأربعة لا تعني قطعًا المحبة ، بل تعني أسبابها ، فلو فعلنا ما فعل الحيري لجاز أن نجعل المحبة في قوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) بمعنى آسية ، كما جاء في القول الأول ، أو بمعنى القبول في الأرض ، كما جاء في القول الثاني ، أو بمعنى صباحة الوجه ، كما جاء في القول الثالث ، أو بمعنى ملاحة العينين ، كا جاء في القول الرابع ، وهو الذي قال به الحيري ، بل لو اتبعنا السبب الظاهر في الآية لجعلنا المحبة بمعنى الله سبحانه ، لأنَّه جل وعلا ذكر أنَّ سبب المحبة تعود إليه ؛ لأنَّه جعلها صادرة منه ، وهذا ظاهر من لفظ (مِّنِّي) في قوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي)

فأنت ترى أنَّ الوجه الذي قال به الحيري يمثل أحد الأسباب التي قيلت في محبة الناس لموسى ، فذكره لهذا السبب وحده ، وعدم ذكر الأسباب الأخرى وأقواها خيانة علمية في تفسير كتاب الله ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ المحبة في الآية تعني المحبة بعينها ، أمَّا ملاحة العين وبقية الأقوال لا تعني المحبة ، بل تعني سببًا من أسبابها ، والتحريف الحاصل هو عدم جعل اللفظ بمعناه ، بل بمعنى أحد أسبابه ، كما أنّ في القول بهذا الوجه هدمًا للغة القرآن ، وهو الخلط فيه بين دلالات الأسباب ودلالات مسَبَّباتها .

الثانية : تأويل الصفات : جعل الحيري الحبّ في الوجه الأول بمعنى الطاعة في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ) وقوله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وقوله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي) والطاعة غير الحبّ

، ومما يفرِّق بينهما أنَّ الطاعة قد تكون عن خوف ، أو عن إكراه ، والحبُّ لا يكون عن هذا ، ولا عن ذاك ، والطاعة تكون من الأدنى للأعلى ، والحبّ لا يُشترط فيه ذلك ، والفرق الأساسيّ بينهما أنَّ الطاعة عمل ظاهر ، والحبُّ شعور نفسي غير ظاهر ؛ لذلك تُتَّخذ الطاعة والاتباع علامة على وجوده ، قال الآلوسي في تفسير قوله تعالى : (((وَيُحِبُّونَهُ) أي : يميلون إليه جلَّ شأنه ميلًا صادقًا فيطيعونه في امتثال أوامره واجتناب مناهيه)) [١] فتكون هذه الطاعة دليلًا على ذلك الميل الصادق ، كما قال تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي) فكلٌّ من الحُبّ والطاعة معلومة دلالته ، ومعروف معناه ، فالفرق بينهما ظاهر ، فجَعْلُ الحبّ بمعنى الطاعة تحريف ظاهر.

وجعل الحيري كل حبّ مضاف إلى الله سبحانه ، في الوجه الثاني بمعنى الرضا كقوله : (فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) وقوله تعالى : (وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) وقوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) وقوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

مرَّ قول الراغب : ((وقوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)[المائدة : ٥٤} فمحبَّة الله تعالى للعبد إنعامه عليه ، ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه ... وقوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)[البقرة : ٢٢٢} أي : يثيبهم ، وينعم عليهم)) [٢] وقد تقدَّم تعريف الحبّ ، وأمَّا الرضا فهو ما كان خلاف السخط[٣] فلكل منهما تعريفه ، حتى إنِّي لم أجد في كتب اللغة من عرَّف أحدهما بالآخر ، أو جعله بمعناه ، فما الداعي إذن في جعل حب الله لعباده بمعنى إثابته وإنعامه عليهم إلّا التعمد

---

(١) روح المعاني ٣٢٩/٣

(٢) المفردات ص ١١٠وينظر : عمدة الحفاظ ٣٦٣/١-٣٦٥

(٣) ينظر : مقايسس اللغة ص ٣٣٨

في تعطيل صفات الله بهذا التأويل ، كما فعل الراغب ، وما الداعي في جعله بمعنى الرضا إلّا التعمد في تحريف دلالة اللفظ القرآني من أجل اختلاق الوجوه ، كما فعل الحيري ؟! ولو أنَّه سبحانه وتعالى أراد الإنعام أو الإثابة أو الرضا في هذه الآيات لاستعمل ألفاظها ، كما استعمل لفظ الإنعام لمَّا أراد معناه في قوله تعالى : (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ)[الفاتحة : ٧} وقوله تعالى : (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)[البقرة : ٤٠} وقوله تعالى : (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ)[الإسراء : ٨٣} وقوله تعالى : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ)[الأحزاب : ٣٧} وكما استعمل الإثابة لمَّا أراد معناها في قوله تعالى : (فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)[الفتح : ١٨} وقوله تعالى (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ)[المائدة : ٨٥} وكما استعمل الرضا لمَّا أراد معناه في قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)[المائدة : ٣} وقوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)[طه : ١٠٩} وقوله تعالى : (رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[المائدة : ١١٩} وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ)[التوبة : ١٠٠}

فجعل الحبّ المضاف إلى الله سبحانه بمعنى الإثابة أو الإنعام أو الرضا أو بأيّ معنى آخر يعني نفي صفة أثبتها الله جلّ جلاله لنفسه في هذه الآيات ونحوها ، إنَّه يعني نفي وجود صفة الحبّ عند الله سبحانه ، وقد قال الفيروزآبادي في تعريف الحبّ والمحبة بأنَّه ((لا يُحدُّ المحبة بحدٍّ أوضح منها ، والحدود لا تزيدها إلّا خفاء وجفاء ، فحدّها وجودها ، ولا توصف المحبَّة بوصف أظهر من المحبّة ، وإنَّما يتكلم الناس في أسبابها ، وموجباتها

، وعلاماتها ، وشواهدها ، وثمراتها ، وأحكامها ، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة)) [1]

فالحبّ هذا الذي ما أسماه ! الذي خلقه الله ومنحه لكل الناس ، أنثبته للناس وننفيه عن ربِّ الناس ؟! يا ويلكم كيف تحكمون ؟ !

فجعْلُ كل حبّ مضاف إلى الله سبحانه بمعنى الرضا لا يدخل في باب تحريف دلالة اللفظ القرآني فحسب ، بل يدخل أيضًا في باب تعطيل صفة من صفات البارئ عز وجل ، عن طريق التأويل ، فيقع صاحبه في محذور خطر ، وهو المساس بالركن الثالث من أركان التوحيد ، الذي هو توحيد الأسماء والصفات ، الذي يأتي بعد توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، فيجب التحرز من تفسير كل صفة نسبها الله إليه بغير معناها الظاهر ؛ لذلك فسَّر الآلوسي قوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ){المائدة : ٥٤} (((بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ) محبَّة تليق بشأنه تعالى على المعنى الذي أراده)) [2]

الثالثة : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته : **الحبُّ والمودّة** : جعل الدامغاني الحبّ في الوجه الأول بمعنى المودة ، والمودة غير مطابقة للحُبِّ ، وإن كانت مرادفة له ، قريبة من معناه ، حتى إنَّه يُعَرِّف أحدهما بمعنى الآخر ، أي : أنَّه لا بدَّ من أن يكون بينهما فرقُ في المعنى ، وهو المقصود في القرآن الكريم ، قال العسكري في ((الفرق بين الحبّ والودّ ... أنَّك تقول : أحبُّ فلانًا وأودُّه ، وتقول : أحبُّ الصلاة ، ولا تقول : أودُّ الصلاة ، وتقول : أودُّ أن ذاك كان لي : إذا تمنيتَ وداده)) [3] وقال الراغب : ((الودّ : محبة الشيء وتمنِّي كونِه ... ومن المودّة التي تقتضي

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤١٦/٢

(٢) روح المعاني ٣٢٩/٣

(٣) الفروق اللغوية ص ١٤٠

معنى التمنِّي قوله تعالى : (وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ)[آل عمران ٦٩} وقوله تعالى : (رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ)[الحجر : ٢}))[١] وقال ابن سيده : ((الودُّ : الحبُّ يكون في جميع مداخل الخير)) [٢] ((والودّ : الحبُّ والصداقة)) [٣]

فالودّ والمودَّة أعمُّ من الحبّ والمحبّة ، فهو يعني الحبّ المشوب بالتمنِّي ، ويعني الصداقة ومدّ ما يقوِّيها ويبقيها ويوسِّعها من جسور اللقاء ، وصلات التقارب ، وحسن المعاملة المتبادلة ؛ لذلك استعمل المودّة من دون المحبَّة في قوله تعالى : (وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً)[الروم : ١٢} وفي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ)[الممتحنة : ١} وقوله تعالى : (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[الممتحنة : ٧}

فحبّ الشيء : ميل القلب إليه ، وهو أمر خفي ، لا يعلم به إلّا صاحبه ، بل قد لا يحسّ به المحبوب نفسه ، أمَّا ودّ الشيء فهو الميل إليه قلبًا وسلوكًا بالأقوال والأعمال ، فالفرق بينهما ظاهر ، فجعلُ الحبَ بمعنى الودَ تحريف ظاهر .

الرابعة : التضمين : جعل الدامغاني الحبّ في الوجه الخامس بمعنى الإيثار ، والتقدير في قوله تعالى : (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) آثرتُ حبّ الخير ، وهذا ما جاء في كتب التفسير ، قال الفراء : ((يقول : آثرتُ حُبَّ الخيل ، والخير في كلام العرب الخيل)) [٤] فيجعل (حُبَّ الْخَيْرِ) مفعولًا به ،

---

(١) المفردات ص ٥٣٩-٥٤٠ وينظر : لسان العرب ١٧٧/١٥ وتاج العروس ١٥٦/٩

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ١٥٦/٩

(٣) تاج العروس ١٥٦/٩

(٤) معاني القرآن ٢٨٦/٢

ويجعله غيره مصدرًا[1] وتقدَّم قول الراغب أنَّه جعل قوله تعالى : (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي){ص : ٣٢} معناه : أحببتُ الخيل حبِّي للخير ، وقال الزمخشري : ((فإن قلتَ ما معنى (أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي) قلتُ : مضمَّن معنى فعل يتعدَّى بـ(عن) كأنَّه قال : أنبتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربي ، أو : جعلتُ حُبّ الخير مجزيًا ، أو مغنيًا عن ذكر ربي ، وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أنَّ (أَحْبَبْتُ) بمعنى : لزمتُ ، من قوله : مثلُ بعير السُّوء إذ أحبَّا ، وليس بذاك ، والخير : المال))[2] وقال أبو البركات بن الأنباري : (((حُبَّ الْخَيْرِ) منصوب لوجهين ، أحدهما : أن يكون منصوبًا به ، لأنَّ المعنى : أنَّه آثر حبَّ الخير ، لا أنَّه أحبَّ حبًّا .

والثاني : أنَّ يكون منصوبًا على المصدر ، ووضع (حبّ) وهو اسم موضع الإحباب))[3] وقال العكبري : ((قوله تعالى : (حُبَّ الْخَيْرِ) هو مفعول أحببتُ ؛ لأنَّ معنى أحببتُ : آثرتُ ؛ لأنَّ مصدر أحببتُ الإحباب ، ويجوز أن يكون مصدرًا محذوف الزيادة ، وقال أبو علي : أحببتُ بمعنى جلستُ ، من إحباب البعير ، وهو بروكه ، و(حُبَّ الْخَيْرِ) مفعول له مضاف إلى المفعول))[4]

وقال الحلبي : ((قوله : (حُبَّ الْخَيْرِ) فيه أوجه :

أحدها : هو مفعول أحببتُ ، لأنَّه بمعنى آثرتُ ، و(عَنْ) على هذا بمعنى (على) أي : على ذكر ربي

الثاني : أنَّ (حُبَّ) مصدر على حذف الزوائد

---

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس ص ٨٦٧

(٢) الكشاف ٨٩/٤

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ٣١٥/٢

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٣٥٦/٢

الثالث : أنَّه مصدر تشبيهي ، أي : حبًّا مثل حبّ الخير .

الرابع : أنَّه قيل : أنَّه ضُمِّن معنى أنبتُ ، فلذلك تعدى بـ(عن) .

الخامس : أنَّ (أَحْبَبْتُ) بمعنى لزمتُ

السادس : أنَّ (أَحْبَبْتُ) من أحبَّ البعير إذا سقط وبرك من الإعياء ، والمعنى : قعدتُ عن ذكر ربي ، فيكون (حُبَّ الْخَيْرِ) مفعولًا من أجله))[١] وقال الكفوي : ((وأحببتُ عليه ، بمعنى : آثرتُ عليه ، هذا هو الأصل ، لكن في قوله تعالى : (أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي) لمَّا أنيب مناب (أنبتُ) عدِّي تعديته))[٢] وجاز أن ((يكون مفعول (أَحْبَبْتُ) محذوفًا والتقدير : أحببتُ الصافنات أو عرضها عليَّ حبًّا مثل حبّ الخير ... وجعل بعضهم (حُبَّ الْخَيْرِ) مفعولًا لأجله ، أي : تقاعدتُ واحتبستُ عن ذكر ربي لحبّ الخير))[٣]

وقال ابن عاشور : ((وضمَّن (أَحْبَبْتُ) معنى عوَّضتُ ، فعدِّي بـ(عن) في قوله : (عَن ذِكْرِ رَبِّي) فصار المعنى : أحببتُ الخير حبًّا فجاوزتُ ذكر ربي))[٤] وابن عاشور أبقى (أَحْبَبْتُ) على معناه على الرغم من التضمين الذي ذكره

يتبيَّن مما تقدم ذكره أنَّ أحبَّ في الأصل فعل يتعدَّى بنفسه إلى مفعول ، ولكون (أَحْبَبْتُ) في قوله تعالى : (أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي) لم يرد متعدِّيًا فقد ذكر، كما رأيت ، أهل التفسير لدلالة (أَحْبَبْتُ) الأقوال الآتية :

---

(١) الدر المصون ٣٧٦/٩ وينظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٢٦/٧

(٢) الكليات للكفوي ص ٤٦

(٣) روح المعاني ١٨٤/١٢

(٤) التحرير والتنوير ١٥٢/٢٣

١–تضمين (أَحْبَبْتُ) معنى : آثرتُ ، وتضمين (عن) معنى (على) لأنَّ آثرتُ تتعدى إلى مفعولها بـ(على) ، والتقدير : آثرتُ حبَّ الخير على ذكر ربي ؟

٢–تضمين (أَحْبَبْتُ) معنى : أنبتُ ؛ لأنَّ أنبتُ يتعدى إلى مفعوله بـ(عن) والتقدير : أنبتُ حبَّ الخير عن ذكر ربي .

٣–تضمين (أَحْبَبْتُ) معنى عوَّضتُ ؛ لأنَّ عوَّضتُ يتعدى أيضًا إلى مفعوله بـ(عن) .

٤– إبقاء (أَحْبَبْتُ) على معناه على أنَّ مفعوله محذوف ، والتقدير : أحببتُ الخيل ، حبَّ الخير

٥–إبقاء (أَحْبَبْتُ) على معناه ، على أنَّ (حُبَّ الْخَيْرِ) مصدر تشبيهي ، والتقدير : أحببتُ حبًّا مثل حبّ الخير .

٦–تضمين (أَحْبَبْتُ) معنى لزمتُ والتقدير : لزمتُ مكاني عن ذكر ربي

٧–تضمين (أَحْبَبْتُ) معنى قعدتُ ، والتقدير : قعدتُ عن ذكر ربي

٨–تضمين(أَحْبَبْتُ) معنى احتبستُ ، والتقدير : احتبستُ عن ذكر ربي

الأقوال المذكورة مبنية أكثرها ومختلقة بطريقة التضمين ، والتضمين هو جعل اللفظ بمعنى لفظ آخر غير مذكور ، بل يُقَدَر من أجل حل مشكلة تركيبية[١]وهي هنا مشكلتان ، الأولى : عدم تعدي (أَحْبَبْتُ) والأصل أنَّه يتعدَّى إلى مفعول ، والثانية : تعديه إلى ما بعده بـ(عن) ومن أجل حلِّ هاتين المشكلتين جعلوا (أَحْبَبْتُ) بمعنى أي فعل آخر غير متعدٍّ ، أو يتعدَّى

(١) ينظر : كتابي : النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، وكتابي : ظنَّ وأخواتها والتضمين في القرآن الكريم

إلى مفعوله بـ(عن) أو بـ(على) على أن يكون مما أفاد وإن خالف دلالة (أَحْبَبْتُ) والمعنى المراد ، أي : أنَّهم لم يكن يعنيهم المعنى ، فليكن ما يكن بشرط أن يحلّ لهم مشكلة تعديه لما بعده بـ(عن) أو لزومه وعدم تعديه ، وهذا ما فعلوه في الأقوال الثلاثة الأولى ، من تضمين (أَحْبَبْتُ) معنى : آثرتُ ، وأنبت ، وعوَّضتُ ؛ ليحلّوا بذلك مشكلة تعدّيه إلى ما بعده بـ(عن) وهذه التضمينات الثلاثة جميعها مخالفة للمعنى المراد ؛ لأنَّ سليمان عليه السلام ما أراد أن يذكر أنَّ حبَّه للخير المتمثل بالخيل أفضل عنده من ذكر الله ، بل أراد أنَّ هذا الحبّ أشغله حتى جعله ينسى أن يصلي العصر ، وهذا ما فعلوه أيضًا في الأقوال الثلاثة الأخيرة : السادس ، والسابع ، والثامن ، من تضمين (أَحْبَبْتُ) معنى : لزمتُ ، أو قعدتُ ، أو احتبستُ ؛ ليحلّوا بذلك مشكلة لزومه وعدم تعديه ، وهذه الأقوال الثلاثة هي أيضًا مخالفة للمعنى المراد ، بل لا تليق بالنبي سليمان عليه السلام أن يلزم مكانه ، أو يقعد ، أو يحتبس عن ذكر الله

والدامغاني جعل أحببتُ بمعنى آثرتُ وهذا الوجه كما رأيت هو واحد من ثمانية أقوال ، فيكون عدم الإشارة إليها خيانة علمية في تفسير كتاب الله ، وجعل (أَحْبَبْتُ) بمعنى آثرتُ ، تحريف لدلالة اللفظ القرآني ؛ لأنَّ الأحق والأولى جعل (أَحْبَبْتُ) يعني الحبّ بعينه من ثلاثة جوانب : الجانب الأول : أنَّه قيل بهذا المعنى في قولين : الرابع ، والخامس ، والجاب الثاني : أنَّ إبقاء اللفظ على بابه ومعناه ، أحق وأولى من جعله بمعنى لفظ آخر ، والجانب الثالث : أنَّ جَعْلَ (أَحْبَبْتُ) يعني الحبّ بعينه ، هو المراد ، لأنَّه أراد أنَّ الذي شغله عن ذكر الله ليس حبّه للدنيا ، وإنَّما حبّه الشديد للجهاد في سبيل الله ، فاتجه هذا الحب للخيل ؛ لأنَّها أداة ووسيلة لتحقيق هذا الجهاد

الخامسة : عدم تحرّي الصواب والدقّة في التفسير : جعلَ الحيري الحبّ في الوجه الثالث بمعنى الإعجاب في قوله تعالى : (وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ) قال ابن فارس : ((العين والجيم والباء أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على كِبْر واستكبار للشيء ، والآخر خِلقة من خِلَق الحيوان ، فالأول : العُجْبُ ، وهو أن يتكبَّر الإنسان في نفسه ، تقول: هو مُعْجَبٌ بنفسه))[1]((ويقال لمن يروقه نفسه ، فلان معجب بنفسه)) [2] قال ابن الجوزي : ((وفي قوله تعالى : (وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ) ستة أقوال :

أحدها : أحبّوا أن يُحمدوا على إجابة النبي صلى الله عليه وسلَّم عن شيء سألهم عنه ، وما أجابوه ،

والثاني : أحبوا أن يقول الناس : هم علماء ، وليسوا كذلك .

الثالث : أحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة ، والصيام ، وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس .

الرابع : أحبوا أن يُحمدوا على قولهم : نحن على دين إبراهيم ، وليسوا عليه ، قاله سعيد بن جبير .

الخامس : أحبوا أن يُحمدوا على قولهم : إنا راضون بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وليسوا كذلك ، قاله قتادة ، وهذه أقوال من قال : هم اليهود .

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٤٥

(٢) المفردات للراغب ص ٣٣٤

السادس : أنَّهم كانوا يحلفون للمسلمين ، إذا نُصِروا : إنَّا قد سُرِرنا بنصركم ، وليسوا كذلك ، قاله أبو سعيد الخدري ، وهو قول من قال : هم المنافقون))[1]

فهذه هي أقوال المفسرين في معنى الآية ، لم تجد من بينها جعل الحب بمعنى العجب ، بل لم أجد القول بهذا الوجه في أيّ كتاب من كتب التفسير ، بل حتى لو أجازوا هذا المعنى لكان التقدير : إنَّهم يحبون أن يعجب الناس بهم ، فيبقى الحب على بابه ودلالته .

فالموضع موضع الحبّ لا موضع العجب حتى إنَّه لا يستساغ أن تكون الآية بالتقدير الذي يوجبه الوجه الذي قال به الحيري ، فلا يستساغ أن يكون قوله تعالى : (وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ) بتقدير : ويُعجبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا ، فقوله تعالى (وَّيُحِبُّونَ) يعني الحبّ بعينه ، وجعله بمعنى : ويُعجبون ، هو التحريف بعينه .

وجعل الحيري الحبّ بمعنى المال في الوجه الخامس في قوله تعالى : (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي) وكيف يصح هذا الوجه ؟! لأنَّه لا يصح تقديره ، فليس مستساغًا أن يكون المعنى : إنِّي أحببتُ مال الخير ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير من ذكر هذا الوجه ، وبين معنى الحب والمال فرق ظاهر ، فجعله بمعناه تحريف ظاهر ، ويبدو أنَّ الحيري لشدة ولعه باختلاق الوجوه وقع في غلط ظاهر ؛ لأنَّ المال جاز أن يكون وجهًا للخير لا للحبّ ، وهذا هو الذي جاء في كتب التفسير ، قال الزجاج في تفسير قوله تعالى : (((فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي) الخير ههنا الخيل ، والنبي صلى الله عليه وسلم سمّى زيد الخيل زيد الخير ، وإنَّما سُمِّيت الخيل الخير ؛ لأنَّ الخير معقود بنواصي الخيل ، كذا في

---

(١) زاد المسير ١/٤١٦-٤١٧

الحديث ، وكانت هذه الخيل وردت على سليمان من غنيمة جيش كان له ، فتشاغل باعتراضها إلى أن غابت الشمس ، وفاتته صلاة العصر))[1]((وذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنَّه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر ، والذي يقطع به أنَّه لم يتركها عمدًا ، بل نسيانًا ، كما شُغل النبي يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد المغرب ، وذلك ثابت في الصحيحين)) [2] ((والمعنى : أحببتُ الخير حبًّا فجاوزتُ ذكر ربي ، والمراد بذكر الربَ الصلاة ، فلعلها صلاة كان رتبها لنفسه كان يصليها في المساء قبل الغروب ؛ لأنَّ وقت العشي ليست فيه صلاة مفروضة في شريعة موسى إلّا المغرب)) [3]

وجعل الحيري الحبّ في الوجه السادس بمعنى الشهوة ، في قوله تعالى : (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) وقوله تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) والحبَ غير الشهوة ، حتى إنّه يقال في الأغلب : فلان يحبّ المال ، ولا يقال : يشتهي المال ، كما قال تعالى : (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا){الفجر : ٢٠} لذلك لم أجد في كتب التفسير من ذكر أنَّ الحب يعني الشهوة في قوله تعالى (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) وقال الراغب : ((أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده ، وذلك في الدنيا ضربان ، صادقة وكاذبة ، فالصادقة ما يختلُّ البدن من دونه ، كشهوة الطعام عند الجوع ، والكاذبة ما لا يختلُّ من دونه)) [4] ((والشهوة ميل جِبلِّي غير مقدور للبشر بخلاف الإرادة))

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٨/٤ وينظر : الوسيط للواحدي ٥٥١/٣

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧/٧

(٣) التحرير والتنوير ١٥٢/٢٣

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٩ وينظر : عمدة الحفاظ ٣٠٢/٢ وبصائر ذوي التمييز ٣٥٨/٣

[١]((والشَّهْوة بالفتح وسكون الهاء هي تَوَقان النفس إلى المستلذات ، وقد تُطلَق على الجوع أيضًا))[٢]وقال العسكري في ((الفرق بين المحبة والشهوة ، أنّ الشهوة تَوَقان النفس وميل الطباع إلى المشتهى ، وليست من قبيل الإرادة ، والمحبّة من قبيل الإرادة ، ونقيضها البغْضة ، ونقيض الحبّ البغض ، والشهوة تتعلَّق بالملاذ فقط ، والمحبة تتعلق بالملاذ وغيرها)) [٣] فالحب يعني الحبّ بعينه ، والفرق ظاهر بينه وبين الشهوة ، فجعله بمعناها تحريف ظاهر ، وكذلك الحبّ في قوله تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) يعني الحبّ بعينه ، أمَّا شهوة الطعام فتكون في حال الجوع

وجعل الدامغاني الحبّ في هذا الوجه بمعنى القلّة ، والتقدير : وآتى المال على قلته ، ويطعمون الطعام على قلته ، لم أجد في كتب اللغة من ذكر أنَّ الحبّ قد يجيء بمعنى القلّة إلّا الدامغاني في كتب الوجوه ، وكذلك لم أجد هذا في كتب التفسير ، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ((وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) (((عَلَى حُبِّهِ) مع حبِّه والشح به ... وقيل على حبِّ الله ، وقيل : على حبِّ الإيتاء ، يريد أن يعطيه وهو طيِّب بإعطائه)) [٤] وقال ابن عطية : ((والضمير في (حُبِّهِ) عائد على (المال) فالمصدر مضاف إلى المفعول ... ويحتمل أن يعود الضمير على الإيتاء ، أي : في وقت حاجة من الناس وفاقة ، فإيتاء المال حُبِّبَ إليهم ، ويحتمل أن يعود على اسم الله تعالى من قوله : (مَنْ آمَنَ باللهِ) أي : من تصدق محبَّة في الله تعالى وطاعته ، ويحتمل أن يعود على الضمير المستكن في (آتَى) أي :

---

(١) الكليات للكفوي ص ٦٢

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ٥٤٢/٢

(٣) الفروق اللغوية ص ١٣٩

(٤) الكشاف ٢١٦/١-٢١٧

على حبِّه المال ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل)) [١] وقال الحلبي : ((قوله (عَلَى حُبِّهِ) في محلّ نصب على الحال ، العامل فيه (آتَى) أي : في حال محبَّته له واختياره ، والحبُ مصدر حببتُ لغة في أحببتُ)) [٢]

وهذا ما جاء أيضًا في تفسير قوله تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) قال ابن عطية : ((وقوله تعالى : (عَلَى حُبِّهِ) يحتمل أن يعود الضمير على الطعام ، أي : هو محبوب للفاقة والحاجة ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد ، ويحتمل أن يعود على الله تعالى ، أي : لوجهه وابتغاء مرضاته ... وقال الحسين بن الفضل : الضمير عائد على الإطعام : أي : محبين في فعلهم ذلك ، لا رياء فيه ولا تكلّف))[٣] وقال الحلبي : ((قوله (عَلَى حُبِّهِ) حال ، إمَّا من الطعام ، كائنين على حبِّهم الطعام ، وإمَّا من الفاعل ، والضمير في (حُبِّهِ) لله تعالى ، أي : على حبِّ الله ، وعلى التقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول))[٤]

فالحبُ في قوله تعالى : (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) وقوله تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) يعني الحبّ بعينه في اللغة والتفسير ، فجعله بمعنى الشهوة أو القلة تحريف لدلالته لغةً وتفسيرًا ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ قصر الحبّ على معنى الشهوة ، أو على معنى القلّة في باب الوجوه ، وعدم الإشارة إلى الأقوال التي ذكرها أهل التفسير يُعد خيانة علمية في تفسير كتاب الله ، أم أنَّ الحيري والدامغاني كانا لا يعلمان بتلك الأقوال ؟

---

(١) المحرر الوجيز ٢٤٣/١ وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ١٥٥/١ والدر المصون ٢٤٧/٢-٢٤٨

(٢) الدر المصون ٢٤٧/٢

(٣) المحرر الوجيز ٤١٠/٥ وينظر : زاد المسير ١٦٨/٨

(٤) الدر المصون ٦٠٢/١٠

الحبّ والإرادة : وجعل الحيري الحبّ في الوجه السابع بمعنى الإرادة ، في قوله تعالى : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ) وقوله تعالى : (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)

والحبُ هنا وفي كلِّ موضع يعني الحبّ بعينه ، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ) ((فإن قلتَ : ما معنى المَحَبَّتين ؟ قلتُ محبتهم للتطهر أنَّهم يؤثرونه ، ويحرصون عليه حرص المُحبّ للشيء المشتهي له على إيثاره ، ومحبة الله تعالى إيّاهم ، أنَّه يرضى عنهم ويحسن إليهم ، كما يفعل المُحبّ بمحبوبه))[1] وتأمَّل أنَّ الزمخشري جعل محبّة المؤمنين تعنى المحبّة بعينها ، وكذلك جعل محبة الله لعباده المؤمنين تعني المحبّة بعينها ، أمَّا الرضا عنهم والإحسان إليهم فهو من لوازم هذه المحبة ، فجعل محبته لهم بمعنى رضاه عنهم ، كما تقدم في الوجه الثاني ، هو خلط بين معنى الشيء ومعاني لوازمه .

وقال العسكري في ((الفرق بين الإرادة والمحبة ، أنَّ المحبة تجري على الشيء ، ويكون المراد به غيره ، وليس كذلك الإرادة ، تقول : أحببتُ زيدًا ، والمراد أنَّك تحب إكرامه ونفعه ، ولا يقال : أردت زيدًا ، بهذا المعنى ، وتقول : أحبُّ الله ، أي : أحب طاعته ، ولا يقال : أريده ، بهذا المعنى ، وتقول : الله يحبُ المؤمنين ، بمعنى أنَّه يريد إكرامهم وإثابتهم ، ولا يقال : إنَّه يريدهم بهذا المعنى ، ولهذا قالوا إنَّ المحبة تكون ثوابًا وولاية ، ولا تكون الإرادة كذلك ، ولقولهم : أحبُّ زيدًا ، مزية على قولهم : أريد له الخير ،

---

(١) الكشاف ٢/٣٠٠-٣٠١ وينظر : مدارك التنزيل للنسفي ص ٤٥٥ والبحر المحيط ١٣٢/٥

وذلك أنَّه إذا قال : أريد له الخير ، لم يبيِّن أنَّه لا يريد له شيئًا من السوء، وإذا فال : أحبُّه ، أبان أنَّه لا يريد له سوءًا أصلًا)) [1]

فالفرق ظاهر بين الحبّ والإرادة ، فجعله بمعناها تحريف ظاهر لدلالة اللفظ القرآني ، ولو كانوا قد أرادوا معنى الإرادة ، لا معنى الحبّ ، كما ادعى الحيري في قوله تعالى (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ) لقال سبحانه : فيه رجال يريدون أن يتطهروا ، إلّا أنَّ الله تعالى ذكره أخبرنا أنَّهم أحبّوا ، ولم يخبرنا أنَّهم أرادوا ، فهو سبحانه أعلم بهم من الحيري ومن كل أصحاب كتب الوجوه ؛ والدليل على ذلك قوله تعالى في الآية نفسها : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) والجزاء يكون عند الله من جنس العمل ، فهم أحبّوا ؛ لذلك أحبَّهم الله لما أحبّوا ، وتأمَّل أنَّه لو قيل كما زعم الحيري : فيه رجال يريدون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ، أما ترى أنَّ الآية بجعل الحبّ بمعنى الإرادة سينسلخ منها بلاغة معناها وجمال تعبيرها وتركيبها ؟ ومما أصبح من المؤكَّد أنه لا الحيري ولا غيره من أصحاب كتب الوجوه يهمّهم تشويه أسلوب القرآن الكريم ، ما دام يحقق لهم الغرض من مصنفاتهم ، وهو إظهار مقدرتهم على اختلاق الوجوه

أمَّا فيما يتعلق بقوله تعالى (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) فإنِّي لم أجد من أحدٍ من أهل اللغة ، ولا من أهل التفسير من فسَّر الحبّ هنا بالإرادة ، فقد أجمعوا على أنَّ المراد من الحبَ هنا الحبَ بعينه ، قال ابن قتيبة : (((قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) أي : بلغ حُبُّه شغافَها ، وهو غلاف القلب ، ولم يرد الغلاف ، إنَّما أراد القلْبَ ، يقال : قد شغَفْتُ فلانًا : إذا أصبتَ شَغافَه ، كما يقال : كَبَدْتُه : إذا أصَبْتَ كَبِدَه ، وبطَنْتُه : إذا أصبْتَ بَطْنَه)) [2] وقال ابن فارس : ((الشين

---

(١) الفروق اللغوية ص ١٣٨

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٢١٥

والغين والفاء كلمة واحدة ، وهو غلاف القلب ، قال الله تعالى : (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا){يوسف : ٣٠} أي : أوصل الحبَّ إلى شغاف قلبها)) [١] ((أي : أصاب شغاف قلبها ، أي : باطنه)) [٢] وقال الزمخشري : (((شَغَفَهَا) خرق حبُّه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد ، والشغاف حجاب القلب ، وقيل جلدة رقيقة ، يقال لها : لسان القلب)) [٣] وقال التبريزي : ((و(شَغَفَهَا) أي : قد بلغ حبُّه شغافها ، وهو غلاف القلب ، كأنَّه خرق شغافَها فأصاب القلب ، يقال : شغفتُ فلانًا ، إذا أصبتُ شغافه ، وقيل : الشغاف : سويداء القلب ، وقيل عظم لاصق بالقلب))[٤]((وقيل : دخل حبُّه في شغافها ... وعن ابن عباس ، قال : دخل تحت شغافها ، وقال الحسن : الشغف باطن القلب ، السدي وأبو عبيد : شغاف القلب : غلافه ، وهو جلدة عليه ، وقيل : هو وسط القلب ، والمعنى في هذه الأقوال متقارب ، والمعنى : وصل حبه إلى شغافها فغلب عليه)) [٥] وجاء في اللسان : ((وشغفه الحبُّ يشغفه شغْفًا وشغَفًا : وصل إلى شغاف قلبه ، وقرأ ابن عباس ... قال : دخل حبُّه تحت الشغاف ، وقيل : غشَّى الحبُّ قلبها ... قيل : الشغاف غلاف القلب ، وقيل : هو حبَّة القلب ، وهو سُوَيداء القلب))[٦]

فهذا هو معنى قوله تعالى : (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) لكن كثيرًا ما تجد أصحاب كتب الوجوه يوغلون في البعد عن دلالة اللفظ حتى تجد أحدهم

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٥١

(٢) المفردات للراغب ص ٢٧٢

(٣) الكشاف ٤٤٤/٢

(٤) الملخص في إعراب القرآن ص ٤٧

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٨/٩

(٦) لسان العرب ٩٨/٨-٩٩

يقول ما لا يقوله من له أقلّ علم باللغة والتفسير ، فكيف تسنَّى للحيري وكيف استساغ له أن يجعل الحبّ بمعنى الإرادة في قوله تعالى في سورة يوسف : (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) كيف يصح أن يكون المعنى : قد شغفها إرادة ، يا سبحان الله ما هذا ؟ ! ما هكذا تورد يا هذا الإبل

٥-**السُّكْر** : ذكر الحيري والدامغاني للسكْر في القرآن الكريم ستة أوجه :

الوجه الأول : أخذ الأبصار ، كقوله تعالى : (لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ){الحجر : ١٥}

الوجه الثاني : الجهالة ، كما قال الحيري ، أو الغفلة كما قال الدامغاني ، كقوله تعالى : (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ){الحجر : ٧٢}

الوجه الثالث : الخمر ، أو الطعم ، كقوله تعالى : (وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا){النحل : ٦٧}

الوجه الرابع : التساوية ، كما قال الحيري ، أو الحيرة ، كا قال الدامغاني ، كقوله تعالى : (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ){الحج : ٢}

الوجه الخامس : النزع عند الموت بالحق ، كقوله تعالى : (وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ){ق : ١٩}

الوجه السادس : ((السكر : الغطاء على العقل ، وهو السكر المعروف ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ){النساء : ٤٣} يعني : نشاوى من الشراب [١]

قال الخليل : ((السُّكْر : نقيض الصحو)) [١]وقال ابن فارس : ((السين والكاف والراء : أصل واحد يدلُّ على حَيرة ، من ذلك السكر من

([١]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ١٥٤-٢٥٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٧٢-٢٧٣

الشراب٠٠٠والتسكير : التحيير في قوله تعالى : (لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ){الحجر : ١٥} والسَّكْر : حبس الماء ، والماء : إذا سُكِرَ تحيَّر٠٠٠والسَّكَرُ : الشراب))[٢] وقال الراغب : ((السُّكْر : حالة تعرض بين المرء وعقله ، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب ، وقد يعتري من الغضب والعشق)) [٣]

جعل الحيري والدامغاني السكر في الوجه الأول بمعنى أخذ الأبصار ، المقصود به السحر ، في قوله تعالى : (لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ){الحجر : ١٥}

وجعل الحيري السكر بمعنى الجهالة ، وجعله الدامغاني بمعنى الغفلة ، كما جاء في الوجه الثاني في قوله تعالى : (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) وجعله بعض أهل التفسير بمعنى الغواية : ((أي : في غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب)) [٤]

وجعل الحيري السكر في الوجه الرابع بمعنى التساوية ، في قوله تعالى : (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) ولم أجد هذا المصطلح في كتب اللغة فضلًا عن كتب التفسير ، وكثيرًا ما يذكَر الحيري نحو هذا الوجه الذي لم يُفهم المقصود منه ، والمحقق لا يوضح المراد ، ولا يعلِّق ، ولعلَّه يعني تساوي الناس بهذا الهول والعذاب يوم القيامة جاء في التفسير : ((فخوف عذاب الله هو الذي أذهبَ عقولهم ، وطيَّر

---

(١) العين ص ٤٣٥

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٣٥

(٣) المفردات ص ٢٤٤

(٤) مدارك التنزيل ص ٥٨٥

تمييزهم وردَّهم في نحو حال مَن يذهب السكر بعقله وتمييزه ، وعن الحسن : وترى الناس سكارى من الخوف ، وما هم بسكارى من الشراب)) [1]

وجعل الدامغاني السكر في الوجه الخامس بمعنى النزع عند الموت في قوله تعالى : (وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) والمعنى أنَّ شدة الموت أحدثت السكر بالإنسان ، وأذهبت عقله (٢) فيكون الموت سبب السكر ، والسكرة مسبَّبة عنه

السُّكْر معروف ، ومن المعروف والمشهور أنّه حالة تصيب الإنسان من شرب الخمر ، وجاز التعبير بالسكر عن الحالات المشابهة لها التي لا يكون سببها الشراب المذكور بل أسباب أخرى ، فالسكر واحد لكن أسبابه متعددة ومختلفة ، والأوجه المذكورة الستة : أخذ الأبصار والمقصود به السحر ، كما جاء في الوجه الأول ، والجهالة ، أو الغفلة ، أو الغواية ، كما جاء في الوجه الثاني ، والخمر أو الطعم ، كما جاء في الوجه الثالث ، وأهوال يوم القيامة ، كما جاء في الوجه الرابع ، وشدة الموت ، كما جاء في الوجه الخامس ، والغطاء على العقل ، كما جاء في الوجه السادس ، هذه الأوجه لا تعني السكر بل تعني أسبابه ، والسكر هو المسبَّب عنها ، والتحريف الحاصل هو عدم جعل المسبَّب بمعناه بل بمعاني أسبابه .

٦-**السكينة** : قال الحيري : ((باب السكينة على وجهين :

أحدهما : الطمأنينة ، كقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ)[الفتح : ٤} وقوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[الفتح : ٢٦} وقوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا)[التوبة : ٤٠}

([1]) مدارك التنزيل ص ٧٣٠

([2]) مدارك لتنزيل ص ١١٦٢

الثاني : الثبات ، كقوله تعالى : (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)[البقرة : ٢٤٨] قال علي بن أبي طالب : السكينة ريح هفافة لها رأسان ، ووجه كوجه الإنسان))[١]

وقال الدامغاني : ((تفسير السكينة على وجهين : الطمأنينة ، وشيء كرأس الهر له جناحان :

فوجه منهما : السكينة : الطمأنينة ، قوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ)[التوبة : ٤٠] يعني : طمأنينته ، وكقوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[الفتح : ٢٦]

الوجه الثاني : السكينة يعني : شيئًا كرأس الهرِّ له جناحان ، قوله تعالى : (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)[البقرة : ٢٤٨]))[٢]

قال الراغب : ((السكون : ثبوت الشيء بعد تحرك ، ويستعمل في الاستيطان ، نحو : سكن فلان))[٣] وقال : ((الطمأنينة والاطمئنان : السكون بعد الانزعاج ، قال تعالى : (وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلّا مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)[آل عمران : ١٢٦] وقال تعالى : (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)[البقرة : ٢٦٠] وقال تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[الرعد : ٢٨] وقال تعالى : (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)[النحل : ١٠٦] وقال تعالى : (فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)[النساء : ١٠٣]))[٤]

الوجهان المذكوران مختلقان بطريقتين :

---

(١) وجوه القرآن ص ٢٤٧-٢٤٨

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٧٩

(٣) المفردات ص ٢٤٤

(٤) المفردات ص ٣١٩

الأولى : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته :

السكينة والطمأنينة : جعل الحيري والدامغاني السكينة في الوجه الأول بمعنى الطمأنينة ، والسكينة غير الطمأنينة ، وإن لم يوضِّح أهل اللغة والتفسير الفرق بينهما ، وادعوا أنَّهما بمعنى واحد ، والدليل على ذلك اختلاف استعمال جذريهما في اللغة والقرآن الكريم ، فالسكون استعمل في الإنسان وغيره ، والطمأنة لم تستعمل إلّا في الإنسان ، فيقال مثلًا : سكنتِ الريحُ ، ولا يقال : اطمأنَّتِ الريحُ ، قال تعالى : (إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ)﴿الشورى : ٣٣﴾ ولا يصحُّ أن يقال : إن يشأْ يطمئن الريح ، ومن ذلك أيضًا استعمال السكون من دون الطمأنة في الاستيطان ، فيقال : ((سكن فلان كذا ، أي : استوطنه))[١]ومن ذلك قوله تعالى : (إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ)﴿إبراهيم : ٣٧﴾

فالسكينة تعني الهدوء بعد عدم الهدوء ، كاستعماله في الأمن بعد فقدانه ، وهذا واضح في قوله تعالى : (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)﴿التوبة : ٤٠﴾ قال العسكري : ((السكينة مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف ، وأكثر ما جاء في الخوف ، ألا ترى قوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ)﴿التوبة : ٤٠﴾ وقال تعالى : (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ)﴿الفتح : ٢٦﴾))[٢]

أمَّا الطمأنينة فتعني الاستقرار بعد عدم الاستقرار ، كالاستقرار بالرجوع إلى الوطن بعد السفر وعذابه الجسدي والنفسي ، كقوله تعالى : (فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا

---

(١) المفردات ص ٢٤٤

(٢) الفروق اللغوية ٢٢٨

مَّوْقُوتًا)}النساء : ١٠٣} قال الطبري : ((وأمَّا قوله (فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ) فإنَّ أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، قال بعضهم : معنى قوله : (فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ) فإذا استقررتم في أوطانكم ، وأقمتم في أمصاركم (فَأَقِيمُواْ) يعني : فأتمّوا الصلاة التي أذن لكم بقصرها في حال خوفكم في سفركم وضربكم في الأرض...وقال آخرون : معنى ذلك : فإذا استقررتم فأقيموا الصلاة ، أي : فأتموا حدودها بأركانها بركوعها وسجودها)) [١]

أو تعني الاستقرار على اليقين بعد الشك والتردد كقوله تعالى : (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)}البقرة : ٢٦٠} وقوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)}الرعد : ٢٨} وقوله تعالى : (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)}النحل : ١٠٦}

وقد جعل الحيري والدامغاني السكينة في الوجه الأول بمعنى الطمأنينة في قوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) والطمأنينة مرادفة للسكينة ، ومرادفاتها وإن اتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها في معانيها الخاصة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم ، وتكون جميعها واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها لا يعني السكينة بعينها ، بل المعنى القريب منها ؛ ومن حيث جواز أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها ؛ لذلك جاز بالقدر نفسه أن تكون بمعنى مرادف آخر ، وهذا ما حصل ، فقد جاء في تفسير السكينة في هذه الآية : ((وفي السكينة ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّها الرحمة قاله ابن عباس .

والثاني : الوقار ، قاله قتادة

والثالث : السكون والطمأنينة ، قاله ابن قتيبة)) [٢]

([١]) جامع البيان ٣٠٣/٥-٣٠٤ وينظر : زاد المسير ١١١/٢

([٢]) زاد المسير ٣٣٢/٣ وينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٦ والقول الثالث هو قول الطبري أيضًا ينظر : جامع البيان ١٥٦/١٠

وجعْلُ السكينة بمعنى أيٍّ مرادف كان ، لا يُعدَّ من التحريف الدلالي إذا كان على سبيل التفسير والإيضاح ، وعلى أنَّه قريب من معناها لا مطابق ، أمَّا إذا كان على سبيل المطابقة والتعيين كما هو حاصل في كتب الوجوه فهو التحريف بعينه ، والهدم بعينه ؛ لأنَّ جعلها بمعنى لفظ آخر على أنَّه يعنيها بعينها يعني إفراغها من محتواها ، وتجريدها من معناها ، فلا يبقى منها إلّا لفظها ، فتعود كجسد بلا روح .

وجعل الحيري السكينة في الوجه الثاني بمعنى الثبات في قوله تعالى (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) والثبات كالطمأنينة مرادف للسكينة ، يعني أنَّه لا يعنيها بعينه ، فالثبات يعني دوام الشيء[1] وضد الزوال[2] وقد تقدَّم تعريف السكينة بأنَّها تعني ثباتًا بعد تحرك ، فبينهما فرق ، فجعلها بمعناه تحريف لدلالتها

الثانية : جعل المسبَّب بمعاني أسبابه : فقد جعل الدامغاني السكينة في شاهد هذا الوجه بمعنى شيء كالهرَّ له رأس وجناحان ، قال الطبري : ((واختلف أهل التأويل في معنى السكينة ، فقال بعضهم : هي ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان...وقال آخرون : لها رأس كرأس الهرّة وجناحان...وقال آخرون : بل هي رأس هرّة...وقال آخرون إنَّما هي طست من ذهب من الجنة ، كان يُغسّل فيه قلوب الأنبياء...وقال آخرون : السكينة : روح من الله يتكلم...وقال آخرون : السكينة : ما يعرفون من الآيات فيسكنون فيه...وقال آخرون السكينة : الرحمة...وقال آخرون : السكينة : الوقار...وأولى الأقوال بالحق في معنى السكينة ما قاله عطاء بن أبي رباح من الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي تعرفونها ، وذلك أنَّ السكينة في كلام العرب الفعيلة من قول القائل : سكن فلان إلى كذا وكذا : إذا اطمأنَّ إليه وهدأت عنده

([1]) ينظر مقاييس اللغة ص ١٤٦

([2]) ينظر : المفردات للراغب ص ٨٣

نفسه ، فهو يسكن سكونًا وسكينة ، مثل قولك : عزم فلان هذا الأمر عزمًا وعزيمة))[1]

أين معنى السكينة من معنى هرٍّ له جناحان ؟! لكن الذي أوقع الدامغاني في القول بهذا الوجه هو أنّه جعل المسبَّب بمعنى سببه ، فالسكينة هو المسبَّب وسببها الوجه الذي ذكره ، وقد أنكر أهل التحقيق الوجه الذي قال به الدامغاني فقد قال الراغب : ((وقيل السكينة والسكن واحد ، وهو زوال الرعب ، وعلى هذا قوله تعالى : (أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) وما ذُكِر أنَّه شيء رأسه كرأس الهرِّ فما أراه قولًا يصحُّ))[2] وتابع الحلبي الراغب في الردِّ على هذا الوجه فقال : ((وقوله تعالى : (أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) طمأنينة القلب ، وقيل زوال الرعب ، وهو الأولى ، وفي التفسير أقوال كثيرة إنَّها تشبه رأس هرّة ، وصورة ثور ، وأهل التحقيق لا يثبتون ذلك)) [3]

وقال الشوكاني : ((وأقول : هذه التفاسير المتنافضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من وجهة اليهود ، أقماهم الله ، فجاؤوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين رضي الله عنهم ، والتشكيك عليهم ، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيوانًا ، وتارة جمادًا ، وتارة شيئًا لا يُعقل ، كقول مجاهد : كهيئة الريح لها وجه كوجه الهرِّ ، وجناحان وذنَب مثل ذَنَب الهرِّ ، وهكذا كلُّ منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يُعقَل في الغالب ، ولا يصحُّ أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويًّا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا رأيًا رآه قائله ، فهم أجلُّ قدرًا من التفسير بالرأي ، وبما لا مجال للاجتهاد فيه ، إذا تقرر لك هذا عرفتَ أنَّ الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى

([1]) جامع البيان ٧٣٢/٢ وينظر : زاد المسير ٢٤٤/١

([2]) المفردات ص ٢٤٤-٢٤٥

([3]) عمدة الحفاظ ٢٠٨/٢-٢٠٩

معنى السكينة لغة ، وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة ، فقد جعل الله عنها سعة ، ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لوجب علينا المصير إليه ، والقول به ، ولكنَّه لم يثبت من وجه صحيح))[1]

فجعل السكينة بمعنى شيء كرأس هرَّ له جناحان ، قول من عدة أقوال ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنَّ الدامغاني لم يكتف بذلك بل جعل آخر هذه الأقوال وأضعفها ، وجهًا للسكينة ، والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أحدها أو أضعفها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه لا تدخل في باب التحريف فحسب ، بل تدخل أيضًا في باب الخيانة العلمية في التفسير .

وقال القرطبي : ((فقوله (فِيهِ سَكِينَةٌ) أي هو سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه...وقيل : أراد أنَّ التابوت كان سبب سكون قلوبهم))[2] فلو صحَّ هذا الوجه الذي قال به الدامغاني فإنَّه لا يعني السكينة ، بل يعني سبب حصولها ، والتحريف الحاصل هو عدم جعل المُسبَّب بمعناه بل بمعنى أحد أسبابه

٧-**الضحك** : ذكر أهل الوجوه للضحك سبعة أوجه :

الوجه الأول : االحيض ، كقوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ){هود : ٧١}

الوجه الثاني : الضحك بعينه ، كقوله تعالى : (فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا){التوبة : ٨٢}

([1]) فتح القدير ٣٣٥/١

([2]) الجامع لأحكام القرآن ١٧٨/٣

الوجه الثالث : الاستهزاء ، كقوله تعالى : (وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ)(المؤمنون : ١١٠}

الوجه الرابع : الإعجاب ، كقوله تعالى : (ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ)(عبس : ٣٩}

الوجه الخامس : التعجب ، كقوله تعالى (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا)(النمل : ١٩}

الوجه السادس : الإشراق كقوله تعالى : (ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ)(عبس : ٣٩}

الوجه السابع : جعل ابن الجوزي الضحك يعني الفرح ، وقيل يعني الضحك ، في قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ)(هود : ٧١} [١]

الضحك يدلُّ على البروز والانكشاف[٢] وقال الراغب : ((الضحك : انبساط الوجه ... ولظهور الأسنان عنده سُمِّيتْ مقدمات الأسنان الضواحك ، واستعير الضحك للسخرية ... (وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ)(هود : ٧١} وضحكها كان للتعجب ، بدلالة قوله تعالى : (قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ)(هود : ٧٣} وقول من قال : حاضت فليس ذلك تفسيرًا لقوله (فَضَحِكَتْ) كما تصوَّره بعض المفسرين ، فقال : ضحكتْ بمعنى حاضت ، وإنَّما ذكر ذلك تنصيصًا لحالها ، وأنَّ الله تعالى جعل ذلك أمارة لِما بُشِّرتْ به ، فحاضت في الوقت ليُعلَم أنَّ حملها ليس بمنكر ؛ إذ كانت المرأة ما دامت تحيض فإنَّها تحبل))[٣] وقال ابن الجوزي : ((وسُمِّيَ انفتاح الفم بالتبسم ، أو

---

(١) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٨٨-٢٨٩ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣١٣ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ١٨٤

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٢٥

(٣) المفردات ص ٣٠٣ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٣٦٩/٢-٣٧٠ وبصائر ذوي التمييز ٤٦٠/٣-٤٦١

القهقهة ضحكًا ، والضحك : خصيصة من خصائص الإنسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان غير الناطق ، وقد حدَّ بعضهم الضحك فقال : انبساط طبيعي يعرض للنفس الناطقة يدلُّ على تأثيرها بلذيذ)) [1]

جُعِلَ الضحك في الوجه الثاني يعني الضحك بعينه ، وهو كذلك أينما ورد في كتاب الله ، وجعله بغير معناه المعروف تحريف لدلالته ، وإذا جُعِل الضحك في هذا الوجه يعني الضحك بعينه ، فهذا يعني أنّ الأوجه الستة الباقية لا تعني الضحك بعينه ، فهي إذن أوجه مختلقة ، اختُلِقت بأربع طرائق :

الأولى والثانية : جعل المسبَّب بمعاني أسبابها ، وجعل اللفظ بمعاني ما قيل ، فقد جعل الحيري والدامغاني الضحك في الوجه الأول بمعنى الحيض ، في قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ)[هود : ٧١} وجعل ابن الجوزي الضحك في الوجه السابع بمعنى الفرح ، في قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ)[هود : ٧١} ثم قال : ((أي : فرحت بالبشرى ، وقيل : حاضت ، وقيل : هو من الضحك المعروف)) [2] هذا ما قاله في النزهة ، وقال في تفسيره : ((وفي قوله : (فَضَحِكَتْ) ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّ الضحك ها هنا بمعنى التعجب .

والثاني : أنَّ معنى ضحكت حاضت .

والثالث : أنَّه الضحك المعروف ، وهو قول الأكثرين .

وفي سبب ضحكها ستة أقوال :

أحدها : أنَّها ضحكت من شدة خوف إبراهيم من أضيافه ، وقالت : من ماذا يخاف إبراهيم ، وإنَّما هم ثلاثة ، وهو في أهله وغلمانه ؟!

والثاني : أنَّها ضحكت من بشارة الملائكة لإبراهيم بالولد .

([1]) نزهة الأعين ص ١٨٤

([2]) نزهة الأعين لابن الجوزي ١٨٤

والثالث : ضحكت من غفلة قوم لوط ، وقرب العذاب منهم .

والرابع : ضحكت من إمساك الأضياف عن الأكل ، وقالت : عجبًا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا ، وهم لا يأكلون طعامنا .

والخامس : ضحكت سرورًا بالأمن ؛ لأنَّها خافت كخوف إبراهيم .

والسادس : أنَّها كانت قالت لإبراهيم : اضمم إليك ابن أخيك لوطًا ؛ فإنَّه سينزل العذاب بقومه ، فلمَّا جاءت الملائكة بعذابهم ، ضحكت سرورًا بموافقتها للصواب)) [1]

فتأمَّل أنَّ ابن الجوزي ذكر في زاده للضحك في قوله تعالى : (فَضَحِكَتْ) ثلاثة أوجه ليس من بينها وجه الفرح الذي قال به في نزهته ، يضاف إلى ذلك أنَّه بعد أن جعل الفرح وجهًا للضحك ، قال : ((أي : فرحت بالبشرى ، وقيل : حاضت ، وقيل : هو من الضحك المعروف)) فأشار إلى جعل الضحك بمعنى الضحك المعروف بصيغة التضعيف والتقليل : قيل ، في حين قال عنه في تفسيره : ((وهو قول الأكثرين)) ثمَّ أكَّد أنَّه الضحك بعينه عندما ذكر أسبابه الستة ، وهذا ديدنه ، أنَّه دائمًا ينكر أو يبطل في زاده ما قاله في نزهته .

وقد تقدم قول الراغب ومن تبعه : ((وضحكها كان للتعجب ، بدلالة قوله تعالى : (قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ){هود : ٧٣} وقول من قال : حاضت فليس ذلك تفسيرًا لقوله (فَضَحِكَتْ) كما تصوَّره بعض المفسرين ، فقال : ضحكتْ بمعنى حاضت ، وإنَّما ذكر ذلك تنصيصًا لحالها ، وأنَّ الله تعالى جعل ذلك أمارة لِما بُشِّرتْ به ، فحاضت في الوقت ليُعلَم أنَّ حملها ليس بمنكر ؛ إذ كانت المرأة ما دامت تحيض فإنَّها تحبل)) [2] فيكون

([1]) زاد المسير ١٠٠/٤

([2]) المفردات ص ٣٠٣ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٣٦٩/٢-٣٧٠ وبصائر ذوي التمييز ٤٦٠/٣-٤٦١

المعنى : أنَّها لمَّا بُشِّرتْ حاضت في الحال ، ولم تكن تحيض من قبل فضحكت من حيضها فرحًا وتعجبًا ؛ لأنَّه كان علامة على تحقيق البشرى

قال الطبري : ((وقوله : (فَضَحِكَتْ) اختلف أهل التأويل في معنى قوله (فَضَحِكَتْ) وفي السبب الذي من أجله ضحكتْ ، فقال بعضهم : ضحكت الضحك المعروف تعجبًا من أنَّها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون ... وقال آخرون : بل ضحكت من أنَّ قوم لوط في غفلة ، وقد جاءت رسل الله لهلاكهم ... وقال آخرون : بل ضحكت لمَّا رأت بزوجها إبراهيم من الرَّوع ... وقال آخرون : بل ضحكت حين بُشِّرتْ بإسحاق تعجبًا من أن يكون لها ولد على كِبَر سنِّها ، وسنِّ زوجها ... وقال آخرون : بل معنى (فضحكت) في هذا الموضع : فحاضت ... وقال آخرون : بل ضحكت سرورًا بالأمن منهم لمَّا قالوا لإبراهيم : لا تخفْ وقد كان خافهم ، وخافتهم أيضًا كما خافهم إبراهيم ، فلمَّا أمنتْ ضحكتْ ... وأولى الأقوال التي ذُكِرَتْ في ذلك بالصواب قول مَن قال ، معنى قوله : (فَضَحِكَتْ) فعجبت من غفلة قوم لوط عمَّا قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه)) [1]

وجعْلُ الضحك بمعنى الحيض ردَّه جمهور المفسرين ، قال الفراء : ((وأمَّا قوله (فَضَحِكَتْ) حاضت فلم نسمعه من ثقة))[2] وقال ابن قتيبة : (((فَضَحِكَتْ) قال عكرمة : حاضت ، من قولهم ضحكتِ الأرنب : إذا حاضت ، وغيره من المفسرين يجعله الضحك بعينه ، وكذلك هو في التوراة ، وقرأتُ فيها : أنَّها حين بُشِّرتْ بالغلام ضحكتْ في نفسها ، وقالت من بعد ما بَلَيتُ أعود شابَّة ، وسيدي إبرهيم قد شاخ))[3] وقال الزجاج : ((فأمَّا من

([1]) جمع البيان ٨٦/١٢-٨٩

([2]) معاني القرآن ٣٣٨/١

([3]) تفسير غريب القرآن ص ٢٠٥-٢٠٦

قال : ضحكتْ : حاضت ، فليس بشيء))[1]وقال القرطبي : ((وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون في كلام العرب ضحكتْ بمعنى حاضت ، وقال الجمهور : هو الضحك المعروف))[2] وقال الشوكاني : ((والضحك هنا هو الضحك المعروف الذي يكون للتعجب ، أو للسرور ، كما قاله الجمهور)) [3]

فالوجه الذي قاله الحيري والدامغاني ، هو قول من عدة أقوال ، هذا من جهة ، وهو القول الخامس من جهة أخرى ، وهو قول ردّه جمهور المفسرين من جهة ثالثة ، والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أضعفها ، وأبعدها عن الصواب ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه لا تدخل في باب التحريف فحسب ، بل تدخل أيضًا في باب الخيانة العلمية في التفسير

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الضحك لا يعني الحيض ، وإنّما صحكت بسبب حيضها ، والتحريف الحاصل أنّهم لم يجعلوا الضحك بمعناه بل بمعنى أحد أسبابه ، وقد قيل في سببه سبعة أقوال منها حيضها فباتباع هذه الطريقة جاز لأصحاب كتب الوجوه أن يجعل سبعة منهم الضحك بمعنى قول من هذه الأقوال ، ولكن ما هكذا تورد أهل الوجوه الإبل .

وقد تقدّم أنّ ابن الجوزي جعل الضحك في الوجه السابع بمعنى الفرح ، وجعلَه الدامغاني في الوجه الرابع بمعنى الإعجاب في قوله تعالى : (ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) وفي التفسير أنَّها ((ضاحكة من السرور ، بما أعطاها الله من النعيم والكرامة))[4]

([1]) معاني القرآن وإعرابه ٥١/٣

([2]) الجامع لأحكام القرآن ٥١/٩وينظر : فتح القدير للشوكاني ٦٥٠/٢

([3]) فتح القدير ٦٥٠/٢

([4]) جامع البيان ٧٨/٣٠ وينظر : زاد المسير ٢٠٦/٨ وأنوار التنزيل ٢٨٨/٥

وجعله الدامغاني وابن الجوزي في الوجه الخامس بمعنى التعجب ، في قوله تعالى (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا) والإنسان لا يضحك إلّا عن سبب ، فلو صحَّت هذه الأوجه وما جاء في التفسير ، فإنّها لا تعني الضحك ، بل هي أحد أسبابه ، فجعل الضحك بمعانيها تحريف لدلالته ، أي : أنَّ التحريف الحاصل هو عدم جعل المُسّبَّب بمعناه بل بمعنى سببه

الثالثة : طريقة المجاز : جعلوا الضحك في الوجه الثالث بمعنى الاستهزاء في قوله تعالى : (وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ) والضحك يستعار للسخرية والاستهزاء [1] فالضحك هنا لفظ مستعار ، أي : هو لفظ مجازي ، فيكون المراد جعل الاستهزاء بمعنى الضحك ، لا جعل الضحك بمعنى الاستهزاء ، والتحريف الحاصل الذي قد يكون خفيًّا غير ظاهر ، هو أنَّهم قلبوا المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز ، ويُعدُّ أيضًا من الهدم في اللغة الخلط بينهما

الرابعة : جعل اللفظ بمعنى لفظ آخر مجاور له في السياق : فقد جعل ابن الجوزي الضحك في الوجه السادس بمعنى الإشراق في قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ {٣٨} ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ){عبس : ٣٩}[2] هذا هو المعنى الذي عيَّنه للضحك في النزهة ، إلّا أنَّه قال في تفسيره : ((قوله : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ) أي : مضيئة (ضَاحِكَةٌ) لسرورها (مُّسْتَبْشِرَةٌ) أي فرحة بما نالها من كرامة الله عز وجل))[3] فيكون الإشراق هو معنى (مُّسْفِرَةٌ) كما جاء في الزاد ، لا معنى (ضَاحِكَةٌ) كما جاء في النزهة ، فالمراد من الضحك الضحك بعينه ، وجعله بمعنى الإشراق تحريف لدلالته .

([1]) ينظر : المفردات ص ٣٠٣ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢/٣٦٩-٣٧٠ وبصائر ذوي التمييز ٣/٤٦٠-٤٦١

([2]) ينظر : نزهة الأعين ص ١٨٤

([3]) زاد المسير ٨/٢٠٦

٨-**الغمُّ** : قال ابن الجوزي : ((الغمُّ في القرآن الكريم على وجهين :

أحدهما : الغمّ نفسه ، ومنه قوله تعالى : (فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ){آل عمران :١٥٣}

والثاني : القتل ، ومنه قوله تعالى : (وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ){طه : ٤٠}))[١]

قال ابن فارس : ((الغين والميم أصل صحيح يدلُّ على تغطية وإطباق ، تقول : غممتُ الشيءَ أغمُّه ، أي : غطيته٠٠٠ومن الباب الغمام جمع غمامة ، وقياسه واضح٠٠٠وغمّه الأمرُ غمًّا ، وهو شيء يغشى القلبَ معروف))[٢] وقال العسكري : ((والغمُّ : معنى ينقبض القلب معه ويكون لوقوع ضرر قد كان ، أو توقع ضرر يكون ، أويتوهَّمُه))[٣] وقال الراغب : ((والغمُّ ستر الشيء ، ومنه الغمام لكونه ساترًا لضوء الشمس))[٤] ((والغمُّ : الحزن الذي يغمّ القلب ، أي : يستره ويغشيه ، والغمُّ في الأصل ستر كلِّ شيء))[٥] ((والغمُّ والغمَّة : الكرب))[٦] وقد عرَّف ابن الجوزي نفسه : ((الغمُّ : حزن يغطي على القلب)[٧]

جعل ابن الجوزي الغمّ في الوجه الثاني بمعنى القتل في قوله تعالى : (وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) قال الواحدي في تفسيره :

---

(١) نزهة الأعين ص ٢١١-٢١٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٦٩٣

(٣) الفروق اللغوية ص ١٩٧

(٤) المفردات ص ٣٧٩

(٥) عمدة الحفاظ للحلبي ١٧٤/٣

(٦) لسان العرب ٨٨/١١

(٧) نزهة الأعين ص ٢١١

(((فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) من غمِّ مخافة أن تُقتَل به)) [1] وقال الزمخشري : ((اغتمَّ بسبب القتل خوفًا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون)) [2]وقال الشوكاني : (((فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) أي : الغمّ الحاصل معك من قتله خوفًا من العقوبة الأخروية أو الدنيوية أو منهما معًا ، وقيل : الغمُّ هو القتل ، وما أبعد هذا !)) [3]وابن الجوزي نفسه الذي جعل الغمّ في النزهة بمعنى القتل في في قوله تعالى : (وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) فسَّره في الزاد بقوله : ((وكان مغمومًا مخافة أن يُقتَل به)) [4]فالغمُّ لا يعنى القتل بل يعني الحزن الحاصل منه ، فتكون العلاقة بينهما علاقة المسبَّب بسببه ، فالغم لا يكون إلّا لسبب وسببه هنا قتله القبطي ، ولو أردنا أن نتبع هذه الطريقة التي اتبعها ابن الجوزي في اختلاق وجه القتل للغمِّ في قوله تعالى : (وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) لأمكن بهذه الطريقة أن نختلق للغمِّ وجهًا ثانيًا ، فنجعله بمعنى الخوف في قوله تعالى : (ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا){آل عمران : ١٥٤} ولأمكن أن نجعله بتقدير : ثم أنزل عليكم من بعد الخوف أمنة ، ولأمكن أن نختلق له وجهًا ثالثًا فنجعله بمعنى الظلمات في قوله تعالى في يونس عليه السلام حين نجاه من بطن الحوت : (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ){الأنبياء : ٨٨} والجدير بالذكر أنَّ ابن الجوزي فسَّر : (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) ((أي : نجيناه من الظلمات))[5] فالغمُّ لا يكون إلّا عن سبب ، وأسباب وأسباب الغمِّ كثيرة لا تعدُّ ولا تحصى ، فلو جعلناه بمعاني أسبابه لأمكن أن نجعل للغمِّ في اللغة وجوهًا لا تعدُّ ولا تحصى ، فجعل الغمّ بمعنى القتل

---

(1) الوسيط ٢٠٦/٣

(2) الكشاف ٦٢/٣

(3) فتح القدير ٤٥٢/٣

(4) زاد المسير ٢١٢/٥

(5) زاد المسير ٢٨٢/٥

، أو الخوف ، أو الظلمات تحريف لدلالته ؛ لأنَّه من التحريف عدم جعل المسَبَّب بمعناه بل بمعنى سببه

٩-النجاة : ذكر الدامغاني وابن الجوزي أنَّ النجاة في القرآن على أربعة أوجه :

الوجه الأول : الخلاص من العقوبة أو الضرر ، كقوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ){البقرة : ٤٩}

والوجه الثاني : السلامة من الهلاك ، كقوله تعالى : (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ){يونس : ١٠٣}

والوجه الثالث : النجاة من النجوة ، كما فال الدامغاني ، أو الارتفاع ، كما قال ابن الجوزي ، كقوله تعالى : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ){يونس : ٩٢} أي : نرفعك على أعلى البحر

والوجه الرابع : التوحيد ، كقوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ){غافر : ٤١}[١]

((نجا فلان من الشرِّ نجاة٠٠٠والنجاة : النجوة من الأرض ، أي : الارتفاع ، لا يعلوه الماء)) [٢] و((النجاة : الخلاص من المكروه))[٣] ((وأصل النجاء الانفصال من الشيء ، ومنه نجا فلان من فلان ، وأنجيته ونجَّيته٠٠٠والنجوة والنجاة : المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عمَّا حوله ،

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٣٨ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص٢٨٢

(٢) العين للخليل ص ٩٤٤ وينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٣٥٠٨/٤ ومقاييس اللغة لابن فارس ص ٨٨٧

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٣٧

وقيل : وسُمِّيَ لكونه ناجيًا من السيل ، ونجَّيته : تركته بنجوة ، وعلى هذا قوله تعالى : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ))) [1]

جعل الدامغاني وابن الجوزي النجاة في الوجه الثالث بمعنى المكان المرتفع في قوله تعالى : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) وهذا هو معنى النجاة بعينه كما عرَّفه أهل اللغة

وقد اختلقا الأوجه الثلاثة الباقية بطريقتين :

الأولى : جعل المسبّب بمعنى سببه

وجعلوا النجاة في الوجه الرابع بمعنى التوحيد في قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة : (مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ) من عذاب الله وعقوبته بالإيمان به ، واتباع رسوله موسى ، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه (وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) يقول : وتدعونني إلى عمل أهل النار ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)) [2] وقال ابن عطية : ((والدعاء إلى طاعة الله وعبادته وتوحيده هو الدعاء إلى سبب النجاة ، فجعله دعاء إلى النجاة اختصارًا واقتضابًا ، وكذلك دعاؤهم إياه إلى الكفر واتباع دينهم ، هو دعاء إلى سبب النار ، فجعله دعاء إلى النار اختصارًا))[3] فهذا هو تفسير النجاة في الآية فأين هو من معنى التوحيد ؟ وقد تقدم أنَ الحجة التي استدل بها أصحاب كتب الوجوه على صحة الوجه الذي ينسبونه إلى اللفظ هو جواز أن يقع موقعه ويؤدي معناه ، وهذا الوجه هنا لا يصح فيه ذلك ؛ لأنَّه لا يصحّ أن يكون التقدير :

([1]) المفردات ص ٥٠٥-٥٠٦

([2]) جامع البيان ٧٩/٢٤ وينظر : الوسيط ١٤/٤

([3]) المحرر الوجيز ٥٦١/٤

وما لي أدعوكم إلى التوحيد من النار ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ التوحيد لو أريد أن يكون له موضع في الآية لكان تقديرها : ما لي أدعوكم إلى النجاة بتوحيد الله ، وتدعونني إلى النار بالإشراك به ، فالوجه الذي قالوا به لا يصحُّ ، لأنَّ التوحيد سبب النجاة ، والنجاة مسبَّة عنه ، فمن التحريف الدلالي جعل المسبَّب بمعنى سببه ، كما أنَّ في ذلك خلطًا بين الأسباب ومسبَّباتها ؛ لذلك كان هذا الوجه غير متسق مع سياق الآية ؛ وأكبر دليل على ذلك أنَّ ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة جعل النجاة بمعنى التوحيد في قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) قال في تفسيره : ((ومعنى الآية : أخبروني كيف الحال ، أدعوكم إلى النجاة من النار بالإيمان ، وتدعونني إلى النار))[1] وتأمَّل أنَّ ابن الجوزي الذي جعل النجاة بمعنى التوحيد في النزهة ، لم يجعله بمعناه في تفسيره ، بل جعله المسبَّب عنه ، وتأمَّل مرة أخرى ، أنَّه جعل سبب النجاة في النزهة التوحيد ، وجعله في تفسيره الإيمان ، وقد جعله الطبري الإيمان بالله ، واتباع رسوله ، والتصديق بما جاء به من عند الله

الثانية : الترادف : فقد جعل الدامغاني وابن الجوزي النجاة في الوجه الأول بمعنى الخلاص من العقوبة أو الضرر في قوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ) وأهل التفسير ، كما وجدتُهم ، إذا وجدوا اللفظ القرآني معروفًا معناه أبقوه على بابه ولفظه ، قال الطبري : ((أمَّا تأويل قوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم) فكأنَّه قال : اذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم ، واذكروا إنعامنا عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون بإنجائنا لكم منهم))[2] وقال الزجاج : ((وقوله عز وجل : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ) موضع إذ نصب ، كأنَّه

([1]) زاد المسير ٨٢/٧

([2]) جامع البيان ٣١٠/١

قال : واذكروا إذ نجيناكم من آل فرعون)) [١]وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل النجاة بمعنى الخلاص من الضرر قال في تفسيره ((تقديره : واذكروا إذ نجيناكم)) [٢] وإذا فسَّروه فسَّروه بما يرادفه ، أو كما عرَّفه أهل اللغة ، قال مقاتل : ((فقال سبحانه : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم) يعني : أنقذناكم))[٣] وقال الواحدي في تفسير الآية نفسها : ((التنجية : الخلاص من مكروه وشدة ، ومثله الإنجاء))[٤] وقال القرطبي : ((ومعنى (نَجَّيْنَاكُم) ألقيناكم في نجوة من الأرض ، وهي ما ارتفع منها ، هذا هو الأصل ، سمِّي كل فائز ناجيًا ، فالناجي من خرج من ضيق إلى سعة))[٥]ولا بأس في تفسير اللفظ بما يرادفه في كتب التفسير ، لأنَّ المراد منه إيضاح اللفظ ، وعدم تعيينه بمعنى مرادف من دون غيره ، لكن عند جعل المرادف للفظ وجهًا له فهذا يعني تعيينه والقطع به ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ الخلاص لا يعني النجاة بل هو قريب منه ، وهذا ما صرَّح به ابن الجوزي نفسه قبل أن يجعل النجاة بالأوجه المذكورة ، فقال : ((باب النجاة ، النجاة ، والخلاص ، والسلامة متقارب ، يقال : نجَّيتُ فلانًا أنجيه إذا خلَّصتَه من شرٍّ وقع فيه))[٦] فهو يقرّ بأنَّ بينهما فرقًا في المعنى ، وهذا ما بيَّنه أهل اللغة ، قال الخليل : ((خلص الشيء خلوصًا إذا كان قد نشب ثمَّ نجا وسلم٠٠٠وخلَّصتُه : نحيته من كلِّ شيء ينشب تخليصًا ، وتخلَّصتُه كما يتخلَّص الغزل إذا التبس)) [٧] ((ونشب

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٨/١-١١٩

(٢) زاد المسير ٦٦/١

(٣) تفسير مقاتل ٤٦/١

(٤) الوسيط ١٣٤/١

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٧/١ وينظر : فتح القدير للشوكاني ١٠٣/١

(٦) نزهة الأعين ص٢٨٢

(٧) العين ص٢٦١ وينظر : لسان العرب ١٢٥/٥

الشيء في الشيء ، كما ينشب الصيدُ في الحبالة))[1] وقال ابن فارس : ((الخاء والصاد واللام أصل واحدٌ مطرد ، وهو تنقية الشيء وتهذيبه ، يقولون : خلَّصته من كذا)) [2] أي : مما علق به ، وقال العسكري : ((النجاة هي الخلاص من المكروه)) وذكر : ((أنَّ الفرق بين النجاة والتخلص أنَّ التخلص يكون من تعقيد ، وإن لم يكن أذى ، والنجاة لا تكون إلّا من أذى ، ولا يقال لمن لا خوف عليه : نجا ؛ لأنَّه لا يكون ناجيًا إلاَّ مما يخاف)) [3] فبين النجاة والخلاص الفرق المعنوي المذكور فجعلها في باب الوجوه بمعناه تحريف لدلالتها

وجعلا النجاة في الوجه الثاني بمعنى السلامة من الهلاك في قوله تعالى : (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ) والسلامة غير النجاة ، قال ابن فارس : ((السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية ، فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى ، قال أهل العلم : الله جلَّ ثناؤه هو السلام لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء)) [4] فالفرق واضح بين النجاة والسلامة ، والمراد من النجاة في قوله تعالى : (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ) النجاة بعينها لا السلامة ، لذلك استعمل أهل التفسير المصطلح الأول من دون الثاني ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السابقة الذين هلكوا بعذاب الله ، فإنَّ ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم ومن كان مثل الذي هم عليه من تكذيبك ، ثم ننجي هناك رسولنا محمدًا ومن آمن به

([1]) العين ص ٩٥٩

([2]) مقاييس اللغة ص ٢٦٦

([3]) الفروق اللغوية ص ٢٣٧

([4]) مقاييس اللغة ص٤١٢

وصدَّقه واتبعه على دينه ، كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكنا أممهم فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حقَّ على أممهم))[١] وقال الزجاج : ((وننجي: أي : إذا أُهلكت قرية أنجى الله الأنبياء والمؤمنين مما ينزل بأهلها))[٢] وقال الواحدي : (((ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ) هذا إخبار عمَّا كان الله يفعل بالأمم الماضية من إنجاء الرسل والمصدقين لهم عمَّا يعذب به من كفر ، (كَذَلِكَ) مثل ذلك الإنجاء (حَقًّا عَلَيْنَا) واجبًا علينا (نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ) بمحمد من عذابي))[٣] وقال ابن عطية : ((وقوله تعالى : (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا) لمَّا كان العذاب لم تحصر مدته ، وكان النبي والمؤمنون بين أظهر الكفرة وقع التصريح بأنَّ عادة الله سلفت بإنجاء رسله ومتبعيهم)) [٤] وقال البيضاوي : ((كأنَّه قيل : نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم٠٠٠كذلك ننجي محمدًا وصحبه حين نهلك المشركين)) [٥] فالنجاة غير السلامة فجعلها بمعناها تحريف لدلالتها

١٠-**الوِرْد** : ذكر الدامغاني وابن الجوزي أنَّ الوِرد في القرآن الكريم وردَ على خمسة أوجه :

الوجه الأول : الطلب ، كقوله تعالى : (وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ){يوسف : ١٩} والمعنى : فأرسلوا طالبهم

والوجه الثاني : الورد يعني البلوغ ، كقوله تعالى : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ){القصص : ٢٣} أي : بلغ ماء مدين

---

(١) جامع البيان ٢٠٢/١١

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٠/٣

(٣) الوسيط ٥٦١/٣

(٤) المحرر الوجيز ١٤٦/٣

(٥) أنوار التنزيل ١٢٥/٣

الوجه الثالث : الورد يعني العطاش ، كقوله تعالى : (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا){مريم : ٨٦} أي : نسوقهم عطاشًا

والوجه الرابع : الورود الممر والحضور ، كقوله تعالى : (وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا){مريم : ٧١}

والوجه الخامس : الورود يعني الدخول ، كقوله تعالى : (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ){هود : ٩٨} يعني : أدخلهم النار[١]

الوِرد يعني الوِرد بعينه ، أينما ورد في كتاب الله ، أمّا الأوجه المذكورة فمختلقة بطريقتين :

الأولى : طريقة الترادف ، فالطلب ، والبلوغ ، والممر والحضور ، والدخول ، كما جاء في الوجه الأول ، والثاني ، والرابع ، والخامس ، معان قريبة من الورود ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والتحريف الحاصل هو عدم جعل الوِرد ، أو الورود بمعناه بل بمعاني مرادفاته .

الثانية : جعل المسبَّب بمعنى سببه ، فقد جعل الدامغاني وابن الجوزي الوِرْد في الوجه الثالث بمعنى العطاش في قوله تعالى : (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا){مريم : ٨٦} أي : نسوقهم عطاشًا .

قال الخليل : ((والوِرد : وقت يوم الوِرد بين الظمئين ، وهو وقتان...وقوله تعالى : (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا){مريم : ٨٦} يُفسَّر عَطاشى ، معناه : كما تساق الإبل يوم وقتها وِردًا وِردًا)) [٢] و((قال الأزهري : مشاة عِطاشًا ، كالإبل التي ترد الماء ، وقال ابن عرفة : الوِرْدُ :

---

(١) ينظر الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٦٤ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٢٩٦

(٢) العين ص ١٠٤٥

القوم يردون الماءَ ، فسمي العطاش وِردًا لطلبهم ورود الماء))[1] لأنَّ الوِرد يعني الوارد الذي يرد إلى الماء ، إنَّما يرده ليطفئ حرَّ العطش ، ويذهب ظمأه ، أي : إنَّما يراد من الورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد ، والنار ضدّه[2] فقد شُبِّه سوقهم إلى جهنم بورود الإبل للماء للارتواء ، أي : أنَّ الورود دافعه وسببه العطش ، وهذا يدخل ضمن المجاز المرسل ، وهو ما كان من غير طريق التشبيه ، وعلاقاته أنواع ، منها علاقة السببية ، وهو كون الشيء المنقول عنه سببًا ومؤثِّرًا في شيء آخر نحو : رعت الماشية المطر ، أي : رعت العُشْبَ ، فسمَّى المسَبَّب باسم السبب ، أي : سمَّى العشب باسم المطر ، ومن ذلك علاقة المُسَبَّبيَّة ، وهو تسمية السبب باسم المَسَبَّب ، نحو : أمطرت السماء عُشبًا ، أي : تسمية الماء باسم العشب ، ومن هذا قوله تعالى : (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) حيث سمَّى العطاش باسم الورد ، فالعلاقة مسبَّبيَّة ، فالورد هنا باق على معناه ، وجعله بمعنى العطاش يكون من تسمية المسبَّب باسم سببه ، ويعدُّ هذا من التحريف ، والزيغ في التأويل ، وهو عدم جعل المسَبَّب بمعناه بل بمعنى سببه ، ويُعدُّ أيضًا من الهدم في لغة القرآن الكريم الخلط في الدلالة بين الأسباب والمُسَبَّبات .

الطريقة السادسة عشرة : جعل الجمع بمعاني المفرد

من أمثلتها ما جاء من وجوه الألفاظ الآتية :

١-**أوتوا العلم** : قال الحيري : ((أوتوا العلم ، على خمسة أوجه :

أحدها : الملائكة ، كقوله تعالى : (قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ){النحل : ٢٧}

---

(1) عمدة الحفاظ للحلبي ٣٠١/٤

(2) ينظر : الكشاف للزمخشري ٤١٠/٢ وفتح القدير للشوكاني ٦٦٦/٢

الثاني : الأنبياء ، كقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالأيمَانَ){النحل : ٥٦} وقيل عن الملائكة

الثالث : يوشع بن النون ، كقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ){القصص : ٨٠}

الرابع : عبد الله بن مسعود ، كقوله تعالى : (قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا){محمد : ١٦}

الخامس : عبد الله بن سلام ، كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا){الإسراء : ١٠٧}))[١]

ليس المراد كما فعل الحيري تسمية (أوتوا العلم) ووصفهم بالأوجه المذكورة ، بل المراد تسميتها ووصفها بهم ؛ لأنّ قوله : (أُوتُواْ الْعِلْمَ) صفة عامة تنطبق على كلّ من آتاه الله العلم ؛ فهي إذن أوجه مختلَقة بطريقة الدراسة المعكوسة

جعل الحيري لفظ (أوتوا العلم) في الوجه الأول بمعنى الملائكة في قوله تعالى : (قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) وقوله : (أُوتُواْ الْعِلْمَ) وقد جاء في التفسير أنَّ في قوله تعالى : (قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ) في هذه الآية ((ثلاثة أقوال ، أحدها : أنَّهم الملائكة ، والثاني : أنَّهم الحفظة من الملائكة ، والثالث : المؤمنون)) [٢] فمن الواضح جدًّا أنَّ المراد الموصوفون بهذه الصفة من دون تعيين ؛ لأنَّه لو أراد تعيينهم لصرَّح بلفظهم ، فيكون تعيين قوله تعالى : (الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ) بأنَّهم الملائكة يعدُّ تحريفًا ظاهرًا لدلالته

---

(١) وجوه القرآن ص ١٠٨-١٠٩

(٢) زاد المسير ٣٣٥/٤

وجَعَلّ (أوتوا العلم) في الوجه الثاني بمعنى الأنبياء ، ثم قال : ((وقيل عن الملائكة)) وقوله هذا يقتضي إخراج هذا المعنى من باب الوجوه وإدخاله في باب التفسير والتأويل ؛ لأنَّ الباب الأول يستوجب تعيين المعنى والقطع به وعدم تعدد الأقوال والاختلاف فيه ، وجاء في التفسير أنَّ في قوله تعالى : ((وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإيمَانَ) ((قولان ، أحدهما : أنَّهم الملائكة ، والثاني : المؤمنون)) [1] وكما قلتُ في الوجه الأول أنَّ قوله : (أُوتُواْ الْعِلْمَ) صفة عامة تنطبق على كل من آتاه الله العلم ؛ لذلك جاز أن يراد بها الملائكة أو الأنبياء ، أو المؤمنون أو غيرهم ، فمن الواضح أيضًا أنَّ المراد الموصوفون بهذه الصفة من دون تعيين ؛ لأنَّه لو أراد تعيينهم لصرَّح بلفظهم ، وتعيين ما لم يرد تعيينه يعني التحريف بعينه .

وجعَلَ (أُوتُواْ الْعِلْمَ) في الوجه الثالث بمعنى يوشع بن النون في قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ) كيف تسنى للحيري القول بهذا الوجه ؟! وكيف يصح أن نجعل الجمع بمعنى المفرد ؟ وكيف يصح أن يكون التقدير : وقال الذين يوشع بن النون؟! ما هذا ؟! وأكبر من هذا أنَّ الحيري لم ينبِّه على هذه القضية ، ولم يؤتنا بأي حجّة كانت لتسويغ هذا الوجه ، مما يدل على استخفافه بعقول القارئين ، ومن البديهي أنَّك لا تجد مفسِّرًا قال بهذا الوجه ، فقد رجعتُ إلى كتب التفسير بدءًا بتفسير مقاتل المتوفى سنة ١٥٠هـ وانتهاء بتفسير ابن عاشور المتوفى سنة ١٩٥٠م فلم أجد أحدًا منهم من قال أو نقل عن غيره أنَّ قوله تعالى : (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) يعني يوشع بن النون أو تعود إليه أو إلى غيره ، بل فسروا الآية بأنَّ العلماء قالوا للذين تمنَّوا مكان قارون : ويلكم اتقوا الله

---

(1) زاد المسير ١٦٤/٦

وأطيعوه[١] ومنهم من ذكر نقلًا عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ الذين أوتوا العلم هم أحبار بني إسرائيل قالوا للذين تمنَّوا مكانه[٢]

وجَعَلَ(أُوتُواْ الْعِلْمَ) في الوجه الرابع بمعنى عبد الله بن مسعود ، في قوله تعالى : (مِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا) وهذا الوجه كالوجه السابق ، لم يقل به المفسرون لِما ذكرته ، ولكن قال به مقاتل[٣] ولا غرابة في ذلك فمقاتل شيخ الوجوهيين ، وهم به مقتدون ، ولم يقل بهذا الوجه من المفسرين غيره ، ولكن أشار إليه بعضهم بصيغة التضعيف ، فقد قال الزمخشري في تفسير هذه الآية : ((هم المنافقون : كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعون كلامه ، ولا يعونه ، ولا يلقون له بالًا تهاونًا منهم ، فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة : ماذا قال الساعة ؟على جهة الاستهزاء ... وقيل : قالوه لعبد الله بن مسعود ، وعن ابن عباس : أنا منهم ، وقد سَمِّيتُ فيمن سُئِل)) [٤] وقال الشوكاني : ((وهم علماء الصحابة رضي الله عنهم ، وقيل : عبد الله بن عباس ، وقيل : عبد الله بن مسعود ، وقيل : أبو الدرداء ، والأول أولى ، أي : سألوا أهل العلم)) [٥]

---

(١) ينظر : تفسير مقاتل ٥٠٦/٢ وجامع البيان للطبري ١٣٥/٢٠ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٨٦/٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣٠/٦

(٢) ينظر : الوسيط للواحدي ٣٠٩/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ١١٦/٦ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٧/١٣ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٨٦/٤وفتح القدير للشوكاني ٢٢٣/٤

(٣) ينظر : تفسير مقاتل ٢٣٧/٣

(٤) الكشاف ٣١٤/٤

(٥) فتح القدير ٤٣/٥

وكان ينبغي للذين نقلوا هذا الوجه أن لا يكتفوا بتضعيفه ، بل بردِّه على قائله وبيان فساده وبطلانه ، أو عدم الإشارة إليه ، كما فعل أعيان المفسرين وجمهورهم ، قال الطبري في تفسير الآية : ((عن ابن عباس في قوله تعالى ((قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا) قال ابن عباس : أنا منهم ، وقد سُئِلْتُ فيمَن سُئِل)) [١] وقال الواحدي : ((فإذا خرجوا من المسجد قالوا لأولي العلم من الصحابة))[٢] وقال ابن الجوزي : ((فالمراد بهم علماء الصحابة)) [٣] وقال أبو حيان الأندلسي : (((قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) وهم السامعون لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة الواعون له))[٤] وقال الآلوسي : ((أي : لأولي العلم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وقيل : الواعون لكلامه عليه الصلاة والسلام الراعون له حقّ رعايته من الصحابة رضي الله تعالى عنهم)) [٥] وقال ابن عاشور : ((هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الملازمون لمجلسه الملازمون له ، وسُمِّي منهم : عبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، وابن عباس ، وروي عنه أنَّه قال : أنا منهم ، وسُئِلْتُ فيمن سُئِل)) [٦]

ومعنى الآية كما هو واضح : أنَّ المنافقين كانوا كلّما خرجوا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سألوا علماء الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا معهم في المجلس ، وكانوا مرة يسألون ابن مسعود ، ومرة

---

(١) جامع البيان ٦١/٢٦

(٢) الوسيط ١٢٤/٤

(٣) زاد المسير ١٨٩/٧ وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤٢/٧

(٤) البحر المحيط ١١١/٨

(٥) روح المعاني ٢٠٦/١٣

(٦) التحرير والتنوير ٨٤/٢٦

ابن عباس ، ومرة أبا الدرداء ، أو غيرهم ، أو يكون المعنى أنَّ منهم من سأل هذا ، ومنهم من سأل ذاك ، ولهذا استعمل القرآن الكريم ضمير الجماعة ، وقال : (قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ولو كان المراد واحدًا منهم دون الآخرين لأفرد وقيل : قالوا للذي أوتي العلم .

وجَعَلَ (أُوتُوا الْعِلْمَ) في الوجه الخامس بمعنى : عبد الله بن سلام ، في قوله تعالى : (قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا {١٠٧} وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً {١٠٨} وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا){الإسراء : ١٠٧-١٠٩} كيف يصح أن نجعل (الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ) بمعنى عبد الله بن سلام ؟! فلو أراد عالمًا ما لقال : الذي أوتي العلمَ ، فكيف يصحّ أن نجعل الجمع بمعنى المفرد ؟! فأين نذهب بضمائر الجمع : الواو في (يَخِرُّونَ) وَ (يَقُولُونَ) و (يَبْكُونَ) وضمير المتكلمين (نَا) في (رَبِّنَا) وضمير الغائبين (هُمْ) في (عَلَيْهِمْ) و (يَزِيدُهُمْ) وهذه الضمائر جميعها تعود إلى واو الجمع في (أُوتُوا الْعِلْمَ) ؟! ومن البديهي أيضًا أنَّك لا تجد أحدًا من المفسرين قال بالوجه الذي قال به الحيري ، حتى مقاتل بن سليمان ، فقد قال في تفسير قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ) ((يعني عبد الله بن سلام وأصحابه)) [١] وذكر الطبري أنَّهم مؤمنوا أهل الكتاب[٢] وقال الواحدي (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ) من قبل نزول القرآن ، يعني : طلاب الدين مثل أبي ذر ، وسلمان ، وورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو)) [٣] وقال الزمخشري : ((فإن قلتَ : (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ) تعليل لماذا ؟ قلتُ : يجوز أن يكون تعليلًا لقوله : (آمِنُواْ

---

(١) تفسير مقاتل ٢٧٦/٢

(٢) جامع البيان ٢٠٧/١٥

(٣) الوسيط ١٣٢/٣

بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ) وأن يكون تعليلًا لـ(قل) على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه ، كأنَّه قيل : تسلَّ عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء ، وعلى الأول إن لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم)) [١]
وقال ابن الجوزي : (((إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ) وفيهم ثلاثة أقوال ، أحدها : أنَّهم ناس من أهل الكتاب ، والثاني : أنَّهم الأنبياء ، والثالث : أنَّهم طلاب الدين)) [٢]

وقد يكون الحيري نقل هذه الأوجه الثلاثة الأخيرة من وجوهيٍّ قبله ، وجَعْلُ الجمع بمعنى المفرد لم يكن منهجه وحده ، بل هذا هو منهج أصحاب كتب الوجوه بعامَّة[٣] وقد تقدَّم في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، جعلهم الطاغوت الدال على الجمع بمعنى : كعب بن الأشرف اليهودي ، في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ){البقرة : ٢٥٧} [٤]

وجعلهم الجمع بمعنى المفرد يُعدُّ هدمًا لقواعد العربية التي هي لغة كتاب الله ، كما أنَّه يدل على أنَّ أصحاب كتب الوجوه لا يتحرَّون مطابقة الوجه للمعنى المراد فحسب ، بل لا يتحرّون ، ولا يتورّعون ، ولا يبالون ، ولا يستحون من مخالفة الوجه للمعنى الظاهر من النص القرآني .

---

(١) الكشاف ٦٧٢/٢ وينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٦٩/٣

(٢) زاد المسير ٧١/٥ وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٤٩١/٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٣/١٠

(٣) ينظر : كتابي : لا وجوه ولا نظائر ص ١٤٩–١٥٨ رقم اللفظ ١٥

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر ص١١٥–١١٦، وباسم الوجوه والنظائر ص ٢٧–٢٨ ، والوجوه والنظائر لهرون ص ٦٧ وينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٢٠ ونزهة الأعين ص ١٨٨–١٨٩ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص١٦٨–١٦٩.

٢-**السنين** : قال الدامغاني : ((تفسير السنين على أربعة أوجه :

فوجه منها : السنين ، يعني الجدوبة ، قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ){الأعراف : ١٣٠} يعني : بالجدوبة

والوجه الثاني : السنين : الأيام والدهور ، قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ){يونس : ٥}

والوجه الثالث : السنين ، يعني السنة بعينها ، قوله تعالى : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا){الكهف : ٢٥}

والوجه الرابع : السنين بعينها ، قوله تعالى : (سَيَغْلِبُونَ {٣} فِي بِضْعِ سِنِينَ){الروم : ٣-٤}))[١]

جَعْلُ السنين في الوجه الرابع تعني السنين بعينها ، يعني أنّ الأوجه الثلاثة الباقية لا تعني السنين بعينها ، فهي إذن أوجه مختلفة بطريقتين :

الأولى : جعل الجمع بمعنى المفرد : جَعَلَ السنين في الوجه الثالث يعني السنة بعينها ، في قوله تعالى : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) منونًا ، و(سِنِينَ) في موضع نصب بدل ، وقرأ حمزة والكسائي (ثَلاثَ مِائَةِ سِنِينَ) مضافًا غير منون بوضع سنين موضع سنة ، وإيقاع الجمع موقع المفرد[٢] ذلك أنَّ الأصل في تمييز المئة أن يكون مفردًا مجرورًا ، ((وفي مصحف عبد الله (سنة) بالإفراد ، وبها قرأ أُبَي ، وقرأ الضحاك

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٢٦٥

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء ٦٣/٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٥١ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٦٦ والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٤٣٣/٣-٤٣٦ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٦/١٠ والدر المصون للحلبي ٤٧٠/٧-٤٧١

(سِنون) بالواو على أنَّها خبر مبتدأ مضمر ، أي : هي سنون))[1] وقراءة الإفراد : (ثلاثمئة سنة) قراءة شاذة فهي ليست من القراءات السبع ، ولا القراءات العشر ، بل لم أجدها حتى في القراءات الأربع عشرة ، والقراءات الشاذة مخالفة لرسم المصحف ، ولا يُعتدُّ بها ، ولا تُعدُّ من القرآن ، بل مَن قرأ بها في صلاته بطلت صلاته ، وقد صحَّ أن يقال : وقع الجمع موقع المفرد ، أو جاء في موضعه ، لما تقدم ذكره ، لكن لا يصحُّ جعل الجمع يعني المفرد بعينه ؟ فهذا ما لم يقل به أحد من أهل اللغة ، وقالوا : لا يصح جعل الجمع بمعنى المفرد إلّا في باب المجاز .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّه جَعَلَ السنين بمعنى السنة بعينها أي : بمعنى المفرد ، في حين أنَّ المراد ، كما تقدم ، من السنين في كلتا القراءتين المتواترتين ، السنين بعينها ، أي : معنى الجمع لا معنى المفرد ، قال الفراء : ((وقرأ كثير من القراء (ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) يريدون : ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمئة ، فينصبونها بالفعل)) [2] وقال أبو عبيدة : (((ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) مقدَّم ومؤخَّر ، مجازه : سنين ثلاثمئة))[3]

ومن جهة ثالثة أنَّ مجيء تمييز المئة جمعًا لا مفردًا في قوله تعالى (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) كان لغرض مقصود ذكره أهل التفسير ، قال ابن قتيبة : ((ولم يقل سنة ، كأنَّه قال : ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة ، ثم قال : سنين ، أي : ليست شهورًا ، ولا أيامًا ، ولم يخرج مخرج ثلاثمئة درهم)) [4] و((قال الضحاك : نزلت : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ) فقالوا : أيامًا ، أوشهورًا ، أو سنين ؟ فنزلت (سِنِينَ) فلذلك قال (سِنِينَ) ولم

([1]) الدر المصون للحلبي ٤٧٠/٧

([2]) معاني القرآن ٦٣/٢

([3]) مجاز القرآن ص ١٥١

([4]) تفسير غريب القرآن ص ٢٦٦

يقل : سنة)) [١] ((وأخرج ابن مردويه عن الضحاك عن أبن عباس ، قال : لمَّا نزلت هذه الآية (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ) قيل يا رسول الله : أيامًا أم أشهرًا أم سنين ؟ فأنزل الله : (سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) وأخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك بدون ذكر ابن عباس))[٢]

فجَعْلُ السنين بمعنى السنة بعينها مخالف للقراءة المتواترة ، ولخط المصحف ، وللمعنى المراد ، فهذه هي كتب الوجوه والنظائر

الثانية : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته : جَعَلَ الدالمغاني السنين في الوجه الأول بمعنى الجدوبة في قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) والتقدير : ولقد أخذنا آل فرعون بالجدوبة ، و((السنة معروفة)) [٣]و((السنة : الحول اثنا عشر شهرًا)) [٤]((وقال المناوي[٥] : السنة تمام دورة الشمس ، وتمام ثنتي عشرة دورة للقمر ، والسنة الشمسية ثلاثمئة يوم وخمسة وستون يومًا وثلثا يوم ، والسنة القمرية أربعة وخمسون وثلاثمئة يوم وثلث عشر يوم ، فتكون السنة الشمسية زائدة على القمرية بأحد عشر يومًا وجزء من أحد وعشرين جزءًا من يوم)) [٦] فهذه هي دلالة السنة في اللغة ، لذلك تأوَّل أهل اللغة جعلها بمعنى الجدوبة على

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٩٦/٥وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٦/١٠

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣٤٨/٣

(٣) مقاييس اللغة ص ٤١٨

(٤) عمدة الحفاظ للحلبي ٢٢٧/٢

(٥) لم يعرَّفه المحقق ، وهو : محمد بن عبد الرؤوف المناوي القاهري من كبار العلماء بالدين والفنون ، له نحو ثمانين مصنفًا منها شرح القاموس المحيط ، توفي ١٠٣١هـ ينظر : الأعلام للزركلي ٢٠٤/٦

(٦) تاج العروس ١٧٣/٣٨

تأويلين : الأول : أنَّ ((السنة مطلقة : السنة المجدبة ، أوقعوا ذلك عليها إكبارًا لها وتشنيعًا واستطالة)) [1] والثاني : أنَّه ((من المجاز : أخذهم الله بالسنة والسنين ، أي : الجدب والقحط ... ومن المجاز : السنة : الأرض المجدبة على التشبيه بالسنة من الزمان ، يقال : أرض سنة ، جمعه سنون ، بالكسر ، وحكى اللحياني : أرض سنون ، كأنَّهم جعلوا كلّ جزء منها أرضًا سنة ، ثم جمعوه على هذا ، ومن السنين جمع السنة ، قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ) أي : بالجدب والقحط)) [2] وقال الزجاج في تفسير هذه الآية : ((يقال : مسَّتهم السنة ، ومعناه : جدب السنة ، وشدّة السنة)) [3] فليس المراد إذن من السنة عند ذكرها أن تكون هي الجدب ، وإنَّما المراد الجدب الذي يحصل فيها ، فالصحيح ، كما تقدم أنَّ ((السنة مطلقة : السنة المجدبة)) فغلب التعبير عن السنة بالجدب ؛ لأنَّ هذه هي أحوال الناس فيها في العادة ، فإذا ذكرت السنة أرادوا السنة المجدبة لا السنة الخصبة ، فاكتفوا بذكرها عن وصفها بالجدب ، فيكون من الزيغ في التأويل جعل قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ) بتقدير : ولقد أخذنا آل فرعون بالجدوبة ، بل التأويل الصحيح أن نجعله بتقدير : ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين المجدبات ، فتكون السنين باقية على معناها ، وقد اكتُفِي بذكر الموصوف وحُذفتْ صفته مع تقديرها للعلم بها .

وجَعَلَ السنين في الوجه الثاني بمعنى الأيام والدهور ، في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) وهذا الوجه غير موافق لمعنى الآية ؛ لأنَّ الدهور جمع دهر ، والدهر غير محدد زمانًا فهو غير قابل للعدِّ ، والله سبحانه قال :

([1]) لسان العرب ٢٨٢/٧

([2]) تاج العروس ١٧٥/٣٨

([3]) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٨/٢

(لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) قال الراغب : ((والدهر في الأصل اسم لمدة العالم من مبدإ وجوده إلى انقضائه ، وعلى ذلك قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ){الإنسان : ١} ثم يُعَبَّر به عن مدة كثيرة ...ودهرُ فلان مدة حياته ، واستعير للعادة الباقية مدة الحياة ، فقيل : ما دهري بكذا))[١] فالدهر غير قابل للعدِّ من جهة ، وزمانه ممتد عبر العصور والأجيال من جهة أخرى ، والمراد في قوله تعالى : (لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) ما يمكن عدُّه وحسابه ضمن الجيل والعصر ؛ ليستفيد أهل الجيل والعصر من عدِّه وحسابه ؛ لذلك لم أجد في كتب التفسير مَن أدخل الدهور في باب العدِّ والحساب ، قال الطبري : ((وقوله : (لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) يقول : وقدَّر ذلك منازل ؛ لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين ، دخول ما يدخل منها ، وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها ، يقول : وحساب أوقات السنين وعدد أيامها ، وحساب ساعات أيامها))[٢] وقال الواحدي : (((لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) يعني حساب الشهور والسنين والأيام والساعات))[٣]وقال الزممخشري : (((وَالْحِسَابَ) وحساب الأوقات من الشهور والأيام والليالي))[٤]

الطريقة السابعة عشرة : جعل النكرة بمعاني الأعلام المعارف

وقد مرّت شواهد من ذلك في مواضع مختلفة ، ومن أمثلتها ما كان من وجوه الألفاظ الآتية :

١-الامرأة : ذكر أهل الوجوه أن الامرأة في القرآن الكريم على اثني عشر وجهًا

---

(١) المفردات ص ١٨٠

(٢) جامع البيان ١٠١/١١

(٣) الوسيط ٥٣٩/٢

(٤) الكشاف ٣١٨/٢

الوجـه الأول ، امـرأة ، يعنـي زليخـا ، كقولـه تعـالى : (قَالَـتِ امْـرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ){يوسف : ٥١} .

والوجـه الثـاني ، امـرأة يعنـي بلقيس ، كقولـه تعـالى : (إِنِّـي وَجَـدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ){النمل : ٢٣} يعني : بلقيس .

والوجه الثالث ، امرأة يعني آسيا بنت مزاحم ، امرأة فرعون ، كقوله تعالى : (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ){القصص : ٩} يعني آسية بنت مزاحم .

والوجـه الرابـع ، امـرأة يعنـي سـارة ، كقولـه تعـالى : (وَامْرَأَتُـهُ قَآئِمَـةٌ فَضَحِكَتْ){هود : ٧١} يعني سارة .

والوجه الخامس ، امرأة عمران ، أم مريم ، وهي حنة كقوله تعالى : (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّـي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا){آل عمران : ٣٥} يعني حنة أم مريم

والوجه السادس ، امرأة لوط ، والهة كقوله تعالى : (إِلاَّ امْرَأَتَكَ){هود : ٨١}

والوجه السابع ، امرأة نوح ، واغلة أو واعلة ، كقوله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ){التحريم : ١٠} .

والوجه الثامن ، امرأة يعني أم جميل ، كقوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ){المسد : ٤} يعني امرأة أبي لهب

والوجه التاسع ، امرأة يعني بنت محمد بن سلمة ، كقوله تعالى : (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا){النساء : ١٢٨}

والوجه العاشر ، المرأتان ابنتا شعيب، ويقال ابنتا ابن أخيه يثرون كقوله تعالى : (وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ){القصص : ٢٣} يعني ابنتي أخي شعيب ، ويقال هو شعيب نفسه .

والوجه الحادي عشر ، امرأة يعني أم شريك بنت جابر العامرية ، كقوله تعالى : (وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ){الأحزاب : ٥٠}

والوجه الثاني عشر ، المرأة المجهولة ، كقوله تعالى : (فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ){البقرة : ٢٨٢}[1]

جعلوا (امرأتان) في الوجه الثاني عشر بمعنى المرأة المجهولة ، وهذا موافق لمعنى تنكيرها

ووردت (امرأة) في شواهد الوجوه الأحد عشر الباقية نكرة أيضًا مفردة غير مضافة في الوجه الثاني ، والتاسع ، والعاشر ، والحادي عشر ، ووردت مضافة إلى العلم في الأوجه الباقية .

وقد جَعَلوها في التراكيب الإضافية بمعاني أسمائهنّ ، وليس المراد هذا التعريف ، وإنّما التعريف بهنّ بإضافتهنّ إلى أسماء أزواجهنّ ؛ لأنّهنّ معروفات في التاريخ وعند الناس بهذه الإضافة .

وجعَلوا (امرأة) في الوجه الثاني بمعنى بلقيس ، في قوله تعالى : (إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ){النمل : ٢٣} وقد نكّر امرأة ؛ لأنّه أراد امرأة ما ، وما ذكر اسمها ؛ لأنّ الهدهد ما كان يعرف اسمها ، ولا النبيّ سليمان عليه السلام ، فجعلها بمعنى بلقيس تحريف للواقع والمعنى المراد .

وجعلوا (امرأة) في الوجه التاسع بمعنى : بنت محمد بن سلمة ، في قوله تعالى : (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا))}النساء : ١٢٨} وقد نكَّر (امرأة) لأنَّه أراد امرأة ما من النساء من دون أن يقصد تعيينها ؛لأنَّه أراد أن يكون الحكم عامًّا ، بل أراد أن يكون قاعدة شرعية يُعمَل بها في كل زمان ومكان وحتى قيام الساعة ، فكيف يصح قصر هذا الحكم على امرأة معيّنة ، فجعلها بمعنى امرأة معيّنة تحريف للمعنى المراد المذكور

([1]) وجوه القرآن للحيري ص ٨٧-٨٨ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٧٤-٧٥ وبصائر ذوي التمييز ٢/٦٠-٦٢

وجعلوا (امرأتين) في الوجه العاشر ، بمعنى ابنتي شعيب في قوله تعالى : (وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ))(القصص : ٢٣} بل أراد امرأتين من النساء من دون تعيينهما ، وكيف يصح أنَّه أراد ابنتي شعيب ، وهو لم يكن يعلم وقتئذٍ ابنتي مَن هما ؟!

وجعَلوا (امرأة) في الوجه الحادي عشر بمعني أم شريك بنت جابر العامرية ، في قوله تعالى : (وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ)(الأحزاب : ٥٠} ومن الواضح أنَّ المراد أيّ امرأة مؤمنة كانت ؛ لأنَّ الله سبحانه ما أراد قصر تحليل هذه الهبة للرسول صلى الله عليه وسلّم في امرأة معيّنة .

وكيف يصحّ في هذه الأوجه الأربعة جعل (امرأة) وهي نكرة بمعنى العلم المعرفة ؟! فهذا غير مخالف للمعنى المراد فحسب ، بل هو مخالف أيضًا لقواعد اللغة .

والقرآن الكريم في هذه الوجوه الأحد عشر لم يسمِّ المرأة بهذه الشخصيات الأنثوية كما فعل أصحاب كتب الوجوه ، وإنَّما سمَّى كلًّا منها بالمرأة ، فهي جميعها بمعنى المرأة ، وليست المرأة بمعانيها ، فهي إذن جميعها وجه واحد ، فتكون هذه الوجوه المنسوبة إلى الامرأة مختلَقة بطريقتين : طريقة الدراسة المعكوسة ، وبجعل النكرة بمعنى العلم المعرفة

٢-**البشر** :قال الحيري : ((البشر على عشرة أوجه :

أحدها : آدم عليه السلام كقوله تعالى : (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ)(ص : ٧١}

الوجه الثاني : نوح عليه السلام كقوله تعالى : (مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا)(هود : ٢٧}

الثالث : موسى وهرون عليهما السلام ، كقوله تعالى : (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ)(المؤمنون : ٤٧}

الرابع : عيسى عليه السلام ، كقوله تعالى : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ){آل عمران : ٧٩}

الخامس : محمد صلى الله عليه وسلم ، كقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ){الكهف : ١١٠}

السادس : الرسل ، كقوله تعالى : (قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا){إبراهيم : ١٠}

السابع : رسول من الرسل ، كقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلّا وَحْيًا){الشورى : ٥١}

الثامن : آدمي ، كقوله تعالى : (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ){يوسف : ٣١}

التاسع : جبر ويسار ، وهما عبدان أعجميان ، كقوله تعالى : (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ){النحل : ١٠٣}

العاشر : الخَلْق ، كقوله تعالى : (بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ){المائدة : ١٨}))[1]

وهذا ما قاله أيضًا الفيروزآبادي ، وأضاف إلى الوجوه المذكورة الأوجه الآتية :

((الحادي عشر : بمعنى صالح النبي ، كقوله تعالى : (فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ){القمر : ٢٤}

الثاني عشر : بمعنى يوسف الصديق ، كقوله تعالى : (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ){يوسف : ٣١} وجعله الحيري كما تقدم بمعنى آدمي

---

(١) وجوه القرآن ص ١٢٣

الثالث عشر : بمعنى جبريل ، كقوله تعالى : (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)﴿مريم : ١٧﴾

الرابع عشر : بمعنى ابن ماثان ، كقوله تعالى : (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)﴿مريم : ٢٠﴾))[١]

البشرُ : الخلق يقع على الأنثى والذكر والواحد والاثنين والجمع ، والبَشَرَة والبَشَر ظاهر جلد الإنسان ، وقد يثنَّى ، وفي التنزيل : (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ)﴿المؤمنون : ٤٧﴾ وفي الحديث : لم أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم ، وسمِّي الإنسان بشَرًا لتجرد بشرته من الشعر والصوف والوبر[٢]

الرسل ، ورسول من الرسل ، وآدمي ، والخَلْق ، كما جاء في الوجه السادس ، والسابع ، والثامن ، والعاشر ، هذه الأوجه الأربعة قريبة من معنى البشر ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه .

وجعل مَن هما مِن أصحاب كتب الوجوه (بَشَرًا) في الوجه الأول بمعنى آدم عليه السلام في قوله تعالى : (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ) و(بَشَرًا) نكرة ، ومعنى الآية كما هو واضح : إني سأخلق شيئًا لم يُخلَق بعد سأخلقه من طين ، وآدم عليه السلام علم معرفة ، وقد عُرِف باسمه المذكور وأنَّه أبو البشر وأنَّه مخلوق من طين بعد خلقه ، وقد استدل أهل الوجوه على صحة وجوههم للفظ بجواز أن تحل محله وتؤدي معناه ، فجعل (بَشَرًا) بمعنى آدم يجعل معنى الآية وتقديرها : إني سأخلق المخلوق من طين سأخلقه من طين

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٠٣-٢٠٤

(٢) ينظر : العين للخليل ص٧٣ ومقاييس اللغة ص ٩٤ ولسان العرب ٢/٨٩ وتاج العروس ١٠/٩٧-٩٨

، والمخلوق لا يُخلَق ، فالقول بهذا الوجه لا يُعدُّ تحريفًا ظاهرًا للنص القرآني فحسب ، بل يجعل الآية بمعنى مخالف للمنطق والعقل والواقع

وجعلا (بَشَرًا) في الوجه الثاني بمعنى نوح عليه السلام في قوله تعالى : (مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا) وقد استعمل القرآن الكريم لفظ (بَشَرًا) وبصيغة النكرة ؛ لأنَّه أريد أن يكون المعنى أنَّ قوم نوح احتجوا واستدلوا على أنَّه ليس لنوح ميزة وفضل عليهم ؛ لأنَّه يشترك معهم بصفة البشرية التي يقرُّ بها ، وهو ادعاء صحيح ومقبول ، لكن عند جعل (بَشَرًا) بمعنى نوح وبتقدير : ما نراك إلّا نوحًا مثلنا ، ستكون الحجة غير مقبولة والاستدلال غير صحيح ، لأنَّ قوم نوح لا يشتركون معه بصفة علَميته وما اختص به من النبوة ، وهم ابتداء لا يمكن ولا يصح أن يدعوا ذلك ؛ لأنَّه واضح البطلان ، فادعوا الأمر الأول ، فيكون جعل (بَشَرًا) بمعنى نوح تحريف ظاهر للمعنى المراد .

وجعلا (بَشَرَيْنِ) في الوجه الثالث بمعنى : موسى وهرون عليهما السلام ، في قوله تعالى : (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) ويقال في هذا الوجه ما قلتُه في الوجه الثاني أنَّ قوم موسى ادعوا أنَّ موسى وهرون مشتركان معهم بصفة البشرية ، ولم يدعوا أنَّهم مشتركون معهما بصفة العلَمية وما اختصا به من النبوة ، والقرآن استعمل لفظ (بَشَرَيْنِ) لأنّه أراد أن يحكي ما ادعوه وما صدر منهم وما وقع ، فجعل(بَشَرَيْنِ) بمعنى موسى وهرون وبتقدير : أنؤمن لموسى وهرون مثلنا ، تحريف ظاهر للمعنى المراد من النص القرآني وتحريف للواقع الذي حكاه القرآن الكريم .

وجعلا (بَشَر) في الوجه الرابع بمعنى عيسى عليه السلام ، في قوله تعالى : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ) واستعمل الفرآن لفظ (بَشَر) وبصيغة النكرة ؛ لأنَّه أراد أيّ بشر كان ، سواء كان عيسى عليه السلام أم غيره لا يحق له

إذا أعطاه الله النبوة أن (يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ) وبجعل (بَشَر) بمعنى عيسى عليه السلام يكون التقدير : مَا كَانَ لعيسى أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ ، فيكون هذا النهي مقتصرًا على عيسى عليه السلام ، ولا يشمل غيره من البشر، وهذا تحريف ظاهر للنص القرآني الذي أراد نهي أيّ إنسان ، كائنًا من كان أن يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ

وجعل الفيوزآبادي (بَشَرٌ) في الوجه الرابع عشر ، بمعنى ابن ماثان ، في قوله تعالى : (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)[1] واستعمل الفرآن لفظ (بَشَر) وبصيغة النكرة ؛ لأنَّه أراد أيّ بشر كان ، سواء كان ابن ماثان أم غيره ، وجعل (بَشَرٌ) بمعنى ابن ماثان يكون التقدير : وَلَمْ يَمْسَسْنِي ابن ماثان ، فيكون القول بهذا الوجه طعنًا وشكًّا في عفة مريم عليها السلام ؛ لأنَّها بهذا المعنى تكون قد قصرت عدم مسّها من لدن ابن ماثان ، واحتمل السياق أن يكون قد مسَّها آخر سواه ، واحتمل أن يكون المعنى : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي ابن ماثان بل مسّني غيره ، فالقول بهذا الوجه تحريف ظاهر لدلالة النص القرآني ، بل طعن ومساس بأعف امرأة في العالمين ، وما قلته في هذا الوجه والأوجه التي قبله ينطبق على باقي الأوجه التي جعلوا فيها (بشر) بمعنى نبي من الأنبياء ، أو علم من الأعلام .

وآدم عليه السلام ، ونوح عليه السلام ، وموسى وهرون عليهما السلام ، وعيسى عليه السلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وجبر ويسار ، وصالح عليه السلام ، ويوسف عليه السلام ، وجبريل عليه السلام ، وابن ماثان ، كما جاء في الوجه : الأول ، والثاني ، والثالث ، والرابع ، والخامس

---

(١) ينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٠٤/٢

، والتاسع ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر ، والرابع عشر ، هذه الوجوه العشرة لا يصح أن تكون بمعنى (بشر) لأنَّها أعلام لأنبياء وأشخاص ، فهي معارف ، و(بشر) نكرة ؛ فيكون جعل هذه النكرة بمعاني أعرف المعارف تحريفًا ظاهرًا للعيان ، وهو مخالف لقواعد اللغة العربية ، وإنَّه لمن الهدم البيِّن للغة كتاب الله جعل نكراتها بمعاني معرفاتها

وقد قال الراغب : ((البشرة ظاهر الجلد ، والأدمة باطنه ، كذا قال عامة الأدباء ... وجمعها بشر وأبشار ، وعُبِّر عن الإنسان بالبشر اعتبارًا بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر ، واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع ، وثُنِّي فقال تعالى : (أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا)(المؤمنون : ٤٧} وخُصَّ في القرآن كل موضع اعتُبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر ، نحو قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا)(الفرقان : ٥٤} وقال عز وجل : (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ)(ص : ٧١} ولمَّا أراد الكفار الغضَّ من الأنبياء اعتبروا ذلك فقالوا : (إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ)(المدثر : ٢٥} وقال تعالى : (فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ)(القمر : ٢٤} وقال تعالى : (قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا)(يس : ١٥} وقال تعالى : (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ)(المؤمنون : ٤٧} وقال تعالى : (فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا)(التغابن : ٦} وعلى هذا قال : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ)(الكهف : ١١٠} تنبيهًا أنَّ الناس يتساوون في البشرية ، وإنَّما يتفاضلون بما يختصون به من المعارف الجليلة ، والأعمال الجميلة ؛ ولذلك قال بعده : (يُوحَى إِلَيَّ) تنبيهًا أني بذلك تميَّزتُ عنكم ...وقوله تعالى : (وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ)(يوسف : ٣١}))[1] فـ((البشر : الخَلْقٌ ، وسموا بشرًا اعتبارًا

(١) المفردات ص ٥٢-٥٣

بظهور جلدهم من الشعر والصوف والوبر بخلاف الحيوانات فإنَّها مستترة بما ذُكِر)) [1]

فالقرآن الكريم استعمل لفظ (بشر) للمعنى الذي بيَّنه الراغب الأصفهاني ، فجعل هذا اللفظ بمعاني الوجوه المذكورة يعدُ تحريفًا لدلالته ، وطمسًا وإلغاءً للغرض الذي ذكره الراغب الذي يُعدُّ جزءًا من الفصاحة والبلاغة التي تميَّز بها كتاب الله ؛ لذلك لا يصحّ أن تكون وجوهًا لـ(بشر) بل هي وجوه مختلقة له بطريقتين : بطريقة جعله بمعاني مرادفاته ، وبطريقة جعله ، وهو نكرة ، بمعاني الأعلام المعارف .

الطريقة الثامنة عشرة : جعل اللفظ بمعاني علله وأغراضه

١-**السجود** : تقدم الكلام على وجوه الحرام ، فقد جعلوا الحرام هناك في الوجه الرابع بمعنى الشرف في قوله تعالى : (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ) والحرام هنا يعني الحرام بعينه ؛ لأنَّ المعنى : أنَّ الله سبحانه حرَّم فيه القتل حتى صيد الطير وقطع الأشجار فأمن فيه الناس والحيوان[2] لمكانة البيت وشرفه عند الله ، فالشرف هو معنى العلّة لا معنى الحرام .

ذكر أهل الوجوه للسجود تسعة أوجه :

الوجه الأول : سجود الشكر ، كقوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ){البقرة : ٣٤}

الوجه الثاني : السجود يعني المصلين ، كقوله تعالى : (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ){البقرة : ١٢٥} وقوله تعالى : (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ){آل عمران : ٤٣}

---

(١) عمدة الحفاظ للحلبي ١٩١/١-١٩٢وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٠٣/٢

(٢) ينظر : زاد المسير ٩٩/٢.

الوجه الثالث : السجود بعينه ، أو السجود الشرعي ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الحج : ٧٧}

الوجه الرابع : السجود يعني الاستسلام والخضوع والانقياد كقوله تعالى : (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ){الرحمن : ٦}

والوجه الخامس : السجود يعني التواضع ، كقوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا){يوسف : ١٠٠}

الوجه السادس : السجود يعني الخضوع ، كقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا){الفرقان : ٦٠}

الوجه السابع : السجود بمعنى الصلاة : كقوله تعالى : (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا){الرعد : ١٥}

الوجه الثامن : الساجدين يعني الأنبياء كقوله تعالى : (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ {٢١٨} وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ){الشعراء : ٢١٨-٢١٩}

الوجه التاسع : السجود يعني الركوع ، كقوله تعالى : (وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ){البقرة : ٥٨} [١]

قال ابن فارس : ((السين والجيم والدال أصل واحد مُطّرد يدلُّ على تطامن وذلّ ، يقال : سجد : إذا تطامن ، وكل ما ذلَّ فقد سجدَ))[٢] والتطامن من طأمن الشيء وطامنه : إذا سكَّنه ، ومنه : اطمأنَّ قلبه : إذا سكن ، واطمأنّت نفسه ، وهو مطمئنٌّ إلي كذا[٣] وقال الراغب : ((السجود

([١]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٤٢-٢٤٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٦٦-٢٦٧ ونزهة الأعين ص ١٥٤-١٥٥ومنتخب قرة العيون ص ١٤٢-١٤٣وبصائر ذوي التمييز ١٨٩/٣-١٩٠

([٢]) مقاييس اللغة ص ٤٢٩

([٣]) ينظر : لسان العرب ١٤٨/٩

أصله التطامن والتذلل ، وجُعِل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته ، وهو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات ، وذلك ضربان : سجود باختيار ، وليس ذلك إلّا للإنسان ، ومنه يستحق الثواب ، نحو قوله تعالى : (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا){النجم : ٦٢} أي : تذللوا له ، وسجود تسخير ، وهو للإنسان والحيوانات والنبات ، وعلى ذلك قوله تعالى : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا){الرعد : ١٥}))[١] وقال ابن الجوزي : ((السجود في اللغة خفض الرأس ، وإن لم تصل الجبهة إلى الأرض ، وكل ذليل فهو ساجد)) [٢]

وصفوة القول أنَّ السجود للشيء يعني التذلل له ، فمن تذلّل فقد سجد ، ويكون على ثلاث حالات :

الأولى : تذلل من دون انحناء .

الثانية : تذلل مع انحناء ، إذا أريد إظهار التذلل بهيئة الركوع

الثالثة : تذلل مع وضع الجبهة على الأرض ، إذا أريد إظهار التذلل بأقصى درجاته .

والسجود بحالته الثانية سُمِّي بالركوع الشرعي في الصلاة ، وهو سجود في الحقيقة ؛ لأنَّه انحناء مع تذلل ، وسُمِّي في الصلاة ركوعًا ؛ للتفريق بينه وبين السجود الشرعي ، وهذا السجود بحالاته الثلاث إذا قُصَدَ من التذلل فيه العبادة لغير الله ، فهو محرَّم في جميع الأديان السماوية ، والحالة الثانية ، والثالثة ، كانتا مباحتين ، في شرائع مَن قبلنا ، إذا قُصِدَ من تذللهما التحية ، أو التكريم ، وحُرِّم ذلك كله في الإسلام ، فنهى عن

---

(١) المفردات ص ٢٣١ وينظر : عمدة الحفاظ ١٧٢/٢-١٧٣ وبصائر ذوي التمييز ١٨٨/٣-١٨٩

(٢) نزهة الأعين ص ١٥٤

الانحناء ، أو وضع الجبهة على الأرض لغير الله تعالى ، لأيٍّ غرض كان .

جعل الحيري السجود في الوجه الثالث يعني السجود بعينه ، في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) وسمَّاه ابن الجوزي : السجود الشرعي وهو وضع الجبهة على الأرض وسماه الفيروزآبادي سجود الصلاة

والسجود بعينه هو التذلل ، أمَّا السجود الشرعي فهو جعل هذا السجود بهيئته المعروفة في الصلاة ، ويكون عبادة لله تعالى ، فيكون السجود الشرعي منقولًا من أصل السجود بمعناه المذكور ، والتحريف الحاصل أنَّهم لمَّا جعلوا السجود بمعنى السجود الشرعي فهذا يعني أنَّهم سمَّوا الأول بالثاني ، أي : سمَّوا الأصل بالمنقول ، بينما الحقيقة على العكس من ذلك ، وهو تسمية المنقول بالأصل ، فحرَّفوا بقلب التسمية ، وقلبوا المعنى المراد ، وهذا هو حال كل اسم منقول جعلوه وجهًا .

وجعل السجود في الوجه الثالث يعني السجود بعينه ، يعني أنّ الأوجه الثمانية الباقية لا تعني السجود بعينه ، فهي إذن أوجه مختلقة ، وقد اختُلِقت بثلاث طرائق :

الأولى : جعل اللفظ بمعاني علله وأغراضه : فقد جعلوا السجود في الوجه الرابع بمعنى الاستسلام والانقياد في قوله تعالى : (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) اختلف أهل التأويل في كيفية سجود ما لا يعقل ، وأصح الأقوال أنَّ سجودهم لا نعلمه [1] كما قال في تسبيحهم : (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا){الإسراء : ٤٤} فيكون المراد من تسبيح ما لا يعقل

(1) ينظر : زاد المسير ٣٣٥/٤ وينظر ٣٠٤/٧

التسبيح بعينه ، وكذلك يكون المراد من سجود ما لا يعقل السجود بعينه ، لكننا لا نعلم كيف يسبِّحون ، وكيف يسجدون .

وجعل الحيري السجود في الوجه الخامس بمعنى التواضع ، في قوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا) قال الطبري : ((وقوله : (وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا) يقول : وخرَّ يعقوب وولده وأمُّه ليوسف سُجَّدًا ...عن ابن عباس : رفع أبويه على السرير ، وسجدا له ، وسجد له إخوته ...عن قتادة (وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا) وكانت تحيّة مَن قبلكم ، كان يحيي بها بعضهم بعضًا ، فأعطى الله هذه الأمَّة السلام ، تحية أهل الجنَّة)) [1] وقال ابن الجوزي : ((قال أبو صالح عن ابن عبَّاس : كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الأعاجم ، وقال الحسن : أمرهم الله بالسجود لتأويل الرؤيا ، قال ابن الأنباري : سجدوا له على وجه التحيّة ، لا على معنى العبادة ، وكان أهل ذلك الدهر يحيِّي بعضهم بعضًا بالسجود والانحناء ، فحظره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فروى أنس بن مالك ، قال : يا رسول الله ، أحدنا يلقى صديقه ، أينحني له ؟ قال : لا)) [2]

فيكون المراد من السجود في الآية السجود بعينه في حالته الثانية أو الثالثة كما تقدم تعريفه ، وقد تقدم أنَّ هذا السجود كان مباحًا في شريعة مَن قبلنا

وجعله في الوجه السادس بمعنى الخضوع ، في قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم (اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ) أي : اجعلوا سجودكم لله خالصًا دون الآلهة والأوثان ، قالوا : (أَنَسْجُدُ لِمَا

([1]) جامع البيان ٨٣/١٣-٨٤

([2]) زاد المسير ٢٢٣/٤

تَأْمُرُنَا)))[1]((وقرأ حمزة ، والكسائي (يَأْمُرُنَا) أي : لما يأمرنا به محمد ، وهذا استفهام إنكار ، ومعناه : لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له)) [2]

فالمراد من السجود السجود بعينه وجعله بمعنى الخضوع تحريف لدلالته

والأوجه الثلاثة السابقة : الاستسلام والانقياد ، والتواضع ، والخضوع ، هي كما ترى ليست معاني السجود ، بل هي معاني أغراضه ، وهذه طريقة من الطرائق التي اتبعها أصحاب كتب الوجوه في اختلاق الوجوه .

الثانية : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته : فسجود الشكر ، والمصلين ، والصلاة ، والركوع ، كما جاء في الوجه الأول ، والثاني ، والسابع ، والتاسع معان قريبة من معنى السجود ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف ، لا في باب الوجوه ، والألفاظ المترادفة وإن تقاربت معانيها ، واتحدت في المعنى العام ، بينها فروق معنوية خاصة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم .

فقد جعل الحيري السجود في الوجه الأول بمعنى سجود الشكر في قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) وقد أجمع أهل التفسير ، وكما هو ظاهر من النص القرآني ، على أنَّ المراد من هذا السجود سجود تفضيل وتكريم ، لا سجود شكر كما زعم ، قال الطبري : ((وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم ، وطاعة لله ، لاعبادة لآدم) [3] ((وفي صفة سجودهم لآدم قولان :

أحدهما : أنَّه على صفة سجود الصلاة ، وهو الأظهر .

([1]) جامع البيان ١٩/٣٥-٣٦

([2]) زاد المسير ٦/٢٣

([3]) جامع البيان ١/٢٦٢ وينظر : الجامع لأحكام القرآن ١/٢٣٣ وتفسير ابن كثير ١/١٠٠ وفتح القدير ١/٨٢ وروح المعاني ١/٢٣٠

والثاني : أنَّه الانحناء والميل المساوي للركوع)) [1]

فكلا هذين الحالين يُسمّى سجودًا ، قال القرطبي : ((واختُلِف أيضًا : هل كان ذلك السجود خاصًّا بآدم عليه السلام ، فلا يجوز السجود لغيره من جميع العالم إلّا لله تعالى ، أم كان جائزًا بعده إلى زمان يعقوب عليه السلام ، لقوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا){يوسف : ١٠٠} فكان آخر ما أبيح من السجود للمخلوقين ؟ والذي عليه الأكثر أنَّه كان مباحًا إلى عصر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنَّ أصحابه قالوا له حين سجدتْ له الشجرة والجمل : نحن أولى بالسجود لك من الشجرة والجمل ، فقال لهم : لا ينبغي أن يُسجَدَ لأحد إلّا لله ربِّ العالمين ، روى ابن ماجة في سننه والبُستيُّ في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال : لمَّا قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم : ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله قدمتُ الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم ، فأردتُ أن أفعل ذلك بك ، قال : فلا تفعل ، فإنِّي لو أمرتُ شيئًا أن يسجد لشيء لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها ... وفي بعض طرق معاذ : ونهى عن السجود لبشر ، وأمر بالمصافحة ، قلتُ : وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جُهَّال المتصوِّفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم ، فيُرى الواحد منهم إذا أخذه الحال بزعمه يسجد للأقدام لجهله ، سواء كان للقبلة أم غيرها ، جهالة منه ، ضلَّ سعيُهم وخاب عملُهم)) [2]

فالمراد إذن من السجود السجود بعينه في قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ) أمَّا سجود الشكر الذي قال به الحيري فهو معنى الغرض من هذا السجود لا السجود نفسه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أجمع أهل التفسير كما تقدم ، وكما هو واضح جدًّا من النص

([1]) زاد المسير ٥٥/١

([2]) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٣/١-٢٣٤

االقرآني وسياقه أنَّ الغرض من السجود سجود تكريم ، فجعله بمعنى سجود شكر تحريف ظاهر للعيان

وجعله في الوجه الثاني بمعنى المصلّين في قوله تعالى : (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) قال الطبري في تفسير قوله تعالى (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) ((يعني تعالى ذكره بقوله (وَالرُّكَّعِ) جماعة القوم الراكعين فيه له ، واحدهم راكع ، وكذلك (السُّجُودِ) هم جماعة القوم الساجدين فيه له ، واحدهم ساجد ، كما يقال : رجل قاعد ، ورجال قعود ، ورجل جالس ورجال جلوس ، فكذلك رجل ساجد ، ورجال سجود ، وقيل : بل عنى بالركَّع السجود : المصلين)) [١]

وقال الواحدي : ((وقوله تعالى : (لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) قال الكلبي : أمَّا الطائفون فمن اعتراه من بلد غيره ، وأمَّا العاكفون فأهل البلد ، والركَّع السجود : فأهل الصلاة ، وقال عطاء : إذا كان طائفًا فهو من الطائفين ، وإذا كان جالسًا فهو من العاكفين ، وإذا كان مصليًا فهو من الركَّع السجود)) [٢]

((وعطف أحد الوصفين على الآخر في قوله : (لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ) لتباين ما بينهما ، ولم يعطف إحدى الصفتين على الأخرى في قوله : (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) لأنَّ المراد بهما شيء واحد ، وهو الصلاة ؛ إذ لو عطف لَتُوُهِّم أنَّ كل واحد منهما عبادة على حِيالها)) [٣]

فالوجه الذي قال به الحيري تحريف للنصِّ القرآني ، والأخذ به يفسد معنى التركيب ؛ لأنّ المراد جعل التركيب (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) لا (السُّجُودِ) بمفرده بمعنى المصلِّين ، وهذا هو الظاهر ؛ لذلك أجمع عليه أهل التفسير

---

(١) جامع البيان ٦٢٤/١

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٠٨/١

(٣) الدر المصون ١٠٨/٢

، وكيف استساغه ؛ لأنَّه لو جعلنا السجود بمعنى المصلِّين ، فماذا سيكون معنى (الرُّكَّع) أنلغي دلالته أم ماذا ؟! فهذا كله لم يفكِّر به الحيري ، ولم يلتفتْ إلى عواقبه

وجعل السجود بمعنى المصلِّين لا يقتصر على تحريف دلالة اللفظ القرآني ، وعلى هدمه لإفراغه من محتواه ، بل يتعدَّاه إلى هدم سرٍّ من أسرار تعبيره ، ووجه من وجوه بلاغته ، قال ابن عطية : (((وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) المصلون ، وخصَّ الركوع والسجود بالذكر ؛ لأنَّهما أفرب أحوال المصلَّي عند الله))[1] وقال الآلوسي : (((وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) وهم المصلُّون جمع راكع وساجد ، وخُصَّ الركوع والسجود بالذكر من جميع أحوال المصلِّي ؛ لأنَّهما أقرب أحواله إليه تعالى ، وهما الركنان الأعظمان ، وكثيرًا ما يُكنَّى عن الصلاة بهما ؛ ولذلك ترك العطف بينهما ، ولم يعبَّر بالمصلِّين مع اختصاره ، إيذانًا بأنَّ المُعتَبَر صلاة ذات ركوع وسجود ، لا صلاة اليهود))[2]

وكذلك جعل السجود بمعنى المصلِّين في قوله تعالى : (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِين) بل المراد من السجود السجود بعينه ، وجعله بمعنى الصلاة يهدم ما في تركيب هذه الآية من بلاغة معجزة ، وباهرة ، تتعلق هنا بسرٍّ تقديم السجود على الركوع ، وقد بيَّنتُ سرَّ ذلك مفصَّلاً في بعض مؤلفاتي ونصُّه : ((من المعروف في اللغة أنَّه قد يُعبَّر عن الكل بالجزء ، فذكر السجود هنا وأراد الصلاة ، وكذلك ذكر الركوع وأراد الصلاة أيضًا ، والمعنى : يا مريم ، اقنتي وصلّي ، وصلّي مع المصلين.

ففي قوله تعالى (واسجدي) أمْرٌ لمريم عليها السلام بأن تصلي وحدها ، ويكون ذلك صلاتها في بيتها ، وفي قوله تعالى: (واركعي مع

([1]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٠٨/١

([2]) روح المعاني ٣٧٩/١

الراكعين) أمرٌ لمريم عليها السلام بأن تصلي مع المصلين جماعة ، ويكون ذلك في المسجد ، والمقصود هنا بيت المقدس.

والسؤال: إنَّه لِمَ قال سبحانه : (واسجدي واركعي مع الراكعين) ولم يقل: واركعي واسجدي مع الساجدين ، مع العلم أن المراد في كليهما الصلاة؟

والجواب : أنَّه في شرعنا وفي شرع من قبلنا أن صلاة المرأة في بيتها أفضل عند الله من صلاتها في المسجد ، وأنَّ السجود أفضل من الركوع ، فقد ورد عن الرسول ﷺ قوله : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

فعبر عن صلاة مريم في بيتها بالسجود ؛ ليعبِّر عن الأفضل بالأفضل، وعبَّر عن صلاتها في المسجد بالركوع ؛ ليعبِّر عن دون الأفضل بدون الأفضل.

واستنادًا إلى بلاغة هذا التعبير ودقته يمكن أن نعرف كيف يكون الخطاب لو كان موجهًا إلى رجل من الصالحين ، فلو كان المخاطَب لقمان مثلًا ، لما كان من الأنسب أن يقال له : يا لقمان اقنت لربك واسجد واركع مع الراكعين ، بل لكان من الأنسب أن يكون التعبير : يا لقمان اقنت لربك واركع واسجد مع الساجدين ؛ لأنَّ صلاة الرجل في المسجد أفضل من صلاته في بيته بخلاف صلاة المرأة ، فمن بلاغة الكلام أن يكون مطابقا لواقع الحال)) [1]

وفي هذا المقام أكرر قولي بوجوب إبقاء اللفظ على معناه ، وإلّا حرَّفنا مقاصد كلام الله ، وهدمنا ما فيه من فصاحة وإعجاز

وجعل الدامغاني والفيروزآبادي السجود في الوجه السابع بمعنى الصلاة في قوله تعالى : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

([1]) إعجاز القرآن الكريم / باب الإعجاز اللغوي رقم ١٤ تقديم السجود على الركوع ص ٣٢-٣٣

وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ) والسجود لا يعني الصلاة ، بل هو أهم أركانها ، وقد يُكَنَّى عن السجود بالصلاة لبيان أهمية السجود فيها ، وقد تقدم قول ابن عطية : ((وخصَّ الركوع والسجود بالذكر ؛ لأنَّهما أفرب أحوال المصلَّي عند الله))[1] وقول الآلوسي : ((وخُصَّ الركوع والسجود بالذكر من جميع أحوال المصلِّي ؛ لأنَّهما أقرب أحواله إليه تعالى ، وهما الركنان الأعظمان ، وكثيرًا ما يُكنَّى عن الصلاة بهما ... ولم يعبَّر بالمصلِّين مع اختصاره ، إيذانًا بأنَّ المُعتَبَر صلاة ذات ركوع وسجود ، لا صلاة اليهود))[2]وكذلك قال تعالى هنا : يسجد ، ولم يقل : يصلِّي ؛ لأنَّ المُعتَبر من صلاة المخلوق سجوده فيها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ السجود عام ، فكل شيء يسجد ، وقد يُطلَق السجود على مجرد التذلل والانقياد لله ، وإن لم يصاحبه انحناء ، قال الواحدي : (((وَكَرْهًا) يعني : مَن أُكرِه على السجود من الكافرين والمنافقين ، هذا قول المفسرين ، وقال أهل المعاني : سجود الكاره التذلل لله وانقياده لما يريده الله منه من عاقبة ومرض ، وغنى وفقر ، وحياة وموت ، فالكافر في حكم الساجد لله من هذا الوجه)) [3] فالسجود عام ، أمَّا الصلاة فهي خاصة بالإنسان المؤمن ؛ لذلك لم يستعمل المفسرون في تفسير هذه الآية مصطلح الصلاة بل مصطلح السجود ، كما قال الله سبحانه ، قال الطبري : ((يقول تعالى ذكره : فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء من إفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له ، فلله يسجد من في السماوات من الملائكة الكرام ، ومَن في الأرض من المؤمنين به طوعًا ، فأمَّا الكافرون به فإنَّهم يسجدون له كرهًا حين يُكرَهون على السجود ... وقوله : (وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ) يقول : ويسجد أيضًا ظلال

([1]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٠٨/١

([2]) روح المعاني ٣٧٩/١

([3]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١١/٣

كلِّ مَن سجد لله طوعًا وكرهًا بالغدوات والعشايا ... عن ابن عباس ، قوله : (وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ) يعني : حين يفيء ظلّ أحدهم عن يمينه أو شماله ... عن سفيان في تفسير مجاهد قال : ظلُّ المؤمن يسجد طوعًا وهو طائع ، وظلُّ الكافر يسجد طوعًا وهو كاره ... ذكر (ابن زيد) أنَّ ظلال الأشياء كلها تسجد له)) [1] فالمراد من السجود السجود بعينه ، وجعله بمعنى الصلاة تحريف لدلالته .

وجعلوا السجود في الوجه التاسع بمعنى الركوع أو الركوع الشرعي في قوله تعالى : (وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) والسجود غير الركوع ، فقد تقدم قول ابن فارس بأنَّ ((كلّ ما ذلَّ فقد سجدَ))[2] وقول الراغب بأنّ ((السجود أصله التطامن والتذلل ، وجُعِل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته))[3]وقول ابن الجوزي : ((وكل ذليل فهو ساجد)) [4]

فهذا هو معنى السجود ، أمَّا الركوع فقد عرَّفه الخليل : ((كلّ شيء ينكبّ لوجهه ، فتمسّ ركبته الأرض ، أو لا تمسّها ، بعد أن يطأطئ راسه ، فهو راكع)) [5] وقال ابن فارس : ((الراء والكاف والعين أصل واحد يدلَّ على انحناء في الإنسان وغيره ، يقال : ركع الرجلُ : إذا انحنى ، وكلُّ منحنٍ

([1]) جامع البيان ١٣/١٥٧-١٥٨ وينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/١١ وزاد المسير ٤/٢٤٣-٢٤٤

([2]) مقاييس اللغة ص ٤٢٩

([3]) المفردات ص ٢٣١ وينظر : عمدة الحفاظ ٢/١٧٢-١٧٣ وبصائر ذوي التمييز ٣/١٨٨-١٨٩

([4]) نزهة الأعين ص ١٥٤

([5]) العين ص ٣٦٧

راكع ... والركوع في الصلاة منه))[1]وقال الراغب : ((الركوع : الانحناء))[2]

قال الطبري : ((وأمَّا قوله : (سُجَّداً) فإنَّ ابن عباس كان يتأوَّله بمعنى الرُّكَّع ... وأصل السجود : الانحناء لمن سجد له معظِّمًا ، فكل منحنٍ لشيء تعظيمًا له ، فهو ساجد))[3] ، وقال الواحدي : ((والمعنى منحنين متواضعين)) [4] وهذا أيضًا معنى السجود لا معنى الركوع ، وقال ابن عطية : (((سُجَّداً) قال ابن عباس رضي الله عنه : معناه : ركوعًا ، وقيل : متواضعين خضوعًا ، لا على هيئة معيَّنة ، والسجود يعمُّ هذا كلّه ؛ لأنَّه التواضع)) [5] وجاء في اللباب : ((واختلفوا في السجود ، فقال الحسن : أراد به نفس السجود[6] أي : إلصاق الوجه بالأرض[7] وهذا بعيد ؛ لأنَّ الظاهر يقتضي وجوب الدخول حال السجود ، فلو حملنا السجود على ظاهره لامتنع ذلك[8] وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنَّ المراد به الركوع ، لأنَّ الباب الباب كان صغيرًا ، يحتاج الداخل فيه إلى الانحناء ، قال ابن الخطيب : وهذا بعيد ؛ لأنَّه لو كان ضيِّقًا لكانوا مضطرين إلى دخوله رُكّعًا ، فلا حاجة فيه إلى الأمر ...وقيل : المراد بالسجود الخضوع ، وهو الأقرب ؛ لأنَّه لمَّا

([1]) مقاييس اللغة ص ٣٥١

([2]) المفردات ص ٢١٠

([3]) جامع البيان ٣٤٤/١-٣٤٥

([4]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١٤٣/١

([5]) المحرر الوجيز ١٥٠/١

([6]) ونفس السجود هو التذلل ، وليس إلصاق الوجه بالأرض .

([7]) وهذا هو معنى السجود الشرعي ، أي : هذا هو معناه بحالته الثالثة

([8]) لكنه غير ممتنع عند حمله على معنى السجود بحالته الأولى ، أو الثانية ، كما تقدم تعريفه

تعذَّر حمله على السجود الحقيقي[1]وجب حمله على التواضع ؛ لأنَّ التائب عن الذنب ، لابدَّ وأن يكون خاضعًا)) [2]

والذي لا يُختلَف فيه فيما يتعلق بتفسير هذه الآية أنَّ الله سبحانه أمرهم أن يدخلوا الباب متذللين ، وهذا هو معنى السجود بحالته الأولى ، وإذا أريد دخوله راكعين متذللين ، فهذا هو معنى السجود بحالته الثانية

الثالثة : الدراسة المعكوسة ، وجعل اللفظ بمعاني ما قيل : جعل الدامغاني والفيروزآبادي الساجدين في الوجه الثامن بمعنى الأنبياء في قوله تعالى : (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ {٢١٨} وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) والمعنى : ويراك حين تقلبك في أصلاب الآباء من الأنبياء عليهم السلام

قال الطبري : (((وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم ، ثمَّ تركع ، وحين تسجد ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى تقلبك في المصلين ، وإبصارك منهم مَن هو خلفك ، كما تبصر مَن هو بين يديك ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتقلبك مع الساجدين ، أي : تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى تصرّفك في الناس ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتصرفك في أحوالك ، كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله ، والساجدون في قول قائل هذا القول : الأنبياء ... قال أبو جعفر (يعني الطبري نفسه) : وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول مَن قال تأويله : ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك ، حين تقوم معهم وتركع وتسجد)) [3]

([1]) والسجود الحقيقي هو التطامن والتذلل ، وليس إلصاق الوجه على الأرض

([2]) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٢/٩٥-٩٦

([3]) جامع البيان ١٩/١٤٢-١٤٤

ذكر الطبري ستة أقوال في تأويل قوله تعالى (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) أولها : ((ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم ، ثمَّ تركع ، وحين تسجد)) وآخرها القول الذي عيَّنه الدامغاني والفيروزآبادي في باب الوجوه ، والقول الأول هو المشهور وهو قول جمهور المفسرين[1] قال الواحدي : ((والمعنى : يراك إذا صليتَ وحدك ، ويراك إذا صليتَ في الجماعة راكعًا وساجدًا وقائمًا ، هذا قول أكثر المفسرين))[2]وقال ابن الجوزي : ((وتقلبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة ، والمعنى : يراك وحدك ، ويراك في الجماعة ، وهذا قول الأكثرين)) [3]

فجعل الساجدين بمعنى الأنبياء قول من عدة أقوال ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنَّ الدامغاني والفيروزآبادي لم يكتفيا بذلك ، بل جعلا آخر هذه الأقوال وأضعفها وجهًا ، والتفسير السليم والأمين أنَّ يُفسَّر اللفظ بذكر الأقوال التي قالوها فيه ، واختيار أحدها أو أضعفها ، ثم تعيينه والقطع به في باب الوجوه يعني التعمد بحجب الأقوال الأخرى ، بل يعني الادعاء بعدم وجودها ، وهذه الطريقة في اختلاق الوجوه لا تدخل في باب التحريف فحسب ، بل تدخل أيضًا في باب الخيانة العلمية في التفسير .

والدامغاني والفيرزآبادي لمَّا جعلا الساجدين بمعنى الأنبياء ، يعني أنَّهما سميا ووصفا الساجدين بالأنبياء ، بينما المراد تسمية الأنبياء ووصفهم بالساجدين ، فحرَّفا وعكسا التسمية ، وقلباها رأسًا على عقب ، أي : قلبا المعنى المراد ، ويدخل هذا التحريف في باب عدم جعل الصفة بمعناها بل

([1]) ينظر : تفسير مقاتل ٤٦٦/٢ ومعاني القرآن للفراء ١٨٠/٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٨٠/٤

([2]) الوسيط ٣٦٥/٣

([3]) زاد المسير ٥٦/٦

بمعنى الموصوف بها ، وهذه هي طريقة الدراسة المعكوسة في اختلاق الوجوه

الطريقة االتاسعة عشرة : جعل اللفظ بمعان شاذة وغريبة غير معقولة وغير مقبولة :

وهذا متأتٍّ من شدة ولعهم باختلاق الوجوه ، وقد تضمّن كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، أمثلة كثيرة من هذه الطريقة ، من ذلك ما قاله العسكري وتعقيبي على قوله : ((اللام المكسورة في القرآن على ثلاثة أوجه ، الأول : بمعنى (كي) ٠٠٠الثاني : بمعنى (أن) ٠٠٠الثالث : في موضع (لأن لا) قال (لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ){النحل آية : ٥٥} أي : لأن لا تكفروا ، وهو مثل قوله (يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ){النساء : ١٧٦} قيل : لأن لا تضلوا ، وليس (لا) عند المحققين النحويين مما يُحذَف في هذا الموضع ، وإنَّما المعنى في ذلك : كراهة أن تضلوا ، ومعنى قوله : (إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ){العنكبوت : ٦٥-٦٦} أنَّهم أشركوا معنا غيرنا فعبدوه دوننا ليكفروا نعمنا عليهم٠٠٠وقال بعضهم : معناه جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سببًا إلى الكفر)) [١]

فالعسكري فسَّر الآية بمعنى النفي فقال : ((في موضع (لأن لا) قال (لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ){النحل آية : ٥٥} أي : لأن لا تكفروا)) لكن سرعان ما رجع ففسَّر الآية بمعنى الإثبات فقال : ((ومعنى قوله : (إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) أنَّهم أشركوا معنا غيرنا فعبدوه دوننا ليكفروا نعمنا عليهم٠٠٠وقال بعضهم : معناه جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سببًا إلى الكفر)) فقال بهذا التناقض في المقام نفسه ، ولم يشر إليه ، أو يسوغه

(١) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٩٨ .

بسبب معقول أو غير معقول ، أقول : أيقول أحد بمثل هذا التناقض رجل واع لما قال؟! أم إنَّه التقليد ؟!

ومن ذلك أنّ العسكري جعل لليوم وجهين ، فقال : ((وهو في القرآن على وجهين ، الأول : اليوم من أيام السنة٠٠٠الثاني : الحين قال الله تعالى : (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ){النحل : ٨٠} يعني حين ؛ لأنَّه لا يجوز أن يكون الظعن ليلًا ، وإنَّما أراد حين الظعن ، فذكر اليوم لأنَّ اليوم حين))[١]

فالعسكري جعل اليوم بمعنى الحين استنادًا إلى أنّ اليوم لا يعني النهار ، والسفر يكون في النهار ولا يكون في الليل ، فجعله بمعنى الحين ؛ لأنّ الحين يعني زمان الليل والنهار ؛ لذلك وجدنا العسكري يسوغ مجيء اليوم بمعنى الحين في قوله تعالى : ((يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) بقوله المذكور : ((لأنَّه لا يجوز أن يكون الظعن ليلًا)) يا سبحان الله ! ومن قال بأنَّ اليوم يعني الليل فما هذا الكلام ؟! بل العسكري نفسه قال في الفرق بين النهار واليوم : ((النهار اسم للضياء المنفسح لحصول الشمس٠٠٠وهذا حد النهار وليس هو في الحقيقة اسم للوقت ، واليوم اسم لمقدار من الأوقات يكون فيه هذا السنا))[٢] أي : أنَّ اليوم يمتد وقته طوال ضياء النهار مؤكدًا ما أجمع عليه أهل اللغة حتى قالوا : ((اليوم معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها))[٣]

ومن ذلك قول مقاتل : ((تفسير الحرب على وجهين ، فوجه منهما ، الحرب يعني الكفر ، فذلك قوله في البقرة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ

---

(١) الوجوه والنظائر ص ٣٤٧ .

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٠٥.

(٣) الصحاح ص ١١٧٣ ، ولسان العرب ٣٢٩/١٥ ، وينظر : العين ص ١٠٧٧ ، وتهذيب اللغة ٣٩٩٠/٤ ونزهة الأعين ص ٣١٣ .

وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ)}البقرة : ٢٧٨-٢٧٩} يعني بالحرب الكفر

والثاني : الحرب يعني القتال)) وما قاله مقاتل قاله مقلداه هرون والدامغاني[١]

جَعْلُ الحرب بمعنى الكفر في قوله تعالى : (فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ) وجه غريب وشاذ ؛ لأنّه كيف يصحّ أن يكون المعنى والتقدير : فأذنوا بكفر من الله ورسوله ؛ لذلك لم أجده في كتب التفسير ، قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ) : ((فمن كان مقيمًا على الربا لا ينزع عنه ، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه ، فإن نزع وإلّا ضُرِب)) [٢] وقال الواحدي : ((والمعنى : فإن لم تضعوا الربا الذي قد أمر الله بوضعه عن الناس ، فاعلموا بحرب من الله ورسوله ، وهي القتل في الدنيا ، والنار في الآخرة ، أي : فأيقنوا أنَّكم تستحقون القتل والعقوبة ؛ لمخالفة أمر الله ورسوله)) [٣] وقال البيضاوي : ((وتنكير (حرب) للتعظيم ، وذلك يقتضي أن يُقاتَلَ المُرْبي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله ، كالباغي ولا يقضي كفره)) [٤]

وقد مررنا في هذا الكتاب على كثير من هذه الأوجه من ذلك جعلهم البحر بمعنى موسى والخضر عليهما السلام ، في قوله تعالى : (حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ)}الكهف : ٦٠} وجعلهم الحبّ بمعنى الإرادة ، في قوله

---

(١) الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٣٢٨ وباسم الوجوه والنظائر ص ١٥٨وينظر : الوجوه والنظائر لهرون ص ٢٣٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٦٦ .

(٢) جامع البيان ١٢٨/٣-١٢٩.

(٣) الوسيط ٣٩٧/١ .

(٤) أنوار التنزيل ١٦٣/١ .

تعالى : (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)[يوسف : ٣٠} وكيف يصحّ أن يكون التقدير : قد شغفها إرادة ، بل جعلهم الجمع بمعنى المفرد يدخل في هذا الباب ، ومن أمثلة هذه الطريقة ما كان من أوجه الألفاظ الآتية :

١-**الأرحام** : قال الحيري : ((الأرحام على وجهين :

أحدهما : الأمّهات ، كقوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ)[البقرة : ٢٢٨}

الثاني : القرابة ، كقوله تعالى : (وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ)[النساء : ١}))[١]

جَعَلَ الحيري الأرحام في الوجه الثاني بمعنى القرابة ، والقرابة قريبة من معنى الأرحام ، والمعاني المتقاربة أدخلها أهل اللغة في باب الترادف لا في باب الوجوه ، والمعاني المتقاربة هي التي تتحد في المعنى العام ، لكنها تختلف في معانيها الخاصة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم ، قال ابن فارس : ((والقاف والراء والباء : أصل صحيح يدلّ على خلاف البعد ... ومن الباب : قربان الملك وقرابينه : وزراؤه وجلساؤه))[٢] ((وأقرباؤك وأقاربك وأقربوك : عشيرتك الأدنون وفي التنزيل : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين)[الشعراء : ٢١٤}))[٣] وقال ابن فارس : ((الراء والحاء والميم يدل على الرقة والعطف والرأفة ، يقال من ذلك : رحمه يرحمه : إذا رقَّ له وعطف عليه ، والرَّحِم علاقة القرابة ، ثم سُمِّيت رحِم الأنثى رَحِمًا من هذا ؛ لأنَّ منها ما يكون ما يُرحَم ويُرَقُّ له من ولد))[٤]((والرَّحِم رَحِم المرأة ... ومنه

([١]) وجوه القرآن ص ٧٧

([٢]) مقاييس اللغة ص ٧٧١-٧٧٢

([٣]) تاج العروس ٥/٤

([٤]) مقاييس اللغة ص ٣٧٥

استعير الرَّحِم للقرابة لكونهم خارجين من رَحِم واحدة))[1] ((وبينهما رَحِم ، أي : قرابة قريبة)) [2]

من تعريف أهل اللغة للقرابة والأرحام يمكن تحديد كل منهما ، والتفريق بينهما أنَّ الأرحام تعني في البدء الأم ؛ لأنَّ الأرحام سُمُّوا أرحامًا لخروجهم من رحم واحدة ، ثمَّ الأب ؛ لأنَّك خرجتَ من صلبه ، وكان السبب في وجودك ، ثم الأولاد ؛ لأنَّهم من صلبك ورحم زوجتك ، ثم الأخوة ؛ لأنَّهم من رحم واحدة ، ثم أولاد الإخوة ، فهم من الأرحام ؛ والدليل على ذلك أنَّ الله سبحانه جعل بنات الأخ وبنات الأخت من المحارم ، ثم الأعمام والأخوال ، والدليل على ذلك أيضًا أنَّ الله سبحانه جعل العمات والخالات من المحارم ، وهنا تنتهي حدود الأرحام ، والله أعلم ، ثم بعد ذلك تبدأ القرابة بأولاد الأعمام ، وأولاد الأخوال ، والدليل على ذلك أنَّه لم يجعل بناتهم من المحارم ، والأرحام تخصُّ ما تقدم ذكرهم ، والقرابة عامّة تعني الأرحام وما تجاوز حدودها ، والقرآن الكريم استعمل لفظ الأرحام في شاهد الوجه الثاني في قوله تعالى : (الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ) لأنَّه أراد أن يخصَّ ما ارتبطت ببعضها بصلة الرحم ، وكانوا أقرب القرابة التي تبدأ بالأم ، وتنتهي بالخالة ، ولو استعمل لفظ القرابة لاحتمل أن تعني ما تجاوزهم ، فيكون جعل الأرحام بمعنى القرابة تحريفًا لدلالتها .

وجَعَلَ الأرحام في الوجه الأول بمعنى الأمهات في قوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) فإذا تذكرنا أنَّ ضمير الإناث (هنَّ) في (أَرْحَامِهِنَّ) عائد على المطلقات ، فكيف يصحّ جعل الأرحام بمعنى الأمهات ؛ لأنَّه كيف يصحّ أن يكون المعنى والتقدير : مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أُمَّهات المطلقات ؟؟؟!!! ، فالقضية

([1]) المفردات للراغب ص ١٩٨

([2]) لسان العرب ١٢٦/٦

متعلقة بالمطلقات فما علاقة أمهاتهنَّ بموضوع الآية والحكم الذي تضمنته ؟؟؟!!! أهذه كتب تستحق أن تُحقَق وتُطبع وتُنشَر ؟!

٢-**البسط** : قال الحيري : ((البسط على ثلاثة أوجه :

أحدها : الزيادة ، كقوله تعالى : (وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ){البقرة : ٢٤٧} نظيرها في الأعراف : (وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً){الأعراف : ٦٩}

الثاني : التوسع ، كقوله تعالى : (وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ){البقرة : ٢٤٥} وقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ){الإسراء : ٣٠}

الثالث : المدُّ كقوله تعالى : (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لاقْتُلَكَ){المائدة : ٢٨}))[١]

وأضاف الدامغاني إليها ثلاثة أوجه أُخَر : ((الرابع : الضرب ، قوله تعالى : (وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ){الأنعام : ٩٣} وقوله تعالى : (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ){الممتحنة : ٢}

الخامس : الفتح ، قوله تعالى : (وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ){الإسراء : ٢٩} أي : لا تفتح يدك ، وكقوله تعالى : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ){المائدة : ٦٤} أي : مفتوحتان .

السادس : المهد والفراش ، كقوله تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا){نوح : ١٩} أي : فراشًا ومهدًا)) [٢]

قال ابن فارس : ((الباء والسين والطاء أصل واحد ، وهو امتداد الشيء في عرض أو غيره)) [٣] ((وبسطَ الشيءَ : نشره وتوسَّعه ، فتارة

---

(١) وجوه القرآن ص ١٢٠-١٢١

(٢) الوجوه والنظائر ص ١٢٧-١٢٨

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٢

يُتصوَّر منه الأمران ، وتارة يُتصوَّر منه أحدهما ، ويقال : بسطَ الثوبَ : نشره ، ومنه البساط ، وذلك اسم لكل مبسوط ، قال الله تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا){نوح : ١٩} واستعار قوم البسط لكل شيء لا يُتصوَّر فيه تركيب وتأليف ونظم))[١]

الزيادة ، والتوسّع ، والمدّ ، والفتح ، والمهد والفراش ، كما جاء في الوجه الأول ، والثاني ، والثالث ، والخامس ، والسادس ، معان قريبة من معنى البسط ، فهي مختلقة بطريقة الترادف ، إلّا الوجه الرابع ، فقد جعل الدامغاني البسط في هذا الوجه بمعنى الضرب ، وقال ما نصّه ، ((فوجه منها ، البسط : الضرب ، قوله تعالى في سورة الأنعام : (وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ)(الأنعام : ٩٣} أي : ضاربو أيديهم إلى أرواح الكفار))[٢]

وتأمَّل كيف بالغ الدامغاني في تحريف دلالة النص القرآني ، ثم تعدَّاه إلى تحريف لغة العرب ، عندما أكَّد أنَّ البسط يعني الضرب بعينه ، حتى إنَّه عدَّى الضرب في التقدير بما يتعدَّى إليه البسط ، فجعل : باسطو أيديهم إلى أرواح الكفار ، بتقدير : ضاربو أيديهم إلى أرواح الكفار ، مع أنَّه يقال في اللغة : فلان بسط يدَه إلى فلان ، ولا يقال : فلان ضرب يدَه إلى فلان ، ومما هو معلوم أنَّ قوله تعالى : (بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ) تركيب إضافي من باب إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله ، والضمير (هم) في (أَيْدِيهِمْ) عائد على الملائكة ، فجعل البسط في (بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ) بمعنى الضرب ، وجعله بتقدير : ضاربو أيديهم إلى أرواح الكفار ، يُعدُّ من الشطحات الكبيرة التي لم أجدها إلّا في كتب الوجوه ؛ فكيف تسنَّى للدامغاني القول به ، وكيف

---

(١) المفردات ص ٥١ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ١/١٨٨-١٨٩ وبصائر ذوي التمييز ٢/٢١٨

(٢) الوجوه والنظائر ص ١٢٧-١٢٨

استساغه ، وقال ما لم يقل به من أحد من الأولين والآخِرين ؟! لأنَّ التقدير يعني : أنَّ الملائكة يضربون أنفسهم ، فأين معنى التقدير من معنى الآية ؟! ولو رجعتَ إلى كلِّ كتب اللغة قديمها وحديثها ، وقرأتها حرفًا حرفًا فهل يمكن أن تجد في باب ضرب مثالًا على نحو ما قدَّرَ ؟!

٣-**الجنّة** : قال الفيروزآبادي في باب الرجل ما نصّه : ((وورد الرجل في القرآن على وجوه : الأول : بمعنى الشخص ... والثاني : بمعنى ابن مسعود ... والثالث : بمعنى النبي صلى الله عليه وسلم ... والرابع : بمعنى حزبيل ... والخامس : بمعنى رجلين من بني إسرائيل ، مؤمن وكافر ، يهودا وفطروس : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لاحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ)(الكهف : ٣٢}))[١]

فقد جعل الفيروزآبادي في باب الرجل (الرجلين) بمعنى أخوين من بني إسرائيل : يهودا ، وفطروس ، وقد علّقْتُ على هذا الوجه بعدم صحته ؛ لأنّه ليس المراد تسمية الرجلين بالأخوين ، وإنّما تسمية الأخوين بالرجلين ، وهذا الوجه لا يعدّ شاذًّا وغريبًا مع عدم صحته ، لكن الشذوذ كلّ الشذوذ ، والغرابة كلّ الغرابة قول الفيروزآبادي في باب الجنّة ، فقد قال ما نصّه : ((بصيرة في الجنة ، وهي وما يشتق من مادتها على اثني عشر وجهًا :

الأول : بمعنى التوحيد ... والثاني : بمعنى بستان باليمن ... والثالث : بمعنى أخوين من بني إسرائيل (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لاحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا))(الكهف : ٣٢}))[٢]

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤٢/٣

(٢) بصائر ذوي التمييز ٣٥٢/٢

كيف استساغ الفيروزآبادي هذا الوجه ؟! وكيف تسنّى له أن يقول به ؟! إنَّه يجوز أن ينسَب هذا الوجه إلى (الرَّجُلَيْنِ) كما نسبه هو نفسه في باب الرجل ، لكن كيف يصحّ أن يُنسَب إلى (جَنَّتَيْنِ) ؟! كما أنَّ (جَنَّتَيْنِ) هنا عائدتان إلى رجل واحد ، يا سبحان الله ! ما هذا ؟! أهذه غفلة أم سهو أم جهل أم ماذا ؟! وكيف لم يفطن إلى هذا التناقض الكبير الذي أوقع فيه نفسه ، وإذا كان هذا الذي لا يُعقَل قد وقع فيه الفيروزآبادي ، فما بال محقق كتاب البصائر ، وهو محقق وأستاذ كبير ومشهور لم يعلّق ولم يعقّب ؟! فما باله يسكت عن هذا الذي لا يصحّ أن يمرَّ من دون أن يشير إليه بكلام ؟!

٤-**الحُكْمُ** : قال الحيري : ((باب الحُكم على أربعة أوجه :

أحدها : التفهم ، كقوله في آل عمران : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ){آل عمران : ٧٩}

الثاني : القضاء ، كقوله تعالى : (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ){المائدة : ٤٩} وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ){غافر : ٤٨}

الثالث : الرجم ، كقوله تعالى : (فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ){المائدة : ٤٣}

الرابع : القافة ، كقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا){الرعد : ٣٧} يعني القافة ؛ لأنَّ ما من حكم يشترك فيه العرب وغير العرب إلّا القافة ؛ لأنَّها يختصُّ بها العرب دون غيرهم)) [١]

جعَلَ الحيري الحُكْم في الوجه الأول بمعنى التفهم ، وجعَلَه في الوجه الثاني بمعنى القضاء ، وهذان الوجهان يعنيان الحكم بعينه ، فقد تقدَّم

---

(١) وجوه القرآن ص ١٦٣-١٦٤

تعريف الحُكْم بأنَّه يعني إحسان الشيء وإحكامه واتقانه ، والعلم والفقه والقضاء بالعدل ؛ فالحكم القضاء ، وجمعه أحكام ، والحكيم المتقن للأمور[١]

وجَعَلَ الحُكْمَ في الوجه الثالث بمعنى الرجم في قوله تعالى : (فِيهَا حُكْمُ اللّهِ) ومن الواضح جدًّا أنَّ الرجم غير الحُكْم ، حتى إنَّه لا يصح تقديره ؛ وما من أحد يجيز أن يكون المعنى أو التقدير : فيها رجم الله ، فرجم الزاني المحصن هو الحدُّ ، أمَّا الحُكْم فهو القضاء بهذا الحدّ وتشريعه ، فالفرق بينهما ظاهر ، فجعل الحُكْم بمعنى الرجم تحريف ظاهر

وجَعَلَ الحُكْمَ في الوجه الرابع بمعنى القافة في قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا){الرعد : ٣٧} وقال كما تقدم : ((يعني القافة ؛ لأنَّ ما من حكم يشترك فيه العرب وغير العرب إلّا القافة ؛ لأنَّها يختصُّ بها العرب دون غيرهم)) ، و((القائف : الذي يتتبَّع الآثار ، ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه ، وأبيه ، والجمع : القافة))[٢] ((والقائف : الذي يعرف الآثار ... وفي الحديث : إنَّ مُجَزِّزًا كان قائفًا))[٣] قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) : ((دينًا عربيًّا ، أُنزل على رجل عربي))[٤] وهو قول لم يوضح أبو عبيدة معناه والمقصود منه ، وقد بيَّن أهل التفسير ما المعنى المراد من قوله تعالى (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) قال الطبري : ((يقول تعالى ذكره : وكما أنزلنا عليك الكتاب يا محمد ، فأنكره بعض الأحزاب ، كذلك أنزلنا عليك الحكم والدين حكمًا عربيًّا ، وجعل ذلك عربيًّا ، ووصّفَه به ؛ لأنَّه أُنزِل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو عربيٌّ فنُسِب

---

(١) ينظر : لسان العرب ١٨٦/٤-١٨٧

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري ٥٠٠/٢

(٣) لسان العرب ٢٢٠/١٢

(٤) مجاز القرآن ص ١٢٨

الدين إليه ؛ إذ كان عليه أُنزل))[١] وقال التبريزي : ((أي : وكما أنزلنا إلى من تقدم من الأنبياء أنزلنا القرآن حكمًا عربيًّا ، الحكم : فصل الأمر بالحق ، والعربي من الكلام الجاري على مذاهب العرب في كلامها))[٢] وقال ابن عطية : ((و(حُكْمًا) نصب على الحال ، والحكم هو ما تضمنه القرآن من المعاني ، وجعله عربيًّا لمَّا كانت العبارة عنه بالعربية))[٣] ((مترجمة بلسان العرب))[٤] ((أي : وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم ، أنزلنا عليك القرآن حكمًا عربيًّا ، قال ابن عباس : يريد ما فيه من الفرائض))[٥] وقال القرطبي : ((وكما أنزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم ، كذلك أنزلنا إليك القرآن حكمًا عربيًّا ، أي : بلسان العرب ، ويريد بالحكم ما فيه من الأحكام ، وقيل : أراد القرآن كلّه ؛ لأنَّه يفصل بين الحق والباطل))[٦] وقال البيضاوي : البيضاوي : (((وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا) يحكم في القضايا والوقائع ، بما تقتضيه الحكمة (عَرَبِيًّا) مترجمًا بلسان العرب ؛ ليسهل لهم فهمه وحفظه))[٧] وقال أبو حيان الأندلسي : (((أَنزَلْنَاهُ) والضمير عائد على القرآن ، والحكم ما تضمنه من المعاني ، ولمَّا كانت العبارة عنه بلسان العرب نُسِب إليها))[٨]

---

(١) جامع البيان ١٩٦/١٣

(٢) الملخص في إعراب القرآن ص ٨٨-٨٩

(٣) المحرر الوجيز ٣١٦/٣

(٤) الكشاف للزمخشري ٥١٣/٢

(٥) زاد المسير ٢٥٧/٤ وينظر : الوسيط للواحدي ١٩/٣

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/٩

(٧) أنوار التنزيل ١٩٠/٣

(٨) البحر المحيط ٥١٠/٥

وقال الآلوسي : ((والتعرض لكونه عربيًّا ، أي : مترجمًا بلسان العرب ، للإشارة إلى أنَّ ذلك إحدى موادّ المخالفة للكتب السابقة ، مع أنَّ ذلك مقتضى الحكمة ؛ إذ بذلك يسهل فهمه ، وإدراك إعجازه ، يعني بالنسبة للعرب)) [1]

فالمراد إذن من قوله تعالى : (حُكْمًا) القرآن كلّه ؛ لأنَّه يفصل بين الحق والباطل ، أو الأحكام التي تضمنها ، ومن قوله تعالى : (عَرَبِيًّا) أنَّه أنزل بلسان العرب ، فيكون قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) هو كقوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(يوسف : ٢} وقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)(طه : ١١٣} وقوله تعالى : (وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ)(الأحقاف : ١٢} فكيف تسنَّى للحيري أن يجعل الحكم في قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) بمعنى القافة ؛ لأنَّه كيف يصح أن يكون التقدير : وكذلك أنزلناه قافة عربيًّا ؟! هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ جَعْلَ الحُكْم فيه بمعنى القافة يقتضي أن يكون القرآن الكريم هو دين القافة من العرب ، والأحكام والتشريعات التي فيه هي أحكام قيافتهم وتشريعاتها ، توصلوا إليها بعلم القيافة ، هذا العلم الذي لا يملكه غيرهم ، فيكون القرآن هو من تأليفهم ومن عندهم لا من عند الله سبحانه ، ومن البديهي أنَّه لم يقل بهذا الوجه أحد من المفسرين ؛ لأنَّه وجه ما أنزل الله به من سلطان لا من قبل ولا من بعد ، فهذه هي كتب الوجوه

٥-**الشفاء** : قال الحيري : ((باب الشفاء على أربعة أوجه :

أحدها : الشفاء بعينه ، كقوله تعالى : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ)(التوبة : ١٤} وقوله

---

(١) روح المعاني ١٥٨/٧

تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا)(الإسراء : ٨٢}

الثالث : العسل ، كقوله تعالى : (فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ)(النحل : ٦٩}

الرابع : العافية ، كقوله تعالى : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)(الشعراء : ٨٠}))[١] قال المحقق : كذا في الأصل ، ولم يذكر الوجه الثاني ، فلعله سقط ، أو سهو من الناسخ

الشفاء والعافية : جعل الحيري الشفاء بمعنى العسل في قوله تعالى (فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ) وهذا الشاهد هو ضمن قوله تعالى : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ {٦٨} ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(النحل : ٦٨-٦٩} والهاء في (فِيهِ) عائدة على العسل ، والمعنى : في العسل شفاء للناس ، فكيف يصحُّ أن نجعل الشفاء هنا بمعنى العسل ؟! لأنَّه كيف يصح أن يكون المعنى أو التقدير : في العسل عسل ؟! فهذا ما لا يقول به عاقل يعي ما يقول ، لكنَّه كيف حصل القول بهذا الوجه ، وعلى الرغم من ذلك فإني لم أجد المحقق يعقِّب على هذا الوجه أو يعلِّق عليه بأي كلام كان ، فها هي كتب الوجوه والنظائر ، وها هم محققوها .

وجعل الحيري وغيره الشفاء بمعنى العافية في قوله تعالى : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) [٢] وقد أبقى أهل التفسير الشفاء هنا أيضًا على بابه ، إلّا أنَّ منهم مَن قرنه بالعافية ، قال الطبري في تفسير الآية : ((يقول : وإذا

([١]) وجوه القرآن ص ٢٦٨ .

([٢]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٢٦٨ ، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٨٨-٢٨٩ ونزهة الاعين ص ١٦٦-١٦٧

سقم جسمي واعتلَّ فهو يبرئه ويعافيه))[1] والشفاء من المرض يعني البرء منه ، لكنَّه لا يعني العافية ، فالعفو : ترك الشيء ، ومنه عفو الله عن خلقه ، وذلك تركه إياهم فلا يعاقبهم فضلًا منه ، وكلٌّ من استحق عقوبة فتركتَها ، فقد عفوتَ عنه ، وورد في القرآن الكريم من العفو الفعل الثلاثي ، ولم يرد فيه ما كان على وزن فاعل ، وفي ((حديث أبي بكر رضي الله عنه : سلوا اللهَ العفوَ ، والعافية ، والمعافاة[2] فالعفو محْوُ الذنوب ، والعافية أن تسلم من الأسقام والبلايا ، وهي الصحة وضد المرض ... والمعافاة : هي أن يعافيك اللهُ من الناس ، ويعافيهم منك ، أي : يغنيك عنهم ، ويغنيهم عنك ، ويصرف أذاهم عنك ، وأذاك عنهم ، وقيل : هي مفاعلة من العفو ، وهو أن يعفو عن الناس ، ويعفوا هم عنه))[3] فالشفاء غير العافية ، والفرق بينهما واضح فالشفاء يعني الشفاء من الأمراض والبلايا بعد الإصابة بها ، والعافية تعني السلامة منها ، أي : عدم الإصابة بها مسبَقًا ، ويجب أن يكون هذا هو المعنى المقصود من عبارة ((ويعافيه) أن يجعله بعد البرء من مرضه في صحة وعافية

وقد جعل الحيري الشفاء في الوجه الأول يعني الشفاء بعينه ، وهو كذلك أينما ورد في كتاب الله ، وإنَّه لمن الزيغ في التأويل والتحريف في الدلالة جعله بمعنى البيان أو العافية أو بأيِّ معنى آخَر غير معناه الذي وُضِع له.

٦-**الفتية** : قال الحيري : ((باب فتية على خمسة أوجه :

أحدها : الجواري...

([1]) جامع البيان للطبري ١٠٠/١٩

([2]) أخرجه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد

([3]) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري ٢٢٩/٢ وينظر : لسان العرب ٢١٠/١٠ وتاج العروس ٣٥/٣٩

والثاني : الخدم٠٠٠

والثالث : اللهو كقوله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف){الكهف : ١٠}

والرابع : الشاجر٠٠٠

والخامس : إبراهيم)) [١]

جعل الفتية في الوجه الثالث بمعنى اللهو ، في قوله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف) وهو كما ترى وجه شاذ وغريب لا يمكن أن تجد له وجهًا لا في اللغة ولا في التفسير ، ومع ذلك لم يعلّق عليه المحقق بكلام

٧-**القرآن** : قال الحيري : ((باب القرآن على سبعة أوجه :

أحدها : القرآن بعينه ، كقوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ){القرآن : ١٨٥}

والثاني : كتاب من الكتب ، كقوله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ){يونس : ١٥}

والثالث : بسم الله الرحمن الرحيم ، كقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ){الرعد : ٣١}

والرابع : آية الكرسي ، كقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ){الحجر : ٨٧}

والخامس : صلاة الفجر ، كقوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا){الإسراء : ٧٨}

والسادس : التوحيد ، كقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ {١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ){الرحمن : ١-٢}

([١]) وجوه القرآن ص ٣٣٢-٣٣٣

والسابع : القراءة ، كقوله تعالى : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ){القيامة : ١٧}))[١]

صحَّ قول الحيري عندما جَعَلَ القرآن في الوجه الأول يعني القرآن بعينه ، وفي الوجه الأخير بمعنى القراءة ؛ لأنَّ هذا هو معنى القرآن في اللغة ، قال ابن فارس : ((القاف والراء والحرف المعتلّ أصل صحيح يدلُّ على جمع واجتماع ... قالوا : ومنه القرآن كأنَّه سُمِّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك)) [٢] وقال الراغب : ((والقرآن في الأصل مصدر نحو كُفران ، ورُجحان قال تعالى : ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ {١٧} فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ){القيامة : ١٧-١٨} قال ابن عباس : إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به ، وقد خُصَّ بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كالعَلَم ، كما أنَّ التوراة لِما أُنزل على موسى ، والإنجيل على عيسى صلى الله عليهما وسلم))[٣] ((و(ال) فيه للعهد ، ومنه قيل : هو علم بالغلبة ، واشتقاقه من قرأ ، أي : جمعَ ؛ لأنَّه مجموع من سور ، والسور من آيات ، والآيات من كلمات ، والكلمات من حروف ، وقيل : لأنَّه جمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والتنبيه وغير ذلك ... وقيل : بل هو من قرن ؛ لأنَّه قد اقترنت فيه الكلمات والسور والآيات ، أو الوعد والوعيد والأمر والنهي حسبما تقدم ، والقرآن مصدر أيضًا))[٤] فالقرآن الكريم عَلَمٌ منقول من قرأ قراءة وقرآنًا ، وقد جعل الحيري القرآن بصفة عَلَميّته على خمسة أوجه وهي الأوجه الباقية .

([١]) وجوه القرآن ص ٣٤١-٣٤٢

([٢]) مقاييس اللغة ص ٧٧١

([٣]) المفردات ص ٤١٩

([٤]) عمدة الحفاظ للحلبي ٢٨٦/٣

لا غرابة إذا جعلَ الحيري القرآن في الوجه الثاني بمعنى كتاب من الكتب في قوله تعالى : (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) وإن كان المراد من القرآن القرآن بعينه ، قال الزجاج : ((ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) أي : ائت بقرآن ليس فيه ذكر البعث والنشور ، وليس فيه عيب آلهتنا)) [١] وقال الواحدي : ((أي : بقرآن ليس فيه عيب آلهتنا ، وذكر البعث والنشور)) [٢] وقال الزمخشري : ((ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيضنا)) [٣] فأكثر أهل التفسير استعملوا مصطلح القرآن ، أي : أبقوا القرآن على لفظه ؛ لأنَّهم أرادوا قرآنًا آخر من حيث أحكامه لا من حيث عنوانه ، فهم لم يعترضوا على القرآن في تسميته ، بل في مضمونه ، فهم لم يسألوه تبديل اسمه ، بل سألوه أن يأتي بقرآن آخر حسب هواهم ، أي : أن يغيِّر ما فيه فقد سألوه : ((أن يحوِّل الوعد وعيدًا ، والوعيد وعدًا ، والحلال حرامًا ، والحرام حلالًا ... أو أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم ... أو إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور))[٤] فيكون المراد من القرآن من حيث اللفظ القرآن بعينه

وكذلك إذا جعلَ القرآن في الوجه الخامس بمعى صلاة الفجر ، في قوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) وإن كان المراد من القرآن القرآن بعينه ، قال الطبري : ((وأمَّا قوله : (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) فإنَّ معناه : وأقم قرآن الفجر ، أي : ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن ، والقرآن معطوف على الصلاة ، في قوله

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٠/٣

(٢) الوسيط ٥٤١/٢

(٣) الكشاف للزمخشري ٢٢٢/٢-٢٢٣

(٤) الجامع لأحكام القرآن٢٢٠/٨

تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ)))[1] وقال الزجاج : (((وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) أي : فأقم قرآن الفجر ، وفي هذا الموضع فائدة عظيمة تدلُّ على أنَّ الصلاة لا تكون إلاَّ بقراءة ؛ لأنَّ قوله أَقِمِ الصَّلاَةَ وأقم قُرْآنَ الْفَجْرِ ، قد أمر أن تقيم الصلاة بالقراءة حتى سُمِّيتْ الصلاة قرآنًا ، فلا تكون صلاة إلّا بقرآن ، وقوله (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) جاء في التفسير : أنَّ ملائكة الليل يحضرون قراءة الفجر ، وملائكة النهار يحضرونها أيضًا))[2] روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية : (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار[3] والهاء في ((تشهده)) عائدة على القرآن ، فليس المراد إذن من (قُرْآنَ الْفَجْرِ) الصلاة بل القرآن الذي يُقرأ فيها ، وهو المشهود من الملائكة ، فصلاة الفجر عظم شأنها عند الله لِما يُقرأ فيها من القرآن ، فيكون المراد من القرآن القرآن بعينه

لكن من الغريب أن يجَعَلَ القرآنَ في الوجه الثالث بمعنى : بسم الله الرحن الرحيم : في قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) قال مقاتل : ((وذلك أنَّ أبا جهل بن هشام المخزومي قال لمحمد : سيِّر بقرآنك هذا الجبل عن مكَّة ... فأنزل الله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) يقول : لو أنَّ قرآنًا فعل ذلك به قبل هذا القرآن لفعلناه بقرآن محمد عليه السلام ، ولكنه شيء أعطيه رسلي))[4] ((قال ابن زيد في قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) قال : قالوا للنبي ، صلى الله عليه وسلم : إن كنتَ صادقًا فسيِّر عنا هذه الجبال ... فأنزل الله : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) لم يصنع

([1]) جامع البيان ١٦٠/١٥

([2]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٩/٣

([3]) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة . ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٥٤/٥ وتفسير ابن كثير ٧٨/٥

([4]) تفسير مقاتل ١٧٧/٢

ذلك بقرآن قطّ ولا كتاب ، فيصنع ذلك بهذا القرآن))[1] وقال الزجاج : ((إنَّ المعنى : لو أنَّ قرآنًا سُيِّرتْ به الأرض أو كُلِّم به الموتى لما آمنوا به)) [2] ((والمعنى : لو أنَّ قرآنًا فعل به ذلك ما التمسوا لكان هذا القرآن)) [3] فهذا هو معنى الآية ، ولا أدري من أين أتى الحيري بالوجه الذي قال به ، وهو جعله القرآن بمعنى : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولم أجد في كتب التفسير من ذكر هذا الوجه ، أو قيل به .

ومن الغريب أيضًا جَعْلُه القرآنَ في الوجه الرابع بمعنى آية الكرسي في قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال مقاتل في تفسير هذه الآية : ((يعني : ولقد أعطيناك فاتحة ، وهي سبع آيات (وَالْقُرْآنَ) كلّه مثاني ، ثم قال (الْعَظِيمَ) يعني : سائر القرآن كلّه)) [4] وقال الطبري : ((وأمَّا قوله (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) فإنَّ القرآن معطوف على السبع ، بمعنى : ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن ، وغير ذلك من سائر القرآن)) [5] ((وهذه تدلَّ على فضيلة الفاتحة ؛ لأنَّ الله تعالى امتنّ على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بهذه السورة ، كما امتنَّ عليه بجميع القرآن)) [6]

فمن الواضح جدًّا أنَّ المراد من القرآن هنا القرآن كلّه والقرآن بعينه ، وأقول مرة أخرى : ولا أدري من أين أتى الحيري بالوجه الذي قال به ، وهو جعله القرآن بمعنى آية الكرسي

([1]) جامع البيان١٨٢/١٣

([2]) معاني القرآن وإعرابه ١٢١/٣

([3]) الوسيط ١٦/٣

([4]) تفسير مقاتل ٢١٠/٢

([5]) جامع البيان ٧٣/١٤ وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥٢/٣

([6]) الوسيط ٥٢/٣

وكذلك جَعْلُه القرآنَ في الوجه السادس يعني التوحيد في قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ {١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ) رجعتَّ إلى كتب التفسير بدءًا بتفسير مقاتل المتوفى ١٥٠هـ حتى تفسير ابن عاشور المتوفى ١٩٥٠م فلم أجد فيها من قال أو نقل أنَّ القرآن في قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ {١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ) جاء بمعنى التوحيد ، فلا أدري من الذي أوحى إلى الحيري بالوجه الذي قال به ؟! فهذه هي كتب الوجوه .

٨-**النصر** : قال الحيري : ((باب النصر على أربعة أوجه :

أحدها : المنع٠٠٠

والثاني : الظفر :

والثالث : الغدر ، كقوله تعالى : (إنْ ينصرْكمُ اللهُ فلا غالب لكم)}آل عمران : ١٦٠}٠٠٠

والرابع : الانتقام)) [١]

جعل النصر في الوجه الثالث بمعنى الغدر وجه غريب وشاذ وغير معقول وغير مقبول ، إذ كيف يصحّ جعل الآية بتقدير : إن يغدركم اللهُ فلا غالب لكم ؟! وعلى الرغم من ذلك لم يعلّق المحقق على هذا الوجه بأيٍّ كلام كان .

٩-**النهر** : قال الحيري : ((باب النهر على وجهين : أحدهما : النهر بعينه ٠٠٠

والثاني : البشر : كقوله تعالى : (ولا تنْهَرْهما وقلْ لهما قولًا كريمًا)}الإسراء : ٢٣} وقوله تعالى : (وأمّا السائلَ فلا تنْهَرْ)}الضحى : ١٠}))[٢]

([١]) وجوه القرآن ص ٣٩١

([٢]) وجوه القرآن ص ٣٩٣

والنَّهْر والانتهار : الزجر بغلظة ، يقال : نهره وانتهره : زجره وأغضبه . قال تعالى : (فلا تقلْ لهما أُفٍّ ولا تنهرهما)}الإسراء : ٢٣} وقال تعالى : (وأمّا السائلَ فلا تنهرْ)}الضحى : ١٠}[١]

جعل الحيري في الوجه الثاني فعل النهر والانتهار الذي يعني الزجر بمعنى البشر ، وهذا وجه مبهم وغريب لا يمكن أن تجد له وجهًا لا في اللغة ولا في التفسير ، وكان ينبغي للمحقق أن يوضح لنا هذا الوجه ، فإذا تعذّر عليه ذلك وجب عليه أن يعلق عليه بكلام .

الطريقة العشرون : تأويل الصفات

كان من الطرائق التي اتبعها أصحاب كتب الوجوه في اختلاق الوجوه تأويل صفات البارئ عزّ وجلّ ، وقد تقدمت أمثلة منها في مواضع مختلفة ، ومنها ما جاء من أوجه الألفاظ الآتية :

١-**الاستحياء (المنسوب إلى الله سبحانه)** : ذكر أصحاب كتب الوجوه كما تقدم أن الاستحياء جاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه : الاستخدام ، والترك ، والحياء :

الوجه الأول : الاستحياء يعني الاستخدام ، أو الاستبقاء للخدمة ، كقوله تعالى : (وَيَسْتَحْيونَ نِساءَكُمْ)}البقرة : ٤٩}

والوجه الثاني : يستحي : يترك ، قوله تعالى : (إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلًا ما)}البقرة : ٢٦} أي : لا يترك أن يضرب مثلًا

والوجه الثالث : يستحي من الحياء ، قوله تعالى : (إنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ)}البقرة : ٥٣}[٢]

([١]) ينظر : المفردات للراغب ص ٥٣٠ وعمدة الحفاظ للحلبي ٢٢٦/٤ وبصائر ذوي التمييز ١٢٩/٥

([٢]) ينظر : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٧ ونزهة الأعين ص ٢٠-٢١ وبصائر ذوي التمييز ١٥٥/٢.

تكلمنا على وجهي الاستحياء المنسوب إلى الإنسان في المقدمة ، وأرجأنا هنا المنسوب إلى الله سبحانه ، وهو وجه الترك ، وهو وجه مختلق بطريقة التأويل ، فقد رجّح الطبري تأويل الاستحياء المنسوب إلى الله سبحانه بالخشية فقال : ((فمعنى قوله إذن : (إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلًا ما) إنّ الله لا يخشى أن يصف شبهًا لما شبّه به)) [١] وقال ابن عطية : ((وقال غيره : معناه : يترك ، وهذا هو الأولى)) [٢] وقد التجؤوا إلى هذا التأويل لأنّ الحياء كما قال الراغب ((انقباض النفس٠٠٠ وقال الله تعالى : (وَاللّه لا يَسْتَحْيي مِنَ الحقِّ){الأحزاب : ٥٣) وروي : إنّ الله تعالى يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه ، فليس يراد انقباض النفس ؛ إذ هو منزّه عن الوصف بذلك ، وإنّما المراد به ترك تعذيبه ، وعلى ما روي : إنّ الله حيِّيٌ ، أي : تارك للقبائح فاعل للمحاسن))[٣] فـ((قوله تعالى : (إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلًا ما) لا يترك واستحياء الله كراهته للشيء وتركه إياه٠٠٠والاستحياء تغير وانكسار يعتري المستحي والله تعالى منزّه عن ذلك فكان مجازه كما ذكرنا))[٤] وقال الزمخشري : ((والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم٠٠٠فإن قلتَ : كيف جاز وصف القديم سبحانه به ، ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم ، وذلك في حديث سلمان قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إنّ الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرًا ، حتى يضع فيهما خيرًا ، قلتُ هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد٠٠٠وكذلك (إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي) أي : لا يترك٠٠٠ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا : أما

---

(١) جامع البيان ٢٠٦/١

(٢) المحرر الوجيز ١١٠/١

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٤٥-١٤٦

(٤) عمدة الحفاظ للحلبي ٤٧٩/١

يستحيي ربّ محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت ، فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال ، وهو فنٌّ من كلامهم بديع وطراز عجيب))[1]

وقال ابن عاشور : ((والاستحياء والحياء واحد ، فالسين والتاء فيه للمبالغة مثل استقدم واستأخر واستجاب ، وهو انقباض النفس من صدور فعل٠٠٠فهو هيئة تعرض للنفس ، هي من قبيل الانفعال يظهر أثرها على الوجه)) [2]

وابن عاشور بعد أن عرّف الاستحياء بهذا التعريف الذي لا يصحّ وصف الله به ، فإنّه بدلًا من أن يؤول الاستحياء المنسوب إليه نفاه عنه مطلقًا حقيقة ومجازًا فقال : ((والاستحياء هنا منفي عن أن يكون وصفًا لله تعالى ، فلا يحتاج إلى تأويل في صحة إسناده إلى الله ، والتعلل لذلك بأن نفي الوصف يستلزم صحة الاتصاف به تعلل غير مسلم)) [3]

وصفوة ما تقدم ذكره أنّ الاستحياء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾{البقرة : ٢٦} ((استعماله هنا في حق الله تعالى مجاز عن الترك٠٠٠وقيل مجاز عن الخشية٠٠٠وجعله الزمخشري في باب المقابلة)) [4]

وتأويل أهل اللغة والتفسير استحياء الله بالخشية أو الترك غير مقبول وغير جائز لما يأتي :

([1]) الكشاف ١١٧/١-١١٨ وينظر : الوسيط للواحدي ١٠٧/١-١٠٨ وأنوار التنزيل ٦٢/١ ومدارك التنزيل ص ٤٠ وزاد المسير ٤٦/١ والجامع لأحكام القرآن ١٩٥/١

([2]) التحرير والتنوير ٣٥٦/١

([3]) التحرير والتنوير ٣٥٦/١

([4]) اللباب ٤٦٠/١

١-حين تعللوا بتأويل الاستحياء المنسوب إلى الله تعالى بالخشية ؛ لأنّ الاستحياء لا يصح أن يتصف به الله سبحانه ، فكذلك الخشية لا يصح أن يتصف بها الله سبحانه .

٢-إذا كان الله سبحانه أراد من قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي) معنى : إنّ الله لا يترك ، فلِمَ لم يستعمل سبحانه لفظ الترك بدلًا من لفظ الاستحياء ؟!

٣-إذا كان الاستحياء لا يصح أن يُنسَب إلى الله ، سبحانه ، فلماذا نسبه الله إليه ؟!

٤-هناك صفات مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وبين الإنسان ، من ذلك مثلًا أنّ الله سبحانه وصف نفسه بالرأفة والرحمة فقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾{النحل : ٧} وكذلك وصف رسوله بهاتين الصفتين باللفظ نفسه فقال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾{التوبة : ١٢٨} والصفات والألفاظ المشتركة بين الله سبحانه والإنسان كثيرة ، فلو نفينا هذه الصفات عن الله جلّ وعلا بحجة أنّ الحالات التي تصاحب هذه الصفات حين صدورها من الإنسان لا تليق بالله ، لعطَّلنا بذلك كلّ الصفات الإلهية ، وهذه الحجة متأتِّية من تشبيههم الله سبحانه بالإنسان ، قال ابن عثيمين رحمه الله : ((إنّنا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ، ويختلف في الحقيقة والكيفية ، فنشاهد أنّ للإنسان يدًا ليست كيد الفيل ، وله قوّة ليست كقوّة الجمل مع الاتفاق في الاسم ، فهذه يد وهذه يد ، وهذه قوّة وهذه قوّة وبينهما تباين في الحقيقة والوصف ، فعلم بذلك أنّ الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة))[١] وقال : ((إن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٢٦-٢٧

ظاهرها إلّا حيث اعتقدوا أنّه مستلزم أو موهم لتشبيه الله بخلقه ، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر ؛ لأنّه تكذيب لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾{الشورى : ١١} قال نعيم بن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري رحمهما الله : مَن شبّه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ، ولا رسوله تشبيهًا)) [١] وقال : ((علم مما سبق : أنّ كلّ معطِّل ممثِّل ، وكلّ ممثِّل معطِّل ، أمّا تعطيل المعطِّل فظاهر ، وأمّا تمثيله فلأنّه إنّما عطّل لاعتقاده أنّ إثبات الصفات يستلزم التشبيه فمثَّلَ أولًا ، وعطّل ثانيًا ، كما أنّه بتعطيله مثَّله بالناقص)) [٢] فنحن نثبت صفات الله سبحانه كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، لكن من غير تشبيه ولا تكييف

٥-والحقيقة أنّه لا حاجة في أن نعطل صفات الله بالتأويل بالحجة والعلة التي احتج وتعلل بها المتأولون ، لأنّ الكيفية تختلف وإن كان اللفظ مشتركًا والمصطلح واحدًا ، وكأنّهم لم يقرؤوا قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير)}الشورى : ١١} لذلك لا يجوز ولا يصح إقحام صفات الله بين وجوه أي لفظ كان ، لأنَّه ليس مثل ذاته ذات ، ولا تشبه صفاته صفات .

فالصحيح أنّه لا مجاز ولا تأويل في صفة الاستحياء خاصة ، وفي صفات الله عامّة ، وهذا ما قد صرّح به بعض المفسرين ، فقد قال ابن الجوزي ((والحياء بالمدّ : الانقباض والاحتشام غير أن صفات الله عز وجلّ لا يطلع لها على ماهية ، وإنّما تُمَرّ كما جاءت)) [٣]وقال الآلوسي : ((وللناس في ذلك مذهبان ، فبعض يقول بالتأويل ؛ إذ الانقباض النفساني

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٤٣

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٤٧

(٣) زاد المسير ٤٦/١

مما لا يحوم حول حضائر قدسه سبحانه ، فالمراد بالحياء عنده الترك٠٠٠وبعضٌ ، وأنا والحمد لله منهم ، لا يقول بالتأويل ، بل يُمرّ هذا وأمثاله مما جاء عنه في الآيات والأحاديث على ما جاءت ، ويَكِلُ علمها بعد التنزيه عما في الشاهد إلى عالم الغيب والشهادة)) [1]

٢-العين (المنسوبة إلى الله سبحانه) : ذكر أصحاب كتب الوجوه كما تقدم أنّ للعين في القرآن الكريم اثنين وعشرين وجهًا ، منها الوجه الذي ذكروه للعين المنسوبة إلى الله ، سبحانه . قال العسكري : ((العين٠٠٠وهي في القرآن على وجهين :

الأول : عين الإنسان .

والثاني : العين بمعنى الحفظ ، وهو قوله تعالى : (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[طه : ٣٩} أي : لتربّى وأنا حافظ لك ، وذلك أنَّ من له بالشيء عناية يجعله نصب عينه ناظرًا إليه ، فاستعير ذلك في شدة الحفظ لما فيه من الدلالة على صدق العناية ، ومنه قوله تعالى : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)[القمر :١٤ } أي : تجري في أمن وحفظ)) [2]

هذا هو التأويل الذي قال به جمهور أهل اللغة والتفسير ، في العين المضافة إلى البارئ عز وجل وقد جاءت في خمسة مواضع هي : قول الله تعالى : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ)[هود : ٣٧} وقوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[طه : ٣٩} وقوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلّا مَن

([1]) روح المعاني ٢٠٨/١

([2]) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص ٢٥٠-٢٥١ وينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٣١١ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٤٤ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٦٩ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٢٠٦ وعمدة الحفاظ ١٤٨/٣ وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٥/٤.

سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ){المؤمنون : ٢٧} وقوله تعالى : (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ){الطور : ٤٨} وقوله تعالى : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ){القمر : ١٤}

ولكون العين المنسوبة إلى البارئ عز وجل تمثل صفة من صفاته ، فقد اختلف أهل التأويل في تأويلها ، فقد قيل في قوله تعالى في سورة هود : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) الأقوال الآتية :

١-(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) أي : بعين الله ، فجعل الجمع بمعنى المفرد ، أو أراد من الجمع معنى التعظيم ، وقيل أراد من الأعين الملائكة ، والمعنى : بملائكتنا الذين جعلناهم عيونًا على مواضع حفظك ومعونتك فيكون المراد من الجمع التكثير ، وقيل أراد من الجمع المثنى ، فقوله تعالى : (بِأَعْيُنِنَا) معناه : بعينينا

٢-(بِأَعْيُنِنَا) أي : بإبصارنا إليك .

٣-(بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منَّا ، أي : بحفظنا إيّاك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك .

٤-(بِأَعْيُنِنَا) أي : بعلمنا [١].

وكذلك اختلف على هذا النحو في تفسير العين في سورة طه ، فقيل في قوله تعالى : (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) الأقوال الآتية :

---

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤٢/١٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤١/٣ والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥٧٢/٢ وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٧٨/٤ واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٤٨٢/١٠ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٢٤٨/٦ والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٥/١١.

١–لتُربَّى وتُغذَّى ويُحسن إليك على ما أحبّ وأريد ، وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به ، وتقول للصانع : اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلّا تخالف به عن مرادي وبغيتي .

٢– لتُربَّى على علم مني ، ولمَّا كان العالم بالشيء يحرسه من الآفات ، أطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه .

٣–بمرأى مني ، ولكن لا يكون ذلك تخصيصًا لموسى عليه السلام فإنَّ جميع الأشياء بمرأى من الله سبحانه ، على أنَّه قد يقال : هذا الاختصاص للتشريف كاختصاص عيسى بكلمة الله (كُنْ فَيَكونْ) ، والكعبة ببيت الله ، مع أنَّ الكل موجود بهذه الكلمة ، وكل البيوت بيت الله [١]

وقد ثبت في الحديث الصحيح أنَّ لله عينين ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال : إنِي لأنذركموه ، وما من نبي إلّا وقد أنذره قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه : إنَّه أعور ، وإنَّ الله ليس بأعور . رواه البخاري [٢] وفي رواية : وإنَّ ربكم ليس بأعور [٣]

ولا تعارض بين السنّة التي بيَّنت أنَ لله عينين وبين ما جاء في القرآن الكريم الذي جاء فيه كما تقدم لفظ العين وهي مضافة إلى الله سبحانه بصيغة المفرد في موضع وبصيغة الجمع في عدة مواضع ، لأنَّ من أساليب العرب التعبير عن التثنية بصيغة الإفراد والجمع عند أمن اللبس ، فـ((كل جزأين أضيفا إلى كُلِّيْهِما لفظًا أو تقديرًا ، وكانا مفردين من صاحبيهما جاز

---

(١) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٦٦ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٩٠/٣والوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٠٦/٣ والكشاف للزمخشري ٦٢/٣ واللباب في علوم الكتاب ٢٣٨/١٣-٢٣٩ وروح المعاني ٥٠٣/٨ والتحرير والتنوير ١١٩/١٦.

(٢) صحيح البخاري ص ١٧٣٠ رقم الحديث ١١٢٧.

(٣) ينظر : مجمع الزوائد لابن طاهر المالكي المغربي ص ٥٧٧.

فيهما ثلاثة أوجه : الأحسن الجمع ، ويليه الإفراد عند بعضهم ، ويليه التثنية ، وقال بعضهم : الأحسن الجمع ثم التثنية ثم الإفراد ، نحو : قطعتُ رؤوس الكبشين ، ورأس الكبشين ، ورأسي الكبشَينِ ... لو قلتَ : قبضتُ دراهمكما تعني : درهميكما لم يجز لِلَّبس ، فلو أمن لجاز ، كقوله : اضرباه بأسيافكما ... وإنَّما اختير الجمع على التثنية ، وإن كانت الأصل لاستثقال توالي تثنيتين ، وكان الجمع أولى من المفرد لمشاركة التثنية في الضم ، وبعده المفرد لعدم الثقل)) [1] ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا){التحريم : ٤} فلم يقل : فقد صغا قلباكما ، بل قلوبكما ، فذكر الجمع وأراد التثنية ، وكذلك العين المضافة إلى الله سبحانه جاءت مفردة وجمعًا وأريد في كليهما التثنية والله أعلم ، على أنَّه يجب التنبيه هنا على مسألة وهي وجوب عدم الخوض في تأويل صفات الله سبحانه ، لقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ){الشورى : ١١} فقد نفى البارئ تعالى ذكره في هذه الآية أن يكون له شبيه أو مثيل ، وكذلك صفاته لأنَّها متعلقة بذاته ، فهو سبحانه ليس كمثله شيء ، وكذلك صفاته ليست كمثلها شيء ، لذلك عُدَّت صفات الله من المتشابه جاء في روح المعاني للآلوسي في تفسير قوله تعالى : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) ((أنَّ هذا من المتشابه ... ففي الدر المنثور عند الكلام على هذه الآية أخرج البيهقي عن سفيان بن عُيينة قال : ما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه في كتابه فقراءته تفسيره ، ليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية)) [2] لِما تقدم ذكره فإنَّه لا يصحّ إقحام أية صفة من صفات الله بين وجوه أي لفظ كان

([1]) الدر المصون ٤/٢٦٢-٢٦٣ .

([2]) الدرّ المصون ٦/٢٤٨.

٣-**اليمين** : ذكر أصحاب كتب الوجوه لليمين في القرآن تسعة أوجه ، وقد جاءت مضافة إلى الله سبحانه في الوجه التاسع :

الوجه الأول : الجارحة ، أو العضو المعروف الذي تماثله كقوله تعالى : وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)}طه : ١٧{

والوجه الثاني : القسَم أو الحَلِف ، كقوله تعالى : (لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ)}البقرة : ٢٢٥{

والوجه الثالث : الجنة ، كقوله تعالى : (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ)}الواقعة : ٢٧{

والوجه الرابع : القوة ، كقوله تعالى : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ)}الصافات : ٩٣{

والوجه الخامس : الدين ، كقوله تعالى : (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ)}الصافات : ٢٨{

والوجه السادس : العهود ، كقوله تعالى : (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)}القلم : ٣٩{

والوجه السابع : الصلة ، أو الزيادة ، كقوله تعالى : (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)}النساء : ٣{

والوجه الثامن : الجانب الأيمن من الشيء ، كقوله تعالى : (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ)}المعارج : ١٧{

والوجه التاسع : القوة ، والقدرة ، كقوله تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)}الزمر : ٦٧{ يعني بقوته وقدرته[١]

([١]) ينظر : وجوه القرآن للحيري ص ٤٠٥ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٧٩-٤٨١ ونزهة الأعين ص ٣١٤ ومنتخب قرة العيون ص ٢٤٦-٢٤٧ وبصائر ذوي التمييز ٤٠٩/٥-٤١٠

قال ابن فارس : ((الياء والميم والنون كلمات من قياس واحد ، فاليمين : يمين اليد ، ويقال : اليمين : القوة...واليمين : البركة ... واليمين : الحَلِف ، وكل ذلك من اليد اليمنى ... وسمِّي الحَلِف يمينًا ؛ لأنَّ المتحالفين كأنَّ أحدهما يصفق بيمينه على يمين صاحبه))[1] وقال الراغب : ((اليمين أصله الجارحة ... واستعير اليمين للتيمّن والسعادة ... واليمين في الحلف مستعار من اليد اعتبارًا بما يفعله المعاهد والمحالف وغيره ، قال تعالى : (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ){القلم : ٣٩}(لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ){البقرة : ٢٢٥}))[2] ((واليمين : القسم ؛ لأنَّهم كانوا يتماسحون بأيمانهم)) [3] فالأصل في اليمين اليد اليمنى ، وفي ما عدا ذلك فهي مستعارة ، استعيرت لمعاني الحلف والقسم ، ولمعاني البركة والخير ، ولمعاني القوة والقدرة

جعل أهل الوجوه اليمين في الوجه الأول بمعنى الجارحة المعروفة ، وجعلوها في الوجه الثامن بمعنى الجانب الأيمن من الشيء ، واليمين في كلا هذين الوجهين تعني اليمين بعينها ، وهذا يعني أنّ الأوجه الستة الباقية لا تعني اليمين بعينها ؛ فهي إذن أوجه مختلقة اختُلِقت بستّ طرائق:

الأولى : جعل اللفظ بمعاني صفاته : فقد جعلوا اليمين في الوجه الرابع بمعنى القوة في قوله تعالى : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((عن قتادة : فأقبل عليهم يكسّرهم ...عن ابن إسحاق : ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربًا باليمين ، ثم جعل يكسّرهنَّ بفأس

([1]) مقاييس اللغة ص ٩٧٢

([2]) المفردات للراغب ص٥٧٧-٥٧٨ وينظر : العين للخليل ص ١٠٧٦ وتهذيب اللغة للأزهري ٣٩٨٤/٤-٣٩٨٧ ولسان العرب ٣٢٣/١٥-٣٢٧ وتاج العروس١٥٠/٣٦-١٥٥

([3]) بصائر ذوي التمييز٤٠٧/٥

بيده))[1] وقال الواحدي : ((مال عليهم بالضرب ، قال المفسرون : يعني : بيده اليمنى يضربهم بها ، وقال السُّدِّي : بالقوة والقدرة)) [2] وقال الزمخشري : (((فَرَاغَ) فأقبل عليهم مستخفيًا ، كأنَّه قال : فضربهم ضربًا ؛ لأنَّ راغ عليهم بمعنى ضربهم ، أو فراغ عليهم يضربهم ضربًا ... ومعنى (ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) ضربًا شديدًا ؛ لأنَّ اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما ، وقيل : بالقوة والمتانة ، وقيل : بسبب الحلف ، وهو قوله : (تاللهِ لأكِيدَنَّ أصنامَكَمْ){الأنبياء : ٥٧}))[3] فأهل التفسير أكَّدوا أنَّ المراد من اليمين اليمين بعينها ، وأشاروا إلى معنى القوة والقدرة بصيغة التضعيف ، وهاهو ابن الجوزي الذي عيَّن في النزهة ، والمنتخب جعل اليمين بمعنى القوة في قوله تعالى : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) [4] قال في تفسيره : ((وقوله تعالى : (ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) في اليمين ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّها اليد اليمنى

والثاني : بالقوة والقدرة

والثالث : باليمين التي سبقت منه ، وهي قوله تعالى : (تاللهِ لأكِيدَنَّ أصنامَكَمْ)لآالأنبياء : ٥٧}))[5] فما عيَّنه في باب الوجوه لم يعيِّنه في باب التفسير ، ولم يجعله القول الأول ، وهذا يعني أنَّ الوجه الذي قاله في نزهته ومنتخبه أبطله في زاده

فالقوة صفة لليمين ، والتحريف الحاصل أنّهم لم يجعلوا اليمين بمعناه بل بمعنى صفته

---

(١) جامع البيان ٨٧/٢٣

(٢) الوسيط ٥٢٨/٣

(٣) الكشاف ٤٨/٤

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٣١٤ ومنتخب قرة العيون ص ٢٤٦

(٥) زاد المسير ٣١٢/٦

الثانية : جعل اللفظ بمعنى الموصوف به : جعلوا اليمين في الوجه الخامس بمعنى الدين في قوله تعالى : (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) وقد تقدم أنَّ اليمين استعارها العرب لمعاني الخير والبركة ، ولمعاني القوة والقدرة ، ولمعاني الحلف والقسم ، لذلك جاز أن تحتمل معاني كثيرة ، كما جاء في كتب التفسير ، قال ابن عطية في تفسير اليمين في هذه الآية : ((والذي يتحصَّل من ذلك معان : منها أن يريد باليمين : القوة والشدة ، فكأنَّهم قالوا : إنَّكم كنتم تغووننا بقوة منكم ، وتحملوننا على طريق الضلالة بمتابعة منكم في شدَّة فعبَّر عن هذا المعنى باليمين...ومن المعاني التي تحتملها الآية (إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا) من الجهة التي يحسنها تمويهكم وإغواؤكم ويظهر فيها أنَّها جهة الرشد والصواب ، فتصير عندنا كاليمين التي بيمين السانح الذي يجيء من قبلها...ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا إنَّكم كنتم تأتوننا ، أي : تقطعون بنا عن أخبار الخير واليمن معبَّرٌ عنها باليمين ، إذ اليمين هي الجهة التي يتيمن بكلِّ ما كان فيها ، ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا أنَّكم كنتم تجيئون من جهة الشهوات وعدم النظر ، والجهة الثقيلة من الإنسان ، وهي جهة اليمين منه ؛ لأنَّ كَبِدَه فيها ، وجهة شماله فيها قلبه ، وهي أخفّ)) [1]وقال الزمخشري : ((اليمين لمَّا كانت أشرف العضوين ، وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها ، فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ، ويزاولون أكثر الأمور ، ويتشاءمون بالشمال ؛ لذلك سمّوها الشؤمى ، كما سمّوا أختها اليمنى ، وتيمنوا بالسانح ، وتطيروا بالبارح ، وكان الأعسر معيبًا عندهم ، وعضدت الشريعة ذلك ، فأمرت بمباشرة أفضل الأمور باليمين ، وأرذلها بالشمال ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحبّ التيامن في كلِّ شيء ، وجعلت اليمين لكاتب الحسنات ،

([1]) المحرر الوجيز ٤٤٦٩-٤٧٠

والشمال لكاتب السيئات ، ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه ، والمسيء أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه ، فقيل : أتاه عن اليمين ، أي : من قبل الخير وناحيته فصدّه عنه وأضلّه...ولك أن تجعلها مستعارة للقوة ؛ لأنَّ اليمين موصوفة بالقوة ، وبها يقع البطش)) [١] وقال القرطبي : ((قال سعيد عن قتادة : أي : تأتوتنا عن طريق الخير وتصدوننا عنها ، وعن ابن عباس نحو منه ، وقيل : تأتوننا عن اليمين التي نحبّها ونتفاءل بها لتغرونا بذلك بحجة النصح ، والعرب تتفاءل بما جاء عن اليمين وتسميه السانح ، وقيل (تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) تأتوننا مجيء من إذا حلف لنا صدَّقناه ، وقيل تأتوتنا من قبل الدين فتهونون علينا أمر الشريعة وتنفروننا عنها...وقيل : اليمين بمعنى القوة ، أي : تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر...وهذا قول ابن عباس ، وقال مجاهد (تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) أي : من قبل الحق أنَّه معكم)) [٢]وقال البيضاوي : (((قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) عن أقوى الوجوه وأيمنها ، أو عن الدين ، أو عن الخير كأنَّكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا ، مستعار من يمين الإنسان الذي أقوى الجانبين وأشرفهما وأنفعهما ، ولذلك سُمِّي يمينًا وتيمن بالسانح ، أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال ، أو عن الحلف فإنَّهم كانوا يحلفون لهم أنَّهم على الحق)) [٣] وابن الجوزي نفسه الذي عيَّن في النزهة جعل اليمين بمعنى الدين في قوله تعالى : (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ)[٤] قال في تفسيره : (((قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) وفيه ثلاثة أقوال :

---

(١) الكشاف٣٨/٤

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦١/١٥

(٣) أنوار التنزيل ٨/٥

(٤) ينظر : نزهة الأعين ص ٣١٤

أحدها : تقهروننا بقدرتكم علينا ؛ لأنَّكم كنتم أعزَّ منَّا رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثاني : من قبل الدين فتضلونا عنه ، قال الضحاك .

والثالث : كنتم توثقون ما كنتم تقولون بأيمانكم ، فتأتوننا من قبل الأيمان التي تحلفونها ، حكاه علي بن أحمد النيسابوري)) [1]فابن الجوزي الذي عيَّن جعل اليمين بمعنى الدين في النزهة لم يعيِّنه في الزاد ، ولم يجعله القول الأول ، وهذا يعني أنَّ الذي قاله في باب الوجوه أبطله في باب التفسير

فالدين موصوف باليمن واليمين ، فلا يصحّ جعل الدين وجهًا له ؛ لأنّه ليس المراد تسمية اليمين ووصفه بالدين ، وإنّما تسمية الدين ووصفه باليمين ، فهو وجه مختلَق بطريقة الدراسة المعكوسة .

الثالثة : جعل اللفظ بمعاني المجاز : جعلوا اليمين في الوجه الثاني بمعنى القسم أو الحلف ، في قوله تعالى : (لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ) وبمعنى العهود في الوجه السادس في قوله تعالى : (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) واليمين في هذين الوجهين مستعار ، فقد تقدم قول ابن فارس : ((وسمِّي الحَلِف يمينًا ؛ لأنَّ المتحالفين كأنَّ أحدهما يصفق بيمينه على يمين صاحبه)) [2] وقوال الراغب : ((اليمين أصله الجارحة...واستعير اليمين للتيمّن والسعادة...واليمين في الحلف مستعار من اليد اعتبارًا بما يفعله المعاهد والمحالف وغيره ، قال تعالى : (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ){القلم : ٣٩}(لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ){البقرة : ٢٢٥}))[3] ((واليمين : القسم ؛ لأنَّهم كانوا يتماسحون

([1]) زاد المسير ٣٠٣/٦

([2]) مقاييس اللغة ص ٩٧٢

([3]) المفردات للراغب ص٥٧٧-٥٧٨ وينظر : العين للخليل ص ١٠٧٦ وتهذيب اللغة للأزهري ٣٩٨٤/٤-٣٩٨٧ ولسان العرب ٣٢٣/١٥-٣٢٧ وتاج العروس١٥٠/٣٦-١٥٥

بأيمانهم)) [١] فقد جعلوا اليمين في الوجهين المذكورين بمعنى الحلف أو القسم وبمعنى العهود ، والمراد في الحقيقة جعل هذين المعنيين بمعنى اليمين ، ويُعدُّ هذا من التحريف ، وهو قلب المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ اليمين لفظ مستعار مجازي وجعل الحلف أو القسم ، والعهود من أوجهه يحوِّله إلى حقيقة ، وفي ذلك يقع الخلط بينهما ، والتحريف لدلالة كل منهما .

الرابعة : جعل اللفظ بمعنى ما سيكون عليه : جعلوا اليمين هنا في الوجه الثالث بمعنى الجنة في قوله تعالى : (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ){الواقعة : ٢٧} لأنّ هذا ما سيكون عليه أصحاب اليمين يوم القيامة ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) وهم الذين يُؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين ، الذي أُعطوا كتبهم بأيمانهم)) [٢] وبمثل هذا فسَّر قبل ذلك قوله تعالى : (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ){الواقعة : ٨}[٣]وقال ابن الجوزي : ((وقد شرحنا معنى قوله تعالى : (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ) في قوله تعالى : فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)) [٤] (((فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) فيهم ثمانية أقوال :

أحدها : أنَّهم الذين على يمين آدم ، أُخرِجتْ ذريته من صلبه ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنَّهم الذين يُعطون كتبهم بأيمانهم ، قاله الضحاك والقرظي

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤٠٧/٥

(٢) جامع البيان ٢٠٩/٢٧

(٣) ينظر : جامع البيان ١٩٨/٢٧

(٤) زاد المسير ٣٢٨/٧

والثالث : أنَّهم الذين كانوا ميامين على أنفسهم ، أي : مباركين قاله الحسن والربيع

والرابع : أنَّهم أخذوا من شق آدم الأيمن ، قاله زيد بن أسلم

والخامس : أنَّهم الذين منزلتهم عن اليمين ، قاله ميمون بن مهران

والسادس : أنَّهم أهل الجنة ، قاله السُّدِّي

والسابع : أنَّهم أصحاب المنزلة الرفيعة ، قاله الزجاج .

والثامن : أنَّهم الذين يُؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنَّة ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري))[١] وقد عيَّن قبله الطبري وغيره القول الثاني ، أو الثامن ، فقد تقدم قول الطبري : أنَّهم ((هم الذين يُؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين ، الذي أُعطوا كتبهم بأيمانهم)) وقال الواحدي : ((يعني اليمين ، وهم الذين يُعطَون كتبهم بأيمانهم ، ويجوز أن يراد بهم الذين يُؤخَذ بهم ذات اليمين إلى الجنة))[٢] فالصحيح أنَّ المراد من اليمين اليمين بعينها ، وكيف يصحُّ جعل الجنة وجهًا ، وهو قول من ثمانية أقوال ؟!

الخامسة : عدم تحرّي الصواب الدقة في التفسير : جعلوا اليمين في الوجه السابع بمعنى الصلة ، أو الزيادة في قوله تعالى : (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) قال الدامغاني ((اليمين : المِلْك ، قوله تعالى : (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ)(الأحزاب : ٥٠} ومثلها في سورة النساء ، ونحوه كثير))[٣] قال بهذا الوجه ، ولم يوضح كيف يكون تقديره ، وكذلك ابن الجوزي فقد قال : ((أن يكون صلة ، ومنه قوله تعالى : (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)(النساء : ٣} أي : ما ملكتْ أيمانُكم))[٤]فجعل التقدير مطابقًا للمقدَّر ، وقد بيَّن الفيروزآبادي هذه

---

(١) زاد المسير ٣٢٣/٧

(٢) الوسيط ٢٣٢/٤

(٣) الوجوه والنظائر ص ٤٨٠

(٤) نزهة الأعين ص٣١٤

الزيادة بقوله : ((للصلة ولزيادة توكيد ، قال تعالى : (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ)}المؤمنون : ٦} : أي : ما ملكتْ (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ)}الأحزاب : ٥٠} أي : ملكتَ)) [١]

لم أجد في كتب اللغة ولا في كتب التفسير من ذكر أو نقل أنَّ اليمين أو الأيمان قد ترد زائدة ، أو جعل مثلًا قوله تعالى : (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) بتقدير : أو ما ملكتم ، بل منهم من علل إضافة الملك إليها ، كأنَّه يريد أن يؤكِّد عدم زيادتها ، قال ابن عطية : (((مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) يريد به الإماء ، والمعنى : إن خاف ألّا يعدل فما ملكت يمينه ، وأسند الملك إلى اليمين ؛ إذ هي صفة مدح ، واليمين مخصوصة بالمحاسن لتمكنها ، ألا ترى أنَّها المنفقة ، كما قال عليه السلام : حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، وهي المعاهدة المبايعة ، وبها سميت الألِيَّة يمينًا ، وهي الملقية لكتاب النجاة ولرايات المجد ، وقد نهى عليه السلام من استعمالها في الاستنجاء ، وأمر المرء بالأكل بها))[٢] ((فإن قيل : المالك هو نفسه لا يمينه فَلِمَ أضاف الملك لليمين ؟ فالجواب : لأنَّها محلّ المحاسن ، وبها تُتَلَقّى رايات المجد))[٣] وأراد أيضًا القدرة على ملك الإماء ، فقد جعل الأخفش قوله تعالى : (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)}النساء : ٣٦} أي : وما كانت لكم عليه قدرة))[٤] فكأنَّ في إضافة الملك لليمين شرطَ توافر المقدرة المالية على جواز امتلاك الإماء ، فأصحاب كتب الوجوه بدلًا من أن يقولوا بسرِّ هذه الإضافة ، ويبينوا من خلال ذلك حسن التعبير القرآني ، قالوا بالزيادة ، وابن الجوزي نفسه الذي قال في النزهة بصلة اليمين في قوله تعالى : (أَوْ مَا مَلَكَتْ

([١]) بصائر ذوي التمييز ٤٠٩/٥

([٢]) المحرر الوجيز ٧/٢-٨ وينظر : الدر المصون للحلبي ٥٦٧/٣

([٣]) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ١٦٧/٦

([٤]) معاني القرآن ص ٢٧٦

أَيْمَانُكُمْ){النساء : ٣}[١] قال في تفسيره : ((فإن خفتم أن لا تعدلوا بين هؤلاء الأربع فانكحوا واحدة ، واقتصروا على ملك اليمين)) [٢] فالزيادة التي قال بها في باب الوجوه لم يقل بها في باب التفسير

السادسة : تأويل الصفات : جعل الحيري اليمين في الوجه التاسع بمعنى القَسم في قوله تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) وجعله الدامغاني والفيروزآبادي بمعنى القوة والقدرة ، يعني بقوته وقدرته ، وهذا ما قال به كثير من المفسرين قال الأخفش : ((وقال : (وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) يقول في قدرته ، نحو قوله تعالى : (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ){النساء : ٣٦} أي : وما كانت لكم عليه قدرة ، وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر البدن ، وأمَّا قوله تعالى : (قَبْضَتُهُ) فنحو قولك للرجل : هذا في يدك وفي قبضتك))[٣] وقال الواحدي : ((يعني : أنَّه يطويها بقدرته))[٤]ومثل ما قال الأخفش والواحدي قال الزمخشري[٥] وابن عطية الأندلسي[٦] والقرطبي[٧] والبيضاوي[٨] والنسفي[٩] والشوكاني[١٠] وقال وقال أبو حيان الأندلسي : ((الأصل في الكلام حمله على حقيقته ، فإن قام

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٣١٤

(٢) زاد المسير ٨/٢

(٣) معاني القرآن ص ٢٧٦

(٤) الوسيط ٥٩٣/٣

(٥) الكشاف ١٣٨/٤

(٦) المحرر الوجيز ٥٤١/٤

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٥

(٨) أنوار التنزيل ٤٨/٥

(٩) مدارك التنزيل ص ١٠٤٦

(١٠) فتح القدير ٥٩٣/٤

دليل منفصل على تعذر حمله عليها تعيَّن صرفه إلى المجاز ، فلفظ القبضة واليمين حقيقة في الجارحة ، والدليل العقلي قائم على امتناع ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى ، فوجب الحمل على المجاز ، وذلك أنَّه يقال : فلان في قبضة فلان : إذا كان تحت تدبيره وتسخيره))[1]

لكن الدليل النقلي قائم على ثبوت أنَّ لله عينين ، ويدين ، ويمين ، وصفات الله سبحانه لا نعرفها إلّا عن طريق النقل ، ولو أمكن بالعقل أن نعرف ما يتعلق بصفات الله لما احتاج الناس أن يرسل إليهم الرسل وينزل عليهم كتبه ، وقال ابن عاشور : ((وطيّ السماوات استعارة مكنية لتشويش تنسيقها واختلال أبعاد أجرامها...واليمين وصف لليد ولا يد هنا ، وإنَّما هي كناية عن القدرة ؛ لأنَّ العمل يكون باليد اليمين))[2] وأقوال من تقدموا من المفسرين تعني نفي صفة اليمين لله تعالى ، وهو نفي لما أثبته الله في كتابه ، وعقيدة أهل السنة والجماعة ، وعقيدة أهل التوحيد هو إثبات كل ما أثبته الله لنفسه من صفات ، وتأويلها بمثل ما تقدم تعطيل لها ، قال مقاتل : (((وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) مطويات يوم القيامة...كلاهما في يمينه ، يعني في قبضته اليمنى ، قال ابن عباس : يقبض على الأرض والسموات جميعًا فما يرى طرفهما من قبضته ، ويده الأخرى يمين)) [3] وقال الطبري : الطبري : ((عن ابن عباس قوله تعالى : (وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : قد قبض الأرضين والسماوات جميعًا بيمينه ، ألم تسمع أنَّه قال (وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) يعني الأرض والسماوات بيمينه جميعًا...عن ابن عباس : ما السماوات السبع والأرضون السبع إلّا كخردلة في أحدكم...عن ربيعة الجُرسي قال (وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

([1]) البحر المحيط ٥٨٥/٧

([2]) التحرير والتنوير ١٣٠/٢٤

([3]) تفسير مقاتل ١٣٨/٣

وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) قال : ويده الأخرى خلو ليس فيها شيء...وكان ابن عباس يقول : وإنَّما الأرض والسماوات مطويات كلّها بيمينه ، وليس في شماله شيء...عن أبي حازم عن عبد الله بن عمر أنَّه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على المنبر يخطب الناس ، فمرَّ بهذه الآية : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : يأخذ السموات والأرضين السبع فيجعلها في كفِّه ، ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة : أنا الله الواحد ، أنا الله العزيز ، حتى لقد رأينا المنبر وإنَّه ليكاد أن يسقط به...عن عبيدة السَّلْماني عن عبد الله ، قال : جاء يهوديٌّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، إنَّ الله يمسك السماوات على أصبع ، والجبال على أصبع ، والخلائق على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : وما قدروا الله حق قدره...فال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تعجبًا وتصديقًا...وقال آخرون : بل السماوات بيمينه ، والأرضون بشماله ...عن عبد الله بن عمر ، أنَّه قال : سمعتُ رسول الله يقول : يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده ، وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول : أنا الجبار ، أنا الملك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ قال : ويميل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله ، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحرَّك من أسفل شيء منه ، حتى إني لأقول : أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم)) [1]وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) سبب نزولها أنَّ رجلًا من أهل الكتاب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أبا القاسم بلغك أنَّ الله تعالى يحمل الخلائق على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر

([1]) جامع البيان ٣٢/٢٤-٣٤

على إصبع ، والثرى على إصبع ؟! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين نحوه عن ابن مسعود...وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ، وأخرجا من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوي السماء عزَّ وجلَّ السماوات يوم القيامة ، ثمَّ يأخذهنَّ بيده اليمنى ، ثمَّ يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون))[1]

المجاز وتأويل الصفات : كان المجاز مطيّة أهل اللغة والتفسير والجسر الذي عبروا منه إلى تأويل الصفات الإلهية ، والمجاز إذا كان يجوز ويصحّ في صفات البشر ، فإنَّه لا يجوز ولا يصحّ في صفات الله سبحانه ، وأنا لا أقول بهذا اتباعًا لعقيدة السلف فحسب ، وإنَّما أقول به استنادًا إلى الحقيقة والواقع ، وهو أنَّ المجاز في شيء لا يقوم إلّا على معرفة حقيقته ؛ والتعرف إليها لا بالعقل فحسب ، بل بالرؤية والمشاهدة ومعايشتها في الواقع ، من ذلك مثلًا أنَّه إذا جاز حمل الآية على المجاز في قوله تعالى : (يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)[البقرة : ١٩} وقوله تعالى : (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ)[نوح : ٧} وقيل : إنَّه ذكر الأصابع وأراد الأنامل ، للتعبير عن شدة وقع الصواعق على سمعهم ، كما جاء في سورة البقرة ، وللتعبير عن شدة إعراضهم كما جاء في سورة نوح ؛ لِعِلْمِنا باستحالة أن يدخل الإنسان إصبعه في أذنه ، وقد علمنا بهذه الحقيقة ، لأنَّنا نعرف ما هو الإنسان ، وحقيقة أصابعه وآذانه وأفعاله ، وقد عرفناها بالرؤية والمشاهدة والمعايشة ، لكنه لا يجوز حمل هذه

([1]) زاد المسير ٦٢/٧-٦٣ وروى الحديثين البخاري في تفسير سورة الزمر ، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم وينظر : تفسير ابن كثير ٨٥/٧

القضية على المجاز المذكور ، لو كان المراد عود ضمير الجمع مثلًا على الجنِّ لا على الإنسان ، لأنَّنا لا نعرف الجنَّ ما هو ، وما حقيقته ، وكيف تكون آذانه وأصابعه ، ولا نعرف تبعًا لذلك حقيقة أفعاله ، أيستطيع مثلًا أن يدخل أصابعه في آذانه أم لا ؟ لأنّه يختلف عن الإنسان ولم نشاهده ولم نعرف كيف تكون أفعاله وتصرفاته .

فالمجاز ما كان خلاف الحقيقة والواقع ، فكيف يصحّ أن نقول بالمجاز في شيء ، ونحن لا نعرف حقيقة ذلك الشيء وواقعه ؟! وكيف يصحّ لنا أن نؤول صفات الله سبحانه ، وقد قال عن نفسه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير)[الشورى : ١١] ؟! فذات الله ليس كمثلها شيء ، وكذلك صفاته ليس كمثلها شيء ، إلّا أنَّ أصحاب كتب الوجوه وقعوا في هذا المحذور ، فأولوا الصفات وألحقوها بالوجوه ، وقد مرَّت شواهد من هذا التأويل ، كتأويلهم استواء الله على العرش بمعنى الاستيلاء عليه ، وتأويلهم عين الله بمعنى حفظه وعنايته ، وتأويلهم حبّ الله لعباده المؤمنين بالرضا عنهم ، وتأويلهم يد الله أو يمينه بقدرته وتأييده ، وهذه التأويلات ونحوها تعطيل لصفات الله سبحانه .

أربع حقائق : وثمة أربع حقائق نذكرها في أوجه هذا اللفظ تنطبق على أوجه كل لفظ من الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه ، وتدلُّ على بطلانها :

الأولى : أنَّ هذه الأوجه تثير تساؤلات لا جواب لها ، من ذلك :

١-أنَّه إذا تبين أنَّ لمعنى اليمين لفظه الموضوع له ، والدالّ عليه ؛ حقيقة ومجازًا فلِمَاذا إذن استعمل القرآن الكريم لفظ اليمين بمعاني هذه الأوجه بدلاً من معناه؟!

٢–إذا تبين أنَّ لكل وجه من هذه الأوجه ، لفظه الموضوع له ، والدال عليه ؛ فلِمَاذا إذن عبَّر القرآن الكريم عن هذه الأوجه بلقظ اليمين ولم يعبِّر عنها بألفاظها ؟!

٣–ما الفرق في المعنى بين اليمين والوجه المنسوب إليه ، من ذلك مثلاً أنَّه إذا جُعِل اليمين في الوجه الرابع بمعنى القوة في قوله تعالى : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) فما الفرق في المعنى هنا بين : فراغ عليهم ضربًا بالقوة ، وبين : فراغ عليهم ضربًا باليمين ؟

٤–فإذا قيل : إنَّ بينهما فرقًا في المعنى ، فما هذا الفرق ، ولِمَاذا لَمْ يشر إليه أصحاب كتب الوجوه ؟!

٥–وإذا قيل لا فرق بينهما في المعنى ؛ فنقول من حيث اللفظ : فأيهما أحق وأفصح وأبلغ استعمالًا ، استعمال لفظ (القوة) أم لفظ (اليمين) ؟ !

٦–فإذا قيل لفظ (القوة) فقد اتهموا كلام الله بعدم الفصاحة ، وجعلوا أنفسهم بمثابة المقوِّم اللغوي لكلام البارئ عز وجل .

٧–وإذا قيل لفظ (اليمين) فليس إذن ثَمَّةَ أي مسوغ كان ، لجعل (اليمين) بتقدير (القوة) من حيث اللفظ والمعنى ، وما قلناه في هذا الشاهد القرآني نقول الكلام نفسه في باقي الشواهد ؛ وتبطل عندئذ فكرة هذه الأوجه ، فيكون الكلام فيها عبثًا لا معنى له

الثانية : أنَّه من حق أي باحث كان أن يسأل أصحاب كتب الوجوه ومن تبعهم من المفسرين أنَّه إذا كان (اليمين) هو بمعنى (القوة) في قوله تعالى : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) والتقدير : فراغ عليهم ضربًا بالقوة ، فلماذا إذن عبَّر القرآن الكريم عن معنى القوة بلفظ اليمين ، ولم يعبِّر عنه بلفظ القوة ؟! لا يستطيع أصحاب كتب الوجوه ولا المفسرون الإجابة عن هذا السؤال ، إلاَّ بأحد أمرين ، إمَّا أن يدعوا بأنَّ من الأنسب والأبلغ والأفصح

والأحق أن يُعَبَّر عن المعنى بلفظه ، إلّا أنَّ القرآن الكريم ألحن فعبَّر عن المعنى بغير لفظه ووضع اللفظ في غير موضعه ، وهذا ما لا يجرؤ ولا يستطيع أحد أن يدعيه ؛ لأنَّه ما من أحد يستطيع أن يثبت هذا الادعاء ، وإمَّا أن يعترفوا ويقروا جميعًا بأنَّ هناك فرقًا في المعنى بين (القوة) و(اليمين) وأنَّ القرآن الكريم استعمل اليمين ؛ لأنَّه أراد معناها ، ولم يستعمل القوة لأنَّه ما أراد معناها ، وعندئذ يثبت بطلان من ادعى أنَّ (اليمين) جاء بمعنى (القوة) في قوله تعالى : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ)

الثالثة : جاز جعل اليمين بمعاني : القَسم ، والحَلِف ، والجنة ، والقوة ، والدين ، والعهد ، إذا أريد جعل هذه المعاني من مرادفاته ، أي : القريبة من معناه ، وقيل بها لغرض التفسير والإيضاح ، جاز ذلك ؛ لأنَّ اليمين حينئذٍ تبقى محتفظة بمعناها الموضوع لها ، فتبقى حيَّة تروح فيها دلالتها الأصلية وتغتدي ، ولا يكون ثمة زيغ في التأويل ، وهذا هو منهج أهل اللغة ، والتفسير ، ولا يجوز جعل المعاني الستة المذكورة أوجهًا لليمين ؛ لأنَّ اليمين ليست من الألفاظ المشتركة ، ففي القول بها ونسبتها إليها إلغاء لمعناها ، وإفراغها من محتواها ، فتعود مجرد لفظ بلا معنى ، كجسد بلا روح ، وهذا هو منهج أصحاب كتب الوجوه والنظائر ، هو إماتة المفردة القرآنية ، ودفنها في عقر دارها ، وقبرها وهي في موضعها .

الرابعة : أنَّ كتب الوجوه والنظائر ، من أيِّ باب دخلتها ، ومن أيِّ طرف نظرتَ إليها تجدها في كلِّ مرة لا معنى لها ، أليس القرآن الكريم قد وضع كلَّ لفظ في موضعه ، وعبَّر عن كلِّ معنى بلفظه ؟! فبعد أن درسنا وجوه كثير من هذه الطائفة من الألفاظ ، وهي مثل وجوه كلِّ الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه ، نريد أن نسأل ما الغرض من جعلهم لفظ كذا بمعنى لفظ كذا ، أهو تعريفه وتفسيره بما يرادفه وقريب من معناه أم يريدون أن يجعلوه بمعنى اللفظ بعينه ؟ فإذا كان الغرض هو الأول فكتب التفسير

تغني عن كتبهم وقامت بهذه المهمة خيرًا منهم فلا حاجة إليها ، وإذا كانوا قد أرادوا الغرض الثاني ، وهو كذلك عندهم ، فهذا يعني أنَّهم جعلوا الوجوه المنسوبة إلى اللفظ هي المرادة ، وقد تقدم أنَّ كثيرًا من هذه الوجوه لا يمكن قبولها ، ولا يصحّ تقديرها ، ومنها ما هي شاذة ، حتى إنَّه لم ترد ضمن قول من أقوال المفسرين ، وحتى التي لم يشذَّ معناها ، كجعل (اليمين) بمعنى (القوة) نقول في هذا الوجه ونحوه مما جاز تقديره : أيهما أبلغ لفظًا ودلالة ، وأدق وأصدق في التعبير عن المعنى المراد أن يقال مثلًا : فراغ عليهم ضربًا بالقوة ، كما جاء في كتب الوجوه ، أم أن يقال كما جاء في التنزيل : (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) ؟! وكذلك الحال في أوجه كل لفظ قيل بها ، أليس التركيب الذي استعمله القرآن هو الأبلغ والأدق في التعبير ، والأدل على المراد ؟! أفليس الأمر كذلك ، كما رأيتَ ؟ ! أفلا يقضي هذا بوجوب إبقاء اللفظ على وضعه وعلى معناه ؟! وإذا كانت هذه هي الحقيقة التي لا ينكرها كلّ مسلم فهل يبقى بعد ذلك لكتب الوجوه من معنى أو حاجة ؟!

وهذا هو عين ما حصل في كل وجه ذكره أهل الوجوه إلّا ما كان قائمًا على أساس اللفظ المشترك ، وهي لا تتجاوز بضعة ألفاظ في كل كتب الوجوه

هذه هي الطرائق العشرون التي تعرّفتُ إليها واستنبطتها من خلال دراستي لوجوه ١٩٤ لفظًا ، وهناك طرائق أخرى تقدّم ذكرها وذكر أمثلتها :

١–كجعل المفرد وجهًا وجمعه وجهًا آخر ، والدلالة واحدة .

٢–وجعل الشيء وجهًا ، وأصله وجهًا آخر والدلالة واحدة .

٣–وجعل اللفظ بمعاني لفظ آخر جاوره في السياق نفسه .

٤–وجعل اللفظ بمعنى ما كان عليه ، أو بمعنى ما سيكون عليه .

الخاتمة ونتائج البحث

كان في نيتي حين شرعتُ في تأليف هذا الكتاب أن أمرَّ على جميع الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه والنظائر ، أتناول وجوهها المنسوبة إليها بالدراسة ، باستثناء ما درسته في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، بيد أنِّي عزفتُ عن تطبيق هذه النية لكثرة الألفاظ التي اشتملت عليها هذه الكتب ، فقد تضمن مثلًا كتاب الوجوه والنظائر للدامغاني وحده ٥٢٩ لفظًا ، كما أنَّه لم تكن غايتي أن أصنف معجمًا في لغة القرآن الكريم ، وإنَّما كانت غايتي الأساسية الردّ على الكتب المذكورة ، والأمر الثاني الذي جعلني أفقد الرغبة في استقصاء كلّ ما تضمنته كتب الوجوه من ألفاظ هو أنَّ طرائق تحريف دلالاتها مكررة ، فوجدتُ أنّ دراسة ما درسته يغني عن دراسة ما أهملته ، وقد تبيَّن من دراسة وجوه الألفاظ في هذا الكتاب حقائق نبَّهتُ عليها في مواضعها ، كان من أهمها ما يأتي :

١-تبيّن أنَّ أصحاب كتب الوجوه غالبًا ما يعيُّنون معنى الوجه على سبيل القطع ؛ لعلمهم أنَّ معنى الوجه إذا احتمل أكثر من معنى ، وتعددتْ فيه الأقوال خرج من باب الوجوه ، ودخل في باب التأويل والتفسير ؛ وهذا ما حصل فيكاد لا تجد وجهًا قال به أصحاب كتب الوجوه إلّا واحتمل أكثر من معنى ، وتعددت فيه الأقوال في كتب التفسير ، وهذا أكبر دليل على بطلان كتب الوجوه أنَّه لم يُؤخذ بها في كتب التفسير .

٢-أنّ من علامات الوجوه الحقيقية أنَّه لم يحصل البتة أن ذَكَرَ لغوي أو مفسِّر الفرق بين معنى الوجه ومعنى اللفظ المشترك ، فلم تجد مثلًا مَن ذّكَرَ الفرق بين معنى العين ومعنى العين الباصرة ، أو بين معنى العين ومعنى العين الجارية ، أو ذكر الفرق بين معنى الماء الحار ومعنى الحميم ، أو بين معنى الصديق ذي الرحم ومعنى الحميم ؛ أو ذكر الفرق بين معنى لا ولا النافية ، أو بين معنى لا ولا الناهية ، أو ذكر الفرق بين معنى لمَّا ولمَّا

النافية الجازمة ، أو بين معنى لمَّا ولمَّا الحينية ، أو ذكر الفرق بين معنى ما وما الموصولة ، أو بين معنى ما وما النافية ، أو بين معنى ما وما الاستفهامية ، أو بين معنى ما وما الشرطية ؛ ذلك أنَّ اللفظ المشترك الحقيقي ليس له معنى مستقل وخاص به يميِّزه من معاني وجوهه ؛ لأنَّ معناه ينطبق على معنى كل وجه بالقدر نفسه ، ويدلّ عليها جميعًا على حدّ سواء ، وقد تبيَّن أنَّه غالبًا ما يتطرق أهل اللغة والتفسير على ذكر الفرق بين معنى اللفظ وأغلب معاني الوجوه المنسوبة إليه ، وهذا ما هو حاصل في أغلب الألفاظ التي اشتملت عليها كتب الوجوه ، مما يدل على أنَّها ليست في الحقيقة ألفاظًا مشتركة ، وأنَّ الوجوه المنسوبة إليها ليست وجوهًا حقيقية ، بل هي وجوه مختلقة بالطرائق التي تقدم ذكرها في هذا الكتاب .

٣-أنَّ أصحاب هذه الكتب اختلقوا الوجوه عن طريق تحريف دلالة اللفظ القرآني ، وكان ذلك بما يأتي :

١-بصرف اللفظ عن معناه وجعله بمعاني مرادفاته .

٢-بصرف اللفظ عن معناه المراد إلى معنى غير مراد .

٣-بصرف اللفظ العام عن معناه العام وجعله بمعانيه الخاصة ، أو بمعاني أنواعه ، أي : بقلب المعنى في باب الدراسة المعكوسة ، ذلك بجعل العام بمعنى الخاص ، والمراد جعل الخاص بمعنى العام .

٤-بقلب المعنى في باب المجاز ، ذلك بجعل المجاز بمعنى الحقيقة ، والمراد جعل الحقيقة بمعنى المجاز

٥-بصرف اللفظ عن معناه وجعله بمعاني لوازمه ، أو بمعاني ما يلزم منها معناه .

٦-بصرف اللفظ عن معناه الذي يعود إلى صيغته ، وجعله بمعاني صيغ أُخَر .

٧-بصرف اللفظ عن معناه وجعله بمعاني صفاته .

٨-بصرف اللفظ عن معناه وجعله بمعاني الموصوفين والموصوفات به

٩-بصرف اللفظ عن معناه الثابت في اللغة والوضع والاستعمال ، وجعله بمعاني أقوال لم تثبت عند الحذاق من المحققين من علماء اللغة والتفسير .

١٠-بصرف اللفظ المضاف عن معناه ، وجعله بمعاني المضاف إليه

١١-بصرف اللفظ عن معناه وجعله بمعاني السياق ، مع أنَّ لكل سياق معناه العام ، ولكل لفظ فيه معناه الخاص به

١٢-عدم جعل اللفظ بمعناه ، وجعله بمعان ألفاظ أُخَر ، لعدم تحري الصواب والدقة في التفسير .

١٣-بصرف اللفظ عن معناه وجعله بمعنى غيره على سبيل التغليب .

١٤-بصرف اللفظ عن معناه وجعله بمعاني ما اشتمل عليه ، أو بصرف المحتوي عن معناه وجعله بمعاني محتوياته .

١٥-بصرف المسبَّب عن معناه وجعله بمعاني أسبابه

فلو أبقوا اللفظ القرآني على معناه ، لم يحرفوا دلالته ويصرفوه عن معناه لما استطاعوا أن يختلقوا وجهًا واحدًا إلّا ما كان ضمن الأوجه الحقيقية .

٤-المأخذ العام الذي وقع فيه أصحاب كتب الوجوه ، هو أنَّهم جعلوا من التعابير المُفَسِّرة وجوهًا للفظ القرآني المُفَسَّر ، واللفظ القرآني جاز تفسيره بألفاظ فصيحة قريبة من معناه ، لغرض توضيح دلالته ، وجاز أيضًا تفسيره بألفاظ عامية لغرض توضيح دلالته للعوام والأميين الذين يصعب عليهم فهمه بغير لغتهم المحلية ، بل جاز تفسيره بألفاظ أعجمية لتوضيح

معناه لمن لا يعرف العربية ، كل هذا جائز في باب التفسير ، لكنه لا يجوز أن نجعل هذه الألفاظ المفسِّرة مهما بلغت فصاحتها وجوها للفظ المُفَسَّر ، ومن تعمَّد ذلك فقد حرَّف دلالة اللفظ القرآني ؛ لأنَّ اللفظ لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه

٥- تبيّن أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه

٦-تبيّن أنَّ القرآن الكريم ما استعمل لفظًا إلّا لمعناه الموضوع له ومن ادعى أنَّه استعمله بمعنى لفظ آخر ، فقد كذب وافترى على الله سبحانه ورماه باللحن

٧-تبيّن أنَّ العلاقة بين اللفظ والوجه المنسوب إليه في كتب الوجوه هي ليست علاقة لفظ بمعناه ، كعلاقة الحميم مثلًا بمعناه الذي عُبَّر عنه بالقريب في النسب في قوله تعالى : (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا){المعارج : ١٠} أو بالحارّ من الماء في قوله تعالى : (يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ){الحج : ١٩} أو علاقة العين بمعنى العين الباصرة في قوله تعالى : (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ){البلد : ٨} أو بمعنى العين الجارية في قوله تعالى : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ){الإنسان : ٦} أو علاقة المنّ بمعناه الذي عبَّر عنه بالإحسان والتفضيل والإنعام في قوله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ){آل عمران : ١٦٤} وقوله تعالى : (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا){محمد : ٤} أو عبِّر عنه بالمقطوع في قوله تعالى : (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ){فصلت : ٨} أو علاقة المنّ بمعناه الذي هو الطعام المعروف في قوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى){الأعراف : ١٦٠} فالوجوه في كتب الوجوه ليست علاقتها بالألفاظ التي نسبت إليها ، علاقة ألفاظ بمعانيها ، كعلاقة الحميم ووجهيه ، والعين ووجهيها ، والمنّ وأوجهه الثلاثة ، بل هي علاقة أخرى لا تتعلق بالمعنى ، علاقة تمثل الطريقة التي اختُلِق بها الوجه ، كعلاقة اللفظ بمرادفه ، أو علاقة الحقيقة بالمجاز ، أو

السبب بمُسَبَّبه ، أو المسَبَّب بسببه ، أو العام بالخاص ، أو الصفة بموصوفها ، أو الموصوف بصفته ، أو المضاف بالمضاف إليه ، أو اللفظ بالسياق .

٨- لا يُعدُّ من التحريف الدلالي للفظ إذا جُعِل بمعنى لفظ آخر مع الإقرار بأنَّه معنى مرادف له لا مطابق ، ومع الإقرار بجواز جعله بمعان مرادفة أُخَر ؛ لأنَّ الغرض من ذلك أن يوضَّح به معناه لا على أنَّه يعنيه بعينه كما هو الحاصل في كتب اللغة والتفسير بصفة عامة ، أمَّا على أنَّه يعنيه بعينه فهو التحريف بعينه ، وهذا هو الحاصل في كتب الوجوه

٩-يجب إبقاء اللفظ القرآني على معناه ، أمّا جعله بمعنى لفظ آخر فيُعدُّ تحريفًا لدلالته ، مما يؤدي إلى تحريف معنى النص القرآني .

١٠- ما من وجه جاء في كتب الوجوه ، إلّا ونقضه أهل التفسير ، ذلك بعدم القول به أو بعدم تعيينه ؛ لأنَّ الوجه لا يصح أنَّ يُسمَّى ويُعدُّ وجهًا إلّا إذا تعيَّن معناه وعلى سبيل القطع ، فإذا احتمل معنى آخر خرج من باب الوجوه ودخل في باب التأويل والتفسير ، بل لم أجد في كتب التفسير من استند إلى كتب الوجوه ، حتى إنَّهم إذا نسبوا قولًا إلى مقاتل نسبوه إلى تفسيره لا إلى أشباهه ، وها هو ابن الجوزي الذي صنَّف كتابين في الوجوه والنظائر ، وصنَّف تفسيره لكتاب الله : زاد المسير ، لم أجده في موضع ما أرجع قولًا من الأقوال التي ذكرها لمعنى اللفظ في تفسيره إلى ما قاله في نزهته ، أو منتخبه ، على الرغم من أنَّه صنَّف تفسيره : زاد المسير ، بعد كتابيه : نزهة الأعين ، ومنتخب قرَّة العيون ، بل كان في الأعم الأغلب يبطل الوجه الذي عيَّنه في النزهة والمنتخب ، ذلك بعدم تعيينه ، أو ينكره ، فقد كان كثيرًا ما يذكر لمعنى اللفظ في الشاهد القرآني في باب التفسير عدة أقوال ليس من بينها القول الذي عيَّنه في باب الوجوه في الشاهد القرآني نفسه ، فلو كان لكتب الوجوه والنظائر أيّة قيمة علمية تُذكَر لرجع إليها أصحابها ،

ولما أهملوها واستنكفوا من الإشارة إليها ، فاعتبروا يا أولي الألباب ، يا مَن حققتم هذه الكتب ، ونشرتموها ، وأشدتم بها ، وأكثرتم من مدحكم وثنائكم لها

١١–تبيّن أنَّ الوجه الذي ينسبه أهل الوجوه إلى اللفظ كثيرًا ما لا يقول به أهل التفسير على سبيل القطع والتعيين ، بل دائمًا ما يكون قولًا من عدة أقوال ، وكثيرًا ما يمثل القول الثاني أو آخرها وأضعفها وأبعدها عن الصواب ، أكان أصحاب كتب الوجوه لا يدري كلٌ منهم بالأقوال التي وردت في كتب التفسير ؛ لذلك لم يذكرها فعيَّن الوجه الذي قال به أم كان يدري ؟

فإن كان لا يدري فتلك مصيبة وإن كان يدري فالمصيبة أعظم

لأنَّ إغفالها مع العلم بها يُعدُّ خيانة علمية في التفسير ، ويعني أنَّه تعمَّد تحريف دلالة النص القرآني من أجل اختلاق الوجوه .

١٢– لا شيء يقوم ، ولا يبنى ولا ينمو إلّا على أساس ، وأساس تفسير كتاب الله إبقاء كل مفردة من مفرداته على معناها ، الموضوع لها في اللغة ، وفي هذه الحالة نصون كتاب الله من تحريف دلالات نصوصه ومقاصدها ، فإذا جعلناها بمعنى مفردة أخرى فتحنا الباب على مصراعيه لتأويلها كما يهوى المفسِّر ؛ فإنَّ الذين في قلوبهم مرض لمَّا وجدوا الباب مُغلَقًا من جهة تحريف حروفه عمدوا إلى تحريفه من جهة تأويله .

١٣– قام إعجاز القرآن اللغوي على استعماله لِلَّفظ من دون الألفاظ الأخرى المرادفة له ، حتى راح مصنفو كتب إعجاز القرآن في مجال اللغة يبدؤون كلامهم بقولهم : لماذا قال الله كذا ولم يقل كذا ؟ وهذا لا يكون إلّا في الألفاظ التي جاز أن يقع بعضها موقع موضع لتقارب معانيها ، فجعل لفظ بمعنى لفظ آخر يلغي هذا الإعجاز ؛ لأنَّه بدلًا من أن نبيِّن سرّ استعمال القرآن الكريم لهذا اللفظ من دون اللفظ المرادف له القريب من معناه ندعي أنَّه جاء بمعناه

١٤-تبيَّن من دراسة كتب الوجوه في هذا الكتاب أنَّ الذي مكَّن أصحاب كتب الوجوه من اختلاق الوجوه للألفاظ التي اشتملت عليها كتبهم ، وإيهام أنفسهم ومحققي هذه الكتب بأنَّها وجوه حقًّا ، كون معاني هذه الوجوه صحَّ أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها واتحادها في المعنى العام ، وقد تبيَّن أنَّه على الرغم من اتحادها في المعنى العام تفترق عن بعضها في معانيها الخاصة ، وهي المقصودة ، ففي جعل كل لفظ بمعاني الوجوه التي نسبوها إليه تحريف لدلالته ، وإلغاء للمعنى الخاصّ المقصود

١٥-تضمنت كتب الوجوه والنظائر مئات الألفاظ ، وبلغ عدد الوجوه التي نسبوها لكل لفظ منها ما بين وجهين إلى أربعة وعشرين وجهًا أو أكثر ، وكثيرًا ما لم يجعلوه قد جاء على بابه في وجه منها ، وهذا يعني أنَّهم جرَّدوا مئات الألفاظ القرآنية من معانيها ، عندما جعلوها بمعاني ألفاظ أخرى ، وليس ثمة هدم للغة القرآن الكريم أكبر من هدم إفراغ مفرداته من محتواها ، ومن ضروب الهدم الأخرى إلغاء ظاهرة الترادف في لغة القرآن الكريم ؛ ذلك بتحويل مرادفات اللفظ إلى وجوه ، وإلغاء المعاني العامَّة ذلك بتحويل أنواعها ومعانيها الخاصة إلى وجوه ، وأسباب الشيء ومسبَّباته ، أو صفاته ، أو الموصوفات به ، بتحويل ذلك كله إلى وجوه ، وإلغاء باب المجاز ، ذلك بتحويل الألفاظ المجازية إلى وجوه ، والحقيقة أنَّه كان في كل طريقة من الطرائق التي اتبِعتْ في اختلاق الوجوه تحريف لدلالة اللفظ القرآني من جهة ، وهدم لقاعدة من قواعد لغة القرآن الكريم من جهة أخرى

١٦- مما لاحظتُه وأنا أدرس وجوه الألفاظ في كتب الوجوه أنَّه كثيرًا ما يقع أصحاب هذه الكتب في شطحات كبيرة وظاهرة ، لغوية وتفسيرية ، لا يجوز السكوت عليها ، بل من الوزر والإثم تجاهلها ؛ لأنَّها تمسّ اللغة وكتاب الله ، وعلى الرغم من ذلك لم أجد أحدًا من محققيها مَن نبَه عليها ، أو علَّق وعقَّب ، بل راحوا يشيدون بهذه الكتب زورًا وبهتانًا

هذه هي كتب الوجوه ، أتراها تستحق أن تُحقَّق وتُطبَع وتُنشَر ، أم أن تُحجَب أو تُمزَّق وتُسْجَر؟! أهذه هي الكتب التي أثنى عليها الزركشي بقوله : ((وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهًا أو أكثر ، أو أقلّ ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر))[1] ؟! وأيُّ إعجاز هذا هو الذي بيَّنته كتب الوجوه أم العكس هو الصحيح ؟! يبدو أنَّ هذه الكتب قد استخفت بعقول عدد غير قليل من علماء اللغة والتفسير ، وبعقول حتى محققيها من الأساتذة المحدثين

ثَبَت المصادر والمراجع

-الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١) تحقيق محمد سالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م

-أساس البلاغة ، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت : ٥٣٨) قراءة وضبط وشرح د-محمد نبيل طريفي ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .

-أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت : ٤٦٨هـ) الطبعة الأولى ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م .

-الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت : ١٥٠هـ) تحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاتة .

-الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي (ت : ٩١١) وضع حواشيه غريد الشيخ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م .

(١) البرهان ص ٧٣

-إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت : ٣٣٨هـ) اعتنى به الشيخ خالد العلي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م .

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت : ٦٩١هـ) إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د-ت) .

-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (ت : ٧٤٥هـ) حقق أُصوله الدكتور عبد الرزاق المهيدي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرماني (ت : ٥٠٥هـ) تحقيق عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م

- البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت٧٩٤هـ) بدر الدين بن محمد، تحقيق : محمد أبي الفضل ، الطبعة الثالثة، بيروت .

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت : ٨١٧هـ) تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ،بيروت (د-ت)

-تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري (ت : ٢٧٦هـ) الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م

-تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى بن محمد الحيني الزَّبيدي (ت :١٢٠٥هـ) اعتنى به ووضع حواشيه الدكتور عبد

المنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م .

-التبيان في إعراب القران لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت:٦١٦هـ)، دار الفكر، بيروت ، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

-الترغيب والترهيب ، للإمام الحافظ المنذري ، حققه أبو عبد الرحمن المكي ، الطبعة الأول ، مكة المكرمة ، الرياض ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

-التعريفات ، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت : ٨١٦هـ) العراق بغداد (د-ت) .

-تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت : ٢٧٦) تحقيق السيد أحمد صفر ، المكتبة العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت٧٧٤هـ) عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمسقي ، علق عليه وخرَّج أحاديثه هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، القاهرة (د-ت) .

-تفسير مقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .

-تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق د-رياض زكي قاسم ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .

– جامع البيان عن تأويل أي القران، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٦م.

– الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت :٦٧١هـ) تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر ، الطبعة الأولى ، دار العلم الجديد ، القاهرة ١٤٣١هـ=٢٠١٠م .

– الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ) تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، والدكتور محمد نديم فاضل ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٣٠هـ =١٩٩٢م

–الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي (ت : ٣٧٧هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م .

–درة التأويل وغرة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الاسكافي (ت :٤٢٠هـ) الطبعة الثانية ، دار الآفاق الحديثة ، بيروت ١٩٧٧م .

–الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط ،الطبعة الثانية ،١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

–رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد بن عبد النور المالقي (ت:٧٠٢هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط ، الطبعة الثالثة ، دار القلم، دمشق ، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ،

ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

-زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ) وضع حواشيه ، أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

-الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، للشيخ أبي حاتم بن حمدان الرازي (ت : ٣٢٢هـ) عارضه بأصوله وعلَّق عليه حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري الحرازى ، مطبعة الرسالة ١٣٠٥هـ .

-شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك (ت٦٧١هـ) جمال الدين أبي عبد الله محمد، تحقيق عبد الرحمن عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

-شرح القصائد العشر ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت :٥٠٢هـ) تحقيق الأستاذ عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤١٨هـ=١٩٩٧م .

-شرح كافية ابن الحاجب ، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت : ٦٨٦هـ) قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-شرح المفصل ، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت:٦٤٣هـ) وضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

-الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت : في حدود ٤٠٠هـ) اعتنى به خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-صحيح البخاري ، للإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٣١هـ=٢٠١٠م .

-عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، لجمال الدين محمد بن مالك (ت : ٦٧١هـ) تحقيق أحمد بن إبراهيم بن عبد المولى المُغينيِّ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ =٢٠٠٩م .

-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ، المعروف بالسمين الحلبي (ت :٧٥٦هـ) تحقيق حمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د-ت)

-العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٥هـ) الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) ضبطه وصححه أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د-ت).

-الفروق اللغوية ، لأبي هلال بن سهل العسكري (ت :٣٩٥هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ٢٠٠٩م .

-فصول في فقه العربية ، للكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة السابعة ١٤٢٠=١٩٩٩م .

-القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

-الكتاب، أو كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان (ت:١٨٠هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ، د إميل بديع يعقوب ،

الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-كشاف اصلاحات الفنون ، لمحمد علي بن علي بن محمد التهانوي ، المتوفى بعد سنة ١١٥٨هـ ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٣٤هـ=٢٠١٣م .

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

-كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ، لشمس الدين محمد بن محمد بن على بن العماد المصري (ت : ٨٨٧هـ) تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، والدكتور محمد سليمان داود ، الناشر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية .

-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م .

-كشف المعاني في متشابه المثاني ، لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي (ت : ٧٣٣هـ) تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

-الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القَريميِّ الكفويِّ (ت : ١٠٩٤هـ) تحقيق د-عدنان درويش ، ومحمد المصري ، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ=٢٠١١م .

– اللباب في علوم الكتاب ، لأبي جعفر عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

-لسان العرب ،لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ) ، الطبعة الثانية ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

-مجاز القرآن ، لابي عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى التيمي (ت : ٢١١هـ) تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م

-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري (ت : ٨٠٧) الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ٢٠٠٩م

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

-المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المعروف بابن سيده (ت : ٤٨٥هـ) تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م

-مدارك التنزيل وحقائق التاويل ، لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ) اعتنى به عبد المجيد طعمة حلبي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، حققه محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت (د-ت) .

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت : ٧٧٠هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م .

-معاني القران ،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت:٢١٥هـ) وضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-معاني القران ، لأبي زكريا زياد بن عبد الله الفراء (ت:٢٠٧هـ) وضع حواشيه وفهارسه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- معاني القران وإعرابه ، لأبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري (ت:٣١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

-معاني القراءات ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، قدَّم له ، وقرَّظه الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي ، كلية اللغة العربة ، جامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-المُعرَّب من الكلام الأعجمي ، لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي (ت : ٥٤٠} تحقيق خالد عبد الغني محفوظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، يروت ، لبنان ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

-مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام (ت٧٦١هـ) جمال الدين يوسف بن احمد بن عبد الله الانصاري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة .

-المفردات ي غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ) ضبطه هيثم الطعيمي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م .

-المفصل في علم العربية ،لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

-مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) تحقيق أنس محمد الشامي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٠٨م

-ملاك التأويل ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت:٧٠٨هـ) وضع حواشيه ، عبدالغني محمد علي الفاسي ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

-الملخّص في إعراب القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت : ٥٠٢) تحقيق د-يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

-منتخب قرَّة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) تحقيق محمد السيد الصفطاوي ، والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، الإسكندرية (د-ت)

-الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، من إعداد الدكتور أحمد مصطفى متولي ، الطبعة الأولى ، دار ابن الجوزي ، مصر ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

-موسوعة علوم اللغة العربية ، إعداد الأستاذ الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م

-موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، لمحمد علي التهانوي ، تقديم وإشراف ومراجعة د-رفيق العجم ، ود-عبد الله الخالدي ، ود-جورج زيناتي ، الطبعة الأولى ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ١٩٩٦م .

-نزهة الأعين في علم الوجوه والنظائر ، للإمام جمال أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) وضع حواشيه خليل المنصور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

-النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت : ٦٠٦هـ) الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م .

-وجوه القرآن ، لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت : ٤٣٠هـ) تحقيق جلال السيوطي ، الطبعة الأولى ، لبنان ١٤٣٢هـ=٢٠١١م

-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م .

-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت : بعد ٣٩٥هـ) تحقيق أحمد السيد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م .

–الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لهرون بن موسى القارئ (ت : ١٧٠هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن ، الطبعة الأولى ، عمَّان ٢٠٠٢م .

–الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت : ٤٧٨هـ) تحقيق عربي عبد الحميد علي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م

– الوسيط في تفسير القران المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

فهرس طرائق اختلاق الوجوه وألفاظها

وأهم الفروق اللغوية بينها

التمهيد : العلاقة بين الوجوه المختلَقة وتحريف دلالاتها	٣
علامات التحريف الدلالي للفظ القرآني	٣
وقوع الألفاظ بعضها موقع بعض	٤
معنى اللفظ بين كتب التفسير وكتب الوجوه	١٤
المقدمة	١٥
أمثلة على الوجوه الحقيقية	١٦
علامات الوجوه الحقيقية	٣٠
الطريقة الأولى : جعل اللفظ بمعاني مرادفاته .	٣٢
١–الإباء : والفرق اللغوي بين الإباء والامتناع–والإباء والإنكار	٣٥
٢–الإتمام : والفرق اللغوي بين الإتمام والإكمال–والإتمام والإسباغ	٣٨
٣–الإتيان : والفرق اللغوي بين أتى وجاء	٤٣

٤–الإخراج	٦٢
٥–الإخلاد	٦٤
٦–الإدراك : والفرق اللغوي بين الإدراك والرؤية	٦٧
٧–الإرسال	٧٢
٨–الاستئناس : والفرق اللغوي بين الاستئناس والاستئذان	٧٦
٩–الأسف	٧٩
١٠–الأفواه : والفرق اللغوي بين الأفواه والألسنة	٨٢
١١–الأكنّة	٨٥
١٢–الإلقاء	٨٦
١٣–البهتان	٩٣
١٤–التسخير : والفرق اللغوي بين التسخير والتذليل–والسخرية والاستهزاء	٩٨
١٥–التلاوة : والفرق اللغوي بين التلاوة والقراءة –وتلا وتبع	١٠٦
١٦–ثقفوا : والفرق اللغوي بين ثقفوا ووجدوا	١١٤
١٧–الثواب : والفرق اللغوي بين الثواب والجزاء	١٢٢
١٨–الثواء	١٣١
١٩–الجدال	١٣٢
٢٠–الجُناح (بضم الجيم)	١٣٨
٢١–الجيب	١٣٨
٢٢–الختم	١٤١
٢٣–الخشوع	١٥٢
٢٤–الخلّة	١٥٦
٢٥–الخليفة : والفرق اللغوي بين الخليفة والبديل	١٦١

٢٦-الدبر والأدبار: والفرق اللغوي بين الدابر والآخِر-والدبر والظهر-والدبر والخلْف	١٧٠
٢٧-الدُّولة	١٨٨
٢٨-الذات	١٩٠
٢٩-الذوق	١٩٤
٣٠-الرعد	١٩٧
٣١-الركوب	١٩٩
٣٢-الريب	٢٠٢
٣٣-الزكاة	٢٠٩
٣٤-الزوال	٢١٩
٣٥-الزيغ	٢٢٢
٣٦-سار	٢٢٩
٣٧-السربال	٢٣٣
٣٨-الصغير	٢٣٤
٣٩-العدل	٢٣٦
٤٠-العرض	٢٣٩
٤١-العهد	٢٤٧
٤٢-العورة	٢٥٢
٤٣-الكبت	٢٥٤
٤٤-الكرسي	٢٥٩
٤٥-الكسوة	٢٦١
٤٦-الكنز	٢٦٢
٤٧-اللسان	٢٦٥

٤٨-المحراب	٢٦٩
٤٩-المفتاح	٢٧٢
٥٠-النقص	٢٧٥
الطريقة الثانية : جعل اللفظ بمعاني ما أفاد وخالف المعنى المراد	٢٨٢
١-اتخذ	٢٨٢
٢-الحذر : واالفرق اللغوي بين الحذر والخوف	٢٨٩
٣-الدرجة والدرجات	٢٩٨
٤-الذهاب : والفرق اللغوي بين الذهاب والهجرة	٣٠٤
٥-الرفع	٣١٢
٦-سبحان	٣١٦
٧-السحر	٣٢١
الطريقة الثالثة : جعل اللفظ بمعاني لوازمه ، أو بمعاني ما يلزم منها معناه .	٣٢٦
١-أحاط	٣٢٦
٢-أحصى	٣٢٩
٣-الإهلال	٣٣٢
٤-الثبات	٣٣٤
٥-الحضور	٣٣٨
٦-الخوف	٣٤٤
٧-السمع	٣٤٩
٨-الصبر	٣٥٥
٩-هنيئًا	٣٥٩

الطريقة الرابعة : الدراسة المعكوسة ، وهي جعل اللفظ بمعاني الموصوف به	٣٦٢
١-الأجر	٣٦٢
٢-الأجل	٣٦٤
٣-الإحسان	٣٦٧
٤-الأذى	٣٧٢
٥-الأسفار	٣٨١
٦-الإفك	٣٨٤
٧-الأُمّ : والفرق اللغوي بين الأُمّ والوالدة	٣٨٧
٨-الأُمِّي	٣٩٤
٩-أيّامًا معدودات	٣٩٦
١٠-البعل	٣٩٩
١١-البقية : والفرق اللغوي بين الباقي والدائم	٤٠٠
١٢-البيت والبيوت	٤٠٧
١٣-الجنُّ	٤٢٦
١٤-الجنود	٤٢٧
١٥-الدائرة	٤٣٢
١٦-الدابَّة	٤٤٠
١٧-الرزق : والفرق اللغوي بين الرزق والطعام	٤٤٣
١٨-شجرة	٤٥٦
١٩-شراب	٤٥٩
٢٠-الصاحب	٤٦١
٢١-الصوم	٤٦٥

٢٢-الطير	٤٦٦
٢٣-العذاب	٤٧٢
٢٤-الفتى	٤٧٤
٢٥-القارعة	٤٧٥
٢٦-القرية	٤٧٨
٢٧-الكتاب	٤٨٠
٢٨-المطر	٤٨٩
٢٩-الناس	٤٩٠
٣٠-النعمة والفضل	٥٠٦
الطريقة الخامسة : جعل اللفظ بمعاني صفاته	٥١٤
١-الرجل	٥١٥
٢-الرجال	٥٢٣
٣-الغلام	٥٢٥
الطريقة السادسة : جعل اللفظ بمعاني المجاز والكناية	٥٢٨
١-الإثخان	٥٢٩
٢-البرق	٥٣٠
٣-الثمرات	٥٣٢
٤-الثياب	٥٣٦
٥-الجناح (بفتح الجيم)	٥٤٠
٦-الحبل	٥٤١
٧-الحمل	٥٤٣
٨-الرقبة	٥٥٥
٩-الساق	٥٥٦

١٠-السراج	٥٥٩
١١-الشياطين	٥٦٠
١٢-الطريق	٥٦٣
١٣-القذف	٥٦٧
الطريقة السابعة : جعل اللفظ بالمعاني التي اختلفت لاختلاف صيغه ، أو جذره ، أو متعلقه .	٥٦٩
١-استوى	٥٧١
٢-الإشعار : والفرق اللغوي بين المشاعر والمناسك	٥٧٨
٣-التراب	٥٨٢
٤-الجار	٥٨٩
٥-الجذوة	٥٩٣
٦-الجمال	٥٩٥
٧-الذرّيّة	٥٩٦
٨-القائل	٦٠٤
٩-القسم	٦٠٥
١٠-المحل	٦٠٧
١١-المرد	٦٠٨
١٢-ناء	٦١٠
١٣-الهمّ	٦١١
١٤-هات	٦١٢
الطريقة الثامنة : جعل اللفظ بمعاني ما قيل	٦١٤
١-الإناث	٦١٤
٢-الإنسان	٦٢٢

٣–البحر : والفرق اللغوي بين البحر واليمّ	٦٣٨
٤–التمنّي : والفرق اللغوي بين التمنّي والقراءة	٦٥٠
٥–التنزيل : والفرق اللغوي بين الإنزال والإهباط	٦٦٣
٦–الغيب	٦٧٤
الطريقة التاسعة : طريقة الإضافة الظاهرة ، أو المقدَّرة .	٦٨٦
١–الباب	٦٨٦
٢–الحدود	٦٨٩
٣–الحرام	٦٩٠
٤–الرجوع : والفرق اللغوي بين الرجوع والردّ–والرجوع والعَود–والرجوع والمصير	٦٩٤
٥–الزيادة	٧٠٦
٦–الزينة	٧٠٧
٧–الصلاة	٧٠٩
٨–الصفّ	٧١٧
٩–العين	٧٢٠
١٠–الغيُّ	٧٢٧
الطريقة العاشرة : جعل اللفظ بمعاني السياق	٧٢٨
١–الاثنين	٧٣٠
٢–الأربع والأربعون	٧٣١
٣–البعث : والفرق اللغوي بين البعث والإحياء–والبعث والنشور–والبعث والإلهام–والبعث والإرسال	٧٣٢
٤–الجرم	٧٤٠
٥–الجنب	٧٤٩

٦-عند	٧٥٣
الطريقة الحادية عشرة : عدم تحرِّي الصواب والدقة في التفسير	٧٥٧
١-الاسم : والفرق بين أسماء الله وصفاته	٧٥٧
٢-أولى	٧٦٨
٣-الجزء	٧٦٩
٤-جثيًّا	٧٧٢
٥-الجسد : والفرق اللغوي بين الجسد والبدن	٧٧٦
٦-الحدود	٧٨٤
٧-الحمد : والفرق اللغوي بين الحمد والشكر	٧٨٧
٨-العجب	٧٩٥
٩-القتل	٨٠١
١٠-القرآن	٨٠٥
١١-اليأس	٨١٠
الطريقة الثانية عشرة : التغليب	٨١٢
١-الأب	٨١٢
الطريقة الثالثة عشرة : جعل اللفظ بمعاني ما اشتمل عليه ، أي : جعل المحتوي بمعاني محتوياته .	٨١٧
١-الآخرة	٨١٧
٢-الإسلام	٨١٨
٣-الخزائن	٨١٩
٤-الدار	٨٢٥
الطريقة الرابعة عشرة : الاعتباطية	٨٣٧

١-الآذان	٨٣٧
٢-الإدلاء : والفرق اللغوي بين أدلى دلوه ودلى دلوه	٨٣٨
٣-الابتغاء : والفرق اللغوي بين الابتغاء والطلب	٨٤٢
الطريقة الخامسة عشرة : جعل المسبَّب بمعاني أسبابه	٨٤٤
١-أذلّة	٨٤٤
٢-الثقل والثقال	٨٥٠
٣-الجَنّة : والفرق اللغوي بين الجنّ والستر-والجنة والبستان	٨٥٤
٤-الحُبّ : والفرق اللغوي بين الحُبّ والمودّة-والحُبّ والإرادة	٨٦٥
٥-السُّكْر	٨٨٦
٦-السكينة : والفرق اللغوي بين السكينة والطمأنينة	٨٨٨
٧-الضحك	٨٩٤
٨-الغمّ	٩٠١
٩-النجاة	٩٠٣
١٠-الوِرد	٩٠٨
الطريقة السادسة عشرة : جعل الجمع بمعاني المفرد	٩١٠
١-أوتوا العلم	٩١٠
٢-السنين	٩١٧
الطريقة السابعة عشرة : جعل النكرة بمعاني الأعلام المعارف	٩٢١
١-الامرأة	٩٢١
٢-البشر	٩٢٤
الطريقة الثامنة عشرة : جعل اللفظ بمعاني علله وأغراضه	٩٣٠
١-السجود	٩٣٠
الطريقة التاسعة عشرة : جعل اللفظ بمعان شاذّة وغريبة ،	٩٤٥

أو بمعان غير معقولة وغير مقبولة .	
١-الأرحام	٩٤٨
٢-البسط	٩٥٠
٣-الجنة	٩٥٢
٤-الحكم	٩٥٣
٥-الشفاء : والفرق اللغوي بين الشفاء والعافية	٩٥٦
٦-الفتية	٩٥٨
٧-القرآن	٩٥٩
٨-النصر	٩٦٤
٩-النهر	٩٦٤
الطريقة العشرون : تأويل الصفات	٩٦٥
١-الاستحياء (المنسوب إلى الله سبحانه)	٩٦٥
٢-العين (المنسوبة إلى الله سبحانه)	٩٧٠
٣-اليمين	٩٧٤
العلاقة بين المجاز وتأويل الصفات	٩٨٦
أربع حقائق	٩٨٧
الخاتمة : نتائج البحث	٩٩١
المصادر والمراجع	٩٩٨

السيرة العلمية

-الاسم : عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي .

-محل وتاريخ الولادة : الموصل/١٩٤٧م ، محلة الشفاء ، قرب دورة قاسم الخياط .

-أنهيتُ دراستي الابتدائية ، في المدرسة القحطانية ، سنة ١٩٦٢ .

-أنهيتُ دراستي المتوسطة ، في متوسطة الحرية ، سنة ١٩٦٥م .
-أنهيتُ دراستي الإعدادية ، في الإعدادية المركزية ، القسم العلمي ، سنة ١٩٦٧م
-خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد ، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا ، سنة ١٩٧٢م .
-عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيارة في ١٩٧٣/١٠/٩م ، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كرمليس ، ثم ثانوية قره قوش ، ثم متوسطة المثنى ، فمتوسطة أبي بكر الصديق ، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة ١٩٨٩م .
-حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية ، بدرجة جيد جدًّا عالٍ يرسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م جامعة الموصل / كلية الآداب ، بموجب الأمر الجامعي المرقم ٣١٩/١١/٣ في ١٩٨٩/١/٩م
-حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، بدرجة امتياز ، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في ١٩٩٧/٨/٢٦م ، بموجب الأمر الجامعي العدد ٣/١١/٢ع٧٢ بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٦م
-تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي ، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في ١٩٩٧/٣/١٩م ، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا
-كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف ، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها ، خمسة عشر جامعًا ، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي ، في الأسابيع الأولى من افتتاحه ، سنة ١٩٨٧م ، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط ، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م
-بقيت أعمل تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، ومحاضرًا

في الدراسات العليا ، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه .
في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة ، حتى أُحلتُ على التقاعد بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥م .
-ترقيتُ إلى الأستاذية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣م

موبايل : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠
فايبر : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠
فيسبوك : البروف النحوي

للمؤلف

١-الله والتقدم المادي عند الإنسان رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٤٦ لسنة ١٩٧٧م .

٢-اغتنم شبابك في طاعة الله ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد بغداد ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد٢٩٩ لسنة ١٩٨٥م .

٣-فضل الصلاة وحكم تاركها في الكتاب والسنة ، أو رسالة إلى تارك الصلاة ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٨٥م رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٦٦ لسنة ١٩٨٦م .

وهذه الكتب الثلاثة نفدت نسخها ولم أُعد طبعها ؛ لأنَّها لم تكن وقتئذ مسجلة على قرص ، أو مخزونة في حاسبة .

٤-إعجاز القرآن الكريم . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٨٠٢/ لسنة ٢٠٠٩م وهو كتاب منهجي كنتُ أدرِّسه لطلاب المرحلة الرابعة في قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل / أعددتُه حسب المنهج الذي قرّرتْه عمادة الكلية المذكورة .

٥-مواعظ إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

٦–دروس إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٤ لسنة ٢٠٠٩م

٧–بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية . وهي من نظمي وشعري ، يضمّ ثماني قصائد ، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٥ لسنة ٢٠٠٩م وغيرت عنوانه إلى : صيحاتي بأُمِّتي السبيَّة في ثماني قصائد إسلامية .

٨–المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٦ لسنة ٢٠٠٩م

٩–(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

١٠–دراسات في النحو القرآني . . رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/٨١١ لسنة ٢٠٠٩م

١١–من مزاعم النحاة . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٨ لسنة ٢٠٠٩م

١٢–النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٣٢ لسنة ٢٠١٠م .

١٣–(ظنَّ) وأخواتها والتضمين في القرآن الكريم . وقد دمجتُ هذا الكتاب في الكتاب السابق .

١٤– الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر ، لفظ (الذكر) نموذجًا ، مع بحث صغير بعنوان : لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٩٨ لسنة ٢٠١١م

وقد جعلتُ الموضوع الأول من هذا الكتاب ضمن أحد مواضيع التمهيد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان دراسة نموذجية ، وجعلتُ كلامي في الموضوع الثاني ضمن التمهيد في كتابي : من مزاعم النحاة .

١٥–لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

١٦–اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

١٧–طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه . . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

١٨– الأضداد في القرآن الكريم

١٩–تقديم الجواب على شرطه في النحو العربي وشواهده في القرآن الكريم

٢٠–تأويل قوله تعالى : (وهمَّ بهالولا أن رأى برهان ربه).

٢١–دلالة (كاد–يكاد) في القرآن الكريم .

ملاحظة : هناك خطأ شائع جدًّا ، يتعلّق برسم الكلمة ، وهو وضع تنوين الفتح والنصب على الألف ، والصحيح وضعه على الحرف قبلها ، فمن ذلك مثلًا رسم الكلمات : مثلاً–سميعاً–كتاباً ، والصحيح : مثلًا–سميعًا–كتابًا ، ومن الخطأ الشائع أيضًا وضع رسم الشدة على الألف نحو : إلاّ–ألاّ–كلاّ والصحيح إلّا–ألّا–كلّا ، وقد استدركتُ في مؤلفاتي هذا الخطأ الذي يتعلّق بالرسم في كثير من المواضع ، وفاتتني مواضع كثيرة أخرى